تاريخ العرب القديم
حقوق النشر محفوظة:
لا يجوز طبع أو استنساخ أو تصوير أو تسجيل أي جزء من هذا الكتاب
بأي وسيلة كانت إلا بعد الحصول على الموافقة الكتابية من الناشر

وزير الأوقاف وأعماله:
للطبع والنشر والتوزيع

الإدارة: شارع سوتوتير
الأزليحة - الإسكندرية
ت: 4820163

الشرع: شارع قنال السويس
الشاطئي - الإسكندرية
ت: 5973142
والصلاة والسلام على المبعث رحمة للعالمين سيدنا محمد وآله.

キャメント

لم يعترف الأديس في الجزء الذي يتناول المؤرخين المسلمين بتأليفهم في التاريخ العربي القديم، إلا أن يكون مقدما لتأليفهم المفصلة الدقيقة للعصور الإسلامية، وحتى هذه المقدمات لم تكن مفصلة ولا دقيقة، وربما كان السبب في ذلك أنهم لم يعتمدا فيما كتبوه على سند مدون أو مأخوذ من نص مكتوب، وإنما كان عملهم في ذلك أنموذج الرجال، وهو أمر لا يمكن الإطمئنان إليه، وذلك أن رواية الأخبار، حتى وإن كانوا بعيدين عن المبول والأهداء، وحتى إن كانوا من أصحاب الملكات التي وهبت القدرة على التعزيز بين الفث والسمن، فإن للذائرة آثاماً ليست بقادر على تجاوزها.

ومن ثم فإن المتصفح لما كتبه كبار المؤرخين الإسلاميين ك몽طير والمسعودي والبلدري والديبوري، وإن الأكبر وإن كان كبير وابن خندن وغيرهم ليعجب للدقة والتحري الصحيح الذي عاجوا بهتاريخ الإسلامي، في معظم الأحيان، بقدر ما يأسف على الإهمال والخلط، الذي صحب كتاباتهم عن عصور ما قبل الإسلام.

(1)أنظر : محمد بركات نافع : تاريخ العرب - مصر ما قبل الإسلام - القاهرة 1952 ص 5-6.
D.S. Margoliouth, Lectures on Arabic Historians, Calcutta, 1930.
وهكذا كانت المبالغات - إن لم تقل الخرافات - التي أدخلها أهل الأغراض، أو الطامعون، مع دخل الإسلام من يهود أو نصارى، وبخاصة أولئك الذين كانت لهم ثقافة يهودية واسعة، وفي نفس الوقت كانوا يعتمدون بمكانة مرفوعة، ومركز ملحوظ بين المسلمين، لأنهم - كما يقول ابن إسحاق - «أهل العلم الأول».

ومن ثم فقد كان العرب يستفترونهم في بعض ما غضب عليهم، فيفترونهم بما تعوده في كتبهم من المبالغة في ضخامة الأجسام وطول الأعمار، وكانت التوراة - والتلمود من بعدها - تشمل على كثير مما جاء في القرآن الكريم من وقائع وأحداث تناصر بالمروفين الأخبار، من أنباء الله الكرام، ولكن بإيضاح وتصور، قد يغري في كثير من الأحوال عواطف العامة، أكثر مما يرضي عقول العلماء.

وهكذا بدأت الأساطير اليهودية تنتشر بين الناس، وتضبها ضعاف المؤرخين، فالقرآن الكريم - على سبيل المثال - لما ذكر عاداً، فإنه قال "أتم تركيف فعل ربك بعد، إرم ذات العمام" (79)، فأدخل المفسرون والمؤرخون في شرح هاينز الآتيين الكربتين مبالغات، رواها كعب الأخبار وبهر بن منية، وغيرهما.

ومن ثم فقد وصل إليها من أخبارها أن رجلاً كانا طوالاً كالنحل، لم يكن للطبيعة تأثير في أبنائهم لمغلفتها وتمنينها، وأن عاداً إما تزوج من ألف امرأة، وعاش ألف سنة ومائتي سنة، ثم مات بعد أن رأى من صلبه أربعة آلاف ولد كما رأى كذلك البطن العاش من أعقابه، وكان السالك من بعده في الأكبر من ولده - وهو شديد - الذي حكم 850 سنة، ثم جاء من بعده أخوه شداد، حيث

(1) مقدمة ابن خ لدون ص 439 - 440 تفسير الطبري 9و117، 8/181، تفسير ابن كثير 332، تفسير البخاري 77، تفسير الطبري 173/76، تفسير البخاري 30/179، تفسير الطبري 1169، تفسير البخاري 30/69، تفسير البخاري 178، 178، 178.
حكم 950 سنةً سيطر فيها على كل ممالك العالم (1)، وبيت مدينة إرم ذات
العدم (2).

ثم زاد الأمر صعوبة بالنسبة للمؤرخين الإسلاميين في تقدير تاريخهم، أن
الخط العربي لم يكن في أول أمره متقوتاً، وأن أول من فل ذلك، إنما كان أبو
الاسود الدولة (3)، بإرشاد من الإمام علي - كرم الله وجهه - ورضي الله عنه وأرضاه-
أو نصر بن عامش، بمثابة من الخجال الثقفي (4)، وأمر كذلك بالنسبة إلى الكتابة
التفصيلية التي يشرح أن الخط العربي مشتق منها، وينطوي عليها (5)، إذ كانت هي

تاريخ القرن الإسلامي، القاهرة 1922، ص 3/2، ثم قارن : المنسوب : كتاب النحو والتاريخ،
37، تفسير روح المالي 1/2، تفسير العبري 1/2، تفسير القرطي 1/2، 44-45-46.
عن مدينة إرم ذات المساء : أنظر : كتاباً دراسات في التاريخ القرآني، تأليف ابن غليون
1977-1978، تفسير الفخر الرضاي 1/2، تفسير القرطفي 1/2، 46-47.
1962، المذنلي : صفة جزيرة العرب، ص 88، الإكليل 8، 1939، BASOR 32-33، وكذا 121.
1972، ضيوف محمد (13).

عبد الصبور شاهين : تاريخ القرن، ص 37-68، أبو أحمد السكري : شرح ما يقع فيه
التسميف والتحريف، القاهرة 1934، ص 3-12، المسبح : تأليف الرأي على أنابيب النجوم،
cاهرة 1900-1900-1900-1900-1900، ثم قارن : حنيفة ناصف : حليمة المصاحف، 1988.
لا تعترف اللفظ والإعجام(1) ، وقد أدى ذلك كله إلى النباس غير قليل في قراءة الأسماء(2) .

على أن التفسير التقليدي لإهمال التاريخ العربي القديم وعدم تدوينه هو أن الإسلام قد اتجه إلى استئصال كل ما يمت إلى الوثيقة في بلاد العرب بصلة، اعتماداً على الحديث الشريف «الإسلام يحمل ما قبله»، ومن ثم فقد انصرف العلماء عن الدراسات المتصلة بالجاهلية، مما أدى آخر الأمر إلى ضياع الكثير من أخبارها، وبالتالي نسياؤها، وإلى ابتداء التاريخ عند المسلمين بعام التلبيل(3).

وإلي لآذن - وليس كل الطائفة إما - أن أصحاب هذا الرأي قد جانبهم الصواب إلى حد كبير، فالحديث الشريف إذا كان رداً على أمثلة بعض الصحابة - رضوان الله عليهم - عما ارتكبوه في جاهليتهم، مما لا يتفق وشرع الإسلام، أو بالأحرى كان رداً على «عمر بن العاص»، حين اشترط قبل مبايعته سيدنا وولانا رسول الله - صلى الله عليه وسلم- أن يُعفر له، فقال الحبيب المصطفى - صلى الله وسلم عليه - «أما علمت أن الإسلام يحمد ما كان تباهه»، وأن الهجرة تهدي ما كان قبله، وأن الحج يهدد ما كان قبله(4).

= المقداد: إبراهيم أبو الأبهية، ص 127-137، عبد الرحمن الأنصاري، لمحة عن القبائل البادية.
= في الجزيرة العربية، ص 89، ناصر التقشني، منشأ الخط العربي وتطوره لغاية عهد الخليفة.
= م. سريون، ص 141، وكذا.


EB, I, P. 684

وكذا.

نبياء أببت، The Rise of the North Arabic Script., P 2.

وكذا.

(1) مقال : عبد الصبور شاهين : تاريخ القرآن، ص 62-131، دبليو. لس، التاريخ العربي القديم، ص 140-41.
(2) خليل بحري نامي : أصل الخط العربي وتاريخ تطوره إلى ما قبل الإسلام، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلة الأولى، مايو 1965، ص 77.
(3) انظر مقال : جبرعي زيدان : العرب قبل الإسلام، ص 56.
(5) صحيح مسلم، 87، (باب كون الإسلام يحمل ما قبله)، وكذا الهجرة والمجانج.)
وهكذا يبدو بوضوح - لا بس فيه ولا خوضص - أنه ليست هناك صلة بين الحديث الشريف، الذي يدعو إلى أن الإسلام يبدع ما كان قبله، وبين إعمال التاريخ العربي القديم، بصورة لم يحمل بها أي تأريخ آخر، من توابع الأمة، التي كتب لها أن تعتنق الإسلام، وتؤمن بالقرآن، وتشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله.

فهذا إذا كان أصحاب هذا الرأي على صواب فيما يقولون، فمن أين إذ جاء ابن الكلبي، بدأده كتبه في الأسماء، بل كيف يتفق ذلك، والقرآن الكريم قد تعرض لحياة العرب في جاهلتهم، من نواحيها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية، فالقرآن الكريم تعرض للذكر بعض المعبرادات الوثيقة، حيث يقول سبحانه:

و تعالى و قالوا لا نذنكم آلهكم ولا نذن الله الذي خلقهن إن كنت إياها تعودون (3)، وقوله: أفرأيت اللات والمعي من ثلاثة الأخرى، أكلكم الذكر وله الآثري، تلك إذا دمعت ضيزي (4)، هذا فضلاً عن أن القرآن الكريم إذا يشير إلى أن ملكة سبأ وقومها، إذا كانوا يسجدون للشمس من دون الله وزيدن هم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يبتدون (5).

(1) سورة نوح: آية 33 وانظر: تفسير الطبري 29/29، تفسير الطبري 29/29، تفسير ابن كثير 137/137، تفسير أبو السعد 199/199، في ظلال القرآن 229/229، تفسير القرطبلي 181/181، تفسير النسائي 251/251، تفسير الطبي 166/166، الدور المثير في التفسير بالأنثور 266/266.
(2) سورة فصلت: آية 37، وانظر: تفسير روح المماليك 122/122، تفسير التسمية 273/273، تفسير ابن كثير 282/282، تفسير القرطبلي 376/376، الكشاف 384/384، الدرس المثير في التفسير بالأنثور 290/290، تفسير البخاري، تفسير الطبي 229/229، تفسير الطبري 211/211، في ظلال القرآن 249/249.
(4) تفسير الطبري 272/272، تفسير روح المماليك 187/187، تفسير البخاري 143/143، تفسير الطبري 144/144، تفسير القرطبلي 182/182، مرأس 151/151.
هذا إلى جانب ذكر القرآن لحياة العرب في الجاهلية ومثلهم، وما كانوا يقومون به - ولو شرًّا باطلآ - فضلاً عما في كتاب التفسير والحديث والسير والأخبار، من أوصاف البعض الجاهلية ومبادئها وشكل محاجاتها وأوقات الحج إليها (1)، ثم لم يتعز الامام إلى عرف العرب وتقاليدهم في الجاهلية، فأقر ببعض، وأنكر ببعض، وعذر ببعض (2).

لم يكن للصديق - رضي الله عنه وآلهه - علم بأنساب كل قبيلة، ومحمد السباقين منها ومساليفهم، ولا سيما قريش ومن جاورها، وهذا كانوا يقولون كلما سمعوُا أيةًا من الشعراء المسلمين يردون بها الهجاء على المشكرين - هذا تلقيت ابن أبي قهافة -، لأنهم كان في هذا العلم بين قريش عامة من غير نظير.

لم يكن القرآن - رضي الله عنه وآلهه - من العليل بالشعر، والحافظين له، البصريين به، ثم ليس عمر الذي قال: «عليكم بدؤونكم لا تصلوا، قالوا: وما دارنا، قال: شعر الجاهلية، فإن فيه تفسير كتابكم، ومعاني كلامكم (3).»

لم يحدثنا عكرمة عن ابن عباس - رضي الله عنه - أنه ما فسر آية إلا نزع فيها بيتًا من الشعر، وأنه كان حريصًا على الشعر الجاهلي، وأنه كان يحتال الناس على تعلمه وطليبه للفقه القرآن الكريم، وأنه كان يقول: «إذا سألتم عن شيء من غريب القرآن، فالتيسوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب (4).»

وهكذا يُمكننا القول أن الإسلام لم تعتمد طمس الجاهلية، والقضاء على ملامها، لما أشار النبي ﷺ إليها، ولتجربة المسلمين من الإشارة إليها كذلك.

---

(2) جواب علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام 1/114-1/114.
(3) أحمد أمين: فجر الإسلام ص 272 (بيروت 1929).
(4) المقدمة، الأغلبي 2/196/8، ابن كثير: الشعر والشعراء 3/1، ناصر الدين الأسد: مصادر الشعر الجاهلي وقيقتها التاريخية ص 152.
إن الأمر فيما يبدو لي - لو كان بسب الإسلام - لا يقتصر على بلاد العرب، وإنما كان يجب أن يتداعى إلى البلاد الإسلامية جمعاً - إلى مصر وسوريا والعراق وغيرها - ورأيتا في هذه الحالة طمساً لكتاب مصر على أيام الفراعين، وللكتاب tradir el العراق على أيام السومريين والأكديين والأموريين والبابليين، والأمر كذلك بالنسبة إلى تاريخ الأمرييين والكنعانيين والنيبيين والأرمنين وغيرهم في سورية، ولكن الواقع غير ذلك تماماً، فتاريخ مصر - على سبيل المثال - أوضح من تاريخ العرب بكثير.

إذن: لا بد وأن تكون هناك أسباب أخرى، لطمس هذا التاريخ العربي القديم، والرأي عندي أن السبب إذا يكمن أولاً في الجاهلية أنفسهم، لقد كان القوم - في معظمهم - آمنين، لا يكتبون على الأقل في العصور القريبة من الإسلام، حتى أننا لا نجد في مكة عشياء ظهر الإسلام، إلا بضعة عشر نفرًا يقرأون ويكتبون، حددهم البلاذري بسبعة عشر، فضلاً عن فئة قليلة من الأوس، إلى جانب قلعة نادرة. من النساء، منهن «الشام بنت عبدالله العمر» - من رهط عمر الخطاب وهي التي علمت أم المؤمنين حفصة بنت عمر الكتابة. 1

ولאחרاً فإليك الحديث الشريف: «إذا أمة أمية لا تكتب ولا تحسب» 2

وهكذا كانت الأمة هي الصفة الغالبة على العرب عشيقة ظهر الإسلام، حتى وإن كان الحديث الشريف - كما أراد بعض أن يفسره - لا يغني الكتابة والحساب نفياً شاملاً، لأنه جاء في حديث الصيام ورؤية المسلمين وهو في نفس الكامل. إذا أمة أمية لا تكتب ولا تحسب الشهر هكذا وهكذا، وإما يغني الحديث

2. صحيح البخاري 2/101-109 (كتاب الصوم، باب 134)، ورواية كذلك مسلم وأبو داود والنسائي، كما في الجامع الصغير السيوطي رقم 2301، ونظر: تفسير الطبري 2/269-270، تفسير روح المداني 89/32.
الشريف أن تكون الكتابة وأن يكون الحساب نظاماً عاماً متبناً في كل الشؤون، كما كان ذلك عند بعض الأمم الأخرى ذات التكوين الفلكي(1)

وهل هناك سبب آخر، وأعني به تلك الآفة الخبيثة التي ابتهلت بها أمة العرب في كل أمصارها ذات التاريخ المجيد - في مصر وسوريا والعراق، وفي بلاد العرب نفسها - تلك الآفة هي هديمة المباني القديمة، واستخدام أقفالها في مبان جديدة، بل ليبن الأمر أققرر على ذلك، وإنما تعدد إلى تحطيم كثير من الآثار، والعبث بعدد وافر من المقابر، بحلًا عن كثرة قد يخبئها هؤلاء العابثون هنا وهناك، أو سرقة لعدد من التحف الأثرية ثم يبيها لن يطلبها بدون بعض دراهم معدورة في أغلب الأحلاف، ولكنها في كل الحالات ثروة تاريخية لا تقدر بثمن، أي كان هذا المنام.

وهناك سبب ثالث، ذلك أن الجاهلتيين - خاصة في وسط بلاد العرب، في الحجاز وشعرها - لم يكونوا يدلون تاريخهم بل كانوا يذكرون أيامهم وأحداثهم، وما يفعلونه وليس من المنطلق أن نطلب الدائرة أن تتي كل التاريخ وكل الشعر، أرجالًا بعد أرجال، دون تدوين أو تسجيل، ومن ثم ف本当نا أن العصر الأموي (421-123 هـ = 622-700 م) ؛ بدأ القوم في التسجيل، كان التاريخ العربي القديم قد اختلط فيه التصنيف بالأسائر، وهذه بحقائق التاريخ، وبات من الصعب على الأشخاص أن يفرقوا بين رواية صادقة، وأخرى كذوبة، مما أدى آخر الأمر، إلى أن تخلى كتابهم - إلى حد كبير - من الصفة التاريخية، وتبعد - كما يقول ابن خلدون - عن الحساس والمنظور التاريخيين، الذين يعتمدان على النقد والتحليل والنظر والتحقيق(2).

(1) ناصر الدين الأسد: المرجع السابق ص 46، إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، القاهرة 1958 ص 183-188، عبد الصبور شاهين: تاريخ القرآن ص 35، ثم قارن: مدخل إلى القرآن الكريم ص 139-140.
(2) مقدمة ابن خلدون ص 29، عبد المنعم ماجد: مقدمة لدراسة التاريخ الإسلامي ص 32، هامليون جب: دراسات في حضارة الإسلام ص 144، جواود علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت 1968، 117/118.
وكان رابع الأسباب يكمن في اليهودية - والنصرانية من بعدها - ذلك أن أصحاب هتاف الدين اليهودي قد عملوا على نشرهما في بلاد العرب، ومن ثم فقد بذل يهود - بدءًا من بني هود - الجهاد، في نشر قصص التوراة - وبخصوص ما يتعلق منها بالملك سليمان - ثم جاء الإسلام، وأعرّف سليمان - عليه السلام - نبيًا من رب العالمين، ثم سرعان ما ربطت يهود بين هذا، وبين ما جاء في القرآن الكريم بشأن قصة سليمان مع ملكة سبأ، وأخذت تذبح كل ما في التوراة - وما في غير التوراة - من قصص عن سليمان وملكة، وتثير المؤرخون الإسلاميون بذلك، وظير ما عرف بالإمبراطوريات، حيث أخذوا ينسبون إلى سليمان - وهو هذا سليمان النبي، أكثر منه سليمان الملك - كل مدينة لا يعرفون صاحبها، بل إنهم يشعرون في ذلك إلى درجة أنهم كانوا - كما يقول بعض الإخباريين - ينسبون كل مستورف من البنيان إلى سليمان، وأنهم كانوا إذا رأوا بناء عجيبًا جعلوا بانيه، أضيفوه إلى سليمان، وربما إلى بني هود كذلك.

ومضي حين من الزمان، وظهرت المسيحية في بلاد العرب، ومن ثم فقد بدأت تنافس اليهودية في نشر نفوذها الدينية والثقافية في بلاد العرب، وتعاون أصحاب الدين اليهودي - بقصد أو بغير قصد - على طمس معلم التاريخ العربي القديم، وبدأ القوم يهتديون عن ثقافتهم القديمة - وفي جملتها خط المسند - مما أدى إلى نشر القوم عن ثقافتهم العربية - والجنبية بالذات.

ومرت الأيام، وجاء جيل من المؤرخين الإسلاميين، لا يكاد الواحد منهم يقرأ كلمة بخط المسند، أو يفقه جملة بالشريعة أو المنهجية، فضلًا عن السببي، والخاضم، وغيرها من الكتبات العربية، وليقي الأمر كذلك، حتى منتصف القرن الثامن عشر الميلادي، فانهت أنظار الباحثين العرب إلى ارتداد التوسع، في ميزة المصدر الحقيقي الذي يمكن الاعتماد عليه في التعرف على لغة العرب القديمة، من سبيتين ومعنيين، وواديين ولحيانين وموهدين وصغيرين وغيرهم.

(1) ياقوف 17/3، القارئ: المدرسي: الإخبار الطويل ص 260.
(2) جبريل علي 121/1-122.
أخيراً، فإن سيادة النظام القبلي في بقية شبه الجزيرة العربية، إما أدى بطبيعية الحال إلى عدم وجود تاريخ مكتوب، واقتصار القراءة على رواية الأخبار، يحتذرت عن قيامهم وعن علاقتهم بالقبائل الأخرى، وعن حوادثها وأيامها، فأفضل عن رواة الأنساب، لما للنسب من أهمية في المجتمع القبلي، تفرق أهميته في أي مجتمع آخر، وليس من شك في أن تاريخ النصر من هذا النوع لا يعيش إلا بقدر ما يعيش روايته، ثم هو في غالب الأحيان أقرب إلى القصص والأساطير، منه إلى التاريخ الحقيقي.

وهكذا يبدو لنا بوضوح أن الإسلام الخبيث، لم يكن هو السبب في إهمال التاريخ العربي القديم، فضلاً عن اضطهاده وغموضه، وإذا هنالك أسباب أخرى، لا صلة للإسلام بها من قريب أو بعيد، وإن كان للمؤرخين الإسلاميين دون شك، دور فيها، ولكنهم كانوا ينظرون إليه على أساس أنه عصر همجية وإفلاس حضاري، وتدهور أخلاقي، والحفاظ في مجال السياسة والدين، فئة هؤلاء المؤرخين تاريخ عصر ما قبل الإسلام في قسوة ظاهرة، وربما كان السبب في ذلك هو الرغبة في تمجيد الإسلام ورفع شأنه، ولكنهم أخطأوا الطريق، وأثروا للمعنى من المستشرقين القرة في الطعن في الإسلام، وإنما بما هو براء منه، ناسين أن هذا الدين العظيم، إنما جاء ليحكم البذاء واتجاهاتها الفردية، وليقضي على العصبية المذهوبة، وللحل محلها رابطة الدين والغيرة.

وناسين كذلك أن العرب قبل الإسلام كانت لهم حضارة، ربما لا تقل في بعض الواجه - عن حضارة معارمهم من الروم والفرس، وأن نزول الوحي على التي - صلى الله عليه وسلم - باللغة العربية، لما له من قدرة على التعبير عن الرسالة، ثم ظهر الإسلام في ميد العرب، دليل على ما أهل هذه الجزيرة العربية من قدرة على حمل الرسالة ومتابة نشرها في الأرجاء.

---

(1) عبد الرحمن البلب الباهلي: مهات من القبائل الباهلي في الجزيرة العربية، ص 91-92.
(2) عبد مراكش: المرجع السابق، ص 1.
(3) يحيى الحماد: من مقدمة كتاب الفئة العربية في عصور ما قبل الإسلام، ص 10.
وهنا لعل الذين يتكلمون الدم جزاؤاً للعرب وتراثهم فيما قبل الإسلام، ينذرون أن الإسلام في حقته ليس دعوة سماوية جاءت للعرب خاصة، وإنما للناس عامة، وأن اختيار العرب لتحمل هذه الدعوة العالمية للناس جمعياً لم يكن عبئاً، وإنما كان أن القوم الذين يحملون الدعوة العالمية لا بد وأن يتواخر فيهم صفات تناسب هذه المهمة الضخمة في الصبر والتحمل والمخاطر والشجاعة، واحترام العهود والنجدة والمرأة، وحب الحرية وتعشق الشرف والمؤذن والمثل، على التقل وتعدد الهجرات وعدم التبرم بحياة التثقيف ورفقة العيش والتعليم إلى النهوض إذا سرت سبيله، إلى غير ذلك من الؤوهات الخلقية العظيمة  

والعريني في هذه الناحية كان فارس الحلبة، لا يباري في هذه الصفات التي تتطلبها الحياة المستقبلة، وتحدثنا الأخبار أن الفرسين كانوا - حفاظاً على شرف نسبهم ورفعة حسبهم - يتجلبون ألوان الخسارة في طلبة الرزق فكانوا إذا استعفى على أحداث الارتقاق من طرق شريفة آخر الموت جوعاً على الحياة من طريق خسية، وفي هذا المبني بروي أبو الحسين أحمد بن فارس، أن أشدهما كان إذا جاعجرى هو وعياله إلى موضع معرفة، فضرب عليه وعلى عياله خباء حتى يموتوا، وما زال أشرهم على ذلك حتى كان عمرو بن عبد مناف سيد زمانه، وكان له ابن يقال له أسد، وكان لأسد هذا ترب من بني مخزوم يجه ويلعب معه، وذات يوم قال له: نحن نعاوض (1)، قال أبو الحسين فدخل أسد على أمه يكي، وذكر ما قاله ترهب من بني مخزوم، فأرسلت أم أسد إلى أولئك بشح ودفعت عاشوا به إيايا.

ثم إن ترب أسد أتاه مرة أخرى، فقال له مثل ما كان قد قال، وفعل أسد كما فعل، فأصبت ذلك على عمرو بن عبد مناف، فقام خطياً في قريش - وكان

(1) علية صغر: الدين العامي ومنهج الدعوة إليه، القاهرة 1970 (مجمع البحوث الإسلامية) ص 135

(2) الإيضاح: هو أن يفعل الرجل يابه على نفسه، فلا يسأل أحداً حتى يموت جوعاً، وليس يعرف الناس صورة تسامي هذه الصورة أو تفانيها في استخراج الحياة إيناناً للفقبول عن الدنيا من أجل الحرص على الحياة.
فيهم سيدهم مطيعاً - فقال: إنكم أحدثتم حديثاً تقلون فيه وتكرر العبء، وأنتم أهل حرم الله جليل وعز، وأنتم أشرف ولد أدم، والناس لكم تبع، ويكاد هذا الإعتضاد أن يأتي عليكم، فقالوا له: نحن لك تبع، فقال: إبتذروا بهذا الرجل فأغوته عن الاعتضاد - يعني أبا ترب أسد - ف التعليم، ثم إنه نحر البلد وذبح الكبابش والمرز، ثم دوم البريد وأطم النانس، ومن أجل ذلك، فصلى هاشماً(1) وهو جد النبي - صلى الله عليه وسلم - وفيه يقول الشعراء:

عمرو علاء هند ابشر لقى القوم بحكمة متسنين عجاف

ومن ناحية أخرى، فقد أثبت التاريخ ما كان عليه أعظم الدول - قبل بعثة الصالحي - صلى الله عليه وسلم - من أخلاق صبحه الترف بصفته الرخوة الناعمة، وأنس أهلها إلى الذل والهدوءة، بعبارة ملوثة وتقدير عظائمها، وتسلط عليهم الأفكار والويل التي خلفها منبئهم وفلاستهم.

والمثير من شعراً الجاهلية وأخبار الأولين يفسر بعضات البنين التي كان يفتح بها الحري ويحرص عليها، لأنه يراها عوانان الشف وكمال، كما كان العرب ينادى بعضات القل وتوقق القبرة وقوة الحجة والفصاحة والبيان والاستدلال، وهي أمور لا بد منها لمن يقومون بنشر الدين العالي الذي يتطلب شرحاً وتفصيلاً جديلاً ونقلاً.

وعلى هذا الرجاء يمكن أن نفهم قول النبي صلى الله عليه وسلم: فإن الله اختار خلقه، فاختار منهم أدم، ثم اختار في أدم، فاختار من العرب، ثم اختار في العرب، فلم أزل خياراً في خيار، ألا من أحب العرب فيحبوه، ومن أحب العرب فيغضب أبيضهم(2).

---

(1) انتظار، فليس سائر هذه التسمية في هذه الدراسة.
(3) رواه الطياري عن ابن عمر، وروى البرماني ماماً، وقال حديث حسن، كما وردت آحادث مشابهة أو مقارنة في فضل العرب الذين اختار الله منهم نبيه، فتتبعه البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وفيه ليس في خير قرون بي أدم فقوراً قريباً، حتى كنت من القرن الذي كنت منه.
ثم أليس في بلاد العرب هذه وبيت الله العتيق أول بيت وضع للناس، بناء جد العرب إبراهيم الحلّيل، والذي نظيره الكبيرة الجديدة، على أنه الأب الروحي لكل المؤمنين (1)، ومن ثم فإن أمّ الأرض جميعاً إما تبارك عليه (2)، ويعتبر الإنجيل المسيحي من سالاته (3)، وينظر إلى القرآن الكريم، على أنه أبّ الأنبياء، فقد أخرج الله من صلب أنبياء بشرة، حملوا الرأية وتوارثوا المشعل (4)، ومن ثم فهو الأسوة الخالصة للمؤمنين جميعاً (5)، لقد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه (6)، ومن هنا فإن الأديان السماوية الكبرى – اليهودية والقرحية والقلبي – إما تحيط الخليل بالله من الإحرام والإجلال، وتشير جميعاً بال trebuie إلى إله. 

هذا إلى أن الجزيرة العربية قد عرفت في تاريخها الطويل أنواعاً من الرسائل، ولم تكن رسالة الإسلام وحدها هي التي بدأت فيها، فكان هود في الأحفاظ، وكان صالح في مود، وكان شعيب في مدين، كان موسى الذي نادى ربه يجاب، الطور الأيمن، على حدود الجزيرة العربية، ومن قبل كان إبراهيم الذي بنى البيت، وإعابيل الذي زعم وورثه أولاده من بعد (7)، فهذه الجزيرة بامتتانها إما كانت مهبط الريح من القدم، وله عهد بالرسالتين وقد تتابعت فيها على مر العصور (8).

ثم أليس في اختيار العرب لحمل الرسالة العالمية معنى كريماً، يستحسن منا دراسة تاريخ هؤلاء القوام الذين أعمرهم ربهم – دون غيرهم – بدعوتي فإن إبراهيم الحلّيل توجه بهما إلى ربه، إحداهما (9)، وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً.

(1) آية 32 قبل الحرم، آية 78.
(2) آية 26 قبل 18:18.
(3) آية 3 نص 33-24.
(4) آية 48-48.
(5) سورة الأنام، آية 78-78.
(6) سورة البقرة، آية 78-78.
(7) سورة البقرة، آية 78-78.
(8) تفسير روح الله الأصلي 28-73، تفسير الفاتي، جمع البيان 28-73، تفسير الفاتي، ص 28-73، تفسير ابن كير.
(9) أنظر من هذه الرسائل، كتابنا دراسات في التاريخ العربي، إبراهيم الأول، في بلاد العرب.
وأرزر أهله من الشرمات (1)، والثانية هم ربيا وابعث فيهم رسولين منهم ينزلون عليهم آياتنا وعلهم الكتاب والحكمة ورضيهم إن أنى أنت العزيز الحكيم (2).

وقد استجاب الله بإبراهيم فجعل البيت مثابة للناس وأمناً، ثم اتبعت في دربه محمد صلى الله عليه وسلم، وكانت قريش هي القبيلة التي ولد فيها محمد صلى الله عليه وسلم، وابعث منه محمد - عليه الصلاة والسلام - وكان اختيار هذا النبي صلى الله عليه وسلم في ائتمانه رسله وأبنائه، من أكرم البيت وأشرف الظهور، وأظهر البطول، وأعيدها عن الدنياب، وأقبلها بحكمان الأخلاء (3) على ما يقول الله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ لَا يُشَارِبُ الْأَمْثَالَ وَلَا إِيَّاَلِ إِبْرَاهِيمَ وَلَا عُمُرَانَ لَعَلَّيُمَا كَانَا عَلَمَ أَطْرُحَتَهُمَا بَيْنَ هَذَيْنَ" (4).

وقد يبني رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا المبنى يقلله الشرف «إِن اللَّهُ أَصْطَنِفَ مَنْ وَلَدَ إِسْمَايْلَ وَلَا صَفَرَلَيْنِ» (5).

بي حامد، واصطفائي من بني هاشم، فأنه خيار من خيار (6).

(1) سورة LPCM : آية 136 ولأ رفسن السريفي ص 56-57. 23-30، تفسير ابن كثير. 24-27، تفسير النادر، 28-31، تفسير الشافعي، 29-32، تفسير العمر.

(2) سورة LPCM : آية 129، ولأ رفسن السريفي. 17-19، تفسير بن كثير، 18-20، تفسير النادر.

(3) 281-282، تفسير القتشاري، 283-284، تفسير النادر، 285-286، تفسير ابن كثير.

(4) 287-288، تفسير القتشاري، 289-290، تفسير النادر.

(5) 291-292، تفسير القتشاري، 293-294، تفسير النادر.

(6) 295-296، تفسير القتشاري، 297-298، تفسير النادر.
ولا أظن - بعد هذا كله - أن هناك من يكابر في ضرورة الإهتمام بدراسة تاريخ هؤلاء القوم الذين تضاردت عوامل شاكل على إهمال تاريخهم، فضلاً عن التقليل من شأنه، حتى أن معلوماتنا عن تاريخ العرب قبل الإسلام، ظلت - حتى حوالي قرن مضى - تعتمد فقط على ما جاء في التوراة، وعلى ما كتبه القديمي من مؤرخين الإغريق والرومان ومجاريفهم، وكان هذا كله لا يشيء غيل العلماء، حتى لو أضفنا إليه ما كتبه العرب عن تاريخهم قبل الإسلام، أو ما نستطيع أن نحصل عليه من معلومات إذا درسنا الشعر الجاهلي.

غير أن من حسن الحظ أن بدأت الصورة تتغير، عندما أخذت القوى العثمانية طريقها إلى أيدي العلماء، وقد أصبح عدها الآن أكثر من خمسة آلاف نقد فيهما الكثير من المعلومات عن ممالك جنوب اليمن، كما وصل إلى أدي العلماء كذلك عشرات الآلاف من المخطوطات، القصيرة على واجبات الصخر في شمال بلاد العرب بين تمبودة ولؤانية وسبيبة وغيرها (1)، فضلاً عن تلك التي وجدت خارج شبه جزيرة العرب، وبخاصة التقوس الصفراري التي وجدت فوق جبال الصفا جنوب شرق دمشق، وهي قريحة جداً - من حيث الخط واللغة وأسماء الألـمة - من المخطوطات السوموية (2).

وهكذا أصبح لدينا ما يساعد الآن في الحصول على صورة واضحة إلى حد ما، بما كان جارياً في تلك البلاد، منذ القرن السابع قبل الميلاد، وحتى ظهور الإسلام - أي مدى ألف وخمسمائة سنة - سواء أكان ذلك من الناحية السياسية أو الدينية أو الاقتصادية (3).

وليس هذا يعني - بالحالف من الأحوال - أن الآثار قدبت لنا كل ما عندنا، فهما لا شك فيه أننا ما زلنا في هذا الصدد بالذات في مرحلة البداية، ومن ثم فإن تلك فترات في تاريخ العرب القديم، ما يزال الفارق فيها على أشياء، سواء أكان ذلك على

(1) أحمد فخري: دراسات في تاريخ الشرق القديم، القاهرة 1363 ص 125.
(2) د. هبة نتيل: التاريخ العربي القديم، ترجمة تزود حسن، القاهرة ص 42.
(3) أحمد فخري: المرجع السابق ص 126.

- 17 -
ترتيب الملوك طبقاً للتسلسل التاريخي، أو في تحديد فترات حكمهم، بينما هناك فترات أخرى ما زالت مظلمة تماماً، وليس هناك من حل إلا مزيداً من الحفائر - ثم مزيداً من الحفائر - حتى تخرج لنا الأرض الطيبة تاريخاً، لا أظن أنه يقل كثيراً عن تاريخ العملاقي الكبيرين - مصر والعراق - في تلك العصور من تاريخ الشرق الأدنى القديم.

ومن أسف، أن تاريخ العرب القديم لم يلق - حتى في العصر الحديث - الاهتمام كله، فرغم أن في العالم العربي عددًا كبيراً من الجامعات، تُسمى أقسام التاريخ فيها، بدراسة التاريخ القديم بكل قوة، ومع ذلك، فالقليل منها، هو الذي ينتمي بدراسة التاريخ العربي القديم، ومن ثم فهي في ذلك تتقدم إلى أقسام ثلاث، قسم منها لا يتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة، هو الذي يدرس التاريخ العرب القديم، كاية مستقلة قائمة بذاتها، وقسم ثان لا يدرس إلا كخدمة لدراسة التاريخ الإسلامي، وأما القسم الثالث، فلا نقد نقص أن هذا التاريخ المجيد ذكر بين برامج الدراسة فيه، ومن عجب أن هذا يحدث في الوقت الذي تهم فيه الجامعات الأوروبية بدراسة هذا التاريخ، وكان أمر دراسة تاريخنا بهم الأوروبيين، أكثر مما يهمنا عن أسلاف أصحاب هذا التاريخ، بل وكان دراسة تاريخ إسرائيل وأثينا القديم أهم عندنا من دراسة تاريخ اليمن ويمن والحجاز القديم.

ودراسة التاريخ العربي القديم - فيما أرى - ضرورة قومية ودينية، ضرورة قومية لأن هذا تاريخنا، بل إن لي لا أظن أن أي أثاث كبير، إن قلت إنه - في بعض الأحيان - لواحد من الأسس الرئيسية لدراسة تاريخ الشرق الأدنى القديم، فالحقائق العلمية تقول إن بلاد العرب، إنها هي الوطن الأصلي للسوريين، وأنهم خرجوا منها في فترات مختلفة، فيما بين الالف الرابعة والثانية قبل الميلاد، إلى مصر وسوريا والعراق، وهي كذلك موطن العربية - اللغة السامية الأم (1) -

---

(1) أثر مقاولات الساميين والآراميين على موطنهم الأصلي - مجلة كلية اللغة العربية، المدد والزمان، الرياض 1974 ص 245-261.
ثم هي لا تختلف عن غيرها من بلاد المنطقة العريقة في الحضارة، قامت بها دول، ونشأت فيها حضارات، وأسهمت بصنعها فيما قدمه هذا الشرق الحاصل للإنسانية من أباد بضاء، ومن ثم فقد تأثرت بلاد العرب بحضارة تلك المنطقة، وأثرت فيها، وارتبطت بها علاقات، سادت الأد حياً، والنور أحياناً أخرى، ومن ثم فتارخها جزء من تاريخ هذا الشرق الأدنى، تعرضت للضغط الخارجي، يوم تعرض هذا الشرق هذا الضغط أو ذلك، وتعتبر بخيرات، يوم أن كان أمر هذا الشرق في أيدي أبنائه، ولئن ما لاقي هذا الشرق، يوم أن كانت قوى أجنبية تتحكم في مسابرها، وتهي خبراته، ومن ثم فليس عجبنا أن كان التاريخ العربي القديم متأثراً بتاريخ الشرق الأدنى القديم، ومؤثراً فيه.

وضرورة دينية، لأننا نعرف - تاريخياً ودينياً - أن الله سبحانه وتعالى قد اصطلح من بلاد العرب، بعض أبنائه ورسله، ولأن مكانة الإسلام النريدة في التاريخ الإنساني، لا يمكن معرفتها بصورة صغيرة، إلا إذا درس تاريخ ما قبل الإسلام، حتى نستطيع التعرف بصورة واضحة على أثرنا، لا في بلاد العرب فحسب، بل في تاريخ الإنسانية جمعاء، وكما يقولون، فإن الأشياء إما تعرف بأضدادها.

ولعل الذين يتذكرون بالغيرة على الإسلام، من دراسة التاريخ العربي القديم، يذكرون أنهم ليسوا أشد غيرة على ديننا الحنيف من الفاروق - رضي الله عنه وأرضوا - حيث يقول: "إنا نتقصد على الإسلام عروة عروة إذ نشا في الإسلام من لا يعرف الجاهلية".

وإنه لمن الأهمية بمكان الإشارة هنا إلى ه - الجاهلية، و - العصر الجاهلي، وغير ذلك من كلمات تردت كثيراً بين صفحات هذه الدراسة.

---

(1) محمد شهيد رضا: تفسير المنار 4/1.
(2) الدليل من دونه في الجغرافيا والجغرافيا، مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية، السنة السادسة، الرياض 1976، ص 437-472. 
يقول السيوطي إن فظ الجاهلية إسم حدث في الإسلام للزمن الذي كان قبل
البعثة النبوية الشريفة، والقرآن الكريم لم يستعمل كلمة الجاهلية، هذه، إلا في
العصر المدني، ومن ثم فإنك تجدوا في السور المدنية - وليس اللومية - كما في سورة
آل عمران والمائدة والأحزاب والفتح، وإن استعمل كلمة الجاهليين، في العصر
المكي والمدني، كما في سورة البقرة والأعراف والقرآن (1).

وقد ذهب البعض إلى أن المصوص من كلمة الجاهلية، إما هو الجهل والجهالة،
تقييمي العلم والمعرفة، أو الجهل بالقراءة والكتابة، ومن ثم فقد ترجمت الكلمة في
لغة الإنجليزية Zeit der Unwissenheit، وفي الألمانية The Time of Ignorance،
بينما ذهب فريق ثان إلى أنها إما تعني الجهل بالله وبرسوله وشرائع الدين، وباتبع
الوث والإقدام لغير الله (1).

على أن فريقاً ثانياً ذهب إلى أن الكلمة إما تعني السفه، الذي هو ضد الحلم،
وفي الحديث الشريف، إذا كان أحدكم صائماً فلا يرث ولا يهدي (2)، ومن
هذا قول علماء بن كثوم.

(1) أنظر: سورة البقرة، آية 192-194، سورة آل عمران، آية 62، سورة المائدة، آية 9، سورة الأعراف، آية 9،,
للفقرات: آية 6، الأحزاب: آية 33، التوحيد: آية 108، تفسير الطبري، ص 940، 13، 322-333، 36-15، 13، 26-12،
في طرح عام: (1500-1498)، تفسير روح الله، 92، تفسير البغدادي، 213، 92، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ماهر في علم
لغة القرآن، القاهرة: 1942.

(2) إبراهيم أليس: دلالة الألفاظ ص 183-185، عبد السوداني: تاريخ القرآن ص 53،
نهائي الآية: 151، جدول على 38، تفسير الطبري، 72، 122-122، 122-122، 122-122، 122-122، 122-122، 122-122،
في الخلاف: المرجع السابق ص 141، محمد عبده دواب: مدخل إلى القرآن الكريم، ص 139-141.

وكذا...

(3) وانظر قول الله ﷺ في البقرة،صف 111، وقيل من عبد اجمل إسم الله ﷺ بعدن الحسن، جلاب بالأنساب
والاستمرار بالكلاب واللامة. (أنظر: تفسير الطبري، 92، مجموعة الحديث، الرياض
1969، ص 267-267، ثم قانون رواية أخرى للحديث الشريف في: مجموعة قضاة ابن تيمية، 111.
111.)
ألا إذن أحد علينا فنحن فوق جهل الجاهلية

ومن ثم فإن الكلمة إذا تعمَّت الحفنة والآئنة والخمعية والمهاجرة، وهي أمر واضح ما كانت في حياة العرب، قبل أن تنهب نفوسهم بما دعا إلى الإسلام من مبادئ خلقية عامة، ومثل عناوين وفصول، ومن ثم فقد سمي العصر بالجاهلية، ويقابل هذه المانى هدوء النفس والتواضع، والاعتداد بالعمل الصالح، لا بالنسب، وهي كلاهما نزعة سلام.

ومن هنا رأينا الإمام الطبري يفسر قوله تعالى وعهد الرحمن الذين يمشون على الأرض هؤلاء، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً (3) بأن عهد الله هم الذين يمشون على الأرض بالحلم، لا يجهلون على من جهل عليهم (4)، ومن ثم فقد جاء في الحديث الإفك (5)، ولكن اجتهادهم الحميدة، أي حملته الأئمة والغضب على الجاهل، وفي الحديث الشريف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

(1) نهاية الأرب/16/1
(2) أحمد أمين: فجر الإسلام ص 69-70، وكذا
(4) وكذا
(7) أَفْنِظُ أَنْ حَدِيثَ الْإِفكَ: سُورَةُ الْمُدُرَّ، أَفْنِظُ: تَفْسِيرُ دُرْحَ الْمُدُرَّ، 191-190، تفسير الطبري 198-197-196-195-194-193 و 192-191-190-
لأبي ذر - وقد عيّر رجلاً بأمه - إنك إمرؤ فيك جاهلة، أي فيك روح الجاهلية (1).

بقيت كلمة أخرى تصل بالفترة الزمنية التي تعلّجها هذه الدراسة (2)، ذلك أننا نحن الباحثين في تأريخ مصر والشرق الأدنى القديم، قد اعتننا أن نتوقف في دراستنا عند بداية عصر الإسكندر المقدوني (333-323 ق.م.) بسبب التغيرات الحضارية والسياسية التي حدثت في الشرق الأدنى القديم منذ ذلك الفترة، غير أن الأمر جد مختلف هنا في بلاد العرب، فالإسكندر المقدوني - وكذا خلافائه من الأغارقة، فضلاً عن الرومان من بعدهم - لم يكتب لهم نجاحًا بعيد المدى أو قصيره في السيطرة على جزيرة العرب، ومن ثم فقد بقي هذا الجزء المميز من العالم العربي القديم، بعيدًا عن قبضة اليونان والرومان، رغم المحاولات المتكررة التي بذلها هؤلاء وأولئك للاستمواد الجزيرة العربية تحت لوائه مقدوني أو روما أو بيزنطية، كأن الحضارة اليونانية والرومانية من بعدها - وإن كتب لها بعض النجاح في أطراف الجزيرة العربية، فقد فشلت تمامًا في أن تنتشر بين روعها، هذا فضلاً عن أن العرب القدامي إذا قد احتفظوا بلغتهم العربية - اللغة السامية الأم - بعيدًا عن سيطرة اللغات الهندو-أوروبية، حتى جاء الإسلام الحنيف، فكانت لغة القرآن، ورسول الحضارة الإسلامية إلى البشرية جمعاء.

من ثم فالرأي عند أن التاريخ العربي القديم، إنما يبدأ منذ عصور ما قبل التاريخ، ويتبدى في بداية القرن السابع الميلادي حيث يبدأ التاريخ الإسلامي، يوم أخذت مكة إلى الدنيا كلهًا أشر الأُلخُ جمعًا، مولانا وسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(2) تشمل هذه الدراسة جزء السادس من سلسلة دراسات يصدرها المؤلف في التاريخ القديم تحت عنوان دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم 2.
عليه وسلم، وما أن يمضي حين من اليوم، حتى يسيغ الله فضله على الدنيا بأسرها،
فيّزل الوفي بالفقراء الكرم.

وهناك، وفي مكة الكرمة، وفي بيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم-
تبدأ الدعوة إلى الإسلام، دين التوحيد المطلق، ومن هنا - من هذه الأرض
الطيبة، من الحجاز الشريف - تنشر راية الإسلام إلى جميع أنحاء العمورة،
تتدحر إلى التوحيد والحب والعدل والإخوة والمساواة، وكل ما هو جميل ونobil.

وقبل ذلك - وفي حياة الرسول الأعظم، صلوات الله وسلامه عليه - تقوم
في الجزيرة العربية - ولأول مرة في تاريخ هذه الدنيا - بفضل الله، وببداية رسول
الله، تقوم قوة عظيمة، قوة لم يبلغ لأحد مثلها من قبل في تلك الجزيرة، التي كان
أمرها مفرقاً بين قوى متارحزة، وعشرات بعضها البعض عد، فإذا هي الآن - بهدى
الإسلام وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم - دولة موحدة، لها زعيم واحد،
وقائد سياسي واحد، وقائد عسكري واحد، لا يناظره سلطانه أحد، لأن سلطانه
فوق مستوى البشر، فهو لسان السماة، وهو نبي الله، وكل في دولته أمرها يطاعه،
كما يطبع الله، يفتحه بحبيته، بل وتهون عليه حياته في سبيل ما يأمر به، تطلعاً
إلى الابن التي وعد الله الملائكة من عباده، وأعدها للشهداء من المجاهدين، وهكذا
أصبحت الجزيرة العربية دولة واحدة، تنين بدين واحد، وتعبد ربا واحدًا،
لا شريك له، له الملك، له الحمد، وهو على كل شيء قادر.

وهنا، يتبع التاريخ العربي القديم، وببدأ التاريخ العربي الإسلامي، لا، بل هنا
يبدأ التاريخ الإسلامي، فما كان الإسلام أبداً، للعرب خاصة، وإنما كان - سوف
يظل أبداً - للناس كافة، وهو ما كان محمد أبا أحد من رجالكم، ولكن رسول الله
وخامين النبيين، أرسله ربه رحمة للعالمين، وختاماً لرسالات الأنبياء أجمعين،
وهدى الناس - كل الناس - إلى سواء السبيل.

وإلى هذا يشير القرآن الكريم في قوله تعالى من سورة الأعراف:
"قل يابيها الناس، إنى رسول الله أبكم جميعاً،" وفي قوله تعالى من

- 72 -
سورة سبأ: وَبَيْنَ أَرْسَالِنَا إِلَى النَّاسِ وَذَٰلِكَ نُذِيرًا ۛ وَقُولِهَا...}

تعالى من سورة النبياء: وَأَرْسَالُنَا إِلَى النَّاسِ رُسُولًا: وَكَيْنَ بِالله شهيداً،

وفي قوله تعالى في سورة الحج: ذَٰلِكَ لَا يَبْلُغ النَّاسِ إِنَّا أَنَا لَكُمْ نُذِيرُ مُبِينٌ...}

إلى غير ذلك من الآيات الكريمة التي تدل على عائلة الدعوة الإسلامية.

وعلَّى أن القرآن انا ننزل على مَيْسِدَنَا مَحِييث١ صلى الله عليه وَآله وسلم،

لَبْتِهِا على النَّاسِ كَانَة٢، كَيْبُ في سورة إِبْرَاهِيم١ والنَّبِيْان وَصٍّ وَغَيْرُهَا.

وَذِبَ تِن مِيْسِدَنَا رَسُولُ اللَّهّ، صلى الله عليه وَآله وسلم، هـ ٣ حذف *

معنى الشريعة، فيما يروى البخاري وِسَدِلَ في صحيحه في قوله،

صلى الله عليه وسلم: "أَعْطِيْتُ خَمْسَةَ لَمْ يَغْطِيْنَ أَحَدٌ مِنْ اِبْتِدَاعَهَا بِكَبَاء١ نَمَرَتْ بِالرُّبَاءَ بِبَيْنَ يَدَيْهَا، وَحَجَّةَ لَهَا الأَرْضِ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَنِيَامُهَا رَجَلٌ مِنْ أَمَيَّى اِذْرُكَهُ الْصَّلَاةَ فَلِيَصلُ، وَحَلَّتْ لِيَنَامَ وَلَمْ تَحْلَفْ نَأْبِيل١، وَأَعْطِيْتُ الشِّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يَبْعِثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصًا وَبَعْثَتْ إِلَى النَّاسِ عَلَيْهَا، رَوَى الْإِبَام مَسْنُودٌ فِي صِحِيحِهِ اِنَّهُ صَلِي الله عليه وَآله وسلم قال: "وَالَّيْنَفْسُ مَسْلِمُ بَيْنِي إِبِيعُ بَيْنِي إِنَّهَا مَسْجِدٌ وَطَهُورٌ وَلا مَصْرَانِي فَبُلْتَ وَلَمْ يَوْمَنَ أَنْذِرَ إِنْذِرُهَا اِنْذِرُهَا، وَلَا كَانَ مِنْ اَسْمَاحٍ النَّارٍ".

وَبَعْدَ ؛ فَهْيَةً دِرَاسَةً فِي تَارِيْخِ النَّاسِ الدَّيْنِ، وَإِنَّ لَكَ تَجْرِيَ اللَّهُ فِي اَلْهَمّ،

تَمْعَلَ بِيْنَهَا بَعْضَ النَّفَعِ، وَمَا تَنَوَّفُ النَّفَعِ إِنَّ اللَّهُ عَلَى نَكَلَتِهِ وَتَكَلَّبَ.

دُكْتُر: مُحَمَّد بَيْوِي مِهْرَان

استاذ تاريخ مصر والشرق الأدنى

رئيس قسم التاريخ الآثار

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

- ٢٨ -
الفصل الأول
مصادر التاريخ العربي القديم
أولاً: المصادر الأثرية

منذ قرن واحد من الزمان، كانت معلوماتنا عن تاريخ بلاد العرب قبل الإسلام تعتمد فقط على ما جاء في التوراة، وعلى ما كتبه النحاتين، ومعذره والرومان، وكان هذا كله شيئاً قليلاً لا يشفى غليل العلماء، حتى لو أضيفنا إليه بعض ما كتبه العرب عن تاريخهم قبل الإسلام، أو ما تستطيع أن تحصل عليه من معلومات إذا درستا الشعر الجاهلي، إلا أن الأمر سرعان ما بدأ يتغير عندما أخذت القوش اليمنية طريقها إلى أدي公社 العلماء، وقد أصبح عددها الآن أكثر من خمسة ألاف نفر، فيها الكثير من المعلومات عن ممالك شبه الجزيرة العربية، كما وصل إلى أيدي العلماء كذلك عشرات الآلاف من المخطوطات القصيرة على واجهات الصحور في شمال بلاد العرب، بين مملكة بيلانية وسبتة وغيرها(1)، فضلاً عن تلك التي وجدت خارج شبه الجزيرة العربية كالقوش الصفوية التي وجدت فوق جبال السفنا جنوب شرق دمشق، وهي قرية جداً من حيث الخط واللغة وأسماء الآلهة - من النقوش الشمبادية(2).

(1) أحمد فخري: دراسات في تاريخ الشرق القديم ص ١٣٥.
(2) د. لطب نظم: التاريخ العربي القديم ص ٤١٥.
أضاف إلى ذلك، تلك التقوش والكتابات غير العبرية التي تطورت إلى ذكر العرب، كما في بعض التقوش الآشورية والبابلية، والتي قدمت لنا معلومات قيمة عن بلاد العرب الشمالية، وعن علاقتها بالأمبراطوريتين الآشورية والبابلية، كما عرفنا من هذه التقوش - مثلاً - أن المرأة العربية قد وصلت منذ القرن الثامن قبل الميلاد إلى منصب رئيس الدولة، كالملكة، زببة، والملكة، وتماركة، وتعليمها، وغيرهن.(1)

والأمر كذلك بالنسبة إلى التقوش المعينية أو السبيرة في مصر أو في الحبشة، فأضلاً عن التقوش البطية التي اكتشفت في بعض جزر اليونان، والتي تدل على المدى البعيد الذي بلغه أصحابها في النشاط التجاري والبحري، ومن هذا النوع ذلك النسخ الذي اكتشف عام 1936 م في جزيرة كروس، ببحر إيجيه، فضلاً عن تقدم البطين وجد بالقرب من نابولي، إلى جانب تقص تث ذات وجد في روما.(2)

وهكذا أصبح لدينا الآن ما يساعدنا في تقديم صورة واضحة إلى حد ما، بما كان جاريًا في تلك البلاد منذ القرن التاسع قبل الميلاد، وحتى ظهور الإسلام، أي مدى ألف ومائتان سنة، سواء أكان ذلك من الناحية السياسية أو الدينية أو الاقتصادية.(3)

Nabia Abbot, Pre-Islamic Arab Queens, AJSL, 58, 1941.

(1) أنظر:
(2) أنظر: مطالعة العرب وعلاقتهم الدولة في المصادر القديمة، مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد السادس، الرياض 1976 ص 231-245، وكذا:
(3) أحمد فgünر: دراسات في تاريخ الشرق القديم، القاهرة 1966 ص 125-126.
وهكذا تظهر لنا أهمية الآثار في دراسة التاريخ والحضارة، بل لعلها من أهم
إن لم تكن أهم - ما يجب أن نعتمد عليه البخور في دراسته، فهي الشاهد الناطق
 الوحيد الباقى لنا من تلك الأيام الخوالي، ومن هنا كانت أهميتها في تقديم صورة
 للحياة العامة في كل مناحيها المختلفة، فمثلاً عن طريق الكتابات المدنية الشماليَّة
 التي وجدت في العلا، استطعنا أن نعرف منها أن المدنين الشماليين كانوا يستخدمون
 الكتابة واللغة المدنية التي عرفها المدنين الجنوبون، واستخدموها في وظيفتهم
 الأصليَّة.

هذا وقد عرفنا عن طريق الوثائق المدنية أن الصفوين هم وحدهم الذين
عرف عليهم شيئاً قبل أن يمتزجوا في الشعوب السامية الشماليَّة، إذ ظلوا محظونين
 بخط السامي الجنوبي واللغة السامية الجنوبيَّة والعقائد السامية الجنوبيَّة، بل
 استطعنا أن نعرف عن طريق الجبارين الميزيَّة، والأخوان الساسانية، التي وجدت
 طريقها إلى بلاد العرب الجموحية، أن نستنتج أن التبادل بين بلاد العرب الجنوبيَّة
 وبين البلاد الأخرى لم يكن مقصوراً على التجارة فحسب، بل تعداها إلى الفنون
 كذلك، وقد تركت هذه الفنون الأجنبية أثرها في الفن العربي الجنوبي.

على أنه يجب أن نلاحظ أن في هذه المصادر الأثرية تقاطع ضعيف كثير،
 منها (أولاً) أنها في معظمها تتشابه في مضمونها وفي إنشائها، لأنها تتعلق بأمور
 شخصية، كالنشأة، أو بناء معبد أو إقامة سور، ومن ثم فقد كانت أهميتها
 لغوية أكثر منها تأريخية، ولكنها في الوقت نفسه، قد أمدتنا بأسماء عدد من
 المربك، ولولا ما عرفنا منهم شيئاً، كما قدتم لنا بعض المعلومات عن العلاقة بين
 القبائل بعضها بالبعض الآخر، ومن هذا النوع نقص (1450 Công) والذي يحدث
 عن حرب دارت رحاها بين قبائل حاشد وحمر في مدينة (ناطح).

1. ديفيد نفس. المراجع السابق ص 24.
3. أنظر: أديس جيروم: التاريخ العربي الغربي، الفصل 117.
4. عودة ثلا: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الأول، ص 44-45. وكذا
منها (ثانياً) أن معظمها قد وجد في المعابد والقصور، ومن ثم فهي ذات صبغة دينية، ومنها (ثانياً) أن النصوص الليبية عبارة عن معبرات صغيرة، وبعضها - كما في النصوص العربية الشمالية - ليست نقوشا كاملا، وإنما هي أجزاء من نقوش، ذلك لأن معظم الأحجار التي دونت عليها النقوش إذا وجدت في غير أماكنها الأصلية، وقد استخدموا القلم أخيرا كرواد للبناء، ومن ثم فقد وجدت في جدران المنازل وأسوار الحدائق في مدينة العلا، وانطلاقاً من هذا، فإن القائدة منها جد قليلة، كما أن قلة من العلماء هي التي كانت قادرة على ترجمتها، ومع ذلك فقد أفادنا في معرفة اسماء بعض الآلهة.

ومنها (رابعاً) أن الكتابات المؤرخة منها قليلة، ومن ثم فلم نجدنا إلى تقرير ثابت يمكن القول أن العرب القدماء إنما كانوا يستعملونها، وطبعاً هذا أبلغ الباحثون إلى أن العرب إنما كانوا - كغيرهم من الشعوب القديمة - يرخون الأحداث طبقا لسني حكم الملوكي، بل إن القوام قد تجاوزوا ذلك إلى التاريخ بأيام الرؤساء وشيوخ القبائل وأرباب الأسر، بل إن البعض منهم قد أهمل التاريخ تماما، وإن كان الحميريون قد اتخذوا من قيام دولتهم في عام 115 قبل الميلاد (وربما في عام 118ق م أو عام 199ق م)، تقريباً ثانياً يرخون به الأحداث.

هذا وقد أشار السعدي إلى أن العرب قبل الإسلام إنما كانوا يرخون بتواريخ كبيرة، فأما حمير، وكهيلان، أبناء سبأ، فقد كانوا يرخون بملوكهم، أو بما يقع في لهم من أحداث جسيمة، فيما يظنون، كحار صوان التي كانت تظهر في بعض الحروب بأقصى اليمن، وكالحروب التي كانت تتشاب بـ

1. ديف ب. فليبي، The Background of Islam، P. 97.
2. إ. غلشر، Skizze der Geschichte und Geographie Arabiens، Berlin، وكنا 1890، I، P. 3.
3. Le Museon، 1964، 3-4، P. 407-427، 429-430

وكان.
القبائل والأمم، فضلاً عن التاريخ بأيامهم المشهورة، وكذا بوفاة إبراهيم
واسماعيل عليه السلام، كما كانت قريش تؤثر عند بعث المصطفى - صلوات الله وسلم عليه - بوفاة هشام بن المغيرة وبعام الفيل (1)، وذبح الطبري إلى أن العرب لم تكن تؤثر بشيء محدد قبل الإسلام، غير أن قريباً إذا كانت تؤثر بعام الفيل، بينما كان سائر العرب يؤخرون بأيامهم المشهورة، كيوم جلالة
والكلاب الأول والثاني (2).

ثانياً: المصادر غير العربية

أولاً: الكتب اليهودية:

(1) التوراة: أو التورة، كلمة عبرية تعني الهداية والإرشاد، ويقصد بها الأسفار الحكمة الأولى (التكوين والخروج واللاواءن والعدد والثنية)، والتي تنبث إلى موسى - عليه السلام - وهي جزء من العهد القديم، والذي يطلق عليه تجاوزاً لاسم التوراة، من باب إطلاق جزء على الكل، أو لاحمية التوراة ونسبة إلى موسى، والوراة، أو العهد القديم، كمياً له عن العهد الجديد كتاب المسيحين المقدس، وهو كتاب اليهود الذي يتم إلى جانب تاريخهم، عقائدهم وشرائعهم، ويقسمه أحيان اليهود إلى ثلاثة أقسام: الناموس والأنبياء والكتابات (3).

وهذا وقد تحدثت التوراة في كثير من أسفارها عن العرب وعلاقاتهم بالإسرائيليين، كما جاء في أسفار التكوين والخروج والعدد ونشرت القضاة وصومويل الأول والثاني، والملاك الأول والثاني، وأخبر الأيام الأول والثاني، ونحميا، والزامير وأشعياء وإرميا وإشعياء وبحراق، ودانيال والكتابين - الأول والثاني -.

(1) أبحرحسن بن الحسين العمري: التدبير والإرشاد، القاهرة 1388، ص 172-181 (بيروت 1988).
(2) أبو حسن محمد بن جبرين الطبري: تاريخ الرسول والملاك - الجزء الأول، القاهرة 1967، ص 193.
(3) بيبين: الكتب في التاريخ 1941، ص 224-225.
(3) قدم المؤلف دراسة مفصلة عن التوراة في كتابه 5 إسرائيل، ص 19-152.

29
غير أن التورة عندما تتحدث عن العرب، فإنها تهتم بالقبائل والأماكن العربية ذات العلاقة الاقتصادية باليهود في بعض الأحيان، وذات العلاقة السياسية في أحوال أخرى، وهذا نجدها عندما تتحدث عن القبائل في شبه الجزيرة العربية، فإنها تتحدث عنها على أساس أنها قبائل كانت لها علاقة بالأبراهيميين، ثم هي قبائل متبددة في المكان الأول، إلا عندما يتعلق الأمر بقصة سليمان وملكة سبا، فالقرار جد مختلف.

ويصبح لهذه القبائل شأن آخر.

وعلى أي حال، فعلينا حين تتعامل مع التورة كصدر تاريخي، أن نتخلص تمامًا من الظاهرة التي أسبغها عليها المؤمنون بها، وأن ننظر إليها كما ننظر إلى غيرها من المصادر التاريخية، ولا يمكن هنا أن تكون التورة كتابًا مقصدًا أو لا تكون، فذلك شأن من يريدون أن يروها في نسخاً راهن على هذا النحو أو ذلك، ولكن الذي يثبت هنا لا تكون كتاب تاريخ يحاول فرض مضمونه على الحاضر والمستقبل، كما حاول فرضه على الماضي، وإذا كان ما يعزى للتورة من قيمة تاريخية لا يجد له سندًا، إلا فيما يزعم لها من قداسة، فالذي لا شك فيه أن هناك مئة علاقة بين قيمة التورة ككتاب تاريخ، وقيمته ككتاب مقدس، ذلك أنه كلما تدعمت قيمته ككتاب مقدس تضاءلت الرية في صدقي ما تضمنته من وقائع وساهل وصول هذه الوقائع إلى قلوب الناس على أنها من حقائق التاريخ التي لا ينبغي الشك فيها، وقد أدركت الصهيونية العليا هذه الحقيقة، فقد استغلالها إعلانًا في الحرب المسيحيّة لدعم ما زعمت أنه حقها في إنشاء دولة إسرائيل، ولكن أية قيمة تبقى للاستغلال لا يعتمد سندًا له، إلا فيما يزعم لكتاب واحد من قداسة، وهي بعد قداسة توجه إليها سهام الرب من أكثر من جانب، وليس بالوعود القول بأنها ترقي إلى ما فوق ميزان الشهادات.

1. عبد الرحمن الطيب الأنصاري: لمحة عن القبائل البادية في الجزيرة العربية (مطبعة جمعية التاريخ والأدب بكليات الآداب - جامع الرياض) عام 1991 ص 86.
ومن هنا إننا سننظر إلى الثورة كصدر تاريخي، دون أن نتذكر كثيرًا بذلك الهالة التي فرضتها على المؤمنين بها، إن من كتبوا الثورة المتناولة اليوم - كما يقول المؤرخ الإنجليزي سابس - كانوا بشراً مثالًا، وهم كؤّرخين لا يختللون كثيرًا عن نظائرهم من معاصرتهم في الشرق، كما أنه ليس هناك تاريخ لا يحتمل المناقشة، بل لا يحتفل أن نخاطبها، وما دامت الثورة كتاب تاريخ، فليس هناك ما يمنع المؤرخ من أن ينافسها مناقشة حرة دون تمييز، يقبل ما تقوله بصدق وحب، إن كان يتفق مع الأحداث التاريخية، ويعاقب المتعلق والمعلق، ويرفضه حين تذهب بعيداً عن ذلك.

(1) كتابات المؤرخ اليهودي يوسف بن مكي:

ولد يوسف بن مكي هذا (أو يوسفس فيلافيوس) في أورشليم عام 37م، وتوفي في روما عام 98م (أو 100م)، وكان قد أرسل إلى روما في عام 64م من قبل المحكمة العليا عند اليهود، moderation للدفاع عن الأحبار الذين سجنوا بأمر المفوض الروماني، ونجح في مهمته ثم عاد إلى القدس، واشتهر في ثورة ضد الرومان انتهت ببتره، إلا أن القائد الروماني Fabianus ألقده، وسرعان ما نال تقديره، ثم صحب إمه تيتوس إلى القدس عام 70م، ثم عاد معه إلى روما حيث حمل اسم فيلافيوس، اعتباره عبذا حرمه سيدته Fabianus، ثم منح حقوق المواطن الروماني.

وكان في روما كتاب يوسف اليهودي كتبه المعروفة، والتي من أهمها: أثار اليهود (The Jewish War) و الحروب اليهودية (Antiquities of the Jews).

(1) أنظر عن "الثورة والحقائق التاريخية" كتابًا إسرائيل 113-123.
(2) سيمون: رسالة في اللاهوت والسياسة، القاهرة 1971 ص 127، وفيليب: تاريخ سورية، لبنان وفلسطين بروت 1958 ص 252-253، وكذا

Harvey, The Oxford Companion To Classical Literature, P. 228.
EB, III, P. 153.
أجزاء بالآرامية، والذي ترجم إلى اليونانية، ثم كتاب تاريخ اليهود القديم في عشرين جزءاً، منذ بدء الخليفة، وحتى عام 166 م.

وعلى الرغم من تحيز يوسيف إلى قومه اليهود، فضلاً عن الرغبة في إرضاء حماته من أباطرة الروماني، وعلى اعتماده إلى حد كبير على كتاب العهد القديم في كتباته، فإن لمؤلفاته قيمة تاريخية لا شك فيها، خاصة عن الفترة التي عاصرها، والحروب التي شارك فيها، كما أن فيها معلومات ثمينة عن العرب والأنباط، لا تُنجد في كتب أخرى قدمة، وكان الأنباط على أراضيه يقطنون في منطقة واسعة تمتد من نهر الفرات وبحيرة الشام، ثم تنزل حتى البحر الأحمر، وقد عاصرهم يوسيف هذا، وإن كان لا يهم إلا فيما يختص بعلاقتهم باليهود، فضلاً عن أن بلاد العرب عنه لا تُعطي سوى مملكة الأنباط.

ثانياً: كتبات الرحلة اليونان والرومان:

وتشمل هذه الكتبات - على ما قبناها من أخطاء - على معلومات تاريخية وجغرافية عن بلاد العرب قبل الإسلام، وعن أسماء لقبائل عربية كثيرة، لولاها لما عرفنا عنها شيئاً، ويبدو أن أصحاب هذه الكتبات قد استلقو معلوماتهم من الجنود اليونان والروماني الذين اشتكوا في الحملات التي وجهتها بلادهم إلى بلاد العرب، ومن السياح الذين اختلطوا بقبائل عربية وأقاموا بين ظهرانها، وبخاصة في بلاد الأنباط، ومن التجار والبحارة الذين كانوا يتوغلون في تلك البلاد، وتمت الإسكندرية من أهم المراكز التي كانت تعنيغ عيانية خاصة بجميع المعلومات عن بلاد العرب وعن عادات سكانها، وما ينتج فيها تقدمها إلى من يرغب فيها من تجار البحر المتوسط، وقد استنبط كثير من كتاب الإغريق والرومان معارفهم عن بلاد العرب من هذه المصادر التجارية العالمية.

---

1. جبريل م. طويل، المرجح السابق ص 352، صفحة: المراجع السابق ص 167.
3. جبريل م. المراجع السابق ص 69.
على أنه يجب علينا أن نلاحظ أن هؤلاء الكتاب الكلاسيكيين إنما كانوا يحكمون على مآرورتهم ويشمرون من وجهة نظرهم هم، وحسب عقلتهم وإدراكهم وتأثرهم بعادات بلادهم ودياتها، فضلاً عن أنهم لم يكونوا يعرفون للغة البلاد التي كانوا يصفونها أو يتحدثون عن تاريخها، ومن ثم فقد اعتمدوا – كما أشارنا من قبل – على أفراد محدثيهن، وجعلهم من مستوى لا يزيد عنهم كثيرة في معرفته تلك اللغات، أضاف إلى ذلك أن كثيراً منهم قد أساؤوا فهم ما رأوه، أو ذهب بهم خيالهم كل مذهب في تفسير أو تعلم ما سمعوه، أو وقعت عليه أبصارهم(1).

بل إن بعضهم قد ذهب إلى وجود أصل مشترك بين بعض القبائل العربية واليونان، ولعل في هذه الفكرة – رغم سناجها – ما فيها من إشارات إلى علاقة ممتعة في القدم بين سكان شبه الجزيرة العربية، وبين سكان البحر المتوسط الشمالي(2).

ولعل أقدم من تحدث عن العرب من اليونان هو إسكليوس (345 ق.م)، ثم جاء من بعده المؤرخ البيزنطي المشهور هيرودوت (حوالي 484-420 ق.م) الذي ندين له بأول عرض رحب عن مصر ظل سليماً حتى اليوم، وأما كتابه الشعبي بوثريبي (Euterpe) فإنّه غير مطرد وقصصي، كما أنه يميل إلى الإفراط الذي يتساوى إلى رواية ملحمة الكفاح بين الفرس والهيلن، وقد تعرض هيرودوت لأكبر العرب عند الحديث عن الحروب التي قامت بين فارس ومصر على أيام الملك الفارسي قمبيز (500-425 ق.م)، ورغم ما لهيرودوت من سمعة طيبة في عالم التاريخ، حتى دعا «سيترون» بأبي التاريخ، فهو لم يكن بنجوة من الأفكار الساذجة التي سادت عصره، ومن ثم فقد كان هناك الكثير من القصص الساذج في تأريخه، وإذا يجب أن تكون على حذر مما يوضع.

(2) جواد علي: 57/1.
Charles Forster, The Historical Geography of Arabia, I, P. XXXVI.
Pliny, Natural History, VI, P. 32, II, p. 718.
أماما بحسبه تاريخاً، وهو من الباطش الشعبي في معايير غير دقيقة الرواية،
وتَاكيدات بها نواة الحقيقة، وإن غلبت بالمبالغة والتحريف (1).

وهناك ديوغراست (حوالي 371-287 ق.م)، وقد تطرق في كتاباته
أثناء حديثه عن النباتات إلى ذكر بلاد العرب، وبخاصة الجنوبية منها، والتي
كانت تصدر التمر والليلان والبخور، وهناك كذلك إيراتوسينس (76-
194 ق.م.م)، وقد أفاد كثيراً من جاروا بعده من الكتب اليونان، كما يبدو ذلك
بوحش في جغرافيا سترابو (2).

وهناك، يديور القصلي (من القرن الأول الميلادي)، وقد كتب مؤلفه في
التاريخ العام في أربعين جزءاً لم يبق منها سوى خمسة (General History)
عشر جزءاً، تعرض فيها لتاريخ الفترة ما بين عامي 480-323 ق.م.م (3).

وأما سترابو (64-14 ق.م)، فهو من مواطني بونس، ويتحدث اليونانية.
وقد عاش في الإسكندرية لبعض سنوات، وقد صحب صديقه الولائي الروماني
إيروس جالليوس في حملته على بلاد العرب عام 44 ق.م، وأما كتابه عن بلاد
العرب، فقد قصته الكتاب السادس عشر من مؤلفه (4) وقعد
وصف فيه مدن العرب وقبائلهم على أية، كما قدم لنا وصفاً شديداً عن الأحوال
الاجتماعية والتجارية وقت ذلك، والأمر كذلك بالنسبة إلى حملة و إيروس جالليوس;
- الآفة الذكر - حيث قدم لنا وصف شاهد عيان لها، فضلاً عن معلومات جديدة.

A. Gardiner, Egypt of the Pharaohs, 1964, P. 3.

(1) يُذكر.
(2) جروزالع، 68/1.
(3) جروزالع، 68/2.
(4) يُذكر.

The Geography of Strabo, Translated by Hamilton, London, 1912.

- 34 -
عن بلاد العرب التي مرت بها الحملة، وأخيراً فعلياً أن نسجل أن سير أبا كان الكاتب مرحلاً لا تعوزه المهارة.

وأما أجاثارهيس السفودي - الجغرافي الأكبر من القرن الثاني قبل الميلاد - فهو لم يستعمل أن يعجب الاستعائة بيرودوت على نطاق واسع، وإنما أضاف في مجموعته "Historia Naturalis" (الكبير - جمهوره تقادم) (19 nur 79 قم) في جميعًا ضخم لقبادي المؤلفين، وقد نالت بلاد العرب والشرق نصيبًا من اهتمامه - وهناك مؤرخ يوناني مجهول، وضع كتاباً سماه "الطراف حول البحر الأتري" ووصف فيه رحلته في البحر الأحمر وسواحل بلاد العرب الجغرافية، وقد اختلاف الباحثين في التاريخ هذا الكتاب، فهو قد كتب في القرن 500، وفيه رأى، وفي حوالي عام 553م على رأي آخر، وفي عام 580م على رأي ثالث، وفي حوالي عام 601م على رأي رابع، وفي النصف الأول من القرن الثالث الميلادي على رأي خامس.

وأخيراً هناك كلوديوس بتولايوس، الذي أخرج كتابه في الجغرافية حوالي عام 150م، والمروف باسم "جغرافية بطليموس" وقد جمع فيه بتولايوس (1381-165م) معلومات كثيرة عن بلاد العرب، فقسم الآفاقين حسب درجات الطول والعرض، كما ربطه بخريجات تصور وجهة نظر العلم إلى العالم في عصره، ويشير العلماء إلى أن معلوماته عن حضارموت تشير إلى أن مصدره - ولعله تاجراً أو مصورًا.

A. Gardiner, op. cit., P. 6-7.
Delacy O'leary, Arabia before Muhammed, P. 75.
A. Gardiner, op. cit., p. 5.
Ibid., p. 7.
(1) جراح علي 1/8-9 وكدًا
(2) وكدًا
(3) وكدًا
(4) فضول حواري: العمر واللامة في المحيط الهندي، القاهرة 1958، ص. 54.
(5) سيتيدي موسكاني: المرجع السابق ص. 378.
(6) جراح علي 1/9 وكدًا
(7) وكدًا
J. Pirenne, Le Royaume Sud-Arabe de Qataban et Sa Datation, P. 167-193.
J. Pirenne, La Date du Periple de la Mer Erythre, JA, 1961, p. 441.
فالتا: الكتبات المسيحية:

وترجع أهمية هذه الكتبات إلى أنها تؤثر في نشر المسيحية في بلاد العرب، وللفاسقية نفسها، فضلاً عن علاقة العرب بالفارس واليونان، كما أنها ترتبط بالأحداث بالمجمدات، وبتاريخ القديسين، ومن ثم فقد حصلنا على تواريخ ثابتة، الأمر الذي افتقدناه إلى حد كبير في المصادر السابقة، على أنه يجب أن نلاحظ أن هذه الكتبات دينية، أكثر منها تاريخية، ومن هنا فقد غلبت عليها الصبغة

cratonic.

وعلم أن أشهر هذه الكتبات مؤلفات يوسيبوس (ب-494) والذي كان واحداً من أساليب الكنيسة البارزين في عصره، وأول مؤرخ كنسي يعتمد به، حتى لقب بأبي التاريخ الكنسي، ويرودوت التصناري ؛ وقد ولد في فلسطين، وربما في قيصرية التي كان أسقفاً لها، وقد ساعدته صلاته بالإمبراطور قسطنطين (ب-333-374) وبرؤساء الكنيسة وقاد رجل الدولة إلى أن يعرف الكثير من الأسرار، وإلى أن يدعي على المخطوطة والوثائق النبوية، ومن ثم فقد أفاد منها فائدة كبيرة في مؤلفاته التاريخية.

وكان كذلك يوسيبوس (المرتقى عام 533)، والذي يعد المؤرخ الكنسي عصر جستيان (ب-566-575) المليء بالأحداث، مما يجعل مدتة التاريخية

(1) جرائد على المراجع السابق من 60 وكذا
Le Museon, 1964, P. 466 و A. Gardiner, op. cit., P. 7-8
(2) جرائد على 111 وكذا
(3) جرائد على 11/11 وكذا
(4) جرائد على 111 وكذا

دار، القاهرة 1960
موهوب ثقة أن بعضها مستقى من الرويات الشفهية، وأغلبها نتيجة معلوماته الشخصية، فقد عين في عام 1972 سكرتيراً خاصاً ومستشاراً قانونياً للقائد الروماني ويليام بروس، وصاحب في حلالاته في آسيا وأفريقيا وإيطاليا، كما عين عضواً في مجلس الشيوخ الروماني. وقد تحدث في كتابه «تاريخ الحرب» عن المعارك التي دارت بين الغساسنة والخمينيين، فضلاً عن غزو الأحباش اليمن في الجاهلية 1.

وهناك كتاب نشره المستشرق كارل مولار، مؤلف مجهول، واسمه يبحث في آثار بلاد العرب 2، هذا بالإضافة إلى ما جاء بشأن العرب (Glauce) في المخطوطات السريانية المحفوظة في المتحف البريطاني 3، فضلاً عن كتب المؤرخين الصاريين - من روم وسيران - والذين عاشوا على أيام الأمويين والعباسيين - وقد كتبوا عن العرب في الجاهلية والإسلام فأمدونا بمعلومات لا نجدها في المصادر الإسلامية، وبخاصة عن انتشار المسيحية في بلاد العرب، وعن علاقة الروم بالعرب والفرس 4.

ثالثاً: المصادر العربية

(1) القرآن الكريم:

القرآن الكريم كتاب الله، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، نزل على مولانا وسيدنا رسول الله صلوات الله عليه وسلم.

(2) عبد المقيت ماجد: التاريخ السياسي لدولة العرب، الجزء الأول ص 38، قلب حتى: المرج الساق.

(3) جواد علي 474-500.

(4) جواد علي 475.


(6) قدر المؤلف دراسة مفصلة في فصل مطول عن القرآن الكريم، في كتابه «دراسات في التاريخ القرآني» - ازهار الأول - (فصل الأول).


- 27 -
وسلام عليه - منجنا في ثلاث وعشرين سنة، حسب الحوادث ومقتضى الحال؛ وكانت الآيات والسورة بدون مادة نزولاً، إذ كان المصلفي - صلى الله عليه وسلم - إذا ما نزلت عليه آية أو آيات قال: ضعوها في مكان كذا. من سورة كذا، فقد ورد أن جبريل - عليه السلام - كان ينزل بالآية أو الآيات على النبي، فيقول له: يا محمد: إن الله يأمرك أن تضعها على رأس كذا من سورة كذا، ولذا اتفق العلماء على أن جمع القرآن توحيفي، يعني أن ترتيبه بهذه الطريقة التي نراه عليها اليوم في المصحف، إنما هو بأمر ووحي من الله.

وهكذا تمر الأيام بالرسول الكريم - صلوات الله وسلامه عليه - وهو على هذا العهد، يأتي الوجبة يوماً بعد يوم، كتّاب الوهبا يسجلون آية بعد آية، حتى إذا كمل التنزيل، وانقل الرسول الأعظم إلى الرفيق الأعلى، كان القرآن كله مسجلًا فيصحف، وإن كانت مفرقة لم يكونوا قد جمعوها فيما بين الدفائن، ولم يلزموا القراء توالياً سورة - وكذا في صدور الحفاظ من الصحابة، رضوان الله عليهم -، هؤلاء الصفوة من أمير محمد النبي المختار، والذين كانوا يسبعون إلى تلاوة القرآن ومدارسته، ويذلون قصارى جهدهم لاستظهاره وحفظه، ويعلمون أولادهم وزوجاتهم في البيت.

ومن هنا كان جنائز القرآن الكريم في حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - لا يحصون، وذلك - ويتم الله - عتابة من الرحمن خاصية بهذا القرآن.

(--)

(1) قارئ: محمد نصر الله
(3) السويدي: الإتقان في علوم القرآن، 1/163-165، الزرتشتي: الوراثة، في القرآن ص 234، السويدي: الإتقان في علوم القرآن، 1/164، السويدي: كتاب المساحف من 31 مقدمات في علوم القرآن، 26-32.
(4) أبو زهرة: القرآن ص 49-49.
(5) مقدمة كتاب المساحف لأبي جعفر محمد بن حسين هيثم: حياة محمد صلى الله عليه وسلم.
العظيم، حين يسره للحفظ، وقد يسرنا القرآن للذكر فيه من مذكره، فيكتب له الخلاوة وحماه من التحرير والتباديل، وصانه من أن يتطرق الضياع إلى شيء منه، عن طريق حفظه في السطر، وحفظه في الصدور. مصداقًا لقوله تعالى:
و إن كتب зубر لا يأتي الباطل من بين يديه ولا من خلفه ينزل من حكيم حميد، وقوله تعالى: إن نحن نزلنا الذكر وإذا له لحافظ، وقوله تعالى: إن علينا جمعه وقرآنه فإذ أقرأنا فقانه قرآناً، ثم إن علينا بيانه.
وليس هناك من شك في أن القرآن الكريم، كصدر تاريخي، أصداق المصادر وأصبحها على الإطلاق، فهو موثوق السند، كما بيننا آنفًا، هو قبل ذلك وبعده كتاب الله الذي لا يأتي البطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن ثم فلا سبيل إلى الشكل في صحة نصه، بحال من الأحوال، لأنه ذو ثقة تاريخية لا تقبل إضافة، فقد درى في البداية بإعلام الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم تولى فيما بعد أمامه وحمل تصديقه النهائي قبل وفاته، ولأن القصص القرآنية إما هو أباه وأحداث تاريخية لم تلبس شيءًا من الخلل، ولم يدخل عليها شيء غير الواقع، وإن الله سبحانه وتعالى قد تمهد كنا آنفًا بحفظه دون تحرير أو تدبيل، ومن ثم فلم...
يعصب ما أصاب الكتب المائية من التحرير والتبديل وانقطاع السند، حيث لم يتكلف الله بحفظها، بل وكلها إلى حفظ الناس، فقال تعالى: "والربانيون والأحبار بما استحضروا من كتاب الله، أي بما طلب إليهم حفظه (1)".

غير إني أود أن أنيه - بعد أن استغير الله العظيم كثيراً إلى أن القرآن الكريم لم ينزل كتاباً في التاريخ، يتحدث عن أخبار الأمم، كما يتحدث عنها المؤرخون، وإنما هو كتاب هدية وإرشاد للنبي هي أقوم، أنزله الله سبحانه وتعالى ليكون دستوراً للمسلمين، ومنهجاً يسيرون عليه في حياتهم، يدعوهم إلى التوحيد، وإلى تهذيب النفوس، وإلى وضع مبادئ الأخلاق، وميزان للعدالة في الحكم، واستنباط لبعض الأحكام، فإذا ما عرض لحاجة تاريخية، فإنما للعبرة والعظة (2) هلم إلى القرآن الكريم - مع ذلك - إنه يقدم لنا معلومات هامة عن عصور ما قبل الإسلام، وأخبار دولها، أيها الكشوف الحديثة كله التأليف، كما أنه يجد في كتاب الله الكريم سورة كاملة تحمل اسم مملكة في جنوب شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، وأعني بها سورة سبأ - هذا إلى أن القرآن الكريم قد اتفرد - دون غيره من الكتب السماوية - بذكر أقواق عربية بادت، فقوم عاد (3) ومواد (4)، فضلاً عن قصة أصحاب الكهف (5) وسيل الغرم (6)، وقصة أصحاب الأخود (7) إلى

(1) محمد عبدالناصر: نية العظيم، نظرات جديدة في القرآن، ص. 12-14.
(2) أثر: من أحاديث القرآن، ومقادير: تقدير المزارع، ص. 1-11.
(5) سورة الكهف: آية 4-24.
جانب قصة أصحاب الفيل (1) ، وهجرة الخليل وولده إسماعيل ، عليه السلام ، إلى الأرض الطاهرة في الحجاز ، تم إقامة إسماعيل هناك (2) .

على أنه يجب علينا أن نلاحظ أنه رغم أن هدف القرآن من قصصه ، ليس التأريخ هذا القصص ، وإنما عبر تعرّض الاستفادة بما حلي بالسابقين ، ومع ذلك فيجب أن لا يقيم عبانا - دائماً وأبداً - أن هذا القصص ، إن هو إلا الحق الصراح ، وصدق الله العظيم حيث يقول : ومن أصدق من الله حديثاً (3) ، يقول : إن هذا هو القصص الحق (4) ويقول : نحن نقص عليك نآهم بالحق (5) ، ويقول : والذي أوحيتنا إلى الكتاب هو الحق (6) ، ويقول : إنزلنا إلى الكتاب بالحق (7) ، ويقول : تلك أيات الله تلوها عليك بالحق ، فأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون (8) .

(2) الحديث :

الحديث هو ما ورد عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من قول أو فعل أو تقرير (9) ، والحديث مكانته كبرى في الدين باقي مرتبة القرآن الكريم مباشرة ، وصدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حيث يقول : ترتك فيكم أمرين لن تضلا ما تسكنم بهما بعدي أبداً ، كتاب الله وستي (10) ، والحديث

(1) سورة التهلي ، وانظر الفصل الحادي عشر من كتابنا الآتي الدكر .
(2) سورة البقرة : آية 104-121 ، سورة آباهيم : آية 41-50 ، والنظر الفصل الرابع من كتابنا الآتي الدكر .
(3) سورة النساء : آية 61.
(4) سورة آل عمران : آية 23.
(5) سورة الكهف : آية 13.
(6) سورة نافع : آية 31.
(7) سورة الزمر : آية 2 ، وانظر الآية 41.
(8) سورة البقرة : آية 6 ، وانظر : تفسير البغدادي 141/25 ، تفسير الطبري ، 9/181، تفسير
الزينبي 11/1261 ، تفسير البراءة 129، تفسير
(10) الحديث رواه أصحاب السنن .
الشريف مفسر للقرآن الكريم، ذلك أن كثيرًا من آيات الذكر الحكيم مجملة أو مطولة أو عامة، فضاء وسول الله صلوات الله وسلامه عليه فييتها أو قيدها أو خصصها، قال تعالى: وآذتنا إليك الذكر لتنين للناس ما نزل إليهم وحنا كان الحديث الشريف هو المصدر الثاني للشريعة الإسلامية، ثم هو أصدق المصادر التاريخية بعد القرآن الكريم - لفرقة التاريخ العربي القديم في عصره القربي من الإسلام بالذات.

وليس من شك أن كتب الحديث وشروحا - رغم أنها مصدر فقهي أكثر منه تاريخي مورد غني من الموارد الأساسية لتدوين أخبار الجاهلية فيما قبل الإسلام، على أن العربي من الأثر أن مؤرخين تلك الفترة قد تجاهلا هذا المنهل الغزير، وبخاصة فيما يتعلق بتاريخ عرب الحجاز، إلى حد كبير، ومن ثم فقد خسرنا وحدًا من أهم وأصدق مصادر التاريخ العربي القديم.

(3) التفسير:

نزل القرآن الكريم بلغة العرب، وعلى أساليب العرب وكلامهم، يقول تعالى: إن آذننا قرآنا عربيا لعلكم تقلون، وهذا أمر طبيعي لأنه فيز bỏ العرب

---

(1) ناوري الإمام ابن تيمية 19/13،441-442،431-432،19/13،441-442،431-432.
(2) سورة النحل: آية 44.
(4) تفسير البخاري 264-267،264-267.
(5) تفسير البخاري 264-267.
(6) إنما بعد (264-267)
(8) نظر: ابن تيمية: تأويل مشكلات القرآن ص 65.
(9) سورة يوسف: آية 44، ونظر: الزمر: آية 44، ونظر: الزمر: آية 44.
(10) بالله: آية 44، وأنس: آية 44، ونظر: آية 44، ونظر: آية 44.
بأدي ذي بدء - ثم الناس كافة إلى الإسلام، ومن ثم فلا بد أن يكون بلغته
يفهمونها(1)، تصديقاً لقوله تعالى: وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين
هم(2).

ورغم أن القرآن الكريم نزل بلسان عربي، وفي بيته العربية كانت تفاخر من
نواحي الحضارة بفن القول، فإنه لم يكن كله في متناول الصحابة جميعاً، يستطيعون
أن يفهموه - إجمالاً وتفصيلاً - بمجرد أن يسمعوه، لأن العرب - كما يقول
ابن قية(3) - لا تستوي في المعرفة جميع ما في القرآن من الغريب والمشابه، بل إن
بعضها يفضل في ذلك على بعض.

إلا أن هذا لا يمنعنا من القول بأن الصحابة على العموم كانوا أقدر الناس على
فهم القرآن، لأنه نزل بلغتهم، ولأنهم شاهدوا الظروف التي نزل فيها، ومع ذلك
فقد اختلروا في الفهم حسب اختلافهم في أدوات الفهم، وذلك لأنساب، منها
(أولاً) أنهم كانوا يعرفون العربية على تفاوت فيما بينهم، وإن كانت العربية
لغتهم، ومنها (ثانياً) أن منهم من كان يلازم النبي - صلى الله عليه وعليه
 وسلم - ويقيم بجانبه، ويشاهد الأسباب التي دعت إلى نزول الآية، ومنهم من ليس
كذلك، ومنها (ثالثاً) اختلافهم في معرفة عادات العرب في أوقاتهم وأفعالهم،
فمن عرف عادات العرب في الحج في الجاهلية، استطاع أن يعرف آيات الحج في
القرآن الكريم، أكثر من غيره ومن لم يعرف(4).

وهكذا نشأ علم التفسير لفهم القرآن وتدبره، ولذلنا ما أوجز فيه، أو ما
أشير إليه إشارات غامضة، أو لما غضض علينا من تفاهيمه واستعارته، وألفاظه
أو لشرح أحكامه(5)، وقد نشأ علم التفسير هذا في عصر الرسول - صلى الله عليه

(1) قعم المؤلف دراسة مفصلة عن "التفسير" في الفصل الثالث من كتابه ودراسات في التاريخ القرآني.
(2) سورة إبراهيم: آية 51-65 (دار المعارف للقرآن الكريم 1997).
(3) ابن تيمية: تراث في المسائل والأجوبة ص 8، ثم قال: مقدمة ابن خالد، ص 366.
(4) أحمد أمين: فجر الإسلام ص 197-198.
(5) عمر فروخ: تاريخ الجاهلية ص 16، وانظر: البرهان في علوم القرآن ص 140-41.
وعلى الله ورسوله - فكان النبي، أول المفسرين له، ثم تابعه أصحابه من بعدهم (1) على أساس أنهم وافقوا على أسراره، المهتمون بهدي النبي - عليه الصلاة والسلام (2) - ولعل أشهر المفسرين من الصحابة الإمام علي - كرم الله وجهه ورضي الله عنه - وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود (3).

وفي عصر التابعين تضخم التفسير بالإسرائييليات والنصرانيات، لسبب أو آخر (4) بما دفع الإمام أحمد بن حنبل إلى أن يقول كلهما المشهورة ثلاثة ليس لها أصل، التفسير واللامح والمغازي، أي ليس لها إسناد، لأن الغالب عليها المراسيل (5)، وإلى أن يقول الإمام ابن تيمية، والمضوعات في كتب التفسير كثيرة (6).

ومع ذلك، ورغم هذه الشرواب، فالذي لا شك فيه أن كتب التفسير تحوي على ثروة تاريخية قيمة، تفيد المؤرخ في تدوين التاريخ العربي القديم، وتشرح ما جاء مجملا في القرآن العظيم، وتستقر ما كان عالقاً في ذهن الناس عن الأيام التي سبقت عصر الإسلام، وتحكي ما سمعه عن القبائل العربية القديمة التي ذكرت على وجه الإجمال في القرآن الكريم، وما ورد عنهم من أحكام وآراء ومعتقدات (7).


(2) ابن تيمية: المرج الساطع 167.

(3) لعل أشهر كتب التفسير إما هي: تفسير الطبري وتفسير الشافعي وتفسير المروي وتفسير المتكافئ وتفسير الشافعي وpanse رضي الله عنه، وفسير ابن العربى، وفسير ابن عصال، وفسير ابن عبد الله، وفسير ابن رزق، وفسير ابن السامى، وفسير ابن حيان، وفسير ابن حيان، وفسير ابن حيان، وفسير ابن حيان، وفسير ابن حيان، وفسير ابن حيان، وفسير ابن حيان، وفسير ابن حيان، وفسير ابن حيان، وفسير ابن حيان، وفسير ابن حيان، وفسير ابن حيان، وفسير ابن حيان، وفسير ابن حيان، وفسير ابن حيان، وفسير ابن حيان، وفسير ابن حيان، وفسير ابن حيان، وفسير ابن حيان، وفسير ابن حيان، وفسير ابن حيان، وفسير ابن حيان، وفسير ابن حيان، وفسير ابن حيان، وفسير ابن حيان، وفسير ابن حيان، وفسير ابن حيان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وفسير ابن حبان، وف
(4) كتب السير واللغزاري:

وتعتبر هذه الكتب من المصادر المهمة في التاريخ العربي القديم، ذلك لأن كتاب السير واللغزاري إما كانوا يعرضون لذكر الرباب الحاجليين والأدباء السابقين، ويفصلون القول في نسب الرباب الكريم - صلوات الله وسلامه عليه - في أمين مكة وقريش، ومن يتصل بهما من أفراد وقبائل، كما كانت هذه الكتب تشتهر على الكثير من الشعر الحاجلي الذي كان يستخدم كتب السير واللغزاري في الإستماع على ما يكتبون أو يتحدثون عنه.

ولعل أشهر كتب سيرة مولانا وسیدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آل وسلم هو كتاب ابن هشام، وهو أول كتاب عربي وصل إلينا يخرج لسيرة النبي الإسلام الأعظم - وكذا تاريخ العرب قبل الإسلام - وقد اعتمد صاحبه أبو محمد عبد الملك بن هشام، المورف (828/1821 أو 834/218) على الرواية الشفوية، فضلاً عن كتاب ضاغطت، لعل أحماه كتاب ابن إسحاق (150/767) الذي كان أول من ألف في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم - بالمرأة العليا العباسي المعصر (754-775 م) - واستحق بذلك تسمية ابن خلدون له بالاستاذ، إن هناك من سبقة في التأليف في اللغة، من أمثال عروة بن الزبير (712/94) وibrated بن عثمان بن عفان، وابن شهاب الزهربي (742/124) وشرحبيل بن سعد، وهناك كذلك.

= وتفسير ابن كثير وتفسير البيضاوي وتفسير الجوهر وتفسير الصحابي وتفسير الجلالين وتفسير أبي السعد وتفسير الآيوب وتفسير التلميذ وتفسير اليد وتفسير المراني وتفسير أبو عبد الله، وله آخر، كتب التفسير التي روت كثيرة من الإسرائيليات، إذا هي: تفسير مقابلة بين سليمان والطبي، وجمع الحزان، وأما التي تحرجت من التوحيدها فهي قصيرة: تفسير ابن كثير.

الواقيدي (۴۷۴/۱۳۰۶-۲۴۶/۱۳۰۷ م) ومحمد بن سعد ، صاحب الطبقات الكبرى (۴۵۰/۲۳۰ م) ، والذي أحدهما كثيرًا عن الواقيدي حتى كان يسمى أحيانًا بكاتب الواقيدي.

(۵) الآداب الجاهلية:

ليس هناك شك في أن أيام العرب في الجاهلية تعتبر مصدرًا نصيًا من مصادر التاريخ ، ويبدو صاحبًا من تلحين الآداب زمنًا طويلاً من أنواع القصص ، بما اشتملت عليه من الوقائع والأحداث ، وما روى في أنائها من شعر وثور وما اشتملت عليه من مؤثر الحكم وبارع الحلم ، ومصطلح القول ، ورائع الكلام ، فهي توضح شيئًا من الصلات التي كانت قائمة بين العرب وغيرهم من الأمم كالفرس والروم ، وتروي كثيرًا مما كان يقع بين العرب أنفسهم من خلاف ، بل إنها سبيل لفهم ما وقع بين العرب بعد الإسلام من حروب شجرت بين القبائل ، ووقائع كانت بين البطون والأفخاذ والعشائر.

تم هي في أساليب القصص ، وبيانها الفني مرحلة صادقة لأحوال العرب وعاداتهم ، وأسلوب حياتهم ، وشأنهم في الحرب والسلام ، والمجتمع والقرقة ، ولفدها والأسر ، والجنة والاستقرار ، وهي أيضًا مرحلة صافية تظهر فيها فضائلهم وشيمهم ، كالدفاع عن الحرم والوقال بالثأر ، والانتصار للعشرة وحماية الجار ، والصر في القتال ، والصدق عند اللقاء ، وغير هذا مما تراه واضحاً في تلك الأيام (۱).

ولننظر إلى الشعر الجاهلي في جملته وتفصيله ، وبخصوص ما كان في الفخر والحماسة ، والرثاء والهجوة ، فإن تلك تحديد قد أرتبط بتلك الأيام ، فيما كان الفرس ينضلون بسيوفهم وحماهم ، ويجدون بنفسهم رخصة في سبيل أقوامهم ، كان

(۱) محمد أحمد ناجي الموالد ، علي محمد البحاري ، محمد أباز الفضل إبراهيم : أيام العرب في الجاهلية ، القاهرة 1942 م ط. 487
الشعراء من ورائهم يذكرون عن الأحاديث بقصصهم، ويطلقون ألسنتهم في خصوصهم وأعذاقهم، ويدعون بقوافلهم صراعهم، وقليل من أشراهم وزعمائهم.

ترى ذلك في شعر الأعشى وعثرة وابن هزراء وعزر بن الطفل وقيس بن الأصل وقيس بن الحلفي وعبد يغوث ومهل بن ربيعة واللمنس وصخر ومعاوية إني عمر وسحاس بن ثابت، وغيرهم من ظهر أئذ الأعوام في شعرهم من قريب أو بعيد (1).

والشعر الجاهلي دون شك مصدر من مصادر تاريخ العرب قبل الإسلام، وقديماً قالوا إن الشعر ديوان العرب، يعنى بذلك أنه مسجل فيه أخلاقهم وعاداتهم ودياناتهم ووقائعهم، وإن شئت قل على إسم سجل في أفسامهم، كما تستطيع أن تستند به على جزيرة العرب، وما فيها من بلاد وجبل ووديان وسهول ونباتات وحيوان، فضلاً على عقيدة القوم في الجاهلية في الأصان والحرابيات (2).

وهكذا يروي ابن سيرين عن الفاروق عمر بن الخطاب - رضي الله عنه ورضي الله عنه - قوله: كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه (3) وقرب من هذا ما يروى عن عكرمة: تلميذ ابن عباس ومولاه - أنه ما سمع ابن عباس يفسر آية من كتاب الله عز وجل، إلا ومنع فيها بنا من الشعر، وأنه كان يقول: إذ أعايكم تفسير آية من كتاب الله فاتلبوه في الشعر، فإنه ديوان العرب، به حفظت الأناسب، وعرفت الأثر، وبه تعلم اللغة، وهو حجة فيما أشكل من غريب كتاب الله، وغريب حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - غريب حديث صحابةه والتابعين (4).

__________________________
(1) نفس المرجع السابق
(2) أحمد أمين: فجر الإسلام ص 57
(3) محمد بن سام الحمي: طبقات فصول الشعراء، التاجرة 1952 ص 10
(4) جواد علي 17/88-68-67-66، المعرج في علم اللغة، المجلة 3/2-1، الإتقان في علوم القرآن 2/5، شرح حماية النبي محمد للحرب الزيدي 1/31
ومن ثم فقد أصبحت كتب الأدب من المصادر الهامة في التاريخ العربي القديم، ففيها ثروة أدبية قيمة، قد لا تجد لها مثيلاً في كتب التاريخ، وإنما جاء بها عن دول الخيرة والغامضة ومدن، أكثر مما جاء في كتب التاريخ، بل هو أحسن منه عرضاً وصفاً، وأكثر منه دقة، ويدل عرضه بالأدب الأدبي المعروف على أنه مستمد من موارد عربية خالصة، لم يعكر صفها شؤون من إسرائيل ونصراء، فضلاً عن أنه قد أخذ من أفواه شهد عيان، شهدوا ما تحدثوا عنه، بل تستطيع أن تذهب بعيداً، فقول أن كثيراً من الأخبار مات لموت الشعر الذي قيل في مناسبتها في حين أخباراً خلت فلاغاً لأن ما قيل فيها من شعر كان سبيلاً في بقائها، ومن ثم فقد أصبح الشعر سبباً في تخليد الأخبار، لسهولة حفظه، ولأضطرار رواته إلى قص المناسبة التي قيل فيها (1).

علي أن للابد كصدر تاريخي - عويبة، منها (أولاً) أنه لا يرجع إلى أكثر من عصر الجاهلية، وهو جزء من عصر ما قبل الإسلام، يقدر له زمناً يراوح بين قرن ونصف، وقرنين ونصف قبل ظهور الإسلام مباشرة، بينما يقدر العلماء لعصور ما قبل الإسلام مدة ربما تتجاوز العشرين قرناً، تمت من حوالي 1500 م. إلى عام 612م (2).

ومنها (ثاني) أن أكثر ما روى لنا منه إذا قد علق فيه بالمختارات أكبر عناية، ويوم في هذا يظهرون إليها نظرة الأديب، لا نظرة المؤرخ، فالقصيدة التي لم يحكم نسجها، ولم تصيب أفكارها، لم يصح وزنها، قد يعدهب بها المؤرخ أكثر من أعباه بالقصيدة الكاملة من جميع نواحيها، ويرى فيها دلالة على الحياة العقلية، أكثر من قصيدة راقياً (3)، ومنها (ثالثاً) أن الشعر الجاهلي لا يتحدث عن التاريخ السياسي، بقدر ما يتحدث عن التاريخ الديني والاجتماعي.

---

(1) جود علي: 711، دائرة المباريات الإسلامية، مادة تاريخ ص 484. وانظر: مساعد زغلول: المرجع السابق ص 31.
(2) محمد مرير: تأليف: تاريخ العرب: عصر ما قبل الإسلام، القاهرة 1952، ص 9.
(3) أحمد أمين: نفح الإسلام ص 57.

- 48 -
ومنها (رابعاً) أن الشعر الجاهلي قد تعرض للضياع بتركه يتقلل عن ألسنة الرواة شفاهها نحو قرنين من الزمان، إلى أن دوَّن في تاريخ متاخر (1)، حتى أن أبا عمرو إبن العلاء يقول: "ما انتهت إليكم مما قالت العرب إلا أثقل، ولو جاءكم وافراً لبابكم علم وشعر كثير (2).

وفمنها (خامساً) أن معظم ما وصلنا من الشعر الجاهلي، إنما كان من عمل البدو، وليس من عمل الحضر، ومن ثم فهو يمثل البادية أكثر ما يمثل الحاضرة (3)، ومنها (سادساً) أن هناك مجالاً للظن على خلاف الشائع أن العلماء قد خففوا - مدفوعين بالعامل الديني - من الطابع الوثيق في بعض القصائد، كما أن الإفرط في الحرص على صحة اللغة وصفاتها في أوساط البصرة قد أدى إلى إجراء بعض التصححات في الآثار المروية (4).

وفمنها (سابعاً) أن حتى هذا الشعر القليل الذي وصل إلينا توجه إليه سهام الريب من كل جانب، وليس بالوضع القول بأنه يرقي إلى ما فوق مظان الشهادات، ذلك أن كثيراً من الرواة قد تجرأ على النحل، إما ينقل شيء من قائل إلى قائل، وأما بوضع شيء منه على ألسنة الشعراء (5).

ذلك أنه في عام 1874م تناول تيودور نولدكه الموضوع لأول مرة، مشيراً إلى الشكوك التي يثيرها مظهر الشعر الجاهلي، وفي عام 1872م عاد إهلوارد أبهاري إلى الموضوع مرة أخرى، دون تجديد فيه، وإن عرضه بلغة لم يتصل إلى سلفه، خرج منها إلى أن عدداً قليلاً من القصائد هو الصحيح، وأما غالبها فثقلها فيها محتملاً لا مناص منه، ثم جاء بعد ذلك موربر وبايس، وليال وبروكلامان.

---

(1) عبد بن سلام المحيبي: المرجع السابق ص 10.
(2) محمد سالم المحيبي: المرجع السابق ص 10.
(3) عبد المجيد ماجد: المرجع السابق ص 35.
(4) ريتشارد بلانش: تاريخ الآداب العربية - القرن الخالي، بريوت، 1910 ص 135.
(5) عمر فروخ: تاريخ الجاهلية ص 18.
فوافقوا على آراء نولن كين و إلدوارد، وإن زاد الشك كثيرا عن كليمان هوارت.

وفي عام 1925م، جاء مارجوليث وأصدر بحثا ل枔 تحت عنوان: أصول الشعر العربي، رجع فيه أن هذا الشعر الذي نقرأ على أنه شعر جاهلي، إنما هو نتاج العصور الإسلامية، ثم نحله الوضاعون لشعراء جاهليين، وتابع: لينفي دلاً فيدا، مارجوليث في دعاه، وذهب إلى أن العرب حينما نسبوا في القرن الثاني والثالث بعد المجرة، ما كانوا يذكرون عن التاريخ الجاهلي، حاول اللغويون والأخبراء أن يملؤوا الفجوات، فزجوا ملهم يجدوه في الوثائق الحقيقية، ومن ثم فقد رأى هذا الفريق من المستشرقين أن الآداب التاريخية العربية، ليس أوثق من القصص التاريخية، وأن أكثر الشعر موضوع، وبالتالي فليس من المستطاع إتخاذهما أساساً نبئ عليه فيما صحيحما كان يحدث في بلاد العرب في العصر الجاهلي.

أما الأدياء العرب، فعلى أسبهم في هذا المجال إنما هو الرافعي، في كتابه: تاريخ أداب العرب الذي صدر في عام 1911م، ثم جاء الدكتور طه حسين، وذهب إلى أن الكثرة المطلقة مما نسميه أدياً جاهلياً ليست من الجاهلية في شيء وإنها هي متحولة بعد ظهور الإسلام، فهي إسلامية تمثل حياة المسلمين ومولتهم وأهواهم، أكثر مما تمثل حياة الجاهليين، وأن هذا الشعر الذي ينسب إلى أمراء القبس أو إلى الأئش أو إلى غيرها من الشعراء الجاهلية لا يمكن

(1) C. Huart, Une Nouvelle Source du Koran, JA, 1904, p. 142F.
(2) W. Muir, Ancient Arabic Poetry, JRAS, 1875.
(3) C. Lyall, Translations of Ancient Arabia Poetry, Londres, 1885.
(5) Giorgio Levi Della Vida, Pre-Islamic Arabia, The Arab History, New Jersey, 1944, P. 541-44.
أن يكون من الروحة اللغوية والفنية لؤلؤة الشعراء، ولا أن يكون قد قبل أو أذيع قبل نزول القرآن الكريم.

وعلى أي حال، فإن قضية الشعر الباهلي قضية معروفة في جميع كتب الأدب القديم، وأن القدامى قد سبقوا الحديثين إلى النقول بأن كثيرًا من الشعر الباهلي موضوع مختلق، يروى 5 ابن الجهمي، أن أول من جمع أشهر العرب، وساق أحاديثها، إنما هو حماد الرواقة، (م 155/777)، وكان غير موثوق به، كأن ينحل شعر الرجل غيره ويزيد في الأشعار، وان تلميذه خلف الأحم، قد سار على نموذجه، وربما كان السبب فيما فعله حماد، خلف حماد، حرص الأعاجم مثلهما، على إظهار مقدراتهم أمام العرب في نظم قصائد ومقطوعات تفرق في إصالتها تلك التي ارتجلها الباهرة، وهكذا يبدو من صنع الرجال مبلغ الشك في عملية جمع النصوص الشعرية.

على أن الأستاذ المقاد، إنما يذكر الترتيب ثانيا، ويرى أنه ما قاري الأدب، يسبي القول يوجد طائفة من الرواة يلفظون أشهر الباهلي، كما وصلت إلينا، ويفلون في ذلك التلفيق، إذ معي ذلك (أولا)، أن هؤلاء الرواة قد بلغوا من الشاعرية ذروتها التي بلغها، إمرو القيس، والتابعة وطرفة وعترة وزهير وغيرهم من فحول الشعر في الباهلي، ومعن ذلك (ثانيا)، أنهم مقتدر عليهم توزيع الأساليب على حسب الأمزجة والأعمام والملكات الأدبية، فينظمون مزاج الشاب طرقا، ومزاج الشيخ زهير، ومزاج المريدالنجل إمري القيس، ومزاج الفارس المقدام عثرة بن شداد، ويتلونون لكل واحد مناسبته النصية والتاريخية، ويجمعون

(1) نفس المرجع السابق ص 73.
(2) محمد بن سلام الحجي: المرجع السابق ص 14-10-9، الموه 106، الآغاني 89/2، 283/2، رجيمس بلاشير: المرجع السابق ص 111-114-112.
(3) بلاشير: المرجع السابق ص 15، الموه 107/1، آغاني 117.
(4) أنظر عن حماد الرواقة: وفيات الأدباء 2/41-210، الآغاني 67/7، المقارن ص 333، الشعر والشعراء ص 201، بديع ابن مسعود 227/4.
(5) رجيمس بلاشير: المرجع السابق ص 112.
له القصائد على خط واحد في الديوان الذي ينسب إليه، ومنه ذلك (ثالثا) أن هذه القدرة توجد عند الرواة، ولا توجد عند أحد من الشعراء، لم ينطق الرواة في سمعتهم، وهم على هذا العلم بقيمة الشعر الأصيل، وما من ناقد يسخ هذا الفرض ببرهان، فضلاً عن إسهامه ببرهان، ولغير مصب، إلا أن يترجم ويبرز التوهم فيتمين؛ وأن تدريج القائات الجاهلية جمعاً لأهون من تصديق هذه التقيضات التي يضيق بها الحس، ويضيق بها الخيال (1).

هذا فضلاً عن أن هناك إشارات إلى جمع قديم للشعر. فهناك رواية حماد التي تذهب إلى أن ملك الحيرة، العثمان بن المنذر، قد أمر فسخته له، شعر العرب، وأن المختار بن أبي عبد الله، قد اكتشفها في قصر العتمان (2)، وأن النزد ق (3) كان يملك ديوان الشاعر زهير بن أبي سلمى (4).

ولم يقل ذلك، فإن هناك وجها آخر للنظر، وهو أن الشعر المزيج يصح أن يكون مثيراً للحياة العقلية الجاهلية، كأن المزيج عالمًا بفنون الشعر، خبيرًا بأساليبه (5)، ومن ثم فنحن نستطيع إذن أن نقبل الشعر الجاهلي كله - الثابت والمشكوك فيه - على أنه من مصادر الحياة في الجاهلية، لأن الذين وضعوا ذلك القدر من الشعر الجاهلي قد حرصوا على أن يقلدوا خصائص الجاهلية اللغوية والمعنوية واللفظية، وهكذا يظل هذا الشعر المتحول يدل على ما يدل عليه الشعر الثابت، من تصوير للحياة في بلاد العرب قبل الإسلام (6).

(1) كتب اللغة:

تعتبر كتب اللغة من مصادر الحياة في الجاهلية، ذلك لأن اللغة العربية التي نكتب بها ونشرها هي من نتاج العصر الجاهلي، فهي من أجل ذلك لا تزال تدل

د. س. مارغوليوث، p. 427.

(1) عباس المقاد: مطلع النور ص 38-49.
(2) الأزهر: 148-149، وكذا.
(3) رجيم بلشير: المرج الساق ص 105-106، الفهرست ص 91.
(4) أحمد أمين: فجر الإسلام ص 51.
(5) عمر فروخ: تاريخ الجاهلية ص 15.

- 54 -
بمفردها على أوجه الحياة والحضارة الجاهلية، هذا فضلاً عن أن القاموس العربي ليس للمفردات اللغوية فحسب، بل هو في الحقيقة يجمع المفردات اللغوية والمعارف الجغرافية والتاريخية والعلمية والفنية، ومن ثم فقد كانت كتب اللغة ومعامجها بصفة خاصة مصدر مهمة للحياة في الجاهلية.

ومنها كان من الأهمية بمكان أن نشير هنا إلى أنه ربما لم تظهر لغة من اللغات بما ظفرت به اللغة العربية من ثراء في العجاج وتتنوع في مناجمها وطرق ترويجها، وأما قواميس العرب، فعلى أهمها: القاموس المحيط للفيروز أبادي، ولسان العرب لابن منظور، وناجم العروس للمرتضى الزبيدي، والصحاح للجوهرى.

(8) كتب التاريخ والجغرافيا:

لعل من الأمور القريبة أن المؤرخين الإسلاميين قد انصرفوا عن تدوين التاريخ الجاهلي - ولسيا القدوم منه، وحين فعلوا لم يكن كتاباتهم إلا مقدمات لتواريخهم المفصلة وال دقيقة للعصر الإسلامي، و حتى هذه المقدمات لم تكن مفصلة ولا دقيقة، ذلك لأنهم لم يعتمدون فيها على سند مدون، أو يأخذوها من نص مكتوب، وإنما كان عمادهم في ذلك أقول الرجال، وهو أمر لا يمكن الإطمئنان إليه، ذلك أن رواية الأخبار، حتى إن كانوا بيديين من البول واللهاء، وحتى إن كانوا من أصحاب الملكات التي تستطيع التمييز بين الغث والسمين، فإن للذاكرة آ마다 لا تستطيع تجاوزها.

لقد تحدث أهل الأخبار عن عاد وعمود وطسم وجذوب وجرهم وغيرهم من الأمم البائدة، وتكلموا عن المباني القديمة وعن جن سليمان وأسلحته، ورواوا شعرًا ونثرًا نسبوه إلى الأمم المذكورة، وإلى التتابعة، بل نسبوا شعرًا إلى آدم، وزعموا

_____

محمد ميريك: عصر ما قبل الإسلام ص 5.


(2) راجع عن المراجع: الدكتور عبد النصر الخلوشي: مدخل للدراسة المراجع، القاهرة 1974 ص 35-41.

(3) راجع عن المراجع: الدكتور عبد النصر الخلوشي: مدخل للدراسة المراجع، القاهرة 1974 ص 35-41.

عمر فروخ: المراجع السابق ص 16.
كان مؤرخوا العرب يعتمدون في تأريخهم للعصور السابقة على الإسلام على الأدب العربي وعلى بعض آثار اليمن، حيث كان هناك من يزعم - صدأ أو كذبا- أنه يستطيع أن يقرأ خط المستند، هذا إلى جانب اعتمادهم كذلك على بعض كتابات النصارى التي وجدت في الأدمة والكتانس في العراق والشام، وعلى ما تلقونه من أقوال اليهود في اليمن والحجاز وغيرها(1)، ومن أهم هذه الكتابات، كتاب أخبار اليمن لعبد بن شربه البِرخاني، والذي كتب في أخريات أيام معاوية ابن أبي سفيان (4/416/1 672هـ)، وكتاب النيجان في ملوك حمير لوهد بن مثنى (778/110) وكتاب الإكليل وصفه جزيرة العرب للهمداني (951/340 م)، وكتاب الأصام لابن الكلب (769/204 م)، وكتاب سنن ملوك الأرض والأثيوبيات لخزيمة الأصفهاني(2)، وكتاب ملوك حمير وأقاليم اليمن لنشوان ابن سعيد الحميري (573هـ) (3).

والله من الأهمية يمكن الإشارة إلى أن التصقح لما كتبه ابن إسحاق (م 150/ 767 أو 768/121) وابن هشام (م 728/1223 أو 834/218) في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وابن قتيبة (م 776/276 أو 889/247) في المعرفة وفي عيون الأخبار.

(1) جبريل علي 47-77، مرج الذهب/36-37، الأذربايجان (134) م. ابن الأثير 336/35-36، ابن خالدن 45/3، ابن كثير 162/2، الجَمْهوري 189/3، ملك حمير وأقاليم اليمن 134-135، 150. 
(2) جرجسي زيدان: المرج المبكر، محمد عبد الكافي: المرج السابق، 198-198.
(3) أنظر: صدأ زغلول: المرج السابق، 214-214.
(4) أنظر مقدمة الكتاب التي كتبها السيد علي بن اسحاق الموقئ واسحاق بن أحمد الجرافي، في طبعة 
السقية، القاهرة 1378هـ.

- 54 -
وفي الشعر والشعراء وفي الإمامة والسياسة ۴۲۴۴ (۸۹۵/۷۸۲) في "الأخبار الطوال"، واليعقوبي (۸۹۷/۷۸۴) في "تاريخ الكبير" والطبري (۹۲۳/۷۰۱) في "تاريخ الرسل والملوك"، وابن عدبة (۹۳۹/۷۱۷) في "العقد الفريد"، والمسعودي (۹۵۶/۷۳۷) في "موجز الذهب" وفي التبيه والاشراف في "أخبار الزمان"، و"ياقوت الحموي" (۱۲۲۹/۱۰۰۲) في "معجم البلدان"، وابن الأثير (۱۲۷۳/۱۰۵۰) في " الكامل في التاريخ"، وابن خلدون (۱۴۰۶/۱۱۸۸) في المقدمة وفي "العبر ودروان المبتدأ والخبر".

إن المتصفح لما كتبه هؤلاء العمد الأفاضل، ليغبر للملل والتحري الصحيح الذي عدلا به تاريخ الإسلام في معظم الحالات، بقدر ما يعنى على الإجمال والمل опы التي صحبت كتاباتهم عن عصور ما قبل الإسلام.

ولعل عذهم في ذلك أن عصر الاكتشافات الحديثة الذي نعيشه الآن لم يكن قد بدأ بعد، وأن التعليم في التاريخ بلاد العرب قبل الإسلام إما كان على ما جاء في التوراة، وعلى الأدب العربي القديم، كما أن الأخبار كانت - كما أشرنا من قبل - تتناقل على الألسنة بدون تدوين أو ضبط، وأن الخط العربي كان في أول الأمر غير متقوط، وكذا كانت الكتابة النبطية التي يرجع أن الخط العربي مشتق منها ومتطور عنها، تتعدى النطق والإعجام.

(۱) أنظر عن نبأ كتاب الإمامة والسياسة لأبات شبيل، وظلال الشكل التي تحمر حوله، مقاله الأساتذة "عبد الله رحمة عيسى"، مجلة كلية اللغة العربية، العدد الثاني - الأساتذة "الرياض ۱۹۷۵ ص ۴۴۷-۴۴۴.
وهيذا لم يكن عندهم ما يميز بين الياء والغاء والثاء، أو بين الجيم والهاء واللثاء، أو بين السين والشين، فكانوا يكتبون بلقبس وحروفاً بلا نقط، فقتراً بلقبس أو بلقبس أو تلفظ أو تلفظ... الخ، وقص عليه ما تختلف به قراءة بقية النطق واختلاف مواضيعها، فوقع بذلك التباس في قراءة الأسماء، وظهر أثره في اختلاف المؤرخين والشماين في أسماء الأشخاص والقبائل والأماكن.

ولعل أهم ما في كتب الأخبارين من عرب، إنما هي (أولاً) تلك المباغات.

- إن لم تقل الخرافات - التي أدخلها أهل الأغراض أو الطاعمون ممن دخل في الإسلام من اليهود أو المجوس أو النصارى - لأن العرب كانوا يستنفدوهم فيما غمض عليهم، فبينهم بما تعودوه في كتبهم من المبالغة في ضخامة الأجلام وطول الأعمار، فكان العرب يصدقوهم في كثير مما يقولون لأنهم - كما يقول ابن اسحاق - أهل العلم الأول، ولأن التراث - والعلم مباغته - كانت تشمل على كثير من قصص الأندية الكرام، ولكن بإسهام وتنصيص كثير، وهكذا تسرت الخرافات إلى كثير من كتب الأخبارين، فلما ذكر الله سبحانه تعالى قصة عاد في القرآن الكريم، فإنه يقول: «أمنذ كيف فعل ربك بعد»، إرم ذات العماد، التي لم يخلق مثلها في البلاد. 

(1) ص 12-13 لغة الله العربية في نصوص النجاشي، ص 451، كتاب المحكم في نصوص المحاكم في نصوص المحاكنات، ص 276 (دمشق 1983)، تقويم البلدة، للبلد، إعداد ابن خلدون ص 293، صبح الأمثلة 11-10، مصدار الشعر العربي، ص 33.

(2) جرجي زيدان: المرج الساق ص 16، وانظر ورواية أخرى تذهب إلى أن النطق والإسماع، إما كانا معرفين لدى كتاب العرب في الجاهلية (ككتف النجاشي 1467/1)، المحكم في نصوص المحاكمات، ص 34، حياة الله العربية، ص 70، مصدار الشعر العربي، ص 40-42.

(3) أنظر: مقدمة ابن خلدون ص 439-440، تفسير الطبري 9-10، 18-19، 30، 34، 44-45، 47-48، 68، 188.

(4) سيرة الفجر: آية 8-9، وانظر: تفسير البيضاوي 57/2، تفسير القرطبي 57/2، تفسير الطبري 185-186، تفسير الفرج النزلي 30-31.
مباغاته رواها أمثال كتب الأذكار ووهب بن منبه وغيرهما، فوصل إليها من أخبارها أن رجلاً كانوا طوالما كانا كالنخل، لم يكن للطبيعة تأثير على أبناءهم لغلوطهم ومتانتها، وأن عداؤاً زوجاً امرأة، وعاش ألف سنة ومئتي سنة، ثم مات بعد أن رأى من صبي أربعة آلاف ولد، كما رأى كذلك البطن العابر من أعقابه، وكان الملك من بعده في الأكبر من ولده، وهو شديد الذي حكم 980 سنة، ثم خلفه أخرى شداد، حيث حكم 900 سنة، سيطر فيها على ممالك العالم، وبنى مدينة إرم ذات العماد (1) (الامير الذي أشرتنا إليه في المقدمة).

وهناك (ثانياً) ما تابع العرب فيه اليهود، وأعني به رد كل آمة إلى أب من أباء التوراة، حتى المغول والترك والفرس، فما يبى دا نسب الفرس إلى فارس ابن ياسر بن سام، وقس على هذا تعليل أسماء البلاد، وردته إلى أسماء من يظنون أنهم مؤسسوها، بما يشبه قول يهود، فما يبىصرام، إنما بناها مصر، وآشور بناها آشور، ومن هذا الباب كذلك قولهم، يعرب عن تكلم بالعربية، وأن سيما بما سمي كلاً كلاً لفظتها أو لفظة الجبيه، وهكذا (1).

وهناك (ثالثاً) اختلاف الأخباريين في الأنساب، حتى أنهم لم يتفقوا إلا في التقليل من أسماء الملوك والأمراء، وإن كان الأمر جد مختلف بالنسبة إلى فريق، وهناك (رابعاً) أن العرب كانت تصرف في الأسماء غير العربية، بمثابة حروفها وتفاوتها، ومن ذلك اختلافهم في ذري القرنين بين أن يكون الصعب بن مهلان من مملوك اليمن، أو أن يكون الاسكندر المقدوني (3)، وقرب من هذا ما فعلوه.

---
(1) مورج الذهب 12-13، جرجي زيدان: تاريخ 언دي الإسلام 6/3 محمد مركل ناعي: المرجح السابق ص 34.
(2) المسيد: مورج الذهب 12-14، جرجي زيدان: العرب قبل الإسلام ص 100.
(3) جرجي زيدان: المرجح السابق ص 18، ثم قال: مملك حمير وأيائل اليمن ص 114 (المطبعة السلفية، القاهرة 1378هـ).
بملك مصر على أيام الفراعين، فملك مصر على أيام يوسف، عليه السلام، إذا هو الريان بن الوليد بن المروان بن أراش بن فارس بن عمرو بن عملاق بن لاوذ ابن سام بن نوح، وأن فرعون موسى عليه السلام، إذا هو قايوس بن مصعب ابن معاوية، صاحب يوسف الثاني، وكانت إимانته كاسية بنت مزاحم بن عبد لين الريان بن الوليد، فرعون يوسف الأول، وأنها من بني إسرائيل على ما يرى بعض الرواة (1).

ولست أدرى - علم الله - من أين جاء المؤرخون الإسلاميون بهذه الأخبار، والثورة - على فرض أنهم تقولوا عن يهود - لم تذكر هذه الأسماء أبداً، والأمر كذلك بالنسبة إلى القرآن الكريم، فضلاً عن أن الفراعين المصريين - كما نعرف من أسمائهم - ليس من بينهم من يحمل هذه الأسماء، ولكنه الخالط وادعاء العلم، أضيف إلى ذلك بأن الزعم بأن فرعون موسى، هو صاحب يوسف الثاني أمر غير مقبول، فمن المعرف تاريخياً أن الفترة ما بين دخول بني إسرائيل مصر على أيام الصديق، وخروجهم منها على أيام الكليم، عليه السلام، حوالي 430 سنة (2)، فهل حكم هذا الملك المزعوم قايوس بن مصعب، هذه القرون الأربعة، والتاريخ يحدثنا أن مصر لم تعرف الحكم الطويل لمملوكها (إذا إشتنتنا بي الثاني)، وقد حكم

---

(1) عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم ابن الأثير: الكامال في التاريخ، الجزء الأول، يروى 1207. تفسير القرافي ص 307، طبعة دار العبد. محمد رضا:

(2) تفسير سيرة يوسف ص 38، الطبري، تاريخ الرب والملك ص 436، محمود خليفة، سنة 1329، ابن كثير: البداية والإنتهاء 329/1، تاريخ ابن علوي ص 31-766، مرير الذهبية 11/1، محمد زينعل: المرج الساق ص 274.


التوجه: مقر الخروج 40-41: ثم انظر عن دخول بني إسرائيل مصر وخروجهم منها.

كتابنا (إسرائيل) ص 265-239.
94 سنة، ورغم سنة الثاني، وقد حكم 77 سنة، وفرق كبير بين حكم يقرب من القرن من الزمان، وحكم يقارب قرناً أربعة، والأعجب من ذلك أن يجعل بعض المؤرخين الإسلاميين آسيا إمرأة فرعون، حنيدة الربان مرة، ومن بني إسرائيل مرة أخرى.

وهكذا يبدو بوضوح أن الخلط من ناحية، والإسرائيليات من ناحية أخرى، قد لعب دورًا كبيرًا في مسح بعض هذا التاريخ الذي كتب المؤرخون الإسلاميون عن العصور التي سبقت الإسلام بآمال طويلة.

ورغم ذلك كله - والحق يقال - فإن المؤرخين الإسلاميين قدموا لنا الكثير من المعلومات التي يمكن الاعتماد عليها في التاريخ لعصور ما قبل الإسلام، وأن كثيرًا منهم قد اتفقوا تلك المبالغات التي جاءت فيما كتب البعض منهم، كما أن كثيرًا منهم كذلك قد نوهوا إلى الإسرائيليات والنصاريات التي تسلطت إلى التاريخ العربي القديم.
الفصل الثاني
تاريخ البحث العلمي
في العصر الأكدي في تاريخ العرب القديم

ظل التاريخ العربي القديم - كما أشرنا من قبل - حتى أخريات القرن الثامن عشر الميلادي، يعتمد في الدرجة الأولى على ما جاء عنه في كتب اليهود واليونان والرومان، فضلاً عن المصادر العربية بأنواعها المختلفة، إلى أن بدأ الأوروبيون يهتمون في العصر الحديث بلاد العرب، لأسباب كثيرة، منها الرغبة في معرفة ما كان يجري في مكة والمدينة، إذ أظهر ذلك الموضوع خيال الأوروبيين، بخصوص وأنالمدينتين المقدستين محرمتان على غير المسلمين (1)، ومنها الرغبة في السيطرة على تلك المنطقة بعد أن اندفعت الغرب إلى الشرقين - الأقصى والأوسط - مما جمل دراسة هذه المنطقة ضرورة سياسية بالنسبة إلى أوروبا، ومنها أن الأوروبيين في أسفارهم إلى الهند - عن طريق البحر الأحمر ومصر - سمعوا ما ينثاثه سكان شواطئ اليمن وحضرموت عن آثار الأبنية المدفونة في رمال تلك البقاع، وما عليها من كتابات لم يستطيع العرب - ولا اليهود - قراءتها (2).

(1) أحمد فخري: دراسات في تاريخ الشرق القديم ص 146.
(2) جرجي زيدان: المرجع السابق ص 24.
وهوذا بدأ فتر من المستشرقين في طلبة القرن السابع عشر والثامن عشر يطلقون إلى ضرورة الإعتماد على مصادر أخرى، من كتب وقصص، توضح ما خلي من هذا التاريخ، كما دفعهم الكتب القصصية التي نسجها مؤرخو العرب والرومان والعرب، وما حفلت به الكتب المقدسة عن ملكة سبيا وسلمان، إلى التفكير في الكشف عن التراث القديم لبلاد اليمن.

واصل ادراك من هذا كله بدأت رحلات الأوروبيين إلى شبه الجزيرة العربية، ثم تلتها بعثات علمية متواصلة انتهت إلى مختلف أنحاء بلاد العرب، لكنشف لنا عن الحضارات العربية المختلفة، وكانت نتيجة هذه البعثات أن حصلنا على كثير من المعلومات التي تلقى أشرة قوية عن الماضي العربي المجيد، ونستطيع أن نستنتج جهد الأوروبيين من مغالين ورحلات وبعثات علمية - في هذا السبيل - على النحو التالي.

أولا: في جنوب شبه الجزيرة العربية

لم تتم الفترة ما بين عام 1512 و1756، بل غالبي من الرحلات الأوروبيين إلى جنوب شبه الجزيرة العربية، ففي عام 1512 يهاجم الفينو ديز بوكيرك، ميناء عدن، بعد أن استولى البريطانيون على مجموعة حصن في جنوب بلاد العرب، وكان قد وصل خطوة دقيقة، يستولي بها على الجماعات النافرة، على صاحب أصل الإصلاح والسلام، ثم تطلب في مقابل ذلك كثرة القتال، ولكن الله رز كيده في نصره، ويعضوه ويعكر الله وفقه خير المكارين، فبائت قواته بفضش ذريع أمام أسوار عدن الحقيقية، كما أدى ذلك إلى أن يقوم الأتراك المسلمون بالإستيلاء على اليمن، بعد حملتين بحرية في عام 1519، 1538.

أحمد طيري: اليمن ماضيها وحاضرها ص 77 (القاهرة 1937).
(1)
(2)
(3)
وقت تقلة إلى العبرية: قديم قبل، تحت عناوين اكتشاف جزيرة العرب، 1963، ص 58-68.
لا أن الفضل الأكبر في الاكتشافات العلمية بلاد العرب إبان القرن الثامن عشر، إنما يرجع إلى الأئمة، وربما كان العالم ميخائيل هو أول من وجه الأنظار إلى بلاد العرب، وإلى الصلات القوية التي تربط بينها وبين العلم المتصلة بالكتاب المقدس، ومن ثم فقد أقطع فردريك الخامس ملك الدانمرك، برسالة بعثة علمية إلى بلاد العرب (1)، تحركت من ميناء كوبنهاجن في 4 يناير 1717م، ووصلت إلى ميناء القنافة في 29 أكتوبر 1717م، غير أن النتائج بدأت تحل بنا يوماً بعد آخر، حتى لم يبق من أعضائها على قيد الحياة، غير الضابط الصغير كارستن نيوور، الذي أخذ على عاتقه تنفيذ الخطأ الذي رسمت للبعثة، ومن ثم فقد قرر ألا يعود إلى وطنه، إلا بعد أن يحقق الهدف، وقد برر الرجل بوعده، ولم تطلق قدمه أرض كوبنهاجن إلا في عام 1797م، بعد أن قطع رحلة طويلة ماراً بالبصرة، وبغداد، والموصل، وحلب، والقدس، وقبرص، واستنبول.

وبالرغم من أن أربعة من الباحثين قد ماتوا، إلا أن النتائج التي توصلت إليها هذه البعثة كانت أفضل نتائج البعثات العلمية في ذلك الوقت، وما زالت المعلومات التي دونها نيوور مرجعًا أساسيًا عن اليمن حتى الآن، فضلاً عن أنه نفت أنظار العلماء إلى "المستند" والرقم العربي، إلى جانب ما قدمه من خرائط لأماكن مجهولة.

(1) نفس المرجع السابق من 56-57،
(2) تكزية البعثة من: كريستنس فون هافن، المتخصص في النباتات الشرقية، و بيتر فورسكال، المتخصص في علم الحيوان، وكريستنس كارل كريستر، الطبيب، وجورج فليم بورفليند، الرسام، ثم كارستن نيوور، لعمل التراث وتدوير المعلومات الجغرافية.
لم تكن قد وطأت قدم أوربي قبل ذلك (1) ، هذا وقد وضع هذا الرحلة المتائر كتابًا عن رحلته باللغة الألمانية ؛ ظهرت له أكثر من ترجمة فرنسية وإنجلزية (2) .

شجعت رحلة د. نيوترو ، العلماء على مواصلة البحث عن التقوس العربية الجغرافية ، ثم كانت حملة نابيون بونابرت على مصر في عام 1798 م ، وكشف حجر وشيد في العام التالي ، ثم الجهود المضنية التي بذلها العلماء من أمثال أوكبلاد عام 1802 م ، ود. توماس بينج عام 1814 م ، وأخيرًا جاء د. جان فرنسوا شامبينون (1790-1826 م) الذي تمكن من حل رموز الهيروغليفية المصرية (3) .

كل ذلك وغيره دفع الباحثين إلى القيام برحلات كثيرة إلى بلاد العرب .

وفي 8 أبريل من عام 1810 م ، يصل إلى الحديدة الدكتور أورليخ جساير ستيزن الألماني ، وتمكن من الوصول إلى ظفار حيث يُشجع في العثور على التقوس التي أشار إليها نيوترو ، وفي نسيخ خمسة تقوس بالقرب من ظفار تعتبر أولى التقوس العربية الجغرافية ، إلا أن الرجل سرعان ما استمع في ديسمبر عام 1811 م ، في ظروف غامضة في تعرّف أن صنعوه يبدو أعراب أو يبد الإمام نفسه (4) .

وفي عام 1834 م ، يدخل الأنجلز الميدان ، وتمكن الضابط جيمس وود من زيارة جنوب بلاد العرب ، واكتشاف حصن الغراب ، ونسخ نقش كتابي

(1) د. رالف نلسون : المرجع السابق ص 2-3 ، أحد فناني : الين مانيني براماجيرا ص 77-99 ،
(2) دراسات في تاريخ الشرق القدوم 1501-1949 م ، جاكيلين بيرين : المرجع السابق ص 148-154 ،
R.A. Nicholson, A Literary History of the Arabs, P. 7
J.B. Philby, EB, 14, 1929, P. 169.
(3) جوايد على 1484
Carsten Niebuhr, Description de L’Arabie, Copenhagen, 1773.
Voyage en Arabie, Amsterdam, 1774-80,
A. Gardiner, Egypt of the Pharaohs, P. 21-14.
(4) د. رالف نلسون : المرجع السابق ص 9
وجده مسجلا عليه، يرجع تاريخه إلى عام 1255 م، ثم يقوم وولستيد في العام التالي برحلة إلى غرب وادي ميفة، حيث يعبر هناك في نقب الهجر على يقافيا مدينة أو خصين (1).

وفي عام 1835 م، تمكن هونتن من إضافة عدد جديد من التقوية، والأمر كذلك بالنسبة إلى كرونتن الذي جاء عام 1828 م يقوش جديدا، وكذا الذكور مايكل الذي زودنا بخمسة تقوش سبعة، مما ساعد على حل روموز المند (2).

وفي عام 1843 م، تمكن الرحالة الألماني، أدولف فون فريدة من ارتياح الصحراوة المعروفة باسم بحر الصانى أو الأصحاب، شمالي حضرموت، حيث اكتشف في سهل ميفة الشرقي في وادي أوبه، يقافيا حائط قديم، عليه نقش حضري عرف به بنتش أوتة (3).

وقد تميز هذا العام كذلك برحلة الصيدلي الفرنسي جوزيف فوما أرنو، الذي يحج في 12 يوليو 1843 م في السفر من صنعاء إلى مأرب، فار فرائبة، وفحص يقافيا أسوار في مأرب، وكذا معبد الهقر، إلى القمر، الذي تقوم آثاره خارج مأرب، والذي يطلق العرب عليه اسم محرم بلقيس، هذا إلى جانب تقله لـ 59 سنة تبيانية وما بناه، وقد قام فرنشا، القنصل الفرنسي في جدة بنشر هذه التقوية عام 1845 م، أما أرنو نفسه، فقد أثمر على رحلته وفقد تسره حيتاً من الدهر، بسبب ما تعرض له من أمطار عند عودته من صنعاء إلى تشالي في بلاد تهامة (4).


(1) ديثوف تلنس: المرج العابد ص 8 و7 وزكا.
(2) وكرفا، جوان على 126 وزكا.
(3) ديثوف تلنس: المرج السابق ص 9-8.
(4) أحمد فخري: دراسات في تاريخ الشرق القديم ص 100.
وفي عام 1860م نجح الضابط الإنجليزي ه. كولجلان في شراء مجموعة كبيرة من النقوش، عثر عليها في أنقاض مدينة عمران عام 1858م، ومن بينها تماثيل وأحجار مكتوبة وألواح من النحاس لا يقل عددها عن الأربين (1).

وفي تلك الأثناء نجح العلماء في ذلك رموز هذه الكتابة العربية الجنوبية وأطلقوا عليها اسم الحروف الحميرية، ولكن سرعان ما تبين لهم أن هذه النقوش ليست كلها حميرية، وأن بعضها نصوص معبية، وبعضها الآخر سبعة، بل إن فيها نصوصاً تختلف عن الحميرية بعض الاختلاف، وهذه الكتابة هي المسماة بخط المستند، وبالقليل المستند، والمستند في الموارد العربية (2).

وبذات فرنسا، تنتمي للأم، ومن ثم فقد رأت أكاديمية الفنون والآداب الجميلة في باريس عام 1869م، إصدار موسوعة النقوش السامية: (Corpus Inscriptiorum Semiticarum).

وأختار المستشرق الفرنسي اليهودي جوزيف هاليفي، لرئاسة بعثة إلى اليمن، لتزويد الموسوعة بنقوش جديدة، وكان اختيار هاليفي اختياراً مؤقتاً، فهو كيهودي يستطيع أن يتجول بين أفراد القبائل العربية المستقلة بكل حرية، لأن اليهود كانوا يعاملون في اليمن معاملة اللبذيتين، فلا يسمح لهم بحق من الحقوق إلا ما تجود به النفس العربية مدعومة بعمل الرفق والطفلك، ومن ثم فلا يسمح لليهودي مثلنا بجمل السلاح، كما كان المسلم ينظر إليه نظرة كلهما احتقار، وفي نفس الوقت، فإن الشهامة العربية إذا كانت ثقيلة بمثل الإعتداء على اليهودي الأعزل، لأن ذلك الإعتداء إذا كان يشير إلى الكرامات البدوية التي رأت أن تقتل اليهودي لا يختلف عن قتل المرأة أو الطفل (3).

وهكذا بدأ هاليفي رحلته في عام 1870م، وحينها وصل إلى عدن، وتلقى مموهة إجابة اليهودية فيها، فضلاً عن خطابات التوصية لكل يهود اليمن.

(1) نفس المرجع السابق ص 102
(2) ج. عل. 127/1
(3) نفس المرجع السابق ص 12

-66-
تم تزويج يهودي فلسطيني في القدس، ثم زار بقائما القليس في صنعاء، ثم أصبح معه يهوديا يداعي حايم حبشون، وزار كل جهات اليمن تقريبا، بما في ذلك مأرب وعمران والجوف، الأمر الذي لم يحقق لغيره من قبل، وأخيراً عاد إلى فرنسا، ومعه 376 نقاشاً، لم يكن من بينها إلا واحد عشر نشأ سبب أن نقلها أرتو ونشرها فرزى، ومع ذلك فاهم نتائج الرحلة لم ينكن في كمية النقوش، بقدر ما كان في المعلومات الجديدة التي جاءت بها هذه النقوش، فضلاً عن بعض الآثار القديمة التي رآها إلى جانب معلومات كبيرة عن حياة بعض القبائل التي زارها في داخل البلاد.

على أن أعظم اكتشافات هاليفي، إنها كان خرائب قرناو، عاصمة دولة معين، والمعروفة اليوم بمعين، وكانت تتبع على مرتفع حصين تحيط به الأسوار والأبراج، فضلاً عن النقوش التي تشير إلى أن براش، الحالية، إنها كانت تستعمل في العصور القديمة ببطول، هذا إلى جانب مدينة السوداء التي يعتقد هاليفي أنها كانت مدينة قديمة صناعية.

وفي عام 1882م، قام المستشرق المساوي، سيفنريك لأجبر، المتخصص في اللغة العربية برحلة إلى اليمن، حيث غرب على نقش حميري هام بالقرب من ظران، كما حصل على نقش أخرى على مقربة من ضاف، التي بحث عنها سيزون دون جدوى، كما تمكن من نسخ عدد من النقوش في صنعاء، فضلاً عن نسخ بعض النقوش الأخرى في صنعاء، وبناءً على ذلك

أحمد فخري، المراجع السابق، ص 33، وكذا


(2) دينفالي نلسن، المراجع السابق، ص 14، وأنا أعلم الأبحاث التي نشرها هاليفي عن رحلته، فهي:


عن الحصول على تقرش من عدن، لم يعرف موطنها الأصلي، من بينها نقش حضرمي
له أهمية تنموية، على الرغم مما يلي من تفاصيل:

وجاء "إدوارد جلزار" - تميز بـ "مولر"، والذي ترجم البذور الثاني من "الإكليل" إلى اللغة الألمانية - فقام فيما بين عامي 1882 و1892، بثلاث رحلات إلى اليمن، كانت ذات تفع كبر في تاريخ البحث العلمي، وقد أعاد جلزار نفسه للمهمة إعدادًا طبيًا، فرغم أنه كان استاذاً للغة العربية، فقد أقام قبل رحلاته إلى اليمن - فترات في تونس والقاهرة، ليتمكن من اللغة العربية، وليتعرف على العادات العربية، وأخيراً رغم أنه يهودي، فقد ادعى الإسلام، وارتدى زي عناصره وسمى نفسه الحاج حسين.

وقد بدأ جلزار رحلته الأولى في أكتوبر 1882، في رحلة حملة تركية جردت لفتح مدينة "سويدة" التي كانت تتأصب الحكومة العثمانية، وفي هذه الرحلة زار المنطقة الوسطى، وعاد إلى فرنسا في مارس 1884، ومعه 250 نشأ، ثم كانت رحلته الثانية، فيما بين أبريل 1885، فبراير 1886، وقد اهتم فيها بالمنطقة الواقعة بين عدن وصنعاء، كما زار "ظلمار" ونسخ عددًا كبيرًا من النقش العبري، وقد أضيفت فيما بعد إلى ممتلكات المتحف البريطاني.

وفما بين عامي 1884 و1886، قام برحلته الثالثة، التي زار فيها "مأرب" ورسم تخطيطات لآثار القرون والسند الذي القديم، كما رسم خريطة جغرافية للمناطق التي زارها، فضلاً عما قدمه من وصف لآثارها، وفي رحلته الرابعة (1892 -

---

1. H. Derobernat, Inscriptions, The Glaser Collection, in the Babylonian and Oriental Record, 1. 1887

2. Delacy O'leary, Arabia before Muhammed, P. 221.
وقد تسليح جمع مئات من القروش الهامة، دون أن يذهب نفسه إلى تلك المناطق الخطرة البعيدة، ومن هذه القروش تشبث سراوح، الذي يرجع إلى أقدم عصور الدولة البيزنطية، فضلاً عن مجموعة من العمالات العربية القديمة، ضمت إلى مقتنيات متحف الفنون ببيتا، كما نُشر الكثير منها، وإن لم يمَّ للآن نشر كل أعماله.

وتآثرت أكاديمية الفنون ببيتا بنتائج رحلات جلارن، فأخرجت عام 1898 م، إرسال بعثة إلى جنوب بلاد العرب، يشرف عليها وولور و لندرج، غير أن الإنجليز لم يسمحوا لها بالتوغل داخل اليمن مستغلين قوتهم هناك، فذهبت إلى حضرموت لزيارة الحرائب القريبة من شبه أقام العرب العقبات في طريقها، مما اضطرها إلى العودة بعد أن بلغت عزان، وإن تمكنت من طبع نقوش قبب المجر وأورنة وحصن الغراب، وفي يناير 1899 م، توجهت إلى سوق وشداري، شرفت فيها بعد اللغة الحديثة في الصومال ومهرة وسماء وشماوري، ونشرت أبحاثًا فيها بعد ذلك.

وتقام الحرب العالمية الأولى (1914-1918 م)، وتوقف هذا النشاط العلمي المتزايد، ولكن ما أن تضيق الحرب أوزارها، وتنازل اليمن استقلالها، حتى تبلغ الإمام يحيى الأبواب أمام البعثات العلمية والمغامرين سواء بسوا، وذلك إن كان أن الصراع الذي نشأ بين الإنجليز، بشأن قضايا عدن والمحويت، إلا أن الرجل كان مع ذلك - جرد حريص على الكشف عن آثار بلاده، ولكن بطربيته الخاصة، وهكذا - وعلى نفقة وفي العهد - بدأ البحث عن جديد عن آثار اليمن، ففي عام 1331 هـ، قام كل من كارل راتيزي و فون فيسمان برحلات متعددة.

O. Weher, op. cit., P. 12.
D.H. Muller and N. Rhodokanakis, Eduard Glasser, Reise Nach Marib, Vienna, 1913.

(1) دبلف نيس: المرج الساق من 21-22 م، وكذا
(2) دبلف نيس: المرج الساق من 23 م.
إلى الحبشة وحضموت واليمن، وقاما بأول حفائر في منطقة النخلة الحمراء وغيزان وحلف شمالي صنعاء، إلا أن البقت سرعان ما أحاطت بها، كما أن الحفائر لم تكن منظمة، وعلى نطاق ضيق، حتى أن الرجالي لم يبسط لها مطلقاً – رغم إقامتهم ليلةٍ قصيرة في اليمن – أن يزروا آثار مأرب أو الجوف، إذ لم تسمح لهما السلطات بالسفر مطلقاً إلى شرقي وشمالي صنعاء، وقد نُشرت نتيجة أبحاثهما الجغرافية والأثرية في مؤلف من خيرة الكتب عن اليمن، وهو كتاب في ثلاثة أجزاء، خصص الجزء الثاني منه للآثار.

وفي عام 1361 م، تمكّن الرحالة الإنجليزي برترام توماس، والذي كان وزيراً لمالية في حكومة سلطان مسقط، مما أتاح له الفرصة لمعرفة الكثرة من أحوال جنوب بلاد العرب، وزيارة الأماكن التراثية، ودراسة أحوال تلك البلاد وما فيها، تمكّن من اجتياز الربع الخالي، أو ما يسمى صيد، كما كان يعرف ياف، في 8 يومناً، فكان أول أوروبي جرد على اجتياز هذه المنطقة، وقد كشف توماس هناك عن بحيرة ملحّة، يتجه البعض إلى أنها كانت من متفرعات الخليج العربي، كما عثر على آثار جاهيلة، لم يعرف عنها شيء حتى الآن.

وتابع جون فلي توماس في اجتياز الربع الخالي، فسفر في 7 يناير 1932 م، من البحرين إلى واحة عين بيرين، ومنها توجه جنوبًا إلى الربع الخالي في متوسط نقطة عند

(1) أحمد فخري: اليمن ماضيها وحاضرها ص 83، 167-170، 265، ودراسات في تاريخ الشرق غير
S.C. Rathjens and H. Von Wissmann, Sudarabien — Reise Band, 2
Vorislamische Altertumer, Hamburg, 1934.
Ency. of Islam, I, P. 370
Ency. of Britannica, 2, P. 173
El, I, P. 183
Hand Book of Arabia, by British Admiralty, I, P. 11.
(2)
(3) يافوت: معجم البلدان ص 448/3، وكذا
(4) الفارسي: كلاً
(5) توما: كلاً
نشر نيفا حتى وصل إلى بلدة سليل في منتهى وادي الدواسر (1)، وفي هذه الرحلة زار عسير ونجراة وشبوه وتريم، ثم وصل السير حتى بلغ البحر، وقد نشر رحلته هذه في عام 1339هـ.

وفي عام 1339هـ سمحت الحكومة اليمنية للصحفي السوري نزيه مؤيد العظم بزيارة مأرب، ومن ثم فقد حصل على معلومات ذات قيمة، نشرها في عام 1338م (2)، ثم قام فيكمانز (3) بدراسة التقوس التي حصل عليها نزيه العظم.

وفي نفس عام 1366هـ أرسلت جامعة القاهرة بعثة علمية إلى ساحل بلاد العرب، تحت رئاسة الدكتور سليمان حزين، كانت مهمتها دراسة المنطقة من نواحيها الجغرافية والزراعية والبيئية - وكذا دراسة التقوس السبئي - إلا أن نشاط البعثة الأثري اقتصر على المنطقة المحاذية إلى بلدة ناعط (4)، وقد نشر الدكتور حزين والدكتور خليل نامي بعضًا من نتائج البعثة (5).

وفي عام 1373هـ، قامت ثلاث رحلات أوروبية (6) كاثرين طمسون، أ. جاردنر، ف. شركر (7) بمرحلة إلى حضرموت لمجح خلافها في الكشف عن معبد الإله الشم. وفي وادي عميد، مقابل حريضة، وعن وصلة من وسائل الردي التي كانت مستخدمة هناك قبل الإسلام في وادي ييش، كما عثر على عدد من التقوس، وقد ظهرت نتائج الرحلة في كتاب أصدرته كاثرين طمسون في عام 1444هـ (8).

١) فؤاد حمزة: قلعة جزيرة العرب ص ٣١.


٣) نزيه مؤيد العظم: رحلة في بلاد العرب السبئية (الجزء الأول) من مصر إلى صنعاء، والثاني: من صنعاء إلى مأرب، القاهرة، 1938.

٤) G. Ryckmans, Inscriptions Sud-Arabes, 7ème Serie, le Museon, 55, 1942.

٥) خليل داهي نامي: نشر نقوش سامية قديمة من جنوب بلاد العرب وشرمها، القاهرة، 1943.


هذا وفي نفس العام (١٣٣٧) قام فان در موبلن وأفون فيسمان بالتعاون مع أفون فيسمان وفون فيسنيسكي برحلة أخرى (غير رحلتهم الأولى التي قام بها عام ١٣٣١) ، أتت بفوائد كثيرة لعلم اللغات السامية (١) .

وهل هناك غير هذه الرحلات العلمية ، رحلات سياسية المظهر والمخبر ، كتلك التي قام بها هارولد وانغرام ، وقد أفادتنا من الناحية الجغرافية ، وزادت معلوماتنا عن أقليم حضرموت (٢) ، ثم هناك رحلة هاملتون إلى شبوه في عام ١٩٣٨ ، هذا إلى جانب رحلات تجري في عامي ١٩٤٥-١٩٤٦ إلى بلاد العرب السعيدة (٣) .

وفي عام ١٩٤٥، تعزز أسراب الجراد اليمن ، وتستفيح حكومة الإمام بصر ، طالبة منها العون في رد هذا الكرم ، وتسرع جامعة القاهرة بإرسال الأستاذ محمد توفيق -عضو بعثة عام ١٣٣٦- لدراسة هجرة الجراد في بلاد العرب ، والبحث عن وسيلة لإقناذ اليمن منها ، وينتهي الأستاذ محمد توفيق القصة ، فيزور آثار الجوف ، ويتكلم كثيراً من التقوش وأخذها صورة «فوتوغرافية» ، وقد نشرت هذه التقوش في القاهرة في عامي ١٩٥١-١٩٥٢م (٤) ، كما قام الدكتور خليل يحيى نامي بنشر تقوش خرية براقش ، على ضوء مجموعة الأستاذ محمد توفيق (٥) .

وفي عام ١٩٤٧، يقوم أستاذنا الدكتور أحمد فخري - طبيب الله ثراء - برحلة إلى اليمن ، يزور فيها مناطق صرواح ومارب وما حولها ، وكذلك جميع

Van der Meulen and Von Wisssmann, Hadramaut, Some of its Mysteries (١)
Unveiled, Leiden, 1932.

Harold and Ingrams, Arabia and Isles, London, 1942-43. (٢)
A. Hamilton, The Master of Belhavan. (٣)
GJ, 100, 1942, P. 103-123.

(٤) أنظر : محمد توفيق : آثار معين في جوف اليمن ، وكذا : تقوية خرية معين » ، وكلاهما من منشورات المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ، في عامي ١٩٥١ ، ١٩٥٢م .
(٥) خليل يحيى نامي : تقوية خرية براقش ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، المجلد ١٦ ، الجزء الأول ، مارس ١٩٥٤ ص ١-٢١.
مواقع الحضارة المعينية في الجوف، وقد عثر أستاذنا في رحلته هذه على نحو
130 نقاشا جديدا لم تكن معرفة من قبل، كما أخرج مجموعة من الصور (الصورغرافية)
لكل ما رأى من آثار، وكانت مجموعة هذه أول صور فوتوغرافية، OVANGEY انتشر
عن سد مأرب والمعابد المختلفة، وقد نشر نتائج رحلته هذه في بعض مقالات،
وفي كتاب أصدره عام 1952م، في ثلاثة أجزاء، إقتصر الجزء الثاني منها على
النقاش التي فحصها وترجمها الأستاذ ريمانز (1).

وكان عربية حتى ذلك الوقت لم تدخل الميدان العلمي في اليمن، ومن ثم فقد
نظمت مؤسسة دراسة الإنسان الأمريكية (The American Foundation for the
Study of Man) في الفترة ما بين عامي 1950، 1951 م، بعضين علميين برتبة
"ويندل فليس "، ضمت بين أعضائها الأثري المشهور وليم أويلر. "،
إيجهت الأولى إلى الحفر في " ييجم " بحضرموت، وأيجهت الثانية إلى اليمن، إلا أن
بعثة " فيليس " كانت للأسف غير موفق في صلتها بالحكومة اليمنية، ومن ثم فلم
تمكن من إتمام حفر المساحة الأمازيج لعبد محمد بليسي على مربة من مأرب،
ولكن الأساليب القليلة التي قضتها البعثة هناك كانت كفيلة بإظهار كثير من المباني
والنقاش البديعة، وإظهار مدى التحال الذي ينتظر أية بعثة علمية تقوم بالحفر في
هذه المناطق البكر (2).

وهكذا تمكنت البعثة من الحصول على نتائج جديدة لم تكن معرفة عن تاريخ
قتان وسيا، فضلا عن حفائرها في "ئل هجر بن حميد " الذي كشفت فيه عن
 كثير من الفخار الذي يرجع إلى ما قبل الميلاد ألفية سنة، كما كشفت عن معابد
وقصور في " تمتع " العاصمة القتبانية القديمة، والتي يتجه البعض إلى أنها خربت

(1) أحمد فخري: اليمن، ماضيها وحاضرها، القاهرة 1958، دراسات في تاريخ الشرق القديم،
القاهرة 1957 وكذا

Ahmed Fakhry, An Archaeological Journey to Yemen, 3 Vols, Cairo, 1952.

(2) أحمد فخري: المراجع السابق ص 57-158-1958. 77
لأول مرة في حوالي عام 25 ق.م. (1)، وأما في مأرب فقد كشفت البئثة عن معبد الإله القمر، وعن معبد مأرب، وعن خراب ترجع إلى القرن السابع ق.م. كما عثرت البئثة على كثير من الآثار البصرية والرخامية وبعض النقوش السببية (2)، وأخيرا فقد ظهرت في الصحف بعض المقالات عن حفائر البئثة، فضلاً عن كتابين، الواحد منهما للقارئ المادي كتبه وندل فيلس، والآخر تقرير علمي واف عن الحفائر (3).

وفي عام 1952 م، وبينما كانت البئثة العلمية قد توقفت عن عملها في مأرب، كانت هناك بعثة جامعة الدول العربية في صنعاء، تقوم بنزول المخطوطات العربية النادرة في اليمن، وهي تشعب حكومة اليمن من الدكتور خليل يحيى نامي - رئيس البئثة والأستاذ بجامعة القاهرة، والمخصص في التنويع اليمنية - أن يضم إلى بحث فحص ما تركه الأمريكيون، وتقديم تقرير عما كانوا يفعلونه. ومن ثم فقد تيسر له أن يزور المنطقة، وأن يأخذ ما كثيرةً من الصور والميزوغرافيا (4).

وفي عام 1959 مر، قام أستاذنا الدكتور أحمد فخري - أستاذ تاريخ مصر الفرعونية والشرق الأدنى القديم بجامعة القاهرة - برحلته الثالثة إلى اليمن - وكانت رحلته الثانية في عام 1948 م، وفيها زار مأرب وآثارها للمملكة الثانية، ونقل نقوشاً جديدة لم تكن معرفة من قبل، كما نجح في الوصول إلى موقع معبد في منطقة المساجد، وهو معبد كبير في حالة لا يتأثر بها، وقد شهد ببعضه يقع إلى دريح (5).

R.H. Sanger, op. cit., P. 241

(1) قراء قسن: المجلة السابع ص 259 وكذا
(2) قراء قسن: المجلة السابع ص 260-261
(3) قراء قسن: المجلة السابع ص 259


وقد ترجمة عصر الديراوي تحت عنوان كورن مدينة بلقبس، قصة اكتشاف مدينة سبا الأثرية في اليمن، يورون 1956 م. ونظر كذلك: أحمد فخري: المجلة السابع ص 158، وأدا التقرير المذكور.


(4) أحمد فخري: المجلة السابع ص 158

- 74 -
والذي شيد كذلك معبد صرواح ومعبد مأرب، وبالرغم من أن اسم هذه المنطقة الآثارية كان معروفاً لنا من روايات البدو، فقد ظل أشبه بmostatية، ولم يسبق للأثريين من قبل زيارته أو أخذ صور فوتوغرافية له.

وأخرى، وفي عام 1960، عادت البعثة الأمريكية للحفر في ظفار، بعثمان، لإكمال ما بدأته في المرافق الأولى، حيث كشفت عن بعض الجوانب في تاريخ هذه المنطقة التابعة لسلطنة عمان (1)، هذا وقد تم كذلك تقنيات في ظفار عام 1968م، بإشراف بعثة منحف أهرودس الدكنركية، وفي مهرجان في عام 1968م كذلك، بواسطة معهد سيمشوفنيان بواشنطن (2).

ولعل من الجدير بالذكر هنا أن الزميل الأساتذة شرف الدين قام بعدة جولات في مناطق الآثار في بلاده اليمن، زار فيها مارب والجوف وظفار وبيحان، والخان، وزمارة ورداع وهيدان وأربح، عاد منها وفهي حوزتها مثل من الصور الفوتوغرافية والنسخ الخطية والأبحاث والخرائط، أصدر أول كتاب له عن لغة المسند في عام 1968م، ومتنيناً ترجمة عدد من النقوش وبعض الملاحظات عن قواعد لهجات المسند كالمتغيرات والضبطية والائتمانية (3)، كما أصدر في عام 1975م كتاباً آخر عن اللغة العربية في عصور ما قبل الإسلام (4) تحدث فيه عن قواعد هذه اللغة، فضلاً عن نشر مماذج من نقوش حضرمية ومبتئية ومعينية وبدوية وليبية ومدرية وصوفية، وإلى علم بأنه قد انتهى من دراسة تاريخية، حقق فيها نصوصاً جديداً تحت عنوان مختارات من النقوش العربية القديمة (5).

(1) أحمد حسن شرف الدين: اللغة العربية في عصور ما قبل الإسلام، القاهرة 1975 ص 28.

(2) BASOR, 159, 1960, P. 14.

(3) أحمد حسن شرف الدين: اللغة العربية في عصور ما قبل الإسلام، القاهرة 1975 ص 28.
(4) نفس المرجع السابق ص 29.
(5) نفسه. تكريم المؤلف لكتاب الأساتذة أحمد حسن شرف الدين ص 31-26.
هذا، وقد بدأت جامعة الرياض تدخل الميدان، فأرسلت بعثة برئاسة الدكتور عبد الرحمن الأنصاري للتقليل في منطقة الفلاو (1) في الفترة (من 17/12/1399-1/5/1399) ثم لت других مواسم أخرى فيما بين عامي 1399، 1396 في مجاو增收 Technician من سفر حمحم قريه من شماله حتى جنوبه، فضلاً عن مجموعة كبيرة من شواهد القبور والوقفات الحجرية والقبور، والخزينة، إلى جانب بقع حجري تحتوي على نصوص وكتابات هامة بالخط المصد، وكذلك مجموعة من قطع النسيج، بالإضافة إلى آثار دقيقة كالمرازة والأضوار الزجاجية وأدوات الحياة وبعض السلال القضية والنجاسية، وقد أرخت هذه البعثة هذه القطع الأثرية، وكذا للمواقع الأثرية الهامة كالقصر الكبير بالقرن الثاني قبل الميلاد، والقرن الثاني الميلادي (2).

وعل من الأهمية بمكان الإشارة هنا إلى أن إدارة الآثار بوزارة المعارف بالملكة العربية السعودية – والتي أنشئت في 7/7/1398 - تقوم الآن بعمل منهجي لكل المناطق الأثرية بالملكة، وتهيئة القيام بحثات أثرية على نطاق واسع، وطريقة علمية.

والواقع أن هناك اهتماماً جدياً بدراسة الآثار في الجامعات السعودية، فقد أنشأت جامعة الرياض تخصصاً في الآثار بقسم التاريخ منذ العام الجامعي 1395/1995، كما قامت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في العام الجامعي 1396/1996.


(2) أطهر عبد الرحمن الأنصاري: كتابات من قرية الفلاو، مجلة كلية الآداب – جامعة الرياض، المجلد الثالث 1393/1343، وانظر نتيجة مراعاة آثار الفلاو 1394، وكذا
(1976/75) بإدخال مادة الآثار ضمن برامج الدراسة في قسم التاريخ بها، والأمل كبير في أن تتصر هذه الدراسات الأثرية قريباً، فترجح أجيالاً من علماء الآثار، تعقد البلاد عليهم آمالاً كباراً في الكشف عن تاريخ هذه الأمة العربية.

فلاياً: في شمال شبه الجزيرة العربية:

لم يكن حظ شمال شبه الجزيرة العربية ووسطها، بأقل من جنوبها، فإن آثار البراءة وسوريا الجنوبية، قد استهتكر عدداً من العلماء الأوروبيين، كما أن تحرير دخول المدينتين القدسين، مكة والمدينة، على غير المسلمين، قد ألم خيال الأوروبيين وزادهم رغبة في التعرف على ما يجري فيهما، وخاصة في موسم الحج، ومن هنا رأينا كثيراً من الأوروبيين يأتون إلى زارة الحرمين الشريفين متهفرين بذل لإنطقة مكة والمدينة إما كانت تحت حراسة مشددة، خشية أن يطال إليها الأوروبيين، وهكنا وجدنا من القادمين إلى وسط شبه الجزيرة العربية وشمالها، أنواعاً مختلفة من الرحلات الأوروبيين، من مغامرين وحجاج وباحثين.

ولعل أقدم ما نعرفه عن هؤلاء الرحلات هو "د - في فريقاً" الذي وصل إلى مكة قادماً من دمشق عام 1503 م، وإن كان هناك من يزعم أن "كابوت" الرحلة الكبير قد قام بزيارة مكة بين عامي 1476، 1490 م، وأن ملك البرتغال قد أرسل "ب د - في كوفيلا"، الذي كان يتكلم العربية، إلى شبه الجزيرة العربية في عام 1487 م، وذلك للتحقيقات وإمكانية الذهاب إلى الهند عن طريق البحر الأحمر، وأنه وصل فعلاً إلى عدن، ومنها إلى الهند، وسواء أصح هذا أم الآخر مجرد زعم كذاب، فإن هذه الرحلات لا قيمة لها من الناحية العلمية، وإن كان "د - في فريقاً" قد وصف لنا رحلته التي زار فيها الحرمين الشريفين في مكة والمدينة، وصفاً صحيحاً فيه كثيراً من الأخطاء الشائعة عنها لدى قومه الأوروبيين.


(1) في الترجمة العربية التي قام بها قديري 1951 م، تحت عنوان: "اكتشافات جزيرة العرب"، بيروت 1963، ص 33-34، 46.
على أن كتبات وذى فرتما، قد تأثرت إلى حد كبير بعقائدته الدينية، كما دلت على جهيل واضح بجغرافية المنطقة فضلاً عن تقديم معلومات ساذجة عن مشاهداته، حسب ذلك مثلما تشهره لعدد صدي الحمام الذي يكفر بعده، من أن المسلمين يعتقدون أنه سلبه تلك الحمام التي كانت تكلم النبي صلى الله عليه وسلم - بوصفها الروح القدس (1)، وفاته (أولاً) أن مكة بلاد الله الحرام لاجوز الصيد فيها، وليس كما زعم - لأن هذا الحمام ينحدر من تلك الحمامات التي كانت مولانا وجدنا وسيدنا رسول الله صلى الله عليه وعليه وسلم - نري من أين جاء بكل هذا؟، وفاته (ثانياً) أن المسلمين لا يؤمنون بحمام على أنه الروح القدس، وإما ذلك هو جبريل عليه السلام، ولعله في ذلك كان مثيراً بعقائده الدينية.

ومعها كذلك حديثه عن رمي الجمر، وأنه رمز لطاعة إسحاق، ودليل على الرغبة في الافتداء به، فقد جاء في التعاليم الإسلامية أن الشيطان حاول إقناع إسحاق بعدم اللحاق بأنه إبراهيم العازم على التضحية به (2).

وبدو هنا، مرة أخرى، أن ذى فرتما إذا يحدث بمنطق اليهود والنصارى وعقائده في النجاح حيث في موطن العرب أنفسهم، ونسي - أو تناسي (أولاً) أن الذي أعرب عن العرب - على الأقل - إنه هو اسماعيل، وليس إسحاق عليه السلام، وتثبيت (ثانياً) أنه في مكة، وليس في فلسطين، وأنه ماطرس إسماعيل، والثانية مستقر إسحاق، ولو كان الأمر، كما يرى ذى فرتما، لكان رمي الجマー في فلسطين، وليس في مكة، ومن ثم فلست أدرك من أين جاء بذكر إسحاق هنا (3).

ثم إن قوله إن مدائين صالح والعلا، إنما هما سدوم وعمورة، لا يدل على جهل واضح بجغرافية المنطقة فحسب، وإنما يدل كذلك على جهل بروايات النوراة.

---

(1) نفس المرجع السابق، ص 46.
(2) نفس المرجع السابق، ص 45-46.
(3) راجع قصة الله في كتابنا «إسرائيل» ص 192-193، ونفي الفعل الربع من كتابنا دراسات في التاريخ القراقي، أجزاء الأول.
كتابه المقدس، وخاصة حين يذهب إلى أن أهل سدوم وعمورة كانوا يعيشون على النسل والسلام، وأنهم كفروا بأعمال الله، فقليلهم بأعوجوبة منه (1).

والمعرفة (أو لآ) أن تلك قصة بني إسرائيل في النهاية (2)، وثانياً أن ما حدث في سدوم وعمورة، إذا كان أن قوم لوط عليه السلام كانوا يأنون الرجال شهوة من دون النساء (3)، ومن ثم فقد لم يمطر الله على سدوم وعمورة كبرياءً ونارًا من عند الرحب من النساء، وقبل كل المدن وكل الدائرة وجميع سكان المدن و notícia الأرض (4)، ومن هنا رأى بعض العلماء أن هناك شيئاً بين مصر قوم عاد وثورة من ناحية، وبين مصر سدوم وعمورة وبقية مدن الدائرة في عصر السليم (5)، من ناحية أخرى، ولعل هذا هو السبب في اضطراب فكرة دى فريتام (6)، ومن ثم فقد ذهب إلى أن مدائن صالح والخلا، وهما سدوم وعمورة.

وأيما ما كان الأمر، ففي عام 1509 م، يتابع دى فريتام رحلته إلى الجنوب، وهناك في عدن يتجه بأنه نصراي يتحمس للعبارات الذين كنوا سفينتهم نشطة أمام السواحل العربية الجزائرية، يقتحم القبض عليه، ويرشو في قصر السلطان تهيئاً لإعدامه، وهنا يتجه دى فريتام في كتاباته وجهة دينية، فيجعل من زوج السلطان إمرأة الرأي، يجعل من نفسه الصديق، ثم ينتهي مغامرته الفاشلة بالرحيل إلى بلاد الفرس ثم الهند، حيث يقوم هناك بدوره الحقيقي، دور الخاسوس للملك البرتغال، وينال جزاءه على ذلك، فتكبره جامعة البندقية، وينال حماية

(1) جاكوب بيرين: اكتشاف جزيرة العرب ص 41-42.
(2) خروج 16:1-26 و9-26، وانظر كابانا إسرائيل ص 329-332.
(3) راجع قصة لوط في القرآن الكريم سورة الأعراف (10) وسورة البقرة (47 و48) وسورة البقرة (48) وسورة النحل (54) وسورة الإسراء (165-167) وسورة الفاتحة (2-9) وسورة التكوين (18-20) وسورة التكوين (22-26).
(4) تكوين 19:2-29.
(5) قاموس الكتاب المقدس 5/1 119/2 300.
(6) J. Hastings, Dictionary of the Bible, P. 734.
(7) T.K. Cheyne, Encyclopedia Biblica, P. 3790.
أسرتين كبيرتين هناك، وأخيراً تم الدراسة بأن يعلن الكاردينال كارفاجال حمايته لـ 4500 فردًا، فضلاً عن الاتفاق على ترجمة مؤلفاته إلى اللاتينية.

ولعل كل ما قدمته هذه الرحلة خريطة لشبه جزيرة العرب - كما رسمها بطلمسوس، منذ ثمانية عشر قرناً - وبعض المعلومات المشروحة عن المدنين المقدستين، مكة والدينة، تم مقارنة جغرافية بين العربية الشمالية، والعربية الجنوبية، ولكل ذلك وبدعه، بسوم ضد الإسلام والعرب، وهو أمر لا يعد غيرًا، إن جاء من موطنه، ولكن النزيف حقًا أن يترجم ذلك (1)، وأن يذاع بين شباب العرب، والمسلمين منهم بخصوص، حتى دون التعليق على ما فيه من روافد لا تعرف قصبة من صواب، وحكايات أشبه بالأساطير لها بحقائق التاريخ، إلى جانب ما فيه من دعاوي تعارض مع الإسلام، فضلاً عن المتقلع والحق والصواب، وقد تكون المصية أعظم، لو أن الدين توجوا ذلك يظنون أنهم يقدمون بعملهم هذا للعروية والإسلام - فضلاً عن العلم - خيراً، أو حتى بعض الفهم.

هذا وقد تميزت الفترة ما بين عامي 1604، 1739، برحلات الحج.

إلى مكة، ففي عام 1643م، قام الطراز الماثيو دى كاسترو - القاعد الرسولي في بلاد الهند - بزيارة الأماكن المقدسة، منكراً في زي رحلة غريب، وذلك أثناء رحلته من الهند إلى روما، ماراً بشبه الجزيرة العربية، ولا شك في أنه - إذا صحت روايته، رجل الدين المسيحي الوحيد الذي قام بزيارة المدن الإسلامية المقدسة، ولكنه لم يكتب نفسه شيئاً عن ذلك (2).

و في عام في 1661م نرى «لويس دارفيو» يزور شمال بلاد العرب، ويكتب، وصفًا للبدو، إلا أنه كان بعيدًا عن المنهج العلمي في وصفه، فضلاً عن بعد مطالعه على العرب، وتجريد الرواية الإسرائيلية عن إنساع وإسحاق، عليهما

(1) جاكوبين بيرين: المرج السابق ص 88-90.
(2) جاكوبين بيرين: اكتشاف جزيرة العرب، ترجمة تدري قلنجي، بيروت 1963.
(3) نفس المرج السابق، ص 91.
السلام ، وعن والدتهما الكرمتين - مارة وهاجر - بجانب الترجمة غير الصحيحة،
أو على الأقل غير الدقيقة لنصوص التوراة، فيما ينص عباسة بالذات (1).
وفي عام 1807م، وصل إلى جدة الرحلة الأساسي بأديان ليلغ تحت
إسم علي بك العباسي، مدعو أنه ليس مسلمًا فحسب، وإنما آخر أمير من نسل
الخلفاء العباسيين (2)، ومن عجب أن الأوروبيون أنشئوا في حيرة من أمرهم، بشأن
علي بك هذا، فهو جاسوس لثعالبي على رأي، وهو أحد موظفي إمارة البحر
الفرنسي على رأي آخر، إلا أن هناك إتفاقاً على أنه كان عالماً، وأنه قد زار أباً
قياس دقيقة للغاية، وأنه قد تجاه إلى حد كبير في تعيين المواقع المختلفة التي مرّ بها
على سواحل البحر الأحمر، مثل بني وجدة وغيرهما، وبصورة دقيقة موقع المدينة
المقدسة التي لم يقدر له أن يشرف إليها، ووصفت دقيقة موقع مكة المكرمة على خريطة
العالم، وهكذا أمكن - ولأول مرة - تحديد الموقع الغربي لأحد الأماكن في
داخل بلاد العرب بالنسبة إلى خط الإسطواف، هذا إلى جانب وصف دقيق للكعبة
المشرفة ولكنه ما كان يجري في موسم الحج (3).
والذي يقرأ وصف الرجل للأماكن المقدسة كما جاء في كتاب جاكلين
بيرين (4)، يدرك أن الرجل كان مسلمًا عن يمينًا - كما كان يعلن هو دائمًا -
رغم ما أثير حول إسلامه من شبهات.
والأيدي عندى، أن من يعيش الظروف التي عاشها علي بك العباسي، ووزور
الأماكن الطاهرة إلى زارها، وبناش شرف رؤية الكعبة - أقدس مقامات المسلمين-
من داخلها، ويسهم في تنظيف البيت الحرام، إن من يسهم الله عليه كل هذه العم،

(1) أظهر أمثلة على مسح نصوص التوراة في كتاب جاكلين بيرين الأثاث الأثاثر ص 117-127.
(2) إلا أن تكون الترجمة العربية له هي التي أختارت.
(3) أحمد رقي: دراسات في تاريخ الشرق القديم ص 145.
(4) نفس المراجع السابق ص 142، جاكلين بيرين: المراجع السابق ص 185-186.
(5) نفس المراجع السابق ص 185-186.

81
ليس بعيدان يديه الله سواء السبيل، ويفتح قلبه للإسلام، وذل ذلك فضل الله يزنه من يشاء واللّه ذو الفضل العظيم(1) وعلى أي حال فإن لي أثبت هذا الإسلام، وعلى يك العباس، ولا أنهبه، فليس لذي الأدلة على هذا أو ذلك، والله وحده يعلم الغيب من الأمر، ولكن بعد أن من الله على بضعة، عشت فترة من عمري بين رحاب هذه القديسات الشريفة، لا استبعد أن الله جل وعلا قد فتح قلب الرجل للإسلام، بصرف النظر عن المهمة التي جاء من أجلها، والله يهدى من يشاء.

واكيد بعد ذلك الرحلة السياسي، جوهان ليدونج بوركهارت الذي وصل إلى سوريا في مارس 1809م، ليقوم بزيارة المناطق الماخمة لشبه الجزيرة العربية، ولجمع المعلومات عن البحر، وهناك نزل جدًا كبيرًا في دراسة القرآن الكريم، وتأثره بعد أن كان قد درس اللغة العربية في إنجيل، حتى عرف باسم الشيخ إبراهيم العالم العظيم في شعور الإسلام (2).

وهكذا تمكن بوركهارت من القيام برحلته إلى الحجاز تحت اسم الشيخ إبراهيم بن عبدالله، فقرر الحرم الشريفين، وقدم وصفًا دقيقًا لهوم الحج، وكتب عن مكة والمدينة كتابه علمي، وفي عام 1812م، اكتشف مدينة إبراهيم، ثم أصدر عدة كتب عن رحلاته في سوريا وفلسطين وشمال بلاد العرب (3)، وآخرها نظر في 15 أكتوبر 1817م، ودفن بسفاح جبل المقطم في القاهرة (4).

وفي عام 1815م، زار تجديد المستشرق جورج أوغسطس فالين للقيام

---

1. سورة الحديد: آية 21؛ سورة الجملة آية 44، وانظر تفسير القرآن من 247، ص 672.
2. 2577 (دار الشعب، القاهرة 1970).
3. جاكوب يورين: المرج الساق ص 216-217.
ببعض الدراسات اللغوية (1)، وهناك رواية مشكوك فيها تذهب إلى أن محمد علي باشا والي مصر قد أرسله إلى هناك بعد أن فشلت جهود في توطيد نفوذه في الشام، وذلك لقيام بجهامير سياسية في جبل وشر (2).

وفي عام 1853م، زار سير ريتشارد برتون الحرمين الشريفين، متنكرًا في زي مسلم يسمى الحاج عبدالله، فكتب وصفًا لرحيله هذا (3).

وفي يوليو 1862م، قام وليم بلجرريف برحلته إلى العربية الوسطى، ونشر في عام 1865م كتابًا عن رحلته هذه، سرعان ما تزعم إلى الفرنسية ثم الألمانية بعد ذلك، كواحد من أحسن الكتب عن بلاد العرب، ويزعم بلجرريف أنه وصل إلى مناطق في قلب بلاد العرب، لم يصليها أحد قبله (4)، وأما رفيقه في رحلته هذه فقد كان لبنانيًا يدعى بركات (5)، وهو الذي أصبه فيما بعد بطريرك الروم الكاثوليك تحت اسم بطرس الجريغي (6).

وتولت الليدي آن بلنت عام 1889م في شمال بلاد العرب، حتى نجد، وكانت مولعة بدراسة الكتب العربية (7)، إلا أن هوبر ووينتج (8) يعدان من الذين غامروا بحياتهم، وقاموا برحلات شاقة، فيما بين عامي 1876.

F. Hommel, Explorations in Arabia, P. 705
Encyclopaedia Britannica, II, P. 171.


C. Huber, Inscriptions Recueillis dans l'Arabie Centrale, 1878-1882.

Julius Euting, Nabataische Inschriften aus Arabien, Berlin, 1885.
وقد بلغنا "حائل" في شمال بلاد العرب، وحصلا على كثير من النقوش في الحجاز، وعندما نقلنا أوروجين، المولودي، الذي زار الحجاز، فيما بين عامي 1885 و1886، قدم لنا دراسة دقيقة عن الأحوال في مكة، ووصف للحياة في الحجاز، وفي موسم الحج بصفة خاصة.

وهناك كذلك الرحلة الإنجليزية "تشارلس دوتي"، وقد كان هذا الرجل من أشد المعتصمين ضد الإسلام، وأكثرهم تطرفا في منهج المسلمين، بل إنه في تطابله إما يحاول أن يتجاوز كل حدود الأدب، وأن يمس الله العلي للإنسانية جمعا، سيدنا مولانا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم - وإن لم يستطع في كل الأحوال، إلا أن يعترف بأن المصطلح المختار - صلوات الله وسلامه عليه - إنما كان دائما وأبداً، اللهم العلي، والاسوة الحسنة لكل المسلمين وغير المسلمين، في كل زمان ومكان.

وفي عام 1889م، يقوم "تيدور بنت" وزوجته، برحلة إلى البحرین ومسقط وعمان في جنوب شبه الجزيرة العربية، حيث زارا كثيراً من المناطق الأثرية، وكثباً عنها كتابهما المروف.

وعشر القرن العشرون، وبدأت الأبحاث العلمية تزداد، وأصبح بين أيدينا مؤلفات هامة، لعل من أروعها ما كتبه "الويس موسلي"، الذي زار العربة الحجرية، وكتب عدة مؤلفات في وصف شمال الحجاز وبادية الشام ومنطقة الفرات.

EB, 2, P. 170.
الوسط وتبدو وتبدد(1) ، ثم هناك كذلك ما كتبه: جوسيس وساغنياك في مؤلفهما
الشهر عن آثار الحجاز ، وبخاصة مدن صلح والعلا(2) ، أما كتاب: لورنس ، 
وأ outputStream (3) ، فقد نال مكانة عالية بين مؤلفات الأدب الحديث بعد
الحرب العالمية الأولى(4) .

وكان أكثر الرحلات نشاطًا في تجد وأوست بلاد العرب هاري سان جون بيردجر
فلي ، والذي سمى نفسه: الحاج عبد الله ، وقد أتيح له ما لم يتح لغيره من الأوروبيين ،
إذ كان من القريبين إلى جلالة الملك المعظم عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل
سعود ، ملك المملكة العربية السعودية ، ومن ثم فقد قام برحلات كثيرة ، وكتب
عدها كتاب(5) ، وكانت آخر رحلاته تلك التي كتب بها في صحة العالم البلجيكي
وج. ريمانز ، في سنة 1951 - 1952 ، وكانت في المنتل الواقع بين جدة ،
وبحران والرياض ، وعاد ومعه 1200 قنشا ، منها سعة آلاف قنش مثالي ، 
وبقيتها نفوذ لها وسبيبة ، بعد أن زارت البعثة كل ما وجدته من بقايا المدنات
القديمة ، في المنطقة الواقعة داخل المملكة العربية السعودية(6).
وفي عام 1962م، قامت بعثة أمريكية بزيارة مناطق مختلفة من المملكة العربية السعودية، فزارت سكاكا والجوف وتيهامة ومدينتين صالح والعلا وتبوك، وظفرت بناجاً من فخار قديم، ونقلت صوراً للكتابات التي تعود إلى عام 1962م، وعمرها ما يقرب من ثلاثة أمتار إلى الجنوب من تيماء، وتعد من أقدم ما عثر عليه في المنطقة الشمالية.

وليس من شك في أن تاريخ البحث العلمي في تاريخ العرب القديم يبدء بالكثير من المصادر، ويقوم على أبحاثاً جادة في مختلف المناط، من أعمال كاساندروسيا، والذي يعتبر من الرواد في تاريخ العرب قبل الإسلام، وكذا تودور نولدك، و ج. روثشتاين، و رميه ديسو، و جاك ريمان، و كنيتي، و أوريري، و أونتومبرو، و فلهاورن.

G. Ryckmans, Les Religions Arabes Pre-Islamiques, Louvain, 1951.

G. Ryckmans, on Some Problems of South Arabian Epigraphy, BSOAS, 1952.

G. Ryckmans, Inscriptions Sud-Arabes, le Museon, XII, 1942.

Kennedy(Sir Alexander. B.W.), Petra, its History and Monuments, London, 1925.

A. Grohmann, Arabien, Munchen, 1963.

F. Hommel, Explorations in Arabia, Philadelphia, 1903.

ديفنتنلن، فريز هل، رودوكانابي، أدولف جرومان، التاريخ العربي القديم، ترجمه وزاد عليه الدكتور فؤاد حسن، القاهرة 1958.

Charles Forster, The Historical Geography of Arabia, 2 Vols., London.


A. Jamme, Sabaean Inscriptions from Mahram Bilqis (Marib), Baltimore, 1962.


A. Jamme, New Sabaean Inscriptions from South Arabia, 1968.


Ludolf Krehl, ueber die Religion der Vorislamischen Araber, Leipzig, 1863.

وهاوجونكلر (1) ورايت (1) وسيرنجر (2) وليمان (1) وويليم أولبرايت (1) وغيرهم.

من قاموا ببحوث قيمة، وما زالون يبحثون في التاريخ العربي القديم (1).

أما العلماء العرب المحدثون من أمثال جرجي زيدان وسليمان حزين وبحبي نامي وأحمد فخري ومحمد مبروك فاغف ومحمد توفيق وعبد العزيز سالم وسعد زغلول، وجوايد علي وصالح العلي ومتكر البكر، وحيد الجاسر وعبد الرحمن الأنصاري وعبد القدويس الأنصاري وعبد الله مصري، وأحمد حسين شرف الدين ومطهر الأردني وغيرهم من علمائنا الأوفياء فليس من شك في أنهم قد ساهموا في هذا الميدان بقسط وانفر ونهج متتاز، يستحقون عليه كل تقدير واحترام.

ثالثًا: في شرق شبه الجزيرة العربية:

في خليجات عام 1953 م، أرسل متحف آثار عصور ما قبل التاريخ في أرمينيا، بالنيمارك، بعثة علمية إلى البحرين، برية "ب. ف. جلوب وجيري"،

H. Winckler, Musri, Meluhha, Main, Mitteilungen der Vorderasiatischen Gesellschaft 1, Berlin, 1898.

H. Winckler, Arabisches Musri, MVG, 11, 1906.


A. Sprenger, Das Leben und Die Lehre des Mohammad, Berlin, 1861.

A. Sprenger, Die Alte Geographie Arabiens, Berlin, 1875.

E. Littmann, Thamud and Safa, Leipzig, 1940.

E. Littmann, Safitic Inscriptions, Leyden, 1943.


W. F. Albright, A Note on Early Sabæan Chronology, BASOR, 143, 1956.


- 88 -
كانت أطلال عديد من المدن والآثار الموصلة إلى مساحات واسعة، ثم امتدت بشاطئها إلى قبرص، حيث كانت مراكز تماثلية، وآثار أخرى، مثل حضارات العصر الحجري القديم، وسرعان ما امتدت بشاطئها إلى الكويت، حيث عُبرت على آلاة حجرية، تتسم إلى عصور ما قبل التاريخ، وخاصة العصر الحجري القديم، فضلاً عن معابد جزيرة فيلكا، وأخيراً امتد نطاق ميدان البعثة إلى شرق الجزيرة وإمارات الساحل العربي، ولنا نستطيع أن نلخص نتائج هذه البعثة كالآتي:

(1) في البحرين:

لعل أهم الاكتشافات البعثة الدموكرة إذاً كان الكشف عن أطلال معبد باربار، وتلال جزيرة عديدة تعود إلى العصر البرونزي، هذا فضلاً عن أوقات فخارية في تل رأس القلعة، وهي المنطقة التي حوطت أقدم محلة سكنية، ترجع إلى الألف السادس قبل الميلاد، وظلت مأهولة حتى العصر البيزنطي، وهذا وقد كشفت البعثة عن ست مدن حول القلعة، توزع الأولى حوالي عام 2800 ق.م، وهي مبينة بمحاذاة البحر، وبسببها صغيرة، وتبعد غير متصلة، وربما كان الملك الأكادي. 1

سرعان الولاع، قد قام بعمره حوالي عام 2000 ق.م. 2

وأما المدينة الثانية، فتوزع بحوالي عام 2300 ق.م، ويعتبر سكانها ناتجة لآلاف من المغابرة الواقعة في وسط جزيرة البحرين وكذا معبد باربار، وقد عثر فيها على الأشياء المتماثلة تقليدياً، الأخشاب الدلمونية، والأوزان الهندية التي ظهرت في نفس الوقت في البلاد ما بين الهيرين ومدن وادي السد. 3

1. تقع القلعة في منتصف ساحل جزيرة البحرين الشمالي، وتعتبر باسم «قلعة البحرين» أو «قلعة البحرين» للمملكة البغدادية، نسبة إلى القلعة التي أسسها الإنجئيون عام 1023 م، على أعقاب قلعة عربية تدفعة.
3. نفس المرجع السابق ص 8، سليمان سعدون: المرجع السابق ص 182.
(2) في قطر:

وتُعتبر من أهم مناطق الخليج العربي، حيث تتمثل فيها أقدم الحضارات الإنسانية التي تم الكشف عنها في المنطقة حتى الآن، وقد اهتم الباحثون الأجانب بمنطقة قطر، فقامت بعثة دائرية للبحث عن آثارها، وتم تحديد حوالي 200 موقع أثري، تتميي إلى مرحلة عصور ما قبل التاريخ، منها حوالي 1311 موقعًا تعود إلى العصر الحجري (1)، هذا وليس في قطر مخلفات أثرية تتميي إلى حضارة باربار في البحرين، كما أن آثار قطر لا تتشابه مع آثار البحرين (2).

وعلى أي حال، فقد عثر عند الساحل الغربي قرب رأس عوبنات على عظاما مصغولة تتميي إلى عصور ما قبل التاريخ، فضلاً عن أعداد من الأحجار قرب الطرف الجنوبي من جبل الجامية وقرب عقلة الملاصق والحملة وقرب الساحل الشرقي في الرصيل - على مسافة 25 كيلومتراً شمالي الدوحة (3) -.

هذا ويشمل كابل إلى أن المخلفات الأثرية في قطر، والتي تتمثل في الصناعات الحجرية، إما يمكن تقسيمها إلى مجموعات مستقلة ومختلفة عن بعضها تماماً، وذلك اعتماداً على الاختلافات المظهرية وطريقة الصناعة الفنية، هذا فضلاً عن العثور على طبقة يمكن تصنيفها طبقياً، ومن ثم يمكن تحديد التتابع الزمني لهذه الآثار (4).

(1) أنظر: ملخص تقرير قدم لمراجع الآثار في البحرين، وكذا
H. Kapel, Stone Age Culture of Qatar.
(3) وانظر: سليمان البدر، المرج الساق س 238-238.
H. Kapel, Kumi, 1961, P. 149.

- 90 -
علي أن البئعَة الدَّمَرْكِيَّة إِنَّماٌ حَصِلَتْ عَلَى أَدواتٍ وَشَتَاوَا صُوَرِيَّة عَدْنِيَّة وَايَّامٌ
إِحْرَاقٍ، ثُمَّ جَمَعْتُ عِبَادَتَنِمَ الْأَثَاثَ الْمُحْرَقَة، وَقَدْ ثَبِّتَ بِالْفَحْصٍ العَلْمِيَّ
بِطُرُقَةَ الكَربُون١۴، بَأْنَ تَارِخَ هَذِهِ العِبَادَات إِنَّما يَرَجَعُ إِلَى حَوَالِيَ عَامٌ 5۰۰۰ ±
13۰١۴ قَ.م. (٢).

هَذَا وَقَدْ قَسَّمَتْ البَئِعَة الدَّمَرْكِيَّة المَوَاقِعَ الَّتِي تَنَتمِي إِلَى الْعَصْرِ الْحَجْرِيٍّ وَهَذَا
6۸ مَوَاقِعًا إِلَى أَربَعِ مَجموعات حضارِيَّة وَذَلِكْ وَقَدْ فُيّنَتْ عَلَى التَّطْوِيرَ المَادِيَّ التَّمَثِّلِ
التَّقَدُّمَ مِنَ التَّقْنِيَةِ الْبَدْرِيَّة إِلَى الْأَحْجَرَ الْظَّرَانَة، إِلَى تَقْنِيَةٍ مَتْرَوِةٍ التَّمَثِّلِ فِي الرَّقَائِقِ
الْحَجْرِيَّة المِتَنَازِلَة مِثْلْ الْقَوْسِ وَالْمَهْلِ وَرَؤْسِ السُّهْامِ الكَبِيرَة، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَكُن
النَّقُلُ أَنَّ هَذَا التَّقْدِيمَ المَتَدَرِجَ قد حَدِثَ تَجْريَةٍ إِلَى حضارَة إِلَى حضارَة أَرْفَيٍّ
أَوَّ تَجْريَةٍ لِتَعَقِّبَ مَجْمُوعات إِنسَانِيَّة مَتَخَا لَّنة أَوِّ قِبَالَ مَهاجِرَةٍ أَسْتَقْرَتْ لِفَرَاتٍ طَرِيَّةٍ
أَو قَصْرِيَّة٥٣.

(٣) في دولة الإمارات العربية:

قَامَتْ البَئِعَة الدَّمَرْكِيَّة بالتقَبِّلُ فِي بَعْضِ المَوَاقِع الْأَثَريَّة الَّتِي تَنَتمِي إِلَى عُسَرِ
مَا قَبْلِ التَّارِيِخِ فِي دولة الإمارات العربية (٣)، وَتَعْتَبَرُ جَزِيرَةٍ «أم التَّارّ» في «أَبُو ظِبَيٍّ»
مِن أَحْمِ المَوَاقِعِ الَّتِي تَضَمْعِ الْعَدِيدَ مِنَ المَدَافِن الْأَثْرَيَّة بَائِثَةِ الجَزِيرَةِ المَتَضَمِّنِ الأَوَّلِيَّ
الفَخَارِيَّةِ الْحَجْرِيَّة وأَلْسَنَةِ أَدْوَاتِ الرَّزَب، هَذَا وَقَدْ ثَمَّ الكَفَّش فِي أم التَّار عن
ثَلْ يَضْمُ أَربَعَة أَطْوَارٍ مِنَ الاستَقْرَارٍ (٤).

١٩٦٩ ص ١۴-٢٤۲، وَانتُرِ
H. Kapel, Stone Age Discoveries in Qater, Kumal, 1964, P. 149.

(١) هَوْغَر، كَابِل : أَطْلِسُ ثَقَافَةِ العُصْرِ الْحَجْرِيٍّ في قطر، أَبُو ظِبَي، الدُّوْرَة، ١٩٦٧ ص ١۹.
(٢) مُلِيمَان الْبَدْرِ: الْمَرْجِعُ السَّابِق ص ٢٤۲-٢٤۳، وَانتُرِ
G. Bibby, Kumal, 1965, P. 149.
(4) وإن الأهمية بمكان الإشارة إلى أنه في أوائل عام 1972م، تولى أستاذنا الدكتور بشير الناضوري، رئاسة بعثة علمية كويتية، تمكنت من الكشف عن عديد من المواقع الأثرية المنتشرة بالعصر الحجري القديم، مثل مواقع الصليبيخات وواحة والبرقان وقلعة العيد وكاظمية وجزيرة أم النمل وجزيرة عكاز، فضلاً عن التعرف على مواقع جديدة في جزيرة فيلكا.

(1) انظر: بشير الناضوري، تقرير علمي خاص باستطلاع المواقع الأثرية في دولة الكويت، 1972م.
الفصل الثالث
جغرافيا شبه الجزيرة العربية

تقع شبه الجزيرة العربية بين خطى عرض ٦°٠، ٢٣٢ شماليًا، ٣٨٠ جنوبًا، أي أنها تمتد عشرين درجة من درجات العرض كما أنها تمتد بين خطى الطول ٢٤٠، ٦٤٠، ٤٨ شرقًا، وهذا يصبح امتدادها من الغرب إلى الشرق، أربعة وعشرين درجة، وهي بهذا تأخذ شكلاً مستطيلاً، وتبلغ مساحتها أكثر من مليون ميل مربع بقليل، ومن ثم فهي أكبر شبة جزيرة في العالم، أما أبعد شبه الجزيرة، فيبلغ طول ساحلها الغربي من رأس خليج العقبة حتى خليج عدن ١٤٠٠ ميلاً، وبلغ طول ساحلها الشرقي من رأس الخليج العربي شماليًا، حتى رأس الحد جنوبًا (أقصى انتهاء الخليج عمان) ١٠٥٠ ميلاً، وبلغ امتدادها من بحر العرب جنوبًا إلى الحدود الشمالية للمملكة العربية السعودية ١٢٠٠ ميلاً، أما عرضها في أقصى نطاق بين البحر الأحمر والخليج العربي فهو ٥٠٠ ميلاً، وأما بين خليج عمان والبحر الأحمر، فتصل الإتساع إلى ١٢٠٠ ميلاً. (١)

وتقع شبه الجزيرة العربية بين بادية الشام شماليًا، والخليج العربي وبحر عمان شرقًا، والمحيط الهندي جنوبًا، والبحر الأحمر غربًا، وهكذا يبدو واضحًا أن

(١) محمد طه أبو العلا: جغرافيا شبه الجزيرة العربية، الجزء الأول - القاهرة ١٩٥٦ - ص. ٥-٧.
المياه تحيط بها من أطرافها الثلاثة فقط، ومن ثم فقط أخطأ مؤرخو العرب وجرافيوهم حين أطلقوا عليها اسم جزيرة العرب، وربما كان ذلك لأن مياه البحر تحيط بها من ثلاث جهات، فمثلاً في الجزء الشمالي من المالاً، ومن ثم كان التعليل وإحاطة البحر بالأنهار بها من أطرافها وأطرافها أو أطرافها (1) فصاروا منها في مثل الجزيرة من جزائر البحر، وذلك أن الفرات القافل من بلاد الروم قد ظهرت ناحية وقسنطينة، ثم إنحاز على الجزيرة وسواج العراق، حتى دفع في البحر من ناحية البصرة والأيلة وامتد إلى هبادان (2)، أو وان بحر فارس وبحر الجيش والقوات ودببة أحاطتها بها، وهي أرض العرب ومعتدلها (3).

على أن شبه الجزيرة العرب ليست وحدها هي مسكن العرب، فقد كانت لهم مساقن فيما حولها، إلا أنها مساكن أكثرهم وأهم مساقنهم، ومن ثم فقد أضيفت إليهم (4)، وذلك لأن العرب قد سكنوا في العراق من ضفة الفرات الغربية، حتى بلغوا أطراف الشام، كما سكنوا في فلسطين وسياح إلى ضفاف النيل الشرقي حتى أعلى الصعيد، وهي أرضون يرى الكتب القديمة - من يونان ولاتين وعبريون وسريان - أنها من مساكن العرب، ومن ثم فقد دعواها بالعربة، وبلاد العرب، لأن أغلب سكانها إذا كانوا عرباً (5)، وأما بلاد العرب في

L.D. Stamp, Asia, An Economic and Regional Geography, P. 133.
(1) البكري 19-1 377، الهذلي: حضرة العرب، ص 47.
(2) البكري 19-1 377، الهذلي: حضرة العرب، ص 47.
(3) البكري 19-1 377، الهذلي: حضرة العرب، ص 47.
(4) أحمد منير: في الإسلام ص 1.
(5) أحمد منير: في الإسلام ص 1.

Delacy O'lcary, Arabia Befor Muhammad, P. 5
EI, P. 991. في Kibit، مادة 94.
النوبة في مواطن الناسيليين، والقطررين، وهي يواد تقع في شمال بلاد العرب، وفي الأقسام الشمالية منها.

هذا ويقسم اليونان واللادين شبه الجزيرة العربية إلى أقسام ثلاثة:

Arabia Deserta:

ويعنون بها بادية الشام في أغلب الأمر، وبادية السموا في بعض الأحيان، بل إن دينور الصقلي، إذا يذهب إلى أنها المناطق الصحراوية التي تشكل القبائل المتبدلة، وأن سكانها من الآراميين والنساب، وأنها تقع بين سوريا ومصر، فيما أنها مقسمة بين شعوب ذات مزايا وصفات متبادلة، وإن كان يبدو أن الرجال لم يكن لديه خط واضح يفصل بين العربية الصحراوية والصحرائية، كما عند الجغرافيين الرومان، وأما إيراتوس مثلا - وربما سترابو كذلك - فقد أطل حدد العربية الصحراوية من الشمال الغربي وجعلها حتى هيرايلوس في نهاية خليج السويس، وإن وضع الحد الجنوبي لها عند بابل.

وتقرأ في النصوص الآشورية من عهد دشمنصر الثالث (859-824 ق.م.) أن من بين أعدائه في موقعة قرقوس، عام 853 ق.م، مجموعة غريبة، ولهم نسبة إلى قطرون الكنعانية، زوجة الخليل الثالثة، بعد سارة وهاجر (أتى كتانيا، إسرائيل).

J. Hastings, op. cit., P. 585.
C. Forster, op. cit., P. 110F.
A. Musil, in the Arabia desert, P. 235.
Ibid., P. 499.

سامي الأحمد: فصيلة جزيرة شبه الجزيرة العربية، مجلة العربي، المدف السابع، أبريل 1919، ص 999.
Diodorus Siculus, II, 48 (London 1932) وقفاً.

سامي الأحمد: المرج السابق ص 603، وكذا


D.D. Luckenbill, Ancient Records of Assyria and Babylonia, I, Chicago, 1927, P. 611.
يكرون مشيخة أو إمارة، على رأسها «جندب»، وجدت هناك منذ ألفين ثانية قبل الميلاد، وكانت مصدر قلق للحكومات المسيطرة على الهلال الحمصي، وأنها كانت تتقلّف في هذه البداية بحرية، لا تعترف بحدود أو فواصل، وإذًا كانت تقيم حيث الماء والكلأ والمكان الذي يلام وطاعتها.

1. Arabia Petreae: العربية الصخرية:

وكان مركزها ميناء وبلاد الأنباط، وعاصمتها البراء، وأنها سميت كذلك، إما نسبة إلى عاصمتها، أو إلى طبيعة المنطقة الصخرية، ويرى بعض الباحثين أنها إضافة إلى البارموس الجغرافي، وقد قصد بها شبه الجزيرة يمنية، وما يتصل بها من فلسطين والأردن، ويرى ديرود، أنها تقع إلى الشرق من مصر، وإلى الجنوب والجنوب الغربي من البحر الليتي، وفي شمال العربية السعيدة غربا، وأن الأنباط كانوا يقيمون في المنطقة الجبلية منها، فضلاً عن المرتفعات المتصلة بها في شرق البحر الليتي ووادي عربة، وفي جنوب اليهودية، وحتى خليج العقبة، وأما الأقسام الباطنية فقد طبكتها قبائل عربية، دعاها الكتاب اليونان والرومان «سبئة»، الأمر الذي تكرر كثيراً في كتاباتهم عن القبائل التي كانوا لا يعرفون أسماءها، والتي كانت تقطن فيما وراء نفوذ الأنباط والرومان، ولعلهم يعتنون بذلك أسماء قبائل جنوبية في غالب الأمر.

2. Arabia Felix: العربية السعيدة:

وهي أكبر الأقسام الثلاثة إسهاماً، وتشمل على كل المناطق التي دعاها الكتاب العرب - من مورخين وجغرافيين - وبلاد العرب، كما أن حدودها الشمالية لم

C. Forster, op. cit., P. 112 وكنّا 116/1-121.
W. Smith, A Dictionary of the Bible, I, P. 91 وكنّا 111.
Diodorus Siculus, 11:48.
A. Musil, The Northern Hegas, P. 309.
تكون ثانية، وأيضاً كانت تثير طبقاً للظروف السياسية، فضلاً عن قوة أو ضعف تلك الكيانات السياسية التي تقع إلى الشمال منها، وتجه البعض إلى أن جهل القدام بداخل بلاد العرب، هو الذي دعاهم إلى احتساب هذا الجزء من بلاد العرب السعيدة أو الخضراء، مع أنه في الواقع يعتبر من بلاد العرب الصحراوية، وأما الجزء الذي يمكن أن يطلق عليه بلاد العرب السعيدة فهو الجزء الجنوبي الغربي، حيث تقع بلاد الين، لغة محاصيلها وتنوعها، وللاعتدال ملائماً، على النقيض من المناطق المستورة الحر وراءها، وقد أدت هذه الظروف منذ الألف الأول قبل الميلاد، إلى قيام مجتمعات سياسية مستقرة في تلك المنطقة، أتم إثرها إلى الساحل الأثيوبي، والمقابل في صورة تجارة واسعة، وموجات من المهاجرين المستوطنين.

وعلى أي حال فإن الجغرافيين اليونان لم يفرقوا بين بلاد العرب الصحراوية والصخرية، حيث يكون الفاصل بينهما صعباً جداً بالنسبة إليهم، فاعتبار اليونان القسم الشمالي من شبه الجزيرة العربية منطقة واحدة يمكن ملاحظته في تطبيق إربان على سفرتي رسل قمع ويطيموس الأول عبر صحراوا جرداوة، وكذلك اعتبار هيروديتيس - كما أشارنا أعلاه - الخط الفاصل بين بلاد العرب السعيدة والصحراوية هو الذي بدأ من هيرا بيلاس، إلى باب مارا بالبراء، علمًا بأن الجغرافيين اليونانين - وحتى الرومان من بعدهم - لم يضعوا صحراوا النفوذ الكبرى ضمن بلاد العرب الصحراوية، وإنما جعلوها جزءاً من العربية السعيدة.

أضيف إلى ذلك أننا لم نقرأ في كتاباتهم شيئاً عن المدن اللمعة كيمناء ودومة الجندل، فضلاً عن وادي السرحان الذي ذكره الجغرافيون وبعض المؤرخين.

---

(1) محمد ميريك ناجح، عمر ما قبل الإسلام من 51.
(2) موسكال: الحضارات الهامة القديمة ص 35، وكسا.
(3) سامي السيد أحمد: المرج الساكن ص 204-205 وكسا.
(4) سامي السيد أحمد: نظرات في جغرافيا شبه الجزيرة العربية في المصادر البيزنطية القديمة، مجلة الشرق.

Diodorus, 11:48

Arrian, Anabasis of Alexander the Great and Indica, edited by E.J. Chinnock, (London, 1893), Ch. 43.
الثاني لم تحت اسم مصريون - يديرون (Syrmaion-Pedion) مما يدل
على أنهم لم يذهبوا إلى هذه المناطق، وإنما اعتمدوا في الكتابة عنها على معلومات
شفهية متداولة، فإن كان هذا لا يعني أن التخلخل اليوناني في المناطق الشمالية من
بلاد العرب كان محدوداً، فهناك معالم كثيرة يغلب عليها الطراز اليوناني في العمارة،
إلى جانب كثرة ما وجد بها من التراث اليوناني (1).

وأما الكتب العربية، فقد قسموا شبه الجزيرة العربية إلى خمسة أقسام، هي:
اليمن وشمال البحر، والحدود، وشمال المحيط، وجنوب اليمن (2).
وكان أساس تقسيمهم جيل السيرة - أعظم جبال بلاد العرب - وهو سلسلة جبال تبدأ من
اليمن، وتعد شماليًا حتى أطراف رشيد الشام، على مدى 1100 ميل تقريباً،
ويطلق عليها عدة أسماء، فهي جبال السير (السيرة هي الأرض المرتفعة)، وهي
جبال السوات (جمع سرية)، وهي جبال الحجاز، كما كانت تسمى باسم الإقليم
الذي هي فيه، فيقال جبال الحجاز في الحجاز، وجبال عسير في إقليم عسير (3).

وقد أحاط بعض الكتب قسمًا سادسًا هو البحرين - والذي يسمى كذلك
هجر - وهو في نظر البعض جزء من اليمامة، وفي نظر آخر جزء من العراق،
وأخيراً، فهناك من يقسم بلاد العرب إلى قسمين إثنين، الواحد: اليمين والحدج،
والآخر: شام وشمال المحيط (4).

(1) اليمن:

وتعد على طول المحيط الهندي، ويحدها البحر الأحمر من الغرب، والحدود
من الشمال، وفيها النهرين والنجد، وهي في عرف بعض الباحثين، إنها تقع من وراء

(1) سنة الأحمد: المرجع السابق، ص 104.
(2) ياقوت (1372م - 4/278ه، صبح الأشعش: 464/1457، المفصل، إلى الغربي، ص 416، دار المعارف -
(3) محمد أبو الخلاص: المرجع السابق، ص 194 - 195.
(4) محمد مريلك ناقح: عصر ما قبل الإسلام، ص 18.
تلتبت وما سامتها إلى صنعاء، وما قاربها إلى حضرموت والشحر وعمان، إلى
عدين أبيهم وما بلى ذلك من النهائم والتجدد، وتخرجت السراة، اليمن من الشمال
إلى الجنوب حتى البحر، وتتخللها الأودية التي تسبب فيها مياه الأمطار، وتمتد بين
الهضاب والشعاب فلذة تنرفع من الدهناء من ناحية اليمامة والقلج يقال لها الفائدة،
وتظهر في أواضائها، وتقع بين مأرب وحضرموت(1).

واليمن - في رأي الفلكشدي(2) – قطعة من جزيرة العرب، يحداها من الغرب
بحر القلزم، ومن الجنوب بحر الهند، ومن الشرق بحر فارس، ومن الشمال
حدود مكة، حيث الموضع المعروف بطلحة الملك، وما على سمت ذلك إلى بحر
فارس، وهكذا كان اليمن لا يقتصر على الجئز العربي لشب في جزيرة العرب فحسب،
ولكنه يشمل كل دولات جنوب شبه الجزيرة العربية، كسبا وأوسان وحضرموت
وعمان(3) وغيرة.

وأما سبب تسميتها باليمن، فذلك أمر مازال موضوع خلاف، فهناك من يذهب
إلى أن ذلك إذا كان نسبة إلى أول من قطنها من العرب، الذي قال له والده حطان أن
أيمن ولدي ، أو لأنها تقع إلى أيمن الكعبة، بينما يتهجه فريق ثالث إلى أن السبب إنما
كان في طبيعة البلاد نفسها، فهي بلاد اليمن الخير والحركة، على أن رأياً رابعاً
yذهب إلى أنها سبب بذلك لتباع العرب إليها، أو لأن الناس قد كبروا بفكرة
تحملهم فأتمت بنى يمن إلى اليمن، وهي أيمن الأرض فسميت بذلك، وأخيراً
فهناك من يرجح أنها سببت اليمن من كلمة يمنة، الواقدة في نفس يرجع إلى آبام.

---

(1) باتيرت 227/2 319 447/0 12/6 1671 16/6، البكري
(2) الفلكشدي: شمس الأعلى /6 hacen
(3) محمد طه أبو الطلا : جغرافيا شبه جزيرة العرب- إسطوان الثالث والرابع، القاهرة 1972، ص 8.
الملك هـ شرع يبرعح: (1) غير أن كل تلك الآراء لم تقل لنا شيئاً عن الإنسان الذي كان يطلق عليها قبل أن تسنى باليمن.

وتشتهر بلاد اليمن ب듯 محاصيلها وتنوعها، واعتدال مناخها، حتى لقد سميت – كما يقول الهذائي – باليمن الخضراء، لكنيرة أشجارها وثمارها وزروعها، على أن فريقاً من المستشرقين إما يرى أن ما نسب إلى اليمن من غني وخصوص مباغته، فإن ومعظم الحاملات التي كانظن أن بلاد اليمن مصدرها، إنما كان يستقلها العرب – والمصريون الذين كانوا يحتكرون التجارة في البحر الأحمر– من جزائر الهند وسواحل أفريقيا الشرقية، وأنهم كانوا يخفون هذا عن غيرهم، حتى لا يزاحموهم في الحصول عليها من هذه الأحوال، إلا أن هناك حقيقة واضحة، هي أنها كانت بسبب الجبال التي تقع في داخلها عرضة للرياح الموسمية، فضفت الأمطار التي تجعل أرض اليمن جنود بالبن أهم حاصلاتها، وبالفاكهة والقمح والأعشاب والتوابل.(2)

(2) 

ورد اسم تهامة في النصوص العربية الجندوية: تهامة، (3) تهامة(4).

وقد حاول بعض الباحثين إيجاد صلة بين هذه اللفظة وكلمة تهامة (Tiamtu) البابلية، ومعناها البحر، وكلمة تهوم (Tehom) البحرية(5)، بينما يترجأ جواد علي إلى أن الكلمة إذا ترجى إلى أصل سامي قديم، له علاقة بالمخفضات الواقعية على البحر، ومن ثم فهي شديدة الرطوبة والحرارة في الصيف، ومن هنا سميت تهامة.

(1) ياقت ٥٤٤٧، ٥، كتاب التبيان ص ٥٢، موج الذهب ٤٣٢، تاريخ ابن خلدون ٤٧١/٢، تارخ العين ١، ١٣٧٣، معروى قطره: في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت ١٧٧٨، ٢، محمد مردول نافغ: عصر ما قبل الإسلام ص ١٩، جوايد علي ١٧٩١/١، الإ человека ٤١/١.

(2) محمد مردول نافغ: عصر ما قبل الإسلام ص ١٩-٢٠.

(3) جوايد علي ١٧٩١/١، وذاها.

(4) E. Schrader, Die Keilinschriften und das Alte Testament., Berin, 1903, P. 492.

ENCY. OF ISLAM, 4, P. 1155
من البحر، وهو شدة البحر وركن البحر، إلا أن هناك من يرى أن البحر إذا هو تقديره هواه، كما أن هناك من يرى أن البحر هي الأرض المفصولة نحو البحر، ولعل النظر في أرض تهامة كان هو البحر في أن يسمى بالغور، والسافلة، وعلى أي حال، فهي تشكل من المنطقة الساحلية الضيقة الموازيه لامتداد البحر الأحمر من اليمن جنوبًا إلى العقبة شماليًا.

وهي تتألف من نهائم، فهناك نهائم اليمن، ونهائم عسير، ونهائم الحجاز.
وفي الواقع أن النهائم ليست هي المنطقة الساحلية السهلة فحسب، ولكنها تشتمل كذلك على أكثر المناطق الواقعة إلى المحدّر الغربي لسفوح جبال الحجاز، وتختلف في عرضها باختلاف قرب السلاسل الجبلية من البحر وبعدها عنه، وقد يبلغ عرضها خمسة ميلا في بعض الأماكن، وقد تفوت في أماكن أخرى إلى أن يصبح المضاب الغربي من الساحل متصلة بالشاطيء رأسًا، هذا إلى أن أكثر هذه المنطقة الساحلية رمي شديد الحرارة، قليل الإجلب، كما أن جميع المدن الساحلية، إذا تقع في هذه المنطقة.

(3) الحجاز:

وهو منطقة جبلية تقف غرب تهامة، وتحاذيها من الشمال إلى الجنوب، وتتمتد رقه، في رأى أكثر علماء الجغرافيا المسلمين، من تجربة الشام عند العقبة إلى الليث، وهو واد يساهم السراة يدفع في البحر، فبدا عندئذ.

2. (2) عبد العزيز مالك: المرجع السابق ص 219، أيامه 2/137.
3. (3) قلبة جزيرة العرب ص 18، المدناني، صنعة جزيرة العرب ص 258 (طبعة الرياض 1974).
4. (4) جواب: 1/167.
5. (5) قلبة جزيرة العرب ص 18، ص 19.
أرض نهامة(1) أو هو من تخوم صناعة من البلاط وتباشر إلى تخوم الشام(1).
وقد ذهب البعض إلى أن تبوك وفلسطين، إما هما من أرض الحجاز، بينما سيمن
القسم الشمالي من الحجاز بأرض مدن ورحبية، تهبط إلى جبال حسني التي
تتجه من الشمال إلى الجنوب(2)، والتي تتنقلها أودية محصورة بين النيل وإيليه،
ويسار أرض نهامة، من طهرة نيل(3)، وكانت تسكنها في العصر
ال잖아요ي قبل الذهاب(4)، وعند الخروجات في أينها هذه، والذين يرى بعض
الباحثين فيهم بقايا الأثبات(5).
وأما سبب تسميتة حجازا، فإن الهجرا بين ساحل البحر الأحمر، وهو هبات
عن مستواه، وعند التجاذب الشرقي المتفرعة بالنسبة إلى الساحل الغربي(6)، أو لأنه
اختبى بالجزل(7)، أو لأنه يحجز بين الفوار والشام(8)، أو لأنه يحجز بين هامة
ويجد، وما خال من ذات عرق، مقبله هو يعود إلى أن يقطنها العراق(9)، أو لأنه
يحجز بين الشام واليمن والهلال(11)، أو بين نهامة والعروض، فيما بين اليمن
ويجد(10)

(1) جراد علي 167/1، ياقوت 127/1.
(2) المن بين عبد اللطيف الأصفهاني: بلاد العرب، تحقيق كرمل بلغت، الدكتور صالح العلي، دار
البيضاء، الرياض، 1968.
(3) ياقوت 2/1، البكري 12/1، جراد علي 167/1.
(4) Handbook of Arabia, by British Admiralty, I, P. 96، وكذا I, P. 368.
(5) وكذا.
(6) لسان الصرف 24/4 ياقوت 3.
(7) C.M. Doughty, Travels in Arabia Deserta, 2, N.Y., 1946, P. 624.
(8) وكذا.
(9) EL, I, P. 368
(10) EL, I, P. 349.
(11) مؤذنة حبة: المرج السبق 17.
(12) البكري 11.
(13) ياقوت 2/1، البكري 12/1، الأصفهاني: المرج السبق 14-15.
(14) مرشح الذهب 33-34.
(15) ياقوت 2/3، البكري 11-12.
وهي في الكتب العربية اسم للأرض العريقة التي أعلاها تهامة واليمن، وأسلفها العراق والشام(1)، وحدها ذات عرق، في الحجاز، وما ارتفع عن بطن الرمة فهو تجد إلى أطراف العراق وبادية السماوة(2) - وهي ماين جرح وسواح العراق - ليست في الكتب العربية حذود واضحة دقيقة لتجد، فهم يقولون:
إذا خرجت من المدينة فانتوجد إلى أن تصور في مدارج المرج - وهو واد بين مكة والمدينة(3) - فإذا صوريت فيها فقد ألهمت إلى مكة(4)، وقيل:
إذا خلخت عمان مصعداً فتوجدت، فلا تزال منجداً حتي تنزل في ثانياً ذات عرق فإذا فعلت ذلك فقد ألهمت إلى البحر(5) - وعلى أي حال، فإن نجد؛ بصفة عامة إنما هي الحضبة التي تكون قلب شبه الجزيرة العربية(6)، وهي ليست فاحلة - كما يتصورها معظم الناس - وإنما تثر فيها أراض صالحة للزراعة، بل هي دون شك أصح بلاد العرب، وأجودها هواء، ومن ثم فقد تمر الشعراء براها ورياضها.
وتتألف تجد من الواجهة الطبيعية من مناطق ثلاثة: منطقة وادي الرمة، فالمنطقة الوسطى، ثم المنطقة الجنوبية، أما علماء العرب فقد قسموا تجد إلى عاليه وسافلة، أما تجد العالية: فما ولي الحاجز وتهامة، وأما السافلة: فما ولي العراق(7)، وكانت

(1) ياقوت/2، محمود شكري الألبي: تاريخ تجد ص 7
(2) ياقوت/3، ياقوت/5، ياقوت/2، النبي الإبراهيم: جزيرة العرب ص 48.
(3) ياقوت/1، ياقوت/2، ياقوت/2، النبي الإبراهيم: جزيرة العرب ص 48.
(4) ياقوت/2، النبي الإبراهيم: المرج السابق ص 337-338.
(5) ياقوت/2، النبي الإبراهيم: المرج السابق ص 337-338.
(7) L.D. Stamp، cp. cit.، P 137.
القرن السادس الميلادي ذات أشجار وغابات ولا سيما في الشربة جنوب وادي الرمة وفي وجرة (1).

الموقع:
وتضمن السماحة والبحران وما والبها، وسمايت عروضاً لأنها تعرض بين اليمن ونجد والعراق (2).

أما السماحة فقد سميت كذلك نسبة إلى السماحة شهر بلادها، والتي كانت تعرف من قبل جن وقرية (3)، وإن هذا التغيير في الإسم، كما تم طبقة لرواية الآخرين - بعد القداس على طمس التي كانت تمكن الخضراء، ونجديس التي كانت تمكن الخضراء (4) - الأمر الذي ستناقشه بالتفصيل في مكانه من هذه الدراسة.

هذا وقد عُرف جن قريب، وبعض رجال شبكة النفط العربية السعودية، والبرتغال، وبعثة جامعة الرياض، على كتابات وتفصيل في موسم فقرة القهوة - على مساحة 120 كيلومتراً من بحران مكونة باللهجات العربية الجنوبية، وتخصص إلى ما قبل الميلاد (5)، كما عُرفوا على مقالات وعند أدوات فخارية، ظهر من فحصها أنها تعود إلى القرن الثاني قبل الميلاد (6).

---

2. ياقوت 114/1، الأسقفية: المرج السابق 326 هـ، عبد المطلب سالم: المرج السابق 113.
3. ياقوت 443/5.
4. تاريخ الطبري 43/6.
6. جورف علي 179/1 1680 وتكا 139 J.B. Philby, GJ, CXII, 1949, P. 92 وتكا 181 104 --
وإنمامن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن يسرا توماس، إذا ينبغي أن يذهب إلى أن أبار
الموينة في القرية من القرية، إنما هي موضوع، أو (1) التي أرسل إليها
نبط علماً ملك البوسر، وحيرام، ملك صور، بأساطيرهما لإحضار الذهب والأخشاب
النبيّة وكل ما هو نادر وغريب، (2) وأن الإسم العربي القديم إنا هو (عفرة)
وقد تحريف بالنقل إلى الإيرانية واليونانية فصار (3 Ophir)، وهذا الموضوع قريب
من مناجم الذهب (4).

وبدون أن هناك عدة عوامل أخرى في البداية وفي أواخر شبه الجزيرة العربية،
فحوالي أرضها إلى مناطق صغيرة، على حين أننا تجد في الكتب العربية، أنها
كانت غزيرة المياه، ذات عيون وأبار ومزارع (5).

أما البحرين، أو هجر (6)، فهي منطقة تحد من البصرة شمالًا إلى عمان
جنوبًا، وتكون من قطر، والتي تحد من عمان إلى حوران الأحساء، ثم الإحساء،
وكان ذات قديماً هجر والبحرين (7) والتي سميت بالبحرين من أجل نهرها
محل ولم يعن الجرب) وأما أغلى مناطق الإحساء، فهي منطقة الإحساء والتقطيف
حيث تكون الأبار والعيون (8).

ويقال هناك على مقربة من العقيق، وهي ميناء صغير يقع قريبًا من التقطيف - توجد
خرائب جرها (الجرى) المدينة التجارية القديمة، ولملقي طرق القوارئ التي
كانت تمر من جنوب بلاد العرب إلى العراق وإلى البصرة (9)، وإن كان جرخانة;

(1) أنظر مقاومة العرب وعلاقاتهم العربية، ص 277-287، وكتابنا، إسرائيل، ص 448-449.
(2) مريك أول: 277-287.
(4) جواب على 181.
(5) ياقتز 5/3-4، حافظ وهبة: جزيرة العرب في القرن العشرين ص 533، البحرين: المرج الساق
(6) جواب على 175/1، فضل حوراني: المرج الساق ص 43، 44، 55-56، وكذا.
(7) C. Forster, op. cit., P. 217.

- 105 -
يذهب إلى أن الجزء الأوسط من هذا الطريق - والذي يمر في صحراوة النفوذ - يصل هذا يستحيل معه المرور (1) ، ويؤدي الويس موسول ، هذا الإتجاه مضيفاً إليه بأن تركيبات اللافا للربة مسؤولة عن هذه الصعوبة (2).

وأما القسم الشمالي من هذه المنطقة فهو الكويت (3) , ومعظم أرضه منبسطة ، وأكثر ساحلها رملية ، إلا بعض الخضاب أو التلال البارزة ، وأكثر ما يزرع هناك النخيل ، وليس في الكويت من الأنهار الجارية غير مجرى واحد يقال له القطع (4) ، وأشهر مدن الكويت وجهة ، وهي من أخصب بقاع الكويت حالياً (5) ، كما أنها كانت مأهولة بالسكان منذ عصر ما قبل الإسلام (6) .

مظهر السطح :

تتكون أغلب الأرض في بلاد العرب من بواد وسهل تغلبت عليها الطبيعة الصحراوية ، ولكن قساً كباراً منها يمكن إصلاحها إذا ما تعهده بيد الإنسان واستخدمت في إصلاح الوسائل العلمية الحديثة ، والأرض الصالحة للزراعة تزرع، فلا يوجد المياه فيها ، أما الأراضي التي تعد اليوم من المجموعة الصحراوية (7) ، فهي :

(1) الحرارة :

الحرارة - كما في معجم ياقوت - أرض ذات حجارة سوداء نفرة كنها احرقت بالنار (8) ، وهذه الحرات إذا هي مغرفات بركانية تنتدأ من شرق حوران ، وتتم متنورة إلى المدينة المنورة ، التي هي نفسها تقع بين حرتين ( واقم

(1) سامي الأحمد : المرجع السابق من ٩٠٣ وكدأ
(3) A. Musil, Arabia Deserta, P. 265.
(4) C. Forster, op. cit., P. 214
والخبرة، وهي كثيرة في بلاد العرب عدد منها بعض الكتب نحواً من تسعة وعشرين حرة (1)، وأشهرها حرة واقع، والتي تسب إليها وقعة الحرية (أ/423).

على أيام يزيد بن معاوية، حيث قتل الأمويون أكثر من عشرة آلاف من أهل المدينة، وارتكبوا ضد أهلها الكثير من الفظائع، وجعلوا بها - كما فعلوا بмеча من بعد ما لا يتنقل مع خلق أو دين، فضلاً عن انتهاك حرمة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم (2)...

والحرمة عادة مستطيلة الشكل، فإذا كان فيها شيء مستطيل غير واسع، فذلك الكراع واللابة (3) (اللابة) وهي صخور بركانية، وتكثر المرات في الأقاف الغريبة من شبه جزيرة العرب، وتمتد حتى تصل بالحراض التي في بلاد الشام بمنطقة حوران - ولا سيما في الصفا - وتوجد في المناطق الوسطى، وفي المناطق الشرقية الجنوبية من نجد حيث تنحدر نحو الشرق، وفي المناطق الجنوبية والخليجية الغربية، حيث تلاحظ الحجارة الورقية على مسافة من باب المنارة وعند عدن، وقد ذكر العرب أسماء عدة منها كما أشرنا آنفاً - وأضاف إليها السياح عدد آخر، عرسوا عليه في مناطق نائية (4).

ولعل أهم هذه المرات: حرة العويرك، وتتفرد غرب درب الحاج الممتد من تبوك إلى العلا، ويتتعداها أكثر من مائة ميل، بعرض يكاد يقارب من ذلك.

---

(1) البكري 1/1-150-150، 150-150-150-150، ياقوت 2-2-2-2-2-2-2، الآيتزاني: المرجع الناب.


(3) C. M. Doughty, op. cit., P. 618

(4) جرى علي 1-1-1-1، وكذا:

C. P. Grant, op. cit., P. 122

وكذا:

A. Musil, op. cit., P. 321

---
ومتوسط ارتفاعها عن سطح البحر حوالي خمسة آلاف قدماً، كما أن أعلى مواقعها جبل عتازة الذي يزيد ارتفاعه على 7000 قدم فوق سطح البحر، و✿ هناك كذلك حيرة الجندية وحيرة واقمة وحيرة ليلة وحيرة صوران وحيرة النار قريب خير، وجميع هذه الحيرات في الحجاز قرب المدينة المنورة.

وفي أرض اليمن عدد كبير من الحيرات، منها حيرة أرحب، شمالي صنعاء، ولها (لاها) (1) يستخرج الناس منها حجارة سوداء لبناء البيوت (2)، كما أن هناك كثيرة من الحيرات في القسم الشمالي من ه Waldy أبد (3) من صنعاء ومأرب—، ولعل كثرة الحيرات بجوار المدن القديمة هو الذي دفع البعض إلى تفسير هلك بعض المدن كخرب مأرب وحقوق وشوره على أنه من يهود البراكين (4).

ولعل أشهر حيرات اليمن، حيرة ضروان، وقد بلغ من شهرة قديماً للحمم وارتقاء فيها، وأن القوم كانوا يعتبرونها وتحاكون إليها فيما يشير بينهم من خلاف، إذ كانوا يعتقدون أن النار تخرج فتأكل النائم وتتصنف المزامير (5)، وأخبرنا فهما تلك حيرات في عدن وحضرموت وعمان والمربع الغالي (6).

(٢) الدهناء:

والتي أرض رملية حمراء في الغالب، تمتد من النفوذ في الشمال، إلى حضرموت ومهرة في الجنوب، واليمن في الغرب، وعمان في الشرق، وفيها—

(1) فؤاد حسن: المرج السباق من ٥٨.

(2) ياقوت ٢٤٥-٤٢٥-٤٢٥/٢، البكري /١٤١-١٤١/٢، القاضي المصري ٢٦-٧، ٥٠، ١٠٠، ١٣٢، ١٦٧، ٤٨/٤، ٤٨، ١٦٧، ٤٨/٤، ٤٨، ١٦٧، ٤٨/٤، ٤٨/٤، ٤٨/٤، ٤٨/٤، ٤٨/٤، ٤٨/٤.

(3) جبريل علي ١٨٩١، وثنا H. Scott, in the High Yemen, Landon, 1947, P. 8.

(4) جبريل علي ١٨٩١، وثنا J.B. Philby, Sheba's Daughter, P. 103, 389.

(5) الإكيل /١، جبريل علي ١٨٩١/١٤١، وثنا: ياقوت ١٤٠/٢، ١٤٠/٢، ١٤٠/٢، ١٤٠/٢، ١٤٠/٢، ١٤٠/٢، ١٤٠/٢.

(6) D.G. Hogarth, The Near East, P. 97.
سلاسل من البلاد الرملية ذات ارتفاعات مختلفة، تتقلل في الغالب مع الرياح وتغطي مساحات واسعة من الأرض (1)، ويمكن العثور على المياه في قيمتها إذا حفرت فيها الآبار (2)، وقد تثبت فيها أعشاب إذا ما وصلتها أمطار، وإن كان ذلك لفترة قصيرة، ربما لا تتجاوز أشهراً ثلاثة.

وقد اعتبرها لويس موسل فرعاً من النفوذ لا يتجاوز عرضه 30 كيلومتراً، ولكنه يمتد مئات الكيلومترات، وبدأ في الشمال من نقطة تقع على مبعدة خمسين كيلومتراً من درب الحج من جهة العراق (3)، وأما هوجن فيلي، فقد ذهب إلى أنها سلسلة رملية وآكما وكبتان منقطة، ارتفاعها عن سطح البحر ما بين 1200، 1500 ق.م. (4)، ويطلق الجغرافيون الحديثون على أقسامها الجغرافية أسمى المربع الأفقي (5) وأندلس السكان فيها، وكانت تتعرف من قبل بمفهوم صعيد (6) وتشملها المنطقة الرملية الواسعة في جنوب المملكة العربية السعودية، والتي تتمتد من المرتفعات الغربية القديمة في الغرب، وحتى مرتفعات عمان شرقاً، ومن هضبة نجد في الشمال، إلى مرتفعات حضرموت في الجنوب (7).

وأما القسم الغربي الجذري من الدهناء فيسمي الأحذاف (8) والحقف المعوج من الرمل أو الرمل العظيم المستدير أو المستيل المشرف (9) وهي منطقة واسعة من الرمال، بها كتبان من الرمال، إذن اسمها باسم عاد (10)، كما تكون ويار قسمًا.

---

(1) جواد علي 1500
(2) P.K. Hitti, op. cit., P. 15 وقذا 893
(3) EL, I, P. 11 وقذا 1500/1 وقذا
(4) Handbook of Arabia, I, P. 11 وقذا
(5) جواد علي 1500 وقذا
(6) A. Musil, Northern Nejd, 1928, P. 160.
(8) B. Thomas, Arabia Felix, P. XXIII وقذا
(9) J.B. Philby, The Empty Quarter, GJ, 81, 1933.
(10) وقذا 895 وقذا

المصدر: صبة جزيرة العرب ص 214، يافوت: مجمع البلدان 448/3.
محمود طه أبو الملا: المرجع السابق ص 56.
القلموس المحيط 129/2، عمر نزوى: تاريخ إبئالية ص 128.
من الدخان، وهي أرض كانت مشهورة بالخصب والنعماء، ثم أصبحت اليوم من الصحراء، وفي الجهة الشمالية الشرقية من وبار، رمال بيرين، التي يصفها ياقوت بأنها رمل لا تدرك أطرافه عن يمين مطلع الشمس من حجر اليمامة.

وقد كانت مسكونة، غير أن الرمال حولتها آخر الأمر إلى خراب.

النفوذ:

وهو الصحراء السماوة، بادية السماوة، أما النفوذ فإِن لم يكن يعرفه العرب، وعلى أي حال، فهي صحراوية واسعة ذات رمال بيضاء أو حمر تذرها الرياح، فتكون كتالاً مرتفعة وسلاسل رملية متموجة، يحدها من الشمال وادي السراح، ومن جنوبه الجنوبي واحة تيماء، ومن الجبلي جبل أجا وسلمي ( جبل شمر)، ومن شرقها الجنوبي مدينة حائل، وهكذا يبدو واضحاً أن صحراوي النفوذ (أو النفوذ بالذال المعجمة) تتمد على مسافة كبيرة من الأرض، تزيد عن مائة ألف كيلومتر مربع.

وكان يطلق على النفوذ الكبير قديماً رملة غاليه، وقد وصفها البكري ويقوت تحت هذا الاسم، وتحترق القوافل النفوذ الكبير بالقرب من رأسه، إذ ترى درب الحج المسمي، زربة، كما تختاره كذلك في مناطق معبية بين الكبان الرملية، فهناك طريق بين النفوذ ومنطقة جبل شمر.

1. ياقوت 547/276، جواب علي 1/1542، الهذلي: المرج الساقط ص 01 وما بعدها.
5. البكري 914-913/914، ياقوت 707/14.
6. محمود طيب الملا: المرج الساقط ص 05.

- 110 -
التضاريس:
(1) الجبال:
تكون سلسلة جبال الأثمان المشرفة من البرة العربية، وتتصل
فقراتها بسلسلة جبال بلاد النعمة المشرفة على الماء، وبعض قمم هذه السلسلة
مرتفعة، وقد تتساقط عليها النجوم كجبال دبع، جبل دبع، جبل شينان، وتتنوع هذه السلسلة عند دئها
من مكة، فتكون القمم في أوضاع ارتفاع، ثم تعود إلى الارتفاع، حيث تصل إلى
مستوى عالٍ في اليمن، فتساقط النجوم على قمم بعض الجبال.

وتشتهر منطقة مكة بجمعية من الجبال، أشهرها جبل ألي قيس، في جنوب
مكة، وجبل حراء في شرقها، وفيه كان يتحت¥ جدنا وولائنا رسول الله صل
الله عليه وسلم. وجبل ثور وجبيل من الجنوب، وفيه الغار
الذي يقي فيه صلاوات الله سلم عليه مع أبي بكر، فتره إبان الهجرة من مكة
إلى المدينة في عام 2 هـ، وهناك كذلك جبل رضوي بين المدينة المنورة والبحر
الأحمر.

وتمتد في ابادة السواحل الجنوبية لسلسلة جبلية تتفرع من جبال اليمن، ثم
تهجم شرقًا إلى عمان، حيث تترفع قمة جبال الأغلي إلى 9900 قدم، وفي نجد
وهي هضبة يبلغ ارتفاعها 2000 قم. منطقة جبلية تسمى جبل شمر،
وتقع بين الحافة الجنوبية للفتود الكبير وبين وادي الرمها، وتتكون من سلسلتي


البكري: 548/1، ياقوت 1/20-86، 87-268، محمد مبارك: المرج الساكن
ص 50، وانظر: النوري 1/111، 104/8، 148، 149، 150، محمد رضا: رسول الله
ص 378، محمد حسن حリアル: حياة محمد 68، ص 23، 148، 149، 150، رسول الله
ص 118، مولانا محمد علي: حياة محمد وبياناته ص 77، 116-117.
لا تستطيع شبه الجزيرة العربية أن تتأخر بوجود نهر واحد دائم الحريق، يصب ماؤه في البحر، وليس في نهراتها الصغيرة ما يصلح للسلاح. ومن ثم فهي تتعد من جملة الأرضين التي تقل فيها الأنهار والبحيرات، وفي جملة البلاد التي يغلب عليها الجفاف، وينزل فيها سقوط الأمطار، ومن ثم فقد أصبحت أكثر بقاعها صحراوية قليلة السكان.

وقد عُرِضت عن الأنهار بشبكة من الأودية التي تجري فيها السباع غيّب المطر.

وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن كثيراً من الأودية شبه الجزيرة العربية كانت آثاراً في يوم ما، وتعدون ذلك في ذلك على أدلة منها (أولًا) وجود ترسات في هذا...
الأودية من النوع الذي تكون عادة في قيعان الأنهار، ومنها (ثانية) ما عثر عليه من عادات وآثار سكن على حافة الأودية، ومنها (ثالثة) ما جاء في كتبات التداحي من مؤرخين الأفارقة والرومان وographers عن وجود أنهار في شبه الجزيرة العربية، فمثلما فهدوو قد حددنا عن نهر أسماه كورس، زعم أن يصب في البحر الأحمر، ونظبيموس يذكر لنا أنه يداه للبحر، وزعم أنه نهر عظيم يجمع من منطقة نجران، ثم يسير إلى إتجاه شمالي شرقى، مخترقا بلاد العرب، حتى يصب في الخليج العربي، ويري موريتز أنه وادي النواصر الذي يسمح السياح المحلي عند نقطة تبعد خمسين ميلاً من جنوب شرق السيل، ومتحده بعض الأودية المنتجة من سلسلة جبال اليمن ببياء السحول. (1)

وأما الأمر كذلك بالنسبة إلى البحيرات، فهي في بلاد العرب بحيرات، وإنما هناك عدد كبير من السبخات الملحية، وهي مناطق واسعة تؤلف ساحة عظيمة من الأرض السهلة غالباً، وتحتوي على كثير من الأملاح المتجدة (2)، وقد اختلف الباحثون في نشأتها، فهناك من ذهب إلى أنها ناتجة بفكي أنهار أو بحيرات ملحية قديمة (3)، ومن ذهب إلى أنها بقاع تجمع فيها الكثير من الأملاح، وعمرو السمن تكونت هذه السبخات (4)، والتي منها سبخة رأبى بين جده ورابعه، وسبخة المدينة المنورة، وسبخة قريات الملح، وسبخة حضرية في وادي السرايح، وسبخة الأحساء بين الاحساء والخليج العربي (5)، وإن كان الجزير بالملاحظة أن هذه السبخات تصبح في موسم الأمطار لزجة جداً، لا تتحم ثقلاً، وتغمر بمنجم عليها (6).

(1) حافظ ورقة: المرج الساق ص. 154، P. Thomas, Arabia Felix, Across the Empty Quarter, P. 350F

(2) B. Moritz, op. cit., P. 21.

(3) Herodotus, I, P. 214.

(4) P. Thomas, Arabia Felix, Across the Empty Quarter, P. 350F.

(5) P. Thomas, Arabia Felix, Across the Empty Quarter, P. 350F.

(6) P. Thomas, Arabia Felix, Across the Empty Quarter, P. 350F.
وأما الأودية فكثرت في شبه الجزيرة العربية، لعل من أهمها:

(1) وادي الرمة:

ويمتد من شرق المدينة المنورة في إتجاه شمال شرق حتى يصل إلى نهاية الباحة، ثم يتجه شرقًا، فتصل شرق، حتى أطراف نقوس التلال، حيث تتميز هذه النقوس مدارياً، وبعداً يأخذ الرادي نفس اتجاهه إلى الشمال الشرقي حتى رمال الدهانة تحت اسم وادي الأجردي، ثم يسير بعد ذلك في نفس الاتجاه باسم وادي الباطن، حيث مدينة البصرة على شط العرب، وينتهي بهذا الرادي مجموعة ضخمة من الروافد الجارية في كل شرقي طبيعيّة، وبلغ أنسابه وادي الرمة في بعض المناطق خمسة أميال، وتقطع عليه - وكذا على روافدها - أكبر القرى الواحية في منطقة النزيف، وأهمها بريدة وعينة والرس ورياض الخباء، وقصرين عقيل والبدع والخيراء والبكرية والدليمية، والذهبية والبهائية والقرعاء والروضة والبرون والروضة والربعية وغيرها.

هذا ويتجه بعض الباحثين إلى اعتبار وادي الرمة هذا، إما هو نهر فيصون، الذكور في الثورات كواحد من أنهار الجدة الأربعة (1، 2، 3) (4، 5)، وتتصف الثورات فيصون هذا بأنه يحتوي جميع أرض الحويلة حيث الذهب، وذبح تلك الأراضي جيداً، وفيها المقل وحجر الجزع (7، 8)، بل أن هناك من يذهب إلى أن الأكبر الذكور في الثورات إما هي نهر تقع في بلاد العرب، وأيها وادي الدواسر، ووادي الرمة، ووادي السرحان، ووادي حوران، وأن ميل السطح في شبه الجزيرة العربية وعرضه للرياح الموسمية، ربما كان قد تغير بانتظام.

(1) محمود طه أبو العلا: المرجع السابق ص 81، 82.
(2) تكوين 10-14، 15.
(3) تكوين 12: 24.
في طبقات الأرض، فلند الماء في شبه الجزيرة العربية(1)، ولعل مسبّق اليمن إلى عمارة السدود وخلانات المياه التي من أشهرها صد مأرب(2)، إما يرجع إلى محاولة القروم للثقب على هذا القحط، بل لعل الأثرات العبداء بين عرب الجزيرة عن وجود مايسلى بالعربي الباهدئة مثل عاد وثمر وضمير وجرهم وقوار وديرهم، إنما هو صدى لكل الكوارث الجغرافية - فضلاً عن الأسباب الدينية - التي دفعت بالسائرين الأصليين من سكان بلاد العرب إلى البحث عن القوى في أماكن أخرى(3)، وإن كان الويض موصل يتجه إلى أن سبب الهجرات وتحول الأرض الخصبة إلى صحاري، إما يرجع إلى ضعف الحكومات، وإلى تحول الطرق التجارية(4).

(2) وادي الحمض:

وكان يسمى قديماً وادي إسم(5)، وببدأ من جنوب حرة خيبر، ثم يتوجه إلى المدينة المنورة حيث تصل بها الأفدية فرعية كرادوي الميقات ووادي القرى، ثم يسير في مرتفعات الحجاز، حتى يصل إلى سهل سيدية ينتمي إلى الشمال الغربي، حيث يصب في البحر الأحمر جنوب ميناء الوجه، وكذلك قببا قريبة يونانية قديمة، ومعبد يعرف عند الأهالي بقصر كريم(6)، وهو من مخلفات المستعمرات اليونانية القديمة، التي كان الملاحيون والتجار اليونان قد أقاموها عند ساحل البحر الأحمر لحماية سفنهم من القرصان (أولاً)، وللتجار بالأعراب (ثانياً)، ولتمين رجال القوارب البحرية بما يحتاجون إليه من ماء وزاد (ثالثاً) (7)، وذهب الرومان.

جوار على 1448 وكذا أخرى:

L. Caetani, Studi di Storia Orientale, I, P. 64, 80, 243, II, P. 53, 65.
J.A. Montgomery, Arabia and the Bible, P. 9
A. Musil, Northern Nejd, P. 305.

A. Musil, op. cit., P. 317.
(4) جرار علي 191/1.
إلى أن هذا الموضع هو مكان مدينة لويكيا كومي المشهورة في أحداث حملة يوس جاليليوس على اليمن في عام 24 ق.م، بينما يذهب آخرون إلى أنها المخلع باسم "الحوراء"، وأما طول وادي الحمسي، فقدرته الجغرافيون بحوالي 900 كيلومتراً.

(3) وادي السرحان:

ويمتد من "عمان" عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية، حتى قرب "الحوراء"، على الأطراف الشمالية للنفوذ الكبير، وبلغ طوله حوالي 300 ميل، ويشمل إتساعه في بعض المناطق إلى عشرة أميال، وهو منخفض واسع يطلق عليه "قرى الملح" و "وادي السرحان"، وهو ليس وادياً بلغليه المفهم من هذه الكلمة، وإنما هو منخفض واسع من الأرض يمتد من الجنوب إلى الشمال، وتتبخر منه أودية كثيرة من جميع جهاته، ولا شك أنه كان متصلاً ببحار الجو، غير أن الرمال قد تراكت في نقطة التقاء المنطقة - في الموضع المعروف باسم عريق السم وباقيه - تراكيماً فصل بينهما، وهذا المنخفض من الأرض كان يدعى قديماً "فارغ"، كما كان يدعى "الباحش" وكذلك.

(4) وادي حنفة:

وكان يسمى "فلكا"، ويمتد هذا الوادي، ومجموعة الوديان المتصلة به، بين جبال طرق غرباً، وبين هضبة الهرمة شمالي، بين خطى عرض 24°، وبلغ طوله حوالي 250 ميلاً، ويجري موازياً له من الشمال إلى الجنوب، "وادي الأيل"، حتى مدينة الرياض، حيث يمتد في جنوبها وادي السلمي، وطولها 110 ميلاً، وهذه الوديان جميعها تنتهي في منطقة الخرج أو منطقة اليمامة.

B. Moritz, op. cit., P. 21, 24.

(1) جراد علي ١٢٦١/١، ياقترب ٣١٨/٣ وكنه
(2) اليمن: المراجع السابق ص ١٤٩، حمد الجاسر: في شمال غرب الجزيرة ص ٤٠.
(3) محمد عبد الله عزام: مهد العرب ص ٧٧.
(4) محمد عبد الله عزام: المراجع السابق ص ٨٤.
(5) وادي الدواسر:
وهو واد كبير يتجه شرقاً عبر وديان جبل طورق، وتلتئم فيه شرقاً عند أطراف الربع الخالي، عند نقطة تبعد خمسين ميلاً من جنوب شرق السيل، وأهم الوديان المتصلة به من الجنوب وادي تمرة ووادي ريان ووادي الحسي ووادي الجنو، ومن الشمال وادي المجامع ووادي بني ليب، وأهم القرى اللام وسلام والخماسين والشرافا وليلي والبديع والروضة، وفي وادي الدواسر واحة تقع في مدخلها من جهة الشرق مزارع نخيل الشرافة، وهي غنية بشجر الآل والكروم.

(6) وادي بيشة:
ويتبع من مرتفعات عسير الشرقية قرب مدينة أبها، ثم يسير موازياً لوادي تلثيث، حيث ينضم به شمال غرب مدينة الخمسين، ويبلغ طوله حوالي 350 ميلاً، ويتصل به من الغرب وادي ريئة الذي ينبع من مرتفعات عسير الشرقية قرب بلاد غامد، ثم ينضم به من الحافة الشرقية لبركة هيوم، حيث ينضم بوادي بيشة شرق قرية ديرية عند الرغوة، ويبلغ طوله حوالي 350 كيلومتر في كيلومترات من بلاده، وحتى بعد الاختفاء، ثم يستمر حوالي 100 كيلومتر في الراما.

(7) وادي فاطمة:
ويتعش به وادي السيل، ويصب في البحر الأحمر جنوب ميناء جدة، وهو الذي يزود المدينتين المقدستين - مكة المكرمة والمدينة المنورة - بالمياه.

(8) وادي يجران:
وهو أحد الأودية الكبيرة في شبه الجزيرة العربية، بل هو في الواقع مجموعة أودية كبيرة، منها.

1. نفس المرجع السابق ص 84، عمر رضا كمال، المرجع السابق ص 109-110.
2. محمود طه أبو الناد، المرجع السابق ص 84-86، عمرو شاكر، شبه الجزيرة العربية - الجزء الأول، عمر رضا 84-94، (بيروت 1970).
3. محمود شاكر، المرجع السابق ص 34.
(أ) وادي حرض: وينبع من مرفعة وشحة ومرفعات خولان بن عمار، غربي صعدة، ويتجه مجاراه إلى ساحل البحر الأحمر شمالي ميدي في المملكة العربية السعودية.

(ب) وادي مور: وهو واد كبير تصل به روافد كثيرة متعددة المناع، بعضها من مرفعات العشمة، وبعضها من مرفعات وشحة، وبعضها من مرفعات جبال، وبعضها من بلاد حاشد، ويصب وادي مور في البحر الأحمر شمال اللحية.

(ج) وادي سردد: ويغذى مناطق زراعية واسعة، وتتصل به روافد عدة، تصل به روافد عدة، أهمها وادي الأهر الذي تكثر به الشلالات وقد استخدم على أيام دولة حمير في طهان الغلال، ويصب وادي سردد جنوب الزيدية.

(د) وادي سهام: ووقع متبناه في وادي أسس جنوب صنعاء، ويصب في البحر الأحمر جنوب الحديثة.

(ه) وادي دعم: وينبع من المرتفعات الواقعة شمال ذمار وتغذية عدة روافد، ويصب في البحر الأحمر شمال النازة.

(و) وادي زيد: وهب من الأودية الغزيرة المياه، ومنتبه في مرفعات لواداب، ويصب في البحر الأحمر غرب مدينة زبيد.

(ز) وادي نحله: ويصب في البحر الأحمر شمالي الخوخة، ثم هناك كذلك وادي رسان، ووادي موزع، هذا مع ملاحظة أن كل هذه الأودية الآثرة الذكر، إنها تتوجه غرباً.

أو الأودية التي تتجه شرقاً، فلعل أهمها:

(أ) وادي الجوف: وتجمع فيه عدة أودية.

(ب) وادي مأرب: وينبع من جبال بلق، ثم يتجه شرقاً، ماراً بمنطقة شرقاً، ماراً بمنطقة مأرب على مسافة كيلومترات من دل مأرب الشهير.

(ج) وادي حريب: وينبع من مرتفعات خولان الطيال.
(د) رادي أملح والعقيل.
(ه) وادي بيجان: وينبع من مرفقات لواء البيضاء، ثم يتجه إلى الشمال الشرقي حيث يصل إلى بيجان القصاب، ثم تbellion مياهه شرقاً في الأحقاف.

وإنه من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن هذه الأودية التي تتجه شرقاً ذات أهمية تاريخية، فقد كانت مركزاً للسكنى والاستقرار. وكان حجم التجمعات السكانية، ولا شك كبيراً، حتى أنهما فكرنا في إقامة السدود الجديدة على مجري هذه الديان، ومنها "سد مالب" (1)، وسد قباني الذي أقيم في وادي بيجان عند جبر بن حميد، وكان يستقي منطقة واسعة من دولة قباني (2)، هذا فضلاً عن تلك السدود التي تظهر آثارها في وادي عديم عند حصن الروتوث في جنوب وادي حضرموت (3)، فضلاً عن سد عند "مرخة"، آخر عند "شوة"، وثالث عند "الحريضة" (4).

ويصف الشاعر العربي السدود في منطقة "بارم" فقط بقوله:

وفي الجنة الخضراء من أرض يحسب ممانون سداً تقدف الماء سائلاً

وبداي هذ السدود ما زال بابياً يشهد وجودها في مجري هذه الديان، كما أن آثار العمارة ما زال بابياً في المدن القديمة، وهناك المدن التي تنتشر بالقرب من...

(1) محمود طه أبو الغلا: "óriaية شبه جزيرة العرب - الجزء الثالث والرابع - التأهيل" 1974 ص 43-52.


(4) جودول علي 7/13/5 وكداء، J.B. Philby, op. cit., P. 16 A. Grohmann, op. cit., P. 153.

(5) C. Thompson and E. Gardiner, in GJ, 93, 1939, P. 34-35.

أخم سدود الديان القديمة هي: سد مالب بس قبان وسد قباني وسدر عيان وسدر لح وسدر سدير وسدر ديز شاهد وسدر ديز وسدر نفار وسدر الشعابي وسدر الخانق بساعدة وسدر رمان وسدر شيان على مقربة من صنعاء، وسدر ديزان، وسدر نفار (أنظر كتابنا: دراسات في التاريخ القرآني، الجزء الأول). -- 119 --
مَجَاريَ هذه الْوَدِيان مِثلٌ أَبَاقِش وُمِعين، وَقَد ذَكَرُتُ بِليَنِيٍّ أَنَّها بَلَاد كَثِيرةُ الْغَابِ وَالْأَعْرَاسِ، الْأَمَرِيَّة يَسْتَنَقِشُهُ فِي مَكَانَهُ مِنْ هَذِهِ الْدِّرَاسَةٍ.

أَمَا الأَوَّلُيَّةِ الَّتِي تَنْهَجُ شَمَالًا فَقِيلُهَا وَضُرَبَّ جَيْدًا، أَمَّا الْمَنْحِيَّةِ جَنوُبًا فَقِيلُهَا، وَتُقَرَّرُ الأَرْاضِ الْأَرْزاَعِ فِي مَجَاريَّةِ الْدِّنْيا وَأَحْمَمُهَا وَوَادٍ نَّبَيٍّ، وَوَادٍ بَنَىٰ ١. ١.

المَناَخُ:

تَعْتُبِر شِبَهُ الْجَزِيرَةِ الْعَرِبِيَّةُ مِنْ أَشْدَ الْبَلَادِ جَفَا وَحِرَا، وَرِمَا كَانَ ذَلِكَ لَوْقَعُهَا فِي مَنْطَقَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ خَطِّ الْإِسْتِوَاءِ، وَلَنْ يَسْتَطِيعُهَا إِلَّا يَقْعُ فِي الإِقْلِيمِ المُدَارِيِّ الحَارِ، وَلَكِنْ بَعْدَهَا عِنْ مَحْجُوْتَهَا الْرَّاسِعَةِ الَّتِي تَخْفِيَ مِنْ دَرَجَةِ الْحَرَارَةِ، وَلَكِنَّ المَسْتَحَاسَاتَ المَلِائِكِيَّةِ الَّتِي تَقْعُ الْشَّرْقِ وَإِلَى الْغَرْبِ مِنْهَا أَيْ الْخَليْجِ الْعَرِبِيِّ وَالْبَحْرِ الأَحْمَرُ أَشْقَى مِنْ أَنْ تَكْنِي لِكَسَرُ حَدَّةِ هَذَا الْحَجَافِ المُسْتَمِرِّ، فَهَا مَسْطَحان مَائِيْنِ يَضُرِّعُ إِنَاسَهُمَا بِنَّا، ١٠٠ مِيَلًا، وَهَذَا كَانَ أَثْرُهُمَا فِي إِعْتَدَالِ الْحَرَارَةِ غَيْرِ مُحْسُوسٍ، أَمَا الْمَحْيَطُ الْمُتْنِي الَّذِي يَقْعُ إِلَى الْجَنْبِ مِنْهَا فَلَنَّ سَكَدَ في الْجَنْبِ عَلَى سَقوُطِ الأَمَمَرِ فِي أَطْرَافِ شِبَهُ الْجَزِيرَةِ الْعَرِبِيَّةِ الْجَنُوْبِيَّةِ، فَإِنَّ مَرْتِفَاتِ حَضَرَمُوتِ وَالْرَّيْعِ الْخَالِيّ الَّذِي كَتَبَهَا عَنْ دَاخِلِهَا، هَذَا فَضْلًا عَنْ أَنْ رَيْحَ السَّمْوُ مِنْهَا تَتَابُعُ شِبَهُ الْجَزِيرَةِ الْعَرِبِيَّةِ فِي موَاسِمِ مُنَبِّهَةٍ فَنتُوْيِ الْرَّجُولُ وَتَحْمِي الْعَيْونُ، تَسْلِبُ كَذَا الْرَّطْوَةُ مِنْ المَاءِ قَبْلَ أَنْ يَبْعَلَ دَاخِلَ الْبَلَادِ، أَمَا الْرَّيْحُ الْشَّرْقِيّ الْمُنَعَّثَةُ المَقْرَوْةٍ وَبَريِّعُ الصَّباٰ؟٢، فَنَقْتَ مَوْضُوِعًا حَيْبًا يَقْنَى بِهِ شَجَارُ الْعَرِبِ، يَلِيسُ فِي أَشْعَارِ الْعَالمِ وَلَاتُقُمُّهُمْ شَجَارًا وَتُرَا فِيهِ هَذَا الْقَدْرُ مِنْ الْمُنَزِّلِ بَريِّعُ مِنِ الْرَّيْحِ.

١. ١٢٣١٩٥٥.

٢. ٢٢٠١٨٢٤٠. يُرِي الْمُسْبِحُ أَنَّ الْرَّيْحَ أَرْبَعِ، إِدْهَا مَنْ يَنْتَجُ مِنْ جَهَةِ الْشَّرْقِ، وَهَيْ النَّشُورُ (الْكَبْرَى) وَالْأَثَانِيَةُ مِنَ الْمَغْرِبِ. وَهَيْ الْيَتِمُّ، وَالْثَّالِثُ مِنَ الْبَحْرِ، وَالْوَاحِيَةُ مِنَ الْبَحْرِ، وَهَيْ النَّشُورُ (مَرْجُ الْدُّهِبِ).
والطبر والكرادة والكَمَا ولهاء الأرض، فتنبئ العشب والكَمَا والكرادة والأزهار، ويحول وجهها الكثيب إلى وجه شرقي ضحوكة، فتفرج الناس وتفرج معهم ماشيتهم، ومن هنا كانت مرافعات المطر الغيف، وفيها ما فيها من معاين الفرث والنصرة، وهو على أغلال جد قليل في داخل البلاد، بالنسبة إلى شدة احتياج البلاد إليه، ولعل أكثر المناطق حزنًا ونصبًا من المطر هي النفوذ الشمالي وجلب شمر، إذ تنزل بها الأمطار في الشتاء، فتنبئ أعشاب الربيع، وأما الصحاري الجنوبية فلا يسببها المطر إلا رذاذًا، وقد تدخل الطبيعة عليها حتى بهذا الرذاذ، وأما الساحل الغربي حيث معظم الأرض حرة، فإن المطر ينهر هناك مدرارًا تستسيب، ثم يبدو الأرض وكان لم يصب فيها شيء، حيث لا يتسبب من هذه السيول شيء كبير إلى باطن الأرض، وإنما تصب في البحر، على أن ت不断地 قلبة تستفيض من المطر كالقفيتين في المدينة وبعض البلدان حول مكة، ولا ريب في أن الطائف مثلاً بلد حصب، وكذا خيبر، ولكن تلك الأمكن الخصبة قليلاً جداً بالنسبة إلى اتساع شبه الجزيرة العربية\(^1\).

وتسقط الأمطار الموسمية في اليمن وعسير، وهي هناك تكفي لتأمين زراعة الأرض زراعة منتظمة، فهي تجذب خضرة دائمة تثبت في أودية خصبة تنتهي إلى نحو مئتي ميل من الساحل، ويزيد ارتفاع صنعاء على ٧٠٠٠ قدم فوق سطح البحر، وهي للذين من أصل المدن وأجملها في بلاد العرب، ويريهم الإصطخري أنه ليس في الحجاز أبد من جبل «غوان» يجتر الطائف، وأنه ربما جمد الماء في ذروته، وأشار الهيمني إلى جمود الماء في صنعاء، ويفضف «جلاز» إلى هذين الموضوعين جبل «حصور الشيخ» في اليمن، الذي كثيرًا ما تنشط عليه النواء في الشتاء، وأما الصقيع فهو أكثر من ذلك شبواء\(^2\).

---

\(^1\) حافظ وجه: المرجع السابق ص ٦، عمر فروخ: المرجع السابق ص ٣١، جواد علي ٢٠١٤/١.

وطيب على عسير في الصيف الرياح الموسمية، سواء البرية منها أم الجزوية العربية، فالأول تصل إلى المنطقة من المحيط الأطلسي وتسبّب سقوط الأمطار فوق هضبة الحبشة، وعندما تيجّبها ثم فوق مناطق متخلفة ثم فوق البحر الأحمر فتحلّ معها بعض الرطوبة فتتولد صدامات بين عسير تسبب هطول المطر، بينما لا تسبب تساطاً فوق نهاراً حرارة المنطقة فتقلّ معها الرطوبة النسبية، ولكنها تسبب العواصف الرملية ولذا تعرف هناك باسم «الغيرة» وغالباً ما تكون في نهاية الصيف. وبعد الزوال حتى غروب الشمس، أما الرياح الجزوية العربية فتأتي من المحيط الهندي وتكون في أواخر الصيف وتدير البحر الأحمر وتتهجّم فترتفع الأمواج فيه، ولا تسقط إلا أمطاراً قليلة لأنها تقلّ في ظلّ القرن الأفريقي، كما أنّ جبال اليمن تكون قد أفقدتها أكثر حمولتها، ولا يتان تهامة منها شيئاً.

وتتميز حضورات بالأودية العميقة وبالرياح الموسمية الجزوية العريضة بخار الماء، ويصل إلى عمان قادر لا بالٍ به من المطر يمنع الناس ويعينهم على تصرف أمورهم.

ومن الغربي أن المطر ينهر أحياً، وكانه أفراء قرب قد تفتحت، فيكون سيولاً عارمة جارفة، تكسح كل ما تجده أمامها، وتسيل الأودية، فتحول إلى أنبار سريعة الجريان، وقد لاقت مكة من السيل مصاعب كثيرة، هذا وقد خصص البلاداً في في فتح البلدان، فضلاً «فاضلاً» لأُهاجم سيل مكة، والآخر كذلك بالنسبة إلى المدينة المنورة، وإلى غيرها من المدن، وقد يملك في هذه السيل خلق من الناس كثير، كما حدث لشعب سباً بسبب سيل الهرم (1)، وكما حدث قرباً.

---

(1) محمد شاكر: المرجع السابق ص 19-20.
(3) أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق: كتاب المناخ، رؤوساً، تطرق نهج وسماح الجزيرة، تحقيق حمد الحامد، ط: الرياض 1389هـ/1969م، ص 486-487.

---

١٤٢
في عام 1336 ه当地发生了严重的洪水，占地大，威胁到农田，洪水泛滥到河谷，造成了一次大灾难。

الموارد الطبيعية:

(1) المعدن:

يمكن أن يقال بصفة عامة أن شبه جزيرة العرب تقسم إلى قسمين جيولوجيين كبيرين، وبخاصة في المملكة العربية السعودية، وأن القسم الشرقي منها يتميز بوجود صخور رسوية، حيث تركز الرطوبة البرولية، وأما القسم الغربي، فيتمز بالصخور النارية المتبلرة القديمة، حيث توجد عروق المعدن الفلزية، والتي من أهمها:

(2) الذهب: وهو من المعدن الذي استخرجت منذ العصور القديمة، ومن ثم فقد ذكرنا لنا الجغرافيين العرب أسماء مواضع عرفت بوجود خام الذهب فيها مثل بيشة وضنكان والمنطقة ما بين القنفذة ومرمدي حلال(1) كـاأشارت المؤلفات اليونانية إلى المنطقة ما بين القنفذة وعمردة، ومن ثم فقد ذهب بعض الباحثين - كـأشرنا من قبل - إلى أنها "أوفر" التي أشارت إليها التوراة على أنها مورد الذهب لسليمان(2)، كما أن هناك ما يشير إلى وجود الذهب على مقرة من "حمض"، حيث كان يستخرج الذهب من هناك في العصور القديمة، هذا فضلاً عن اشتهار ديار بني سلمان بوجود معدن فيها، ومن بينها الذهب(3).

وذهب الكتاب القديم من الأغاقة إلى أن هناك مواضع في شبه جزيرة العرب، يستخرج منها الذهب تقريباً، لا يعالج بالتجار لاستخلاصه من الشوان، ولا يصهر

---

(1) محمود شاكر: المرجع السابق ص 33.
(2) ياقوت 236/2، فزد حمزة: في بلاد عسير، القاهرة 1951 ص 61، جواب علي 196/1، B. Moritz, op. cit., P. 105.
(3) المسالك والملاك من 188، وكذا B. Moritz, op. cit., P. 110، وكذا K.S. Twitchell, op. cit., P. 77.
(4) K.S. Twitchell, op. cit., P. 77.
لتنقيته، ومن ثم فقد قيل له "أبرون" (Apuron)، وأن العبرانيين إما أخذوا لفظة "أوفر" من هذه الكلمة، فيما يرى بعض العلماء المحدثين (1).

وقد عبر في "مهد الذهب"، والذي يقع إلى الشمال من المدينة، على أدوات استعملها القدامى في استخراج الذهب واستخلاصه من شوا背ه، مثل رحي وأدوات تنظيف ومدقات ومصابيح، فضلاً عن آثار التروم في حفر العروق التي يتكون منها الذهب، مما يدل على أن الموقع إما كان منتجماً للذهب في عصور ما قبل الإسلام، ولعله من المناجم التي أرسلت الذهب إلى سليمان عليه السلام (2).

(ب) الفضة: وقد وجدت مناجم قديمة للفضة شرقي النفذة، وعند منتصف المسافة بين وادي قبنوة ووادي بنا، هذا وقد أشار المهاجرين إلى استخراج الفضة من الرضوضة في اليمن، وأن فضحة لا تظهر (3).

ولعل من الجدير بالإشارة أنه قد عبر على خامات الرصاص والزنك شرقي النفذة، وفي منطقة مهد الذهب، كما عبر على مناجم الحديد في وادي فاطمة، وعلى مصنوعات حديدية في الخراب والآثار والأماكن القديمة في اليمن، والتي اشتهرت بس البريطان في الجاهلية والإسلام، وإن كنا لا نعرف الموطن التي كانت تستغل لاستخراج الحديد منها، وأخيرًا فقد ذكر "نيبور" أنه كان في صعدة منجم يستخرج منه الحديد، فضلاً عن "نقب" و"غمدان" (4).

(2) النبات:

ليس هناك من شك في أن الماء هو العنصر الفعال في الإنتاج الزراعي، ومن ثم فإن الإنتاج لا يتيسر إلا حيث توفر الماء، الأمر الذي لم يحدث إلا في

---

R.H. Sanger, op. cit., P. 20, 23
المداي: المرج الساقي ص 224، عمود ط. أبو العلا: المرج الساقي ص 224.
جوايد علي 196/1، عمود ط. أبو العلا: المرج الساقي ص 225.
H. Scott, op. cit., P. 114, 237

---

144 -
أقاليم قليلة من بلاد العرب، فإذا أضفنا إلى ذلك أن جفاف الهواء وملوحة الرياح تحولان دون نمو النبات وازدهاره، لعين لنا أن دولة الري في شبه جزيرة العرب ليست بحال من الأحوال دولة ضخمة، ومن ثم فإن الأراضي الزراعية قد انتشرت في بلاد العرب كالجزر في محيط الصحراء الرملية، والمرتفعات الوعرة النضرة العارية من الركاب في كثير من الأحيان (١) هذا إلى جانب بعض المناطق الجوية حيث تتوفر الرياح الموسمية أحياناً على سفوح السلسلة الجبلية، فتقوم فيها بعض الزراعات الناجحة، أو البيضات الرابحة، عن طريق توفير المياه وحسن تصرفها (٢).

وتعتبر نخلة البلح ملكة عالم الري في شبه جزيرة العرب، وما زالت حتى اليوم تحتفظ بمركز منتزه بين الحاصلات الزراعية في بلاد العرب، وإن تدهورت قيمة النموذج في السنوات الأخيرة، ولم تعد كما كانت من قبل عند البديو، الذي كان قوام طعامه النمر والخيل، كما لم تعد كذلك منحة البديو أن يحصل على الأسودين الماء والupert (٣).

وقد أفادت النخلة القوم فوائد جمة، حية ومعيّنة، أفادتهم في تقديم ماء صارم إدااماً للعرب، وطاباً يستطيعون بها ماهلاً عدد من الأمراض، ومنها استخرجا منها دبساً وخمراً وشراباً (٤) بل لقد ذهبا في ذلك إلى أبعد من الفريقة البشريّة، فحلوا بها مشكلة الصراع بين الحرارة والملوحة، ذلك أن الإضاعة الشمسي الفائل يرفع البخير حتى درجة تهدد الموارد الباطنية بالنفاد، وسط البرية الزراعية بالإصلاح المتزايد، وهذا بل هذا القوم إلى النخيل لا كفاءة فقط، وإنما تستقل به الزراعة، ولها تتباخ بعض الورافات بعدة ملايين من النخيل، تقوم كالقلب الحقيقية، بينما

(١) فليلب حي: تاريخ العرب ٢١ / ١٨٦، محمود عبد الوهاب: التربع سابح ص ١٨٦. ـ ١٩٦٥، ص ١٤.
(٢) فليلب حي: التربع سابح ص ٢٢، وانظر ابن قتيبة : جزيرة الأخبار ٨٠٣ / ١٣٢ (القاهرة ١٣٢١)، ص ٢٠٧/١.
(٣) فليلب حي: المرجع السابق ص ٢٣، وانظر ابن قتيبة : جزيرة الأخبار ٨٠٣ / ١٣٢ (القاهرة ١٣٢١)، ص ٢٠٧/١.
(٤)
تتقدر عند أقدامها وبين جذورها الزراعات، وهكذا تصبح الواحة بحقل وغابة الصحراء، والنخلة عن جدارة مقلة الواحة (1).

ولقد أدى تلك الفوائد الجمة للنخلة أن أصبحت حystery الربم، لا عند العرب فحسب، بل عند قادة쟁ة الساميين جميعاً، وأصبحت مهالةً من القديس والطبيب، وقد عبر على صورها وصور سمعها على النفوذ القديم، وفي جملتها، تقود العبرانيين، الذين يتعودون النخلة إحراضاً لا يقل عن إحراضاً العرب لها، ومن ثم فقد ورد ذكرها في مواقع عديدة من التوراة والللمود (2)، ولعل من الأمثلة بمكان الإشارة إلى أن ملكة الأشجاع العربية هذه، غير عريقة الأصل، فقد نقلت إلى بلاد العرب من بابل، حيث كانت شجرة النخل من أعظم العواهب التي اجتذبت الإنسان القدم للوطن هناك (3).

أما الكروم فقد غمرت في ميقات من شبه شبه جزيرة العرب، إشتهرت بها كالطائف واليمن، كما غرس في الواحات العربية الزراعة والتفاح والمشمش والبرتقال والليمون الحمض والطبيخ والموز، ويرجح أن الأنبات والبهريين الذين أدخلوا هذه الفواكه إلى بلاد العرب من الشمال (4)، كذلك زروع التممح والشجر في الواحات، كا كان يذر الأرز في عمان والإحساء، ولا يزال شجر اللبان يزدهر في البحار المحاذية للساحل الجنوبي، لاسيما في مهرة، وقد كان شجر اللبان هذا أهمية كبرى في الحياة التجارية الأولى في بلاد العرب الجنوبية، وأما الصنوبر العربي فقد كان من أخزو حاضلات عمر، التي أصبحت الآن أكثر الاكتفاء زراعة للشجر، تليها في ذلك منطقة النخيل، وأما شجرة البن التي تشتهر بها اليمن الآن فقد أدخلت إلى جنوب بلاد العرب من الحبشة في القرن الرابع عشر الميلادي (5).

(1) جمال حدود، أثبات من النباتات، مطبوعة في 1967، ص. 121، 130، 151، وكذا J. Hastings, Dictionary of the Bible, P. 676.
(2) P.K. Hitti, op. cit., P. 19-20.
وتوجد في البادية عدة أنواع من شجر النبتان، منها الآل، والغلال الذي ينتج الفحم الممتاز، والطلح، الذي يستخرج منه الصنع العربي، والمصدر وهو شجر النبت وأوراقه عريضة، وترتفع أشجاره إلى عرشة ممتاز عن سطح الأرض، ويكبر في بطون الأودية، ويكون ظلالاً يقي من يجلس تحته ليب الشمس ووجهه المحرق، ويستعمل ورقه استعمال الصابون في تنظيف الجسم، والأرا크 وهو شجر محب للشعراء، وهو الحمض، أو شجر من الحمض، تتخذ منه المساويك، وترعاه الأولى في ملوحة ومزارة، وهو للإبل كالفاكة للإنسان، فتأكل منه الإبل بعد أن تضع من غيره، وللأراك ثم إذا نضج يدعي الكباب، وأطيب مراوي الإبل السعدان، وهناك البرسيم، وهو حب القرظ - والقرظ نوع من الكراث - وهناك الأس، وهو شجرة طينية الربيع، ولها زمر أسود وأبيض يوكل، والأبيض أبعد، وهناك المرار، وهو بمار البر، طيب الرائحة، والخازمي المشهور بطيب الرائحة وشفائق النعمان... إلى غير ذلك من أشجار البادية.

(3) الحيوان:

ليست دولة الحيوان في بلاد العرب بأفضل من دولة النبات، وللجمل - على أي حال - هو الحيوان الأليف الوحيد الذي استطاع بحنده وصلابته السير يجري، وببئر - فوق رمال الصحاري، فهو يتلامم عمداً مع ظروف البيئة الصحراوية، الرمال في البحر، والعطش في البحر، والشوك في الأكرل، والود في البرد، وارتفاع القامة والرقبة في العواصف الرملية، ولو أنه حين تشتاد العواصف الرملية يلزم إبداع الفم والمن الخرين لثامناً واقفاً.

(1) جمال حمدان: المرجع السابق ص 92
(2) جمال حمدان: المرجع السابق ص 92-93
والأيام التي أخذت إلى إثنا لحبل الحمل، والجدل الحبل، أخذ الدنيا، إنها الدنيا، فما عليه، ولا يبق له من الله إلا إثنا واحد

(1)

وأي خيار الإبل، وتقسيم أخبرا دلالة، والواحد منها ذلول، وتستخدمنا للركوب، وأحسن المحاذين ما كان من عماره ومهره، ثم البحران - جمع بعير - وهي الإبل التي تستخدم في حمل الأنثانا(1)، وإن كانت أقل إبل الصحراء لبنا، بينما تلعب الذيل دور الحبل في نطقها، من حيث الحرب والانتقال.

(2)

والحمل ثروة العربي، وهو أداة استقامة، بل هو شيء الذي يبادل السلع بواسطته، وهو فوق ذلك وحدة القياس لمهر العروض، ودبة القتال، وأرباح الميسر، وغنى الشيخ، فكل ذلك يقدر بعدم معين من الجمل، والحمل رفيق البذو، وصنف نفسه، وحاضنة التي ترضعه، فيشرب لبه بدلاً من الماء (الذي يوفره للمشاة)، ويعمل طعامه من حمه، وكساء من جلده، ويحول بعض أجزاء غنوه من وبره، ويختزله وقادة، وهكذا لم يعد الحمل - في نظر البذو - مسيئة للصحراء، فحسب، بل هو دابة الله(3)، وصدق جمل، وعلا، حيث يقول:

(3)

وكان يكمن فيهما دفء ومتأقث ومنها تأكرون، ولكم فيها جمال حين تربون وحين تسحرون، وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا باللغة إلا بشق الأنفس، وإن رككم لروف رحيم، ومن هنا فقد لعب الحمل دوراً كبيراً في حياة العرب الاقتصادية، يدل على ذلك ما يقال من أن اللغة العربية تضم نحو ألف اسم للحمل في مختلف أنواعه وأشكاله ومراتحه، وهو عدد لا ينافسه إلا عدد المرادات في السيف.

(4)

(5)

P.H. Hitti, op. cit., P. 21

سيرة BLE: آية 5-6 وانظر: تفسير الطبري 5/14 (دار المعرفة بيروت 1972)

(5)

تفسير البغدادي 44/44-46 (نسخة على هاش الطبري)

(6)

فيليب حكى: تاريخ العرب 27/1

(7)

(8)

(9)

عمر فروخ: تاريخ الجاهلية ص 34.

جمال حداد: المرجب السابق ص 93.

جواد على 197/7 وكذا

(4)
ويرى العلماء أن الإنسان قد ذُلِّل الحمل حين صبّره أليفةٌ مطتماً في الألف الثانية قبل الميلاد(1), وقد ذهب بعضهم إلى أن العربية الشرقية إنما كانت لواء في ذلك الذي ذُلِّل هذا الحيوان في الشرق الأدنى القديم, معتمدين في ذلك على أن العراقيين القدماء قد أطلقوا عليه اسمّ حمار البحر, وأن البحر هنا إنما يعني الخليج، وأن لفظة الحبل (جبلو, وهي في الأكادية كلّو) إنما جاءت من بادية الشام, ومّعظم مكانها من العرب, وكانوا يستعملون الحبل منذ الألف الثانية ق.م, وأن دخول كلمة الحبل من البادية إلى العراق, دليل على أن العرب قد استخدموه أولًا, ومن ثمّه انتقل إلى العراق والبلاد الأخرى(2).

وأما الخيل, فبالرغم من اشتهر بلاد العرب يجمال خيلها وغير تربيتها لأحسن الخيول وتتميّزها لها, فإنها في شبه الجزيرة العربية من الحيوانات المجهبة غير الأصلية في الصحراء - رغم الخطاء الشائع - بل هي دخلة يقصد استعمالها آلة للعدو والآخر في الحروب التي تعتبر ضرورة صحراوية(3), ولا ينتهي أيام وصولها إلى بلاد العرب إلى ما قبل الميلاد بكثير, وقد وردت إليها من العراق ومن بلاد الشام, أو من مصر(4), وربما من سُلِبِسيا, أو حتى من إسرائيل.

وبدو أن مصر كانت في الألف الأول قبل الميلاد, مصدرًا رئيسًا للخيل والمركبات, ونقرأ في التوراة, وكان مخرج الخيل التي سليمان من مصر, وجمعة تجار الملك (سلمان) أخذوا جليلة بسمن, وكانت المركبة تصدع وتخرج من مصر.

W.F. Albright, From the Stone Age to Christianity, Baltimore, 1946, P. 107.
BASOR, 160, P. 42
R.H. Sanger, op. cit., P. 77.
باستثناء شاقل من الفضة، والترس بثينة وخمسين (1)، وربما كان ذلك أقل من أسعارها العادية، ويعلّه برسته، لذلك، بأن سليمان ربما كان يتمتع في مصر بامتياز خاص عن طريق الفرعون حميمه (2).

وهناك مصدر آخر للخيل هو KOA، وهو إسم دولة في سيليسيا.

كانت تقع في السهل الحصين بين جبال طوروس والبحر الأبيض المتوسط، وتشتهر بترية الحيوانات. ويذكر هيرودوت أن الفرس كان يحصلون على أحسن الخيول من سيليسيا (3).

وأما المصدر الثالث، فربما كان إسرائيل - وفي عهد سليمان بالذات - وقرا في النزاع أن سليمان كان صغرًا بالخيل (4) رغم أن دب إسرائيل قد حذر ملوك إسرائيل من الخيل والنساء والذهب (5)، غير أن سليمان إذا كان يرى أن الفرس معدة لحرب الرب (6)، وكم كانت النصرة من الرب (7)، رغم أن العلماء قد اختلوا في أسباب وقوع سليمان بالخيل، فلدينا لا شك فيه أن الخيل كانت على أيامه لسلعة جارية دائمة، وأن إسرائيل كانت تحتكرها تماماً، وأن كل طرق القوافل الهامة بين مصر وسوريا وآسيا الصغرى إذا كانت تمر بملكية سليمان (8)، وقد كشفت بعثات الحفائر الأمريكية في مجدو وبيت شان وتعشين وحاصور وأورشليم وغيرها من مدن مملكة سليمان على بقايا من عدة أجزاء كبيرة من استبلات الخيول، والتي كان الواحد منها يسع 450 حصانًا (9).

---

(1) ملك أول 28:10
(2) ملك أول 29:14:17
(3) ملك الأول 31:1
(4) ملك الأول 31:14:17
(5) ملك الأول 29:24,
(6) مرسلات 124
(7) مرسلات 126:11
(8) مرسلات 122:11
(9) مرسلات 126:11

W. Keller, op. cit., P. 207.
W. Keller, The Bible As History, P. 206.
W.F. Albright, op. cit., P. 124
J.W. Crowfoot, in PEQ, 1940, P. 143-147
وكذا يبدو أن الخيل لم تكن أصلية في بلاد العرب، هذا فضلاً عن أن العربي
إذا كان يبدو في الآثار المصرية والبابيلية والاشورية وال否认ية جمالًا، لا خيالًا،
وكان الحمل - وليس الخصان - هو الذي يذكر عند جميع البلاطية، التي كان يفرضها
الفاتحون الآشوريون على العربي والعربي، فملك الآشوري، وعجال بلال
الثالث (745-727 م.م.) يفرض على الملكة "مشمي، جزية جمالًا ونباً" (1)،
وإن رأينا الخيل، يمجر الحمال في البلاطية التي قدمت للملك "سرجون الثاني،
(727-705 م.م.)، والذي جاء بعد سليمان (691-642 م.م.) بأكثر من قرنين,
ونصف الزمان، وفي جيش هب كوكس الأول، (689-636 م.م.)
الذي كان منتجها إلى بلاد اليونان لفتحها، ظهر العرب يركبون جمالًا (2)، وأخيراً،
فقلقد أنكرت ستران، وجود الخصان في شبه الجزيرة العربية (3).

وأياً ما كان الأمر، فإن بيئة الصحراء، ليست أمثل بيئة لتؤلف الخيل، فالعرض
الجنوبية الحارة لا تتألفها، وهذا هو السبب في أن الخيل لا تسود في الصحراء
إلا في أقصى نطاقاتها شماليًا، والسلط الرملي لا يلزم حوافر الخيل، ولذلك تميل
الخيل في نطاقاتها إلى التركيز في صحراء الحمامة، أكثر منها في صحراء الأرجب
كذلك يدفع الإنسان عن التألف بالموضة، فلخيل ليست حلوياً بدرجة الإستيسم، لفكر
مراعي الصحراء، بل قد ينبغي إطعام الخيل بابن الحمل، وبالخمر المستوردة
من بعيد، أو بالأكماك على السواحل، كما في منطقة الخيل العربي، كما ينبغي الإهتمام
بها اهتماماً خاصاً (4)، ربما كان اهتماماً يفوق حد العقول، وقد لاحظ "الويس

ANET, 1966, P. 280 (1)
A.T. Olmstead, History of Assyria, P. 189.
N. Abbot, Pre-Islamic Arab Queens, in AJSL, 58, 1941, P. 4.
A.G. Lie, The Inscriptions of Sargon, II, P. 5 (2)
ANET, 1966, P. 284.
Herodotus, VII, 86, 8.
P.K. Hitti, op. cit., P. 19-20 (3)
Strabo, Geography, XVI, 4, 2, 26.
جمال حمدان: المرجع السابق ص 92 (4)
= 131 =
موصل، أن البديوي وذويه قد يبكون على الطرق في سبيل توفير شيء من الحليب أو الحيوان، فحسنته عهد ذات فلقة(1).

وهكذا كان اقتنا الخيول هواية غالية وكامنة، لا يقدر عليها إلا من كان على سعة من عيش، وهنا تصبح سمة من سمات الألبات والعظمة والتفاخر في المجتمع، ولا عجب أن تؤدي العناية المضافة بها إلى توليد أعظم السلالات في بلاد العرب، دون موطنها الأصلي، والإعتزاز بها إلى ظهور أنساب لها(2)، ولعل أعرق الخيل نسباً ما كان في نجد، بل إن خيول نجد تقلد من أجداد الخيل في العالم قاتبة(3).

ولقد عرفت بلاد العرب كذلك - إلى جانب الإبل والخيل - البغال والحمير، والخيل والبغال والحمير لركوبها وزينة، ويخلق ما لا تعلمون (4)، وهناك كذلك الشاة والماعز والبقري والقردة والنسايس والحمير وهو جامع في العربة، وأناها أتون أي أتان في العربية، ويفتر أنها أقدم عهداً في بلاد العرب من الجمل والخيل والبغال، إذ كانت وسيلة التنقل والركوب في أوائل الألف الثانية ق.م.(5)

وهناك من الحيوانات البرية، الأسماق والفهد والنمر والضبع والغلب والذئب، وأبن آدم والإبل والبرنج والحليتو والأرانب والغزلان والقط، ومن الواضح أن هذه الحيوانات قد قتل آن، ربما بسبب كثرة السكان واستعمال آلات الصيد الحديثة وتغير المناخ، فلم تكن الأسماق في وادي بيش، ووادي عدوان وعنبر، بل إن هناك أماكن اشتهرت بكثرة أسماها حتى قبلها «أسما» (والوحدة مأصلة)،

A. Musil, The Manners and Customs of the Rwala Bedouins, P. 374-5
(1)
(2)
(3)
(4)
(5)
B. Moritz, op. cit., P. 40-42f

١٣٤
ومن الطيور هناك النعام والقطا والحميل والكروان والغراب والببغاء والرخم والملبدة والنسر والعقم والصقر والبوم والقدرة وغير ها\(^{11}\).

وكان هناك مقارب بأحجام وألوان مختلفة، والأفاعي والحيتان، والتي كانت بعضها كبير الحجم يقفز على مبادئ مفرطة، فأفرع الناس في البوادي والأودية، وحتى زعم البعض أن بعضها أجنحة، وأنها ذات ألوان مختلفة، إلى غير ذلك من صفات تزت أثرها في كتبات هيبودوت وسيرباير\(^{10}\)، وتحدثنا النصوص الآشورية أن جيش إسرخدون\(^{12}\) (180-179 ق.م.) قد فزع من كثرة التعابين والحيتان في البداية، والتي زعمت النصوص أن من بينها ثمانين ذات رأسين، وأخرى لها أجنحة\(^{3}\)، وقد فزع الإسرائيليون كذلك أثناء الهرب من التعابين الطائرة\(^{13}\)، كما فزع السياح والمسترشدون من كثرة التعابين في الأماكن التي تزوير بها، ومنها وادي السرحان\(^{4}\).

طرق القوافل:

تقع شبه جزيرة العرب في مكان وسط من حيث المناطق المناخية والنباتية في العالم القديم، فإن شرقها يقع الإقليم الموسمي النفي بإنتاجه الزراعي، وإلى غربها

\(^{1}\) جوايد علي/1 2003 المديد: المرجع السابق ص 101، محمود شاكر: المرجع السابق ص 141،
B. Moritz, op. cit., P. 40.

Herodotus, III, 107, 113، Strabo, XVI, 4, 19, 25.

\(^{3}\) جوايد علي/1 2005/1،
R.W. Rogers, Cuneiform Parallels to the old Testament, P. 359.
J.A. Montgomery, Arabia and the Bible, P. 8

\(^{4}\) عدد 24، إشبيلية 6:300.

Colonel Lawrence, Revolt in the Desert, P. 93.
T.E. Lawrence, Seven Pillars of Wisdom, P. 269-70
وشمالاً يقع إقليم البحر المتوسط وما وراءه، وله لون خاص من الإنتاج الزراعي يختلف عن الإنتاج في الإقليم الموسمي، ويعبر عن الصحراء العربية على أقصر طرية بين أغنى أقاليم العالم القديم التي تتفاوت في إنتاجها تفاوتاً كبيراً، مما يؤدي إلى التبادل التجاري، ومن ناحية أخرى يملك البدو وسيلة المواصلات الوحيدة في الصحراء - الجمل وخاصة المهري - وأخيراً فالتجارة وسيلة ممتازة للإستغزا، أفضل بكثير من رحلاته التي يقوم بها بطبعه إلى هواش الصحراء، لبادلة حاسلاتها بحاصلات الزروع المستبرئين، أضاف إلى ذلك كله، أن البدو يمكنهم عبر الصحراء في قوافل ذات أعداد كبيرة، تضمن الحماية والسلامة من الغارات أثناء الطريق،

وهكذا تكاملت الأطراف لإنشاء تجارة رابحة بين الإقليم الموسمي وبلاد الحلال الخصيب من ناحية، وبين جنوب غرب شبه الجزيرة العربية وجنوبها، ومصر ودول شرق البحر المتوسط من ناحية أخرى، أو يمتعى آخر، وجدت مناطق الإنتاج وأسواق الاستهلاك، والعرب الرعاة وإبلهم فيما بينهما وسطاء للتجارة، وهكذا نشأت الطرق والدواب الصحراوية تسلوكها التجارة، وأصبح جنوب غرب الجزيرة، وجنبها مركز إشعاع تخرج منه القوافل التجارية إلى الشمال - عبر مكة وبيروت - حتى الساحل الشرقي للبحر المتوسط، وحدود خليج العقبة إلى مصر، وكانت موانيء الخليج العربي مركز الإشعاع الثاني للطرق والدواب الصحراوية، فأنه تخرج الطرق إلى غرب شبه الجزيرة وإلى جنوبها، وشمالاً الغربي، (1)

لقد كان هناك مراكز تخرج منها الطرق، جرباً على الخليج العربي، ومدن الساحل الجنوبي الغربي، وقد سارت هذه الطرق كالآتي:

(1) الطريق الجنوبي الشمالي: من مأرب إلى اليمامة، وبداً في الواقع من عدن وقنا في بلاد اليمن وحضرموت، ثم مأرب - على مسافة 300 ميلاً إلى الشرق من

---

(2) عثمان الصافي: أثر الغلا: أثر الغلا: 127، 124.

---

(3) جمال سعدان: المرج الساكن ص 99.

---
(1) جرها: و قد ذكرها الهمداني باسم "جرها" وهي سوق له تجمر في الإحساء، ومن قرن مضى أتى
(2) طريق مارب - جرها: ويتوجه من مارب ثم جرها، حيث يتجه إلى
الشمال الشرقي في وادي الدواسر، ويربط بقرية الغاف - على مسافة 50 كيلومتراً
إلى جنوب نقطة يتدخّل ويتناغم فيها وادي الدواسر مع جبال طويق عند فوهة
مجرى قناة تدعى الفان، وتشير على الحافة الشمالية الغربية للربع الخالي - ومن هناك
يتوجه إلى الأفلاج الفمامة، أو عن طريق واحة بيرين - على مسافة 630 كيلومتراً
جنوب غرب الهفوف - ثم واحة الهفوف، فجرها (الجرعاء) (1)، على ساحل
الخليج العربي.

S. A. Huzayyin, Arabia and the Far East, Cairo, 1942, P. 142.
A. Sprenger, Die Alte Geographie Arabiens, Berlin, 1875, P. 135.
E. Monroe, Arabia, From Incense to Oil, Addarah, I, Riyadh, 1976, P. 11.
(3) طريق جرها - البتراء: وبدأ من جرها ثم الهفن، ثم إلى شمال اليمامة، عند موقع مدينة الرياض الحالية تقريباً، ثم يتجه إلى الشمال الغربي، موازياً لجبل طويل، ثم يتجه غرباً إلى بريدة، ومنها إلى حائل فتيماء، وأخيراً البتراء.

(4) ويرتفع هذا الطريق الربع البحري العربي والمحيط الهندي والممالك العربية الجنوبية، وخاصة حضرموت ومنطقة عمان، وبدأ من الخليج متوجهاً شمالي بغرب ماراً بمحاذاة الحدود الشرقية لندج، ومنها بعد ذلك، إما إلى الشمال في إتجاه العراق، وإما إلى بداية الشام.

(5) وأما الطريق الخامس، فقد كان عبر الطرف الشرقي من الربع الخالي، وبدأ من منطقة حضرموت وعمان متوجهًا إلى منطقة اليمامة، صاعدًا إلى بلاد الشام أو العراق، حيث يلتقي بالطريق الشرقي ويفرع الطريق الغربي.

وعلى أي حال، ففي القرن الأول الميلادي تحولت التجارة إلى البحر الأحمر، فاضححت أهمية هذه الطرق، وأصبح الطريق البحري هو المفضل، وأما أهم مواد تجارة التقل في الصحرا، فكان كل ما خف حمله وغلافه، فمن الجنوب إلى الشمال يتحرك عبر الذهب والصدف والعلاج والبضائع الواحد والثروات، ومن الشمال إلى الجنوب. تتحرك الأقمشة والآلات والأدوات والمعدات واللحوم، أي الخامات من الجنوب والصناعات من الشمال.

---

1. عبد الرحمن الأنصاري: "المدن من بعض المدن القديمة في شبه الجزيرة العربية، مجلة الدارة، العدد الأول 1933، ص 47، الباحثة موترو: المرجع السابق ص 35، محمود طه أبودو: المراجع السابق ص 127.

A. Amer, The Ancient Trans-Peninsular Routes of Arabia, Cairo, 1925, P. 126-140.

الفصل الرابع
لقطة العرب
مدونة وأصولها التاريخية

لعل من الأفضل هنا أن نحدد معنى كلمة عرب وآصلها، تلك الكلمة التي تضاربت فيها آراء المفسرين، ولم يتفقوا على رأي واحد بشأنها، حتى أ Desired بعضهم برأي أو آخر، لا يبدو أن يكون مجرد حدس أو تخمين، فما هي المادة التي اشتقت منها كلمة عربة إذن؟ وما هو أقدم ذكر لها؟ وهل سمي سكان بلاد العرب أنفسهم عرباً؟ ومتى كان ذلك؟

إن علماء العربية أنفسهم حやり في تعين أول من نطق بالعربية، فبينما ذهب فريق إلى أن «عرب بن حطان» كان أول من أعرض في سخانه، وتكلم بهذا اللسان العربي، وأول من إنخدل لسانه عن السريانية إلى العربية، لأنه أول من _______________________

أبر الحداد / 1366، أثر في علوم اللغة / 1، تاج العرش / 371 / 2، نهاية الأدب 379 / 1، المعارف 13، المصادر 378 / 3، خلاصة الوفا ص 121، الإكليل 116 / 2، باقيا 98-99، روح الماني 12، 172، فكان السامع تفسير المتن 98-99، حيث يذكر رواية مرفعة لابن باس تمذج إلى أن هودا كان أول من تكلم العربية، وأنه قد ورد له أربعة: حطان واقتحم واقتحم واقتحم، ففيما إذن أبو مسفر، وحثلب أبو الين، ثم أنظر: روح الماني 154 / 8، السهويه: دواص الوقا بأباح دار المصطفى - الجزء الأول - القاهية 1326، ص 122).
سمح في العربية الواسعة، ونطق بألفها وألفها ووجودها، واللغة خاصة بإسمه
مشتق من اسمه (1) ولكنه في نفس الوقت ينتمون إلى السياق العربي لسان أهل الجنة
كما هو لسان آدم قبل أن ينحرف إلى السياقية (2) أي أنهم ينتمون إلى عرب بن
قحطان هذا، إما يرجع إلى ميدان الخليفة، ومن ناحية القول أن قول أن الأمر لم
يمكن كذلك.

هذا فضلًا عن أن هؤلاء الذين ينادون بتحديات اللغة العربية، إذا يجهدون أنفسهم
ليانا بالغ الثمن من الروايات لاتصال صحة ما يذهبون إليه، فإن القنطلاين
هم أصل العرب، وأن لسانهم هو لسان العرب الأول، ومنهم تعلم العدلانيون
الغربية (3) حتى ذهب البعض منهم إلى أن يكون ديله القاطع على صحة ما ذهب
إليه أيهما من شعر حسان بن ثابت (4) وتجاهل أصحاب هذا الإتجاه أن شعر
حسان هذا قد متاخر، بحيث لا يمكن أن يكون ديلة على أول من نطق بالغربية
ففضلنا عند الصحابي الجليل قحطاني، ومن ثمْ فهم ما كان متضباً لقومه في شعره.

(1) عبد الله بن قريب الأسدي: تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت 1359 ص 8، لسان العرب
10/47، روح المعاني 174/2، عبد المنير سالم: المراجع السابق ص 75، ثم رائد: وفيه
القرار 122/1-114.

(2) المزهر 2/20، روح المعاني 174/2، وأنا لغة السريانية، فهي لجة أوروبية تقنية، هي كندة
كانت جزءًا من التحية الزمنية في اللغة العربية، وقد نشأت السريانية وترعرعت في إتمام مدينة البارها
(هربان) ثم الرومان أو أوروبا والعربية جنوب شرق تركيا، ثم ظهر الخط السرياني المرور
 Påخشط السرياني) عقب الإنشاغ المحيطي في عدد سريان الرها في عام 489، ثم سرعان ما
نشأت لغة السريانية (لغة شعبية إلى العصور الوسطى، وسلبي النطاعية)، وعلي أي حال،
فقلت أصبحت السريانية لغة حية في العلم والفكر في الشرق حتى القرن الثاني عشر الميلادي، فإن اسمت
لغة الكاشانا حتى القرن الثالث عشر الميلادي، ثم خلت محاولتها العربية بعد ذلك، وأما بسب استعمال
السريانية، فإن إرآريام هناك أصبح له مدلول في يدي نصبت بعد اكتشاف المحيطة هناك،
ومن ثم فقد سمى القوم أنفسهم بالإمبراطورية السمرية، واللغة السمرية، واللغة السمرية، و
مذجهاً من الآثارية الهرمية والمرحة (أناJK حسن طلّاطا: المرجع السابق ص 115-116، فليپ
حق في تأريخ سوري بيلان، وسديوان، الإذاعة الأولى ص 185-186)، وهكذا يبدو واضحة أن السريانية
ظهرت بعد أصلها عليه السلام يكرون، وبيد «آدم» عليه السلام، بالألاة، فالمثالي.

(3) جراد علي 141/15/49/4/3، ثم رائد: مرجع الذكر 44/3.

(4) الإكليل 1/117.
هذا، ودبي أن فريقًا من أصحاب هذا الإتجاه قد تبنوا إلى ذلك، ومن ثم فقد نسبوا إلى يعرب نفسه شعراً عربياً فصيحاً، يقول فيه:

أنا ابن قحطان الهمام الأفضل وذو اللسان المحسن تفرعت الأمة في تعلل نحو يمن الشمس في مهل
وكنت منهم ذا الركيل الأول(1)

وبدني أن ها شعر متحول، ما في ذلك من ريب.

أضف إلى ذلك، أنه - على ما يبدو - لم يكن يخطر ببال هؤلاء المنادين بفتحانية اللغة العربية، أن سكان اليمن قبل الإسلام إذا كانوا ينطقون بلهجات تختلف عن لغة القرآن الكريم، وأن من يأتي بعدهم قد يكشف شر سهمنه، الخط الذي كان الناس يكتبون به في جنوب شبه الجزيرة العربية - ومن ثم يمكن قراءة نصوصه والتعريف على لغته(2)، وأن عربية إما هي عربية تختلف عن هذه العربية التي ندوّن بها، حتى ذهب الأمر بعلماء العربية في الإسلام إلى إخراج الحميرية واللهجات العربية الأخرى في جنوب شبه الجزيرة العربية من اللغة العربية، وقصر العربية على العربية التي نزل بها القرآن الكريم، وعلى ما تفرع منها من لهجات(3)، ومن هنا يروي الجميح: أن أحد علماء العربية مثل عن لسان حمير، فقال:
ما لسان حمير وأفاصي اليمن بلساننا ولا غريتهم برميتنا(4)، وإن كان دون شك أن هذا هو رأي العدلانيين في التخطائيين.

هذا فضلاً عن أن القائلين بأنا يعرب بن قحطان هو جد العربية وموجدها عاجزون عن التوافق بين رأيهم هذا، وبين رأيهم في أن العربية قديمة قدم العالم،

(1) البكري، 1975
(2) أثرن: أحمد حسن شريف الدين: اللغة العربية في عصور ما قبل الإسلام، القاهرة، 1975
(3) جوزيف: المختصر في لغة حمير، 1934، وهيمنة من كتب اللغة
(4) بوروف: على 15، قارئ: المصري: مرج القهرب، 4/2، 1952
(5) محمد بن سالم الحمسي: طبقات فلولا الشعراء، تحقيق محمود عبد الرازق، القاهرة، 1952، ص؛
وأنها لغة آدم في الجنة، لم هم عازرون أيضاً عن بيان كيف كان لسان أجداده يعرفهم وكيف استجابة هذه اللغة العربية، وكيف يمكن وحده من إيجادهما من غير مؤازر ولا معين إلى غير ذلك من أسلحة لم يفتح إليها أهل الأخبار في ذلك الزمن (1).

على إن هناك من حاول أن يقدم تفسيراً أسطورياً ذهب فيه إلى أن عاداً قد اقتربوا من اليمن بعد عهد هود عليه السلام (2)، فأرسل النمرود إبن عمه حطان أو وله بعرت ليسكنها، وحين وصل الأخيب إلى اليمن لم يجد فيها إلا قليلاً من آمن بحورد، ولكنهم مرسان ما بادوا (3)، ومن ثم فقد خلصت الأرض للفتحان، وكان بعرت دون إخوته من إمارة من عاد، فتملك بلسانها وهو العربية، على أن رواية أخرى تذهب إلى أن المرأة إذا كانت من العمالقة، وأن أولادها جميعاً قد أخذوا العربية عنها (4)، فضاً عن أن النمرود هذا - في رأيهم - هو صاحب إبراهيم عليه السلام، والذي يأتي بعد عصر هود، يزعمون، فيما يزعمون.

وهناك طريق ثان إذ يزعم أن هوداً، عليه السلام، إذا كان أول من تكلم بالعربية، بينما يزعم الآخرون أن آباء هو أول من تكلم بها، على أن فينقاً ثانياً يرى أن نوحاً - عليه السلام - هو أول اللاتين بالعربية (5)، ويتوجه طريق رابع إلى أنه عمله، وهو أبو العمالقة، وذلك حين ظن القدم من بابل، ومن ثم فقد كان يقال للعمالق - وكذا بقية - العربية (6).

(1) جواد علي، 15/1، قان : الإديبيون: الإخبار الطول ص 77، المراب ص 271.
(2) أنظر عن سيدنا هود: الفصل السادس من كتابنا دراسات في التاريخ القائلي في BASOR، 73، 1939، P. 14-15، وكذا C. Forster، op. cit.، P. 32.
(3) الدينورا: الإخبار الطول ص 77 وانتظر: الماراب ص 271. 
(4) أنظر: الإخبار الطول ص 77 وانتظر: الماراب ص 271.
(5) أبو النباتا، 11/1، الإنجيطة، ص 39، تفسير الشعراء، ص 114/12، عبد الوهاب النجار.
وأخيراً فقد ذهب فريق خامس إلى أن إسمايل ابن إبراهيم، عليه السلام، كان أول من ألهم هذا اللسان العربي المبين، وهو ما يدل بعد في الرابعة عشرة من عمره، ولعل هذا الاتجاه الآخر إذا كان السبب في أن يذهب البعض إلى أن قطعناً إما هو من ولد إسمايل، عليه السلام.

ولعل هذه الآراء المتضاربة إذا كانت السبب في أن يحاول البعض التوفيق بين الربين الأساسيين – الأول والخامس – ومن ثم فقد ذهب هذا التفسير إلى أن عرب هو أول من نطق بمنطق العربية، وأن إسمايل هو أول من نطق باللغة الحجازية الخالصة التي أنزل بها القرآن الكريم.

وبهاء أي حال فإن الألوسي يذهب إلى أن لفظ العرب، إما يطلق أصلاً يقوم جمعها عدة صفات، منها أن لسانهم كان العربي، ومنها أنهم كانوا من أولاد العرب، ومنها أن مساقتهم كانت بارز العرب حتى ظهور الإسلام، ثم تفرقوا بعد ذلك في البلاد التي دارت بعيدة التواريخ ورسالة محمد – صلوات الله وسلامه عليه، وذهب آخرون إلى أن كل من سكن جزيرة العرب ونطق بلسان أهلها، فهم العرب، سموا عربياً باسم بلدهم العربيات.

وقد اختالف الآراء كذلك في معنى كلمة « العرب » ومصدر أشتقاقها، فيما ذهب البعض إلى أن أصل الكلمة ما يزال غامضاً، ذهب آخرون إلى أنها مشتقة من الفعل « عرب » بمعنى يفصيح في الحديث، ومن ثم فقد أصبحت تدل

---

(1) تاريخ المحيط ص 104، تاريخ البهلوبي 1/134، العقد الثامن/124-125، تاريخ العرب 2/352 لسان العرب 654/2، تاريخ ابن الوليد 86/2، قان، يافوت 4/88.
(2) وفاء الوفاء 1/123-124.
(3) تاريخ الخمسة ص 110، تاريخ الأسيوي 3/324، تفسير روح الماني 137-137/163-167، الطلبات الكبري 24/1.
(4) آثار السيد محمود سكري الأوليوي، بلغ العرب في معرفة أحوال العرب، (ثلاثة أجزاء) القاهرة.
(5) يافوت الموالية، مجمع البلدان، بيروت 1957، الجزء الرابع، 7.
(6) بيرنارد لويس، العرب في التاريخ، ترجمة نبأ فارس، ومحمد يوسف بيروت 1954، ص 9.

---

١٤١ -
على الـلأرب للفصاحتيه(1) ، إلا أن هناك من يعارض هذا الإنجـاجـة ويرى أن العكس هو الصحيح ، وأن الفـلـس موجود الذي أـلتـقـى من كلمة عـرب ، ذلك أن المرء عندما يعبر عن أفكاره بـالسـامـي ، فإنه إذا لم يعبر عن رأيه(2) ،

على أن هناك من يذهب إلى أن كلمة عـرب ، إنها مشتقة من أصل سامي قديم يمتبغى العرب(3) ، وأن القاطنين في بلاد الرافدين هم الذين أطلقوا عليهم هذا الـاسم ، لأنهم يقيمون في البداية الواقعة إلى العرب من العراق ، والتي كان يطلق عليها أرض عـرب(4) ، غير أن هناك من يرى أن العرب كانوا يستخدمون هذا الـاسم إذا ما تحدثوا عن أنفسهم ، ومن ثم فليس من المقبول أن يسمى قوم أنفسهم بـالـلأرب يدل على موقعهم بالنسبة إلى غيرهم من الشعوب المجاورة(5) .

والأهم عندى أن ذلك ليس صحيحًا ، فالـلأربون ، كما تعرف ، كان قد أطلق عليهم جزءهم السـمـوريون في الشرق إسم مـارـتون ، كما أطلق عليهم الآكرادون إسم أـمورو ، ويعني العرب ، وهو الـاسم الذي عرفوه به في التاريخ ، بل إن البـالـبين توسعوا في استعمال كلمة أـمورو ، فأطلقوها على كل سـوريّة القديمة ، كما سموا البحر الأخضر المتوسط بـبحر أـمورو العظيم ، وأما عاصمتهم فقد كانت مـاري وهي كلمة سـمـوريّة من جهة الاشتراك ، شبيهة باسم البلاد مـارـتون ومورونى ، أي بلاد العرب(6) ، ناهيك بما تستعمله الآن - سياسياً وعلماً - من اصطلاحات الشرق الأدنى وشرق الأوسط وشرق الأقصى ، وكلها اصطلاحات أوروبية ، تدل على موقع تلك المناطق من أوروبا .

A. Grohmann, El, Article al-Arab, P. 525.

(1) محمد شكري الآلوسي: المرجع السابق ص 8 .
(2) المؤرخ 35/1 ، لبنان السابق 88/1 .
(3) أحمد فخري: الدين مصري وثاهرها ص 13 .
(4) باردو رويس: العرب في التاريخ ص 9 ، عبد والمزين سالم المراجع السابق ص 75 .
(5) راجح كابانات إسرائيل ش 322 (الثورة 1973) .

- 142 -
 وهناك من يرى أن كلمةٍ عربيةً ترتبط بكلمةٍ عربيةً، إرتباطاً لغويًّاً مثيراً لأنهما مشتقان من أصل واحد، ويدل أن معنى واحد، فهما مشتقان من الفعل الثلاثي عبير، يعنى تعديل مرحلة من الطريق، أو عبر الوادي أو النهر من عبره إلى عبره، أو عبر سبيل شقيها. ذلك لأن العرب والعربين كانوا في الأصل من الأمم البدوية الصحراوية التي لا تستقر في مكان، بل ترحل من بقعة إلى أخرى بإيلها ومشيتيها بحراً من الماء والكلا، ومن هنا فإن كلمة عربية وعبري مثل كلمة بدوية، أي ساكن الصحراء أو البادية، وقرب من هذا ما يراه نولدكه من أن كلمة عربية معناها صحراء.

واذا ما تبنايا تاريخ لفظة العرب ومدلونها في اللغات السامية القديمة، ووجدنا أنه على الرغم من وجود علاقات قديمة بين سكان إيزوريتامبا والمأثري الشرقية في شبه الجزيرة العربية، فإن أقدم نص وجدت فيه هذه الفاظا - فيما نعلم - يرجع تاريخه إلى عهد الملك الآشوري شلمتبرث الثالث (824-859م)، أو بالتحديد إلى موقعه قرقتس عام 853 ق م.، والتي اشترك فيها أمير عربي يدعى جنديب (جنديبو) إلى جانب حلف من الأمراء السوريين ضد الامبراطورية الآشورية.

---

(1) إسرائيل ولفنون: تاريخ اللغات السامية، القاهرة 1929 ص 77-78
(2) محمد مرزوق نافع: عصر ما قبل الإسلام ص 12
(3) نظرًا هذه العلاقات: مقاومة العرب بواصلاتهم الأولى في العصور القديمة، مجلة كلية اللغة العربية، العدد السادس، الرياض 1976 ص 267-274، عبادة حسن مصري: مجلة قيادة، العدد الأول، السنة الثانية، 1976 ص 66-75

A.H. Masry, Prehistory in Northeastern Arabia, Miami, Florida, 1974, P. 1F.

(4) نظرًا كتابًا: إسرائيل، ص 494-495
M. Noth, History of Israel, London, 1965, P. 245-6
J.A. Montgomery, Arabia and the Bible, P. 27
S.A. Cook, in CAH, III, P. 363.
The Jewish Encyclopedia, N.Y., 1902, P. 41.
Alois Musil, in the Arabia Desert, N.Y., 1930, P. 477.
وهناك من عهد تجلات بلاسر الثالث (745-727 ق.م)، حوليات عصر عليها في كمال جاية في بعضها إشارات إلى جزيرة من نزبة، مملكة بلاد العرب، هذا فضلاً عن نص آخر يقول فيه الملك الآشوري: أما شمسى (سمى) مملكة بلاد العرب، التي حلت بين همسم، فقد أصبحت خالية من قوة جيشى، وأرسلت لي جملاء ونفاطاً، ثم عينت موظفاً من لدنى هنالك (1)، وعلى أي حال، فيبدو أن شمسى قد تقضت عهد الولاء الآشورى، ومن ثم رأينا سرجون الثاني (722-705 ق.م) يحدثنا أنه قد تلقى الجزية من بير صاحب موصري، ومن شمسى مملكة بلاد العرب، ومن أتعماراً (يغ أمير) أمير سبا، تيراً وخلاياً وجمالاً (2).

هذا وتحدث قورش من ساحب (05-681 ق.م) وولده إسحادون (180-669 ق.م) عن سيطرة الأول على بادية شمال بلاد العرب، حتى دعا هيرودوت بملك العرب والأشوريين، فضلاً عن إخضاعه لملكة العرب، تعلقنا صاحبة دومة الجندل، وأسر الملكة أو الأميرة العربية تاربو (بنت) (3).

ولعل من الأهمية يمك أن الإشارة هنا إلى أن لفظة عرب عند الأشوريين، إذا تعني بداية أو إمارة على تخوم الحدود الآشورية، تنتمي حدودها وتفضيل طابعاً للنظر التاريخية، وطبقاً لشخصية الأمير الحاكم الذي كان في أغلب الأحيان

(1) أنتير: نجيب ميخائيل، مصر والشرق الأدنى القديم، الإسكندرية 1963، الجزء الخامس ص 216.
A.T. Olmstead, History of Assyria, P. 189
ANET, P. 284. وكذا A. Musil, op. cit., P. 479.
يحمل لقب  ملك الخوارج ، هذا إلى جانب أن الكتابة الآشورية لم تكن تتحرك المقاطع ، حتى بات من الصعب على العلماء الإتفاق على نطاق موحد لكلمة ، ومن ثم فقد وجدت عدة قراءات لكلمة عرب ، مثل عربى (Arabi)، عربى (Arabi) و عربى (Arabi) و عربى (Urbi) ، إلى غير ذلك من أمثال عربى (Arabi) و عربى (Arabi) و عربى (Urbi) ، إلى غير ذلك من أمثال عربى (Arabi) و عربى (Arabi) و عربى (Urbi) (1).

وفي القرن السادس قبل الميلاد ، تظهر كلمة عرب (Arabaya) في النصوص الفارسية ، المكتوبة باللغة الإلهية (أو الآشورية) ، وذلك في نصيّ إنصاترات الملك دارا الأول (72–86 م.م.) ، المعروف باسم نقش بهستون ، في إحدى المرارات الجبلية في الطريق بين كرمشاه وهمدان (2) ، تظهر كلمة عرب بمعنى البادية التي تفصل بين آشور وبابل من ناحية ، وبين مصر من ناحية أخرى ، مما جعل بعض العلماء يدلون عليه جزيرة سيناء في جملة هذه الأرضين ، وقد عاشت قبائل عربية عديدة في منطقة سيناء قبل الميلاد (3).

وأما في الثورة - أو المعهد القديم - فقد وردت كلمة عرب بمعنى البدو والأعراب ، ومعنى القرن والجنف ، في مواضع كثيرة ، فهم رعاة يسكنون

---

(1) جواد علي 16/1/4F

(2) أثر عن نقش بهستون:

(3) جواد علي 18–17/1/16
A. T. Olmstead, Darius and his Behistun Inscription, AJSL, LV, 1938.


---
الخيام، ولا يخيم هناك إبراهيم ولا يرتضى هناك رعاة (1)، ويكفر فيهم المتربصون
على طريق القوافل. في الطرقات جلفت لهم كأعرابا في البرية (2)، ونفس
المفعون يتعد في نصوص توراتية أخرى، كما في أشياء (3)، وأخرى (4) لا يقصد بها قومية على جنس معين، وإنما المقصود دائماً البادية، موطن العزلة
والوحدة والخطر (5).

وأما في التلمود، فقد قصد بكلمة عرب وعربم وعربيم، والأعراب كذلك - أي نفس المعنى الذي ورد في أسفار التوراة - كما أصبحت لفظة
عربي، مرادفة في بعض الأحيان بكلمة اِسْمَاعِيَل (6)، نسبة إلى سيدنا إسماعيل،
جد العرب، والأخ الأكبر لساحق، والد يعقوب أو إسرائيل، جد اليهود.

وفي أخريات القرن السادس قبل الميلاد، بدأ اليونان يتحدثون عن العرب في
كتاباتهم، وكان أو إسكليوس (أخيلوس) أشخب (535–456 ق.م.)،
أول من ذكر العرب من اليونان، وذلك إبان الحديث عن الملك الفارسي أكتر كيسس
الأول (486–465 ق.م.)، والذي هاجم اليونان في بلادهم بجيش في ضابط
عربي من الرؤساء مشهور (7)، ثم جاء هيرود (484–420 ق.م.) ففطرض
في كتابه الثاني لذكر العرب، بطريقة تدل على أنه كان على شيء من العلم بهم،
كما أطلق على بلاد العرب لفظة Arabie، ويعني بها البادية وشبه جزيرة العرب

(1) أشياء 20:20.
(2) إبيه 2:3.
(3) أشياء 21:12.
(4) إبيه 2:44.
(5) جواب على 1/18، وكذا.
(7) جواب على 21/1.
EB, P. 273.
والأراضي الواقعة إلى الشرق من نهر النيل، ومن ثم فقد أدخل هيرودوت سيناء، وكل الأقسام الشرقية من مصر — والواقعة بين سواحل البحر الأحمر ونهر النيل — في بلاد العرب.  

وجاء ذكر أبو سيراب (27 ق.م - 24 م) و بالتنبّي (22-57 م) فكانت ماهزباً إليه هيرودوت، وأضافاً إلى ذلك أن عدد العرب في عهدهم قد تضاعف على الضفة الغربية من البحر الأحمر، حتى شغلوا كل المنطقة بينه وبين نهر النيل من أعلى الصعيد، وكان لهم جمال يتقلون عليها التجارة والناس بين البحر الأحمر والنيل (1)، بل إن سيراب قد وصف مدينة فقينة جنوبى قنها، بأنها مدينة واقعة تحت حكم العرب، وأن نصف سكانها من أولئك العرب (2).

وهيذا كانت بلاد العرب تتدفق بالوجوه ثلة الأخرى إلى وادي النيل، عبر البحر الأحمر، وعن طريق سيناء، والتي كانت منذ القدم قطرة ثابتة متغيرة للهجرات، التي كان من أهمها (أولاً) قبائل كهلاة من عرب الجنوب، استقرت في الجزء الشمالي الشرقي من مصر في مطلع المسيحية، ومنها (ثانياً) هجرة قبائل من طيء، فرع كهلاة آخر من المجموعة الجنوبية — كان من أهمها قبيلة بني، التي استقرت وجندم اللنان استقرتا في محافظة الشرقية، ومنها (ثالثاً) قبيلة بني التي استقرت فيما بين قنا والقصير، وكان عليها الاعتماد في نقل التجارة الهندية، ومنها (رابعاً) هجرة بطرس من خزاعة وهم فرع من الأزد خرجوا في البحيرة إلى مصر والشام، بسبب حقبة أصاب بلادهم، هذا فضلاً عن الجماعات التي استقرت في شرق الدلتا قبل الإسلام (4).


(1) المفرزي: البيان والإعراب كما أثرى مصر من الأعراب، القاهرة 1911 ص 89، أحمد مختار
(3) مصطلح كامل الشريف: عروبة مصر من قبائلها، القاهرة 1965 ص 22، دائرة المعارف الإسلامية، كتالها Encyclopaedia of Islam، ط 4/280/6 (طبعة الشيب) وكذا أنظر : أحمد مختار عمر: المراجع السابق ص 12، وكذا

- 146 -
وعلى أي حال، فليس لدينا كتابات جاهلة من ذلك النوع الذي يسمي المستشرقون "كتابات عربياً شماليًا"، غير نص واحد، ذلك النص الذي يعود إلى عهد إمبراطور القيس، ملك الحيرة، والمروف بـ "نقش النماذج (1)" - والذي سوف نناطقه بالتفصيل في مكانه من هذه الدراسة - وقد جاء فيه تجربة نفس مرسوم القيس ببرعمرو ملك العرب كما ذكرنا، وترجمته إلى العربية مفهومة يمكن أن تكون كذلك.

(1)

وأهمية هذا النص الذي يرجع إلى السابع من ديسمبر عام 326 م، في وورود لفظة "العرب" فيه، وإن كنا لا نستطيع القول أن إمبراطور القيس إذا أراد ب كلمة العرب هنا، البدو والحضر سواء بسواء، أو يعني آخر أورث بها أن تكون علمًا على قوم وجنس، وإنما واضح من النص أنه إذا يقصد بها الأعراب (2)، لأن كلمة ملك هذه لا تعني ما يراد منها حقيقة، وكلمة "عرب" إذا تعني "بدو"، فإن كان الرجل إذا كان يفعل حقا وظنيا "ملك الحيرة".

وأما النصوص العربية الجنوبية، فلم يرد فيها اسم "عرب" إلا يعني "أعراب"، ولم يقصد بها قومية، أي علم بهذا الجنس المعروف، الذي يشمل كل سكان بلاد العرب من بدو وحضر، أما أهل المدن والمتحضرات، فكانوا يعرفون مبادئهم وقبائلهم، وكانت مستقرة في الغالب، وهذا قبل سبأ وهمدان وحمير، وقبائل أخرى، يعني.


P.K. Hitti, op. cit., P. 82.
R. Dussaud, op. cit., P. 34.
حسن طلطا : المرج المنص ص 165-166.
جوايد علي 1/3.

148
أما قبلاء مستقرة محضرة، فإنها عن القباء الأخرى المسماة وأعراب، في التصوص العربي البليدي، مما يدل على أن لفظة العرب و العرب لم تؤدي معنى الجنس والقومية في الكتب العربية المدروسة، والتي ترجع إلى ما قبل الإسلام بقليل، أي من عامي 449، 450، وأن العرب الأثريين لم يفهموا هذا المعنى من اللفظة إلا بعد ظهور الإسلام، ودوخثم في دين الله أفرجاً، رغم ورود اللفظة في التصوص علمًا لأشخاص 1.

ولعل من الجدير بالذكر هنا أن أباب كرب أنعدم كان أول ملك يبني يضيف إلى لقب الرسومي كلمة الأعراب، ومن ثم فقد أصبح اللقب الملكي في عهد ملك ساباً وذي ردبان وحضرموت وينباث وآريانا في الجبال والهضام 2 — وسوف نشير إلى ذلك بالتفصيل في مكانه من هذه الدراسة——.

وأما الشعر الجاهلي فلم يكن بأفضل من التصوص المكتوب في هذا الصدد، ومن ثم فإننا لم نجد فيه صيغة من جذر (ع. ب.) للدلالة على معنى قومي يتعلق بالجنس، ولا على معنى يتعلق باللغة التي تتكلمها، ذلك لأن الجاهليين إذا كانوا غارقين في منازعاتهم القبلية، فلم يكن لديهم فيما لديهم من الأورث اللغوي — ما يدل على المدرك القومي الجاهلي 3 — غير أن الأموار سرعان ما تناشد، ففي العرب في أخريات العصر الجاهلي أمام الفرس، ومن ثم فقد بدأوا يشعرون شيئاً من البغضة.

1 جراد علي/1342، خليليحيى نازم، نشر نقوش سارية قدمة من جنوب بلاد العرب وشرحاها، القاهرة 1943 ص 89، 92.
2 J.A. Montgomery, op. cit., P. 272, EB, I, P. 275.
4 Albert Jamms, Sabaeen Inscriptions from Mahram Bilqis (Marib).
5 P. 445.
7 Le Museon, 1964, 3-4, P. 292.
8 عمر شوك: تاريخ الجاهلية، بيروت 1964 ص 41.
9 149
للفرنس، ويشعر عنده بخضرة بحب الغضة، ومن ثم نراح يقول في معلمه:

عن ناقله:

شربت بجاه الدخرين فأصبحت زوراء تنفر عن حياض الديلم وهكذا أحس عنده بالدماج القومي الجامع، ومت لم يمد الكلمة التي يعبر عنها، مضطر إلى أن يدور حول المنى بيت كامل من الشعر.

وجاء الإسلام، ونزل القرآن الكريم منجلًا في ثلاث وعشرين سنة في مكة والمدينة، فلم يرد فيه من البذل (ع. ر. ب.) إلا ثلاث صبي огрاباً (جمع عرب وفته من العرب)، فتعلى في زوجها في قوله تعال وحري أثرها، ثم جاعت الصيغة وأعراب، عشر مرات في سور مدنية فقط، منها ست مرات في سورة التوبة وحدها (7)، ولا حاجة لنا إلى الاستشهاد على أن كلمة وأعراب تدل في القرآن الكريم كما تدل في غيره - على البدو.

وأخيرًا حكم القرآن الكريم الأمر نهائياً، فجاءت فيه كلمة عربي، إحدى عشرة مرة - في سور مدنية وأخرى مكية - جاءت عشر مرات نعتًا للغة التي نزل بها القرآن الكريم (6)، وجاءت مرة واحدة نعتًا لشخص الرسول الأعظم صلوات الله عليه.

(1) نفس المرج: سابقاً ص 41.
(2) سورة الروماء: آية 37.
(4) عمر فروخ: تاريخ الهلالية ص 41، ونظر في نهاية الأدب 13-15.

- 100 -
الله وسلامه عليه - يقول سبحانه وتعالى: "ولو جعلنا قرآناً أعمجاً لقالوا ولا فصلت آياته، أعمجي وعربي" (1)؛ أي أقرآن أعمجي اللغة، وفي عربية؟

وهكذا أصبحت كلمة "عربي" علمًا على العرب جميعًا، كما كان استعمال القرآن الكريم لها دليلاً للشعراء على التعبير الذي لم يستطعوه عثراً، لأن يقبل إليه، ومن هنا رأينا كيف كتب بن مالك يقول في موالانا وجدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم -:

بدا لنا فاتعناه نصدقه وكديه فكنا أسعد العرب.

ثم رأينا حسان بن ثابت، بعد ذلك يقرع بينه هذيل، ما أشرطوا على الحبيب المصطفى - صلوات الله وسلامه عليه - أن يبيع لهم الزنا، في مقابل دخولهم في الإسلام:

سألت هذيل رسول الله فاحشة ضمت هذيل بما قالت ولم تصب سألوا رسولهم ما ليس مطيعهم حتى الممات وكانوا سبة العرب.

وهكذا بدأ في الشعر العربي مذكور لم يكن معرفة من قبل، هو أن العرب جماعة واحدة ذات نطاق من الوحدة الجامعة، على أن مدرك العربية يومذاك، أو المدرك القومي العام على الأصح، كان والإسلام شبيهاً واحدًا.(2)

وسرعان ما برزت كلمة "عبري" في مقابل كلمة "روم"، يروي صاحب الأغاني، أن "قيس بن عاصم" و" عمر بن الأبه" قدما إلى المصطفى - صلوات الله وسلامه عليه - بعد فتح مكة، فتسابوا وباهراً عنده، ثم قال "قيس" للرسول - عليه الصلاة والسلام - عن "عمرو" وقومه: "والله يا رسول الله ما هم منا، وإنهم من أهل الحيرة"، فقال عمرو: "بل هم والله يا رسول الله من الروم، وليسوا منا"، ثم قال عمرو مخاطباً قيس بن عاصم:

(1) سورة فصلت: آية 44، وإنظر: تفسير الطبري 269-270، تفسير البشاري 750/2.
(2) عمر فروخ: تاريخ الباهلي 42.
إن تبغضون فإن الروم أصلكم، والروم لا تملك البغضاء للعرب.

وقد نهى الرسول صل الله عليه وسلم قيما وعمرا عن هذا التلاغي.

وأفهمها أن الإسلام قد أغرق العصبات كليا.

وهكذا بدأت كلمة عرب تستعمل للتعبير عن المعنى القومي للجنس العربي.

ولهذا شكل في أن الإسلام كان صاحب الفضل في بسط روح القومية عند العرب.

وفي أثناء الانتفاضات الإسلامية، وعلى أيام الفاروق عمر بن الخطاب رضوان الله عليه بدأ العرب يتغاضون بينهم العرب، ويتامل هذا في البيت التالي لبروع ابن مالك:

إذا العرب العرباء جاءت بحورها فخروا على كل البحور الزوارخ

إلا أن الإسلام لم يكن - ولن يكون أبدا - دين عنصري، وإنما هو دين يقوم على مبدأ إنما المؤمنون إخوة، وعلى مبدأ إن أكركم عند الله أطفاكم، وإن لا أفضل عربي على عجمي إلا بالقوى، ومن هنا فرم أنه هو الذي جعل لكلمة عرب هذا اللقب في شعور الجماعة، فإنه إنما نهي عن أن يكون هذا الشعور عاملا مفرقا بين صفوف الأمة التي وحدها الإسلام، ثم إن الإسلام - بخلاف الديانات السماوية الأخرى - إنما هو شريعة الله الخالدة إلى البشرية كافه، وهكذا

(1) الأغلبي 14/8 88-87/ طبر 176/8/ (طق ليد).
(2) نفس المرجع السابق ص 43.
(3) سورة الحج: آية 104، وانظر : تفسير القرطبي 763/2، تفسير البغدادي 1/21,
(4) سورة الحج: آية 140، وانظر تفسير القرطبي 11/6، تفسير البغدادي 384، تفسير الطبري 14/121-1/129، تفسير البغدادي 428-
حارب الإسلام العصبي الجاهلية، وآخى الرسول، صلى الله عليه وسلم، بين المهاجرين والأنصار، وحالف بين قريش ويرب، ونسي عن أحلاف الجاهلية، وروى عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: "لا حلف في الإسلام"!  

وهكذا يبدو بوضوح - لا ليس فيه ولا غموض - أن العرب، في نظر الإسلام، كانت مفهومة دينياً وثقافياً، أكثر منه جسياً، وقد روى أن قيس بن مطاطية - وكان من المناقين - جاء إلى حلقه كان فيها "سلمان الفارسي"، و"بلال الحبيشي"، و"صهيب الرومي"، فقال: لقد قام الأوس والخزرج بنصره هذا الرجل - يعني سيدنا محمد رسول الله، صلى الله عليه وسلم - فما بال هذا؟ يقصد ما الذي يدعو الفارسي أو الحبيشي أو الرومي بنصره، فقام إليه "معاذ بن جبل"، وأخذ بتلايه، ثم أتي النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - وأخبره بمقاتله، فقام عليه الصلاة والسلام مغضباً يجري رداءه حتى أتي المسجد، ثم نودى: الصلاة جمعة، وقال صلى الله عليه وسلم: "يا أيها الناس، إن الرب واحد، والآب واحد، وإن الدين واحد، ولست العربية بأحدكم من أب ولا أم، وإنها للفعلاء، فمن تكلم العربية فهو عرفي"، فقام "معاذ بن جبل" وقال: "فما تأمري بهذا المناقين يا رسول الله؟ قال: دعه فإنه إلى النار"!  

---

(1) تفسير الطبري 36/4.  
(2) عبد الرحمن فواد: من مباني القرآن سن 132، تم إعداده: تفسير الطبري 16/12-448-450 (دار الكتب العربية، القاهرة 1967).
الفصل الخامس
العرب البائدة

عل من الأفضل هنا - قبل الحديث عن العرب البائدة - أن نشير - باديءًا، إلى ما جرى الأخباريون عليه من تقسيم العرب إلى طبقات ، أو ما عرف في الكتب التاريخية بطبقات العرب .

طبقات العرب :

إتفق الرواة وأهل الأخبار - أو كادوا يتفقون - على تقسيم العرب من حيث القدم إلى طبقات : عرب بائدة ، وعرب عارية ، وعرب مستعمرة ، أو عرب عارية ومستعمرة (1) ، أو عرب عارية ومستعمرة وتابعة ومستعمرة (2) .

علي أن هناك من يجعلهم طبقتين : بائدة وباقي، فأما البائدة فهم الذين كانوا عربة صرحا خلصاء ذوي نسب عربي خالص - نظرًا على الأقل - ويتكونون

المؤلف: الكاتب
مصدر: التاريخ
العنوان: عرب البائدة
الصفحة: 155
من قبائل عاد وثور وطسم وجديس وأميم وعين وجرهم والعاليق وحضورا
ومدني وغيرهم، وأما العرب الباقية - وهم من العرب المعترف والمستمرة - فهم
الذين ليسوا عرباً خليصاً، ويتكونون من بني يعرب بن قحطان، وبني معد بن
عدنان(1).

ولكن يعرب بن قحطان في قول الرواة - كما أشارنا من قبل - أول من إنعدل
لسائه عن السريانية إلى العربية، أو أول من تكلم العربية، ولستنا الآن في حاجة إلى
دحض هذه الروايات، فذلك أمر سبق لنا القيام به.

وهناك تقسيم ثالث يعتمد في الدورة الأولى على السبب، فهم قحطانية في اليمن,
وعدنانية في الحجاز(2)، على أن هابن خلدون، إما ينحو نحوماً آخر، يقسم به
العرب - طبقاً للتسلسل التاريخي - إلى طبقات أربعة، فهم عرب عارية قد بادت,
ثم مستمرة، وهم القحطانيون، ثم العرب التابعة لهم من عدنان والأوس والخزرج,
ثم الفاسنة والناذرة، وأخيراً العرب المستعمرة، وهم الذين دخلوا في نفوذ الدولة
الإسلامية(3).

هذى تقسيمات التي رأى الإخباريون تقسيم العرب إليها - من ناحية القدم
والتقدم في العربية - وهي تقسيمات يلاحظ عليها (أولاً) أنها لا ترجع إلى أيام
العرب القديماً أنفسهم، وإنما إلى العصور الإسلامية، فليس هناك نقاصة واحد يذكر
هذه التقسيمات ويرجع في تأريخه إلى ما قبل الإسلام، حتى يمكن القول أنها من
وضع العرب القديماً أنفسهم، ثم هي (ثانياً) عربية صرفة، وذلك لأن المصادر
اليهودية، وكذا المصادر اليونانية واللاتينية والسريانية، لم تعرض مثل هذه
التقسيمات(4).

---

(1) عمر فروخ : تاريخ الجاهلية من 44، ص.اعد الأندلي : طبقات الأمم ص 41.
(2) محسن إني في الأدب الجاهلي، القاهرة 1933. ص 99.
(3) عبد المقيز سالم : المرجع السابق ص 39، تاريخ ابن خلدون 28/2، بيرتوت 1965.
(4) جوايد علي 295/1.
والرأي عندي أن هذه التفسيرات غير مقبولة، ومنعفة كذلك، وذلك لأسباب منها (أولاً) أن القرآن الكريم لم يفرق بين العرب الحضري والساحلاني، وإما رفع العرب جميعاً إلى أب واحد، هو إبراهيم الخليل، عليه السلام، يقول سبحانه وتعالى: "وجاهدوا في الله حقاً جهاداً، وهو إنجابكم وما جعل علماً في الدين من حرج، ملأ آبكم إبراهيم (1) ومنها (ثانياً) ما روى عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: "كُل Converts from Modern Standard Arabic to Simple Arabic, Doha, 2019."
عدنان، فإنه صيغ هذان الحديثان الشريفان فيمكنا القول أن عدنان هو القرم الأول للقبائل العربية، عدا من سماهم الكتاب العربي بالقبائل البائدة(1). ومنها، كما إذا أخبرهم عندما حاوروا كتابة أنساب العرب، إذا اعتمدوا إلى حد كبير على سلسلة الأنساب في الطوراة، ومن ثم فقد وفروا من نسل قحطان فهم العرب الغريبة، ونزلوا في عين إسماعيل، فهم العرب المستعربة. أحدث نسبةً من غيرهم من القبائل البائدة والعربية في نظر كتاب العرب، وبالتالي فهم أقل شأنًا من نسل جنوب شبه الجزيرة العربية(2)، وهكنا كان الكتاب المسلمون مروجين لنظرية النزعة في الأنساب، وجعلوا أو تجاهوا أن النزعة إذا كانت ذلك لرفع من شأن بني إسرائيل على بني إسماعيل، وجعلهم منهم دون غيرهم الأمة المحترقة، وسلسة النسب المصدرة، على بني إسماعيل بالنماذج، وجعلوا أو تجاهوا أن الخليل، صلوات الله وسلامه عليه، إذا كان عريضًا خالصًا، والأمر كذلك بالنسبة إلى ذريته من بني إسماعيل(3).

ومنها، كما صاغت أن الشعر الجاهل لم يرد فيه ذكر لتقييم العرب إلى قحطان، وعدنانة، وإن وردت فيه أية تتفاخر أصحابها بعذاب أو قحطان، ترجع في أغلب النزعة إلى الحقبة القريبة من الإسلام، كما أن هذا التفاخر - أو حتى الهجاء - لا يصح أن يكون أساسًا لوضع نظرية في اختلاف أجناس القبائل العربية(4).

ومنها، كما صاغت أن ما يراه الإخباريون من أن العداء كان مستحكمًا بين العدنان والقحطانين من قديم(5)، حتى روا أن كل فريق منهم، إذا اتخذ لنفسه شعارًا في الحرب يختلف الآخر، فانعكس المضريون العائدون والرآيات الحمر، وانخذ أنهم العيش الصفر، فإنهما أصل هذا العداء ما كان بين الخضارة والبداوة من نزاع.

(1) عبد الرحمن الأنصاري، مباني على القبائل العربية البائدة، ص 93-94.
(2) نفس المرجع السابق في 93.
(3) نظر إلى كتابنا ودلائله، ص 121-125، وكذا كتابنا، دراسات في التاريخ الفارسي، الفصل الرابع.
(4) عبد المزيز سالم، المرجع السابق، ص 85، جواب على ١٨٥-٤٩٧.
طبيعي ، وكان توالى الوقائع والحوادث يزيد في العداء ، ويفوق روح الشر بينهم ، ومن أوضح الأمثلة على ذلك ما كان من العداء الشديد بين أهل المدينة - من أوس وخزرج ، وهم على ما يذكر السابرين قحطانيون ، وأهل مكة - وهم عدنانيون - وقد استمر هذا التنافس بينهم بعد الإسلام ، وكان بين القومين حرازات ومفاخرات ، وكل يدعي أنه أشرف نسباً ، وأعز نفرًا .

ومنها ( ثامنًا ) أن علماء الأنثروبولوجيا لم يلاحظوا فروقًا واضحة بين العدائيين والقحطانيين ، وإن كان من العجيب أن الدراسات الأنثروبولوجية التي أجربت على أفراد من القبائل العربية الجنوبية ، قد أثبتت فروقًا بين أفراد هذه القبائل (4) ، هذا إلى أن الحماج، التي عثر عليها من عهود ما قبل الإسلام تشير إلى وجود أعراق متعددة بينها (3) ، فإذا كان ذلك صحيحاً ، فربما كان السبب في هذا هو الاختلاط الجسمي عند القبائل العربية الجنوبية ، والذي كان نتيجة هجرات من وإلى جنوب شبه الجزيرة العربية ، ومن هنا كان التشابه بين أهل عمان وبين سكان السواحل الهندية المقابلة لها ، ثم بين أهل عدن وشبه الجزيرة العربية الجنوبية وثابتاً ، وبين سكان أفريقيا الشرقية ، وإن كان أكثر احتمالاً في الحالة الأخيرة أن تلك القبائل في أفريقيا الشرقية ، ربما كانت نتيجة هجرات عربية عن طريق باب المندب إلى (4) ،

ومنها ( تاسعاً ) أنه لم يظهر أي انقسام بين العرب على أيام الرسول - صلوات الله وسلم عليه - وكذا على أيام خليفته الصديق والفاروق - رضي الله عنهما - .

(1) أحمد أمين : فجر الإسلام ص 85 ، جواب على 1/4 ، اللسان 133/20 ، 3/28.
(2) B. Thomas, Arabia Felix, P. 301.
(3) جواب على 1/393.
(5) انظر : مقالتا "العرب وعلاقاتهم الدولية في المصور القديم" ص 475-267 (ملة كلية اللغة العربية والنيل الاجتماعي ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، العدد السادس ، الرياض 1996) ، وكداآ , Les Antiquités du Yemen, in le Museum, 61, 1948, P. 225F.
كما أن الروايات الخاصة بتنظيم الناروق عمر بن الخطاب لديوان المظالم لم يرد فيها ما يشير إلى أي إنسام أو تميز بين القحطانية والعدنانية كنحسة، وإنما كانت القربي من رسول الله صلى الله عليه وسلم، هي الأساس، ثم يتفاضل الناس بعد ذلك على مقدار سبيهم في الإسلام، وعلى أي حال، فقد كان بنو هاشم - بين النورة - قطب الترنيب، وأن هذا التسجيل قد تم سنة خمس عشرة للهجرة على رأي، وسنة عشرين على رأي آخر.

ومنها (عراة) أن الحروب التي قامت بين الإمام علي - كرم الله وجهه ورضي الله عنه - وبين خصومه، لم تكن حروباً بين قحطانيين وعدنانيين، وإنما كانت بين العدنانيين لأنفسهم، وال أمر كذلك بالنسبة إلى حروب إشتهى أوارها بين القحطانيين لأنفسهم.

ولعل من الأهمية يمكن الإشارة هنا إلى أن الحروب التي دارت رحاها بين العدنانيين والقحطانيين، أو بين فريق وفريق من هذه القبيلة أو تلك، لا تكاد تسمح فيه إنسام كل العرب إلى عدنان أو قحطان، وإيا تسمح فهماً بأساء القبائل أو الأحلاف التي انضمت إلى هذا أو ذاك، تسمح أسماها معد أو نزار أو مضر.

ولعل هذا كله، يجوز لنا أن نقول - مع الدكتور جواد علي - كيف يجوز لنا أن نصور إنسام العرب إلى قحطانيين وعدانانيين إنساماً حقيقةً، وقد كانت القبائل تتحالف فيما بينها، وتتحارب بعضها مع بعض بأحلاف قد تكون مزجها بين عدنانيين وقحطانيين، فإذا كان الأمر كذلك، وإذا كان العرب قحطانيين وعدنانيين بالأصل، فكيف تتحالف «جديلة» - وهي من طيء مع «بني شبيان» - ومن بني عدنان - محاربة «عبس» العدنانية، وكيف تنسر تحالف قبائل يمنية مع قبائل عدنانية، لمحاربة قبائل يمنية، أو لعقد محاولات دفاعية هجومية معها؟

---

(1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ 2/550-550، تاريخ الطبري 3/115، تاريخ المعمري 132/1
(2) جواد علي، عرب جغرافي؟، المرجع السابق ص 86

- 190 -
وهكذا يمكننا أن نتساءل نظرية الطبقات هذه، بأن الظروف السياسية لعبت دورها في تكوينها، وإن شاء أصحابها الرجفة بها إلى الماضي البعيد، ووضع تاريخ قديم لها، ذلك أن بني أمية، حين وضعت الأقدار أمر المسلمين بأيديهم، إما عملوا على إحياء العصبة الأولى بين القبائل وضرب الواحد منها بالأخرى، رغبة منهم في السيطرة على القبائل جميعاً، وشغلها عما يقترفه الواحد منهم أو الآخر من أخطاء.

وقد تسبب هذا الوضع - في أغلب الأحيان - في الإساءة إلى القبائل الجنوبية إلى حد كبير، وسرعان ما انتهى هذه القبائل فرصة قيام دولة بني العباس التي اعتمدت عليهم إلى حد كبير. فعملت على استعادة ما فقدت على أيام الأمويين، وبدأ الآخرون - ومعظمهم من قبائل الجنوب - يكتون عن الأنصار، وعن التاريخ العربي القديم، وكان موضع الخطر في هذا، أنهم بدأوا يكتونون وهم في البصرة والكوفة، ومن ثم فلم يجدوا من المصادر التي يعتمدون عليها، إلا ما كان قريباً منهم، وكانت الثورة - وما بدأ في فلكها من تصنيف - قد امتدت بها مكبات العراق، ومن ثم فقد تقلوا عنها ما كتبته عن حطان وإسحاق وهاجر وسواً وبعض قبائل الجنوب، وزاد الطين بلة، أن العصبة لدى اليمنيين قد لعبت دورًا خطيرًا في الأنساب، ومن ثم فقد نسبوا معظم القبائل البائدة إلى جنوب شبه الجزيرة العربية، كما أنهم لم يكتنوا بحب أقیسمهم، وإما كانوا يتسون غيرهم إليهم كذلك)1(، بل إن الأمر قد وصل إلى أن تتخذ لفظة «الأنصار» - والتي أطلقها على أهل المدينة من أوس وخزرج، بسبب نصرهم لرسول الله صلى الله عليه.

---

1. J. Halevy, JA, II, 1882., P. 490
وسلم — كأنها قد أصبحت نسبياً، مما ضايق بعض رجال قريش، وبدأ شعراء
المدينة يخفون بأصولهم اليمني، وبأنهم من أقرباء الغساسنة وذوي رحمهم، كما
استعملوا لفظة الأنصار في مقابل قريش ومعد ونزار (1).

ومن عجب أن بعض الزارية في هذا البار المحموم بالعاصبة إفتخاروا بالفرس
على اليمنية، وعبدوهم من ولد إسحاق بن إبراهيم، ومن ثم فقد أصبح إبراهيم جد
الفرس والعرب، ولم تكتم النازارية بذلك، بل زعم أن هذا النسب قديم،
معتمدين في ذلك على شعر نسيبه إلى شاعر جاهلي، وجراه الفرس في هذا الزعم
تقرباً إلى الحكومة وهي عدنانية، فضلاً عن أسباب سياسة أخرى، لا شك أن
منها إثارة العصبية البيضية بين العرب أنفسهم، ويبعد أن العدنانيين لم يكتموا بربط
نسبهم بالفرس والبرازيليين، وإنما ربطوه كذلك بالأكراد، حين نسبوه إلى
رابعة بن نزار بن يبير بن وايل (2)، فكان رد النجاطيين أن جعلوا اليونان من
ذوي قربهم، بل إن الترك كذلك أصبحوا من حمير (3).

على أن促进了 وصول إلماير أن أسطورة الأنساب هذه، إلماير بدأت فيما
قبل الإسلام، وما كان لليمن في الجاهلية مقام عظيم، فقد انتسب الكثيرون إلى
اليمن، ثم جاء علماء الأنساب — متأثرين بالعوامل الآلية الذكر — فصلوها على
أنها حقيقة واقعة (4).

(1) جبراي علي/ 117/206 144/126, المغربي، الفلافي، 119/1, عبد الرحمن الحضاري: شرح ديوان حسان بن ثابت ص 6.
(2) المسعودي: التفحي والآثار، ص 412-413، مرسوم الذهب، 1835-1861، المجلة العربية، 119/147، المجلة العربية، 19/147، المجلة العربية، 184/2.
لعل من الأفضل هنا أن نشير - بادئ ذي بدء - إلى أننا لا نتجمّل بالعرب البائدة والعرب الباقية، لأن أقوامًا قد انقرضوا فلم يبق منهم أحد، وأن أقوامًا لم يكونوا ثم نشأوا من جديد، وإنما ما نعنيه أن قومًا قد يقل عددهم بالكوارث أو بالذوبان في آخر، لسبب أو آخر، ومن ثم يتوقف تاريكهم وتليل حضارتهم، مع أن بقاياهم ما تزال موجودة، ولكنها بدون قيمة حضارية، والتاريخ في حقيته إذا هو تطور الحضارة(1)، وعلى أي حال، فتلك نسخة ابتداعها الكتب اليوم، لذلك لأنه من المعروف أن شيئًا لن يُدَمَّر ما دام قد ترك من الآثار ما يدل عليه، وهي دون شك مصدرنا الأساسي للتعرف على الحضارات السابقة(2)، وربما كان المصدر بلفظة "بائد عدم وجود أحد من العرب ينسب إلى هذه القبيلة أو تلك عند كتابة المؤرخين الإسلاميين للتاريخ ما بعد ظهور الإسلام.

ومن ثم فليس صحيحًا ما ذهب إليه بعض المستشرقين من أن ما يسمى بالعرب البائدة، ليس من التاريخ الحقيقي في شيء، وإنما هو جزء من الميثولوجيا العربية أو التاريخ الأسطوري، الذي يسبق عادة التاريخ الحقيقي لكل أمة، ومن ثم فإنهم إذا ما عالجوا تاريخ بعض القبائل العربية التي يسمى "بالبائدة" فإنا نبالغون على هذا الأساس(3)، وإن كانت غالبية المؤرخين الأوروبيين الآن قد عدلت عن هذا الإجتهاد، بعد أن نبت لهم أن بعضًا من هذه القبائل البائدة، قد تحدث عنها المؤرخون القديمي من الإغريق والرومان، وبعد أن أثبت الآخرون إلى حد ما صحة بعض ما ورد عن هذه القبائل البائدة في المصادر العربية.

أما العرب الباقية، فلعلنا نغني بهم تلك الجماعات التي كانت - وما زال - يعيش في هذه المنطقة، وسوف تظل تعيش إن شاء الله، إلى أن يغير الله الأرض غير

(1) طارق فيروز: تاريخ الجاهلية ص 49.
(2) عبد الرحمن الأنصاري: المرجع السابق ص 86.
(3) محمد مرزوق ناجي: المرجع السابق ص 30-31.

- 163 -
الأرض، وأن حضارتها مستمرة يتوازنها جيل بعد جيل، وأن كل جيل يضيف إليها، ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، ومن ثم فإن مهماً أن تقوم بدراسة تلك الحضارات متبعين دورها في كل طور من أطراف التاريخ، وأما أهم القبائل البائدة التي ستنالها هنا بالدراسة الموظفة فهي عاد ومود ومدين وطمس وجنديس واميم وعيل وجرهم والصبية وحضورا.

(١) عاد:

ينظر الأخباريون إلى قوم عادٍ، على أنهم أقدم الأقوام العربية البائدة، حيث أصبحت كلمة "عادي" و "عادية" إما تستخدمان صفتين للأشياء البائدة القدم، و حتى أصبح القرم إذا ما شاهدوا كثراً قديماً لا يعرفون تاريخها أطلقو عليها صفة "عادية"، وربما كان السبب في ذلك قوم قوم عادٍ، أو أن عاداً ومن بعدها مود - قد ورد اسمهما في القرآن الكريم، ومن ثم فقد قدمنا على بقية الأقوام البائدة، رغم أننا لجربنا الأخباريين في قوام أنفسهم، لكان علينا أن نقدم طعم وعميق ومأمون وغيرهم على عاد ومود، ذلك لأن الأولين من جهة نظرهم إما هم من أولاد "لاوذ بن سام" فريق "إرم" وأن الآخرين من حلفاء "إرم"، ولكن الأخباريون أفسهم إما يقدمن عاداً على بقية الشعوب.

(١) قدم المؤلف دراسة مفصلة عن "قوم عاد" شملت النفضل السادس من كتابه "دراسات في التاريخ الديني"، الجزء الأول - في بلاد العرب، ناشرها المؤلف مؤسسة المجمعاتلالبية (١-المديون والعرب البائدة) - قصة عاد في القرآن الكريم - قصة عاد ومصولاً وبطلاً بالرواية - موقع منطقة عاد - مكافحة من المدين 5 - سيدنا هود عليه السلام 7 - عصر هود - ومن ثم فينا في حاجة إلى تكرار ما كتبناه هناك.

(٢) مرجع: "الله" ١١/١١.

(٣) مقدمة ابن غ اللونص ١٣٤-١٤٢ (بيروت ١٩٦١).

(٤) مرجع: "الله" ١٣٢-١٤٢.

(٥) جريد الرأي ٢٩٩/١.
ولقد انفرد القرآن الكريم بذكر عاد، فنبرهم هود، عليه السلام، فجاء ذكرهم في كثير من سور القرآن الكريم، بل إن هناك سورة كاملة تسمى سورة هود، كما أن هناك في القرآن الكريم ما يشير إلى أن هناك عادا الأول، وعادا الثاني، وأن عادا الأول، إذا هم عاد إرم الذين كانوا يسكنون الأرض التي تحمل النعم، وأن عادا الثاني، إذا هم سكان اليمن من قحطان وسيا، وتلك الفروع، وربما كانوا هم نومود.

(7) نومود:

تكد تجميع الكتب العربية على أن نومود، إذا كان مقامها بالحبر إلى وادي القرى بين الحجاز والشام، على أن ارتبطها بعد يقتضي تقاربها في المكان، ولذا ذهب الأخباريون إلى أن نومود، إذا كانت بالبلد شماً، فعلاً، ملكت حيم، أخرجوها إلى الحجاز، ولست في حاجة إلى التدليس الآن على حقيقة هذا الأنعام، فذلك أمر سبق لنا مناقشته في كتابنا دراسات في التاريخ القرآني.


(2) وفصّل (15-16) والأمجاف (21-22) والشعراء (82-83) والغزاة (66-76).

(3) م ürünler الذبه 11/2، ونظر: ابن كثير، حيث يرى أن ما ورد في سورة الأنعام كان عن عاد الثانية، ولكن ذلك على حسب ما عاد الأولى (البداية والنهاية 13/14).

(4) ابن كثير 142/125.

(5) عبد الوهاب المجار: قصص الأنبياء من 53.

(6) قدم المؤلف دراسة مفصلة عن قوم نومود في كتابه "دراسات في التاريخ القرآني"، شملت الفصل السابع من الجزء الأول. ناقش فيها المؤلف موضوعات تالية: 1- أصل المجددين - نومود في الكتب الأخرى - تقوم ورود في القرآن الكريم 2- عصر قوم صالح عليه السلام 3- التفسير السبكي 4- المجتمع الشمالي.

(7) ابن كثير 142/125، أبو الفداء 1/27، الفراتي 13/27، الآثار 89/1، تاريط الحميز 84.

(8) إبراهيم رئيس: المراجع السابق ص 36، مروج ناقد: المراجع السابق ص 36.
وعلى أي حال، فإن الدراسات الحديثة تثبت أن التموريدين قد عاشوا في شمال الجزيرة العربية منذ أعمق التاريخ، وتركوا لنا آثارًا وقفوًا في كل مكان من هذه الأراضي، التي تمتد من الجوف شمالًا إلى الطائف جنوبًا، ومن الأحساء شرقًا إلى ينبع فأرض مدين غربًا، ومن الملكة المؤدية إلى العقبة والاردن سوريا، وحتى في أرض حضرموت من جنوب الجزيرة، وإن ذلك لدليل على أن التموريدين كانوا في يوم ما السكان الأصليين لشمال شبه الجزيرة العربية.(1)

وليس من شك في أن قصة مولد أوضح بكثير من قصة عاد، فمنذ القرن الثامن، قبل الميلاد والقرون الأشورية تحدث عنها، من بين من تحدثت عنه من قبائل، وقد دعتهم تامودي(2)، كما تحدث عتمه الكتاب القديام من الأفارقة والرومان من أمثال: أجاكارخيس وديودور وليلبي، وكلوديوس بتولميس، وصاحب كتاب الطواف حول البحر الآزيريو وغيرهم.(3)

وأما القرآن الكريم، فقد ذكرهم في كثير من سوره، هذا إلى جانب أن كثيرًا من الآيات الكريمة قد قرنت قوم عاد بعمر، كما في سورة التوبة وإبراهيم والفرقة، وص والنجوم والفقير، وقد استدل البعض من كلمات رجفة، وصيدة.

(1) أحمد حسن شريف الدين: المرج الراقي، ص 61.

(2) G. Rawlinson, Cuneiform Inscriptions, I, Pl.36 و A.G. Lie, op. cit., P.5.

(3) A. Musil, Northern Hegaz, P. 289

(4) A. Musil, in the Arabia Desert, P. 479.


(6) C. Forster, I, P. 323, II, P. 30, 117, 274.284

(7) Diodorus, III, 44 Pliny, II, P. 456-456, IV, 32


(9) أنظر: سورة الأحزاب (72-24-11-88) وأفراح (2-18-11) والدراية (43-44)، والنجوم (60-43) والظلمات (47-43) والنجم (11-10).
الي جاءت في القرآن الكريم على أن تعوداً إِلَى أصبعنا بكارة عظيمة، من ثوران البراقين أو من الهرات الأرضية (1)، وربما كان الأمر كذلك، فمنطقة إقامتهم إِنها هي واحدة من مناطق الحرار في شبه الجزيرة العربية.

(3) طسم وجديس:

ينسب الأخبارون "طسمًا وجديسًا" إلى "لاؤذ بن إرم بن سام بن نوح"، مع قليل أو كثير من التعديل في هذا النسب كالعادة (2)، وأنهما كانا عرباً عهد بأوائلهم (3)، أما موطنهما فكان في منطقة اليمامة، والتي كانت تسمى "جر" من قبل (4)، ولكن يبدو أن هذا لم يكن هو الوطن الأول، ومن ثُم فعلينا أن نبحث عنه في مكان آخر.

لقد حدثنا النوراة عن كثير من القبائل العربية، ومن بينها قبيلة "طسم" التي دعتها "الشيم"، وأنها إحدى بطون قبيلة "ديدان" الموجودة في اليمامة، وهذا يعني أن بداية إستقرار "طسم" إِما كان في منطقة اليمامة، ثم انتقلت بعد ذلك إلى منطقة اليمامة، وهذا القول لا يبدو غريباً ويمكن تصوره، فنحن نعرف أن أحد الطرق التجارية يبدأ من جنوب بلاد العرب، من "تعدو" أو "قنا"، فتدنا الحجاز (مكة، المدينة، حائل) إلى أن يصل إلى اليمامة، ثم يتوجه إلى الشمال، وهناك طريق ثان بدأ من الجنوب أيضاً، ماراً بالخليفة العربية للربع الخالي، متجهاً إلى اليمامة، ثم ينجرر باتجاه الشمال العربي إلى منطقة اليمامة ومدنها صالح، فبلاد الشام، أو إلى مصر، إذن فمن المحتمل أن يكون نزوح "طسم" إلى اليمامة، إِنما كان بسبب العامل

Ency. of Islam, I, P. 736 وكنازا J.A. Montgomery, op. cit., P. 91
J. Hastings, op. cit., P. 734.

(1) أين خالدون 24/247، الآفاني 24/10، ابن الأثير 351/1، النяс، 323/1، نهاية الأرب
EI, I, P. 992.

(2) لتلخيصي ص 34، المعاصر ص 11، وكنازا:
تاريخ البغدادي 137/1، النяс 650/6، البكيري 407/2
(3) يافوت 2/6، النяс 190/4، البكيري 407/2
(4) - 167 -
الاقتصادي في المكان الأول، على أساس أن جزءًا من قبيلة ديدان - وهي التي كانت تشارك في الحركة الاقتصادية بين جنوب الجزيرة وشمالها - قد نزح إلى منطقة اليمامة، ليحافظ على استقرار الأمن في الطريق التجاري من جنوب بلاد العرب إلى شمالها عبر اليمامة، ويبدو أن جديس، قد نزحت كذلك مع "طم"، وهذا يمكن أن نجد صلة في النسب القائمة بين القبائل (1)

وفي الواقع، ألم يتكون مصدر يعتمد عليها في التاريخ لما، فالقرآن الكريم لم يحدث عنها، وكانت الأكشاكات الأخرى لم تصل إليها، وكتابات الأمم الأخرى لم تذكرها، إذا استنادنا إشارة التوراة عن "طم"، ومن هنا فالم شاهد ب بتاريخهما من كل جانب، ومع ذلك فقد حاول البعض أن يلم أشياء ما كتب عنها، ليخرج لنا صورة عنها، أقرب إلى الحكايات منها إلى التاريخ الصحيح.

ومع ذلك، فعلياً لا تعجل في الحكم عليها، كما فعل نشر من المستشرقين، فذهب إلى أنها من الشعوب الخفيفة، فقد تأثري لنا الآيات بتعليمات عنها، وقد تغير الصورة الحالية إلى حد كبير، وبعد أنها بدأت تفعل، فقد عثر في "صلخد" على نص يرتج إلى عام 367 م، جاء فيه "أنعم طم" (2)، كما أن التوراة قد أشارت إلى "طم"، على أنه من نسل "دانا بن يقطان" (3)، أضيف إلى ذلك "Jolisita" أو "Jodisita" الوارد في جغرافية تيطيموس، هو اسم قبيلة من قبائل شرق بلاد العرب، وأنا "جديس" بينهما، وأنها كانت معروفة حوالي عام 126 م، بل ومزدهرة كذلك. ويفتاها

(1) عبد الرحمن الأنصاري: المرجع السابق، ص 11-90.
(2) جوايد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الأول، ص 335، وواكذبا.
(3) V. Ch. Hermann, Suedarabische Studien, P. 67.
(4) فيلم الكتاب المقدس 1/294-296، مجلة الخلاف، العدد 10، ص 776 (القرن 18 م).
(5) جرجي زيادان: المرجع السابق، ص 69، معد نزال: المرجع السابق، ص 121-122، وواكذبا.
(6) Le, I, P. 992، وواكذبا.
(7) Caussin de Perceval, op. cit., I, P. 29.

- 168 -
المسيحي - هي وأرض تسمى - بأنها من أفضل البلاد وأكثرها خيرًا، فيها صنوبر الشجر والأعناب، وهي حدائق ملتهة وقصور مشتقة.

هذا ونسب الأخباريين إلى القبيلتين كثيرًا من المواضع، فإن تسمى ينسب حصن المشتر ، في نجران والبحرين ، وإلى جدوس . ينسب قصر معيق والشموس في اليمامة، فضلاً عن بعض القرى في اليمامة كذلك ، منها جحر حاضرة تسمى وجديس.

ووهناك "الجهرة"، والتي يصف "الحمداني" جدرها، بأنها تسمى بأن يرقص عليها أربع من الخيل جنباً إلى جنب ، وأن بها حساً قديماً يظل باقياً حتى أيامه، وأنه كان يحيط بالقرية، وأن أساسها من اللين، وفي هذا الطلاء على خصبة الربيع ووفرة الأرض الطيبة والماء، كما هو الحال في العراق ومصر منذ أقدم العصور، هذا إلى جانب "المضرم" (جو القديمة) التي كانت تسمى جدوس - في مقابل الخضراء لطعم - فضلاً عن "الهدار" وفي "رمان".

قصة القبيلتين العربيتين - كما يقدمها الأخباريون - تذهب إلى أن الغابة إذا كانت من نصيب "طسم"، وأن أولى الأمر، وأصحاب السطوة، إذا كانوا منها كذلك، ومرت الأيام وانتهى الملك في طسم إلى رجل ذي لحية عشة، استذل جدوس وانتهى أراضيها حتى جعل غماة السية، إذا تزفع بكر من جدوس إلى بعلها، قبل أن يمضي منها وطرهم، إلى أن كان يوم زفت فيه امرأة من جدوس تدعى الشمسة (عفيرة بن غفار بن جدوس) إلى رجل من قومها، وعندما حملت إلىملك طسم لفترتها أولى، سمعت من عيده ما مس من كرامتها، وأهلاء

مراجع:
1. مراج الذهب، 114/2
2. الهدماني، "صفة جزيرة العرب"، 141-143، ص 160، 164، 221، 223 و 277
3. البكري، 85/2، 405/2، 107-108
4.白色的: "المراجع السابق الص 427-9، جواب علي/1، 340-450 و 123-127

- 169 -
شرفها ، فخرجت من فراش ملك طوم ودما بيسيل ، وقد شقت ثوبها من خلف
ومن قدم ، ثم أخذت تنحد شعرًا في قصيدة طويلة ، تتغى به نحرة قومها .
وتستمر الأقصاصة ، فذهب إلى أن أخا الشمس (الأسود بن غارب بن جديس)
سيد قومه وصاحب الرأي فيهم ، فقد تحركت نحوره ، كما أحس المله قومه من
جديس ، فأنفق القوم على ملك طوم ، ومن ثم فقد نصروا له وخاصة قومه الشباك ،
وكتب لهم في مهمتهم هذه تُبجّحاً بعيد المدى ، واستطاع رجل من طوم أن يفر من
المذبحة ، وأن يستنجد به حسان بن بعـ ملك حمير ، الذي يعد جيشاً كثيراً ،
بغية أن يقضبه على جديس ، وبينما كان هذا الجيش العرمر على مبعده ثلاثة أيام
من البايامة ، يخبر هذا المستجير - وسنونه رباح بن مرة - ملك حمير ، أن له
أختاً في جديس ترى على مسيرة ثلاثة أيام ، وأنه يخشى أن تراهم فتحر القوم منهم ،
ومن ثم فإنه يقترح أن يحمل كل جندي فرعًا من شجرة كبيرة يستمر وراءها ،
حتى يستطيعوا أن يفاجئوا جديساً قبل أن يتحركوا للقائها .
وتطلعت نبات السطمي - وتدعي زرقاء البايامة - إلى ناحية الجنوب الغربي ،
وصاحت في جديس تخدرهم من حمير ، ففي هذا شجراً يتحرك ومن ورائه
جنوداً تحمل سلاحاً ، ولكن القوم ظنوا بها الظنون فلم يصدقوها ، حتى حلت
الكارثة ، فأبدي الرجال ، وسبي النساء ، وقتل الأطفال ، وهدمت البيوت
والخصون ، وقشت عيني الزرقاء ، وتغير إسم مساكن طوم وجديس من " جو
إلى البايامة ، وهكذا كان فناه طوم على يد جديس ، иفناء جديس على يد الحميريين
ومن ثم فقد لحق القومان (طوم وجديس) بعد وقود ، وصاروا من العرب البائدة(1).

(1) تاريخ الطبري 699/6، المعري، 632-682، 26؛ 265-209، 298-297، 274، 286، 283، 282، 281، 280، 279، 278، 277، 276، 275، 274، 273، 272، 271، 270، 269، 268، 267، 266، 265، 264، 263، 262، 261، 260، 259، 258، 257، 256، 255، 254، 253، 252، 251، 250، 249، 248، 247، 246، 245، 244، 243، 242، 241، 240، 239، 238، 237، 236، 235، 234، 233، 232، 231، 230، 229، 228، 227، 226، 225، 224، 223، 222، 221، 220، 219، 218، 217، 216، 215، 214، 213، 212، 211، 210، 209، 208، 207، 206، 205، 204، 203، 202، 201، 200، 199، 198، 197، 196، 195، 194، 193، 192، 191، 190، 189، 188، 187، 186، 185، 184، 183، 182، 181، 180، 179، 178، 177، 176، 175، 174، 173، 172، 171، 170، 169، 168، 167، 166، 165، 164، 163، 162، 161، 160، 159، 158، 157، 156، 155، 154، 153، 152، 151، 150، 149، 148، 147، 146، 145، 144، 143، 142، 141، 140، 139، 138، 137، 136، 135، 134، 133، 132، 131، 130، 129، 128، 127، 126، 125، 124، 123، 122، 121، 120، 119، 118، 117، 116، 115، 114، 113، 112، 111، 110، 109، 108، 107، 106، 105، 104، 103، 102، 101، 100، 99، 98، 97، 96، 95، 94، 93، 92، 91، 90، 89، 88، 87، 86، 85، 84، 83، 82، 81، 80، 79، 78، 77، 76، 75، 74، 73، 72، 71، 70، 69، 68، 67، 66، 65، 64، 63، 62، 61، 60، 59، 58، 57، 56، 55، 54، 53، 52، 51، 50، 49، 48، 47، 46، 45، 44، 43، 42، 41، 40، 39، 38، 37، 36، 35، 34، 33، 32، 31، 30، 29، 28، 27، 26، 25، 24، 23، 22، 21، 20، 19، 18، 17، 16، 15، 14، 13، 12، 11، 10، 9، 8، 7، 6، 5، 4، 3، 2، 1، 0، -
هذه هي القصة التي تدور حول الحيّين العربين – طنم وجديس – وهي – فيما نظر – لا تعد أن تكون واحدة من القصص الشعبيّة، ومن الغريب أن القصة تكاد أن تكرب نفسها بين العرب واليهود في المدينة (1)، فضلاً عن شبه قريب بينها وبين قصص أخرى يرويها الأخباريون عن ملوك اليمن، وعن وعهم بالنساء، وفعل الملك فيهن، ومنها واحدة تتعلق بملكة سبأ (بلقب (2) صاحبة سليمان عليه السلام) وأخرى عن عودة مولى أرَبَى الحبشى (3).

أضاف إلى ذلك أن القصة تصور القوم والأنثى لا يثورون على هذا الوضع الديني، إلا بعد أن ظهرت بعيرة ومعها يبسيل، وقد شقت ثوب من قدم ومن خلف، فغضب آخرها كما غضب آخر فَبَنِي مَرْيَم لِيْبِرَ وَتَقُلُّ عَلَى عُمُّو، حملة عُمُوم، هذا إلى جانب أن القصة تصور المرأة وليس الرجل – هي التي تأتي من العار وتأتي الذل، وتعرض الرجال على الإنتقام للمرض المسبح، ومِنْ ثُمَّ فإننا نرى «عَيْرَة» تقول:

لا أحد أدل من جيدي – يرضى إذا يا قوم بعجل حرب ولن أننا كنا رجالاً، كنتم فموقنا كراماً وأميتو عدوكم، وإن أنتمو لم تغضبوا بعد هذه ودونكم طيب النساء فإننا

(1) رواه الرَّافِي 110/1-126-127، ابن الأثير 256/1، 255/1، الإتفاق 428-282، مِكي 270، 284/1، 284-85/1، ابن القضاء 245/1، 180-186، ابن خلدون 286، 286/1، الآتي 29/9-6-7، 289-287، الأثري 29/7-8، ابن الأثير 79/4، ابن الأثير 223/1، ابن الأثير 36/2، ابن الأثير 427/1.

(2) ابن الأثير 298/8، تاريخ المماليك 43/1.

(3) ابن الأثير 298/8، تاريخ المماليك 43/1.

(4) ابن الأثير 298/8.
ومن هنا، فإننا نرفض هذه القصة هنا وهكذا، نرفضها لأنها لا تتفق مع الخلق العربي والكرامة العربية، نرفضها لأنها تعارض تماما وأخلاقيات العرب الذين كانوا يشلون نار الحرب لأقل كلمة يمكن أن تفسر عليها أنها إنها تسعى إلى الشرف والعرض الذي كان وما زال وسوف يظل إن شاء الله من أقداس ما يحافظ عليه. ثم هل هذا الشعر العربي الفصيح يمكن أن يكون من قول عفرة جدوس، وأخيراً فإن قصة رقية الإيمامة هذه، إذا رويت في مكان آخر عند حدث الإخبارين عن تفرق ولد معد، وقرب منها ما جاء في قصة الزباب، ملكة تدار المشورة.

وأما القصة التي عاشت فيها قيالنا السمح وجديس، فهي، طبيعاً للرواية الآلية الذكر - إذا كانت في أواصر القرن الرابع الميلادي، أو أواصر القرن الخامس الميلادي -، على أن هذه برسلاف، إذ يرى أن إجارة الخديريين على جدوس إذا كان بعد عام 140 هـ، وهذا يعني أن القبيلتين قد انتهى أمرهما في حوالي منتصف القرن الثاني الميلادي، ومن ثم فقد أخذوا المؤرخين المسلمون في الربط بينهما وبين عاد الأولي، والتي ربما عاشت في النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد، هذا إلى أن ذلك إذا تعارض وما رأه البعض من أن بطليموس الإغريقي إذا كان يقصد قوم جديس، وأنهما كانوا معروفين حوالي عام 135 هـ.

أضاف إلى ذلك أن القصة التي حكمن فيها نبات بلاد العرب، كانت في عدها كندة هي السيطرة على منطقة الإيمامة، ومن ثم يمكن القول أن قبيلته

---

1. سوف نناقش ذلك كله في مقالنا من هذه الدراسة.
2. جرجي زيدان: المرجع السابق ص 69، محمد سليم نافع: المرجع السابق ص 39، سعد زغلول
3. عبد الحليم: المرجع السابق ص 124-125
5. Ptolemy, I, 29 وكتا. 29 Encyclopaedia of Islam, I, P. 992.
طسم وجديس كانتا معاصرتين لدولة ديدان، ورغمما انتهتا بтяжبها، أي أننا يمكننا أن نتوجه فيما بين القرن السادس والخامس قبل الميلاد، ولا نشك في أن الكشف الأثري سوف يؤكد أو يعدل أو يأتي تاريخاً ليبعد كثيراً عن هذا التاريخ، وإن كان هذا لا يمنع وجود بعض الجماعات من جديس بعد هذا التاريخ، دون أن يكون لها نفس الكيان الذي كان لها من قبل. ولعل هذه الجماعات هي التي عناها بطليموس، إن كان حسب أن اسمه Jolisitae أو Jodisitae. قوم جديس.

(4) أميم:

وهم في نظر الإخيريين في طبيعة طسم وجديس، ويسبكون إلى لازم بن عمليق أو لازم بن سام بن نوح، أو وبار بن إرم بن سام بن نوح أو ما شابه ذلك من شجرات نسب، وأن من شعوبهم وبار بن أميم، برمل عالج بين اليمامة والبحر، وأن الرمال قد اهارت عليهم بسبب معصية أصابوها، وإن بقيت منهم بقية دعت «النسان».

ولعل أغرب ما في الأمر دعوى الإخيريين بأن ديار بني أميم، إنما كانت بإرض فأرس، ومن ثم فقد رأى الفرس أميم من أميم من وله، كمورث، ولست أدرى كيف اعتبر المؤرخون المسلمين بني أميم هؤلاء من طبقة العرب الجبارة، ثم هم في نفس الوقت من الفرس؟ ثم ما هي العلاقة بين وبار أو أميم، وهل صحيح أن وبار هذا، شقيق كورمرت جد الفرس؟ وإذا كان ذلك كذلك، فهل هذه القبيلة من العرب البائدة، أم هي قبيلة فارسية؟

---

1. عبد الرحمن الأنصاري: المرجع السابق ص 91.
2. تاريخ الطبري 206/5، ياقت ك 356/5، الطبقات الكبرى 191/6. نهاية الأدب للقلطشدي 82.
3. تاريخ الطبري 388-376/5، 302-300/4، الجيسي 132-133.
4. تاريخ ابن خلدون 41/2، مورج الذبى 266-267/2، البحري 246/376.
5. الإكليل 377/7، مورج الذبى 232/341-340/1.
وهناك خلاف بين المؤرخين الأوربيين على ذلك الشعب العربي الذي دعا


بطلب جوابه، وعليه شعب "بار" (1) أم أنه "يوباب" (2)، وإن

هناك تحريفاً في النسخ فصارت "الباء" (3) "راء" (4)، ومن ثم فقد أصبح

"بار"، وإن كنت لا تملك على هذا التحرير ما يدعمه من أدلة (5)، هذا

فضلاً عن أنه على موضع قريب من المكان الذي عناه بطل千米os الجغرافي تقع أرض

"بار" بين اليمين ورمال بيرين (6).

ومع ذلك، فإن شعب "بار" في رأي كثير من المستشرقين - إنما هو من

الشعوب الخرافية، وليس هذا بالأمر الغريب على قوم يرون في كل الكتباء العربية-

أو معظمها، شيئاً أقرب إلى الخرافة منه إلى الحقيقة (7)، غير أن بعضًا منهم، ممن

قد رأوا زيارة الأول بار يذهب الاحباريون إلى أرض "بار" لا يرون هذا

الرأي (8)، كما أن ذكرى "بار" ما تزال في ذاكرة العرب حتى اليوم، ففي الربيع

الخالى أماكن كثيرة يزعم الأعراب أنها كانت مواقع وبار (9)، وإن أضافوا

إليها أساطير لا يقرها منطق ولا يقبلها عقل (10).

A. Sprenger, op. cit., P. 296. (1)
C. Forster, op. cit., I, P. 173, II, P. 270. (2)
C. Forster, op. cit., I, P. 173, 177, II, P. 270 (3)
A. Sprenger, op. cit., P. 296. (4)
J.B. Philby, The Heart of Arabia, II, P. 353. (5)
J.B. Philby, The Empty Quarter, N.Y., 1933, P. 165. (7)

174
عيبيل هذه - فيما يرى الإخباريون - من وتد عرص، أخى عاد (1)، وأهمهم الذين احترموا مدينته يُربى، إلا أن العملية سرعان ما طردوهم منها، ومن ثم فقد نزلوا في مكان بين مكة والمدينة، حيث اجتمعهم سبيل فذبههم، وسيم المكان "المحنة" (2).

وتقرأ في التراث عن "عبيد" أو "عوبال" (3)، على أنه من ولد يقطان
(4) قحطان في المصادر العربية)، ومن هنا رأى فريق من علماء التراث أن عبيد من الممكن أن يكون "عبيد" أو "عوبال" (1)، ويشير بطليموس إلى موقف يقال له "Avalites Sinus"، وعليه مدينة "Avalites"، ومكانها يدعون "Avalites Emporium"، كما ورد الإسم عند "بليسي" محرقاً إلى "Abalites" أو "Abalites"، وربما كان هؤلاء هم "عوبال"، فيما يرى "فورستر" (5)، وقد يكون أبناء عوبال هم عبيل.

هذا ويحاول البعض أن يوجد سلاسل بين عبيد وبين مكان في اليمن بهذا الإسم، هذا إلى جانب قريه تدعى "عبدل" على مبارة من صنعاء (6)، على أن الحكم في مثل هذه الأسماء، إعتماداً على تشابه الأسماء، فيه من الخطورة ما فيه (8).

(1) تاريخ ابن خلدون 212، ابن سيبه: المحرر من 395.
(2) موج الذهب، 317/2، يافوت 1111، الجريدة 11، 268-37، يافوت، تأريخ الطوين 1908/10، نهاية الأربل للقرشناوي، 338، المعرفي 411، محمد بن حبيب: كتاب النور 385 (جديد أعداد الدكن 1942).
(3) تكوين 28:10، أخبار أيام أرل 22:21.
(5) J. Hastings, op. cit., P. 201.
(٧) جرهم :

ينظر الأخباريون إلى جرهم على أنهم طبقة، الواحدة من العرب البائدة، وقد كانت في مكة المكرمة على عهد عاد وثومود والعماليق (١)، ثم أبدت بأيدي القحطانيين (٢)، والأخرى من جرهم بن قحطان بن هود، وقد كانوا أصهاراً للنبي الكريم سيدنا إسحاق عليه السلام (٣)، وقد آتى إليهم ولاية النبي الحرام حتى غلبهم عليه خزاعة وكتانة - الأمر الذي سوف تناقشه بالتفصيل عند الحديث عن مكة المكرمة - وعلى أي حال، فقد نزلوا بعد ذلك بين مكة ويثرب، ثم هلكوا بوابة تشي فيهم (٤).

(٨) العمالة :

ينشب الأخباريون العماليق إلى عمليق بن لود بن سام بن نوح (٥)، وهو شقيق طعم، هذا وتباع الأخباريون في أمية العماليق وسماً إنتشارهم بدرجة لا يمكن أن يقلل منها مطلق أو يقلوها عقلًا، فجعلوا اسمًا كثيرًا تفتقه في البلاد، فكان منهم أهل عمان والحدود والشام ومصر، فضلاً عن أهل المدينة وبني هذة وبني مطر وبني الأزرق وسعد بن هزان، وأهل بدير، وبدير وعال وغفار وتبغاء، هذا إلى جانب شعب منهم ذهب إلى صنعاء قبل أن تحمل الأخيرة إسمها هذا، وأخيراً فقد

(١) الإكليل/١ ٥٨/١، نهاية الأرب للقلتشنتي ص ١١١، أخبار عبيد بن مرة ص ٢١٤.

(٢) Enyc. of Islam، I، P. ١٠٦٦، ص ٢١٤/١، تاريخ ابن خطوم ص ٣٠٣، وأخبار الطبري ص ٢٠٧/١، الإكليل/١ ١١٩، أخبار عبيد بن مرة ص ٣٠١، (٢٠٥٨-٢٩٨)، فت证书 سيدنا إسحاق عليه السلام (٣)، وقد آتى إليهم ولاية النبي الحرام حتى غلبهم عليه خزاعة وكتانة - الأمر الذي سوف تناقشه بالتفصيل عند الحديث عن مكة المكرمة - وعلى أي حال، فقد نزلوا بعد ذلك بين مكة ويثرب، ثم هلكوا بوابة تشي فيهم (٤).

(٥) البلاذري، أدب الأخبار من ٤٨، ص ٣١ ٦، نهاية الأرب للقلتشنتي ص ١١١، عبد العزيز سالم: المرجع السابق ص ٩٩، ثم قام: كتاب التيجان ص ١٢٤، ص ١٢١، المراجع السابق ص ١٢٣، ص ١٢١، المؤلفين من ٢٠٧/١، الإكليل/٢ ٤٤٠، الفقهاء من ١٠.
كان منهم الجبارة بالشام - وهم الكتانيةون - والترعين بمصر، والأرقم من الاحجاز بثمناء.

ولا شك في أن الاضطراب إذا يبدو واضحاً في روايات الأخباريين هذه، فضلاً عن أثار التوراة الواضح فيها؛ فهم يرون أن أهل مصر من العمالق (1) - والعمالق في رأيهم كجزء من العرب العربة (9) - ولكنهم في نفس الوقت يرون أن أهل مصر من أبناء مصر بن حام بن نوح (4) ، وذلك في الواقع إنما هي رواية التوراة (5) ، وهكذا فإن المصريين - في نظر المؤرخين المسلمين - ساميون وحاميون في نفس الوقت، والأمر كذلك بالنسبة إلى الكتانيةون، فهم من العمالق، وهم في نفس الوقت أبناء حام بن نوح (1) ، وذلك مرة أخرى - رواية التوراة (7) - وإذا كان الحقد الدفين من يهود ضد المصريين والكتانيةون والبابليون، هو الذي دفع بكثرة التوراة إلى إخراج هذه الشعوب جميعاً من الساميين، وجملها من أبناء حام، فإن التقل عن يهود - والغفلة كذلك - هي التي دفعت للمؤرخين الإسلاميين إلى هذا الموقف الخاطئ.

(1) الإكيليل 174/7، تاريخ الطبري 1/2، نهاية الأرب للقلقنسي ص 150-151، قالوس الكتاب المقدس 2/113/1، جرود على 246/1، وكدف J. Hastings, op. cit., P. 218 وكدف EI, I, 325.


(3) تاريخ الطبري 1/207/1.
(4) ابن الأثير 1/81، تاريخ الطبري 1/206/1.
(5) تكوين 1/210.
(6) تكوين 2/210.
(7) تكوين 2/177.
وأما عن الإنتشار غير المقبول للعماليق، فلعله في أحسن الأحوال، إجمالاً، كان لأن العماليق قابلة بدرجة، إن شاء الكاتب هنا وعند ذلك في بعض الأماكن بشبه الجزيرة العربية، ثم جاء الأخباريون وجعلوه مكاناً للمناطق لا تقصر على بلاد العرب وحدها، وإنما شملت غيرها من المناطق المجاورة.

وأما أصل الكلمة عماليق أو عمالة، فمهجول، وإن غلب على الظن أنهم معرفون من اسم قبيلة عربية كانت مواتيها بجبه العقبة أو شمالاً. وهم الأمايون، أو مالق، أو مالوق، فتفضل إليهم اليهود لفظ عمهم أي الشعب أو الأمة، فقاموا في مالق، أو مالوق، ثم جاءت العرب فقامت عماليق أو عمالة، ثم سرعان ما أطلقت الكلمة على طائفة كبيرة من العرب القديم.

ويكاد يتفق الأخباريون على أن العماليق عرب صحراو، ومن أقدم العرب زماناً، ولسانهم هو اللسان المرضي التي تلقفت به كل العرب البائدة، بل ويذهب الطبري إلى أن عمليقاً، وهو أبو العمالة كان أول من تكلم العربية حين ظنوا من بابل، ومن ثم فقد كان يقال له وكدا بلوهب، العرب العارية، ومرة أخرى يظهر أن التوراة في هذه الرواية، فهي لا تتعارض مع الرواية المشهورة التي تجعل غير بني قحطان أول التلقيين بالعربية فحسب، وإنما تجعل السريانية أول من العربية، وذلك حين جعلها لغة الناس جميعاً، غير أن القوم قد اشترفوا إلى عبادة الآلهة، خنقاً، النمرود بن كوش بن كنان بن حام، ملك بابل، وصاحب إبراهيم عليه السلام، ومن ثم فقد أصبح القوم ذات يوم، وقد بيل الله أن يستهم، إلا أنهم وحده منهم الآخر، إذ أصبح بني سمثم عضراً، وليبي حام ثمانية عشر لسناً، وليبي يافث ستة وثلاثون لسناً، فهم الله العربية عاداً، وعديل.

---

1. جريبي زيدان: الترجمة السنية، ص 42-43.
2. جريبي علي 42/167 وكذا.
3. تاريخ الطبري، 207.

EI, I, P. 325.
وكان له فلسفته في الترجمة العربية مقصورة على عمليه، و길ام، وإبراهيم، وإن كان له تأثير في الحادث بعد، فهذا نموذج، صاحب مربط، في عمله في onSubmit، وإبراهيم، والسلام، وإبراهيم، وهو معروف، لا يوجد أخبار عنهم في النقل بالعربية، فضلاً عن أن يكون من أقدم العرب لا يوجد أخبار عنهم في النقل بالعربية، تأتي هذه الرواية تجعلهم لا يتوقعون به، إلا على أيام التمرد، صاحب إبراهيم، عليه السلام (1420-1365 ق.م).

وأخيراً، فالرواية تحريف لرواية توراتية، أراد كابنها أن يقدم لنا تفسيراً لاختلاف اللغات والأجناس، كما فعلت الرواية العربية، فقد قدم لنا تفسيراً ساذجاً غير علمي، ذهب فيه إلى أن الله سيفتحه وتفتحه في مكة، ونرى أن سلالة التاجين من الطوفان يبنون برجاً بغية الوصول إليه، يتجلى سماهم، وكانوا يحسبون السماء أشبه بلوح زجاج يعلو بضع مئات من الأفقر، فخشى شرهم واحتاط لنفسه في هلال الأرض ويلبدي أسرهم، فعفرقوا شجر مذر، ومن ثم فقد سميت المدينة نابل، لأن الأرض يحلل بليل، كل الأرض، ثم قد سهم على وجه الأرض، أضعف إلى ذلك كله، أن الرواية العربية، إنها هي من أثر الروايات تذهب إلى أن الوطن الأصلي للساميين إنما كان في نابل، بل ربما كانت أساساً لنظرية حديثة تتحر هذا التحور.

(1) تاريخ الطبري 226-227/1 1411/1، أعراض الزمان العسكري ص 330، 210-214، 282، 226.
(2) تكوين 1-11/9-2.
(3) مصطلح جيسي نافص: حسن الترجمة على أوتي الهواد ص 42، وذكر تكوين 11: 9-1.
(4) J. Gray, Near Eastern Mythology, P. 104.
(5) أجزاء الساميين وإلاد، يه دارت، أول موطنهم الأصلي، مجلة كلية اللغة العربية، العدد الرابع، الرياض 1974، ص 236-271.
وعلى أي حال، فالعمالقة - في نظر التوراة - من أقدم الشعوب التي سكنت جنوب فلسطين، وقد عهد لهم ببلاد أول الشعوب (1)، ربما لأنهم كانوا أول من اصطدم بالإسراخليين أثناء نزاعهم في صحراء سيناء، ومن ثم فليس صحيحًا ما ذهب إليه البعض - طبقًا لرواية توراتية (2) - من أنهم من سلالة يعزر بن عيسى فقد الآدوميين (3)، وحيد إبراهيم، ذلك لأن هناك نصًا توراتيًا آخر يظهر أنهم يقيمون في جنوب غرب البحر الميت على أيام الخليل إبراهيم (4)، وأنهم كانوا على أيام موسى الكليمن من تمرين في كل صحراء النبي حتى حدود مصر، وفي معظم سيناء، وجنوب فلسطين، كما كان هناك جبل العمالقة في أرض أفرايم (5).

لهذا هناك من شك في أن الصدام الحقيقي بين اليهود والعمالقة إما بدأ في المرحلة الأولى من النبي (6)، ونتقرأ في التوراة أن العمالقة قد هاجمو بني إسرائيل المهنكين عند خروجهم من مصر وأسروا جميع مقاتليهم (7)، كما نقرأ كذلك في التوراة (8) أن العمالقة قد أثروا محاولة بني إسرائيل في رفيديم (9)، حيث ضرب موسى الجبور بصفة، فانشبته منه إثنا عشرة عيناً، وذهب للمؤرخ اليهودي، إلى أن الإسرائيليين حينما وصلوا إلى رفيديم، كانوا في حالة يرهن لها من الطوع، ومن ثم فقد كان هجوم العمالقة عليهم ناجحًا (10).

وعلى أي حال، فإذا كانت رفيديم، والتي أطلق الإسرائيليون عليها «مرية»، وكذا قادش القرية منها - تقع حول البراء - فهما إذن في جوار أرض العمالقة

---

(1) M. F. Unger, op. cit., P. 45.
(2) تكوين 26:12.
(3) تكوين 7:14.
(4) قسم الكتاب المقدس ص 636 وكذا تقاونية 15:4.
(5) A. Musil, The Northern Hegae (P. 460 وكذا The Jewish Encyclopaedia, I, P. 218.
(6) تنية 7:17-19.
(7) خروج 8:12-14.
(8) بدون مصطلح: شمال الجبال ص 32، كابانا، إسرائيل ص 313، وكذا.
(9) W.M. F. Petrie, Egypt and Israel, London, 1925, P. 4.
الذين كانوا يتمكنون في سهولة من أن يهاجموا بني إسرائيل، متقلبين من معسكر
إلى آخر، ومن أن يأسروا مقاتليهم (1)، غير أن العمالقة قد أعานوا أعداء آخرين
لبني إسرائيل، حتى بعد استقرارهم في فلسطين، ومن ثم فإننا نقرأ في التوراة (2) أن
العمالقة قد اتحدوا مع عجلون، ملك مואב، الذي انتزع منهم مدينة النخل
( أريحا )، كما كانوا كذلك حلفاء لاهل مدين وبنى المشرق ( بني قدم ) الذين
كانوا يسكنون في سهل يزوعيل، وهكذا استمر العمالقة يتزورون بني إسرائيل في
فلسطين (3)، تقول التوراة: "إذا زرع إسرائيل كان يصعد المديانيون والعمالقة وبنو
المشرق، ويتلفون غلة الأرض إلى مجيئك إلى غزة، ولا يتركون لإسرائيل قوة
الحياة، ولا غضما ولا بقرا ولا حمرا" (4).

وهكذا بدأ الإسرائيليون يفكورون في الإنقاذ من العمالقة، وكان شاول (5)
هو أول ملك إسرائيلي يحارب العمالقة، ونقرأ في
التوراة أن الرب أمر شاول أن يحارب العمالقة ويبيد كل ممتلكاتهم من ثيران
وماشية وجمال وحمير (6)، ومن هذا نفهم أن العمالقة إذا كانوا يمتلكون عدداً من
القرى والديار، وأنه قد عنوا بحرث الأراضي وزراعتها، فضلاً عن ترية الماشية
والأنعام (7).

وطبقاً لرواية التوراة (8)، فإن شاول قد نجح في مهمته، وحقق للإسرائيليين
ولاول مرة - نصراؤ على العمالقة، كما يفهم من الرواية نفسها أن العمالقة إنما

(1) فيسوع موسى: شمال الحجاز ص 33.
(2) قصة 13: 1.
(3) أثوب موسى: المرجع السابق ص 33-43.
(4) قصة 6: 4.
(5) نظر الخلافات في ترة حكم شاول، كتاباً لإسرائيل، ص 297.
(6) صموئيل أول ص 6-9.
(7) أثوب موسى: شمال الحجاز ص 34.
(8) صموئيل أول ص 7.
كانوا يسيطرون على طريق القوافل فيما بين جنوب فلسطين وشمال شبه الجزيرة العربية.

وكان هناك طريقان يقعان في أرض العمالق، الواحد عن طريق برزخ السويس، والآخر عن طريق خليج العقبة (1)، ولمها العلاقات التجارية بين مصر وغزة من ناحية، وبين جنوب بلاد العرب من ناحية أخرى، في غاية من الإزدهار والنشاط، فقد كانت القوافل التجارية القادمة من غزة إلى العقبة ثم في أرض العمالق، فليس من شك في أنها إذا كانت تعرَّف بسلطتهم في هذا الجزء من الطريق القادم من غزة متوجهة إلى مصر، والأمر كذلك بالنسبة إلى جزءه الآخر المتوجه نحو الجنوب الشرقي، أو أنها على الأقل كانت خاضعة لسلطة العمالقة في هذا الجزء المتاخم لساحل البحر من الطريق (2).

وفي أيام داواد عليه السلام (960-1000 ق.م) (3) تدق الحرب طيوعا من جديد بين بني إسرائيل والعمالق، وطبقاً لرواية التوراة (4) فإن العمالقة قد غزوا بني إسرائيل (1)، وضربوا صقلاً وأحرقوا بالنار وصوب تannya (2)، إلا أن داواد قد كتب له عتبةً بعد المدى في رداء النازة (3)، وفي استعداد الغنائم منهم (4)، وفي استعداد بعض السبايا - ومنهم أسرته - توفي أبناؤه وأبنجاه - كما تمكن قادته (5) يواب (6) من أن يخرجهم من ديارهم الأولي، وإن ظلت بقية منهم تسكن الجزء الجنوبي من جبل سمير (7)، حتى أن المهاجرين من قبائل شعوب فاحتلوا ديارهم (8)، ومن ثم أصبحنا لا نجد للعمالقة بعد ذلك ذكراً في النصوص.

فيت قلعة أخرى تصل بعدم ذكر العمالقة في جملة قوايل العرب، وهذا أولى (9) لا يدلي على أن العمالقة لم يكونوا عربياً (10)، لأن العبرانيين لم يطلقوا


(1) العيس مسول: شمال الحجاز ص 35.
(2) أنظر: عن العلاقات في فترة داواد، كتابنا وسرائيل، ص 117-118.
(3) سمويل الأول 10:20-30.
(4) أعيان أيام أول 11:43.
(5)
للفظة ٢: عرب، إلا على أعراب البادية، ولا سيما بادية الشام، و(ثانياً) لأن العمالقة من أقدم الشعوب التي اصطدم بها بنو إسرائيل، ومن ثم فقد حملوا لهم حذداً دفينًا، واليهود - كما هو معروف - قد تأثروا بإ影响力的 نحو الشعوب التي يكتبون عنها، وأخبرنا (رابعاً) فإن العمالقة - في نظر اليهود - أقدم من القحطانين والعدنانيين، سواء بسواء.

(8) حضوراً:

يروي الأخباريون أن حضوراً من نسل قحطان، وأنهم كانوا يقيمون بالرس، وهو إما موضع بحضمرت أو الباماء، أو مكان كانت فيه ديار نفر من همود، وإن كان بالإمدادي، يرى أن الرس ناحية صيده، وهي بلدة ما بين بيجان ومازاب وبلخ، فنشرت فلسطين فاندهانها، فراجعت إلى حضرموت، كما نرى الرس يمتع ببئر القليلة الماء، وذهب البعوضي إلى أنها بين العراق والشام إلى حد الحجاز.

وقد ربط القرآن الكريم بين أصحاب الرس وبين عاد وهمود مرة، وبينهم وبين قوم نوح وهمود مرة أخرى، واختلف المفسرون فيمن أرسل إليهم نياً من رب العالمين، فذهب فريق إلى أنه شعب بن ذي مهرع أو مهدم، وسمده.


(1) جواب على: المرجع السابق ص ٣٤٧.
(2) ياقتـت ٣٣ -١٢ -١٢، تفسير الطبري ١٤/١٩، تفسير البيضاري ١٤٥/٢، الإكليل ١٢٦/١، البكري ٢٨٩/٣، ياقتـت ١٤٥/٢، قارن المبدي: مروج الذهب ١٠، مروج الذهب ١٠.
(3) مروج الذهب ١٠، سورة النفقان: آية ٣٨، وناظر: تفسير الطبري ١٢/١٩ (طبعة الهلي لـ ١٩٨٤) ١٤٥/٢، تفسير البيضاري ١٤٥/٢ (طبعة الهلي لـ ١٩٨٨) ١٤٥/٢.
(4) سورة في: آية ١٦.

- ١٨٣ -
اليوم في رأس جبل حدة حضور بن عدي ، وعبِّر رأس إبل بيت خولان (1) ، وذهب فريق آخر إلى أنه خالد بن سمان ، وأن رسول الله - صلوات الله عليه - قد تحدث عنه ، فقال : ذاك نبي ضيَّع قومه (2) ، وذهب فريق ثالث إلى أنه حنظلة بن صفوان ، وقد وجد عند قبره هذه الكتابة "أنا حنظلة بن صفوان ، أنا رسول الله ، يعني الله إلى حمير وهمدان والعرب من أهل اليمن فكذبوني" وقيل في (3).

ويروي الأخباريون أن بختنصر - وهو الامبراطور البالي نبوخذنصر (405 - 562 ق.م) - قد غزا حضرور وأعمال السيف فيهم ، فقتل الغالبية العظمى منهم ، بينما هجم بقيةهم إلى أماكن أخرى من إمبراطوريته ، وأما سبب ذلك فان القوم قد كثروا بنيهم لهم يدعى "شعب بن مهدَّم بن ذي مهدَّم بن المقدم بن حضرور " ، ومن ثم فقد أُمر إلى النبي اليعود "برخيا بن أنيا " أن يترك جنار وأن يذهب إلى نبوخذنصر ، وأن يأمره "بزجو العرب الذين لا أغلاق لبيوتهم فيقتل مقاتليهم \\
ويسي ذراحهم ويعسي أموالهم بسبكهم (4) ،

ويصدر "نبوخذنصر" أمر "برخيا" اليهودي ، وبدأ يمن في بلاده من تجار العرب ، فما بينهم "لقاء " في النجف يحسبهم فيه ، ثم ينتادي في الناس بالغزو ، وتسمع العرب بما حدث قاصي إلى "نبوخذنصر " ، تطلق الأمان وتعزل الولاء والخضم ، فلا يقبل الملك البالي ذلك منهم إلا بعد استشارة "برخيا " ، ثم ينضم "السواح" على ضفاف النهر ، حيث يبتين معسكرًا لهم يدعونه "الآثار" ، ثم سرعان

(1) تاريخ ابن حذافة/2001 ، نهاية الأرب/2001 ، البكري/2001 - 285/2 ، الإكليل/2
(2) الإصابة في تهذيب الصحابة/462/1 ، جرد علي/288/1
(3) الإكليل/120/1 ، كتاب المعرج ص 6
(4) تاريخ الطبري/55/2 ، البكري/272/2 - 282/3 ، الإكليل/121/1 - 131/1 ،
(5) كتاب المعرج ص 5 - 7 ، الإكليل/288/5 - 288/6
ما يشمل العنصر الأولين من أهل الحيرة، الذين يستررون هناك طيلة أيام نبوخذنصر في هذا الدنيا، فإذا ما انتقل الرجل إلى العالم الآخر، فإنه يقرر إلى أهل الأنبار وعاشوا بينهم (1)  

وتسنير الرواية - ولعلنا هنا تعتمد على مصدر غير مصدرها الأول - فذهب إلى أن الله قد أرسى إلى إرميا وبرخيا أن يذهبوا إلى معد بن عدنان، ويلجملاه إلى حران ليحفظ عليه حياته هناك، لأن الله سوف يخرج من صبه من يحمي به الأنبياء - المصطفى صلوات الله وسلامه عليه - ولأن بني إسرائيل قد بدأوا منذ مولدهم معد بن عدنان يقتلون أنبياءهم، وكان آخر من قتل يحب بن زكريا عليه السلام، كما فعل ذلك أهل الرس وأهل حضورا بأنبيائهم، وان النبيين اليهوديين - إرميا وبرخيا - قد كتب لهما نجوا بعيد المدى في تحقيق مهتمهما، فقد جعله (معد) إلى حران في ساعة من زمان، وذلك لأن بني خيا قد استعمل (العراق) في مهنته، فحملت معد عليه، وأردف هو خله، ولأن الأرض كانت تطوى لها طبيعاً.

وفي هذه الأثناء كان نبوخذنصر قد جمع جيشاً كبيراً لإغواء سكان بلاد العرب - بناء على رؤيا رآها في المنام، أو لأن بريخيا بقي من ربه قد أمره بذلك - وأيّا ما كان السبب، فإن عدنان، والد معد، قد جمع هو كذلك جيشاً كبيراً من العرب لمقاومة هجوم الملك الباني، وسرعان ما التقى الجيشان في ذات عرق، ودار بينهما معركة شديدة، كانت الغلبة فيه من نصيب اليهوديين، ومن ثم فقد تابع نبوخذنصر مسيرته في بلاد العرب، مطارداً جيش عدنان المهزم، حتى إذا ما أتى حضورا، كان عدنان قد جمع العرب - من عربة إلى حضورا - مرة ثانية، وخندق كل واحد من الفريقين على نفسه وأصحابه، إلا أن نبوخذنصر قد أعد للعرب كبتاً، وسرعان ما نادى مناد من السماء، يا لثارات الأنبياء، فأخذت العرب السيف من كل جانب، وحقق الاهل الباني نصرًا كاملاً على

(1) ياقوت 238-239، الإكليل 286/2 - 185 -
العرب، وعاد يقيم غفير من الأسرى والسبايا، حيث أمكناهم والأثاث، فما أن يمضى حين من الدهر، حتى يتقلل عدنان إلى الدار الآخرة، وتبقى بلاد العرب بعده - وطوال أيام نبوخذنصر - خراباً.

وأما معبد عدنان، فتذهب الرواية إلى أنه قد عاد من حران، ومعه أنيبه بني إسرائيل، إلى مكة، ثم آتي ريسوب، حتى تزوج هناك من معانة، بنت هشيم بن جهلة، من ولد الحارث بن مضاب الجرمي، والتي أنجبت له ولده زنار.

والرواية - كما قلناها قلنا عن المؤرخين المسلمين - جد هشام، وساهم الروب توجه إليها من كل جانب، وليس بالرغم القول بأنها ترقي إلى ما فوق مظان الشهادات، بل هي نفسها شيبة، وشبكة مأذنة كذلك، حتى وإن تمس مختلوقها يسعد بن عدنان - الجد الأعلى لمولانا وجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم - فإذا هو العمل يوضع فيه السم، حتى يسهل إبلاه، ولكن هيهات، فأثر الإسرائيليات فيها أوضح من أن يشار إليه، والأثر العربي عندما أضيف إليها، فإذا أضيف بطريقة فجعة للغاية.

ولعل أهم ما يلاحظ على هذه الرواية، إنها هي نقاط كثيرة منها (أولاً)، إعتبار نبوخذنصر وهو الولي - هو الحاكم على أنيبه الله، والمنتقم لقتله، وهذه نظرية يهودية صرفة، فالذي يقرأ النورة يرى أنها تتخذ من الملوك الوثنين أداء لربهم - يهوه - للإلتقاء من إسرائيل، شعب المختار - حدث ذلك، عندما مسح يلجم النبي باسم - يهوه - ملك دمشق - حزائيل، رغم أنه ليس إسرائيلياً، ولم يكن عابداً ليهوه أبداً. كذلك لأن رب إسرائيل - فيما يرى الحاخام الدكتور أشباه - أراد أن يجعله صوت عذاب على إسرائيل، شعب الآدم السyms (2).

(1) ابن كثير: الإبدا والبتاءة 194/4، علم انظر 107/4، وصف النور من 105-14، وصف النور من 105-14.
(2) تاريخ الخميني 166-167، بلوغ الأدب 209/3، كتاب المعرف عن 105-14.
ومنها (ثانياً) أنًّ برخياً النبي اليهودي كان يقيم في بلاد النجران، وأنه ذهب إلى بابل ليحضره - بأمر ربه - نبوخذنصر ضد العرب، ولست أدري ما صلاة برخياً هذا ببنجران، والمعروف أن الرجل إذا كان يقيم في أورشليم، وبخاصة في الفترة التي كانت قوات نبوخذنصر تمتد أوباته بعفف، وأن باروخ وهذٌ هو إسمه الصحيح - وكذا سيده وإرميهاء، إنما كان يعتن بالعتن في تلك الفترة الحرة من تاريخ قومه، أن نبوخذنصر هو خادم الرب يهوه، وأن قيّسه حذيرة، ولن تكسر، ومن ثم فقد بدأ إرميهاء تصاؤمه - كما جاءت في التوراة نفسها(1) - بضرورة الخفوض للأهل البابلي، حتى أنّه آمن من قبل حكام يهوذا بإضعاف الروح المدنية بين اليهود والشعب على السواء، وهذا ليس من الصعب أن نرى من هذا، فقد ألقى فيه في شاهد السجون لمجاورته بالخلالان، ولم يطلق مراهم إلا بأمر نبوخذنصر، إلا بعد أن سقطت أورشليم تحت أقدام البابليين، وأخذ الجزء الأكبر من سكانها أسرى إلى ضفاف النهر وهو معروف في التاريخ البابلي في عام 589 قم. وكان إرميهاء نفسه من بين الأسرى، حيث نحنوا الحاول البابلي حرثه، ربما مكافأة له على الدور الذي قام به في يثروالأساس بين قومه، مما سهل الفتح البابلي مهمته، وأكسبه نصرة الملوك(2)، بل إنّه تقرأ عبجاً عن حماس إرميهاء للملك البابلي في التوراة(3)، مما أثار الشكوك حول إرميهاء وعلاقاته ببابل، حتى ذهب البعض إلى أن النبي اليهودي إنما كان يعمل لحساب نبوخذنصر.

A. Malamat, The Last Wars of the Kingdom of Judah, in JNES, 9، وكذا: 1950، P. 225.
W. Keller, The Bible As History (Hodder and Soughton), 1967، P. 283-402.
وبنها (ثالثاً) أن الملك البابل يراقب خضوع عرب الشمال له، إلا إذا كان من بريخا ولهوأ أديري كيف قبل من كثروا هذا القصص، أن يجعلوا أقوي رجل في مصر يخضع لحماية من يهود، واليهود - كما نعرف - لم يروا منذ أيام الفراعين العظام في عصر الأمبراطورية المصرية (1575-1087 ق.م.)، وحتى أيام نبوخذنصر (562-548 ق.م.)، أعني منذ خروجونهم من مصر في حوالي عام 1214 ق.م، وحتى السبي البابل في عام 586 ق.م - ما رأوه من إذلال على يد العاهل البابل، ومن ثم فإني أتساءل مرة أخرى: كيف يكون أثر الإسرائيليات أوضح من هذا في روايتنا هذه.

ومنها (رابعاً) أن الملك البابل الذي جعله هؤلاء المؤرخون المسلمون - ويا للعجب - يقوم بإهانة العرب - حتى في مواطنهم الأصلية - عقباهم على كثرة ابنائهم، هو نفسه الذي جعله هؤلاء المؤرخون أنفسهم، واحداً من ملوك أربعة، ملكوا الدنيا بأسرها، وأعني بذلك تلك الأسطورة التي كثرها ما تردد في الكتب العربية، والتي تقول: "ملك الأرض كافرون ومؤمنان فأما الكافرون فنزور ويكحصر، وأما المؤمنان فسيمان بن داود ذو القرنين (1)"، فإذا كان كذلك (وإن كنت نراه مثالا على ذلك أبداً)، فكيف أصبح نبوخذنصر، عندما ينصح الأثر بالعرب، هو حامي الدين، والأخي الأكثر الآتيناء، وهو نفسه كافر بهذا الدين، وغير مؤمن بؤلاء الآتيناء، إلا أن يكون مؤرخونا - يرحمهم الله - يردون نظريات التوراة، التي سباق أن أشرنا إليها، والله وحده يعلم إن كانوا يعلمون ذلك أو لا يعلمون.

ومنها (خامساً) أن القصة تذكر أن مولد 1 معد بن عدنان جاء في وقت بدأ فيه بو إسرائيل يفتنون أبناءهم، وكان آخر من قنطروا منهم يعهد بن زكرياء عليه السلام، ومن ثم فقد سلط الله نبوخذنصر على العرب واليهود سواء بسواه.

(1) تاريخ النصري 291/2-949، ابن الأثير 13/1، أنس نجد 293-292.
ومسألة البداية الآن: كيف انتقلت هذه الأحداث جميعًا في زمن واحد؟

والعرف تاريخيًا أن نبوخذ النصر، إما كان يحكم في الفترة (562-40 ق.م).
فهل كان معد بن عدنان يعيش في هذه الفترة؟، وهل استشهد سيدنا يحيى عليه السلام فيما بعد؟

إذا الجواب على ذلك جدّ صعب: بالنسبة إلى معد بن عدنان، ومع ذلك، فليس أي من اعتبرونهم الأئمة في نسب معد بن عدنان. كما يقول ابن كثير، لوجدنا أن بينه وبين جده إسحاق بن إبراهيم، عليه السلام، سبعة أجيال، فهو. إن أدر بمن مقوم بين تمر ورب بن ثكاب بن ثكاب بن إسحاق. (1) بل إن هناك من يرى أنها أربعة أو خمسة أجيال، إذ يرون أن معد هذا، إما هو: إبن زيد بن يرى بن أعيان الخوي، وأما الذي يرى فهو: نبئ، أو أبا بتر، وأما أعيان الخوي فهو: إسحاق بن إبراهيم، عليه السلام. (2)

وأتنا لو أخذنا حتى بالإجماع الأول، وافترضنا ما بين الجيل واجل نصف قرن، وليس ربع قرن كما هو المعروف، لكانت الفترة بين عدنان وإسحاق ثلاثة قرون ونصف، أو حتى أربعة قرون! وإذا ما تذكرنا أن إبراهيم الخليل كان يعيش في الفترة (حوالي 183-1650 ق.م)، وإسحاق في الفترة (حوالي 1854-1717)، فإن معد بن عدنان كان يعيش إذن في الفترة ما بين القرنين الخامس عشر والثالث عشر قبل الميلاد، وليس في القرن السادس قبل الميلاد، فهذا ما هذا الخليط الغريب من الأسماء العربية واليهودية في نسب معد هذا؟

ثُم ما صلة يحيى بن زكريا، عليه السلام، بهذه الأحداث، وهو الذي عاصر المسيح عليه السلام، أي في بداية القرن الأول الميلادي، وليس السادس قبل الميلاد،

(1) ابن كثير/10، تاريخ الطبري/276-277، ابن عدنان/298-262، ثم انظر: مروج الذهب/276-277، سيرة ابن هشام/1 (طمة مكتبة إسلامية بمصر) الفلكي، نهایة الأزب في مجيء أسباب الحرب، 1073، ص 276، 24، 27-272، 276، 262، 276، 276.
(2) تاريخ الطبري/276، ابن عدنان/298-262، نهایة الأزب الفلكي، ص 276.
ثم كيف عرفوا - أو بالأحرى كيف عرف بريخيا - أن يحيى هو آخر أنيبيا اليهود.
وأنه سوف يموت شهيداً على أبديهم - وهو (أولًا) ليس آخر أنيبيا اليهود، فذلك هو السيد المسيح عليه السلام، حيث أرسل لهداية خراف بيت إسرائيل الضالة؛
و (ثانياً) فإن حادث استشهاد يحيى لم يرد في أي نص من نصوص التوراة، وإنما كان ذلك في أئجيل النصارى، حيث يدعيها، يوحنا المعمدان؛
ال أمر الذي سوف تناقش فيه مكانة هذه الدراسة - وأخيراً كيف غاب كل ذلك على مؤرخينا الكبار؛ أم أنه النقل عن يهود، حتى دون مناقشة، ثم هو إدعاء العلم من أخبار يهود، حتى لو كان ذلك العلم لم يرد في كتبهم المقدسة، توراة كانت أم تلموداً.
ومنها (سادساً) أن قصة الفوز جميعها ليست إلا ترديداً لنبوءات إرميا في التوراة، والتي تبناها بكل المصائب لليهود، والمصريين والفلسطينيين والمزابيين والأدوميين والعمونيين والأراميين والكنانين، وكذا لدمشق وحماة وقينار وحاصور وعيلام وبابل، وكلما يعرفه من أمم ومدن.
ومنها (سابعاً) أن الأخبارين برون رواية أخرى تذهب إلى أن أبناء ومعبد بني عدنان قد أغاروا على معسكر بني إسرائيل بقيادة موسى نفسه، وأن الكليم - عليه السلام - قد دعا عليهم ثلاث مرات ولم يلق دعوته، لأن من هؤلاء المصطفى، صلى الله عليه وسلم; وبرفع النظر عن صدق الرواية أو كتبها، فإنما تشير إلى أن معبد بني عدنان، إنما كان قبل موسى عليه السلام، وهو الذي كان في حوالي القرن الثالث عشر قبل الميلاد، طبقاً لأكثر النظريات تأخرًا من الناحية الزمنية.
ومنها (ثامناً) أن حاصور التي يتحدث عنها إرميا في التوراة، إنما تقع في شمال بلاد العرب، وهي لا تدعو أن تكون عدة إمارات أو مشيخات صغيرة،

---

(1) اتفاق مليون 10:32-33
(2) مص 4:2-11 م، مركزي 77-78:17-17
(3) أنظر: صفر إرميا، الإصدارات من 44 إلى 51
(4) تاريخ الكنيس 127
(5) تاريخ مهاجرة الإسرائيليين من مصر في كتاب ب. إسرائيل، ص 268-271
(6) ليس:
---

- 190 -
كما يفهم من عبارته، وعن ممالك حاشور، والتي كانت تتاخم قيدار، ولعلها كانت في البادية (1)، وأن سكانها كانوا على خلاف أهل الهر، يسكنون في بيت ثانية، كما كانت تقع في جنوب فلسطين أو شرقها (2)، ومن هنا فلت أدري كيف جعل المؤرخون المسلمين حاشور، هي حضور، وأنها في اليمن - ليست في فلسطين - وأن نبوخذنصر، إنما غزاهم حمامة للدين الجديد، وانتقاها لقتل الأنياب، وهو نفسه كافر بهذا، وذلك، ومن ثم فهما كان السبب في هذا الإضطرب - فيما يرى الدكتور جواد علي - أن حرباً قديماً ماحقة، أو كوارث طبيعية حدثت في حضور اليمن، وتركت أثراً عميقاً في ذاكرة القوم، لم جاء الأخباريون، وخاصة أولئك الذين لهم صلة بأهل الكتاب، فوجدوا شيئاً بين حاشور، وحضور، وظنوا أن ما رواه إرمياه عن حاشور، إنما كان عن حضور اليمن، ثم أضافوا إليها ما شاء الله من أن يضيفوا على طريقتهم في هذا المجال (3).

ومنها (تاسعاً) أن قصة الغزو الباحري لبلاد العرب هذه، لم تتكشف بترتيب نبوءات إرمياه - كما جاء في التوراة، وإنما أشرت إليها آنفاً، وإنما قد اختلقت فيها كذلك فتوحات نبوخذنصر (4)، في بلاد العرب، عندما أخفى أدومو وتبديدان وتحرير وتراب (5)، بفتوحات نبوخذنصر، وإن كان هذا لا ينعتنا من القول بأن نبوخذنصر قد أرسل حملة في العام السادس من حكمه.

J. Hastings, op. cit., P. 334.  
A. Gardiner, Egypt of the Pharaohs, P. 363.  
A.R. Burn, Persia and the Greeks, P. 38  
CAH, 4, P. 194.
(٧-٥٠٥-٥٩٢ ق.م) إلى سكان البادية، دون تحديد لبادية معينة، أو قبيلة بذاتها، وأن الحملة قد نجحت في نهب مواشي القوم وأخذ أصيامهم (١) ومنها أخيراً (عاشراً) أن: «برخيا بن أبيه بن النبي البيرودي - كما يراه المؤرخون المسلمين - ليس في الواقع إلا باروخ بن نيريا، وأنه لم يكن أبداً نبياً، وإنما كان كاتباً وصديقًا للنبي البيرودي - إرميا -، ومن ثم فهناك اتفاق بين علماء التوراة على أن باروخ، هذا، هو الذي كتب سفر إرميا - كما هو في التوراة المدالية اليوم - في حوالي عام ٦٠٥ ق.م، وإن كانت الإصلاحيات من الأول إلى السادس، وإنما ترجع إلى الفترة ما بين عامي ٦٧٧، ٦٧٢ ق.م (٢)».

المديانيون:

تحدث القرآن الكريم عن أهل مدين، وعن نبيّهم الكرم شعبان عليه السلام (٣)، في مواطن متفرقة من سورة (٤)، ووفقًا لما جاء في القرآن الكريم، فإن شعبان أتي مدين وأصحابه، فنهبهم عن عبادة الأوثان، كما أمرهم أن يقيموا الزن بالقسط ولا يحزروا الميزان (٥)، ذلك لأن أهل مدين إنما كانت آلهة كلا المدن على مدرجة الطريق، ومن ثم فقد كانت قضتهم في القرآن قصة التجارة المحتركة، والبحث بالكيل والميلان وبخس الأسعار والترخيص بكل منهج من مناهج الطريق، وهكذا.

---

(١) انظر: «مقاله الوارث وخلافاتهم الدبلوماسية في العصور القديمة». مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية، ص ٢٨٧-٢٧٣، الرياض ١٩٧٦، ووكذا.

(٢) انظر: «محمود مصدق»، ص ٢٣٩، وكذا مسرح إرميا ٤٤:١.

(٣) انظر: «كانتا أسرائياً»، ص ٣٩، وكذا مسرح إرميا ٤٤:١.

(٤) انظر: «سورة الأعراف والثنية»، في كتاب دراسات في التأريخ القرآني، شغلت كل الفصل الثاني، من الجزء الأول من هذا الكتاب.

(٥) انظر: أمير (٨٥) وعبيد (٨٤-٩٠) والشعراء (١٨٢-١٨١-١٨٢).
 текسة شعبية على السلام، رسالة خلاصة من شروط الالحاق والحدود في البيئة التي تعرف بهذا الحاكم موقعها من طرق التجارة والمواصلات المتبادلة بين الأمم.

وقد كان أهل مدينة عربيًا يسكنون مدينتهم ومدين، وهي قريبة من أرض مان في أطراف الشام مما يلي الحجاز، قريبًا من بحيرة قوم لوط، هذا وقد كانت مدينة هذه إذا تمتد من خليج العقبة إلى مهاب وطور مينا.

وإليهم من أسفار التوراة أن مواطن المدينيين إذا كانت تقع إلى الشرق من البر الرملي، ويدور أنهم قد ترجلوا في المناطق الجنوبية لفلسطين، متخدين منها مواطن جديدة، عاشوا فيها امداً طويلة، حيث يرد ذكرهم في الأخبار المتأخرة، وقد ذكر بيليوس الباجي في موضعًا يقال له مودينا، على ساحل البحر الأحمر، يرى العلماء أنه موقع مدين، وأنه يقع وحدود أرض مدين المعروفة في الكتب العربية.

وأما يوسيس، فذكر مدينة مدين، ويقول أنها سميها باسم أحد أولاد إبراهيم من زوجه قطورة، وهي تقع وراء المقاطعة العربية في الجنوب في بادية العرب الرحلة إلى الشرق من البحر الأحمر، وأما الرأي ديفيد: فيذهب إلى أن أرض مدين يجب أن تكون إلى الشرق والجنوب الشرقي من مكان العقبة الحالية، فهذا كان يشأ طريق من طرق التقل التجاري، هذا ويظهر من التوراة.

ملاحظات:
1. تك. شير، الترجمة من التوراة 168-177، تفسير التأريخ 94-95.
2. ابن كثير، 185-6، تأريخ 77-78، شجرة المؤسس 164-165، تفسير التأريخ 62-8.
3. قاموس الكتاب المقدس 850.
4. صحيح مسلم 1 141.
8. Ptolemy, Geography, VI, 7, 27.
9. الرأي الموصل: شمال الحجاز 69.
10. نفس المرجع السابق 88-89.

- 193 -
أن المدنين قد غيروا مواضعهم مراراً بدلاً ما يرد فيها من إختلاطهم ببي قيام والعماقة والكوشين والإسلاميين، ويبقى أسماء استقرن في القرون الأخيرة قبل الميلاد في جنوب وادي العربة، والشرق والجنوب الشرقي من العقبة (1).

ويرجح بعض الباحثين أن عصر شبيب، إنما كان قبل عصر موسى، معتدين في ذلك على أن الله سبحانه وتعالى قد ذكر شبيبًا في القرآن الكريم — كما في سورة الأعراف وبرنس هو وهود والعديد والعديد — بعد نوح وهود وصالح ولوط، وقيل موسى (2)، وإذا معدنا إلى عصر الخليل عليه السلام (1940 ق.م)، وتذكرنا أن لوط وقومه إنما كانوا معاصرين لأبي الأبياء، لامكتنا القول أن شبيبًا وقومه إنما كانوا يعيشون بعد القرن الثامن عشر قبل الميلاد، وخاصة وأن الثيراء تذكر أن مدين إنما كان من ولد الخليل من زوجه فطره الكاملة (3).

على أننا نستطيع من ناحية أخرى أن نقول — حسبًا عن غير يقين — أن القوم إنما كانوا يعيشون في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، إذا ما كان صحيحًا ما ذهب إليه البعض من أن يروعن كاهن مدين وصير موسى، إنما هو شبيب في مدين العربي، وذلك لأن رحلة الخروج من مصر، تحت قيادة موسى — وكذا لقائه مع سهره كاهن مدين — إنما كانت في هذا القرن الثالث في م. (4).

(1) تكوين 26:25، 27:34، 28:37، 12:1، 4 حيوف 6:3 وكذا
(2) A. Musll, op. cit., P. 287،
(3) عبد الرواب النجار: قصص البيعة، ص 149.
(بالبوليسية)، والتي كانت منتشرة في تلك الأيام الحوايل على طول أفريقيا الشرقية من الشمال إلى الجنوب.

على أن الدكتور سليمان حزين يري أنه إذا كان ولا بد لنا من البحث عن أي الجهتين - شرق أفريقيا أو جنوب بلاد العرب - أقدم ثقافة، فإن بلاد العرب هي الأقدم، وأن الثقافة قد انتقلت منها إلى العصور الحجرية القديمة إلى شرق أفريقيا، وذلك لأن اليمن وعدن كانت في تلك العصور الحجرية القديمة ماهولين بالسكان، وأن قسمًا من هؤلاء السكان قد هاجر إلى عمان ومناطق الخليج العربي، كما هاجر قسم آخر - عن طريق مأرب ونجران - إلى شبه الجزيرة العربية، وإلى فلسطين والأردن، بينما ذهب فريق ثالث - عن طريق باب المندب - إلى الصومال وكينيا وتانزانيا.

ما أن استمرت هذه الهجرات إلى السواحل الإفريقية، حتى في العصور التاريخية، وربما يرجع ذلك إلى العوامل المناخية والاقتصادية، فضلاً عن المصالح التجارية الخارجية، وهكذا كانت حركة التجارة، فضلاً عن ثروات أفريقيا، دافعة قويًا إلى الفتح والاستيطان الدائم، ومن ثم رأيت العرب الجموًا يهاجرون إلى أفريقيا، وعند الزمان أخذوا يستقرن هناك ثم سرعان ما يلونون دوراً خطيرًا في إرسال قواعد حضارة وثقافة تتباق من صميم الحضارة في جنوب شبه الجزيرة العربية، وهكذا بدأ العرب الجنوبيون يتجهون نحو أفريقيا منذ وقت مبكر، على دفعات متعددة، وفي أوقات مختلفة، وفي الأنف سلطنة الآخيرة قبل الميلاد هاجرت جماعات عربية جنوبية إلى الحبشة، ولدنت هذه الهجرات أفضلالا فيما بين عامي 1500 - 300 ق م.

(1) أحمد فضلي: المراجع السابق ص 122
G. Caton Thompson and E. Gardiner, op. cit.,

(2) أحمد فضلي: المراجع السابق ص 122

(3) جرير علی: 534/1 و 535/1
A. Grohmann, Arabien, Munchen, 1963, P. 15.


--- 197 ---
وـيرا كارل بيترز أن جالية عربية كانت تعيش في المنطقة الواقعة بين نهر الزمبيزي والأنطروبو منذ الألف الثاني قبل الميلاد، وأن العبيد الكبير في زمبيزية في عام ١٠٠٠ ق.م، وأن السبئيين كانوا أصحاب السيادة في ذلك الوقت، على أن الأمر، إذا ظل وضعاً منذ القرن السادس قبل الميلاد، حيث نزعت جالية السبئية إلى منطقة، تحتوي في أوروبا، وكذا إلى هضبة الجبالة.  

هناك،  وعلي الهجرة الأوسان إلى السواحل الإفريقية، إذا كانت في نفس الفترة، حيث تخلوا من عزانيا، مقرهم، أضعف إلى ذلك كله تلك الهجرة السبئية التي حدثت في القرن الخامس قبل الميلاد.

وإيا ما كان الأمر، فهناك حقيقة ثابتة، تultanخش في وجود ثقافة من العصر الحجري القديم في بلاد العرب، وأن هذه الثقافة تشبه إلى حد كبير ما عثر عليه في أفريقية، كما تشبه كذلك مع وجود اختلافات غير قليلة، ما عثر عليه الباحثون من رجال عصور ما قبل التاريخ في سوريا والعراق.

ور بما كان نصيب شرق شبه الجزيرة العربية من آثار عصور ما قبل التاريخ أفضل من غيرها، فهي خلال النصف الأخير من هذا القرن استطاعت بلاد العرب خصوصاً الجزء الشرقي منها، بما في ذلك ساحل الخليج العربي، أنظار علماء الآثار عامة، نتيجة للأبحاث التي قافت بها بعثة علمية ألمانية في أجزاء مختلفة من عمان وأبوبوزر والبحرين والكويت وأهم ما لفت أنظار المجتمع العلمي هو الكشف عن عاصمة البحرين القديمة، والتي كانت تعرف سابقاً بمركز حضارة.

---

(1) فضل حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة يعقوب بكر، ص ١٢٨، وكذا:

A. Grohmann, op. cit., P. 25.

(2) جاء علي ١٥٥٠/٤ وكدأ

A. Grohmann, Arabien, P. 25.

(3) أحمد فخري: المراجع السابق ص ١٢٤

---
(بالبوليسية)، والتي كانت منتشرة في تلك الأيام الخلوية على طول أفريقيا الشرقية من الشمال إلى الجنوب.

على أن الدكتور سليمان حزين يرى أنه إذا كان ولا بد لنا من البحث عن أي البشر، فشرايا أفريقيا أو جنوبي بلاد العرب - أقدم ثقافة - فإن بلاد العرب هي الأقدم، لأن الثقافة قد انتقلت منها في العصور الحجرية القديمة إلى شرقي أفريقيا، وذلك لأن اليمن وعندنا كانا في تلك العصور الحجرية القديمة مأهولين بالسكان، وأن قسماً من هؤلاء السكان قد هاجر إلى عمان ومناطق الخليج العربي، كما هاجر قسم آخر - عن طريق مأرب ونجران - إلى شبه الجزيرة العربية، إلى فلسطين والأردن، بينما ذهب شرقي ثالث - عن طريق باب المندب - إلى الصومال وكينيا وتونجانيقا.

هذا وقد استمرت هذه الهجرات إلى السواحل الإفريقية، حتى في العصور التاريخية، وربما يرجع ذلك إلى العوامل المناخية والاقتصادية، فضلاً عن المصالح التجارية الخارجية، وهكذا كانت حركة التجارة، فضلاً عن ثروات أفريقيا، دافعة قوياً إلى الفتح والإستئناف الدائم، ومن ثم وآتي العرب الجنوبيين يتجهون إلى أفريقيا، وفروع الزمن أخذوا ي StringTokenizerون هناك ثم سرعان ما يلعبون دوراً هاماً في إرساء قواعد حضارة وثقافة تبنت من صميم الحضارة في جنوب شبه الجزيرة العربية، وهكذا بدأ العرب الجنوبيين يتجهون نحو أفريقيا منذ وقت مبكر، على دفعت متعددة، وفي أوقات مختلفة، وفي الألفي سنة الأخيرة قبل الميلاد هاجرت جماعات عربية جنوبية إلى الفلسطنة، وبلغت هذه الهجرات أقصاها فيما بين عامي 1500 ق.م.

G. Caton Thompson and E. Gardiner, op. cit., 123.


A. Grohmann, Arabien, Munchen, 1963, P. 15.

أحمد فخري: المرجع السابق ص 123.

وقد أ. ج. ب. (الويلي) 520/1.


197 -
وإلى كارل بيترز، أن جالية عربية كانت تعيش في المنطقة الواقعة بين نهر الزبيدي واللمبو، منذ الألف الثاني قبل الميلاد، وأن العبد الكبير في زمبيويّة، بني عام 1100 ق.م.، وأن السبيتين كانوا أصحاب السيادة في ذلك الوقت، على أن الأمر، إما زاد وضحاً منذ القرن السادس قبل الميلاد، حيث نزحت جالية سبيتي إلى منطقة تعزيز في أريتريا - وكذاباً إلى هضبة الجبلية - مكونة حكومة محلية هناك، وله هجرة الأوساين إلى السواحل الإفريقيّة، إذا كانت في نفس الفترة، حيث اتخذوا من عزانا مقراً لهم، أضاف إلى ذلك كله تلك الهجرة السبيتيّة التي حدثت في القرن الخامس قبل الميلاد.

وأياً ما كان الأمر، فهناك حقيقة ثابتة، تلخص في وجود ثقافة من العصر الحجري القديم في بلاد العرب، وأن هذه الثقافة تشبه إلى حد كبير ما عثر عليه في أفريقيا، كما تشبه كذلك - مع وجود اختلافات غير قليلة - ما عثر عليه الباحثون من رجال عصور ما قبل التاريخ في سوريا والعراق.

وزيما كان نصيب شرق شبه الجزيرة العربية من آثار عصور ما قبل التاريخ، أفضل من غيرها، ففي خلال النصف الأخير من هذا القرن استطاعت بلاد العرب - خصوصاً الجزء الشرقي منها، بما في ذلك ساحل الخليج العربي - أن تطور علماء الآثار عامة، نتيجة للأبحاث التي قالت بها بعلمة دمريكية في أجزاء مختلفة من عمان وأبو ظبي وقطر والبحرين والكويت، وأهم ما لفت أنظار المجتمع العلمي هو الكشف عن عاصمة البحرين القديمة، والتي كانت تعرف سابقاً بمركز حضارة.

A. Grohmann, op. cit., P. 25.
A. Grohmann, Arabien, P. 25.

(1) فضلرو حواري: العرب والحماية في المحيط الهندي، ترجمة يمراه بكر، ص 168، وكذا.
(2) جواب علي 3450 وكذا.
(3) أحمد فلخي: المراجع السابق، ص 124.
(4) 198
دلون(1) ، والتي جاء ذكرها في التصوير السومرية ، واشتهر ذكرها في مجال التجارة الدولية وقت ذلك بين مراكز الحضارة في سومر وبلاد نهر السند في باكستان الحالية ، ومن ثم بعدما نشرت نتائج التنقيبات عن دلون في جزيرة البحرين ، تأكدت مجددا تلك الأهمية البارزة التي أولتها كتابات السومرية(2) القدامى لهذه المنطقة(3).


وذهب فريق ثالث إلى أنها مملكة مطلقة إلى الجنوب غرب بابل (جبل الدمر) interventions تتكمل ترجمة فريد زكي س (20) بل إن هناك من أ/false أنها لا تقع في الفهم السليم من دلول العرب بين مجان وبين نيسان 2501. (F. Hommel, Grundrisse, I, P. 250). على أن غالبية العلماء إذا كنا تعلم على أن موقع دلون هذه إذا هو جزيرة البحرين الحالية ، أو جزيرة البحرين والحلة المقابل لها (أليك) ، مقالات حراست حول قصة العطاقة بين الآثار والكتب المقدسة ، جمعة كلية اللغة العربية ، المعهد المصري ، الرياض , 1972 ص 390.

وقد كلًا J. Finegan, Light from the Ancient Past, Princeton, 1969, P. 32. يتفق الباحثون على أن السومريين ظلم في الجزء السامي ، وقد نشأ فيها سبعية لا تشبه الآلية السابقة ، ولا يفهم أنهم بوجه إلى وادي الراقيين ، وإن ذهب البعض إلى أن ذلك ربما كان في فترة مبكرة من الألف الرابعة قبل الميلاد ، وقد اختلف الأراء في موقع الأصل ، فقد ذكرت أثرياء أهم جاميا من الجيوب ، ومن ذهب لأي إلى أنهم مهاجرون من منطقة ما تقع بين شمال الهند وبين أستراليا ، ومجلة عجيبان عن طريق الخطى العربي وجزيرة البحرين بعد أن استقروا في غرب إيران فترة ما ذهب وأيأ إلى أيوبهم بدأوا رواي القوانوين أو بحر قزون ، ويرى أخرون أهم جاما من آثرياء الصحراء ، بينما ذهب وأيأ إلى أيوبهم بدأوا من الأقران التي تغلبوا على السند ، بل إنهم دلوا إلى أنهم يعيشون في مملكة شرق الربيع ، وهي تُعرف بالمملكة النوبية، وعلي رأسهم مجدداً للغة أهل حضارة السومريين (أليك).

(1) P.B. Cornwell, on the Location of Dilmun, BASOR, 103, 1946, P. 3-11.

وكذا (2) J. Finegan, Light from the Ancient Past, Princeton, 1969, P. 32.


وعلى أي حال، فقد تم البتور في الإضاءة وفي قطر، وبخاصة في عيون، وجنوب دخان على فوؤود ونَبَال، فضلاً عن كِيات من حجر الصوان.

ترجم إلى العصور الباليولية، ونيوليولية،(1)

هذا وقد عُرفت البئرة الدُنْكَرِكَية في عام 1958/1959م في تل سعد وسعيبد، الواقع في الزاوية الجنوبية الغربية من جزيرة وِفِلْكَا، وتقع على مسافة 30 كيلومتراً إلى الشرق من مدينة الكويت على بعض الأحجام، وعلى افتراض من مدينة قديمة في طبقات أبي، ببعضها فوق بعض، كما عُرفت على كسر من الفخار يرجع تاريخها إلى منتصف القرن الثالث قبل الميلاد، فضلاً عن ختم مستدير من حجر الثق، مختلف عن أحجار العراق الأسطوانية وكذا عن أختام الهند المربعة، وقد ثبت من الناحيين، هذا وقد أُربِثت البئرة تل سعد - اعتُمِدَا على فحص طبقات الليل، ودراسة الفخار المتنوع الأشكال، بالقصر الناصبي (أي حوالي عام 3000 ق.م)، أما تل سعيد، فقد أُربِثت بالقصر اليوناني (2).

وهناك فريق من الباحثين يذهب إلى أن جزيرة البحرين ، وهي Tylos بليبي، وعند Tyrus عند سُرْاب، إما كانت مأهولة بالسكان منذ العصور الجليدية المتأخرة في أوروبا، وأن جزيرة البحرين وقت ذلك إما شبه مسلية في بلاد اليونان في أثينا، وأن البحرين إما كانت خضراء تغطيها الغابات (3)، وإذا صارت المعلومات التي وصلت إلى الفيلسوف اليوناني، ثيوفراستوس،(1671-87 ق.م)، فقد كانت تزوع في البحرين مساحات كبيرة من القطن، وأنه كان يوجد في هذه الجزيرة مساحات كبيرة لإنباتها، وقد أشار، بلبي (1926-79 م) إلى استمرار زراعة القطن في Tylos، أو Aratus حتى أيامه (4).

(3) جراد علي، 1971، ص 24.
(4) عبد الحميد زاده : الشرق الخالد، ص 127.
وأما سكان البحرين فقد كانوا قومًا من الصيادين، يعيشون على ما يقتسمونه من حيوانات، وهم يستفادون من أسلام، وقد عثر على أدوات من حجر الصوان كان تقوم باستخدامها في صيدهم وفي قطع العروج التي تقع في أحياميهم، وأن هذه الأدوات المكتشفة إنما تنتمي إلى أواست عصور Paleolithic، كما أنها تشبه مثاليتها في شمال العراق وفلسطين وشمال غرب الهند.

هذا وقد عثر في البحرين كذلك على رؤوس حراب وسكاكين، صنعتها أصحابها من صخور صوانية، وقد عثر لها بعض الباحثين عما يراوح ما بين عشرة آلاف وأي أكثر في ستة، ومن ثم فريما ترجع إلى أديان أيام الرعي، ويبدأ عند الاستقرار، يدلان أن منها أحادًا شديد للكائنات ح.createObject، فضلاً عن قطع الحشائش شائعاتها من الأرض.

وأما في وسط شبه الجزيرة العربية، فقد عثر في مواضع مختلفة من المملكة العربية السعودية - مدة من الأنساء شرقيًا إلى الحجاز غربيًا، ومن مديان صالح شمالاً، وحتى تجران جنوبًا - على أدوات حجرية تنتمي إلى تلك العصور المبكرة، كما في الدوادمي، وتقع على الطريق بين مكة والرياض، وعلى مسافة 326 كيلومتراً إلى الغرب من الرياض - حيث عثر على أدوات حجرية من بينها أقاس ميل لونها إلى الخضراء، وكما في جبل الهجر، إذ كان الصيادون في حصور ما قبل التاريخ يتقلون إتجاه الأودية من مكان إلى آخر، وقد ترك الصيادون - ثم الراكب - بعض الآثار في الأماكن التي حملوا بها حرشًا منهواتها، مما يرجح السياح، وخبراء شركة أرامكو وغيرهم، يعترفون على بعض منها، بين الحين والآخر.

Ibid., P. 51.
H. Field, Papers of the Peabody Museum, 48/2, 1956, P. 63
A. Grohmann op. cit., P. 15.
وأما في شمال شبه الجزيرة العربية، فقد عثر في "كلمة"، عند سفح جبل الطبق، على آثار رأى بعض الباحثين أنها ترجع إلى آلاف السنين قبل الميلاد، وأن تاريخ السكنى بها، إذاً يرجع إلى ألف الثامنة قبل الميلاد.

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن الباحثين لم يوفقوا بعد في العثور على هياكل كاملة للإنسان من عصور ما قبل التاريخ في شبه الجزيرة العربية، أو حتى سيناء، وإن كان بعض رجال شركة "أرامكو" قد عثروا على بقايا عظام وأنسان لبعض الحيوانات "الحمية" (Mastodon)، وعلى جزء من جمجمة إنسان قديم، في موضوع يعد تسعين ميلاً إلى الغرب من "الدمام"، إلا أن ذلك لا يمكّن الباحثين من إعطاء رأي علمي فيما يصاحب الحياة في عصور ما قبل التاريخ، حتى وإن أمكن العثور على مثل هذه البقايا في أماكن أخرى من شبه الجزيرة العربية.

على أن البحرين قدمت للباحثين هياكل كاملة، رأينا الميت فيما يرقد على جبهة الأيمن، ويتجه بوجه نحو الشرق، الأمر الذي كان يتبعه سكان العراق القديم في الألف الثالثة قبل الميلاد، كما وجدت في المقبرة بقايا عظام حيوانات، فضلاً عن أدوات يرتوا بحيا وحليها، ولعلهم في هذا يشبهون المصريين القدماء الذين كانوا يعتقدون في الحياة الآخرة، وأنها على غرار الحياة الدنيا، ومن ثم فقد كانوا يضعون في مقبرة الميت، ما قد يحتاجه من متع في هذه الحياة الأخرى.

وأما أبواب مقابر البحرين هذه، ففي الناحية الأخرى من إتجاه الميت - أي في الناحية الغربية - وربما كان لذلك صلة بدين القوم، وربما كانوا - مرة أخرى - يشبهون المصريين الذين كانوا يطلقون على العالم الموت اسم "عالم الغرب"، كما كان

---

(1) جبريل علي ٥٣٢/١، وثابة
N. Glueck, The Other Side of the Jordan, New Haven, 1940, P. 43.
P.B. Cornwall, op. cit., P. 39.

(2) جبريل علي ٥٣٦/١، وثابة
الموري يسمون "أهل الغرب"، بل إن مقابلهم إذا كانت في كثير من الأحيان، إذا تقع على الضفة الغربية من النيل.

وأما ما كان الأمر، فإن هناك من يرى أن القوم إذا كانوا يسكنون على ساحل الخليج العربي، بينما ينحدر من جزيرة البحرین مقبّرة للونها، على أن فرقة آخرى إذا بذلهم إلى أن تلك القبار، إذا كانت مقابل القيتين الذين كانوا يقطنون البحرین بعد هجرتهم إليها من الأفلاج والخرج، وأيضا إذا ترجع إلى الفترة ما بين عامي 3000 قبل الميلاد (1)، على أن هناك من يعارض هذا الإتجاه أصلاً، ويرفض أن يكون القيتين من هناك (2).

هذا وقد عُرِثت البئرة الدموكية في عام 1959م (3) جنوب طريق الديلم في البحرین، على أربع مقابر، ترجع إلى العصور الحجري، كما عُرِث بعض الساحل على تلال في مواضع متفرقة في كل من عمان وقطر، ترجع إلى ما قبل الميلاد، هذا وقد عُرِث رجال شركة "أرامكو" على مقابر كبيرة في جبل المنري الشمالی والجنوبي (4)، فضلاً عما عُرِث عليه "جون فالي" و"كورنول" من مقابر في جنوب غرب شبه الجزيرة العربية، وفي "الرديف" -على مساحة 110 ميلاً شمال غربي العام - وفي "المويه" - على مساحة 143 ميلاً إلى الشمال الشرقي من مكة المكرمة - وفي "الرويق"، وفي مرتفعات العلم الأبيض والعلم الأسود، وفي كثير من هذه المقابر تمكن الباحثون من الحصول على أدوات من الفخار، وعلى قطع من العاج، وعلى قشور من بيض النعام، وعلى أسلحة برونزية كما استُدْلوا بها وجود

H. St. J.B. Philby, Sheba's Daughters, 1939, P. 373. (1)
R. Sanger, op. cit., P. 141. (2)
El, I, P. 585 وكدأ (3) إسرائيل، ص 325.
P.V. Glob, Archaeological Invistigations in Four Arab States, 1959, P. 238. (4)
J.B. Philby, op. cit., P. 373.
بعضها في مناطق صحراوية بعيدة عن العمران الآن، على أن هذه المناطق إذا كانت
مأهولة بالسكان في تلك العصور العتيقة (1).

ومن أسف أن لا تملك دراسة علمية مقارنة عن هذه المقابر، ومن ثم فقد ذهب البعض إلى أنها إذا ترجع إلى عصر Chalcolithic، أو إلى العصر البرونزي، بينما ذهب آخرون إلى أنها إذا ترجع إلى العصر البرونزي المتأخر (2)، هذا وقد ذهب فريق ثالث إلى أن مقابر أم النار (3)، في أبو ظبي، إذا ترجع إلى الألف الثالثة ق.م (4)، وأما عن أصحاب هذه المقابر، فإن الباحثين يتجهون إلى أن مقابر المرتفعات إذا كانت للصيادين أو الرعاة، بينما كانت مقابر السهول للمزارعين المستقرين (5).

ولعل مما تجد ملاحظته أنه قد تبين من مخلفات المقابر في أم النار أنها إذا تضم العديد من الهياكل العظمية المتكثسة في المدافن المشتركة، ويقل العدد في غرف الدفن والممرات، مما يدل على أن القبر قد استخدم مرات عديدة، هذا ويدل وجود الهياكل العظمية خارج الجدران الخارجية على وجود ظاهرة التضحية البشرية التي تواكب مراسم الدفن حيث توضع جثث الأشخاص الذين يضحى بهم مع بعض خارج المبنى الذي يضم جثة الموفى (6).

وإنه من الأهمية بمكان الإشارة إلى وجود مراكز استيطان عديدة في شمال شرق الجزيرة العربية، تنتهي إلى حضارة العبيد في العراق القديم، من الناحية الزمنية، فضلا عن تشابه حضاري بينهما، وأما موقع هذه المراكز فقد كان بحيرة

R. Sanger, op. cit., P. 141.
(1)
(2)
(3)
(4)
(5)
(6)
P.B. Cornwall, op. cit., P. 37.
G. Bibby, Looking for Dilmun, P. 212
المؤذي يسمون "هل الغرب"، بل إن مقابرهم إذا كانت في كثير من الأحيان،
إذا تقع على الضفة الغربية من النيل.

وأيانا ما كان الأمر، فإن هناك من يريد أن يقوم إذا كانوا يسكنون على ساحل
الخليج العربي، بينما يتخذون من جزيرة البهرين مقبرة لموتاهم. على أن فريقاً
نحر إذا ذهب إلى أن تلك المقابر، إذا كانت مقابر الفينيقيين الذين كانوا يقطنون
البحرين بعد هجرتهم إليها من الأفلاج والهرج، وأنها إذا ترجع إلى الفترة ما بين
عامي 3000 - 1500 قبل الميلاد (1) على أن هناك من يعارض هذا الإنجاب أصلاً،
وبرفض أن يكون الفينيقيين من هناك (2).

هذا وقد عثرت البعثة الدبلوماسية في عام 1959م، (3) جنوب طريق البديع في
البحرين، على أربع مقابر، ترجع إلى العصور الحجرية، كما عثر بعض السياح على
تلات في موائل مفترقة في كل من عمان وقطر، ترجع إلى ما قبل الميلاد، هذا
وقد حضر رجال شركة " أوامركو " على مقابر كثيرة في جبلي المجري الشمالي
والجنوبي (4)، فضلاً، علماً عثر عليه " جون فاي " و" كورنول " من مقابر في
جنوب غرب شبه الجزيرة العربية، وفي " الرديف " على مبناية 110 ميلاً شمال
غربي الدمام، وفي " الموره " على مبناية 143 ميلاً إلى الشمال الشرقي من مكة
المكرمة، وفي " الرويق "، في مرتفعات الليم الأبيض والعلم الأسود، وفي كثير
من هذه المقابر تمكن الباحثين من الحصول على أدوات من الفخار، وعلى قطع من
الجاج، وعلى قشور من بيض النعام، وعلى أسلحة برونزية كما استدلوا من وجود

H. St. J.B. Philby, Sheba's Daughters, 1939, P. 373.
EI, I, P. 585 و R. Sanger, op. cit., P. 141.
(1) وؤكد جواد Mr. 397-400 وعثا، وعثا، وعثا، وعثا، وعثا.
(2) انظر "أفيوم"، "الخليج العربي"، ترجمة عبدالقادر بوساص، الكويت، ص 76-77.
(3) P.V. Glob, Archaeological Investigations in Four Arab States, 1959, P. 238.
(4) J.B. Philby, et al., cit., P. 373.

- 203 - 
بعضها في مناطق صحراوية بعيدة عن العمران الآن، على أن هذه المناطق إذا كانت
ماهولة بالسكان في تلك العصور العتيقة(1).

ومن أسف أنها لا تملك دراسة علمية مقارنة عن هذه المقابر، ومن ثم فقد ذهب البعض إلى أنها إذا ترجع إلى عصر  Chalcolithic  أو إلى العصر البرونزي، بينما ذهب آخرون إلى أنها إذا ترجع إلى العصر البرونزي المتأخر (2)، هذا وقد ذهب فريق ثالث إلى أن مقابر "أم النار"، في أبو ظبي، إذا ترجع إلى الآلف الثالثة قبل م.، وأماما عن أصحاب هذه المقابر، فإن الباحثين يتجهون إلى أن مقابر المرتفعات إذا كانت للصيادين أو الرعاة، بينما كانت مقابر السهول للمزارعين المستقيرين (3).

ولعل مما تذكر ملاحظته أنه قد بين من مخلفات المقابر في ألم النار أنها إذا تضم العديد من المكاسب العظمية المكاسبة في المدن المشتركة، ويقل العدد في غرف الدفن والمحارات، مما يدل على أن القبر قد استخدم مرات عديدة، هذا ويدل وجود المكاسب العظمية خارج الجدران الخارجية على وجود ظاهرة التضخم البشرية التي تواكب مراسم الدفن حيث توضع جثث الأشخاص الذين يضمنهم بيم مع بعض خارج المبنى الذي يضم جثة الموتى (4).

وإنما من الأهمية بمكان الإشارة إلى وجود مراكز استيطان عديدة في شمال شرق الجزيرة العربية، تتميي إلى حضارة "الهبد" في العراق القديم، من الناحية الزمنية، فضلاً عن تشابه حضاري بينهما، وأمام موقع هذه المراكز فقد كان بحذاء

R. Sanger, op. cit., P. 141.
جواد علي 454-452، تقرير عن الحفريات الأثرية في فلتكا، الكويت ص 24.
P.B. Cornwall, op. cit., P. 37.
G. Bibby, Looking for Dilmun, P. 212

وكذا

- 204 -
ولعل من نتائج ذلك كله أن هناك عنصر حضاري ثالث في شرق الجزيرة العربية في عصور ما قبل التاريخ، تميزت الواحدة بصناعة الأدوات الحجرية، وتآثرت الثانية بحضارة العبد، وأنما الثالثة - وهمها موقع جزيرة تارون - فتنتمي إلى حضارة آلاف الثالثة ق.

وبذلك، لعلم الطبقات، فإن العنصرين الحضريين وجدا أنهاهما على علاقة مباشرة ومتباعدة في موقع عين قناس في الداخل، وفي جنوب غرب المنطقة الشرقية، فضلاً عن ذلك، فإن تحليل الرواسب من هذا الموقع أدى بدليل مباشر على تواجد سكان دوري في المنطقة في العصر الحجري، وهكذا يمكننا أن نستنتج أن حركات سكانية وهجرات دورية حدثت على مدى الطويل تجاه الوادي العربي في جنوب العراق، ومن الممكن أن نظن أن مواطن الاستقرار التي تتمتع إلى حضارة العبد في بلاد العرب، خاصة تلك التي تقع على طول الساحل، تبادلت المواد الخام مع مثيلاتها في جنوب العراق، فقد كانت مواد التبادل هذه تمثل في الأصداف والثدييات والحشرات البحرية الأخرى، فضلاً عن المواد الحجرية المنتجة من سواحل الجزيرة العربية، كما أن وجود حجر الأوبسيديون في مواقع الجزيرة العربية، لدليل على العلاقات بين هذه الأخيرة وبين الشمال عن طريق جنوب العراق.

ومما هو جديد في الملاحظة أن الفترة التي بدأت تتكون فيها المدن في العراق، قد توافقت زمنياً مع فترة اختفاء حضارة العبد في الجزيرة العربية، مما يجعل على الظن بأن هجرة كبيرة من سكان الجزيرة نزحت إلى العراق القديم في نهاية الألف الرابعة قبل الميلاد، وهذا يتفق مع ما افترضه العلماء من أن تدفق السكان على سهول العراق كان حاسماً في قيام المراكز المدنية هناك.

Abdullah Hassan Masry, op. cit., P. 18-19.
وعلى أي حال، فعلى من الأهمية بمكان الإشارة هنا إلى أن المراحل الحضارية
في منطقتي الخليج العربي إنما قد تأثرت في عصور ما قبل الكتابة بحضارات جنوب
بلاد الرافدين - كما أشرنا من قبل - ووادي السند ووادي النيل وإيران، ذلك لأن
المرحل الأخير في عصور ما قبل التاريخ إنما قد تأثرت إلى حد كبير بظاهرة
الاتصالات الخارجية (1).

وهل هناك ما يشير إلى تشابه في أشكال الآداب الفخارية التي تنتمي إلى عصر
حضارة العبيد، وذلك في موقع أم النار في أبو ظبي بدولة الإمارات العربية،
ووقوع بابون إقليم فارس (2) في إيران.

وهذا وقد قامت منطقة الخليج العربي بدور فعال في الإتصال بين حضارة جنوب
وادي الرافدين ووادي السند، وذلك ما يشير إلى أن تجارة منطقة وادي السند قد مارست
التجارة مع سكان الخليج العربي ومدن وادي الرافدين (3).

وفي هذا المجال فقد عبر في أم النار و "هلي"، على مسافة عشرة كيلومترات
من مدينة العين - على أواني فخارية تحمل رموز تعبر تشبه تلك التي عثر عليها في
وادي السند، هذا ويستند على الإتصال التجاري مع وادي السند من العثور على
العديد من الأختام المرعبة التي تتميز بها حضارة وادي السند في فلوكا وفي البحرين،
وكذا العثور على أختام دائرية في موقع وادي السند بعد أن أصلها إلى فلوكا والبحرين (4).

هذا وقد تبين من الدراسة والمقارنة لفخار أم النار، وفخار "كوفي" أن الأول
ينتمي إلى الألف الثالث قبل الميلاد، وأن التشابه بين النوعين إنما يكمن في الصناعة

(1) د. وهو في الصدر: جنوب غرب آسيا وشمال أفريقيا - الكتب الأول - ص 225-227.
(2) يقع إقليم فارس في الجهة كانت من إيران ويرتبط ساحل الخليج العربي، وأهم مواقفه الآثارية
وقوع بابون. ويعتبر على مسافة 25 كيلومترا جنوب بحر مكرس القريب من شيراز في سهول "مرفت"
(4) سليمان البدر: المرجع السابق ص 316-315.
وتتيقان الألوان وأسلوب الزخرفة والحفر الباز، وإن تميز فخراً أم النار بعدد ألوانه، وأشكاله وزخارفه.

وفي موقع بلورستان الإيرانية يوجد موقع بامبور (بين بحر شرق إيران) ويضم ست طبقات تؤخذ إتضاء من النوب الثاني من الألف الثالثة ق.م، وحتى بداية الألف الثانية ق.م. (1)، وتتمثل ست مراحل حضارية، عثر في الطبقات الأربعة الأولى منها على أواني فخارية رمادية تشبه فخار أم النار (2)، أما المرحلة السادسة فليس جانب تشابه فخارها مع فخار أم النار، فلقد كشف فيها كذلك عن كثرة من أختام الخليج العربي، يؤثر بحراوي عام 1923 ق.م (3)، ومن ناحية أخرى فقد وصلت أختام وادي السند - ومنها ما يحمل خصائص أختام الخليج العربي - إلى بلاد الراهدين ومواقع الخليج العربي (4)، هذا فضلاً عنما عثر عليه في البحرين وفلكا من أدوات حجرية من وادي السند، وكذا لوحة عبء من حجر اللزورد عبر عليها في موقع باربار في البحرين.

وعلى أي حال، فرغم أن هناك من يرى أن عصر ما قبل التاريخ قد بدأ في شبه الجزيرة العربية حوالي الألف الثالثة ق.م، فإن وقت كان العصر التاريخي قد بدأ في أماكن أخرى (5) - كمصر والعراق القديم - فإن معلوماتنا الحالية لا تسمح لنا

---

(1) سليمان البدر، دراسة تاريخية لمنطقة الخليج العربي أثناء الألفين الثاني والأول قبل الميلاد، رسالة دكتوراه، الإسكندرية 1976، ص 41، وكذا: حسين جعفر، مديح الآثار في أبو ظبي، مؤتمر الآثار السادس، 1971، ص 1 وكذا
De Cardi (B.), Excavations at Bampur, S.E. Iran, Iran, 6, 1968, P. 135.
B. De Cardi, op. cit., P. 135.
G. Bibby, op. cit., P. 354.
تحديد العصر الذي ينتهي فيه العصر الحجري القديم، وبداية العصر الحجري الحديث، أو العصر التأريخي في بلاد العرب، فإن ذلك ما زال متوقعًا على الأبحاث الأثرية. على أن هناك حقائق هامة تخلص في أن الهجرات بدأت تندى إلى مصر من بلاد العرب منذ ألف الرابعة قبل الميلاد، إلى العراق قبل بداية ألف الثالث قبل الميلاد(1)، ذلك لأن شبه الجزيرة العربية، فيما يرى غالبية العلماء - ومنهم سيرجري(2) وإيرهارد شراد(3)، وهربرت جرمة(4)، وروبرت سمن(5) وكارل بروكلمان(6) وكريج(7) وجون ماير(8) وستاني كوك(9)، ورايت(10) وهوغو فنك(11) وتيله والابن فنان وجاك دى مورجان وكابيني(12) وديتيم فلسن(13) وفرانز هولم(14) وفيلي(15) وـ باس(16) وحسن ظاظاء(17) وسيباست ووسكي(18) وغيرهم.

(2) A. Sprenger, Das Leben und die Lehre des Mohammad, Berlin, 1861, P.241.
(3) A. Sprenger, Alte Geographie Arabiens, 1875, P. 293.
(4) E. Shrader, ZDMG, 27, 1873, P. 397F.
(5) H. Grimme, Mohammed... , 1904, P. 6F.
(6) R. Smith, Kinship and Marriage in Early Arabia, P. 178.
(7) C. Brockleman, Grundriss der Vergleichenden Grammatik der Semitischen Sprachen, Berlin, 1908, I, 2.
(10) S.A. Cook, in CAH, I, 1923, P. 192.
(11) E. Wright, Comparative Grammar of Semitic Languages, P. 8.
(12) حسن ظاظاء: المرجع السابق ص 13.
(13) D. Nielsen, Handbuch, I, 1927, 47, 55.
(15) A. Grohmann, op. cit., P. 14.
(16) J.B: Philby, The Background of Islam, P. 9F.
(18) حسن ظاظاء: المرجع السابق ص 15-16.
(19) S. Moscati, Histoire et Civilisation des Peuples Semitiques, P. 32-3.

- 210 -
يرون أن الوطن الأصلي للساسيين إنما هو شبه الجزيرة العربية، وذلك الخزان البشري الشهير، الذي لم يوقف عن أن يندفع - كقابلين طرف وكصور، قطرة، ولكنها ولود، بالموجة تلو الموجة إلى منطقة الهمال الحصيبة المناخية والجذابة، وإلى وادي النيل، عبر البحر الأحمر، أو عن طريق سيناء.

ورغم اختلاف أصحاب هذه النظرية في المكان الذي كان الوطن الأصلي للساسيين من الجزيرة العربية - فيما بين أوسع شبه الجزيرة العربية ولا سيما نجد، وبين العروض ولا سيما جزيرة البحرين والسواحل المقابلة لها، وبين الأقسام الجنوبية من بلاد العرب، فلذالن لا شك فيه أن الجزيرة العربية هي الوطن الساسيين الأول، وعلى هذا الأساس يمكن تفسير حركات القبائل السامية من البادية إلى أودية الأنهار الحصيبة، والتي بدأت منذ عصور ما قبل التاريخ، ولم توقف على الإطلاق حتى الفتح الإسلامي في القرن السابع الميلادي.

وهكذا انتقلت من شبه الجزيرة العربية هجرات ضخمة تتدفق في موجات متتابعة تشق طريقها إلى الأراضي الحصيبة، وذهب بعض العلماء إلى أن الفترة بين الموجة والتي تليها تبلغ زهاء ألف عام، ولعل من أشهر هذه الموجات موجة

(1) أورين مقالية: الساسيون والآراء التي دارت حول موطئهم الأصلي، مجلة كلية اللغة العربية، العدد الرابع.
(2) 1971م 245-246.
(3) نفس المرجع السابق، 263-265.
(4) 211.

A. Sprenger, op. cit., P. 241
J. Hastings, A Dictionary of the Bible, 1904, P. 74.
J. Montgomery, Arabia and the Bible, P. 126
W. Warrell, A Study of Races in Ancient Near East, 1927, P. 45, 94.
الأمورين(1)، ثم الكنعانيون (أو الفينيقيين(2) – وأما ثالث الموجات فقد كانت الموجة الآرامية(3). 

وتشير الآثار المستخرجة من الأراضي فيما بين دجلة والفرات، على أن أولى الهجرات السامية إما بدأت حوالي عام 3000 ق.م، وأن هذه الاكتشافات لا تنفي فكرة وقوع هجرات سامية قبل هذا التاريخ(4). فضلاً عن التي أتت بعد، ومنها تلك التي كانت في بداية الألف الثالث قبل الميلاد؛ والتي كان أصحابها على قدر غير قليل من الثقافة، حتى أنهم استطعوا على أيام سردون الأول (حوالي عام 2350 ق.م.) من أن يقيموا دولة تسمى فتوحات. حتى وصلت آسيا الصغرى; وبديهي أنهم لن يستطيعوا أن يفرضوا أنفسهم على شعب ذي حضارة كالسومريين، إلا إذا كانوا قد وصلوا إلى درجة من التقدم يجعلهم يعرفون كيف يستفيدون من غيرهم، ويصبح لهم السيطرة على البلاد، وأن نظل لغتهم الأصلية وكثير من مظاهر ثقافتهم ملازمة لهم قرونًا طويلة، ومن ثم يمكننا القول أن هؤلاء المهاجرين من بلاد العرب إلى العراق قبل خمسة آلاف سنة، لم يكونوا قومًا بديئين، بل كانوا ذوي ثقافة خاصة بهم، كما كان لهم نظامهم وحياتهم الاجتماعية(5).
الفصل السابع

رول معين

(1) معين والمعينون:

يفتق العلماء - أو يكادون - على أن دولة معين، إنها هي أول دولة تستطيع أن تلمح بعض معالمها وسط ضباب التاريخ القديم لبلاد العرب الجنوبية، وأنها - طبقاً للنصوص التي تركتها في شمال اليمن حول بلدة معين - قد قامت في منطقة الجوف، بين تجران وحضرموت، وهي منطقة سهلة غريبة، إشتهرت بخيلها وأحسابها ومراعيها، التي تعتمد على مياه "الخارد"، وعلى الأمطار التي تسقط هناك، فتكون سبولاً تسيل في أودية، فإذا أضفنا إلـى ذلك كله، أن الجبال تحيط بها من الجهات الثلاث، مما يكون حماية طبيعية لها، لتتين لنا إلى أي مدى ساعدت تلك العوامل الطبيعية على أن تكون منطقة الجوف هذه، مركزاً هاماً للحضارة في اليمن القديم).

ومصادرنا الأصلية عن دولة معين، إنها هي الكتب التي تركها أصحاب هذه الحضارة، فضلاً عن كتابات الرحلات القدامى من الأغارقة والرومان.) من أمثال

زيد بن علي عنان، تاريخ اليمن القديم، ص 95.
ديودور الصقلي، (من القرن الأول الميلادي) م، و ستراي (66 ق.م-242م) (Carna=Karna)، الذي داعمه (Minae=Meinaioi)، وأن توصيمه فقرونا، وأما موقع بلادهم فقد رآه في الشمال من سبا وقنان، إيل الغرب من حضرموت (1)، أضيف إلى ذلك أن ثيوفراستوس قد ذكر - إلى جانب سبا وقنان وحضرموت - رأى أويري، أن المراد فيها معين (2)، Mamali ؛ وأما «Mamali»، فإن تحريرها حديث في النسخ، ومن ثم فقد صارت "(3)، وأما بلبي (27-79م)، فقد وضعهم على حدود حضرموت (4).

وما المصادر العربية، فلا علم لها بهذه الدولة، وإن عرفت اسمها معين و "براقش"، أو أنما موضعا في الجوف، أو محفظ من جملة محايد اليمن وقصورها القديمة، كنا أنها جعلتها من أبنية التابعة (1).

ويذهب فيريتز هومل إلى أن صحة النظف، إذا هو معان، وليس معين، وأن معان إذا هو النطق القديم جداً للكلمة (2)، وربما كان الوبس موسيل (1)، و "فيليبي" حتى بيران نفس الرأي، من أن نظف معان العربية، والتي جاءت في التوراة تحت اسم ماعون ومعون، على اعتبار أنها اسم موضوع (3)، قد أصبحت بعد ذلك معين، يعني ماء نبع (8)، ومن ثم فقد رأى البعض أن هؤلاء المعينين

المذكورين في التوراة، إنما هم سكان النقب، وحتى سنة (١) ، بينما ذهب فريق آخر إلى أنهم سكان منطقة معان التي تقع إلى الجنوب الشرقي من البارى (٢) ، هذا وقد ذهب فريق ثالث إلى أنهم أهل والد نابليون (ددين) ، على أن التوراة قد جعلتهم من سكان النقب في بعض نصوصها ، بينما جعلتهم في نصوص أخرى من التوراة العربية (٣).

هذا ويرى فريتز هومل أن كلمة "معان" التي جاءت في نقش الملك الأكدي الثاني من سمن يقول فيه أنه "أخضع بلاد معان"، وأخذ مانيوم أمير معان أسراؤ (١) . إنما هو تحرير لاسم إقليم "معين" في اليمن (٢) . بل إن هناك رأي جريئاً - بعيداً عن المنطق الزمني والمنطق التاريخي - يذهب إلى أن "معان" هذه التي جاء ذكرها في النص الآثاثي الذكر، إنما هي "مصر" وأن "مانيوم" (مانو دانو) إنها هي تحرير لاسم "من" أول ملوك الأسرة الأولى الفرعونية (٣) .

والرأي عند الدكتور سمنظ أنا أنه من المحتمل أن يكون لفظ "معان" هو في الأصل "معان" في أقصى الشمال من الحجاز شرقي خليج العقبة، وليس قرب

J. Hastings, op. cit., P. 619.
J.A. Montgomery, op. cit., P. 183.
A. Grohmann, Arabien, P. 21

أ. ه. سايتس، مينيس ونارام-سين، JEA, 6, 1920, P. 296.
S. Langdon, JEA, 7, 1921, P. 121F
W.F. Albright, in JEA, 6, 1920, P. 89F.
هذا المكان من العراق هو الذي يدعو إلى ترجمة هذه الفكرة، ولكن اسم هذا الأمير الذي كان يحكم الإقليم مانيوم، الذي يبدو أنه نطق أشرري للإسم العربي معن (بالضم والتنوين)، وهو شائع في أسماء عرب الشمال، نادر في عرب الجنوب، لاحظه فيما نعلم في التقوش اليمنية، بينما يقابلنا بكرة جدة في الشعر العربي الجاهلي، وفي التقوش العربية القديمة التي عثر عليها في الشمال كالنقوش الصنوية مثلاً(1).

على أن موقع مجيان هذه، قد أثار جدلاً طويلاً بين العلماء، فذهب هرموش فنكر، إلى أنها في الأقسام الشرقية، من شبه جزيرة العرب(2)، وذهب آخرون إلى أنها جزيرة (جزرها) على ساحل الإحساء(3)، بينما ذهب فريق ثالث إلى أنها إذا تقع على مقرية من ساحل الخليج العربي في موقع مجمدة جنوب بيرين(4)، وذهب فلي(5) إلى أنها على مقرية من الساحل عند مصب وادي شهبة، وهي البقعة التي نشأت فيها مملكة مجيان القديمة.

ويذهب فيتاني إلى أنها مدين(6)، والتي كانت حوالي ألف سنة قبل الميلاد كثيفة الأشجار، وكان اللبابيون يأخذون منها الذهب والنحاس والأخشاب، ويعتبر موصل هذا الإتجاه، محدداً موقع مجيان على ساحل الخليج العربي(7)، على أن هناك فريقاً سادساً إذا يذهب إلى أنها منطقة عمان، أي الطرف الجنوبي الشرقي من شبه الجزيرة العربية(8).

(1) حسن طالحة: السامعين ولغاتهم، ص 129.
(2) E. Schrader, Die Keilschriften und des Alte Testament, P. 15 F.
(3) O'Leary, op. cit., P. 47.
(4) Major. R.E. Cheesman, In unkonwn Arabia, Londoe, 1925, P. 266.
(5) J.B. Philby, The Empty Quarter, P. 119 F.
(6) A. Musil, Northern Nejd, P. 307.
وأخيراً، فقد حاول بعض المؤرخين أن يحدد موقعها بخط طول 55 شرقاً، وخط عرض 24 شمالاً، وبحوالي 450 ميلاً إلى الشمال الغربي من مسقط، وأن كلمة "مجان" إذا تكوّن من الكلمة السومية "Majā" (معنى ميناء أو أرض السفن)، وذلك بسبب شهرة أملاها في ركوب السفن، فضلاً عن أن هناك نصاً يرجع إلى أيام هرودجيا (أحد ملوك أور حوالي عام 2450 ق م) يحدثنا عن صناعة السفن من مجان، وأن النصوص المسارية قد وصفتها بأنها "جبيل النحاس"، كما أطلقت عليها النصوص السومية "أرض الدولريت"، ومن ثم فإن الإشارة إلى مجان على أنها جبل النحاس، تدفعنا إلى أن ندخل في دائرة محلة إبليج الأخضر بعمان، حيث يوجد النحاس، وهكذا يبدو واضحًا أن لدينا من القرنين بينهما تقريباً، من وضع مجان كرائد صحيح لعمان، لأن كل ما ذكر آنفة إذا هو موجود في عمان.(1)

وأياً ما كان الأمر بالنسبة إلى موقع "مجان" وصلتها بعينين، فإن هناك من ذهب - قبل عصر الإكتشافات الحديثة - إلى أن المراد بلفظ "المانافين" نسبة إلى "منى" في مجاورات مكة المكرمة(2)، بل إن واحداً من المؤرخين المعاصرين ذهب إلى أن المانافين إما هم قوم عاد(3)، بينما ذهب آخرون إلى أنهم من بدأ الأراضي الذين كانوا في أعالي جزيرة العرب قبل دولة عمان، بعدة قرون، فلما ظهرت هذه الدولة واقتبست حضارة السومريين - الدينية والشعوبية والاجتماعية - كان المانافين في حملة القبائل التي نالت حظًا من ذلك "كم"(4)، وبعد فترة لندري مداها على وجه التحقيق، هاجر المانافين - مع قبائل أخرى - من العراق والمصا مقرراً متحمساً بقيومون فيه، فنزلوا اليمن في إقليم

---

(1) عبد العزيز زيدان: الشرق الغالب ص 133.
(2) حريزي زيدان: العرب قبل الإسلام ص 115.
(3) أمين مدني: العرب في أحقاب التاريخ/3 128/2.
(4) حريزي زيدان: المرجع السابق ص 118.
الجوف وشهدوا القصور والمحافد على مثال ما شاهده في بابل (1) ، ويقدم هذا النفر من الباحثين أدلة على زعمهم هذا ، منها - فيما يرون - إشراك المعنيين والأراضيين في أسماء الأشخاص وأسماء العبودات ، ومنها الإشراك في أسم المعتقدات وطرق العبادة (2). 

على أن أرجح الآراء - فيما نعتقد ونميل إلى الأخذ به - أن المعنيين من جنوب شبه الجزيرة العربية ، وأنهم لم يفزوا من الشمال كما زعم البعض (3) ، وإن كانوا قد حققوا سيطرة على الطرق التجارية بين جنوب بلاد العرب وشماليها ، وقد كانت وقت ذلك وسيلة نقل الطلب والبخار ، كما كانت تحت في الشمال من غزوة ، من ناحية ، ومن غزوة إلى الشام من ناحية أخرى ، ومن ثم فقد أسروا هناك مركزًا خاصًا بهم يعد من اليمن يحول دون 1000 كيلومتراً ، وتفصل بينه وبين اليمن بلادًا عربية أخرى تقع على الطرق التجارية (4) ، ثم سرعان ما بدأ نفوذهم السياسي يضرب نحو الشمال بالتدريج ، حتى انهى الأمر سيطرتهم على شمال الحجاز ، مثلاً في الحكومات المحلية في منطقة معاين khám وعلاقاً ، وكما يقول الريس موصل فإنه خلال الألف الأول قبل الميلاد كان الجزء الأعظم من التجارة العالمية في بلاد العرب واقعاً في يد المعنيين والمعنيين الذين كانوا يسيطرون على الجزء الجنوبي الشرقي من شبه الجزيرة العربية ، وكان السقيان والمعنيين أبناء جنس واحد ولكنهم كانوا يتلاقون على السيادة ، لا في بلادهم فحسب ، بل في الواجبات التي كانت تمر بها الطرق التجارية كذلك (5).

(1) حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام 23/1.
(2) جرجي زيدان: المرجع السابق ص 211-119.
(3) Guidi (I.), L’Arabie Anteislamique, Paris, 1921, P. 64.
(4) وانظر السيد عبد المزيز سالم : دراسات في تاريخ العرب ، عصر ما قبل الإسلام ص 143.
(5) فيريتز هويل: المرجع السابق ص 57.
(6) الريس موصل : شمال الحجاز ص 1.

٢٨٨
(2) عصر دولة معين:

لقد دار - وما يزال - جدل طويل حول عصر الدولة المعينة، والفرق بين السنوات التي يقدموها العلماء، جد شاسع، حتى أننا نرى آراء تذهب إلى أنها إذا كانت بين الألف الثالثة والثانية ق.م، بينما تأخرت بها آراء أخرى إلى النصف الثاني من الألف الأولى ق.م، وذلك أن إدوارد جلارز، يذهب إلى أن الأبحاث التي استعملها المعينون قد كتبواهم إذا ترجع إلى الألف الثانية، ورغم الثالثة ق.م، وهذا يعني أن تاريخ الفرس إذا ترجع إلى ما قبل هذه الفترة(1).

ويتجه فريتز هويل إلى أن دولة معين قد بدأت فيما بين عامي 1500، 1200 ق.م، وانتهت حوالي عام 700 ق.م، بل نراه ينطلق حوالي عام 1300 ق.م، كبداية لظهور معين على مسرح التاريخ، وأما الحضارة والكتابة المعينية فيجب أن تكون أقدم من هذا التاريخ، وربما ترجع إلى منتصف الألف الثانية ق.م، ومن ثم فهو يرى أن دولة معين كانت سابقة لدولة سيبا، معتمد في ذلك على أن جلارز قد عثر على نقوش سببية قديمة (جلارز ، 418، 419، 1000، 419) ، فيها تقرأ عن مقوط الدولة المعينة على يد أحد حكام سيبا(2)، وأن القبض الكبير، والمعروف بقبض صرواح(3)، بدأنا على أن العصر المعيني لدولة معين، إذا كان قبل ارتفاع شان السببيين(4).

هذا وقد حدد فلبي(5) لدولة معين الفترة (1200-1300 ق.م)(6)، بينما ذهب فريق آخر من العلماء ( ومنهم هاليفي ومولر ومورديمان وماير وسيرنج(7)

(1) جواد طه، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام - الجزء الثاني - ص 77 وجلكا، Eduard Glaser, Skizze der Geschichte und Geographie Arabiens, P. 110, 330.
(2) فريتز هويل: المراجع السابق ص 6-14، وفكذا، BASOR, 73, 1959, P. 9، وفكذا، EI, 4, P. 13.
(3) أنظر: أحمد فخري، دراسات في تاريخ الشرق القديم، ص 194-195.
(4) فريتز هويل: المراجع السابق ص 65.
(5) J.B. Philby, op. cit., P. 141.

- 219 -
وقد كان، وفقًا لما ذهب إليه أوموري، من أن كتابات المسند جميعًا - سواء أكانت معيّنة أو سببية - لا ترجع في تاريخها إلى أقدم من عام 700 ق.م، وربما إلى القرن الثامن ق.م. (8)

وقد ذهب وينت إلى اعتبار سبباً وديدان أقدم الدول العربية، معتبراً في ذلك على ما ورد في التوراة (1) من قدم سبباً، ومن ثم فإنه يرى أن قيام دولة معيون لا يمكن أن يتجاوز عام 500 ق.م، وأن نهاية إنها كانت فيما بين عامي 44 ق.م، و24 ق.م، وأما في موسكاتي، فالرأي عنه أن الخُفائر الحديثة وقد تطبيق العملية الراديكوبونية تشير إلى تعاصر دوليتين سبباً ومعيين، وأن قيام دولة معيون إذا كان حوالي عام 400 ق.م (7)، وأما وليم أوليرايت، فقد حدد نفس العام (400 ق.م) كبداية لدولة معيين، كما جعل نهاية إنها فيما بين عامي 250، و25 ق.م. (9)، ثم عاد بعد ذلك فعدل تواريخه، فجعل عام 350 ق.م، كبداية لقيام

1. Wissman and Hofner, op. cit., P. 105, 115
2. O'leary, op. cit., P. 95
3. BASOR, 73, 1939, P. 8
الدولة، وأما النهاية فهي الفتره ما بين عامي 100، 50 ق.م. (1)، وأخير فهناك من جمل نهاية دولة معين في حوالي عام 100 م (2).

وهكذا يبدو واضحًا مدى الخلاف بين العلماء على وقت قيام دولة معين ونبتهاها، وكيف أن الفرق بين التقديرات المختلفة جد شاسع، وهنا لعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن هذا التفاوت الزمني يؤثر تأثيرًا كبيرًا في معرفتنا للدول العربية الأخرى، وذلك لأن قيام كل دولة عربية جنوبية مرتبطة بالآخرين، خاصة إذا ما سلمنا بأن الدولة السبعة قامت على أنقاض الدولة العربية، ومن ثم فإن ظهور سيا على مسرح التاريخ العربي، يجب أن يكون في رأي هؤلاء العلماء معاصرًا لفترة الإضمحلال التي مرت بها دولة معين (3).

أضيف إلى ذلك كله، أن الذين انتهجوا بالدولة في فترة مبكرة، ترجع إلى ما قبل الميلاد بعدها قرون، أو حتى الذين وصلوا بها إلى ما قبل الميلاد بقرن من الزمان، قد يزيد أو ينقص قليلاً، تجاهلوا أن الكتاب القديم من الأغوار والرومانيين وهم سترابيوس وبرينيوس وديودور السقلي قد أشاروا إلى المعينين وتجارهم، بل إن بطليموس (138-125 م) والتي أخرج كتابه الجغرافيا، حوالي عام 150 م، قد وصفهم بأنهم شعب عظيم، فضلًا عن أن الكتابات العربية في الجليزة، إما تشير إلى إشعاعهم بتجارة الطيب والبخار في القرن الثالث والثاني قبل الميلاد، ولعل هذا كله هو الذي دفع أوليوري إلى القول بأن المعينين كانوا نشطين في ما بعد الميلاد، وربما كانت نهاية دولتهم على أيام البطالمة أو الرومان، إلا أن تحقيق ذلك على

Le Museon, 1964, 3-4, P. 434 (1) وكذا BASOR, 176, 1964, P. 51.
Le Museon, 1964, 3-4, P. 434. (2)

(3) فؤاد حسن: المراجع السابق ص 273.
ضوء معلوماتنا الحالية - أمر لا نستطيع أن نقول فيه كلمة تزعم أنها القول القصل، أو أنها أقرب إلى الصواب من غيرها(1).'

وأما بداية دولة معين، فعلينا أن نعتمدنا على المقالات، لكان رأي الذين يرجمون بها إلى الآلاف الثانية ق.م، صحيحاً إلى حد كبير، وذلك أن سفر القضاة يتحدث أن الصيدونيين والعمالة والمظالم كانوا يضافون في إسرائيل(2)، وإذا كان خروج بني إسرائيل من مصر - كما رجعنا في كتابنا إسرائيل - قد تم على أيام مرتبطة (1124-1214 ق.م) (3)، فإن عصر القضاة سوف يكون في الرابع الأخير من الآلاف الثانية ق.م، وإذا كان المصادر بالمصريين هنا، الحالية المعاصرة في شمال غرب الجزيرة العربية، فإن دولة معين لا بد وأن تكون قد قامت قبل هذه الفترة، وربما في النصف الثاني من الآلاف الثانية قبل الميلاد.

وقرأنا في سفر أخبار الأيام الثاني، إشارات عن حرب دارت رحاها بين بيوشافط من ناحية، وبين بني مذهب وبي معون، والمظالم من ناحية أخرى(4)، وهذا يعني أن المظالم كان لهم وجود على أيام الملك اليهودي بيوشافط (589 ق.م) - أي في القرن التاسع قبل الميلاد - وفقاً لما جاء في سفر أخبار الأيام الثاني (2:7) (6)، فإن الملك عزيا (779-740 ق.م) قد حطم العرب الذين كانوا يسكنون في حورابل، كما حطم أهل معون، وفهم من نصوص المقالة هذه أن هؤلاء العرب كانوا يسكنون في الإقليم الواقع في الجنوب، والشمال الشرقي من البحر الميت - أي في نفس الإقليم الذي تقع فيه واحة معان(7)، ومعنى هذا...

---

(1) مطهر على الأردن: في تاريخ اليمن من 1545، إسرائيل ولفنس: تاريخ القلاط السامية ص 245.
(2) Ptolemy, Geography, VI, 27, 23.
(3) O'Leary, op. cit., P. 94-5.
(4) BASOR, 73, 1939, P. 94-5.
(5) قضية 12:20.
(6) أخبار أيامثال 20:140.
(7) الروبين وسابل: المرجع السابق ص 3.
مرة أخرى - أن المعينين كانوا أصحاب مستعمرات في شمال بلاد العرب في القرن الثامن قبل الميلاد، ولعل هذا كله إذاً يعكس فكرة البداية المبكرة لقيام دولة معين في حوالي الألف الثانية قبل الميلاد، إلا إذا كانت معون، النوراة، لا صلة لها بمعين بلاد العرب، وهو أمر لا يوافق عليه الكثير من الباحثين.

3. ملوك معين:
لقد توصل العلماء - عن طريق الرحالة والبعثات العلمية - إلى أسماء عدد من حكام معين، إلا أن الأمر ما يزال موضوع خلاف، فيما يتصل بحكم هؤلاء الملوك، ولعل السبب في ذلك يرجع (أولاً) إلى عدم الاتفاق بين العلماء على فترة حكم دولة معين، وكذا على وقت سقوطها، ويرجع (ثانياً) إلى أن الكتبات المعنية نفسها غير مؤرخة طبقاً لأي تقويم من التقويم، فضلاً عن أنها لم تقدم لنا الفترة الزمنية التي استغرقها حكم هؤلاء الملوك - كأفراد أو جماعات - ويرجع (ثالثاً) إلى أنها في جوهرها كتابات شخصية، أكثر منها مسائية، ومن هنا بات من الصعب على العلماء أن يتفقوا على قوائم ثابتة وصحيفة لملوك معين، أو لمدد حكمهم.

وقد رتب "هومل" ملوك معين في ثلاث أسرات، تكون الواحدة منها من أربعة ملوك، ثم أسرة رابعة من ملوكين، بينما زيتهم "كليمان هوارت" في سبع طبقات، مجموعها 22 ملكاً، تتكون الأولى من أربعة ملوك، والثانية من خمسة، والثالثة من أربعة، والرابعة من بينين، والخامسة من ثلاثة، بينما تتكون السادسة والستة من ملوكين، هذا وقد قدم لنا كذلك كل من "مولر" و"ؤتوبرير" و"موردتمان" و"ريكسمانز" قوائم مملوك معين.

F. Hommel, Grundriss, I, P. 136.
C. Huart, Geschichte der Araber, I, P. 56
F. Hommel, op. cit., P. 136
Mordtmann, ZDMG, 47, 1893, P. 397-417

جواب على 81/2 و 82/2 وكذا
جواب على 82/2 و 83/2
جواب على 128-144/2
جواب على 128-144/2 و 129/2 وكذا

٢٢٣
وأما جون فلي، فقد رتبهم في خمس أسرات، تنفصل الواحدة عن الأخرى فترة مظلمة لا يعرف عنها شيئاً، كما أن فترة حكم كل أسرة تقوم على الفرض والتخمين، لا على الحقائق والواقع، فهو مثلاً يقدر أن فترة حكم الملك لا تتجاوز العشرين عاماً، وأن فترة الانتقال بين الأسرة والأخرى تبلغ أيضاً عشرين عاماً(1)؛ ويبين فلي على رأس الأسرة الأولى إل تبع وقعه، متخذاً من عام 1150 ق.م بداية حكمه، بينما يجعل تبع كرب (650-630 ق.م.) الملك الأخير من الأسرة الخامسة(2).

وفي عام 1950 ق.م، قدمناً وليم أولبراييت قائمة تتكون من سبعة عشر ملوك، ثم ذكر أن هناك ما لا يقل عن خمسة ملوك لا يعرف فترة حكمهم(3)؛ وفي عام 1953 ق.م، أعاد أولبراييت دراسة التواريات ثم قدمها لنا في ثلاث مجموعات، تتكون الأولى من 12 ملوكاً، والثانية من 6 ملوك، والثالثة من 3 ملوك(4).

ولعل من أهم الأحداث التي رويت القروش ما كان في عهد الملك أب يدعى تبع، عن حرب وقعت بين الجنوب والشمال، وذلك أن نقوش (جلازر 1115، هاليفي 535، 578) إذا تحدث عن حرب وقعت بين ذمنته وذمنته،(5) وكذا عن حرب أخرى وقعت بين ومدي 항، ومصر، في وسط مصر، وأن المصادر من الكتابة إلنا هو شكر لالة معين (عشر، ود، نكرح) على نجاة القافلة المعينة من أضرار الحرب الأولى والثانية، ووصولاً إلى قرناو، ويدعو أن القوافل بما تحملها من أموال، كانت كثيراً ما تعرض لهجوم من القبائل ومن العشائر، فضلاً عن قطاع الطرق، وهي وإن أمنت على نفسها بحماية من.

(1) زلاد حسين، المرج السابق، م. 270.
(2) J.B. Philby, The Background of Islam, P. 141.
(3) W. F. Albright, BASOR, 119, 1950, P. 11.
(4) W. F. Albright, BASOR, 129, 1953, P. 22.
(5) جود علي. 88/2.
(6) جود علي. 89/2.
الحكومة، وباتفاق مع سادات التبائل يظهر مبلغ من المال، فهي لا تأمن على نفسها من التبائل المعادية، ومن ثم فلا غرابة إن نذر أصحاب القرؤل لآلفتهم عند عودتهم سالمين من تجارتهم، أو عادت قوافلهم سالمًا.(1)

وأما عن الحرب التي استمر أوراها بين الشمال والجنوب، فالرأي عند هوجو فنكلي أنها كانت بين حكومة معين وحكومة عربية أخرى، هي حكومة أربي، وعلي كان نفوذها يمتد حتى دمشق(2)، على أن الكتابة نفسها، إذا حدثت موقعة الهجوم على القافلة بين معين (أو مادان) وبين رجمة.(3)

وقد قام جدل طويل بين العلماء فيما يخص بالحرب التي دفعت طبولها بين مدغص، ومصر، وكان أشد الجدل يدور حول المصوص بمعنى هذه، وحول تاريخ هذه الحرب، فذهب فريق إلى أنهم "المذبوش" أي المذبوبون (الم护身符)، والمذبون — كما نعرف — قبائل إيرانية كانت متشرسة في منطقة ممتدة من محال "دوماند" حتى مدينة "همدان"، ثم استطاعوا تحت قيادة كياكاسرس السيطرة على فارس، واتخاذ مدينة "أكباتان" وهما المدينة الآن مدينة همدان (عاصمة همدان) عاصمة همدان، بل والتعاون مع اليابانيين في القضاء على أشور، واحتلال "نينوي" في عام 612 ق.م، ثم الاستيلاء على الجزء الشمالي من الإمبراطورية الآشورية. إلا أن الأمويون سرعان ما بدأت تتعين في فرضية إيران، عندما تولى العرش القسري "كيروش الثاني" في عام 509 ق.م، والذي كتب له تجولًا بعيد المدى في القضاء على المذبوبين، وفي أن يصبح سيد المنطقة كلها(4)، إلا أن تاريخ المذبوبين لم يحدثنا عن حروب وقعت بينهم وبين مصر؛ سواء أكان المصوص بـ "مصر" (كتانة القديم في أرضهم)، أو تلك الولاية مصر وgearl بلاد العرب، والأمر كذلك بالنسبة إلى تاريخ مصر على أيام الفراعين.

(1) جوده علي 902.
(2) Hugo Winckler, Musri, Meluhha, Main..., P. 20, 22.
(3) H. Winckler, op. cit., P. 20 و 22.
(4) J.B. Philby, op. cit., P. 53.
(3) A. Gardiner, op. cit., P. 357.
هذا ويري جون فلي، أن ه مذى، إنما هم المدنيون، وأن الحرب التي وقعت إنما كانت بين المدنيين - والذين كانت أرضاهم تعود من خليج العقبة إلى بواب إلى سيناء - وبين معين موصرو (1)، وأما هومل، فالرأي عنده أن ه مذى، إنما هم جماعة من بعد من سيناء (2)، وذهب ملاكر إلى أن الحرب بين مذى ومصر، إنما هي إشارة إلى الحرب التي كانت بين المصريين والفرس، والتي انتهت بانتصارهم. وقلمبز في مصر في عام 245 ق.م. (3)، على أن هوبن - وربما البرایت كذلك - إنما يتجهان إلى أنها لا تشير إلى فتح مصر، وإنما إلى استعادتها مرة ثانية على يد ارتكزيس الثالث (أحمرس) في عام 243 ق.م. (4)، ولعل هذا هو السبب في أن بعض المراجع إنما تضع حكم «أب يلع بفع» في حوالي عام 243 ق.م. (5).

وأما جاكين بيرين، فالرأي عنده أن مذى إنما تقع السلوقيين بصفة عامة، وأن مصر إنما تقع البطالة وأن هذه الحرب قد وقعت فيما بين عامي 210-203 ق.م وربما تشير إلى الإصيلة على غزوة في حوالي عام 217 ق.م، إلى المعركة الثانية عند رفح (6).

ولعل من الأهمية مكان الإشارة إلى أن المعنيين، رغم أنهم شعب عربي جنوبي، وأن دولتهم قد قامت في بلاد العرب الجنوبي، إلا أنهم قد انتشردوا في شمال بلادنا.

J.B. Philby, op. cit., P. 54.
Le Museon, LXII, 3-4, 1949, P. 238.
(1)
(2)
(3)
جواو علي 2/23 وكدًا. le Museon, LXII, 3-4, 1949, P. 231.
وأنتظر عن الحرب بين مصر.
(4) فارس: كتابنا حركات التحرير في مصر القديمة، ص 34-37 وكدًا.
A. Gardiner, op. cit., P. 363-365.
BASOR, 73, 1939, P. 8, 119, 1950, P. 11.
(5) وانظر كتابنا حركات التحرير في مصر القديمة، ص 297-301.
A.T. Olmstead, History of the Persian Empire, P. 406.
(6) R. Ghirshman, Iran, P. 201.
BASOR, 129, 1953, P. 22.
Jacqueline Pirenne, Paleographie des Inscriptions Sud Arabes, I, 1956, P. 211.
العرب، بل إن هناك من يذهب إلى أن تكون نفوذهم قد امتد حتى الخليج العربي شرقًا وغربًا، كأن علاقاتهم التجارية قد امتدت إلى سوريا وإلى بلاد اليونان ومصر، بدلاً عن النظر إلى كتابات عربية في جزيرة فانوس، إحدى جزيرة اليونان(1)، قضية عن النظر إلى كتابات عربية أخرى في الجزيرة، وعند قصر اليونان. عند منتصف وادي الحمامات في منطقة إدفو(2) (بمحافظة أسوان)، وترجع بعض هذه الكتابات إلى أيام قديم (25-52 ق م)، وعندها الآخر إلى أيام البطالمة(3)، بل لقد حددها بعض الباحثين بعام 264/ 265 ق م(4)، فإذا ما تذكرنا صلوات مصر القوية في العصور الفرعونية، وذكرنا في الوقت نفسه أن دولة مين، إذا كانت تحكم في فترات أزدهرها، ما يقال له الآن الحجاز، وحتى فلسطين، وأن مين كانت دولة تجارية أكثر منها عسكرية، لبست لنا أن العلاقات بين مصر ومعين - وبخاصة في الأمور التجارية - إذا كانت أمرًا طبيعيًا(5).

على أن أهم المراكز المعينة خارج اليمن، ما كان في الشمال الغربي لبلاد العرب، حيث تقع واحة ديدان (الأعلا)، وهي واحة معون - وهي معان الحالية(6)، - ويرى بعض الباحثين أن منطقة ديدان وما صبابة من أراضينا إذا كانت بمثابة جزء من دولة مين، التي كفرها يقومون بتعيين وراءه من قبلهم لإدارة هذه المنطقة يطلقون

BASOR, 73, P. 7. 
BASOR, 73, P. 7. 
Le Musée, XLVIII, P. 228, LXII, 1-2, P. 56. 
A.E.P. Weigall, Travels in the Upper Egyptian Deserts, London, 1909, وكذا 
P. 1, IV, fig. 13, 14. 

(1) 
A. Grohmann, Arabien, P. 26.
(2) 

277
على الواحد منهم لقب "كبر« أي "كبر"، ويعودون إليه بإدارة شؤون المنطقة والمحافظة على الأمن فيها، ثم جمع الضرائب وإرسالها إلى قرناو (1).

وكان بجانب هؤلاء الولاة، حامية عسكرية وجالية تتألف من الأوساط التجارية في تلك الواحات، وكانت هذه الباقع مورداً للربح بالنسبة لأهل الواحات الأصليين، وللقبائل التي كانت تقيم في مجاوراتها، فكانت القبائل الشمالية تقدم هذه الجاليات ما تحتاج إليه من القوت واللباب، وكان لهم من أجل ذلك - نوع من السيطرة والسيطرة (2).

وقد أدى ذلك إلى نتائج هامة، منها (أولاً) إهتكاك الحكم المحليين بحكام سوريا وأشير على طريق التجارة الرئيسي، ومن ثم فلم ينعدم الآخرون بتعهم النظام السياسي المختلفة للواحات الغرفة التي تقع على طول هذا الطريق، ولم يهتموا بالتفاوض مع الملك المحليين للإقليم وأشراة، وإنما اجتذب إلى ذلك المقيم الجنوبي الذي كان مغرماً لديهم بإشراها على الإقليم، وكانوا يخلطون بينه وبين الملك الجنوبي - الذي كان هذا المقيم يعمل في خدمته - فذكرنا اسمه، كما لو كان هو الملك الجنوبي، وهذا يفسر لنا الإشارات التي ترد في الوثائق السرية والبربرية عن المعينين والسيريين، وذكرهم كما لو كانوا يقيمون في الجنوب الشرقي للبحر الميت (3).

ومنها (ثانياً) أن دولة معين إما كانت - كما أشرنا آليا - تحكم كل ما يقال له الحجاز الآن إلى فلسطين، فلما ضعف المعينين أصبحت سيداتهم مقصورة على ما يسمى "معين مصرو"، التي ما لبث أن أصبحت بعد فترة تحت سلطان السيريين، حين كتب لؤلؤة السيادة على الجنوب والشمال معًا، وأخيرًا أصبح زمام الأمور بيد اللعانيين الذين كنوا دولة مستقلة هي دولة "ليجان" (4)، والتي امتدت فصولها.

A. Musil, op. cit., P. 295.

(1) 
(2) 
(3) 
(4) 
A. Musil, op. cit., P. 295.
في أيام ازدهارها - فيما يرى البعض - على الأرض المتقدمة غربى الفردوس، من شمال يهرب إلى ما يحاذي خليج العقبة، والذي أطلق عليه "أجاثر خياس"، في القرن الثاني ق.م، اسم "خليج لحيان"، ثم حرف فيما بعد إلى "ولات" (إيلات). (1)

وقد قام جدل طويل بين العلماء - ولا سيما المتخصصين منهم في الدراسات التوراتية - حول "معين موصور"، هذه، فذهب فريق منهم إلى أن كلمة "مصرام" التي جاءت في التوراة، لا تدل على مصر، وإنما على الإقليم الواقع شمال بلاد العرب، والذي يمتد غربا حتى حدود مصر الشرقية، وهذا فإن ما يقال عن إقامة العبرانيين في مصر، IF إيبس مأتمهم في جنوب فلسطين، أو في شبه جزيرة سيناء، وطبقا لهذا النهج، فإنه خروج النبي إسرائيل لم يحدث من مصر، وإنما من هذه المناطق المضافة إليها، ذلك لأن الباحث اليهودي "هوجوفنكر" إنما يرى أن اسم مصرام لم يكن استعماله في البداية مقصورا على الإشارة إلى مصر، ولكن كان يشمل كذلك الإقليم الذي سماه الجغرافيون اليونانيون "مصر أو موصري"، والذي يقع جنوب البحر الميت، شمال شبه جزيرة العرب، يمتد غربا حتى حدود مصر الشرقية، ويضم جبل سمير ومدينة البراء وأراضي مدين وأودوم.

ويعتقد "فنكار" أن التقاليد اليهودية الأصلية، عندما تحدثت عن إقامة الآباء الأولين - وخاصة موسى - في مصرام، إنها كانت تشير إلى ذلك الزمن حيث عاش أسلف العبرانيين في صحراو جنوب فلسطين، ثم بدأ سكان كنعان يستخدمون إصطلح "مصرام" على المراعي المائية - وكذا على مصر نفسها - ذلك البلد الذي يقع بالنسبة إليهم فيما وراء الصحراو، ولعل مما يفسر هذا الإقراض أن الوادي القريب من "غزة" سمي "نهر مصرام"، على الرغم من أنه على مسيرة ثلاثة أيام.

F.V. Winnet and W. Reed, Ancient Records from North Arabia, Toronto, 1961, P. 116F.
من الحدود المصرية، ومن هنا فمن الممكن أن يشير إسم مصر في بعض النصوص والتقاليد العبرية، إلى الصحراء المصرية، وليس إلى إسم مصر بالذات (1).

وقد ناقشنا ذلك الأمر في كتابنا "إسرائيل" (2)، وخرجنا من المناقشة بأن الأدلة العلمية، والتقاليد الإسرائيلية، وما ورد في التوراة من وصف لجبل مصر وأحواضه، وأثر الأدب المصري في كتب الإسرائيليين، والنصوص التوراتية العبرية التي تتحدث عن دخل الإسرائيليين مصر، بل ذكر أسماء الداخلين منهم أرض الكثافة، كل ذلك وغيره مما يؤكد أن المقصود هنا أرض الكثافة، (3) هذا فضلاً عن أن ذلك أمر أجمعه عليه الكتب المقدسة الثلاثة (التوراة والإنجيل والقرآن العظيم) وإنكارنا لأمر تجمع عليه الكتب المقدسة، لا يتفق ومنهج البحث العلمي، فضلاً عن تعارضه مع إيماننا بما جاء في كتب السماوات.

وانطلاقاً من هذا، وترتيباً عليه، فإن مصر التي جاءت في قصة الإسرائيليين، ليست هي "مخرس"، الفاقعة في شمال غربي بلاد العرب، وإنما هي "مصر"، كثافة الله في أرضه، ومن ثم فإن ما جاء في نص تلقاء بلاد النين والثالث (4) 777 ق. م. (من أنه قد عين "أبائل" حاكيًا على "مخرس"، فإنا يعني هذه المقاطعة العربية، والتي تقع إلى الشمال من "نحل معرس"، أي "وادي مخرس" (5).

(1) A. Lodis, op. cit., P 197-199
(2) H. Winckler, op. cit., P 5.
(3) The Jewish Encyclopaedia في Exodus
(4) أنظر كذلك، مادة
(5) W.O.E. Oesterley, Egypt and Israel, in the Legacy of Egypt, P 228.
وبالتالي من يرى أن مفين موصرى لم تكون تابعة لحكومة مفين الجموهية، وإنما كانت منذ القرن الخامس قبل الميلاد، حتى القرن الأول قبل الميلاد، مستمرة مفينية مستقلة، وأن لقب كبير الوراث في تصورها لا يعني بالضرورة أن يكون حامله تابعًا لحكومة مفين الجموهية، وإنما هو لقب كان يحمله في مفين موصرى، وسدي القوم وحاكمهم، على أن أصحاب هذا الرأي إنما يربطون زوال هذه المستمرة بزوال الدولة المينية في الجنوب، وربما كان ذلك في الوقت نفسه دليلاً على أن المستمرة الشمالية، إنها هي ولاية تخضع للحكومة الجموهية في مفين(1).

(4) أهم المدن المينية:

بيت نقطة أخرى تصل بالمدن المينية، والتي أُسمِّى دون شك قرناو، العاصمة — وتقع على مباعد سبعة كيلومترات ونصف إلى الشرق من قرية الحرم، مركز الحكومة الحالية في البحر، وقد عرفت قرناو، كذلك جميعها، كما عرفها الكتاب القديم من الأغريق والرومان بقسم (Carna, Karana, Karna) وما الأجريون، فإن مفين — في رأيهم — إنها هي من أبينة الترابية، وإنها حصن بني في نفس الوقت مع براكش، وبعد سلحي، الذي بني — فيما يزعمون — في ثماني عايم.(2)

وأما أهم أثار قرناو فمعبد رصاف، الذي يقع خارج أسوار المدينة، فضلاً عن آثار سكنى في مواضع متفرقة من المدينة، التي يرى البعض أنها ظلت مأهولة بالسكان حتى القرن الثاني عشر الميلادي، ثم بدأت الظروف تغير، فأخذ سكان المدينة يتناقصون شيئاً فشيئاً حتى تحولت آخر الأمر إلى خراب.(3)

J. Grohmann, Arabien, P. 277.
Richard, H. Sänger, The Arabian Peninsula, P. 237
O'Leary, op.cit., P. 95

(1) البكري 228-236/1, سعيد السفيق، ياقوت 314/3, 320/5, 4160/5, وكدًا

(2) البكري 228-236/1, جواد على 111/5, وكدًا

وهناك كذلك المركز الدينى الاحمدي بابل : ( براش )، و هي نفسها مدينة ( Athlula - Athrula ) على اليمن في عام 24 ق. م، وأما سبب التحريف في اسمها، فهو صعوبة للفظة، فيما يرى البعض ( 2 )، ولعل اسم المدينة ( بابل ) قد أصبح في العربية الفصحى وثيقة، فقد ذكرها الفيروز أبادي في القاموس إما لقرية، وقال من ناحية أخرى، و هو وثيقة في يدي من أئل اليمن ( 3 )).

ول براش عند الإخباريين مدينة قديمة جداً، كان يكنها عند ظهور الإسلام بناءً على من بحثت بن كعب ومراد ( 4 )، وأما سبب تسميتها براش فهو خلاف عندهم، فرواية تذهب إلى أنها سمت كذلك نسبة إلى كلية عرفت براش، بينما تجعلها رواية أخرى، إمراة أستد إلى هنا، والدها تصرف أمور الدولة أثناء غيابه في واحدة من غزواته، فما كان منها إلا أن اهتبات الفرصة، فبنت مدين براش ومعين تحلداً لذكراه، إلا أن ذلك قد أغضب والدها الملك، ومن ثم فقد أمر بهدم المدينة، وذهب رواية ثالثة إلى أنها نسبة إلى براش إمراة لفمان بن عاد، وهكذا يحاول المؤرخون المسلمون تفسير الأمور بساطة تدعو إلى الحجب، إلا أنه مما لا شك فيه أن المثل المشهور على نفسها جنت براش كان سبباً في هذه التفسيرات المتناقضة ( 5 )

و هناك كذلك مدينة نشق ( البضاء ) التي استولى عليها البيزنطيون في أيام ميدانى ( Mesca - Mescus ).

---
(1) H. Von Wissmann und M. Hofner, op. cit., P. 32.
(2) 138/8 140/1
(3) 138/8 140/1
(4) الهركي 238/1
(5) الهركي 238/1
(6) الهركي 238/1
الذي ذكره الكتب القديمة من الأغافة والرومان، وهي (Aska) عند ستراو – وقد استولى عليهاyllus جالليوس، إبان حمله على اليمن.

وهي كذلك لسانه (نشن) – وهي الخريطة السوداء الحالية – وقد اكتشف هناك ما يشير إلى أن المدينة كانت مركزاً صناعياً هاماً(1)، وهم كذلك موضع لوق، وهو فيما يرى جلازر (Labecia - الذي ذكره بليني (27-37م) (Labbah) من بين الأماكن التي استولى عليهاyllus جالليوس، بينما هو له فيما يرى فون فيسمان(3).

(1) جواد علي 118/2 وكداإلكيل/8
H. Von Wissmann and M. Hofner, op. cit., P. 32.
(2) الهناني: صفة جزيرة العرب ص 187، محمد توفيق: آثار اليمن ص 111، جواد علي 118/2
H. Von Wissmann and M. Hofner, op. cit., P. 16
Handbuch, I, P. 70, 82-83.
(3) جواد علي 119/2
H. Von Wissmann and M. Hofner, op. cit., P. 15
le Museon, 1964, 3-4, P. 435.
الفصل الثاني

دول حضرموت

تقع حضرموت إلى الشرق من اليمن على ساحل بحر العرب، ويصفها ياقوت الحموي بأنها ناحية واسعة في شرق عدن بقرب البحر، وحوافها رمال كثيرة تعرف بالقلقاف، وبها قبر هود عليه السلام، وبقربها بئر ظهر، وبها مدائن يقال لإحداهما تريم والاخرة شام، وعندها قلعة وقري.

وقد تردد اسم حضرموت في كتابات اليونان والروم، مع شيء قليل أو كثير من التغيير أو التحريف، فهو عند إيراتوسينس، (276-194 ق.م) (Atramites) وعند ثيوفراستوس (Chatramotitae) وعند بلياموس (Adramitae).

(2) وورد علي 2/149 وكردأ
Ptolemy, VI, 7, 10 وكردأ
C. Forster, op. cit., P. 113, 194.
Theophrastus, Enquiry into Plants, 2, P. 235
O'Leary, op. cit., P. 99 وكردأ
le Museon, 1964, 3-4, P. 441.

- 235 -
وحضرموت عند الإخباريين؛ إذ يقطن؛ وتلك في الواقع رواية النرواة، حيث تقرأ في الكورين وفي أخبار الأيام الأول، أن يقطن ولد الوارد وشافف.
وحضرموت ويارح (1).

وقد وصف صاحب كتاب الطواف حول البحر الأرتيزي سواحل حضرموت الجنوية بأنها مناطق موبوءة يتجلبها الناس، ومن ثم فلا يجمع التوابيل منها إلا خليفة ملك حضرموت، وإلا أوئل الذين كتب عليهم القصاص من جريمة ما (2)، وربما كان لذلك صلة بالمعنى العربي لكلمة دار الورث، والذي تلقى مسلمة أهل الكتاب، كما تقلوا غيره إلى المصادر العربية (3)، ومن ثم فقد قيل إسم حضرموت في النرواة حاضرميت، وإن قيل كذلك، إنما سميت حضرموت نسبة إلى حضرموت إبن يقطن بن عابر بن شالح (4).

على أن ياقوت الحموي، إذا يقدم لنا تعلباً آخر - تعلباً كذلك - يجعل حضرموت إسمًا لمجل، هو دايم بن حقطان، وإن كان إذا حضر حربًا أكثر فيها من القتيل، ومن ثم فقد سمى بحضرموت (5)، أو أننا على إسم حضرموت إبن حقطان، الذي نزل هذا المكان فسمي به، فهو إسم موضع، وإسم قبيلة (6).

وأياً ما كان الصواب في هذه التعلبات، فهما لا شك فيه أن هناك دولة قامت في جنوب بلاد العرب تحت إسم حضرموت، وأنها كانت تعاصر معين وقتبان وسباً، إلا أن العلماء ما زالون مختلفين على عصر هذه الدولة، فذهب نثر منهم.

(1) H. Von Wissmann and M. Hofner, op. cit., P. 87.
(2) جراد على 3ه/ 1302ه، قاموس الكتاب المقدس، 378/1، وكذا J. Hastings, op. cit., P. 333.
(5) 270/2.
(6) 270/2.
إلى أنك لنا إذا كانت في الفترة (1020 ق.م - 390 م) (1) ، بينما ذهب فريق آخر إلى أنك لنا إذا كانت في الفترة (500 ق.م - القرن الثاني الميلادي) (2) . هذا وقد قدمت لنا الاكتشافات الحديثة الكثير من أسماء ملوك حضرموت ، وإن كان العلماء لم يتفقوا بعد على ترتيبهم تاريخياً (3) .

وعلى أي حال ، فما تزال البعثات العلمية توالي العمل هناك ، وآخرا تلك البعثة الأمريكية التي قامت في عام (1962/1961) بمسح أثري للوادي ، واكتشفت هناك عدة قرى ومواقع أثرية ، وأطلال معابد وفخار ، فضلاً عن 1200 نشأة ، منها 18 نشأة ثورابياً ، فعل أسماء نقوش قرية "سنا" حيث يقوم هناك معبد للإله القصر "سين" ، ونقوش "العقلة" التي تتضمن أسماء ملوك حضرموت وسايا (4) ، وإن كان معظمها قد صوره من قبل "قلبي" وكتب عنه .

وقدنا النقوش التي تركها الحكام الحضرمية على مدى عنيفهم بالإصلاحات الداخلية ، فضلاً عن علاقاتهم بالدولات المجاورة ، ومن تلك الكتابة التي تركها لنا "شكم سلحان بن رضوان" ، أحد كبار موظفي حكومة حضرموت ، ربما في عهد "يشرك إيل بيرع بن أبي" ، وفيها يتحدث الرجل عن بناء سور وباب وتحصينات حصن "قلت" - ويشير علي واد تقطعه الطريق بين مدينة "حجر" وماينة "قنا" - فضلاً عن إنشاء جدار وحواجز في سراجات الوادي الرئيسية ، وذلك لحماية منطقة حجر من أي غزو أجنبي ، ولا سيما غزو الخميريين الذين كانوا يبدون حضرموت ، ويدخلون في شؤونها ، وأن ذلك العمل قد تم في خلال ثلاثة أشهر تقريباً ، كما أنشأ استحکمات ساحلية لحماية البر من أي هجوم بحري .

J.B. Philby, The Background of Islam, P. 141. (1) 
S. Moscati, op. cit., P. 179. (2) 
إنظر : جراد علي، 165-170 و 276-278 . (3) 
G. W. Van Beek, G. H. Cala, and A. Jamme, An Archaeological Reconnaissance in Hadhramout, South Arabia, Preliminary Report. (4)
ومن ثم فقد أقام على ما يبدو حصولًا على لسانين بارزين في البحر لحماية الخليج الذي كان ينتمي، كما حصن المنفذ المؤدي إلى إبنة، وإلى ميناء، ودفعًا حيث يصب سورة قرباً، فضلاً عن برجين واباب، وأماكن للجند لاستخدامها إبان الدفاع عن المدينة (1).

هذا ويرى نحو من الباحثين أن الكتابة التي دونها صاحبنا، دكّم سلحان، هذا، إنما هي أقدم كتابة حضرمية وصلت إلينا حتى الآن، وأنها ترجع إلى القرن الخامس أو أوائل القرن الرابع قبل الميلاد (2).

ويبدو أن حضرموت كانت تعاني في تلك الأيام من هجمات الحميريين المتتالية عليها، ومن ثم فقد بلأت إلى سد الأودية بجازر حضوية قوية، حتى يمكنها التحكم في المرور في الوادي، وبالتالي تستطيع السن الحميريين من غزوها، وكانوا في تلك الفترة يقيمون في جنوب وغرب شرق لبنة وميفعة، قبل أن يتحولوا إلى الأماكن التي عرفت باسمهم قبل القرن الثاني ق.م. (3).

ويرى فون فيسمان، أن حمير قد استولى على ميناء، قطنا، في (Cana) أيام الملك، يشكر إيل يرعش بن أبيع، وقد كان ميناء، قطنا هو الميناء الوحيد الصالح للملحة، ومن ثم فإن حركة الملحة بين حضرموت من ناحية، والهند وأفريقيا من ناحية أخرى، قد تمركز في (4).

وهناك كتابة عبر عليها، فلي بقيلي (عرفت بقبي) (106), تتحدث عن إنشاء طريق على أيام الملك، عثمان بن يرعش، في ممر (Hamraban، شرقي شبوة)، لتسهيل (5).

le Museon, 1964, 3-4, P. 444
H. Von Wissmann and M. Hofner, op. cit., P. 95.
Le Museon, 1964, 3-4, P. 44.

(1) جبرود علي 123-132/1 وقذا
(2) جبرود علي 123/1 وقذا
(3) جبرود علي 134/1-135
(4)
وصول القوافل إلى العاصمة، فضلاً عن تسهيل وصول الجيش إلى مقر الملك للدفاع عنه.

وхаيك كتابة أخرى (قلبي 2) ترجع إلى أيام الملك العزيز، ملك حضموت دونها شريمان من حمير بعث بهما ملك سبأ وذي ريدان، للمشاركة في الإحتلال بتوتيج ملك حضموت في حصن أنود، وأخرى دونها الملك الحضرمي نفسه، وفيها يقول العزيز ملك حضموت، إن عم ذكر، سيار إلى حصن أنود، لينقلب بلقبه...

وفي الواقع، هنا نستطيع أن نستنتج أن نتائج هذه النصوص عدة نتائج منها (أولاً) أن العلاقات بين حضموت وسيا كانت في تلك الأيام ودية، ومن ثم فإننا نرى ملك سبأ يشارك بن طريق معرفته في الإحتلال بتوتيج الملك الحضرمي، ولكن من ناحية أخرى، ربما كان وجود المبعوثين السبئيين إشارة إلى أن ملك حضموت إذا كان يتولى سلطان برض من ملك سبأ، بخاصة وأن الكتابة إذا دونها مبوعاً ملك سبأ (2)، ومنها (ثانياً) أن القوم في حضموت قد اعتدوا عند تنصيب ملك جديد، أو إضافة لقب جديد إلى ألقاب الملك القديمة، أن يتم ذلك عند حصن أنود (4)، وإن كانت لا ندري متى بدأ هذا التقليد، وعلى أي حال، فقد استمر ذلك حتى القرن الثاني الميلادي، فيما يرى أولبرايتس (5)، أو بالتحديد إلى عام 200 م، فيما يرى ريكمنز (6)، ومنها (ثالثاً) أن هذا الملك ربما كان من الأماكن المقدسة عند القوم، أو على الأقل دا مكانة خاصة جرت العادة على أن يتوج الملك فيه (7).

---

J.B. Philby, Three New Inscriptions from Hadhramaut, JAS, 1945.
J.B. Philby, Sheba's Daughters, London, 1939, P. 449.450
J.B. Philby, Sheba's Daughters, London, 1939, P. 314F.

---

٧٣٩
وهناك نصوص تفيد أن "المريلد"، وربما كان المريلد الثاني) قد استقبل وفوداً من الهند ومن نصراني ومن الأراميين، بل إن الكتابة المعروفة (1) (عام 919)
تحدث عن مراقبة عشر نساء قريشيات له إلى حصن أندو، مما يدل على أن ملك حضرموت كانت له علاقات ودية - وربما تجارية - في الدورة الأولى - مع الهند ونمر والاراميين، كما أن ذكر قريش هذا - إن كان المصعود بها قريش المعروفة صاحبة مكة - يعد أقدم ذكر لها في وثيقة مدونة، وإن كانت لا ندري ما هي صفة هؤلاء النساء القريشيات.

وإنه من الأهمية يمكن الإشارة إلى أن نقش (فيلي 48) ذي الأهمية الخاصة بالعاصمة "شرية"، حيث يتحدث في صاحبها، يدعى إل إيه بن رضي شمس، بأنه من أهوار پهار - أي من صحراء القبيلة، وأنه قد عاصر مدينة شريعة وأقامها، وبنى معبدًا من الحجارة بعد الخراب الذي حل بها، وأنه - إحتفال - بهذه المناسبة، قد أمر بتقديم القرانيين في حصن أندو، فذبح 35 ثورًا، 72 خروفًا، 25 غزالًا، 8 فهدود.

ومن أسف أن الملك الحضرمي لم يقدم لنا هذه المائة التي حلت بشريه، ومن ثم فقد تقاضيت آراء الباحثين حوله، فذهب نفر منهم إلى أن ذلك إذا كان لأن سياسته استولت عليها، وأن قالاً ضارياً قد وقع بين الفريقين، بدليل أنه يرجع إلي$p$ مثلا ما استطاع حتى لا تقع المدينة في أيدي الغزاة، ومن ثم فقد كان خراب المدينة وتدمر معبده الإله "سين" بها.

وذهب فريق آخر إلى أن يرجع إلى بين، كان ثائرًا حضرميًا ساء أنه تحت سياً عاصمة بلاده، ومن ثم فقد كانت الحرب الفروسية بين الفريقين، مما أدى إلى

Le Museon, 1964, 3-4, P. 484 وكدلا، وكدلا، JA, 919, 931
J.B. Philby, op. cit., P. 541
Le Museon, LXIII, 3-4, 1948, P. 190.

- 740 -
خرب المدينة، وإعلانه يدعى إل بين، نفسه ملكاً على حضرموت، وذهب رأى
ثالث إلى أن الحرب إذا كانت بين الخضراءة أنفسهم، وأن يدعى إل بين، كان
ثائراً على الملك الشرعي في حضرموت وليس في سبأ: وأن الحرب قد انتهت
بزوال الأمة الملكية السابقة، وبتوقيع يدعى إل بين، ملكاً على حضرموت، وإن
كتب على المدينة أن ثلاثي الأرمين في هذه الحرب الأهلية، وأن يسلم مواضيعها فيها،
وأما تاريخ هذا النصيب فهو القرن الثاني الميلادي، على رأي أولبراط، وبعد عام
200 م، على رأي ريكمانز (1).

على أن للهوم، إذا يرى أن يدعى إل بين، إذا كان آخر ملوك حضرموت،
وأن دولته قد دل على حوالي عام 300 م، وأن السبئيين قد ورثوا على أيام شمر
بيرع (2)، غير أن البابلي قد اعترض على ذلك، محتجًا بأنه قد عر في عام
1936 عند العقلة، على نقش جاء فيه ذكره هذا الملك، كوسن لأمرة ظلت
تحكم أجاليًا، وكذلك كوسس مدينة شيوه التي كانت من المدن المشهورة على
أيار (ستربر) (62 ق - 24 م)، وسليم، (27-79م)، هذا وقد عثر هارولد
إييام بواسطة عام 1939 م، على نقش عن أول وادي عنده، ربما يرجع إلى ما قبل
تأسيس شيوه - (وإن كان من المحتمل أن يكون لغير هذا الملك رغم تشوه الأسماء)
- ومن ثم فإن تاريخ شيوه وقيام هذه الأمة بحكم حضرموت، إذا يرجع إلى
القرن الثاني قم، وخاصة وأن الظروف وقت ذلك، كانت تطلب أمة حضرمية
جديدة، تبادر إلى تأسيس عاصمة جديدة، وتهيمن على طرق مواصلات جارة
البحور، بعد أن بدأت عوامل الصعوب تدب في مملكة سبأ منذ القرن الثالث قبل
الميلاد (3) .

H. Von Wissmann and M. Hofner, op. cit., p. 115.

(1) جراد علي 1478-1479
(2) فريزي هاميل: المرج السابق ص 107
(3) زواج حسن: المرج السابق ص 275

- 461 -
وأما نهى إنهت دولة حضرموت، وكيف أصبحت جزءًا من مملكة سبأ وذى ريدان، فذلك موضوع خلاف بين الباحثين، فهناك من يرى أن ذلك إنه كان في عام 299 م، بينما يرى آخرون أنه كان على أيام شمر يهربش، وبعد عام 300 م، وأخيراً فهناك فريق ثالث يذهب إلى أن صفوق حضرموت، إنما كان في القرن الرابع الميلادي، وقبل احتلال الحبشة الأول للعربية الجنوبية (الذي يرونه فيما بين عامي 335، 370 م) بقيل (1).

أهم مدن حضرموت:

لا يجب أن ننسى أن شبهة العاصمة هي أهم مدن حضرموت، وقد ذكرها الكاتب (Sabota، Sabotha، Sabbatha) التقدمي من الأفارقة والرومان تحت إسم (Saba)، وهي (Saba، Sabyth)، وعند منجمري (2)، و (Sabata) عند هوجارث (3).

وقد ذكرها الحمداني من بين حصون حضرموت ومحافذاتها (4)، وذهب ياقوت (5) إلى أنها من حصون اليمن في جبل ريمة، وقال ابن الخالق: (شبهه مدينة لحميرة) و любим جبل اللتيجه بها، والثاني لأهل لأرب، (6) هذا وقد خلط بعض المستشرقين بينها وبين شام (7) التي تقع على مقربة من صنعاء (8).

---

(1) ه. فون ويسمان و م. هوفنر، المراجع السابق، ص 277.
(2) جراد علي 107 وorders.
(3) جراد علي 107 وorders.
(4) جراد علي 107 وorders.
(5) D.G. هاگرث، The Penetration of Arabia، P. 149، 151، 221.
(6) G. خيرة الله، ص فقراء العرب ص 27، الإكيل 90/8.
(7) ياقوت 333/3، وذكير: البكري 13.
(8) يذكر ياقوت عقوبة في اليمن أربعة مواقع إنسها شام 4، شام كوكبان غربي صنعة، وشام صنعة قبلي صنعة شرق، وشام جزير غربي صنعة، وشام حضرموت (ياقوت 333/3)
(9) جراد علي 107 وorders.
(10) W. فينتن، The Periplus of the Erythrean Sea، Part the Second، P. 301.
ويرجع السبب في اكتشاف آثار شبه إلى حصن فلي ، والتي من أهمها بقايا المعابد والقصور ، فضلاً عن بقايا السدود التي كانت مقصدة على وادي شبه خصر مياه الأنهار ، والإفادة منها في إرواء المناطق الخصبة (1) ، وما يزال يشاهد في وادي أنساص ، وفي خراب شبه ، بقايا سدود وقنوات للإفادة من المياه عند الحاجة إليها (2) ، على أن شبه كانت كذلك أرض اللبان والمتر ، وقد كاها يصدرون من ميناء قانا (3) .

وهناك كذلك مدينة ممتعة ، العاصمة القديمة لمصرموت ، وهي نفسها التي أشار إليها صاحب كتاب الطراز حول البحر الأنتيري (Maatharita) عند بليسيوس البغدادي (Maitha Metropolis) على رأي بعض الباحثين (4) ، وهي (Sessani Adrumetorum) (5) 138–138

وهناك الكثير من النصوص التي تتحدث عن تصورات ممتعة ، وعن تطورها بالحجرة وبالصخر المقدى وبالهندس ، فضلاً عن الأبراج التي أقيمت حول السور لصد الغزاة ، ومنها نص يشير إلى أن هيل بن حرب قد بنى سور المدينة وأبراهيبة ، وأنه قد أقام فيها بيوتاً ومعابد ، وأنه قد صدق يد قذف في أسوارها واحكم بناءها ، على أن الخراب سرعان ما حلّ بها في القرن الرابع الميلادي ، ثم حلم مكانها موضوع عرف بتاء (6) .

J.B. Philby, op. cit., P. 79.
W. Vincent, op. cit., P. 301.
J.B. Philby, op. c P. 80. it.,
H. Von Wissmann and M. Hofner, op. cit., P. 86.
H. Von Wissmann and M. Hofner, op. cit., P. 86.

٢٤٣
وهناك مدينة وقنا - ميناء حضرموت الرئيسي - حيث كان يجمع اللبان والبخار، ثم يصدر منها براً وبحراً، وأما موقع وقنا فهو إلى الشرق من عدن، وقد ذهب نفر من الباحثين إلى أنه في مكان حصن الغراب الحالي، وكان يعرف قديماً باسم عروميت (1)، على أن نقش (28) (CIH7) - والذي عثر عليه الصابري الإنجليزي جيمس وليست، في حصن الغراب عام 1844م - جاء فيه أن صيد أدرك من ميناء وقنا مسئولاً عن بحراً، ومن وقنا، وأن ذلك قد كتب على عروميت (عوماني = حصن مأواه)، فأما وقنا فهو إسم الميناء المشهور، وأما الحصن الياباني أثره حتى اليوم فهو حصن مأواه، وأما بحراً (باداش) فما يزال معروفاً حتى اليوم بشيء من التحرير، حيث يعيش قوم رعاة يعرفون باسم مشابخ باداش، ومن ثم حصن غراب هو عروميت وهو حصن مدينة وقنا.

وهناك مدينة وذل، أو مذاب، وقد أشتهرت بمعبد الكرس لعبادة إله القمر وصن، وتقع بقايا اليوم في الموقع المعروف باسم الحريضة، وقد قامت ثلاث رحلات أوريات (ج. كاثون طومسون، أ. جاردناز، ف. شركر) في عام 1937م، برحلة إلى حضرموت، وهناك في وادي غراب، مقابل حريضة، كشفن عن معبد إله القمر وصن، كما عثر على عدد من الكتابات تثبت أن بعضها سابقة، ففصل عن العثور على بعض القبور والآزري الفخارية والخرفية التي يظن أنها ترجع إلى القرن السابع أو الخامس قبل الميلاد (2)، إلا أن البعثة لم تصل إلى تاريخها.

C. Forster, The Historical Geography of Arabia, II, P. 186.
H. Von Wissmann and M. Hofner, op. cit., P. 91
J. Wellsted, Travels in Arabia, London, 1838

(1) جواب على 2/181 و 2/182
(2) جواب على 2/183 و 2/184
(3)
بناء المعبد بصورة نائية، وإن كانت بعض واجهات المعبد تعود إلى الفترة بين أواسط القرن الخامس، وحتى القرن الرابع ق.م، فضلاً عن أن بعض أجزاء المعبد، إما تعود إلى العهد السلول (١) وأخيراً فإن هناك من يرى أن مدينته مذاب ومعبديها، إما يعودان إلى الفترة ما بين القرن الخامس والثالث قبل الميلاد (٢).

وهناك في حضرموت أماكن قديمة (حضرمية وسبتية)، ينسبها القوم إلى عاد.

وتمتد، فقرية ٨ سنة، بني بها قصر هوذ على السلام، وفي موضع غيرون، خراب يظلها القوم من آثار عاد، بينما يرى الأثريون فيها بقايا مبان حجرية، وعند ملتقى وادي مونة، برادي ثقية، صخرة مهيبة على الوادي، نفذا أصحابها لكون مأوى للجنود، كمكمهج من مهاجمة أعدائهم على غرة، وعلى مقرية من «ترم» خراب قديم، لعلها في أغلب الغاز من آثار معبد قديم، هذا فصلاً عن مواقع أخرى مثل حصن عر وحديقة الغصن و«المكون» وبسرية، وما يدل على أن حضرموت قد حصنت حدودها وأقام عليها الحاميات العسكرية لحماية نفسها من أي طامع فيها، أو ثائر من داخلها، وأن هذه الخصون قد أقيمت في مواقع مئية على التلال وقمم الجبال والمرتفعات، حتى تستطيع بسهولة الإشراف على السهول ومضياق الأودية (٣).

G. Caton Thompson, op. cit., P. 153.

(١) إينفاوريك: سنوات في اليمن وحضرموت، ترجمة خيري حمد، بيروت ١٩٦٢ ص ١٧٠، جواب علي ص ١٦٣-١٦٥ ورذا.
(٢) جواب علي ص ١٦٣-١٦٥ ورذا.
الفصل التاسع
دول قتبان

تقع دولة قتبان - كما يروي سترابو، نقلًا عن إيراتومثيوس - في الأقسام الغربية من الأرض البولوية، وفي جنوب السيبئيين وجنوبهم الغربي، وقد امتدت منازلهم حتى بلغت باب المندب(1)، إلا أن قتبان كانت مبتدأة عن الساحل الهندسي إلى الداخل، حيث كانت تقوم بينها وبين البحر مملكة أوسان، الصغيرة، وأهم بلادها شقرا، على ساحل المحيط الهندي، ثم تنتهي إلى إمارة عدن(1).

وعلى أي حال، فقد تحدثت المصادر الكلاسيكية عن القتبائيين، فذكرهم تيوفراست(2) وسترابو(3) وبليني(4) وغيرهم، وأما المصادر العربية،

---

EI, 2, P. 810.

Theophrastus, II, P. 235.

Strabo, 16, 4, 2

Pliny, 6, 32

---

172-171/171-170

142

O'Leary, op. cit., P. 96.

O'Leary, op. cit., P. 108.
فليس فيها شيء يستحق الذكر عن قبان، سوى أنها موضوع من نواحي عدن(1)، ولن تحقق من عنين من حمير(2)، ولعل السبب في ذلك هو ضعف قبان وانضمامها تحت لواء حكومة سبأ وذي ريدان. وهي الحكومة التي بطلت عليها المؤرخون العرب إسم حمير، ولأن قبلاً حمير هذه كانت أقوى القبائل اليمنية عشية ظهور الإسلام، فضلاً عن أنها هي التي قامتم الأحباش، وهي التي تركت آثاراً في القصص العربي، وفي قصته أصحاب الأخذود(3)، حتى أصبحت الحضارة الحميرية علماً على كل شيء في بلاد اليمن قبل الإسلام، بحيث تلاشت الحضارات الصغرى التي ظهرت في اليمن في العصر الجاهلي(4).

وقد اختلف المؤرخون في بداية الدولة القبانية ونهايتها، وفي دراساتهم التي قدمها العلماء المتخصصون في الدراسات العربية القديمة - ومنهم فريرز هولم(5) ونيكولس رودكناكيس(6) وديثف تلسن(7) وويلم أويربات(8) وأدولف جرومان(9) وهاري سان جون بريدجر فلي(10) ومارتن هارتشان(11) وجاكفين

(1) ياقوت 4/310.
(2) تاج العرب 1/431.
(3) جواب على 1/173.
(4) أحمد فخري: اليمن ماضيها وحاضرها ص 53.
(5) فريرز هولم: المرج الساكن ص 100-141.


Ditlef Nielsen, Neue Katabanische Inschriften, in MVAG, XI-IV, 1906.
D. Nielsen, Katabanische Texte, I, P. 26, II, P. 98.
A. Grohmann, über Katabanische Herrscherreihen, 1916, P. 42.
M. Hartmann, Die Arabische Frage in der Islamische Orient, II, Leipzig, 1909, P. 156.

٢٤٨
يُنفِقُ في دولة قتبان، خاصة وأنها قد عاصرت كما جاء في الكتب المعنية والسبيبة - دولة معين - ودولة سبا، ومن ثم فإن تاريخ هذه الدول جميعا مرتبط بعضها بالبعض الآخر، ومرتبط كذلك بالأبحاث والدراسات اللغوية، وكل تلك أمور لم يتفق العلماء عليها حتى الآن.

ومن هنا رأينا بعض الباحثين يرجع تاريخ قتبان إلى القرن العاشر، أو الحادي عشر ق.م، وهو التاريخ الذي قد يرجع إليه التُرقِّي المخربش الذي حل رموزه في القرن الرابع عشر، وهو يعتبر أقدم نص جاءًا من بلاد العرب الجنوبية، كما أن عصر هذا الترقية كان فترةً إذ تم ترجمة بعض أسمائهم في القرن الثاني عشر، وقد وصلنا أسماء عدد منهم في فترة حكمهم التي كانت فيما بين القرنين السابع والخامس قبل الميلاد.

على أن هناك من يرى أن دولة قتبان، إذا كانت فيما قبل عام 1000 ق.م، وحتى القرن الثاني ق.م، ومن يرى أنها كانت في القرن الثامن والسبعين (870-450 ق.م)، ومن يرى أنها كانت في القرن السادس قبل الميلاد، ومن يرى أنها كانت في القرن الرابع قبل الميلاد، ومن يرى أنها كانت في القرن الثالث قبل الميلاد.

---

F. Hommel, Grundriss der Geographie und Geschichte des Alten Orient, P. 139.
BASOR, 119, 1950, P. 3
BASOR, 119, P. 5.
S. Moscati, op. cit., P. 179.
W. Phillips, Qataban and Sheba, P. 222f.

---

٢٤٩.
هذا ويذهب بعض الباحثين إلى أن نهاية دولة قبتان وتحريب عاصمتها 5 متناً (7) إذا كان بين عامي 260، 244 م. (1) بينما يذهب فريق آخر إلى أن ذلك إذا كان بعد الميلاد وليس قبله، فكلب 9 ريمانز، يرى أنها كانت عام 207 م، أو 210 م، بينما يرى 5 فون فيسمان أن ذلك إذا كان حوالي عام 1400 أو 1426 م، (2) وآمر عن أسماء مملكة قبتان: فهناك كثير من التوافقات التي قدمها العلماء، ومنها قوائم فريتز هولم ورود كثاكيس وكليمنت هوارت وفيلي أولبرايتس 3.

ويحاول بعض الباحثين أن يقسم تاريخ قبتان إلى ثلاث فترات، تختلف الواحدة منها عن الأخرى، وله أهم حكم الفترة الأولى 5. يدع أبي ذبيان بن نصر، ظل حكم في الفترة (650-735 م) على رأي نفه، وفي نهاية القرن الخامس قبل الميلاد، على رأي أولبرايتس، وكان في رأي الكثيرين - أول من حمل لقب ملك - يحصل لقب ملك، ثم حمل لقب ملك، ثم نقلت معا، وان قصير في الفترة الأخيرة من حكمه على لقب ملك، على أساس أنه القبشي لحكم قبتان. (8)

هناك من يرجح أن 5. يدع أبي ذبيان، هو الذي شيد المدخل الجنوبي لمدينة 5. بنك (9) وطلب من نص (7 جزر، 1600) فهو «مكرب قببان وجميع أبناء وعم» (الله الرسمي لقبان) وأوسمان وجد ودوس وتثنو، هذا ويشير النص إلى إنشاء طريق في الجبل، أو بعبارة أخرى، جهة أخرى، يعبر عنها الطريق المار بالجبل من مكان إلى مكان.

Le Museon, 3-4, 1964, P. 468.

C. Huart, op. cit., P. 57 وكذا BASOR, 119, P. 11.

le Museon, 3-4, 1964, P. 432.


---
آخر، فضلاً عن تجديد يبت ود وعثر، إلى جانب بعض الأعمال الإنسانية الأخرى.

وهناك نصف آخر يصف الملك إلى جانب الألقاب السابقة - ومكرب وبراءة أو برفع - وأنه قائد الشمال، وإن كنا لندر في شتات هذه القبائل، غير القبائلية، بالملك القبلي، أكنا القبائل لم يمثلوا في تلك الأيام؟ ومن ثم فقد اشترمو في إنشاء الطريق الجبلي الأخضر الذي يدعو نفساً للنص به صلة - أم أن هذه القبائل كانت ذات مصلحة فيه، ومن ثم فقد شاركت في إنشائه، وإن الإجابة على واحد من هذه الأسئلة ما تزال في ضيغم النبيب، وعلى أي حال فإننا أمام عمل هندي سيستحق التقدير، كما يدل على فن هندي راق عند القبليين.

ويرجع بعض الباحثين أن يُد بدل ذياب، قد شن عدة حروب كب لها فيها نصاراً مؤراً، ومن ثم فقد حدثه إلى أوسوم ومراة، وحتى حدود سبأ وعلج هذا يفسر لنا اهتمام بإنشاء الطريق التي تربط بين أطراف مملكته، ومن أسرها الطريق المعروف باسم "ملقة"، ولم تكون هذه الطرق في الأرض السهلة، وإنما كانت في المرتفعات والجبال، وعلج الذي دفعه إلى ذلك عدة عوامل، منها (أولاً) أن الطريق المهدية في السهول هذة سهلة للإياد، وأن جردته قد يعود سهولة في الدفاع عن أنفسهم، إذا ما هاجمتهم قوات غازية، ومنها (ثانية) أن الطريق الجبلي وإن كانت صعبة فهي أقصر من طريق السهول، ثم إن الدفاع عنها، لا تك أسهل من الأخرى، فهي إذا أكثر أثراً، كما أنها في أرضية تابعة له.

وعلج من الأهمية يمكن الإشارة إلى أن هناك وثيقة على جانب كبير من الأهمية ترجع إلى عهد هذا الملك (يدع أب ذياب) لأنها تتصل بأصول الشريعة وكيفية إصداء

H. Von Wissmann and M. Hofner, op. cit., P. 43-44.
القوانين عند العرب الجندوبيين في العصور القديمة، فمنها تعرف أن الملك وحده هو الذي يملك حق إصدار القوانين ونشرها، ثم الأمر بتنفيذها، وأن مجلس الشعب (ويدعونه المارود) ويكون من رؤساء المدن والقبائل والشعوب - هو الذي يقترح القوانين ويبذل مسودات اللوائح، ثم يعرضها على الملك لإقرارها والأمر بتنفيذها.

ولعلنا نستطيع أن نستنتج من ذلك كله، أن قضاء قد عرفت نظامًا يتكون من مجلس يمثل الشعب تقليلاً، فقد كان يوجد مجلس قليل، إلى جانب الغش، كما كانت هذه المجالس تمثل القبائل المختلفة في الهيئات التشريعية المتعددة، كما كانت إدارة البلاد بيدها، وربما كان المجلس يعد جلسته مرتين في العام، وفي عاصمة الدولة، وبداعة من الملك، ثم تصدر القوانين بعد ذلك باسم الملك، ويدعو أن هذه المجالس كانت تجتمع عندما يظهر في الجو أسباب سياسية تتصل بسياسة البلاد الخارجية، أو عند الرغبة في إدخال تغيير شامل على النظام الاقتصادي للدولة.

هذا وهناك نوع آخر من المجالس، هو المجلس الاستشاري، ويتكون من الملك ومن الأشراف أصحاب الأماكن (مسود أو مزود) ومن طاقتين أخرين لا يمكن تحديدهما بالضبط، وقد يمثلان أصحاب الأماكن أو الموظفين، ولهذا المجلس الاستشاري حق إصدار القوانين باسم الملك، فضلاً عن العمل بالقوانين القديمة، وتنظيم استخدامها، كما كان من حقه أن يحل محل مجلس القبائل، وأن يصدر أوامر العفو - كلياً أو جزئياً - عن المحكوم عليهم.

ولعل هذا كله يدل على أن الملك والمجلس الاستشاري ومجلس القبائل، تكون جميعها الحكومة، وأنه ليس هناك هيئة خاصة بالتشريع، وأخرى للإدارة، وثالثة للقضية، مستقلة عن بعضها - على الأقل فيما يتعلق بالأمور المالية للدولة - أما فيما يتعلق بمعرفة الفترة التي كان هذا النظام مستعملاً فيها، أو الحالات المتعددة.

---

(1) جودل على 2/192، وكذا H. Von Wissmann and M. Hofner, op. cit., P. 37.

---
الذي كان يطبق فيها، فهذا ما لا يعرفه، ولا نستطيع الحكم عليه من النصوص التي تحت أيدينا (1).

وأما الفترة الثانية من تاريخ قبر، والتي استمرت زهاء قرن من الزمان (350-260 قم)، فقد كان أول ملكها أب شيمهم ابنه دشير غيلان، الذي ترك لنا كثيرة من النصوص، وجد بعضها في المدخل الثاني لمدينة تتعم، هذا إلى جانب كتابة أخرى دونت عند تجديد إحدى العمارات وإنشاء برج (2)، ففضلًا عن الكتابة المعروفة بـ (جلازر 1601) والتي تتحدث عن جمع ضرائب من قبيلة كحد النازلة في دخلها، وقد جاء فيها أن رئيس القبيلة هو المسئول عن جمع الضرائب، والتي تساوي عشر كل ربح صافي، وكل ربح من الزراعة أو من بي أو من أرض، كما تحدث عن توزيعها لخدم الدولة في نهاية كل عام، ففضلًا عن ضرائب المبادئ، والتي تسمى عصم، وهي لفظة يروي رود كاكيس - أنها تطلق على كل ما يسمى لل끼 أو الميادين من ضريبة مقدرة، أو نفل، أو صدقة (3).

والأهمية يمكن الإشارة هنا إلى أن إدارة المبادئ، إذا كانت تترك في العاصمة القبلانية، وأنها قد تركت آثارًا جديدة في استغلال أراضي الدولة، وفي الحصول على جزء من دخلها، وأن الدولة نفسها قد منحت إدارة المبادئ هذا الحق، ومجلة من هذا المراكز الدينية التي انتشرت كذلك في خارج العاصمة، وقد كانت القبائل مطالبة بأن تدفع للمبادئ عشر الدخل والميراث والمشتريات، إلى جانب ضريبة أخرى كانت تقدم للمعبد كبة.

هذا وقد كان أفراد طائفة المعبد يسمون (السطعوسون) على يد عموم هو كبير (آلهة قبر)، بسبب اتصالهم بكبار رجال الدين في قبر، وهم الذين كان تقوم بهم بعض الذين نقلت من خلال توجيههم إلى إدارة أراضي الدينية، وهم إذا قامت الجماعة المعروفة باسم نيكولوس ريد كاكيس، يُشير إلى الدولة العربية الحادية عشرية (من كتاب التاريخ العربي الفندي).

KTB, I, P. 11-12, 25.

(3) ص 123-126.
المُطْعَمُون من الله، وهي جماعة خاصة بالمعبد، وتعيش على نفقة الدولة، مما جعلها في مركز يساعدها على المطالبة بالأراضي للمعبد ودخلها، بدعو أن هذا الدخل للسيد الأرض

هذا وقد نال معبد يبيان عانة خاصة من شهر غيلان، ومن ثم نراه يأمر بتجديد أقسامه القديمة، وبناء أقسام جديدة فيه (1)، وعرف من نقش (ريكماز 216) أن شهر غيلان قد انتشر على حضرموت، وأنه تخليداً لذكرى هذا النصر فقد أقام معبداً للإله عشر في ذبيان، في يبيان القصب الحالية، عند جبل ريدان، حيث ما تزال حتى الآن توجد خرابات واسعة تدل على أنها كانت مدينة، أو على الأقل قرية كبيرة، وأما زمن شهر غيلان هذا فقد كان في أخربات القرن الرابع ق.م، فيما يرى في بيان (2)، وفي القرن السادس ق.م (3).

ولعل من أشهر ملوك هذه الفترة شهر يبيل، وقد جاء إسمه في نقش (جلازر 1602)، وهو عبارة عن مرسوم ملكي يحدد كيفية جمع الضرائب من طائفة معبد الإله عم في أرض يبيل، ويظهر من هذا المصطلح أن العرب الجموح كانوا ينفون طروائف تنتسب إلى الإله من الآلهة تنتمي به وتقيم حول معبدة، وربما كانت تتعارف فيما بينها في استغلال الأرض كحُرِّ طائفة بأسرها، وكانت الطائفة تقدم حقوق الحكومة إلى الحياة الذين يحرون تلك الحقوق، فقدموها إلى الكبير (4) أو نائب الملك (5)، ليقدمها بدوره إلى الملك.

(1) نيكولوس رودكانتاكيس: الحياة العامة قديمة العربية الجموحية (649 - 149) F. Stark, JRAS, 1939, P. 497.
(2) REP, EPIG, VII, P. 433.
(3) KTB, P. 8, 47.
(5) H. Von Wissmann and M. Hofner, op. cit., P. 47, 4701/2، وكدا le Museon, 1951, 3-4, LXII, P. 268.
ويرى لأولبرايتس أن "شهر يجيل" قد حكم حوالي عام 300 ق.م.، وأنه قد تغلب على دولة معين، وأخضعها لسلطته (1). ثم خلفه آخره "شهر هلال" يهتم (2)، وهو الذي أقام المسيلة التي عُرِّف عليها في مدينة "التميم"، وبوثقه انهت الأسرة القبانية الثانية، وتناول عرش البلاد عدد من الملوك لم تستمر حتى الآن تهيئة أزمتهم أو ترتيبهم بصورة منهجية. وكان آخرهم "يذاع ألد غيانا"، وقد ذُكر في عهده "يوت يرفش"، كما أشتهى، أو على الأقل جددت مدينة "ديدغلان" (غيران) عند ميعاد "عمد ذي بخ" في موضع "ذغيلم"، وأن هناك إيجاباً يرجح أن ذلك إذا كان في القرن الثاني ق.م. (3).

ولما الفترة الثالثة (1-5 ق.م.) فالأول ملوكها (هؤلاء عمليهم) والذين حكموا حوالي عام 150 ق.م، على رأي أولبرايتس، ثم جاء من بعد "شهر يجيل "يبرجب" الذي أعاد بناء الدخلي الجنوبي لمدينة "التميم"، كما جدد كذلك بناء "يوت يرفش"، وقد حكم بعد عام 150 ق.م، بقليل على رأي أولبرايتس، إعتمادًا على تقاليد نسبيًا عبر عليها في خرابات "التميم"، وعلىهما كتابة قبانية، جاء فيها اسم "صانعهما" "ثوبم"، الذي ذكر في كتابة أخرى من نفس العهد، وقد استنتج "أولبرايتس" أن التقاليد من عهد "شهر يجيل "يبرجب"، وأنهما صنعت على الطريقة اليونانية (4) في فترة لا تبعد كثيرًا عن القرن الثاني ق.م، ومن ثم فإن هذا الملك قد حكم حوالي عام 150 ق.م. (4).

H. von Wissmann and M. Hofner, op. cit., P. 47.
G.E. Wirg, op. cit., P. 313, 319.
R.L. Bowen and F. Albright, Archaeological Discoveries in South Arabia, P. 155
AJA, 59, P. 207.
وأنه يشير إلى أن قتباً في عهد وشهر يحل يرجع، كان لما نفوذ من نوع ما على معين، وإن كان العلماء مختلفين على طبيعة هذا النفوذ، أفرّ خضع من جانب معين لقتباً أم أنه نوع من التحالف بين الدولتين، كانت فيه قتباً صاحبة البيت العالي (1)؟.

وأما إنه وروال غيلان ينتمي، فقد نسب إليه أنه أول من صلى تقوّدة ذهبية عثر عليها مضروبة في مدينة حرب (2) كما أن هناك ما يشير إلى أنه ساعد قبلاً ذو هرته في مدينة شرم على بناء حصن ويخضر (3).

ولعل من الأهمية يمكن الإشارة إلى أن هناك نص، يرجع إلى عهد الملك هذا، صاحب امرأة تدعى برت، تذكر فيه أنها قدمت إلى ذات حبيب عثر بعل تعاملًا من ذهب في صورة امرأة، تقريباً إلى الآلهة ووفقاً لما ذهب إلى بالإله عم ذربحو، ويدعو أن المرأة كانت كاهنة لعبد الإله عم في رميت، فإذا كان ذلك كذلك، فنحن أمام امرأة كاهنة، ومن ثم إذا نستطيع القول أن المرأة في تلك الفترة من تاريخ قتباً قد وصلت إلى منصب الكهانة (4).

وأنه يشدد عليه في شمعة (شمسة) جاء فيه اسم ملك يدعى شهر هلال بن ذر أرب، يرى فيه بعض الباحثين شهر هلال يقبض، ابن ذر أرب، الذي حدد أول بما كان في نهاية الأسرة، وأما النص فيقول: قانون أصدره شهر هلال بن ذر أرب، ملك قتباً بلمعب قريبًا ولا عش معين وذي عظم أصحاب أرض شدو، وقد نظم هذا القانون واجبات هذه الشعوب الأربعة

le Museon, LXII, 3-4, 1949, P. 233, 1964, 3-4, P. 46, 446, وكذا Hndabuch, I, P. 18, 71, وكذا.
J.B. Philby, op. cit., P. 56.
le Museon, 1-2, 1951, P. 113.

(1) جراد عليه 47/6، وكذا.
(2) جراد عليه 111/7، وكذا.
(3) جراد عليه 47/6، وكذا.
(4) جراد عليه 47/6، وكذا.
في كيفية استغلال الأراضي، وعي الأعمال المرتبة عليها، وأثاث المخالفين بأشد العقوبات، فضلاً عن الإشارة إلى الموظف المكله، لتنفيذ هذا القانون. وعدل هذا كله يفيد أن هذه الشعوب الأربعة التي جاء ذكرها في القانون، إنما كانت خاضعة لقنان.

ورى رود كناكس: أن هذا النقش إذا وجد على أعيني، إنما كانت خاضعة وقت ذلك لقنان. كما كانت كذلك على أيام شهر يجل ييرجب، وإن كان ذلك لا يعني أن أعين قد فقدت استقلالها تمامًا، كما يذهب رود كناكس، كذلك إلى أن هذا النص إنما هو أقدم من نقش هاليفي 504، ومن ثم فإن شهر هلال، هذا أقدم من شهر يجل ييرجب.

والواقع أن ما ذهب إليه رود كناكس، ربما كان أقرب إلى الصواب مما ذهب إليه أولبراي، بخصوص أن الأخر قد خُص قائمة ملك قنان بالملك شهير هلال، مشيراً إلى النموذج الذي حل بالعاصمة، وإلى سقوط حكومة قنان، وليس من المقبول أن يكون ملكاً له كل هذا النفوذ على شعوب أخرى، ثم توقف دولته فجأة، ذلك لأن سقوط الدول إنما هو مدل على ضعفها وانهيارها، وليس في هذا النص إشارة إلى شيء من ذلك.

وعلى أي حال، فهل تعلم من يميل إلى أن ظهر قنان الهشي إنما كان في الفترة (1500-6 ق.م)، إذ تشير نصوص هذا العصر إلى أن قنان كانت وقتاً لاحقاً أحد دول العربية الجنوبية، وأيها قد أخذت للسلطان كلاً من أعيني، ولكن حدث قبل الميلاد أن غزا شعب غير معروف على وجه التأكيد عاصمة قنان وأحرقها. ثم ظهرت بعد ذلك مملكة لناً وذذو بيدان، على أنقاص كل من قنان وسياً.

KTB, I, 82, II, 5, 19
KTB, I, 34, II, 7
BASOR, 119, P. 9

(1) جواب على 216/2-12/14
(2) جواب على 216/2-12/14
(3) جواب على 216/2-12/14
(4) فؤاد حسن: المراجع السابق ص 288

- 575 -
وقد هذا يميل الباحثون إلى أن السببين هم الذين قضوا على دولة قباني، وإن اختفى في الوقت الذي حدث فيه ذلك، فيما يرى، في عهد 450 ق.م. (1) يذهب وأوليرت، إلى أنه كان في عام 500 ق.م. (2) على أن آخرين يرون له في عام 100 م. (3) بل إن هناك فريقًا رابعًا يراه فيما بين عامي 100، 500 م. (4)

على أن الشيء الجدير بالملاحظة هنا أن دولة مسيا وذي ريدان لم تكن الوراثة الوحيدة لقباني، فقد شاركتها في الغنية حضرموت التي ضمت إليها جزءًا من قباني، ومما استطاعت حضرموت منافسة مسيا وذي ريدان، فازقة تمتد حتى أخريات القرن الأول الميلادي، هذا ويبع الإشارة هنا إلى أن قباني لم تفقد استقلالها نهائياً، كأن الشعب القباني لم يزل من وجود، أو يختفي اسمه تمامًا، ذلك لا أن نرى بطيموس الجنرافي، يذكرهم بين الشعوب التي تقطن بلاد العرب.

(5) (Kattabanoi = Kottabani)

وقد دعاهم هذا وقد عثرت البيعة الأمريكية في مأرب على نقش جاء فيه أن الملك نبغ، الملك قباني كان معاصراً للملك سبأ، ووضعه بأوليرت في القرن الأول الميلادي، والملك نبغ، هذا هو نفسه الملك نبغ بن شهير هلال، الذي جاء ذكره مع ابنه هرثد، كلك قباني في نقش عثر عليه في هجر بن جمع، عام 1951 م، ويدعو أن ملوك قباني استطاعوا الحفاظ على الجزء الغربي من قباني بعد سقوطها، ومعه متخزين من حرب، معراً لهم، بينما اكتسب الحضارة بالإستيلاء على جزء من شرقي البلاد، وأن ذلك قد حدث فيما بين عامي 250، 400 م، والعام الأول الميلادي (6).

J.B. Philby, op. cit., P. 144.
le Museon, 3-4, 1964, P. 463.
Albright, JAS, 73, 1953, P. 37.
J.B. Philby, op. cit., P. 221.

٢٥٨
ويرجى فون فيسمان، أن نقص (جام ٢٧٩) والذي يحدث عن حرب وعقت
على مربعة من وعلان، واتركت فيها عدة أطراف، إنما قد حدثت في عهد الملك
نبط عم ملك قيثان، وأن أصحاب هذا النقص إنما يذكرون أنهم قد حاربوا
ضد ملك حضرموت وجيشه، وضد نبط عم ملك قيثان وآخرين، وأن النصر
كان حليفهم، وحاول فون فيسمان أن يستنتج من عدم وجود كلمة "هجرن"
بمعنى مدينة قبل اسم "تمتع" من أنها لم تكن وقت ذلك عاصمة قيثان، وإنما كانت
وضعًا صغيرة، أو اسم أرض فحسب، كما أن نبط عم، وإن كان قد لقب
هنا ملك قيثان، إلا أنه لم يكن في الواقع إلا تابعًا لملك حضرموت، وأخبرنا
إنه يؤرخ لهذه الحرب بالقرن، ما بين عامي ١٤٠٠، ١٤٠١ م.(١).
وليس من شك في أن "تمتع" (كما = خالدة) هي أهم مدن قيثان، وقد عرفت في
كتابات الكتبة القديم، من الأغوار، والرومان باسم
كما أن "أولامي" يذهب إلى أن المدينة التي جاءت في الجغرافيا بطليموس تحت اسم
أثمة هي "تمتع"، وقد وصف "بلبي" مدينة "أثمة" (Thouma)
أكبر المدن في العروبة الحربية، وأن بها ٢٥ معبداً وأن المسافة بينها وبين "غرزة"
٤٣٣ ميلًا، تقطعها الإبل في ٦٥ يوماً على وجه التحقيبة، ولست هذه المدينة
 سوى "خالدة" عاصمة قيثان.(٢).
وتوقع "تمتع" في وادي بيجان، في منطقة تدل آثار الري فيها، على أنها كانت
خصبة كثيرة المياه والبساتين، وقد أثبت أعمال الحفار التي قامت بهابعثة الأمرية،

le Museon, 3-4, 1964, P. 463.

E. Glaser, Die Abessinier in Arabien und Africa, 1895, P. 122
F. Hommel, Grundriss, P. 137
A. Sprenger, op. cit., P. 160.
Pttery, VI, 7, 37.
O'Leary, op. cit., P. 97.
O'Leary, op. cit., P. 97

١٧٦٣٢٢٦٢٦٣٢٩٢

(١) جرود على ٢٢، ٢٢٢٣-٢٢٢٣
(٢) جرود على ٢، ٢٢٢٢-٢٢٢٣
(٣) Pliny, 2, P. 453
(٤) Pliny, 6, 3٢.

٢٥٩
تحت رياضة روندل فيلبس، أن موقع هجر كحلان (فو وندة) وثمة تقديم، إذا هو في مكان خراب كحلان (هجر كحلان الحالية) وأن المدينة قد خربت بسبب حريق هائل، ربما أتى على المدينة كلها، وأن هذا الحريق ربما كان بأيدي السبئيين إبان الحروب التي استمرت أوارها بينهم وبين اليمنيين، كما أثبتت الخلفاء أن هجمة قد جددت عدة مرات، وأن مقايرها كثيرًا ما انتهكت حرمتها، سواء أكان ذلك في الأيام القديمة، أو في العصر الحديث، وأخيرًا فقد كشفت الخلفاء في منطقة وسعها عن شبكة كاملة من السدود تصل بها قنوات وصهاريج ل توفير مياه الري لوقعة واسعة من البلاد.

ومن مدن قبالان الهامة كذلك شور (شوم) و ورم، وكذا حريب، التي ذكرها الهمداني (1)، والتي اشتهرت بالقواد التي ضربت فيها، وحملت اسمها، كما أنها كانت عاصمة قبالان في أخريات أيامها (2).

الفصل العاشر

دولت سبا:

(1) سابا:
تذهب الروايات العربية إلى أن ساباً إما هو ابن عيسى بن يشجب بن يعرب ابن قحطان (1) ، وأن سبب تسميته ساباً أن الرجل كان أول من سمي من العرب (2) ، بل وذهب ابن ميته إلى أنه غزا بابل وأرميا ومصر والغرب ، وأنه قتل من الأمم وسمي من الدرار والعبيلة الكثير ، ومن ثم فقد سمي ساباً (3) ، وأنه كان يسمى كذلك "الرافش" لأنه كان يعني الناس الأموات من مناعة ويزعم البعض أنه كان أول من توجه ، كما يزعم آخرون أنه كان مسلمًا ، وله شعر بشر فيه ببعث

تاريخ الطبري 211/1، أبو الفداء 1001، ابن الأثير 330/2، مرسوم الذهب 365/2، تاريخ الفلافي 364، الأعيان الطوال 101/1، المعرفة من 366، الإشقاقي 156/1، تاريخ المقوسي 362-361، بلغ الأرب 36/2، تاريخ ابن غليندن 36/2

(1) تأليف ابن ألفار 368-445، مرسوم الذهب 245/2، تاريخ المقوسي 195/1، تاريخ ابن غليندن 247/2، بلغ الأرب 195/1، المعرفة من 371، قارن: ياقوت 3/181 (حيث يسمى عامرًا)

(2) وذهب ابن ميته: كتاب النجاح ص 382، 0، قارن: عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسي للدولة العربية 077/1
المصطفى - صلى الله عليه وسلم - وأن الرجل قد حكم 484 عاماً، ثم جاء من بعده ولده حمزة، وأما أهم مشاهدته، فقد كانت - طبیعة لمراطب الآخرين - بناء مدينة سبا ومدينة مأرب في اليمن، أما في مصر، فقد كانت مدينة غيّن شمس التي خلقه عليها ولده بابلون.

أما أن سبا هو عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان، فقد جاء ذلك في كتابة حفرت على نحاس في مجموعه (P. Lamare)، وإن كان العلماء لم يقولوا حتى الآن الكلمة النهائية في نوع الكتابة وزمانها، وأما أن سبب التسمية كفرة الغزو والسبي حتى وصالت غزواته إلى بابل وأورميتة في آسيا، ومصر والمغرب في أفريقيا فإن ذلك لم يحدث إلا في خيال ابن ميهم، ومن دعوا بدعوته، فضلاً عن أن تاريخ تلك البلاد لم يعرف سبا هذا، ولم يشر إليه، حتى مجرد إشارة، في التصريح التي ماتت آثار تلك البلاد، وإن كان أصحاب تلك البلاد قد عرفوا السبتيين في فترات متاخرة من حضارتهم، على أنهم من تجار البخور واللبن وغيرهما من مستلزمات المعابد القديمة، وليس غزاة يحتلون البلاد ويقبلون المدن.

وأما الدعوى بأن سبا كان مسلماً، وأنه بشر يعبث المصطفي، صلى الله عليه وسلم، فليس من هذا النوع من الخيال الذي سوف يجعل «سفي بن ذي زينة» يبشر بعد ذلك يعبث المصطفي، صلى الله عليه وسلم، وإن كنت لأدرى - ولا أظن أن الذين كتبوا ذلك كله يدركون - على أي ملة كان إسلام سبا، هذا؟ صحيح أنا تفوق أن الإسلام - في لغة القرآن العظيم - ليس إسماً لدين خاص وإنما هو إسم للدين المشرك الذي هتف به كل الأنباء، وانتسب إليه كله أتباع

الموارد والمراجع:
1. ابن كثير: البداية والنهاية 158/2 159.
2. تاج النور 129/1، تاريخ ابن خلدون 2/47، ملوك الأرب 207/1.
3. السير 144/1، روح المماز 124/22.
4. جواهر علي 509/2.
5. أظهر: سورة البقرة: آية 133، سورة آل عمران: آية 67، سورة المائدة: آية 111.

- 278 -
الأنبياء، ومن ثم فإن الإسلام شعار عام بدور في القرآن على أسماء الأنبياء وأتباعهم.

منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصر البهجة المحمدية.

وسؤال البداية الآن: هل كان سبأ يعي كل هذا? حتى يصبح مسلما - كما يقدم القرآن الإسلام - كيف عرف سبأ بيعة مولانا وسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى ينتبأ بها حمد وثواب بعثات السنين؟ ثم يقول فيها شعرًا، وله عرف رواة هذا الشعر، أن عربية الجنوب تختلف كثيرًا عن عربية الشمال - عربية القرآن الكريم - وأن شعريهم المزعم هذا، إنها هو بحرية الشمال وليس الجنوب، على أن العجب قد يقول، إذا ما عرفنا أن هؤلاء الذين ينسبون الآن إلى سبأ شعرًا، IFما قد نسبوا إلى آدم وإيليس - بل وحتى الجن - شعرًا عربيًا فنصبًا كذلك.

أما أن سبأ قد بني مدينة سبأ وسد مأرب، ففيذبه أن التاريخ لا يعرف حتى الآن مدينة باسم سبأ، وأن بني واتس مأرب، فقد دواعي عريقة، وإن كانت تتفطر إلى الصواب تماما - الأمر الذي تاقتنا بالتفصيل في الجزء الأول من كتابنا: دراسات في التاريخ القرآني.

---

أحمد الزراوي: الدورة الإسلامية دورة عالمية 86-87.
محمد البقائي: الأنبياء في القرآن الكريم ص 75.
(1) تختلف روایات الإخباريين في بناء سبأ، فرواية تنهب إلى أن سبأ، وأخرى أنها بلديه، فلا تهدو إلى أن سبأ قد بدأ بناء السد ثم أكمل وله حرب، ورواية ترى أنه لقمان بن عاديا أو لقمان الأكبر المادي (مرج الذهب) 111-112، 12، 44-5، تفسير الديني 9، 1، تفسير ابن خلدون 2، 94-95، تفسير الطبري 117، 917، تفسير القطب 222، تفسير المصدري 245/105، تفسير الفارابي 16، تفسير الطبري 245، 917، تفسير الفارابي 22، تفسير المصدري 245.
(2) تفسير دوم الغزالي 117، تفسير الطبري 117، تفسير المصدري 117، تفسير الفارابي 165/25، 917، مع ذلك فإن آثار الدورة نفسه تكتب كل تلك الآيات، فهو - كما سوف نعرف فيما بعد - قد بدأ بناء «سبأ على يد عرفث» ثم وله «هناك أمر بين» ثم أخذ الملك بعد ذلك يضيقون إلى أجزاء أخرى، فضلا عن تقوية أجراه الدورة...
وأما تأريخ المدينة «عين شمس» بمصر وتوثيق ابنه بابلبون، على هذا، فزعم كذب، كما أظن أن الذين كتبوا كل ذلك كانوا يعلمون أن «عين شمس» قد ظهرت إلى الوجود قبل سيا، هذا بألف السنين، وأنها كانت عاصمة مصر الموحدة، بما في الألف الخامسة قبل الميلاد، وقبل الموتى المورة، وقيام أول ملكية في التاريخ تحت قيادة بناء حوالي عام ٢٣٠ ق.م، بفترة طويلة، ولعل شهرة عين شمس، وما جاء عنها في النروية من أن الصديق، عليه السلام، قد تزوج من أسماء، إبنته كاهن لعين شمس، كان سببا في هذه الرواية، ولكن يعلم أصحابنا الأخبارون أن اسم «عين شمس» إسم حديث نسبياً، وقد قدمه إلى الوجود الإسم اليوناني للمدينة العريقة (هيليوبوليس)، ومن قبل بألف السنين كانت المدينة تحمل اسمها المصري (أونو، أونو).

وأما توثيق ابنه بابلبون على عين شمس بعد بنائها، أو على مصر بعيد غزوها، فمرة أخرى، نقول: إن بابلوين كتبوا ذلك كله كانوا يعرفون أن بابلبون ليس اسمًا لابن سيا، وإنما هو إسم تفصين (١) يقع على مقرنة من النيل، وأن بقايا ما تزال قائمة حتى اليوم في حي مصر القديمة بالقاهرة، وأنه كان موجودًا على أيام الفتح الإسلامي في القرن السابع الميلادي، وأنه كان يعرف بحسن بابلبون، وبالكسن وبقعة الشمع، وأن المسلمين قد است包围 على عام ٤٩٠، بعد حصار دام سبع أشهر (٢).

(١) تكوين ٤٥٤
(٢) تتب توثيق رواية إلى أن سي هكذا بسبب أن أحد الفراعين فقد جلب أسرى من بابل وأولهم في هذا المكان، بينما تتب توثيق رواية أخرى إلى أنه مشتق من اسم مصر قديم (أظهر: عباد المحمود ٨٢٧/١، بطراس، (Ency. de l'Isam, I, P. ٨٥١-٨٥٥). يجري أن «تراث» قد بناه عام ٣٠٠م في مكان بابون كأن الفرس قد أقاموا عند استيلائهم على مصر في القرن السادس قبل الميلاد، وأطلقوا عليه اسم بابل، فسموه حسن بابلبون (القاهرة في الألف عام، القاهرة ١٩٥٩ ص ٤٥٤،) (٣)

ابن عبد الحليم: تفتح مصر ص ٧٢، (٦٧،) الخريطة الفرعونية ٢٨،، فتح العرب لمصر تترجمة أبو حديثة، ص ١٨١، حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي ص ٢٣٧،، قانون: ٤٤١/١، ياقوت.
وأما النصوص العربية الجنوبية، فليس فيها شيء عن سبأ أو عن علمه المزروع، ولكن ما فيها إنهما يتعلق عن شعب يدعى سبأ له دولة، وله حكام، وله آلهة، كنفره من شعوب العربية الجنوبية، وإن كان مما لا ريب فيه أن المصادر التاريخية قد تحدثت عن دولة سبأ، أكثر من غيرها من دول العربية الجنوبية.

السبيون والآراء التي دارت حول موطنهم الأصلي:

هناك نص سومري يرجع إلى عهد أرادنار 1 من أسرة جيش الثانية - والتي تعاصر أسرة أوز الثالثة التي حكمت في النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد (1) - جاء فيه كلمة "Sābuu" وتعني "سبأ" (2)، وذهب أو هومل (3) إلى أن هذه الكلمة "Sabum" التي وردت في النصوص السومرية إما تفيد "سبأ" التي وردت في التوراة، فإذا كان ذلك كذلك، فإن تاريخ سبأ يعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد (4).

وربما مبنجر (5) أن قوم سبأ الذين تحدثت عنهم النصوص السومرية، إذا كانوا من العربية الصحراوية، أي من إثيوبيا، فهم هاجروا إلى اليمن، في وقت لا يُعتبر تجديده على وجه الي寝، وإن ذهب بعض الآراء إلى أن ذلك إذا كان في القرن الحادي عشر قبل الميلاد، وبعد مئات من السنين من هجرة العبيد والقبائل (6).

على أن رأيا آخرً، أنه يذهب إلى أن هجرة أهل منين وقبائل وحضمرموت إلى اليمن، إنها كانت حوالي عام 1500 ق.م، بينما كانت هجرة السبئيين حوالي عام 1200 ق.م.

٢٠١٠/٥-١٦٢، ١٦٣
(1)...
(2)...
(3)...
(4)...
(5)...
(6)...

F. Hommel, in Hilprecht's Exploration in the Bible Land, P. 793
Encyclopaedia of Islam, 4, P. 3.
A. Grohmann, op. cit., P. 24.
R.F. Burton, Royal Inscriptions from Sumer and Akkad, P. 115.
ونحن الآخرين كانت هم قواقل تجارية تصل إلى فلسطين قبل عام 927 ق.م. كما يفهم من بعض نصوص العهد القديم (1).

ويذهب هومل إلى أن السبئيين إنما هم أصلهم من العربية الشمالية، وأنهم كانوا يعيشون فيما يعرف عند الآشوريين بـ "الأبي" و "العبري"، وفي التوراة بـ "رب" و "يام"، وفي القرن الثامن ق.م. هاجروا إلى اليمن حيث استقروا في "صاروخ" و "مأرب" التي جاء اسمها من "يام" و "رب"، ويعتقد هومل في ذلك على أديان، منها (أولاً) ما جاء في نشر (جزازر 115) من أن السبئيين قد تعرضوا للفاقة المعيشية في مكان ما بين "معان" و "رجمت" على مقربة من تجاران، ومن ثم فإن السبئيين إنما كانوا يقيمون في منطقة تقع إلى الشمال من دولة معين، فإن ازدهارها الأخير، ومنها (ثانياً) اختلاف لهجة السبئيين عن بقية الشعوب العربية الجنوبية، مما يدل على أن السبئيين شمالهم هاجروا إلى الجنوب (2).

على أن هناك وجيها آخر للنظر، يذهب إلى أن السبئيون إنما كانوا أسبق من المعينيين، ذلك لأن النصوص القديمة التي ورد فيها اسمهم في التوراة ونعرف الآشوريين صرح في الكلام عنهم، كمجتمع منظم سياسياً وعسكرياً واقتصادياً، بينما لم يرد ذكر "معين" بصراحة وتحديد في نفس الفترة، ومهمه يكن من أمر الوثائق المكتوبة، فإن الملاحظ من الناحية الأثرية هو أن الكتابات التي وردت بأخطاء لمسند من مماليك اليمن المختلفة تبدأ بالكتابات السبئية، ثم إن الآثار غير المكتوبة تبين لنا أن كل هذه التواريخ متأخرة بالنسبة لقيام الحضارة في اليمن، فهناك بالتأكيد آثار ترجع إلى نهاية الآلف الثاني ق.م. (3).

A. Grohmann, op. cit., P. 24.
F. Hommel, Geographie und Geschichte des Alten Orients, I, P. 142.

(1) جودل علي 2/1992-تصویر أولا 900 وكذا.
(2) جودل علي 2/1992-تصویر أولا 900 وكذا.
(3) حسن نظام: المرجع السابق ص 130.

---
وهناك وجه ثالث للنظر، يذهب إلى أن الخفائر الأثرية وتطبيق العملية الراديو كربونية "Radiocarbon Process" تعالى إلى تعاصر السبتيين والمعينين(1)، ومن ثم فهم المعتقد أن ت最后一次 الملكان قد قامتا في آن واحد، أو في وقتين مقاربين جدًا، معين في الشمال، وسيا في الجنوب(2).

هذا ونستطيع أن نستنتج من قصة ملكة سبا مع سليمان عليه السلام - كما جاءت في الكتب المقدسة - أنه كانت هناك حكمة قوية ومنظمة في سيا في القرن العاشر قبل الميلاد، وذلك لأن سليمان إذا حكم في الفترة (926-922 ق م) (3)، ووالله(4) و السبتيين، وإذا حكم في الفترة (908-926 ق م) (5)، والله(6) والاتباع(7) من قبل قد تحدثت عن قصة سليمان مع ملكة سبا، وإن اختلقت الكتب المقدسة الثلاثة في سردها للقصة، بلغة للغرض من السرد نفسه، ولكنها انتهت جميعاً على وجود ملكة في سبا، على رأسها ملكة(8)، وليس من العلم، فضلاً عن الإيمان بكتب السماء. أن نشك في أمر أجمعه على هذه الكتب المقدسة،

S. Moscati, op. cit., P. 178.
E. Dhorme, Langues et Ecritures Semitiques, P. 39.

(1) يتفق المؤرخون على أن سليمان قد حكم في القرن العاشر قبل الميلاد، ولكنهم يختلفون في تحديد تلك الفترة من هذا القرن، فيما يري "فر هل حواري" أنها في الفترة (722-676) بيرد،(3)، ويرى ه. أبودين في الفترة (722-676) وbere(4)، ويرى د. في برهان حبها أنها في الفترة (723-676) وbere في أولئك،(6)، وليس من العلم.

(2) ماهيا(4) ه. أبودين في الفترة (722-676) وbere في أولئك،(6)، وليس من العلم.

(3) سوية النمل: آية 45-60 (وأشار: تفسير البخاري 1673-1678، تفسير الطبري 1910-1912، تفسير ابن كثير 619-620، تفسير الغزالي 821، في ظل القرآن 1921، ترجمة للكشكاف 1424-1427).

(4) طه(1) تفسير الطبري 1677-1678، تفسير أبي السعود 134-135.

وعمّم فإن وجود مملكة مدنية، شماليّة أو جنوبية، في عهد سليمان - أي في القرن العاشر قبل الميلاد - حقيقة ترقي فوق كل شكل، وبالتالي فإن وجود السبّيّين كقوة منظمة وقوية على رأسها مملكة في القرن العاشر قبل الميلاد، حقيقة تاريخية.

على أن التوراة مضطربة في أصل السبّيّين، فهم مرة من الحامّين، أبناء كوش ابن حام (7) وهم مرة أخرى من السبّيّين (8)، وفرق كبير بين الحامّين والسّبّيّين، كما هو معروف، ثم إن سبا (أو شبا) تقدمة التوراة - وفي سفر التكوين بالذات - مرة على أنه من ولد يقطان (9)، ولكنه مرة ثانية من ولد يقطان (10)، والمعروف أن يقطان، من ولد عابور، ولكن «يقطان» من أولاد الخليل عليه السلام من زوجه قطورة الكلمانية (11)، وفرق بين الاثنين كبير.

وعلل هذا الاضطراب في نصوص التوراة بشأن السبّيّين، هو الذي جعل بعض الباحثين يذهب إلى أن ما جاء في التوراة بشأنهم، إذا هو من مصادر غير أصيلة لا يمكن الاعتماد عليها، فضلاً عن النتائج، فهي مادة كَردة، ليس لها نصيب كبير من صواب (12)، على أن الأبور في نفس الوقت فريقاً من المتخصصين في الدراسات التورائية يرون في هذا الاضطراب، دليلاً على انتشار السبّيّين في آسيا وأفريقيا، فهناك جاليات قد استقرت في أرتريا والحبشة، ومن ثم فقد جعلتهم التوراة من أبناء كوش، بينما جعلت المستوطنين منهم في آسيا على فريقين، الواحد ينتمي إلى يقطان والآخر إلى يقطان، ومن ثم فقد صار السبّيّين فرقاً ثلاثاً، طبقاً لأماكن استقرارهم (13).

---

EB. P. 2564، وORDNE J. Hastings, op. cit., P. 490.
ولست أدرى كيف قلب هذا الفريق من العلماء هذا التقسيم لشعب واحد، إلا أن يكون الإيمان بحرفية ما جاء في التوراة هو السبب، حتى إن كان الذي جاء فيها يختلف المنطلق، فضلًا عن حقائق التاريخ وعلم الأجناس، ولا فخرني بريك. كيف قلب هذا الفريق من علماء التوراة، أن يكون السبتيون حاميين وساميين في نفس الوقت، وأن يكونوا من ولد يشنان ويقطن في الوقت نفسه مرة أخرى. ثم ألم يرجع سفر التكوين نفسه الكنانيين إلى حام، وذلك حين يعود اليهود في نوراتهم. كا يقول كارل بروكلمان – إقصاء الكنانيين عن الإنساب إلى سام بن نوح، لأسباب سياسية ودينية، مع أنهما كانوا يعلمون ما بينهم وبين الكنانيين من صلات عنصرية ولغوية (1)، والامر كذلك بالنسبة إلى المسرحيين الذين جعلوه من الحاميين، بنو حام، كوش ومصرام وفوط وكنان (2).

إذن: فالأمر متعهد سبته العدائد التقليدي الذي يكهن اليهود للمصريين ب خاصة، والعرب بعامة (3)، وليس أدل على ذلك من أن سكان واحة ديدان، الذين كانوا يتألفون من طائفتين، أولاها من أهل البلاد الأصليين، والثانية هي الجالية البشبية التي هاجرت من جنوب بلاد العرب (4)، تنظر إليهم التوراة مرة على أنهم من الكوشيين من جنوب بلاد العرب (5)، ومرة أخرى من السلالة السامية من ولد إبراهيم من زوجة قطورة (6)، مما يدل على الإصرار – فضلًا عن الإضطراب – على أن السبتيين من كوش من ولد حام.

R.A. Nicholson, op. cit., P. XV.

(1) جبريل علي 244/1 وفاء
(2) تكوين 10:16
(3) انظر: مقالات والساميون والآثار التي دارت حول موطنهم الأساسي مجلة كلية اللغة العربية، العدد الرابع ص 25-274، الرياض، 1974م.
(4) الزيب مويل: شمال الحجاز ص 96.
(5) تكوين 7:20
(6) تكوين 25:25-1-4
وأما ما جاء في النصوص الأشورية بشأن السبتيين من عهد وُثيلات بلاد الرماد (3644-3727 ق.م) وسرجون الثاني (324-305 ق.م) وسبخرب (305-281 ق.م) بإنشاء الجزيرة التي تلقاها هؤلاء الملوك من الملكات السريانيَّة: زوبدي وشمسية وعُدِي (1)، والملكيين السبتيين: يفع أمر (انتصارًا) وفُو كرب (2) إيلور (3). بما لم تكون جزيرة، بقدر ما كانت هداياً، وأن السبتيين إذا كانوا ينظرون إلى أنفسهم كأنداد للملوك أشور، أو حلفاء لثم، وربما كان هناك تحالف بين الفريقين ضد غارات البدو الجامحين في الشمال (3).

على أن الذي لا شك فيه أن سبى كان لها نفوذ واسع يمتد إلى الجنوب وصولًا إلى شمال الحجاز، وكانت تسيطر على الطريق التجاري الرئيسي الذي يربط جنوب غرب شبه الجزيرة العربية بسوريا ومصر، وأن هناك حكاماً سبتيين محتملين في الواحات الشمالية التي تقع على هذا الطريق، فضلاً عن الحامية العسكرية التي تضمن بقاء تحت النفوذ السبتي، وكانت واحة ديدان (العلا) المركز الرئيسي الذي تمارس فيه دولة سبى نفوذها في شمال بلاد العرب، إلى جانب تيما ومعان، وإن كانت ديدان هي المقر الرسمي للحاكم السبتي المقيم (4).

S. Moscati, The Semites in Ancient History, P. 72, 123
N. Abbot, PreIslamic Arab Queens, AJSL, 58, 1941.
D.D. Luckenbill, op. cit., P. 518
H. Fleisch, op. cit., P. 90
D. Nielsen, Handbuch, I., P. 75.

(1) وُكَدَا
(2) وُكَدَا فَلْؤاد حَسِين: المَرْج السَّابِق ص 87
(3) وُكَدَا
(4) عبد العزيز سالم: المَرْج السَّابِق ص 459-460؛ أَلْوِيس موس: شمال الحجاز ص 96-97.
العصر الأول:

يتمتد من حوالي عام 800 ق.م. إلى عام 600 ق.م. (1)، وفيه كان حكام سباً يحملون لقب مُكرَّب، ذلك اللقب الذي تعلبه الصيغة الدينية، وتقاليه في العريقة الفصحى، مقرب، وهو أمر يُقدم بين الفراعين لللغة (2)، كما كان يُقوم بذلك بنور الوسيلة بين الآلهة والناس، وربما كانت وظيفة المقرب، هذه تشبه إلى حد كبير وظيفة المزود، عند المعينين (3)، والقضية عند بني إسرائيل (4)، وربما لقب إيشاك، عند السومريين، وكل هذه الألقاب إما تعني أصحابها صفة دينية في حكم بلادهم، أو على الأقل إشارة إلى القداسة التي يرتكبون إليها في ممارسة هذا الحكم، سواء أكان ذلك من الناحية الدينية أو المدنية.

العصر الثاني:

يتمتد من حوالي عام 600 ق.م. وحتى عام 150 ق.م. (أو عام 149 ق.م. (5)، وفيه حمل حكام سباً لقب ملک، كما اتخذوا من أربعة عاصمة لهم، بالداخل من H. Von Wissmann and M. Hofner, op. cit., P. 7.

EB, P. 2632 وكذا J. Hastings, op. cit., P. 504.


- 141 -
صروح، عاصمة الدولة في العصر الأول، وقد بدأ هذا العصر بكرّ إيل وتر، الذي كان آخر من حمل لقب مُكرّب، وأول من حمل لقب ملك.

(3) العصر الثالث:

ويُمتد من حوالي عام 115 ق.م، وحتى عام 130 م، وفيه حمل حكام سباً لقب ملك سباً وذي ريدان، إشارة إلى اسم ريدان إلى الناج السبتي، وربما يشير كذلك إلى دولة قيبان أو حمير فيما يرى بعض الباحثين(1)، ومن هنا رأينا بعض المراجع تطلق عليه تجاوزاً اسم عصر الدولة الجمرية الأولى.

(4) العصر الرابع:

ويُمتد من حوالي عام 130 م، وحتى عام 255 م، وفيه حمل حكام سباً لقب ملك سباً وذي ريدان وحضرموت وينت وآمرابها في المرتفعات وفي البحار؛ (عصر الدولة الجمرية)، وهو آخر دور من أدوار الحكم في سباً ونافذة الأدوار، حيث تبدأ البلاد بعد ذلك تقسيمها الأكبر من الحكم الأجنبي (الخشبي والفارسي) إلى أن يظهر نور الإسلام في مدينة الكرمة، وتتضحى اليمن تحت لوائه في عام 268 م، وبدأ ينتمي التاريخ اليمني القديم.

والفرض أنّه بناء على تطور هذه الألقاب—أن يكون السيبريون قد بدأوا أمراء صغارًا ممن يسيموهم الكتاب العرب والأذواء، وهم يُفخرون بذلك جمع ذو أي سماح، التي يضاف إليها اسم الوادي، من حصن أو محفاد، مثل غمدان وصاحب ذو غمدان، وريدان، وصاحب ذو ريدان، ثم تحولوا إلى أمراء عدد من الحصون أو المحافد ممن يسيموهم الكتاب العرب والأقليان، (ومفردها قيل)، وهم في الطريق إلى أن سيروا ملوكًا أو أباطرة على كل البلاد(2).

I. Shahid, Pre-Islamic Arabia, CHI, I, P. 9.

(1) سعد زغلول عبد الحميد: في تاريخ العرب قبل الإسلام ص 189.

(2)
أولا : عصر المكارية

يرى بعض الباحثين، كما أشارنا آنناً، أن هذا العصر يقع فيما بين عامي 800، 650 ق.م. بينما حدث له آخرون الفترة (750–500 ق.م.)(1)، هذا إلى جانب فريق ثالث – وهذا ما نرجحه وتميل إلى الأخذ به - ذهب إلى أنه قد بدأ في القرن العاشر ق.م.، وربما في القرن التاسع ق.م.(2)، وكانت عاصمة الدولة وقت ذلك مدينة صرواح، كما أن مملكة سبأ المشهورة في تاريخ سليمان بن داود، إنما تنتمي إلى هذا الفترة من الناحية الزمنية.

وأما أول المكارية فهو سمه علي(3)، وقد حدث له فلبي، الفترة (800–780 ق.م.) (4)، ثم عاد بعد عامين فحدد له عام 820 ق.م. كبداية حكمه(5)، ويدعى بعض الباحثين إلى أن تقش (جلازر 114) (6) إذا يرجع إلى عهد هذا الملك، فضلاً عن تقش (جلازر 972) الذي وردت فيه اسماء سبأ ومارب وشبان، وكذا أسماه الآلهة عشر والملكة وذات حميم، لم يعمر المكرب طبقاً للأدوات المألوفة في التيمين كيفاً إسم الحاكم من مكرب أو ملك(7).

N. Rhodokankis, KTB, II, P. 49.
J.B. Philby, op. cit., P. 141 Grundriss, P. 671.
Le Museon, LXII, 1949, 3-4, P. 248.
ولعل من المفيد هنا الإشارة إلى أن السبعين إنما كانوا يعبدون "عشر" (عشر) الإله العربي الجنوبي على أنه إله ذكر، ويرموزون له بإنقاص الزهرة، بينما ينظره في جميع الآداب السامية البشرية الأخرى إله مؤتمن، كشجاعة عند البابليين والآشوريين، وعشائر عن الكهنودين كـ كأنا عبادة "عشر"، هذا لم تكون مقصورة على السبعين وإنما كانت متشاركة كذلك بين المعنيين والقنتاليين (1), أضاف إلى ذلك أن التوصيف إذا تذكر عادة الآلهة (عشر ونويس والوقة) في صيغ النوم وهو كوحدة متكاملة، فإنها تأتي بعد (ياء) واحدة، وربما تأتي بحق (أي بعد عشر ونويس والوقة)، بينما تأتي بعية الآلهة، وكل منها له (ياوه) الخاصة بهـ - أي كل واحد تسبقه بكلمة بحق - أما الآلهة ذات حمي (ذات حمى) فمعظم الباحثين يرونها - وكذا ذات بُعدْن - إسمًا للإله الشمس، وأن ذات حمي ربما كانت معبأة ذات حرارة على أساس أن حمي تغي الحرارة (2).

وهناك نقش - ربما كان هو الذي أشارنا إليه آنا - يتحدث عن تقديم الكرب سمه على "البحور والهر لله الجموي "الله" (المواطنة) "، مما يشير إلى أن الكرب كان يقدم البحور باسمه، وربما عن قبيلته التي قادها من النينوى والقفار إلى الأرض السعيدة التي تعيش لبنا وعسلا (3).

واجه بعد "سمه علي" ولله "يبيع إيل ذريح" الذي يرى "قليبي" أنه حكم حوالي عام 1840 (4)، بينما يرى "فون فرسمان" أنه حكم حوالي القرن التام ق.م. (5) ويبقى "أوبريت" في النصف الثاني من القرن السابع ق.م. (في فترة مبكرة منه أو في أواسطه) (6)، وأخيراً فهناك من يحدد ذلك بعام 780 ق.م. (7).

---

(1) أحمد فخري: المرجع السابق ص 124.
(2) مظهر علي الأردي: في تاريخ اليهود ص 11-12.
(3) فؤاد حسين: المرجع السابق ص 289.
(4) Le Museon, LXII, 3-4, 1949, P. 248.
(7) A. Grohmann, op. cit., P. 157.

---
وقد قدمت لنا الخسائر عدة تقويمات ترجع إلى أيام "دبع إيل ذريح"، ومنها ذلك النقص الطويل الموجود على الجدار الخارجي لمعبد صرواح، وقد جاء فيه أن هذا المكرب هو الذي بني هذا الجدار، كما يذكر النقص كذلك الإله المغنا وعثر و"الإله" ذات حميم، والذين يكونون معًا "ثالوث المدينة القديمة"، هذا ويرى الدكتور أحمد فخري (1) أن هذا المعبد (معبد صرواح) - والذي يرجع إلى القرن الثامن قبل الميلاد - إنما هو أقدم المعابد السنية التي ظلت قائمة حتى اليوم.

وهران تقسيع إبرهوري في "محرم بلقب"، تعرف بنقش (جلازر 484) يتحدث عن "بندع إيل ذريح" لجدار في معبد الإله المغنا في أوام، وتقدم القرايين للإله و"عثر" (3)، كما أن هناك في منطقة المساجد بأبار آثار معظم مستطيول الشكل يحمل نقوش من عهد "بندع إيل ذريح" ينضمها نصاً ينسب إليه بناء هذا المعبد المعروف بمعبد "محرم بلقب"، والمخصص للاه ماما rigs الرئيسي للقمة (4).

ووجه بعد "بندع إيل ذريح"، ولده "يلع أمار" وتر، وقد جاء في النقص (CIIH 490) أنه نشأ معبد الإله المغنا الذي أطلق عليه البيادين نظرة "هومس" في قرية "دير" - في منتصف المسافة بين مأرب والمدن المعيقة في الخوف - وإن كان "هومس" يرى أن "دير" هذه ليست قرية، وإنما قبيلة بنت معبدًا باسمها، وأن "بندع أمار"، إنما قام بتجديد هذا المعبد، وسواء أكان هذا أو ذلك، فإنه يعني على أي حال، أن المكرب السني بدأ يدخل في شروان معين منذ تلك الفترة المبكرة، التي ترجع إلى القرن الثامن قبل الميلاد (5).

(1) أحمد فخري: دراسات في تاريخ الشرق القديم. ص 166.
(4) فؤاد حسن: "المرج الساق" ص 960.
(5) H. Von Wissmann and M. Hofner, op. cit., P. 23
D. Nielsen, op. cit., P. 77.
وجاء بعده فيما يرى هومل (1) - ولده يدع إيل بين -، وهكذا ما يشير إلى أنه قام بتحصين مدينته نشقة - التي عرفها الرومان باسم نسكة وترف الآن باسم خربة البيضاء - الواقعة في الجرف - وربما قد يتبادر إلى الذهن أنه قد حصنها بعد نصر أحرزه على سكانها، غير أن المركزي لا يعرفوني تم هذا النصر - أي عهد أم - في عهد أبيه - وإن رأى هومل أنه إذا كان على يد سمه، على ينف، الذي جاء ذكره على بعض التقوس التي عثر عليها في تلك المنطقة، وإن لم يكن هناك من دليل يؤيد وجهة النظر هذه (2).

وعلى أي حال، فيبدو أن السبحين إذا كانوا يحاولون استيلاء على معين على مراحل، وقد رأيت من قبل أنهم استولوا على دير، تم اتخاذ ومنها مركزاً لإدارة على المعينين، غير أن هناك ما يشير إلى أن دير قد انفصلت عن مبدأ، ثم عادت مرة أخرى إلى التدوز السبئي على أيام كرب إيل وتر (3).

وجاء بعد ذلك الكرب يغ آمر، والذي يرى فيه هومل إنا لسلفه أو شقيق له (4)، وأما فلاي، فقد ذهب مرة إلى أنه أحد أبناء وسمه على ينف (5) وذهب مرة أخرى إلى أنه شقيق أو إبن شقيق سلفه (6)، وأنه الحاصل للملك الأکوري سرجون الثاني (1771-1750 ق.م.) (7) وأنه قدم إلى الهدايا، بل إن هناك ما يشير إلى أن تجلات بلاسر الثالث (1726-1716 ق.م.) قد أخذ الجزية من تيماء وغيرها من الواحات العربية، فضاً عن سبأ (8)، والتي ربما تعني الجالية السبيلة التي خلفت المعينين في ديدان، ومن هنا فإنها ترد في النص بعد تيماء مباشرة (9).

J.B. Philby, op. cit., P. 37.
D. Nielsen, op. cit., P. 77.
Handbuch, I, P. 77.
J.B. Philby, op. cit, P. 141.
Le Museon, LXII, 3-4, 1949, P. 248.
J.B. Philby, op. cit., P. 141.
A. Musil, The Northern Hegas, P. 288
وعلى أي حال، فهناك ما يشير إلى أن يغت أمر؛ كان يحكم كذ لك في شمال بلال العرب، على مقرية من البادية (إما في أعقاب الحجاز أو نجد، وإما في المناطق الجنوبية من الأردن) (1). إلا أن عثر بعثة ألمانية على نقش يفيد تقديم هدايا للملك الآشوري هامنربي (2) (8ب-181 ق.م). من حكّام إيلو السني، جعل العلماء يرون أن الملكين اللذين قدما هدايا الآشوريين، إنما هما المكربان يغت أمر؛ و (3) كرب إيلو (3)، وأن يغت أمر؛ إنما قدما هدايا حوالي عام 715 ق.م. (4) لا لكن نعرف أنه في حوالي عام 260 ق.م. وربما عام 715م، قد انتشرت القلاقل والاضطرابات في سوريا وفلسطين ضد الآشوريين بدرجة كبيرة، وأن معظم سكان الولايات المختلفة هناك قد ساهموا فيها بدرجة كبيرة أو صغيرة، وطبقاً لرواية التوراة (5)، فقد أتى الإمبراطور الآشوري بقوّة آخر يمن من كوت ونابول وعرا وحمات وسمفريفام، وأسكنهم في هذه الأقليم، وليس من شك في أن الآشوريين كانوا يهددون من سياستهم هذه كسر التحالفات القديمة، بإدخال أجانب في البلاد (وربما كانوا في بعض الحالات من الآشوريين أنفسهم)، وبداية لنظرية جديدة، أكثر ملاءمة للإمبراطورية الآشورية الطموح (6).

وقرأ في حوليات مسجدان ثاني من هذه الفترة، أنه في السنة السابعة من حكمه، وفي حوالي عام 715ق.م، أوجه لجيش صادق من آشور إيلو، قضي على قبائل تامورود وإبيدي ومرسيمان وجابا (1)، والعرب الذين يعيشون بعيداً في الصحراء، الذين لا يعرفون بروساه أو موطنهم، الذين لم يكونوا قد جاءوا بجزهم لأي ملك، سيت الأحياء منهم وتقثهم إلى الساحة، من بيرعو ملك مصر، ومن...

A. Musil, Arabia Deserta, P. 479.
BASOR, 137, 1955, P. 232.
BASOR, 143, 1956, P. 10.

(1) جوايد على 278/5، وكذا
(2) جوايد على 278/5، وكذا
(3) ملكه كان 17 عزرا 2:9.
(4) أظرل كنابا، إسرائيل، من 111.
(5) أظرل عن هذه القبائل، البيري، مول: شمال الحجاز، من 91-95.
شمشي مملكة العرب، ومن أتماراه (يبلغ أمر السبي) ، ومن ثم فيما كان
هذا، وعلي أي حال، فهناك من يرى أن نفوذ الامال الإثري، إنما وصل إلى
سيبهما ومن ثم فقد أسرع ملكبه بحمل الجزية إلى سرجون، حتى لا تقع بلاده
آخر الأمر ضمن أملاك الآشوريين (1).

و جاء بعد يبلغ أمر وليود كرب إيل بين، وطبقا للنقش (2)
فإن الرجل قد وضع أطراف مدينته نشقا، ربما لأغراض سياسية واقتصادية، هذا
و نقرأ في حویلاتها من ملحمة: أن تسلم هدايا من كرب إيلو ملك السبيهين،
أما الهدايا فقد كانت من الأحجار الهامة والطوب، وأما كرب إيلو فهو
الكراب كرب إيل بين)، فإن كان الآشوريون قد أطلقوا عليه لقب ملك،
فليس لذلك من تعليل سوى أنهم كانوا يجلون ألقاب حكام سبا في تلك الفترة (3).

و جاء بعد كرب إيل بين وليود دمارة على وطار، ونقرأ في نقش (4)
أنه أمر بتوزيع مدينته نشقا فيما وراء الحدود التي اعتنقت أبوه، كما أمر
بتحسين وسائل الري وباستصلاح الأراضي المحيطة بها واستغلالها في الزراعة،
و إن جعل ذلك مقصورا على السبيهين، على أن الاهتمام بمدينة نشقا (المدينة
الأصلية) كما يدل على مدى اهتمام حكام سبا باستصلاح الأراضي البرية فيها،
فقد توزيعها على السبيهين من أتباعهم، وبالتالي تحويلها إلى مدينة سبية بمرور الوقت (5).

وهناك على مقربة من مأرب، توجد فتحة لتنظيم تصرف المياه التي كانت
تسر في القناة اليمنى (إحدى القنوات التي كانت تخرجان من مأرب) وما زالت

A.L. Oppenheim, ANET, P. 286.
J.B. Philby, op. cit., P. 141.
F. Hommel, Grundriss, P. 580.
EB, 19, P. 785
D. Nielsen, op. cit., P. 76.

(1) تجيب ميخائيل: المرج السابق ص 175، وكذا
(2) جواب علي 279/2، وكذا
(3) جواب علي 280/2، وكذا
(4) جواب علي 279/2، وكذا
(5) جواب علي 280/2، وكذا

- 778 -
يا بقية جداريها المشيدين بالحجر، بقية حتي الآن في الجهة الجنوبية من المدينة، وهي أمام الباب الرئيسي من السور الذي كان يواجه مربع أوام، أو محرم بلقب، وعلى الجدار الشمالي من ذلك الأثر النتقش رقم (1-44) وقد جاء فيه أن مكرم سيد ذمار على وار، بن كرب ايل (الذي عاش في القرن السابع قبل الميلاد) هو الذي بنى هذه الفتحة، أمام هیكل الإله عثر.

وجاء بعد ذمار على وار، ولد سمه على ينوف، الذي ينسب إليه أنه صاحب فكرة ومنذد أكبر مشروع للري عرفته بلاد العرب، وذلك بالرغم من أن سكان مأرب كانوا ذوي خيرة بفونر الري، إلا أن سدودهم كانت بدائية، حتى جاء سمه على ينوف، وأحدث تطورًا في وسائل الري، وذلك حين شيد سد رحب للسيطرة على مياه الأمطار والإفادة من السوائل، وهكذا بدأ المشروع العظيم، والذي عرف في التاريخ باسم سد مأرب، والذي مما على الأقوم حتى اكتمل في نهاية القرن الثالث الميلادي على أيام شمر ببرعش، فنظم وسائل الري وأضاف مساحات كبيرة للأرض الزراعية.

وتعرف من نقش (جلازر 145) أن سمه على ينوف، قد ثقب حاجزا في الحجر وفتح ثغرة فيه لمرور المياه إلى سد رحب، ثم إلى منطقة يسرن التي كانت تغذيها مسائل وقواف عديدة تأتي بالياه من حوض السد، وتبلغ مياهها من مسيل ذات، فتغذى أنها كانت، وما زالت، خصبة، يمكن للقوم الإفادة منها إذا ما استعملوا الآلات الحديثة لإنجاز المياه.

وليس هناك من شك في أن عهد سمه على ينوف من أهم عهود مكاربة سيا، فيما يتصل بالتاريخ لسد مأرب، وأن أقدم ما لدينا من وثائق عنه، إذما

R.L. Bowen and F. Albright, op. Cit P. 73.
D. Nielsen, op. cit., P. 79.
H. Von Wissmann and M. Hofner, op. cit., P. 27.

(1) حوار علي 286/2، وكدذا.
(2) جواب علي 286/2، وكدذا.
(3) جواب علي 286-287، وكدذا.
(4) جواب علي 286/2، نزل مؤيد العظم، رحلة في بلاد العرب السعيدة ص 88.

- 279 -
يرجع إلى عهد هذا الكرب ، ربما إلى حوالي عام 750 ق.م ، على رأي (1) ، وحوالي عام 700 ق.م ، على رأي آخر (2).

وسار ولده وخليفته يبلغ أمر بينه على سنته ، ويدعو أن سد رحب لم يف بجميع احتياجات الأراضي الصالحة للزراعة ، ومن ثم فقد عمل يبلغ أمر بينه على إدخال التحسينات على هذا السد ، وإنشاء فروع له ، ومنها فتح ثغرة في منطقة صغيرة حتى تصل المياه إلى أرض يسرن ، هذا إلى جانب تعلية وسد رحب وتفريته ، أضيف إلى ذلك بناء سد هباذة ، وهو أكبر من سد رحب ، والذي كان على الأرجح الواجه الأخرى على اليسار (3) ، كما أقام سده إفجار العروف باسم سد حباذة الذي مكن الأرض من الإقامة بأكثر كمية من المياه كانت تجري عبثا ، فلا تفيد زرعا ولا ضرعا (4).

ولعل هذا كله هو الذي دفع بعض الباحثين إلى اعتبار يبلغ أمر وأبيه وسمه على ينوف المؤسسات الحقيقية لسد مأرب ، والذي يعتبر أكبر عمل هندي شهدته بلاد العرب في تاريخها القديم ، وقد تم هذا العمل في القرن السابع ق.م ( فيما بين عامي 650 ـ 630 ق.م ) ، هذا وقد كان من أثر الاهتمام بإنشاء السدود وتنظيم الري ، أن زادت مساحة الأراضي الزراعية ، وخاصة حول مأرب ، مما كان سببا في الإزدهار من شأنها وزيادة سكانها ، وما كان الريب الاقتصادي في صيالة يعتمد في الحياة النباتية - وليس الحيوانية - فإن الاهتمام بتنظيم الري إذا كان سببا في الريب الذي ساد البلاد ، فإن تلك الفترة ، وجعل من مأرب مدينة مزدهرة ، وبالتالي فقد وجد الصورة الرومانية لبلد العرب في عقود المؤلفين الكلاسيكيين .

R.L. Bowen and F. Albright, Archaeological Discoveries in South Arabia, 1958, P. 75
EI, 3, P. 290.

(1) جوايد على ٢٨٦/٢

R.L. Bowen and F. Albright, op. Cit., P. 75.
EI, 3, P. 290.

(2) جوايد على ٢٠٠٠ /٧ ، وكذا

٢٨٦/٢

(3) أحمد فخري : المرجع السابق ص ١٨٣ ، جوايد على ٢٠٠٠ /٧ ، وكذا

وكلما

(4) فؤاد حسن : المرجع السابق ص ٢٩١ ، وكذا

٧٨٠
فأطلقوا عليها "بلاد العرب السعيدة"، وهكذا أصبحت مأرب تتازع صروح مكانتها أول الأمر، ثم احتلال هذه المكانة بعد حين من الدهر، فقدت عاصمتها وسياها، وصاحبة معبد بالإله الموقتاً، إله سيا الكبير (1).

هذا ولم يكن نشاط مربع أمير مقصوراً على التواحي الاقتصادية نحسب، وإنما تعداه إلى التواحي الحرية، ومن ثم فإن نقاً في نقل (فليج) أنه سُرّ حربه وحصن قلعته (2)، وأنه قام بحملات عسكرية ضد القبائل والدوائل المجاورة، التي بدأ الضعف يتصرف إلى كيانها، وأخذت حكوماتها تسير نحو الزوال بخطى حشية، فظلت النفوذ التي عثر عليها في مأرب، فإن مربع أمير قد هاجم قبائل على أيام ملكها، وسمه وتره، وقتل منها قرابة أربعة آلاف رجل، ولم يكن حظ همٍّ معين بأنفسع من ح졌 قبائل، وإن كنا لا نعلم عدد الضحايا من أبنائها، إلا أن نعرف أنه قد تاب انضماره عليها بنصر آخر أحرزه على القبائل والمدن التي لم تكن قد خضعت بعد حكومته، حتى وصل إلى أبجان، وهناك وعلى مقربة من أبجان دارت رحى الحرب بينه وبين "مهدرب"، ومهدرب، ومهدرب، ومهدرب، ومهدرب، حتى قتل من أعدائه 45 ألفًا، وأسر 23 ألفًا من الرجال، واغتال 12 ألف رأس من اللؤلؤة، ودرهم عدداً من المدن والعريضة، وقامت بين رجمت وأبجان (3).

وأما النشاط الدنيء، فقد أسهم في بناء ومعبد نسور، ومعبد علم، ومعبد، في بيدان،، هذا فضلاً عن معبد للإله "ذات حيم" في "حفص"، وعده أبناء بإزاء معبد "دهب"،، كما أقام مذبحاً عند باب "نوم"، للاحتفال بموم "صيد عثر" الذي لا نعرف عنه شيئاً، وإن كان يبدو أن مكارية سيا إنما كانوا يحتفلون بالصيد.

---

(1) J.B. Philby, op. cit., P. 39.
(2) I. Shahid, op. cit., P. 10
(3) J.B. Philby, Sheba's Daughters, P. 445.
(4) Le Museon, LXII, 3-4, 1949- P. 249.
(5) D. Nielsen, op. cit., P. 81.
في مواسم معينة، ثم يعتقدون صلة بين هذه المواسم وبين الآلهة، ربما إيقاظا مرضاة هذه الآلهة، ورغبة منهم في أن يمنحهم صيداً وفيراً.

واجه بعد "بُنَيع أمِر"، "كرب إيل وتار"، والذي يعد عهد من العهود الحاسمة في تاريخ سبا، فهو بمثابة خاتمة لعهود المكرمين، وفاتحة لعهود ملوك سبا، أو يعنى آخر، الإنتقال من حكومة دينية إلى حكومة مدنية، حيث بدأ الحكام السبئون يخلون لقب "مكرم"، والذي ربما كان يعني أمير كاهن أو الكاهن الأكبر، وربما الملك الكاهن، مما يشير إلى الأساس ألى ديمقراطية، التي قامت عليه الدولة، وعلى أي حال، ففي أخريات عهد هذا الحاكم السبئي، "كرت إيل وتار" أبدأت الدولة تتحول إلى حكومة دينية، وأصبح رئيسها يحمل لقبملك.

وبرى فليي أن "كرت إيل وتار" قد حكم في الفترة (720-600 قم)، وأنه غيّر لقبه من مكرم إلى ملك حوالي عام 710 قم، بينما يرى آخرون أنه حكم في حوالي نهاية القرن الخامس قم، وبعد تقتضي النصر في صرواح، والذي يعطي وجهة جدار مشيد من الممرق قائم في يهو المبعد، من أهم مصادر التاريخ اليمني، ذلك لأن صاحبه "كرت إيل وتار" قد دون فيه كل أعماله الحربية والدينية.

وبدأ النص (الذي تعد دراسة "نيكولوس رودканاكيس")، يتناولملك السبئي الشكر للآلهة السبئية التي أغدقتهم نعماها عليه. فوجدت

Le Museon, LXI, 3-4, 1948, P. 184.
J.B. Philby, op. cit., P. 40, 141.
H. Von Wissmann, and M. Hofner, P. 9, 22, 25, 142.
N. Rhodokanakis, Altsabaische Texte, I, P. 19F.
صفوف قومه ؛ وبارت أرضه ؛ وهبها أمطاراً سالت في الأودية وماعدها على
إنشاء السدود وحفر الفنوات ؛ لري الأرضين التي لم تصلها المياه ؛ ومن ثم فقد نهر
الدبابات وقدم القرابين لللقاء - الموقعة وعثر وهموس -
ويتقلل النص بعد ذلك إلى مجال السياسة والحوروب ؛ فحدثنا كيف أن ؛ كرب
إيل وطار قام بفتحات كبيرة في البلاد المادرة وانصر على ساء ورقة ؛
وأحرق جميع مدن معاصر ؛ وقهر ؛ ودير ؛ وضم ؛ وأروى ؛ وأحرق منهم
وقتل منهم ثلاثة آلاف وأسر ثمانية ؛ وضاف عليه الجوهرة التي بدفعتها - ومن
بينها القرى والماعز - هذا فضلاً عن انتصاره على ذبحان ذو قصر ؛ وعلى شرف
وإحرق منهم ؛ كما أستولى على جبل عثمان ؛ ووادي صير ؛ وجعلهم وقفاً
للإله الموقعة ؛ ولبني قومه من السبتيين (1)
ولعل من أهم حروبه تلك التي استمر أوارها بينه وبين أوسان ؛ (أوزان) ؛
والتي كان من جرائها قتل 16 ألف ؛ وأسر 30 ألف من أوسان ؛ وهي دولة
صغيرة قامت في جنوب بلاد العرب ؛ ثم سرعان ما بدأت تنافس سيا نفسي من
ناحية ؛ وحضمرموت من ناحية أخرى ؛ بعد أن ضمت إليها عدداً من الحلفاء مثل
سعد ومعافر ؛ وإليكم دينه ودهس وتبن ؛ وسائر القبائل النازلة هناك شرقاً حتى
حضمرموت ؛ وأما سبب تلك الحروب بين سبا وأوسان ؛ فيرجع إلى أن حضمرموت
وقد كانا حليفين ساباً ؛ فتقدم ملك أوسان واستولى عليها ؛ ومن ثم فقد وجد
كرك إيل وطار نفسه مضطراً للاستراحة حلفائه ؛ وكذا أتى إلى أوسان وأعمل
السيف فيها حتى أخضعتها ؛ والأمر كذلك بالنسبة إلى دهس وتبن ؛ حيث قتل
منهم ألفاً وأسر خمسة آلاف ؛ وأحرق كثيراً من منهم ؛ ثم ضمها إلى سبا ؛
ثم أعاد إلى الحضارة والقبائلين ما كان لهم من أمللاك في أوسان (2).

---
(1) جواد علي 288/2
(2) أظهر: فؤاد حسين: المراجع السابق ص 191 ؛ أحمد فخري: المراجع السابق ص 164 ؛ جواد
علي 289/3 290
---
783 -
وبكيت الميركزящихة، بعد ذلك إلى معين، وطبيثا لما جاء في وقش صريح، فإن مدينة دنشان (خريقة السوداء) قد عطرت وكرب إيل وثار، ونماضته المعدان، ومن ثم فقد أرسل إليها جيشاً يتجه في إيقاف الجريمة بها، كما نباه عشر، و بيجان، ومجاوراتها، إلا أن دنشان سرعان ما أعلنت الثورة من جديد، غير أن ثورتها هذه لم يكتب لها نصيباً من نجاح، فضرب المحرار على دنشان، قراءة أعوام ثلاثة، إنها بفريها إلى سيا، وسقط ألف قتيل من دنشان، فضلاً عن الاستيلاء على أراضيها الزراعية والسائدة التي تنظم الدوام فيها، إلى جانب إسكان السبيتين فيها، وبناء معد للحنيفة (1).

ويتحدث نقش النصر بعد ذلك عن مدن دسميل، و هرم، و فن، وأن الملك كرب إيل وثار، قد أرسل إليها جيشاً كتب له نقشًا مؤزراً عليها، وأن ملكها قد قتال في المارك التي دارت رحبا بين جبه وأهل تلك المدن، كما أسقط منهم ثلاثة آلاف قتيل، وأسر خمسة آلاف، وغنم السبيين 50 ألف رأس من الماشية، وفرضوا الجزية على أعدادهم، فضلاً عن وضعهم تحت الحماية السبيبة (2).

ويشير آخر النقش إلى حمله كرب إيل وثار، على تجران، فيحدثنا عن أهل مه مأمر (مهام) و مه أمرم، و عوه، وكيف أن الملك السبي، قد عزمهم، وقتل منهم خمسة آلاف، كما أسر إلي عشر آلاف طفل، وغنم إلي عشر رأس من الماشية، وأن مه أمرم، قد أحرقت وصودرت مياهها، وفرضت الجزية على البقية الباقية من سكانها (3).

وأما الوجه الآخر من النقش، فيقوم لنا بياناً بأعمال التحصينات التي قام بها كرب إيل وثار، لتحصين مدن مملكته، كما يتحدث كذلك عن ممتلكات

---
(1) جواب علي 297/2، أحمد فخري: المرجع السابق ص 134.
(2) جواب علي 297/2، وكذا.
(3) جواب علي 294/2.
المملوك الذي دانوا لطاعته ، وعن خزانات المياه التي أصلحها أو شيدها ، وحدود النخيل التي قام ببنائها.

وهكذا كانت حروب كرب إيل وثأر ، فاتحة عهد جديد في تاريخ اليمن القديم ، وأصبح ملك سباً ملكاً على اليمن بأكملها ، بما في ذلك حضرموت وخيران ، وما كان يسوي بالمحمات ، واستمر ذلك الملك الواسع الكبير لسنا عدة قرون. إلا أن هذه الحروب من ناحية أخرى قد أضررت كثيراً بسلاهم اليمن ، فقد أحرق فيها كرب إيل وثأر الكثير من المدن ، كما قاتل الكثير من أبنائها ، مما أدى إلى تدهور الأحوال في اليمن ، وفي بقية العربية الجزوية ، إلى اندثار الكثير من الأماكن بسبب إحرقاتها ، وأهلاك سكانها.

في تلك الفترة - وواحدة من أهم المدن السبهة لعدة قرون بعد ذلك - وقع الآن في موضع "الحيرة" أو "صروح الخوبة" ، ما بين صنعاء ومارب ، هذا وقد تردد ذكرها في أشهر العرب ، وصفها المنداني بأنها لا يقارن بها شيء من المعافذ المختلفة ، كما جمع الكثير من الشعر الجاهلي والإسلامي الذي ورد فيه اسمها . وفي هذا كله دلالة على أهمية تلك المدينة القديمة ، وعلى تأثيرها في نقوس الناس. تأثيراً لم يستطع الزمن أن يمحوها بالرغم من أطول تجهم قبل الإسلام.

وورو الإخباريون أنها حصن باليمن ، وأن البنج قد برهن لقب الصليح سباً وخنجر على أمر من سليمان عليه السلام. ولا ريب في أن هذا من نوع الأساطير.

أحمد نخري : المرجع السابق ص 114.
(1)
جربع علي 1998/2.
(2)
أحمد نخري : المرجع السابق ص 160 ، الهذلي : صفة جزيرة العرب ص 110 ص 103 ، 404.
(3)
الإكليل : 46 / 27 / 26 / 100 ، 46 / 100 ، 46 / 110 ، 46 / 26 ، 46 / 46 ، 46 / 100 ، 46 / 110 ، 46 / 110.
(4)
الهذلي : صفة جزيرة العرب ص 110 ص 103 ، الإكليل : 48 / 100 ، 48 / 100 ، اللسان.

780 –
التي لعب الخيل فيها دوراً كبيراً، فضلاً عن جهل فاضح بالتاريخ، إلى جانب أثر
الإسرائيليات في إرجاع أي أثر لا يعرفون صاحبته إلى سلمان وإلى جن سليمان.

وتوجد المناطق الأثرية في صرواح في ثلاثة مناطق متماثلة، واحدة منها هي
منطقة البناء (مكان البد القديم)، والثانية هي منطقة "القصر" وهي قرية حدودية
البناء استخدموا في تشييد بعض مساكنهم أحجاراً من المعابد - أما الآثار الباقية المهمة
في منطقة "الخربة" (1)، على أن أهم آثار صرواح إنها هو المعبد الكبير، معبد
إله القمر (الوقاعة)، الذي استدأت إحدى ناحيتها، فجعلته من بناء نصف بيضاوي
الشكل، ولا يمكن معرفة التصميم الأصلي للبناء الذي يبلغ ارتفاع جدرانه أكثر
من عشرة أمتار، إلا بعد عمل الحفائر حوله وتوظيف داخله، لأنه قد استخدم خلال
قرون طويلة كحصن في العصور الوسطى، وفتحوا فيه بعض المداخل، كما سدوا
بعض أبواب القديمة، واستخدموا كثيراً من الأحجار الكبيرة في تلك الترميمات.
هذا وقد زار أستاذنا الدكتور أحمد فخري ألقاب معبد الوقاعة، وصور عددًا كبيرًا
من التقوس التي ترجع بعضها الأستاذ د. ريكمانز (2)، هذا، وإلى جانب معبد
الوقاعة، توجد بقايا عدة مبان أخرى، نقصت بعض أعمدها بالكتب، فهناك
دار بلقيس، ومعبد يفان، الذي قال خطوة كبيرة لدى المكارية (3).

(1) أحمد فخري: المرجع السابق ص 159-160
(2) أحمد فخري: المرجع السابق ص 161-162
D. Nielsen, op. cit., P. 78.
(3) نزيه مديد العظم 24/7، وكذا

- ۴۸۶ -
ثانياً : عصر ملوك سباً

لعل أهم ما يميز هذا العصر أمران : الواحد : إنتقال العاصمة من صرواح إلى مأرب، واتخاذ قصر مسلحين السهير قاعدة للعرش السبئي، وآخراً : أن حكام سبا بدأوا يتخلىون عن لقب مكرب، ويتحدون بذلك لقب ملك، مما توقيت هذا العصر فوضع خلاف، فبينما يذهب "همول" إلى أنه إذا كان في الفترة (150–115 ق.م.) أو حتى عام 109 ق.م. فيما يرى ريكمانز (1) يذهب فيه إلى أنه بدأ في عام 110 ق.م. وأن "كرب إيل وثار" إذا كان في الفترة (120–110 ق.م) مكرباً سباً، وليس ملكاً لها (2) ويتجه "أوبرابيت" إلى أن ذلك إذا كان بعد فرنين، وأن "كرب إيل وثار" قد حكم كملك في حوالي عام 550 ق.م. وبالتالي فإن عهد ملوك سباً إذا بدأ في تلك السنة (3).

وأياً ما كان الأمر، فالذي لا شك فيه أن "كرب إيل وثار" هو أول ملك هذه الفترة، ومن الثابت تاريخياً أن هذا الأمير الفرعي الذي نستطيع أن نقول عنه أنه المؤسس الحقيقي للملكية السبئية كان يحتفظ كذلك بلقب "مكرب" المقدس، كما احتفظ به الذين جاوزوا من بعده - وربما كان لقب مكرب السبئي هذا أصلاً لقب أمير قبائل (4).

وكان اسمه على ذريح هو الملك الثاني (5) وقد ذهب "فاني" إلى أنه ربما كان إتنا لسلفه، وأن حكمه قد بدأ حوالي عام 600 ق.م. تم جاء من بعده ولده

(1) فريتز هويل : المرجع السابق ص 87، جواب علي 2/315.
(2) J.B. Philby, op. cit., P. 141.
(3) BASOR, 137, 1955, P. 38
(4) وكذا: JAOS, 73, 1953, P. 40.
(5) فريتز هويل : المرجع السابق ص 87-88.
(6) Le Museon, LXII, 1-4, 1949, P. 249.
(7) J.P. Philby, op. cit., P. 142.
وشرحه، وقرأ في نص (CIH, 374) أنه أقام جدار معبد الإله الموقَّاة في
محرم بلقبس في مأرب، ورمم أبراجه، وأدى ما كان قد نذره للمرقاة وعشر
وهبوس وذات حميم، وأنه أقام هذا النصب تخليداً لذكرى وله، سمع على ذريح،
هذا وقد سجل هذا الملك اسم شقيقه كرب إيل، الذي لا يعرف عنه شيئاً،
وإن كان هو ميل وظيفاً من بعدها - إنما جعله خليفة لوالده، بينما جعله
السرح خليفة له، كما بدأ «فلبي، حكم كرب إيل» هذا، عام 980 ق.م. (1)
وانتقل حكم سبا بعد ذلك إلى يدعى إيل بين، الذي يرى بعض الباحثين أنه
إذا حكم في أوائل القرن الرابع قبل الميلاد، معتمدين في ذلك على ذكر اسمه - وكدأ،
حصن إيل في نقش (جلازر 105) الذي يرون أنه يرجع إلى هذه الفترة (2)،
وإذا كان فليبي يرى أنه حكم في الفترة (980–650 ق.م.) (3)، فإن هذا كان
ذلك كذلك، فإن سبا لا بد وأنه تكون قد فقدت قねرها في شمال بلاد العرب
في تلك الفترة من القرن السادس قبل الميلاد، لأننا نعرف أن «نودد» (4)
939 ق.م)، - ذلك الملك المشهور الذي اشتهر في التاريخ القديم بحبه للآثار وعنايته
بها - فقد قضى عشر سنوات في تماها، في شمال بلاد العرب (5)، بعد أن قام بحمله
المشروع الذي أخضع فيها تماها وديدان وأثريرو (زرب = المدينة المنورة)
وكتب فيها العرب خسائر فادحة (6)، ثم أقام قصراً في تماها بقي فيه حيناً من الدهر
حيث أصبحت تماها وكأنها قد غدت خليفة لبابل (7)، ولم يعد من تماها إلا في عام

D. Nielsen, op. cit., P. 87
J.B. Philby, op. cit., P. 142.
A. Gardiner, op. cit., P. 363.
A.R. Burn, Persia and the Greeks, P. 38.
P.K. Hitti, op. cit., P. 39
R.P. Doughterty, Nabonidus and Belshazzar, P. 106.

288
عندما دعا وعا وعا الذين كان على خلاف معهم طوال تلك الفترة إلى قضاها في تيماء، وربما كانت عودته من هناك بسبب التهديدات القارية لبابل.

وعلى أي حال، فقد جاء بعد يوم، إيل بن، ولده يكر بمكر وثائر، ولدنا من عهد قتش (هاليفي 51)، وهو عبارة عن وثيقة تؤكد موافقتنا على قانون صدر أيام أبي بيح لشعب سبا - وكذا لقيلة - يبلغ معين - حق استغلال أرض زراعية في مقابل ضريبة معينة تدفع للدولة، فضلا عن واجباتهما تجاه الخدمة العسكرية، في أيام السلام والحرب سواء بسواء، كما أشار القانون إلى وضع قيلة.

وأربعا، التي كانت تتبع بالحكم الذاتي، وفا رؤساء يحملون لقب ملك،(2).

وأوجا بعد ذلك، يبلغ أمر بين، وقد جاء إسمه في عدة كتابات تنص بتقديم قرابين للإله، بل وأواته، والإله، وعثر، وإن كانت الكتابة التي سجلها، يتع كرب، كان الله، ذات خضر، تتحدث عن ثلاثة ملوك (يدعو إيل بين، يكر ملك، يلغ أمر بين)، وعلى أي حال، فإن الكتابة إما تروى قصة الدور الذي قام به صاحب، يتع كرب، كتفاند، عسكري، في الحرب التي أشعلت نيرانًا فينوات ضد سبا، إلا أن هذا القائد الكاهن تجعل في أن يصد هجوم الغزاة، وأن يستر الأراضي التي استولوا عليها، وأن يضع شرطًا للصلح بين سبا وقنان، ثم يرسلها إلى يلغ آخر بين في مبار، حيث تمت الموافقة عليها، وأخيرًا يسجل هذا النص، ثم يضم في معبد الإله الموت، المعروف عند السبئيين، ينعت أواب يت الموت، تمجيدًا لإله سبا الكبير، وتخليداً لذكرى عمله إيليل إل هذا.(3).

R. P. Dougherty, op. cit., P. 107
A. Gardiner, Egypt of the Pharaohs, P. 363، وكذا CAH, 4, P. 494، وكذا
J. Halevy, in JA, 1872, P. 137
جواب على 1/2، وكذا
J. Halevy, JA, II, 1874, P. 581، 584.
جواب على 2/2
R. L. Bowen and F. Albright, Archaeological Discoveries in South Arabia, P. 222
ثُم جاءَ كُرب إِيل وُتارٍ، ولَدِينا مِن عِهْدَتِهِ عَدَّةَ كِتَابَتٍ، مِنْ هَـا ما يَتَصَلُّ بِطُريِقَةِ جُمعِ الْضَّرَابِب – وَهَـيْ أَمْرٌ قَدْ أُمِرَ أَلَيْهَا الْقُبَّـيَّةَ بِهِ إِلَى رَؤْسَاءِ الْقُبَّـيَّةَ – وَمِنْ هَـا ما يَتَصَلُّ بِالْأَمْهَالِ الزَّرَاعِيَّةِ مِنْ بَنَاتِ السَّدِّوِدِ وَحُجِّرِ الْقَنَاطِرِ، كَـا وَرَدَّ إِسْمِ الْمَلِكِ مَعَ إِسْمِهِ سَمَّى عَلَى هِجَادٍ عَلِيٍّ (2826) (1).

وَهَـنَّاكَ كِتَابَةٌ تُرَجِّعُ إِلَى أَيَامِ ذُمَار عَلِيٍّ، بِنِ يَدَعُ إِيل وُتَأَرٍّ – وَكَذَا إِسْمِ ابْنِهِ الَّذِي ضَعَّتْ حَوْرَفَةَ – وَفِيهَا ذُكُرَ لَآَلِهَةِ سَبَا وَمَعِينَ فِي نَسَبِ الْعَرْفُ، فَإِذَا مَا ذَكَّرْنَا أَنَّ الرَّجُلَ مِنْ هَـوَّانٍ (وَهِيْ عَشِيرَةٌ مِنْ سَبَا) حَـيْثُ يَـبِتُ فِي ذُمَارٍ (بِيَتِ نَمْرَانِ الْخَالِيَّةِ)، وَمَـنْ ثُمَّ فَقَدْ امْتَلَأَ هُؤُلَاءِ البَـلَدَيْنِ، مَـا كَـانَ سَبَاً فِي ذُكِرِ الْأَلْهَةِ مَعِينَ عَلَى لِحْيَةِ سَبَا، وَرَبَّمَا كَانَ مَلِكٌ سَبَاً الَّذِي أَسْمَكَ هَـذِهِ الْجُمْهُورِ مِنَ الْعَرْفَيْنِ عِنْدَهُ، نَقَّبَ فِي مَعِينٍ، وَلِلْدِّفَاعِ عَنْهَا بَعْضَهَا مَعْهَا (2).

وَجَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ عَدَّةَ مُلَكِ مِنْ هَـمَّا كِرْبٌ يَـبِهَمٌ، وَذَنَّ كُرب إِيل وُتَأَرٍّ، فَمَـا أَتاَيْرَ بِهَـمِّ (أَتاَيْرَ يَـبِهَمْ)، الَّذِي صَدَّرَ لَهُ قَبَلِ الْفَتْرَةِ (290–270 قَ.م.) (3)، وَإِنْ ذُهِبَ فَوَن فِيْسِمَانٍ إِلَى أَنْهُ حَكَمَ فِي الْقُرْنِ الأَوْلِ الْقِبْلِ الْمِلَادِ (حُوَّالَيْ عَامٍ 60 قَ.م.) (4)، ثُمَّ جَاءَ مِنْ بَعْدِهِ وَلِدِهِ ذُمَارٌ عَلَى ذَرِيَّةٍ (5).

وَاتَّلَقَ الْمَرْشِدُ إِلَى ذَنَّ كُرب يَـبِهَمٍ، وَكَذَا مَا يَدِلُّ عَلَى نَقَّبِ إِسْمِ الْإِلَهِ عَضِّ ذِي ذَمْبٍ، وَقَدْ أَصَابَهَا أَصْبَحُ الْلُّذَّفِ، وَأَمَّا عَدَّةَ مُلَكٍ، وَأَنَّ الرَّجُلَ قَدْ قَدَّمَ إِلَى أَنْهُ رَبِّي ذَي غَضَرَانٍ أَرْبَعَةَ وَعِشَّـرَاتٍ وَثَلَاثَا، بِغَيْرِ أَنْ تَـبَعَ الْقَـضَّةَ عَنْهُ وَعَنْ أَهِلِ بَيْتِهِ، وَبَـيْحَ عَثْرِهِ وَالْمَوْقِعَةِ، وَبَـحَقُّ شَـمَشِيْنَ تَـقَـفَّرَ ذِي غَضَرَانٍ، وَفِي هَـذِهِ دَلَّةٌ عَلَى أَنَّ الْمَعِيدَ الَّذِي قَدَّمَ فِي هَـذِهِ الأَصِنَامِ، إِنْما كَانَ فِي

REP, EPIG, VII, I, P. 75, II, P. 151.
Le Museon, 1964, 3-4, P. 436.
J.B. Philby, op. cit., P. 88, 142f
هذي غضران و أنه قد خصص للإله الشمس الفائقة وأن كلمة تنف إما
هي صفة لها (1).

وهناك نقش يشير إلى أن أعرابا قد أغاروا على جماعة من السبئيين، وربما أرض سبا نفسها، وأن الملك قد أرسل قوة من الجيش ومن الأهلين، إلى أرض هؤلاء الأعراب، نجحت في استعاد ما غنموا من أسلوب وأسرى، وأن صاحب النقش (أبو كرب بن أسلم) قد قدم متايلين من البرونز للموقا تغليداً لذكرى هذا الحادث، وشكراً للإله على نجاته، وبعد هذا النقش من أقدم نصوص المستند التي تشير إلى الأعراب وإلى غراهم على السبئيين وقوافلهم، وإن كنا لا ندري أين كانت مساكن هؤلاء الأعراب، ذلك لأن الأعراب موجودون في كل مكان في شبه الجزيرة العربية، ومنها اليمن (2).

هذا ويجه بعض الباحثين إلى اعتبار نشأ كرب بهامن من قبيلة همدان من همدان، معتمدين في ذلك على أن اسمهم من الأسماء الهندامية المعروفة، بينما يرى آخرون أنه من بنى جرث من قبيلة سههرة (سهرام)، ويعارضون في أنه آخر الأسرة السبئية الحاكمة، بل ونراه كذلك في ريب من أن آباه كان ملكاً فعلياً في سياق (3).

هذا وتبني لنا التصور أن الملك إما كان يقيم في قصر سلحيون بمارب، وأنه حكم في الفترة (175-160 ق.م) فيما يرجى جام وأنه كان ينقر إلى شمس تنف ربة غضران حتى إبان إقامته في مأرب في قصر سلحيون، مما يدل

Handbuch, I, P. 90.
Osiander, in ZDMG, XIX, 1865, II, P. 261
A. Jamme, Sabaen Inscriptions from Mahram Bilquis (Marib), 1962, P. 270.

Le Museon, 1967, 1-2, P. 279
A. Jamme, op. cit., P. 272.

(1) جوايد ميل 2/377-378 / وكذا أنظر :
(2) جوايد ميل 2/377-388 / وكذا
(3) جوايد ميل 2/377-388 / وكذا
ولا يمكنني قراءة النص العربي من الصورة المقدمة.
وأيا ما كان الأمر، فإننا الآن أمام ظاهرة جديدة، تبدو واضحة من النصوص التي يتحدث فيها ناصر يأمن، وشقيقه صديق ييب، بصراحة على أنها من هدمان، مما يشير إلى أن قبيلة هدمان أصبح لها المكانة الأولى بين القبائل، حتى أن أمراءها أصبحوا يلقبون أنفسهم بلقب ملك، متحدين بذلك سلطة ملوك سبأ.

ويرجع الأخباريون نسب قبيلة هدمان إلى أوسيلة بن مالك بن زيد بن أوسيلة ابن ربيعة الخياير بن زيد بن كهلاس على رأي، وإلى هدمان بن مالك بن زيد ابن أوسيلة بن ربيعة بن الخياير بن مالك بن زيد بن كهلاس على رأي آخر، وترجع بطون هدمان إلى حاشد وبكيل، فما حاشد، فتفتت مواطنها في الأرض الغربية من هدمان، وأما بكيل فيما تمكنت المنطقة الشرقية منها، وأن الإثنين (حاشد وبكيل) من نسل جشم بن خيران بن نفف بن هدمان، وقد اتخذت هدمان من تالب ريام، إلإا لها، وسرعان ما ارتفع تجهمه بارتفاع تجهم هدمان، واغتصابها لعرش سبأ، ومن ثم فقد أصبح الناس يسقون له، كما يتبعون لموقعة إلإا سبأ، إلا أن هدمانيي سرعان ما تدركوا لإفساد هذا، ومن ثم نزاع، كما يقول ابن الكعبي (1) - يتبعون وقت ظهور الإسلام لصوم هو يعرق، كان له بيت في خيوان، ويجعلون تالب ريام، بشراً زعموا أنه جهم هدمان، وأن أباه هو شهان الملل، ثم زوجوه من ترة بنت يازل بن شريح بن سار بن أبي

A. Jamme, op. cit., P. 278. CIH, 287. وكذا.

(1) جراد علي 2/344، وكذا.

(2) ابن حزم: جمهور أئمة العرب ص 352، تاريخ ابن شلايو 3/252، تاج التروس 2/46، الباقية ال kabla 88، طبعة مكتبة الجمهورية بصرى، مختصرات ص 110، الإشتقاق 2/250.

(3) نهاية الأرب اتفاق شهاب 378، وكذا.

(4) الإكليل 10/216، مختصرات ص 377، تاج التروس 2/366، الإشتقاق 2/250.

Ency. of Islam, II, P. 246. وكذا.

(5) D. Nielsen, op. cit., P. 113.

(6) ابن الكعبي: كتاب الأسئلة: النافع 1966، ص 57.

-- 793 --
شرح يحبب بين الصوارات، وجعلوا له أولاداً منهم، يطاع، ويبارى (1).

وهكذا لعب الخيال دوراً قد يرضي أهل الأدب، ولكن لا يفقه وحقائق التاريخ.

وعلى أي حال، وأي ما كان نسب همدان، فإن هومه يقدم لنا، وهب ليل يبهز بعد "ناصر يأمن"، وقد تابه في ذلك "فلي" الذي رأى أن حكمه كان حوالي عام 180 ق.م، وقُرأ في نقش (جلازر 1238)، إشارات عن حرب دارت رحباً بين "وهب ليل يبهز"، وبين الرئيدين يقبادة "فمار علي"، بقيادة أناع عرش سنة (2)، ولعل مما تبدير ملاحظته أن نص (جلازر 1238، هذا، إنما يشير، ولأول مرة، إلى مدينة "صعاء" (صعفر)، التي سوف يرد اسمها بعد ذلك في نقش (جام 1242)، ويبدو أنها كانت ضمن أراضي قبالة "جرت"

وعلى مسافة قريبة جداً من حدود أرض قبالة "جرب" (3).

ومن عجب، رغم أن هناك العديد من التصورات التي تشير إلى "وهب ليل يبهز"، وإلى حروبه ضد الرئيدين، إلا أنه ليس هناك نص واحد يشير إلى "أبيه"، مما جعل البعض يذهب إلى أن أباه لم يكن ملكاً من الملوك - أو حتى قيلاً من الأقوياء البارزين - وإنما كان في غالب الظن واحداً من عامة الناس، وأن ابنه "وهب ليل يبهز" إنما نال ما ناله من قوة وسلطان عن طريق السيف، فربما كان واحداً من الثامنون على ملوك سياحياً زمن لا ندريه على وجه التحقيق، ثم كتب له تجيجاً بعيد المدى في مساعيه، فانقزع العرش من أصحابه، ثم لقب نفسه بألقاب الملوك، وجعل والده وأيضاً منهم، على أن الأمر لم يكن كذلك، إذ لو كان والده ملكاً

(1) الإكليل 86، 1993/199، المعرص 217، بلغ الأدب 2012، 116، 228/6، 227/1، تفسير ابن كثير 26، 267/6، تفسير أبي السعود 30، تفسير الطبري 336، 337، تفسير الجازان 2، البكري 314، البكري 2، جواب على 2، 227، 241، 250.


Le Museon, 1964, 3-4, P. 460.

(2) وكذا

(3) - 294 -
لمغفل التصور عنه، إلا أن يكون ذلك ما يزال في باطن الأرض، ولعل الإكتشافات، تأتي لنا بما يؤيد مزاوم وهب إيل يحز(1). وايا ما كان الأمر، فقد خلف وهم إيل يحز، ولده وأخياره من، الذي حد لتهجاء القطرة (145-130 ق.م)، غير أن غالبية المؤرخين لم تشر إليه، ووضعت مكانة كرب إيل وتار ينتعم(2)، الذي ورد في النصوص إسم إله جديد من عنه لم يكن معروفا من قبل، وهو الإله ذو سماوي أو ذو سماي، أي يصاحب السماء أو رب السماء(3).

ونقرأ في تفشي (جام) (16) إشارات عن ثورة قامت في مأرب، ذلك لأن صاحب النص (أَمْار) (من غيمان) كان - وهذا رأى (من مازن) - يحكم من قصر سليم في مأرب، يتفوق من الملك وأيمر منه، وأن هناك اضطراباً وقع في المدينة، ولدة خمسة شهور، وأن الحاكي لم يستطع أن يعيد الأمور إلى نصابها، إلا بعد الاستعانة بقوات من الجيش، هذا ورغم أن النص لم يشير إلى سبب هذه الإضرابات التي أحدثت بالمدينة أكبر الأضرار، فرجما كان السبب تعيين رجل من غيمان حاكمًا على العاصمة التي كان لهما يكون لهم أشد البغض، منذ وقت الحروب بينهم وبين غيمان، على أيام أَمْار يهابم شقيق كرب إيل وتار ينتعم، ومن ثم فروا ثارت العاصمة السببية بسبب تعيين أَمْار غياني، طالبة بخلعه، وأن الملك قد رفض أن يجيب القرم إلى سلؤهم، ومن ثم فقد اشتدت نيران الثورة إشعالا، ولم تستطع قوات الأنم القضاء عليها لمدة خمسة أشهر، مما اضطر الملك إلى أن يأمر بتدخل الجيش الذي أنهى الثورة(4).

A. Jamme, op. cit., P. 280, (1)
Le Museon, 1967, 1-3, P. 280 وكتبا
A. Jamme, op. cit., P. 281, 390 وكتبا
ZDMG, XIX, P. 269.
J. Halevy, Etudes Sabeennes, JA, II, 1874, P. 500 وكتبا أنظر;
A. Jamme, op. cit., P. 44, 47, 280 غياد علي ٢٣٩-٣٩٢، وكتبا
هذا، وبيرى البرت جام، أن حكم كرب إلى وتر ينفع. إنما كان في الفترة (130–150 ق.م.) أو في الفترة (115–100 ق.م.) ومن ثم فإن حكم وهب إلا يبزح وحكم إثني أفعال يهمن وكراب إلى وتر ينفع. وقد امتد فيما بين عامي 160، 15 ق.م. أو (160–100 ق.م.) (1).

بقيت كلمة أخيرة تصل بمدينة مأرب، عاصمة الدولة في هذه الفترة، وهي نفس المدينة التي جاءت في الآداب اليونانية والرومانية تحت اسم مارونيا أو (مرانيا) (2)، وبرى البعض أن لفظة مأرب مأخوذة من بارب (Martiab) ويرى البعض أن لفظة مأرب أخرج من بارب وربيل اللتين وردتا في التوراة، أو أنها أراملة الأصل مركبة من كلمتين ومضمونة في التوراة، أو أنها ملكة كبيرة، قبل أن تكون هي مأرب، على أن الصحيح غير ذلك، فسياً، إسم البلاد والأمة، ولم يكن بلدة أبداً، كما توهموا أنها إسم لقصر كان للأزرد باليمن، أو أنها إسم لكل ملك كان يلي سياً، كما أن شبعاً إسم لكل من ولي اليمن والشعر حضرموت (3).

وتقع مأرب على مسافة مئات كيلومترات من الشرق من صنعاء الحالية، وعلى ارتفاع 900 قدم فوق سطح البحر، وتقوم بلدة مأرب الحالية فوق جزء مرتفع من كور أثري كبير هو خرابات المدينة ذات الشهرة الذائعة الصادئة في التاريخ، وقد قدم لنا جوزيف توما أرنو، رسمًا تخطيطيًا للمدينة القديمة، وذكر أنها مستديرة وبها ثمانية أبواب، إلا أن وصف أرنو، إنما يحتاج إلى تعديل، فالمدينة مستطيلة ولم تكن في أسوارها إلا أربعة أبواب فقط، بوابة في وسط كل سور (4).

A. Jamme, op. cit., P. 390.
Pliny, II, P. 467.
P. K. Hitti, op. cit., P. 54.
J A, II, 1874, P. 11

(1) جبرعي زيادات: المرجع السابق ص 148.
(2) أنظر ياقوت 3/181، 388–240/5، 0، وكذا.
(3) أحمد فخري: المرجع السابق ص 166–165، 0، وكذا.
(4) 296
على أن هناك من يرى أن مأرب - شأنها في ذلك شأن صرواح - إنما كانت في الأصل مدينة ذات بابين فقط(1) ، ويبدو أن هناك أماكن كثيرة مكروفة في الجدران ، اعتبرها ظرف أرباباً أعياداً ، وسماءها بالأسماء التي كان يطلقها عليها الأهالي في أيامهم ، أما الباب الرئيسي في المدينة فقد كان في السور الغربي ، وهو الذي يسمى الآن باب المدينة ، وما زالت بقائمه موجودة ، وعلى كل من جانبيه أثار برج من الحجر ، وفي السور البحري باب آخر ، وهو الذي يستخدمه أهالي مأرب عند الخروج لدقن موتاه ، في الحياة الواقعة في الناحية البحرية من الحرائر ، ولذا سموا باسمها ، أي باب المجنة(2).

ومدينة مأرب - شأنها في ذلك شأن أغلب المدن الكبيرة في اليمن القديم - مدينة مسورة بسور قوي حصين له أبراج ، يمكن القسم من الدفاع عن مدائنهم ، وأن السور - طبقاً لما جاء في النقوش - قد بني من حجر البقر ، وهو حجر صلب قد من الصخر ، فوقه صخور من جرانيت ، ومن أسس أنها لا نعرف حتى الآن من النقوش التي تم الكشف عنها في مدينة مأرب ، إيم الملك الذي أسسها ، وربما كانت بعض أجزاء السور الحالي من السور القديم الذي يناده مكروبو سيابي القديمي ، وتعرف من نقوش كثيرة أن واحداً منهم (أبناء اسمه على يوب) قد بُنِى حائطًا حول مأرب ، كما نعرف من نقوش (تتراش ية 418 ، 419) أن ه كرب إيل وتار (من القرن السابع م) قد أضاف بعض الأجزاء إلى سور مأرب ، كما يُبنى بواطنين وبعض الأبراج(3).

ويروي الأخباريون أن مؤسس مدينة مأرب إنما هو سبأ بن يشجب بن يعرب ابن قحطان(4) ، كما أشارنا من قبل ، ويروي السهماني في الإكليل أنه كان بحبر

H. Von Wissman and M. Hofner, op. cit., P. 27.

(1) أحمد فخري : المرج الساقي ص 167-167
(2) أحمد فخري : المرج الساقي ص 167 ، وكذا ياقوتة 3/181 ، تاج العرب 1/169/169 ، ص 47 ، بلغ الأزب 1/121 ، تقييم روح الملافي 22/27.

- 297 -
ثلاثة قصور (سلحين والهجر والقشيب) وأهم تلك القصور وأشهرها هو قصر سلحين، الذي تردد ذكره كثيرًا في كتاب الأدب العربي على أنه قصر الملكة بلقيس، وكثيرًا ما أشاروا إلى أعمدها القائمة وقالوا إنه تحمل العرش، وإن قواها تحت الأرض مثل ارتفاعها فوقها، وهي 29 ذراعًا(1)، وأما خارج بلاد العرب فقد جاء إسم قصر سلحين في ألقاب ملوك السيدة التي اتخذها ملك أكسوم في تقسيمهم، ومنها لقب عيزان، الذي اعتنى العرش حوالي عام 328م(2).

ورغم أن هناك من يذهب إلى أن قصر سلحين إما كان في الخراب الواسعة في غربي المدينة، فمن الصعب علينا - عمومًا - إعتبادًا على أقوام الشعراء ومباني الكتب العربية - تحديد هذا القصر الذي يسمى الكتب العرب "قصر بلقيس"، ذلك لأن اليمنيين إما أعتادوا أن يطلقوا إسم بلقيس على كثير من المعابد في صرواح، كما أعتادوا أن يطلقوا كذلك إسم بلقيس على معبد بعلب بلقيس على معبد بعد عن خراب مدينة مأرب، بل إن إسم بلقيس كان يطلق أيضًا على آثار أخرى بعيدة عن منطقة أرض سها، مثل ما جاء في "معجم ياقوت" من أن عرش بلقيس إسم مكان على مسيرة يروم من دلمار(3)، حيث تقوم فيه ستة أعمدة من الرخام، ومن المرجح أنه يشير هنا إلى أحد المعابد التي كانت في مدينة "ظفار"، عاصمة الحميريين(4).

وهناك، وعلى مسافة أربعة كيلومترات إلى الجنوب الشرقي من مأرب الخالية، تقع خراب معبد الله المرقاة رب أوام، المعروف بحرم أحمدر بليق، وقد زار هذا المعبد "أرتو وجلازوت وزيه العظم وأحمد فخري"(5)، كما قامت

(2) "موكايلاك: المرجع السابق ص 245.
(3) H. Von Wissmann and M. Hofner, op. cit., P. 27.
(4) أحمد فخري: المرجع السابق ص 168، ياقوت/4، 101-110.
بعة المؤسسة الأمريكية لدراسة الإنسان بالخبر في هذه المنطقة بالذات، ومن ثم فقد تقل كثير من القروش، فضلاً عما اكتشافها البعيدة الأمريكية من بناء معمارية هامة، هذا وبرى بعض الباحثين أن هذا المعبد - مثله في ذلك مثل معبد الوقاة في صرواح، ومعبد الماجد بلاد مراد، والذي يقع على مبعدة 17 كيلومتراً من مأرب – إنما تم بناؤه في القرن الثامن ق.م.

وعلى أي حال، فطابًا لأقدم قروش الجدار الخارجي للمعبد، فإنه يقع على ذريع بن، شمته على ثاني مكارية سبا، هو الذي بني سور هذا المبعد المشهور هو معبد أوم، وأنه قد كرسه لإله القمر الوقاة، كما يسجل نقش آخر في الناحية الغربية من السور أن ذريع بن شريح بن، شمته على ذريع، ملك سبا، الذي حكم في القرن السادس ق.م (حوالي عام 650 ق.م) و«يرى أمر بين» بن يكرب ملك وطار، الذي حكم حوالي عام 630 ق.م، فقد أتمه بناء المعبد. هذا وهكذا تقوس أخرى من عصور أحدث للإنسان في مواقع خاصة في ذلك المعبد.

على أن القروش التي كشفت عنها البعيدة الأمريكية في عام 1952م، على مقربة من باب المعبد، إنما ترجع إلى عصور متاخرة، وبعضها يرجع إلى القرنين الثالث والرابع بعد الميلاد، أي أن هذا المعبد ظل يؤدي وظيفته في عبادة الإله الوقاة في مأرب قرابة ألف من الأعوام.

أحمد فخري: المرجع السابق ص 174، سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق ص 283، جواب على 84/84، وانظر كذلك: W. Phillips, Qataban and Sheba, 1955, P. 256F.

(2) N. Rhodokanakis, Studien, II, P. 7FF.


(4) أحمد فخري: المرجع السابق ص 175.
ولعل ما تاجدر الإشارة إليه أن هناك من يرى أن بقايا المعابد التي عثر عليها في رودسيا وفي أوغوندة، إنما هي من المعابد المتأثرة بفترة معبد أوام (محموم بلقيس)، فإن بين هذه المعابد جميعًا شيئًا كبيرًا في طراز البناء وفي المساحة وفي الأبعاد كذلك.

وهناك على مبعدة 1400 م إلى الشمال الغربي من محموم بلقيس، وفي المنطقة المعروفة باسم "المعابد" نرى خمسة أعمدة قائمة، بارتفاع الواحد منها خمسة أمتار عن سطح الأرض، و مقاس كل منها 82 x 13 سم، وقد أحاطتها بها المرابع من كل جانب، وطبقًا لما جاء في حجر مكتوب راء، أثرت عام 1843، نعرف أن اسم معبد العماد هو "باران"، وأنه، طبقًا لما جاء في نقش (جلازر 479) قد شيد للإله الموافت، وإن كانت الأعمدة الباقية، وكذا ما حوالها من نقوش، لا تستدنا على معرفة الملك الذي قام ببناء المعبد، أو حتى تحديد عصره بوجه عام، وليس أمامنا إلا الإنتظار حتى تجرى حفائر جديدة، قد تعرف منها ما هو في ضمير الغيب الآن.


(1) أحمد خوري، المرج السابق ص 172، وكذا

ثالثاً : ملوك سيا وذو ريدان

يتميز هذا العصر الثالث من تاريخ سيا، والذي يطلق عليه أحياناً عصر الدولة الحميرية الأولى، بأن الملوك قد حملوا فيه لقب «ملك سيا وذو ريدان»، ولعله يعني كما أشارنا من قبل - تحذيراً إلى ضم ريدان إلى سيا، وربما يشير إلى دولة قبائنا أو حمير (1)، غير أن أستاذنا الدكتور سعد زغلول إذا ما يرى أن الريدينين هم الذين حققوا الوحدة بعد انتصارهم على السبايين، والقرية على ذلك انتقال مركز الحكم إلى مدينتهما ظفار، عاصمة الدولة المتحدة (2).

وعلى أي حال، فإن المؤرخين مختلفون في بداية هذه الفترة، فهناك من يذهب إلى أن بدايتها إذا كانت في حوالي عام 118 ق.م. (أو عام 115 ق.م، وربما في عام 109 ق.م. (3)، بينما يرى آخرون أن «الشرخ يحبس» أول من حمل هذا اللقب من السبايين، إذا حكم في أميرات القرن الأول قبل الميلاد، فإن حملة إليوس جاليليوس الروماني على اليمن في عام 24 ق.م. (4)، ومن ثم فإن لقب «ملك سيا وذو ريدان»، إذا كان في أميرات القرن الأول قبل الميلاد، وليس في أميرات القرن الثاني قبل الميلاد. (5)، وبالتالي فإن عام 115 ق.م. (أو عام 109 ق.م. (6) الذي يرى البعض أن الخميريين قد اتخذوا تقيماً ثابتاً يؤخرون به، لأنه العام الذي قامت فيه الدولة

Irfan Shahid, Pre-Islamic Arabia, in CHI, I, P. 9.

(1)

J.B. Philby, op. cit., P. 97.

(2)


A. Sprenger, The Campaign of Aelius Gallus, JRAS, 1873.

(3)

D. Nielsen, op. cit., P. 89.

(4)

H. Von Wissmann and M. Hofner, op. cit., P. 142.

(5)

وكذا
الحميرية(1)، أمر يحتاج إلى إعادة نظر، فقد يكون له صلة بحادث ما غير قيام الدولة، وأن هذا الحادث كان من الأهمية بحيث جمعه القوم مبدأ تأريخ وقرر في بعض الأجزاء، ولهذا رأينا بعض الآراء تذهب إلى أنه ربما كان تاريخ سقوط عرفة مبدأ، بينما رأى آخرون أن هذا العام (115 ق.م، أو 1019 م.م) هو عام انتصار سبا على قتبان ومن ثم إلى حاكمة سبا، وأن ريدان هنا إما هو قصر ملك سبا ومرهم، ونظامًا لأهمية هذا العام، فقد اتخذت القوم مبدأ تأريخ وبداية تأريخ، على أننا لم أخذنا بهذا التفسير، لكان ظهور لقب ملك سبا وذي ريدان في حوالي عام 350 ق.م، ففي هذا العام فيما يري البعض كان حكم الشهير يحضب، و«شعر أتار(2)».

وهنا علينا أن نعود مرة أخرى إلى عهد وهم إيل يحب، وولديه وأمثالهم، وكرب إيل وطار يحتمم، حيث نجد أن الحكم إما ينتقل إلى ملك آخر من همدان هو «يريم أينان»، ونقرأ في نقش (جزان 1359، 1360)، أن يريم أينان، إنما يقدم ولاه للإله «طالب زيمان»، على توفيره في المهمة التي كلف بها من قبل «كرع إيل وطار يحتمم»، في التوقيع بين ملك سبا وذي ريدان وحضرموت وقينبان، وذلك بعد الحروب التي استمر أواها بينهم، مما يدل على أن حربًا ضروسًا قد قامت في العربيّة الجنوبية في هذه الفترة، وأن يريم أينان قد كتب له نجاحًا بعد المدى في إطفاء نيران هذه الحروب، وهو لا يبدو أن يكون «قيلة» من الأقيل، ومن ثم فقد نقل حظوة لدى العامة، ولهذا لدى الحكومات، مما مهد الطريق أمامه ليتنازع ملك سبا عرشه بعد حين من النذر. (3)

وتقرأ في نقش دونه أحد أتيل قبيلة «سمعي»، عرف (669) ويتصل بنذر للإله «طالب زيمان» يطلب فيه بجانب النذور، شرفهم وسلامة حصن ريمان.

F. Hommel, Geschichte Sudarabiens, I, 1937, P. 96
D. Nielsen, op. cit., P. 89.
J. Halevy, Revue Semitique, IV, 1897, P. 76
CIH. 315, IV, I, P. 346.

(1) عن نظر التقدم الحميري: أنتظر。
(2) جراد علي 2/ 417-418، وكذا
(3) جراد علي 2/ 539-548، وكذا

- 307 -
أن يبارك في 8 برم أيمن و 8 كرب إيل وترة، ملكي سبا، وأنا يهلك أعداؤهما، وأن ينزل سخطه على من يريد بهما شرّاً.

ويري 8 فون فيسمان 1. أن برم أيمن كان معاصرًا أمان لجارب 8 أيمن، وكردب إيل وترة تينعم، وأن الأخير كنا معاصرين 8 شمر يهرع في الأول من ملوك حمير أصحاب ظفار، كما يرى أن كرب إيل وترة يهدم 8 معاصرًا 8 كرب إيل بين ملك سبا الشرعي في مأرب، وأن برم أيمن كان معاصرًا 8 مرشد يهحقس من جيرت، ومرشد الذي ذكر بعد نبت يهدم آخر ملوك متبان، ويلد في إيل بين ملك حضرموت، وأخيراً فإنه يرى أن حكم برم أيمن إثماً كان في الفترة (130-1414م) 2.

وأبا ما كان الأمر قدنا ندري على وجه التحقيق، فعلى أعله برم أيمن 3 نفسه ملكا على سيا؟ وربما كان ذلك في عهد كرب إيل وترة يهدم، وأنه استمر يحمل اللقب حتى وفاته، فخلفه ولده عثمان نفان 4 الذي عاصر كرب إيل وترة يهدم، وأبنه فرعوم يهدم 5، هذا ويفرق نشوان الحميري بين عثمان وphan 6. و慢慢地 ويرى أبناء أخوان ولدي 6 ذي ين بحضر الصوار 7.

وعلى أي حال، فإن المؤرخين مختلفون في فترة حكم عثمان نفان 8 هذا، فيما ذهب ويلي 9 إلى أنها كانت حوالي عام 165 ق.م 10، ينطوي البرت جام 11 إلى أنها كانت في الفترة (85-66 ق.م) 11، هذا إلى أن آخرهم يرون أنها

---

REP, EPIG, 4190, VII, I, P. 131
Le Museon, 1967, 1-2, P. 282
Le Museon, 1964, 3-4, P. 498.
J.B. Philby, op. cit., P. 142.
A. Jamme, op. cit., P. 390.

---

1 جزاء علي 2/367/870، وكذا
2 جزاء علي 2/361-364/967-970، وكذا
3 جزاء علي 3/137/987-988، وكذا
4 نشوان بن سيد الحميري: ملوك حمير وأتيا اليمن - القاهرة 1378 هـ ص 56-57، متنبيات
5 ص 70.
6 جزاء علي 2/367/870، وكذا
7 جزاء علي 3/137/987-988، وكذا
8 جزاء علي 2/361-364/967-970، وكذا
9 جزاء علي 3/137/987-988، وكذا
10 جزاء علي 2/367/870، وكذا
11 جزاء علي 3/137/987-988، وكذا
كانت في النصف الأول من القرن الأول ق.م. (1). بل إن وليم الأول رايت، إنما
يعددها بعام 100 ق.م (2)، وأخيرًا فإن فون فيسمان يذهب بعيدًا عن الآخرين،
فإنها كانت في حوالي عام 160م (3)، والأمر كذلك إلى ودولف جورمان،
الذي جعل حكم ابنه شمر أوتر في حوالي عام 100 أو 200م، وهذا يعني أن
١وُلِدُهُ، إنما كان يحكم في القرن الأول الميلادي (4).

وأيًا ما كان الأمر، فإن ظهور، قد نجح في أن يتحلى لقب علماً،
وإن كانت النصوص التي تشير إلى ذلك لا تذكر شيئًا عن تأريخها، كنا أنه لا
ندرى مثلى أثريز؛ علماً، ولده شمر أوتر، مما في الحكم، فهناك من النصوص
ما يشير إلى أن الرجلين قد حملتا لقب الملك علماً، وربما كانت القلافات التي كانت
تتم بيا البلدان، والخصوصيات التي كانت تسود العلاقات بين حكام سباً وحضرموت
وحمير والحبشة، هي السبب في ذلك (5).

وعلى أي حال، فقد نجح ظهور، في أن يفم إلى جانب يدع أب غيلان، ملك
حضرموت، ومن ثم فقد وجه جبهة ضد الحميريين حتى انتصر عليهم في وذاته
الحرم (6)، ثم إنه بعد وفاة يدع أب غيلان إلى عقد معاهدة مع جدارة ملك الحبشة، والذي كان فيما يرى فون فيسمان - يسيطر على ساحل البحر الأحمر
الشرقي من يبج حتى صبر، فضلاً عن باب المندب (7).

H. Von Wissmann and M. Hofner, op. cit., P. 113. (1)
BASOR, 119, 1950, P. 9. (2)
Le Museon, 1964, 3-4, P. 498. (3)
A. Grohmann, op. cit., P. 28. (4)
REP, EPIG, 4216.
A. Jamma, op. cit., P. 290
Le Museon, 1964, 3-4, P. 466-68.
Le Museon, 1964, 3-4, P. 470-71.
٢٠٤
وانفرد شعر أوتر بالحكم، وهناك ما يشير إلى أنه حمل لقب ملك سياً وذى زيدان. وإن كانت بنعة وندل فيلسي قد أعترفت على كتابة ترجع إلى أوائل عهده، نشرها الدكتور خليل بخيتي نادي. بدأت بجملة: "شعر أوتر ملك سياً بن عثمان نيفان ملك سياً"، وفيها إشارة إلى حرب ربما امتدت إلى أرض حمير. وقد انتصار فيها. ومع ذلك كله فإن نص (جلازر 1371) يشير إلى أن كلاً من عثمان نيفان ورجلته "شعر أوتر" قد حمل لقب ملك سياً وذى زيدان، مما يدل على أن اللقب قد ظهر على أيام عثمان، وليس على أيام ابنه "شعر أوتر".

وأقرأ في نص (CIH، 334) (1) إشارات عن حرب شناها "شعر أوتر" ضد ملك حضرموت وانتصر فيها، وبري الدكتور جواد على أن "شعر أوتر" قد وجه جيشًا من السبيعين والخمرين، ومن قبائل أخرى إلى حضرموت للقضاء عليها، وقد نجح في أن ينزل خسائر فادحة بقوات "المعر" ملك حضرموت بعد معركة مزمنة دارت رحاها في ذات غيل، وحين أعاد الملك الحضرمي الكرة أصيب بحزيمة أخرى، وهنا قام الردمانيون بهجوم مفاجئ على قوات "شعر أوتر" ولكنهم لم يفلحوا في إيقاع الهزيمة بها.

ولعثر من نصي (جام 1367، 1376) أن "شعر أوتر" قد انتصر على الحضارمة واستولى على عاصمته "شيروه"، ومن ثم فقد قدم لمعد "أوتوم" مثالًا، تعبر عن شكره له، واعترافًا بفضلها. هذا وعثر كذلك من نص (جام 1367) أن جيش "شعر أوتر" قد استولى على "شيروه"، وكدا على "قنا"، مياه حضرموت الرافعي - بل إن هناك ما يشير إلى أن الهجوم على حضرموت قد تم عن طريق البر والبحر معاً، وأن مدينة "قنا" إذا هوجمت عن طريق البحر.

(2) جواد علي 2/372، وكذا A. Jamme, op. cit., P. 300.
(3) جواد علي 2/373، وكذا A. Jamme, op. cit., P. 134, 139, 226.
(4)
وقرأ في نص (Geukens, I) أن الردمانيين - كما أشارنا آنفاً - قد اهتيلوا فرصة انشغال "شعر أوتر" بمحاربة المضارعة والنقضوا عليه من المؤرخة، وأنهم، وإن لم ينجحوا في إيقاع المزيجة به، فقد كبدو خسائر ليست بالقليلة، وفي نفس الوقت أثار الأحيال - وربما باتفاق مع بني ردمان - على جيش شعر أوتر كذلك، ففضلًا عن الإغراء على أرضين تابع له، وأخفقوا بها أضرارًا بالغة (1). وطبقاً لما جاء في تفسر (جام 131) فإن "شعر أوتر" قد أورك إلى قائده "قطبان أوكان" أمر الإنتقام من الأحيال، ومن ثم فإن هذا القائد سرعان ما توجه إلى "بني ردمان" وأنزل بهم من العقاب ما يستحقون، جزاء وفاقةً لما ارتكبوه من خيانة للملك "شعر أوتر". ثم نجح بعد ذلك إلى الأحيال، ومساعدة من قوات سببية جاءت تعينه على مهمته هذه، نجح في حصارهم، ثم في محاجتهم على غزوة، ثم أعمل السيف فيهم، حتى اضطرهم آخر الأمر إلى أن يتركوا منطقة ظفار، وأن يتجهوا إلى المعاهر (معهرتن) ثم سجل ذلك كله شكرًا للمرقاة، داعياً إياها أن يحفظ سيده "الليثب برحهم" ملك سبا وذى ريدان وأن يد في عمله، وأن يظهر أعداءه، وأن يبارك له ولاهله (2).

ولعل من الأهمية يمكن الإشارة إلى أمر عدا في هذا النص، منها (ولأ) أن الملك إذا أمر قائده أن يسير على رأس قوة إلى أرض الحبشة، يحارب فيها "جدرة" ملك الحبشة وأكسرهم، فماذا يعني النص بأرض الحبشة هذا؟ أم الأراض الأفريقيّة المعروفة؟ أم موضعًا في العربية الجموية؟ إن الدكتور جواد علي يرى أنها أرض الحبشة في أفريقيا، وذلك لأن "جدرة" لا يمكن قيام في بلاد العرب، وإنما في أفريقيا، هذا فضلًا عن أن الأحيال الذين كانوا في بلاد العرب إذا كانوا تحت

A. Jamme, op. cit., P. 301.
G. Ryckmans, Inscriptions Sud-Arabes, in le Museon, XII, 1942, P. 297-308.
A. Jamme, op. cit., P. 132
Le Museon, 1964, 3-4, P. 475

(1) جواد علي 276/277-377، وكردا
(2) جواد علي 276/277-377، وكردا

- 306 -
قيادة «بيجت»، ولد النجاشي، وليس النجاشي نفسه، ثم يفرض بعد ذلك أن
قطان أوكان»، ربما أبحر من الحديدة إلى السواحل الأفريقية، وباغت القوم
هناك بنزو غير متوقع، ثم جمع ما استطاع الاستيلاء عليه، وعاد سريعا ليشرك
في المعارك التي دارت رحاها ضد «بيجت» ومن معه من قوات (1).، وفي الواقع
أن هذا الرأي قد يبدو مقبولًا في ظاهره، إلا أن التكتيك العسكري قد يرفضه.
ذلك لأنهم في الخطرة يمكّن أن يحاصر جيش شعر أوتر، بهذه المغامرة غير الأمونة
العواقب، في وقت تدق الحرب طفولا في اليمن نفسها، ثم كيف يمكن تحديد الإجراء
من "الحديثة" بالذات، وأخيرا فإننا لا نملك دليلا تاريخيا يؤكد زعم الدكتور
جواد على هذا، بخصوص وأن هناك من يشكي في أن "جدرة" كان ملكا أفريقيا
بل ربما كان زعيما لفرقة من الأحباش كانت تقيم في بلاد العرب نفسها (2).
ومنها (ثانية) أن «فون فيمان» (3) قد استند من عدم ذكر اسم الملك «شعر
أوتر» في نهاية النص، فضلا عن وجود إسم لحيض يرغم «ملك سبأ» وذّري
رثدان»، على أن «شعر أوتر» قد مات أثناء تدوين النص، وأن «لحيض يرغم»
قد خلقه على العرش.
ومنها (ثالثا) أن النص لم يقل لنا شيئا عن مصير «بيجت»، إذن ملك الحديدة
وأكسوم، بعد هزيمته في ظفار وفي أرض معافر، فرما بقي في أرض المعارك، وأن
الجيش السبتي لم يكتب له نجاحا في تطهير هذه الأرض من الأحباش، ومن ثم فقد
يقترفيها بعد انهاء المعارك، بل إن نقش (جام 350) ليحدثنا عن معارك دارت
رحى الحرب فيها خلف مدينتي gran» بين جيش «شعر أوتر» والأحباش، وربما
كان في ذلك إشارة إلى أن gran إذا كانت في أيدي الأحباش في تلك الأونة (4).

(1) جرود علي 278/78، وكدا
(2) جرود علي 278/78، وكدا
(3) جرود علي 278/78، وكدا
(4) جرود علي 278/78، وكدا

Le Museon, 1964, 3-4, P. 475.
A. Jamme, op. cit., P. 135-6, 303-304
A. Sprenger, op. cit., P. 63

207
هذا ويشير نص النص (بالنحى ۱۳۸) إلى أن شعر أوتر قد كلف أبا كرب أحرس، بقيادة جيش من خولان حضل، وبعض أهل ضار وبعض الأعراب، لملاحقة المتشققين من بني يزنم (بني بوان) ومن أهل قريتم (قرية بني كهل) وأن الرجل قد نجح في مهنته إلى حد كبير، ويرى بعض العلماء أن بني يزنم وإنما هم قوم من اليونان استوطنوا بلاد العرب، وقد جاء ذكرهم في نص (جزر ۳۷۷) وأنهم كانوا يهافون قرية بني كهل هذه، ومن ثم فقد هبوا لمساعدتهم ضد شعر أوتر.

وأياً ما كان الأمر، فليس من شك في أن شعر أوتر قد نجح في السيطرة على غالبية الحكومات والأقاليم في العربية الجنوبية، إلا أن الأمر لم يكن كذلك في العربية الغربية، والتي تطل على سواحل البحر الأحمر، حيث كان الأحبار أصحاب النفوذ فيها (۳)، وأما فترة حكمه، فقد كانت فيما يري (البرت جام) في الفترة (۵۵۵-۶۰۵ م.م)، كما كان شقيقه (حقوشر) يضع في الفترة (۵۵۰-۵۰۰ م.م)، ثم بدأ السلطان ينتقل من أسرة (ب름 أيمن) إلى أسرة (فروم ينهم)، والتي بدأت حكمها في مجاورات صنعاء، ثم سرعان ما أصبحت صاحبة سباً وذوى ريدان (۳).

وليس من شك في أن النص (۳۹۸) من النصوص الهامة في تاريخ سباً، وذلك لأنه يتحدث عن شعر أوتر ككل، كله، لبساً وذوى ريدان، وفي الوقت نفسه يتحدث عن الشريخ (عين)، وأخيه (بازيل بن)، يصفهم ملكي سباً وذوى ريدان، وهذا يعني ببساطة أن الملك الثلاثة، إنما كانوا يحملون في آن واحد لقب (ملك سباً وذوى ريدان).

Le Museon, 1964, 3-4, P. 374
Le Museon, 1964, 3-4, P. 475.
A. Jamme, Sabaeen Inscriptions from Mahram Bilquis, P. 390.
J.B. Philby, op. cit., P. 95.
وقد أثار هذا النص جدلاً طويلاً بين العلماء، فذهب آخرون فيه مذهب شتي، وكذا في معاصرة ملاعلان نهبان، اورتم ينتمون، فضلاً عن حكم مير، ومير أورتم، ومير الشرح ينتمون، لشيقيه، ويدعي ألا يكون مقولاً أن تكون أورتم عاصمة مير أورتم، ومير الشرح ينتمون لشيقيه، في نفس الوقت، وأن يكون الثلاثة قد حكموا حكماً مشتركاً، رغم ما بين أسرتهما من تنافس قديم، فضلاً عن أن يحمل الجمع لقب مير سبأ وذدي ريدان، برضي من الثلاثة.

وقد ذهب فريق من الباحثين إلى أن النص لا يشير إلى أن الثلاثة قد حكموا في آن واحد، وإياها يشير إلى أن مير الشرح ينتمون، وأخاه، قد حكموا بعد مير أورتم، وهنا فالأمر لا غزارة فيه، وذهب فريق ثالث إلى أن أن حكم الأخرين إذا كان مستقلًا عن مير أورتم، وأنهما كانا يعتبران نفسهما خلفيين شرعيين لأبيهما، فرغم ينتمون، وذهب فريق ثالث إلى أن فرغم ينتمون قد اتخذ من منطقة تقع إلى الغرب من مير، مركزاً لسائدها، وأن ولديه قد خلفاه عليها، وحين سنحت الفرصة لهذه اتخذتها قبلاً، وملك سبأ وذدي ريدان، بعد اختفاء مير أورتم، وأخاه جبر عمتر يقع، الذي شاركه في حرب اللقب من مسرح الأحداث، وإن كان ملكهما إذا كان مقصوراً على جزء من المملكة.

على أن هذه الألقاب الملكية التي كان يحملها مير، ومير الشرح ينتمون، وأخاه جبر عمتر يقع، فضلاً عن لمزعم ينتمون يصدق، والذي رأى فيه بعض الباحثين ملك، نظرة، ومجاريعها، هذا إلى جانب ملك خاص يدعى لعيثت يرخم، كل ذلك يدل على أن واحده لم يسبق أن يحمل اللقب بمفرده، وأن هناك

A. Jamme, op. cit., P. 305.
J. Ryckmans, op. cit., P. 297
آخرين يتنازعون سلطانه، وربما استطاعوا آخر الأمر انتزاع العرش نهائياً، كما فعل

«الشرح يحسب وأهوه»

افتت إلى ذلك أن النصوص من تلك الفترة، إنما تدل على أن البلاد كانت تمز
بفرة اضطراب وقلق، وأن الحرب ما تكاد تقع أوزارها في مكان، حتى تدق
طبولها في مكان آخر، ثم تتشعل نبراتها في مكان ثالث، وفي أغلب الأحيان كانت
سجالاً بين المتحاربين، وأن المغلوب منهم، سرعان ما يعود بعد حين، فيقف
على قدميه ويحمل سيفه من جديد، على أن الخاسر الوحيد فيها دائماً، إنما كان هو
الشعب، يدفع مثناً من دمه وماله، حيث تفاق العامع منه إلى ميدان القتال فنسمع
وتطيع، وإن صبًّا عليها من العذاب ألوانًا، أشد قوة من أهوال الحرب. وفي
كل ذلك لا نفذ يرجم إلا إشعاع شهادات الحكام، وإرضاء رغباتهم في تحقيق
أمجاد شخصية، سرعان ما تزول بعد رحلتهم عن هذه الدنيا، وربما في أحيائ
كثيرة قبل أن يرحلوا إلى عالم الآخرة.

وإلى هذه الفترة العصيبة في تاريخ اليمن، ترجع فيما يري كثير من الباحثين-
حملة الرومان على العربية الجنوبيه. فإذا كان ذلك كذلك، فإن ملك سبأ، وذوي
ريدان ما كانوا بقادرين على صداها، فالفرقة من ناحية، وضعف الإمكانيات من
ناحية أخرى، إنما يقفن حجر عثر في سبيل ذلك.

وبعدها التأريخ أن الرومان بعد أن استولوا على أرض الكثافة، وعون من الأنباط،
استطاع به يوليوس قيصر أن يبقى على الناصية الأمور في الإسكندرية عام
47 ق م (1) ، بدأ الرومان يفكرون في نفس الشيء، بالنسبة إلى بلاد العرب، وهكذا
كان مشروع جملة يوليوس جاليليوس، عام 24 ق م، للإسيلة على اليمن، لكثرة

A. Jamme, op. cit., P. 134, 306
Die Araber, I, P. 360.
H. Von Wissman and M. Hofner, op. cit., P. 541
خيراتها، ولا حكراً طرق النقل التجاري بين العالم، ولجعل البحر الأحمر بحرًا رومانياً، وللقضاء على المنافسة العربية الخطرة، والتي كان الملاحون الروم يعملون لها ألف حساب عند اجتيازهم باب المندب، أو عندما ترسو أنفسهم على بعض الموانئ في تلك المناطق (1). ولم تتم المشروع على نحو ما حلم به أغسطس (2). لم يكن حكم روما قد بلغ العربية الجنوبية، وربما سواحل أفريقيا كذلك، إلا أن سوء تهديد الرومان له، واستهانتهم ببيئة بلاد العرب، وعدم إدخالهم في حسابهم قضايا الطبيعة هناك، وعدم تمكن الجنود الرومانية النظامية من المجابهة فيها، وتحمل العطش والحرارة الشديدة، كانوا الأدوار أدت إلى خيبة المشروع منذ اللحظة الأولى، فكانت إلقاء شدة في هيبة روما، وفي مشاريعها التي أرادت تنفيذها في شبه الجزيرة العربية (3).

على أن «سترابو» مؤرخ الحملة، إنما يرجع فشلها إلى خيالية «صالح»-الوزير النبدي الذي صاحب الحملة كدليل لها -، بأن أقنع قائدها بتقاء الوصول إلى اليمن برأ، لعدم وجود عدد كاف من أجنحة، مما عرض الحملة لمخاطر جسيمة عند عبورها البحر الأحمر، فضلاً عن عدم وجود طرق برية لمورج البحر الروماني، وكان صالح - فيما يرى سترابو - يهدف من ذلك إلى إضعاف الروم وإذلالهم، فضلاً عن إضعاف القبائل العربية نفسها، ليكون سيد الموقف يتصرف فيه كيف يشاء، ومثى شاه (4)، وهكذا عمل صالح (سيلفوس) إلى السير بالحملة في طريق مفرط، وفي أرضين لا زرع فيها ولا ماء، مما أدى في نهاية الأمر إلى فشل الحملة، وإلى أن يحكم الروم على صالح بالإعدام (5).

O'Leary, op. cit., P. 74-5
Pliny, 11, P. 415, 6, 101
J. Pirenne, op. cit., P. 93F.
O'Leary, op. cit., P. 75

---

(1) جيود علي 2/43، وكذا وركا
(2) أحمد فخري: المرجع السابق ص 141، جيود علي 2/43، وكذا
(3) جيود علي 2/45، وكذا وركا
(4) وركا
(5) ERE, 9, P. 121.
وأيّا ما كانت الأسباب في فشل هذه الحملة، التي تعد أول بل وآخر غارة ذات بال، فقدت بها دولة أوربية اكتمال داخل الجزيرة العربية، فإن الحملة استطاعت أن تحدث بعض الخراب والدمار في تجران ونشق وكناء ومارب ولونة، وربما حرب، وهي أبعد مدينة وصلتها الحملة.

ومن الغريب أن المصادر العربية الجنوبية، قد التزمت الصمت تمام إزاء هذه الحملة، وقد تسأل "إدوارد جلار" عن سبب سكوت هذه المصادر عن حملة لا بد وأنها قد تركت أثراً بعيد المدى في فتوس السبئيين - بل وفي غيرهم من قبائل اليمن والحجاز - ثم رأى بعد ذلك أن ننص (هاليفي 55) إذا يتحدث عن حرب دارت رحاها بين هذين شتم ودِيمت، وربما كان المراد بالأولين الرومان، وبالآخرين السبئيين، ومن ثم فإن النص إذا يتعلق عن حملته "أليوس جاليليوس" هذه، على أن الدكتور جواد علي إذا يتحدث عن حملته، فكان ما يزال تحت التراب، وإن كانت الخفارات قد فشلت حتى الآن في التعبير على شيء يتصل بها، كما فشل هاليفي، وفلبي في العثور على شيء يميز اللغة عنها.

وأيّا ما كان الأمر، فإن الروم بعد أن فشلت حملتهم هذه، بدأوا يغيّرون سياساتهم نحو العربية الجنوبية، فتخلىوا تمامًا عن السيطرة العسكرية، وإن اجتهوا في الوقت نفسه نحو تقوية أسطولهم في البحر الأحمر، ويقول ستراب أنهم كانوا يرسلون سنوياً ما لا يقل عن 120 سفينة إلى الهند، وهو عدد لم يعودوا إرساله فيما بعد، كما عثر في الهند على نقود رومانية، أُضيف إلى ذلك أن وجود معد ل أغسطس 300.


- 212 -
في موزيريس، بساحل مالايار، رماذكر خبر كله من التجار البرون، والرومان كان يقيم هناك.

هذا وقد عدل الروم في نفس الوقت على تقرير علاقاتهم بالحرية الجزيرة، فاحتلوا من بعدها إبان حكم كلاوديوس (41-44م) أو قبله، وهكذا كان التحالف مع أمير ظفار، مقرولاً بوجود حامية رومانية في عدن، أمراً لا شك في أنه كان ضاناً كابباً لسلوك العرب الحجريين مسلكاً طبياً، يضمن للروم نفوذاً تجارياً في عدن. وإن كان الرومان - دون شك - لم يحتلوا جنوب شبه الجزيرة العربية في يوم من الأيام.

وأيضاً ما كان الأمر، فإن عهد ملوك سياً وذو ربدان، إما بدأ حقيقة إبان النزاع بين الشرح يحسب وأخوه بازل بين من ناجية، وبين شير أوثر من ناحية أخرى، وليس من شك في أن المصادر الإسلامية إما تحدثت عن الشرح يحسب أكثر من غيره من ملوك تلك الفترة، أو التي صبعتها، فصاحب الإكليل يسمي إلى شرح يحسب، ويسحب إليه بناء قصر غمدان، وأن بلقيس إبنه، فضلاً عما ينسب إليه من شعر مزوم كالعادة، وأما ياقوت الحموي، فقد عموه ليس يحسب، كما ينسب إليه كذلك - نقا عن ابن الكلي - بناء قصر غمدان، ولم يثبت ابن جبرير أن ينسب إليه بلقيس، وإن كان حمزة الأصفهاني قد جعلها حفيده، لأنها فيما يزعم - بنت هداد بن شراحيل، والذي يعني به الشرح يحسب.

(1) فضول حرواني: المرجع السابق ص 75.
(2) نفس المرجع السابق ص 80.
(3) أحمد فركي: المرجع السابق ص 142 وكذا


وأيضاً: مقالنا "العرب وعلاقاتهم الدولية في العصور القديمة" ص 416-420.
(5) ياقوت 410/1404، وانظر: ملوك حمير وأثيوبيا، ص 168.
(6) حمزة الأصفهاني: تاريخ سب ملوك الأقح والأنبياء، ص 83، ملوك حمير وأثيوبيا، ص 74.
(7) تاريخ الطبري 489/1004، قارة: ياقوت 410/1404.

٣٢٣
ولا يريب في أن القول بأن الشرح يحسب، كان أباً لبلييس التي عاصرت سليمان، أمر غير مقبول، فالأخير قد عاش في القرن العاشر ق.م، وأن الشرح يحسب - طبقاً لأعل التقديرات - إما كان في القرن الثاني ق.م، وإن آخر البعض به إلى القرن الرابع الميلادي، هذا فضلاً عن أن القرن العاشر قبل الميلاد، إما هو تاريخ متقدم جداً - في نظر بعض الباحثين - لقيام دولة سبأ نفسها، حتى على أيام المكارية، وليس المرك، فضلاً عن أن يكون ذلك على عهد مرك سبأ وذي ريدان، الذين ينتمون إليهم الشرح يحسب.

ويدو أن الشرح يحسب كان محارباً، إشترك في كثير من المعارك، وقرأ في نقل (جلازر 119) أنه غزا حمير وحضرموت وعاد بالثروة إلى الغنائم والأسرى، وهو ما يزال في ديرية «كبره» (1) ويدو أن الجمهريين كانوا في تلك الفترة قوة فعالة في السياسة العربية الجموحة، وأنهم كانوا لا يعتدلون كثيراً في أن يحاربون في جانب هذا الفريق أو ذلك، وأما حضرموت فكانت تتفق في جانب شعر أوتر، ضد الشرح يحسب، وقرأ في نقوش (جام 574، 590، 595) عن حرب نبت في النصف الأخير من القرن الأول قبل الميلاد، بين الشرح يحسب وأخيه «أبوزين» من ناحية، وبين الأحباش من ناحية أخرى، وأن الشرح يحسب وأخاه قد انصرفا على الأحباش في وادي سهام و وادي سرد، على مسافة 40 كيلومتر إلى الشمال من المدينة - وفي غير ذلك من المناطق التي كان يوجد فيها أبحاش.

A. Jamme, op. cit., P. 310
H. Von Wissmann and M. Hofner, op. cit. P. 18
Le Museon, 1964, 3-4, P. 459.
Handbuch, I, P. 92.
D.S. Margoliouth, Two South Arabian Inscriptions, P. 1
J.B. Philby, op. cit., P. 94.
A. Jamme, op. cit., P. 60, 64, 310-311, 316
H. Von Wissmann and M. Hofner, op. cit., P. 38.
وتشير نقوش (جام 589 , 581 , 580 , 578) إلى حرب دارت راحا بين الشريف يحضب، وأخيه، وبين كرب إيل ذي ريدان، وحلفانه في أرض حرمة، وفي عروش أو بلاد المرسح - وتقع على مسافة 95 كيلومتراً إلى الجنوب الغربي من مأرب - وقد كتب في موقع يحمل نفس الإمام في منتصف المسافة بين صرواح وذمار، وغير ذلك من الأماكن، وأن قلباً في نقش (جام 586) أن الشريف يحضب قد سحِق عصیانًا قامت به حمير، وأنزل بها خسائر فادحة، والإمر كذلك بالنسبة إلى قوات كرب إيل، وسجل نقش (جام 587) انصار الشريف يحضب على ملك كندة وحلفائه من إمارة «خصوصين»، وكذا على قوات حشي، وعلى عشار حمير بقيادة شمر ذي ريدان (1).

ويقبر من نص (314) أن شمر ذي ريدان من حمير - وكانت عاصمتها ظفار - قد نازعت الشريف يحضب عرشها، وأنه استعان في ذلك بالحباش، إلا أنه لم يحقق نجاحًا فيما أراده (1)، هذا ويشير الدكتور جواد علي إلى أن في النص إشارات إلى تدخل الحشي في شؤون العربية الجنوبية وقت ذلك، وان وجودهم في مواضع من الساحل، وكلاً كونهم مستعمرات فيها، تنتمون من الساحل الأوروبي المقابل، وربما كان الروم على اتفاق مع الحباش، يوم أرسلوا حملته إلى جاليليوس إلى اليمن عام 24 ق.م، وربما اشترطا أن يسهل الحباش مهمة الحملة في العربية الجنوبية، وأن يقدموا لها المساعدات اللازمة، وأن يتعاونوا جميعًا في الأسر السياسة والاقتصادية، وفي مقابل ذلك على الروم أن يضمنوا مصالح الحشي في العربية الجنوبية (2).

H. Von Wissmann and M. Hofner, op. cit., P. 38
E. Glaser, op. cit. P. 117.

(1) وجدا
(2) جواب على جواب 329/423
(3) وجدا
وبيّد من النصوص أن الأبحاث إنما كانوا يغيرون سياستهم نحو الجوانبية طبقًّا للظروف، فهم مرة مع الحميريين، وtàرة عليهم، وهم مرة ثلاثة في خلاف مع شعر أونا، ومرة رابعة ضدة، وهم في مرة خامسة على علاقة طبية مع شرح يحضب، ثم مرة سادسة من ألد أعدائهم، وحذقا كانت سياستهم قلقة غير مستقرة، بسبب الإضطرابات التي كانت تسود العربية الجنوبية، ولكنها في كل الأحوال، إنما كانت تخضع لمصالح الأبحاث أولاً وآخرًا، وتهدف إلى بسط سلطانهم على العربية الجنوبية، وترطيب هذا السلطان (1).

هذا، وهكذا من يذهب إلى أن شعر ذي ريدان، الذي طالما خاض خيار الحرب ضد شرح يحضب وأخوئه، إنما هو الملك شعر يرهعش، وهذا يعني أنه عاش في القرن الرابع الميلادي، ومن ثم قام به دوره بتاريخه حوالي عاماً (2)، بينما يذهب فريق آخر إلى أنه إنما كان معاصراً لامريئقيس صاحب تمشية، وأن مراقب المذكور في نقش ريكمانز (35) هو إمرؤ القيس (3)، إلا أن غالبية الباحثين تعترض هذا التوجه.

وعلى أي حال، فإن البرت جام يرى أن شرح يحضب، وأخوئه يرز لين قد حكموا مشركان في الفترة (300-200 ق.م.)، ثم حكم شرح يحضب بمفرده حتى حوالي عام 200 ق.م. (1)، أو بعد ذلك بقليل، إلا أن غالبية الباحثين تذهب إلى أن كان قبل ذلك، حتى أن جون فلي، يذهب إلى أن حكمه إنما كان في الفترة (125-100 ق.م.) (6).

BASOR, 145, 1957, P. 75.
le Museon, 1956, 69, P. 139
BASOR, 145, 1957, P. 25
A. Jamme, op. cit., P. 390.
J.B. Philby, op. cit., P. 142.

---

(1) جهاد علي 2/441
(2) جهاد علي 2/442-444، وكذا
(3) جهاد علي 2/443، وكذا
(4) جهاد علي 2/444، وكذا
(5) جهاد علي 2/445، وكذا
(6) جهاد علي 2/446، وكذا
وقد اختلف العلماء في خليفة القيادة يحبص، فذهب فريق إلى أنه شقيقه يأزال بينه، ومد، ونشأ كرب يأزال بيريجة، وذهب فريق آخر إلى أنه وتربياء، ولد القيادة يحبص، وأنه كان في الفترة (ق م 1010) ويل إن هناك من يبدي وتربياء، وأخيه نشأ كرب يأزال بيريجة (1) وأخيراً فهناك من يرى أن القيادة يحبص قد بين في القليتين الجرثصن، سعد شمس أسرع، وابنه مرثد، وقد أصبح هذا القليين من ملوك سبا وذي ريدان، نتيجة لهذا النبي السياسي الذي جعله يربصه بعبة وأبوه مرثد، وقد ملأ ملكاً ذي ريدان، إنما يبدي الشارح يحبص ملك سبا وذي ريدان، وأن الرجلين قد آرا وتربياء، وأخاهما بالنبي، إذ أن الأمور رغم ذلك كانت في أيدي الجماعيين من بين ذي ريدان (2).

وعلى أي حال، فرغم ما نشب النقوش من انشارات إلى القيادة يحبص، ثم إنه نشأ كرب (3) الذي نجح البنابيون على أباه في الاستيلاء على ما كان عند الخضارصة من خيل وجمال وحمر، ومن كل حيوان جارح، فإن الدولة السبيلة انتهت فعلاً على أيام نشأ كرب، هذا، أي أيدي الجماعيين (4).

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى أنه في عهد القيادة يحبص، مع إم صنعاء (صعور)، فقد تردد أسما في النصوص التي ترجم إلى ذلك المعد، مثل نص (ق م 575)، وفي أيام الحروب التي دارت رحايا بين القيادة يحبص، وشير ذي ريدان، كما يشير إلى ذلك نص (ق م 7 و377) (4) ) هذا وشير الكتابة (429) إلى قصر غمان (غمان) - جبان قصر سلحين - كفر للملوك، ولعل في هذا إشارة إلى أن القيادة يحبص، إذا كان يقيم في كلا...

J.B. Philby, op. cit., P. 42
A. Jamme, op. cit., P. 390
J. Ryckmans, op. cit., P. 337
(1) سلطان الأردن: في تاريخ اليهود ص 18-19، وانظر كذلك نفس المراجع: ص 31-34.
(2) سعد نجل عبد الحميد: المراجع السابق: ص 194.

١١٧
القصرين (أي في مأرب ومثلاء)، كما يشير كذلك إلى أن الهضابي وابن الكلبي، ربما كانوا على صواب فيما ذهب إليهم من أن الشرير بحسب هو الذي بني قصر غمдан، وأن شعر أوتر هو الذي بني سور صنعاء؛ وإن كانت هناك رواية تذهب إلى أنه بناء سليمان، وعلى أي حال، فكل هذا يدل على أن قصر غمдан من القصور الملكية السنية القديمة، وأن صنعاء بدأت تظهر بين مدن اليمن من تلك الفترة، وأن مكناتها قد زادت على مر الأيام، حتى صارت عاصمة اليمن ومقر الحكم حتى الآن.

ويدعي أن ذلك لا يتفق وروايات الأخباريين من آنها كانت تدعى "أزال"، وأن هؤلاء الأخباريون هم الذي أطلق عليهم اسم "صنعاء"، حين قال إبان دخوله إليها صنعة صنعة، يريد أن الحبشة قد أحكمت صنعها، أو أن التسمية إنها كانت نسبة إلى قلاتها صنعاء بن أزال بن عبير بن غارب، على رواية، وغُمَدَان بن سام بن نوح، على رواية أخرى، فكانت تعرف تارة بأزال، وتارة بصنعاء، بل إن بعض الأخباريين لم يقف عند هذا الحد، فزعم أنها واحدة من مدن النار الأربع (أنطاكية والطوافنة وقسطنطينية صنعاء) في مقابل مدن الجنة الأربع (مكة والخليفة والبصرة ودمشق).

وعلى أي حال، فقد جاء بعد فترة لا ندري مداها على وجه التحقيق، يذكر عن بين ، رغم أنه لم يحمل لقب "ملك مباذ" في ريدان، فإن ابنه قد حمل اللقب العظيم، ومن ثم فنُهانك من مبنى الريث في الحكم على أنه كان ملكاً، ووضعه البرت جاهز في الفترة (320-450م)، ثم خلقه ولده وكرُك "إيل وطار بنتهم" الذي أشرى أهله ابنه "هلال أمر" في الفترة الأولى من حكمه - والتي كانت في منتصف.

P.K. Hitti, op. cit., P. 57
H. Von Wissmann and M. Hofner, op. cit., P. 19
E. Glaser, Die Abessinier in Arabien und Africa, 1895, P. 121f
A. Jamme, op. cit., P. 390.

---
القرن الأول الميلادي (1) - ثم ابنه الثاني ذمار على ذريج، الذي جاء اسمه في عدد من النصوص في الفترة الثانية، وقد حدده في القرن 75–95م (2).

وفي أيام قيس بن ذمار على ذريج، كثرت الفتن والإطارات في البلاد، ونقرأ في نقوش (جام 444) أن الثوار من قبيلة شداد (شدم) قد هاجموا قصر سلمين نفسه واستولوا عليه، إلا أن الملك سرعان ما استعان بأمير قبيلة غيامان الذي كتب له الترجيح في القضاء على الثوار، وطردهم من قصر سلمين، بل وماردواهم حتى مأرب، إلا أنهم سرعان ما نظموا صفوفهم مرة أخرى، وتحصنوا في مواقع جديدة، مما اضطر الملك إلى أن يلجأ مرة ثانية إلى عشائر غيامان، وأن يطلب منهم مهاجمة أرض شداد، وقد نجح أبناء غيامان في هزيمة الثوار عند كومتان، واستولوا منهم على غنائم كثيرة من إبل وخيل ودواب (3).

وجاء بعد ذلك كرب إيل بن ونال النصوص من عهده على أن العلاقة بين
وبين حضرموت لم تكون طيبة، وأن هناك حربا دارها راحا بين الفريقيين، إنثبت بعد قلح تعود فيه ملك حضرموت بالمحافظة على حسن الجهورد، وأن يكون إلى جانب ملك سبأ إذا ما حدث ما يستدعي ذلك، وأن يضع قوة من حراسه، بعكران (4) وهو ملك صغير من ملوك حضرموت تحت تصرف ملك سبأ، إلا أن ملك حضرموت سرعان ما أتى بالعهد، وحجة أن ملك مأرب قد عمل ضد مصالحه، حين أرسل بعض قواته إلى منطقة حنان (هينان الحالية)، التي كان ملك حضرموت يريدها خالية من الجند - رغم أنها منطقة سلبية، ولم يستحم حضرموت - وربما كان يهدف من ذلك أن يجعلها غير قادرة على الدفاع، حتى يستطيع التدخل في شئونها، وتنفيذ مشروعاته التي كان يسعى من ورائها إلى الاستيلاء على القسم الجنوبي الشرقي من سبأ، مستغلًا وضع ملوك سبأ وقت ذلك لصالحه (5).

R.L. Bowen and F. Albright, Archaeological Discoveries in South Arabia, (1) P. 22.
A. Jamme, op. cit., P. 145.

(1) فؤاد حسن، المرج، السابق، ص 294.
(2) جراد على 477/2، وكذا.
(3) جراد على 476/2، وكذا.
(4) جراد على 474/2، وكذا.
(5)
وهكذا فعّل ملك حضرموت قوات ملك مأرب من أن تعرقل في المدينة السببية وحنان وبلغ واجه إلى أرضه وعينه وليده سبباً، وسرعان ما هاجم يثل (المدينة السببية القديمة) واستولى عليها، ثم ضرب الحصار على مدينتي ونشق وحنان، ولم يفر الحصار عنهم إلا بعد وصول قوات السببية، وهنا رأى ملك سبباً وذى ريدان (كررب إيل بين) أن يهاجم خصمه بنفسه، ومن ثم فقد اتجه إلى يثل، كما أمر قوات المعركة عند نشاق ونشاق بالمجوم علينا، وهكذا وجد ملك حضرموت (ببع إيل) نفسه محاصراً من ناحيتين بقبطان سبباً مما اضطر إلى الانسحاب من يثل، والإتجاه إلى حنان، ولكنه حاول نهب مقتنيات المعبد (محرم بلقب فيما يرى البرت جام)، إلا أن القوات السببية الراحلة من نشاق تمكنت من إلقاء المعبد من النهب.

وفي تلك الأثناء وصلت قوات إضافية من مأرب، فواصل الملك السببي زحفه إلى حنان، حيث دارت هناك معركة رهيبة بين الفرقيين، كتب النصر فيها للسبيين، ودفع ملك حضرموت من هزيمته ألفين من جندته لقوا مصرعهم في ميدان القتال، فضلاً عما استولى عليه السبيين من خيل وجمال وحمر، وكل حيوان جارح عند الحضارة، كما أشارنا آنفلاً.

وتم فترة لا يستطيع المؤرخون فيها ترتيب الملك أو معرفة فترة حكمهم.

إذا مارجعاها إلى ربك inactive | على سبيل المالك، لوجدنا أنه قد ترك فراغًا بعد هزيمته أمر وذمار على ذريح، إشارة إلى فترة لا يدري من حكم فيها على وجه الحقين، ثم يذكر بعد ذلك ترقباً، ثم فراغاً آخر دون بعده اسم شمز الينعم، ثم فراغاً ثانياً بعد اسم الشريحة، ثم فراغاً واحداً، ثم اسم عماد بن يحيى، ثم فراغاً خاصًا يأتي بعد اسم ليزونافان يصدق، ثم فراغاً سادساً دون بعده.

A. Jamme, op. cit., P. 348.
A. Jamme, op. cit., P. 144.

جواب على 281/456 وكذا
(1)
(2)
270
ياصر بهصدق (1) وان كان ذي فلي يرى أن هذا الأخير جاء بعد وتبين
وربما كان والده، وأنه بدأ حكماً حوالي عام 824 ق.م (2).

وأيا ما كان الأمر، فلدينا من عهد ياصر بهصدق هذا، نص (3)
(3) CIH, 41
وقد دوته جماعة من قبيلة مهافن (مهافم)، منهم دافع، يتبع جهران، شمل ذمار، يذهب فور وسمان إلى أنه أول نص يصل إليه لقب فيه واحد من ملوك
(3) CIH, 41
همره، بلفق هم سبأ وذئب ريدان، وهذا يعني أن ملوك حمر قد تأسوا
ملوك سبأ، ثم نازعهم عرشيهم، بل وحملوا ألقاهم كذلك (3).
(3) CIH, 41
ثم يذهب فور وسمان بعد ذلك إلى أن الرجل قد حكم في الفترة (76-880م)، وأنه
(3) CIH, 41
اتخذ من ظفار، مقرأ له، وأن خليفيه بإما كان الشرح، وأنه حكم حوالي عام
(3) CIH, 41
90م، وأن نص (340) إما يرجع إلى أيامهم (3) غير أن وجمام، إنما يضع
(3) CIH, 41
حكم ياصر بهصدق في الفترة (820-824م).
(3) CIH, 41
وقرأ في نص (365، CIH، 365، 365
أن ذمار صلى الله عليه وسلم بن ياصر بهصدق (3) 
(3) CIH, 41
والذي ربما كان هو صاحب الإمام الذي جاء على بعض النقود (3) لقد شن حرباً
(3) CIH, 41
ضد الأسرة السبئية المالكة، استولى فيها على حصان ذات المرأة، ولم يحدد
(3) CIH, 41
هو الذي اعتيد عليه فور وسمان في أن الخميريين قد استولوا على مأرب، ولدة
(3) CIH, 41
عشر سنين (3).

---

J. Ryckmans, op. cit., P. 338.
J.B. Philby, op. cit., P. 142.
KTB, II, P. 64.
Le Museon, 1964, 3-4, P. 448
Le Museon, 1964, 3-4, P. 495, 498.
A. Jamme, op. cit., P. 392.
O. Weber, op. cit., P. 36
D. Nielsen, op. cit., P. 94
Le Museon, 1948, LXI, 3-4, P. 232.
Le Museon, 1964, 3-4, P. 459, 498.

---

جواب علي 824/2، وكذا (1)
جواب علي 283/2، وكذا (2)
جواب علي 283/2، وكذا (3)
جواب علي 824/2، وكذا (4)
جواب علي 283/2، وكذا (5)
جواب علي 824/2، وكذا (6)
جواب علي 824/2، وكذا (7)
جواب علي 824/2، وكذا (8)
ووهناك عدد من النصوص جاء فيها اسم ذمار على يبهر، يجمع اسم أبيه، وأخرى جاء اسمه يبهر اسم ولده ثاران يعب يبنعم، ويفهم منها أنه أشركه معه في الحكم، كما يفهم منها كذلك أنه أعاد بناء سد ذمار، وأما الكتابة المعروفة به (REP, EPIG, 4909) فتحدث عن وفد أرسله هذا الملك ليأتيه العزيز، ملك حضرموت بإعتلاءه العرش، وأن ذلك كان في حوالي عام 20 ق.م، على رأي (3)، 3702 م، على رأي آخر (4)، بل إن جام (5) إما يحدد لحكم ثاران يعب يبنعم الفترة (165-275 م)، بينما يرى فون فيسمان أنها في الفترة (230-240 م) (6).

ووجه ذمار على يبهر الثاني، بعد أبيه ثاران يعب يبنعم، ثم جاء شمر يعرش، والذي لقبه فون فيسمان بالأول، تيمنًا له عن شمر يعرش المشهور، والذي جاء بعده بفترة طويلة (7).

ويذهب جون قلي إلى أن عرش سبا وذوى ريدان، إنما جلس عليه في الفترة (145-115 م) ملك من أسرة بني بنع من حاشد - وحاشد كما هو معروف من الهمدانيين - وأن عددهم كان إثنا عشر ملكًا (8)، ثم جاءت من بعدهم أسرة من بكيل (9)، كان أول رجالها العز نوفان يبديف، الذي حكم في الفترة (115-145 م).

Le Museon, 1964, 3-4, P. 459
REP, EPIG, IV, P. 355, VII, III, P. 360
J.B. Philby, Sheba's Daughters, P. 449.
J.B. Philby, The Background of Islam, P. 142.
H, Von Wissmann and M. Hofner, op. cit., P. 133, 144.
A. Jamme, op. cit., P. 392.
A. Jamme, op. cit., P. 392 وكار
Le Museon, 1964, 3-4, P. 3498.
Le Museon, 1964, 3-4, P. 398.
J.B. Philby, op. cit., P. 142.
ويعرف 7 ياسر بن عمرو في المصادر العربية باسم ناشر النعم أو ياسر بن عمرو أو 7 ياسر يعم، إلا أن ياسر بن عمرو هو ياسر بن عمرو بن زيد بن يعفر بن سكشك بن وائل بن حمير بن سبياً أو يعفر بن عمرو بن حمير بن يعفر بن سكشك بن وائل بن حمير بن سبياً أو يعفر بن عمرو بن حمير بن يعفر بن سكشك بن وائل بن حمير بن سبياً أو يعفر بن عمرو بن حمير بن يعفر بن سكشك بن وائل بن حمير بن سبياً.  

---


(1) حزنة الأصفهاني: المراجع السابق ص 83، وثب بن منه: المراجع السابق ص 219، تاريخ 2/6/1370.
(2) حزنة الأصفهاني: المراجع السابق ص 83، نشوان بن سعيد الحميري: المراجع السابق ص 89.
(3) تاريخ الطبري: المراجع السابق ص 426.
(4) حزنة الأصفهاني: تاريخ سي منفج منه الأنصار والأنبياء، ص 83.
(5) نشوان بن سعيد الحميري: المراجع السابق ص 89.
(6) تاريخ الطبري: المراجع السابق ص 426.
(7) طيب بن منه: المراجع السابق ص 219.
(8) أبو الغناء: المراجع السابق ص 219.

---

- 373 -
وفي ذهبت بعض المصادر العربية إلى أنه قد حكم بعد ابنته أخيه أو ابنة عمها،
فبلقيس بنت الهداد، صاحبة سليمان (1)؛ لأن الهداء قد أوصى له بالملك في عهد
بلقيس وعدها، فأجابت حميرة وقدمه (2)، أو أنه قد حكم بعد فترة تراوح ما بين
الثلاثين والأربعين عاماً من حكم سليمان لمير، حيث أخذته منه وأعاده إلى حميرة،
وبقي صاحبا هذا على عرش قرابة خمس وثلاثين سنة (3)، وهذا يعني – في
نظرهم – أن «باشر بِهِمْ»، والذي عاش في القرن الثالث بعد الميلاد، إذا كان
معاصرًا لسليمان ملك إسرائيل في القرن العاشر قبل الميلاد (4)، والفرق بينهما، كما
نرى، جد شاسع، إذ أن سليمان عليه السلام، إما سبقه بأسار يهم، برمز قد
يزيد في مداها عن إثني عشر قرناً.

وأما الرواية التي ذهبت إلى أن سليمان قد حكم حميرة، فليس أدري – علم
الله – من أين جاء بها أصحابها، وليس هناك نقش واحد – سواء أكان هذا النص
من النصوص الحميرية، أو حتى من نرواة اليهود، أو غيرها من المصادر اليهودية –
يمكن الإعتماد عليه لتدعيم زعم الآخرين هذا.

هذا وقد روى القرآن الكريم – وكذا النرواة (5) – قصة ملكة سباً

(1) تاريخ البابي 367/1 أو الفهد (1) 77/1، الأثوذ الهيثمي ص 320، كتاب التنجان، ص 219،
مرج الذهب 2/93، حزمة الأصفياني: المرجع السابق ص 42،
شنوينس الحميري: المرجع السابق، ص 69.
(2) مرج الذهب 2/75، وبه بين منه: المرجع السابق، ص 219.
(3) يختلف المؤرخون في الفترة التي حكم فيها سليمان من القرن العشرين قبل الميلاد، فهناك من يرى أنيا
في الفترة 974-953 ق.م، (فؤد حوراني: المرجع السابق ص 24)، ومن يرى الفترة 973-
972 ق.م، (قديم سابور: المرجع السابق ص 249)، ومن يرى الفترة 976-
974 ق.م، (فؤد حوراني: المرجع السابق ص 250)، ومن الحميري زايد: الشرق
ال中心主任 378)، ومن يرى الفترة 971-966 ق.م (موسيكاني: المرجع السابق ص 143)، وكذا
(E. W. Heaton, op. cit., P. 172).
(W. F. Albright, op. cit., P. 120-122).
(4) مملوك أول 10-13، أخبار أيام أول 10-12.
(5) حتى 14:2.
مع سليمان عليه السلام في سورة النمل (1) ، ومنه نعرف أن الملكة العربيّة حين تأكّدت أنّها أمّ لواء من المصلين الأخيرة، يريد لها ولقومها، الهدى إلى سواء السبيل، وليس رجلًا غرّته قوته، فأراد أن يجعل من بلادها جزءًا من ممتلكاته، فقرر الذهاب بنفسها إلى النبي الكريم، ويعتبر سليمان لاستقبال الملكة العظيمة، فيعدّ لها أمرًا يخرج عن قدرة البشر العاديين، ويدخل في عداد معجزات تلك الصفوة المحتركة، من رسول الله ونبيّه الكريم، فتأتي بشرفها إلى قصره، حتّى إذا وصلت، وقالت نكرانًا لها عشراً نتجرّب أن تلبي أم تكون من الذين لا يهتدون، فلما جاءت قبل أحلك ذكره قال كأنه هو (2) ، ثم مقاضاة أخرى، بقيل لها ادخلي الصرح فلما رأته جلته، و짓عت عن ساقها، قال إنه صرح مزود من قوارير (3).

وقد كانت الملكة قد رأت كل ما يعيد عنها أيّة ربيّة في أنها أمّ للنبي الكريم، سليمان عليه السلام، وليس، كما كانت تقف، بآذى ذهدها، أنها أمّ للملك يطبع في دولتها، أو يٌغرد الإستيلاء عليها، ثم يجعل من أعزة قومها أذلًا، وكذلك يفعل الطامعون والمستعمرون، وهنا أراد الله لها المداة والإرشاد، ومن ثم قالت ربّ أني ظللت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين (4).

وليس في كل هذا ما يفيد من قريب أو بعيد، أنّ السمع قد أصبحت مستمرة لإسرائيل على أيام سليمان، أو أنّ بلاد العرب قد أصبحت ضمن دولة اليهود، وكذا ليس في قصة الوراء ما يلبس ذلك، ومن ثمّ إذا كان ذلك قد حدث، فهو من

خيال الإخباريين، طبقاً لإسرائيليات أو حي إلهم بها مسلمة أهل الكتاب، وليس من حقائق التاريخ وأخباره الصحيحة.

وعلى أي حال، فإن الروايات العربية تتبع إلى ياسر ينعم الفتوحات العظيمة، فترفع أنه خرج إلى ما حوله آباؤه من الترابية العظمى، فوطئه من الأرض موطناً عظيماً، ودوخ الشام ومصر وقبض أقوامها، ثم توجه إلى المغرب لرؤية راجاً، يري أن يبلغ وادي الرمل الذي يسيل، وهكذا أخذ يسير حتى إذا ما بلغ البحر المحيط (زعمه هذا البحر الأبيض المتوسط) أمر وله يشير، أن يركب هذا البحر حتى يعبره، ثم يرجع إليه بما رأى في وادي الرمل، ويصعد شمر يرعش، بامر أبيه، فينزل على صنم ذي القرنين، ثم يبعث بعساكره إلى الإفرنس والإسكس والصقالبة، حيث يكتب لها النجاح فيما أرادت، فنعود وقد غمشت الأموال وسبت الندرا من كل جهة من جزر البحر، على رواية، وأن هذه الجيوش، والتي كانت في عشية آلاف مركب، كانت بقيادة واحد من أهل بيت ياسر ينعم، يقال له عمرو بن زيد بن أبي يعفر، وأنها ذهبت إلى وادي الرمل، قبل تاج مخزهما ولا ماجازاً، لأن الرادي لا يسكت إلا يوم السبب فلا يجري، وهكذا ضاعت هذه الجيوش، وهنا أمر الملك بصنع تمثال من نحاس كتب عليه الملسم

"أنا الملك الحميري ياسر ينعم اليعري"، ليس وراء ما بلغه مذهب، فلا يجاوزه أحد فيطب، على رواية أخرى.

ولم تقتصر فتوحات ياسر ينعم، فيما تزعم المصادر العربية - على ذلك، وإذًا أمتدت إلى الحبشة وإلى بلاد الروم والترك، ففضلاً عن النبت والصين والهند، وأخيرًا مافي في دينور، حيث يدقه إنه هناك، ثم جلس على عرشه من بعد

(1) قدمت دراسة مفصلة عن علاقة سليمان ينعم سباً في دراستنا حول العرب وثقافتهم الدولية في المصور.
(2) تاريخ الطبري ٢٦٦/١، ابن الأثير ٢٢٧/١، تاريخ ابن خلدون ٤٢/٣، وتاريخ ابن الأثير ٥٣/٣، مولك حمير وإسلامت اليمن ٠٨-٠٨، سيد الكهف، متال، مكة، حمير، وأثبات.
(3) اليمن ص ٨٩-٩٠.
وإن قفزت بعض هذه المراجع، فجعلت من تيان أب كرب أسعد خليفة له(1)؛ كما أبت مراع أخرى إلا أن تنسب للرجل شعرًا فيه فخر ونها حماه، كما نسب لويدة "شمر يرعى شعرًا كذلك، يز Ни فيه أباه، ولم تست هذه القرائح أن تقدم لنا نماذج من كلامه العربي الفصحى، لرنا أنه كان – كسائر ملوك اليمن – يتكلم بلسان عربي مبين(2).

وليس من شك أن كل ما جاء في هذه الروايات عن "ياسر بينعم"، فإنه هو من أساليب وأب منبه، وغيره من الإخباريين الذين سودوا صفحات كتبهم عن هذه المرحلة من التاريخ العربي القدامى بكل غث وسمين. وإن كانت هناك روایات تاريخية عن حملات عسكرية قام بها الحميريون في وادي النيل الأوسط وشمال أفريقيا(3)، وقد أشار د. ده ريشنال(4) إلى حملة قادها أبو مالك بن شمر يرعى إلى معادن الزمرد في أرض البجة، ومن المحتمل أنه يكون قد لقي حتفه وهو معظم جبهه، حوالي منتصف القرن الأول الميلادي(5).

وعلى أي حال، فهناك الكثير من النصوص التي تحدثت عن "ياسر بينعم"، هذا، منها نص (CIH، 46)، الذي عبر عنه في "بكاران"، ويرجع تاريخه إلى عام 277 م، وقد جاء فيه إسم إلاله "عشر"، واسم قبلي "مأنف"، و"شهير"(6)، كما جاء إسمه واسم واده "شمر يرعى"، في نفس مؤخره بعام 277 م. كذلك، ولعل في هذا إشارة إلى اشتراكه معه في الحكم، حيث لقبه ملكي

(1) تاريخ الطبري 267/1، ابن الأثير 1626.
(2) أثر: والدب بن منه، المرجع السابق ص 220، حديث الملتلى: المرجع السابق ص 83، جواهر علي/2، ملوك حمير وأتياه اليمن ص 209-209، أغثار عبيد بن شريف ص 426.
(3) مصطلح محدد: الإسلام والحرية في العصور الوسطى، القاهرة 1960 ص 108.
(4) مصطلح محدد: المرجع السابق ص 108، وكذا:
(5) جواهر علي/2، وكذا.
(6) وكذا.

D.H. Muller, ZDMG, 37, 1883, P. 365-370
سيًا وذوى ريدان (1). هذا يجب الإشارة هنا إلى أن القوم وقت ذلك، إنما كانوا يؤرخون وفق تقسيمات مختلفة، وأن الفرق بينهما ممخضًا، أو مخم وسبعون سنة، ثم أعمل أحد التقويمين وباقي الآخر، وهو تقسيم متمكن بين أبيض، ووقع بداية فيما بين عامي 118 و110 ق.م، وإن لم يستعمله في الكتابة إلا في القرن الثالث الميلادي (2)، ويري ريكمانز أن نصوص ياسر يهتم وولده شمر يهريغ (3) تختلف في تاريخها عن التاريخ البثي المروف، والذي يبدو في رأيه في عام 109 ق.م، ومن ثم فلا يمكن إثباتها وفق هذا التقويم (4).

ونقرأ في نقش (5) عين ثورة حمل لواءها الحميريون ضد ياسر يهتم، ولده حوالي عام 300 ق.م، في منطقة "ضهر"، والتي لتبث كثيرًا عن صناعة (1). هذا فضلاً عن اكتشافات جديدة بين ياسر يهتم، والمدانيين، والذين تعاونوا مع بني ريدان لمهاجمة مأرب، إلا أن الملك الحميري مراحان مهاجم المدانيين غربى صعوبة واتصر عليهم (6).

ولعل مما نجد ملاحظته أن عهد ملوك سيًا وذوى ريدان من أصعب العصور في تاريخ سيًا، ورغم أن النصوص التي عمر عليها ليست بالقليلة، إلا أنها لا تفيدنا كثيرًا، ثم إن بعضها قد أصباه التلف، ومن هذا كان الإختلاف البين بين العلماء في تاريخ هذه الفترة، هذا إلى جانب فترات مظلمة تمامًا، في كتابة هذا الفصل، نتيجة اضطراب المؤيدين فيه، وعدم اتفاقهم على رأي بشأنه، وليس هناك من حل إلا مزيدًا من الحفائر، ثم مزيدًا من الحفائر، حتى يستطيع العلماء تقديم التاريخ العربي القديم بصورة متكاملة.

REP, EPIG, VII, P. 138 وكذا J.B. Philby, op. cit., P. 110 (1)
Le Museon, 1964, 3-4, P. 475. وكذا
H. Von Wissmann and M. Hofner op. cit., P. 116 جهاد علي 376/5-377، وكذا (3)
Ibid., P. 20. (4)
A. Grohmann, op. cit., P. 29. (5)

(6) 328 -
دويلات أوسان وسعي وآربع وجبان ومهايمر

لعل من الأفضل هنا أن نتوقف قليلاً - قبل الحديث عن الدولة الخميرية - لتشير إلى بعض الدويلات التي كان لها دور في الأحداث التي جرت في تلك الفترة من تاريخ بلاد العرب الجنوبية.

(1) أوسان:

رغم أن أوسان دولة صغيرة في جنوب قبائل، لم تبلغ في موازين القوى المعروفة وقت ذلك (معين وقبان وحضرموت وسوا). شيتا يخشعه الآخرون، فإنها قد انتهت فرسنة الضعف التي ألت دولة سبا، بسبب ظهور قبائل أخرى على المرح السياسي، مثل هيدان و وخولان و وردنان وغيرها. فوصلت أقدامها في جنوب غرب بلاد العرب، ثم أخذت تنافس سبا من ناحية، وحضرموت من ناحية أخرى، وسرعان ما مدت نفوذها خارج حدودها، فحكمت هدس وتيبو وجدود، و absurd إن هناك من يحاول أن يرى في إطلاق مؤلف كتاب "الطرق حول البحر الأثري" على المنطقة شمال "بما Pemba"، و "نجران" من الساحل الأفريقي للبحر الأحمر اسم "الساحل الأوساني"، دليلًا على أن الأوسانيين قد حكموا تلك المنطقة، ففي فترة ترجع إلى ما قبل عام 400 م، ومن ثم فقد البعض إلى أن أوسان لا بد وأن تكون قوية وذات أرخ واسع في العربية الجوية، حتى يكملها أن تتميّز على هذه المنطقة من الساحل الأفريقي (1)، فضلاً عن أن يكون لها نشاط واسع معها في البحار التجارية، والذي ربما كان من ميناء "عدين" الذي كان يقع أوسان في تلك الفترة.

(2) W. Schoff, op. cit., P. 22.
(3) Grohmann, op. cit., P. 25.
(4) H. Von Wissmann and M. Hofner, op. cit., P. 74.
ولعل من أشهر ملوك أسوان الملك، يصدق إلّا رفع عتٍ بن ود (ودم)، وقد ذكر هذا اللقب بعض العلماء إلى القول بوجود فكرة تأليف الملك في أسوان، وأن الرجل إلّا كان يعتقد أنه من نسل الإله ود(1)، ومن ثم فقد استند مؤرخو الأديان على هذه الحالة كدليل على قيام مملكة الإله في بلاد العرب الجنوبية، ونحن نعرف أن ود هو الإله القومي لأسوان ومعين، كما أن عم كان إلّا قنان، وسكسا موعود حضرموت، وأما الوقعة (الملقة)، فهو إلّا سبا(2).

هذا وقد خصص الأوسانيون معداتهم الرئيسي في وادي نعمان، ل nal الإله، وود(3).

وعلى أي حال، فهناك من يذهب إلى أن الملك يصدق إلّا رفع عتٍ بن ود، إذا كان في النصف الأول من القرن الخامس قبل الميلاد، وحتى حوالي عام 450 م، معتددين في ذلك عن أن طرز الياس التي تكسو تماثل الملك، إذا هي طرز يونانية ترجع إلى ما قبل منتصف القرن الخامس قبل الميلاد، وأنه وصل من اليونان إلى أسوان عن طريق غزّة(4)، إلا أننا لا نعرف أن أسوان كانت مملكة في أخريات القرن الأول قبل الميلاد، أو بعد الميلاد بقليل، وأن حكم الملك يصدق إلّا رفع عتٍ بن ود، إذا كان حوالي 424 م(5).

وهناك بعض الملوك في أسوان نكاد لا نعرف عنهم غير أسمائهم، ومنهم: ملحن بن ذي يدم، أو زيدم، وعم يلع غيلان حلي، الذي وجد اسمه محفورا على تمثال من الرملي(6).

---

H. Von Wissmann and M. Hofner, op. cit., P. 58.
H. Von Wissmann and M. Hofner, op. cit., P. 58.
Le Museon, 1964, 3-4, P. 442.
Le Museon, 1964, 3-4, P. 442.
J. Pirenne, op. cit., P. 138, 199.

---

(1) نظر حسن: المرجع السابق، ص 298.
(2) نفس المرجع السابق، ص 199، وكذا.
(3) Ibid., P. 58.
(4) Ibid., P. 8, 58, 69, 70, 142.
(5) Ibid., P. 138, 199.
(6) حواد علي 4/5-001.
ونقرأ في نقد النصر في صرواح - كما رأينا من قبل - عن "مارتو" ملك أوسان الذي اجتاح قوات سما في عهد حكم إيل ونار، بلاده، وقينت منهم 16 ألف رجل، وأسرت أربعين ألفاً، ففضلًا على اعتلالها لعدة مواقف في أوسان (1)

هذا ويدعو "فليحي" إلى أن حكم "مارتو" إذا كان في الفترة (620-400 م) ليعقو معاصر آن هزم إيل ونار (2)، وإن رأى البعض أن "مارتو"، إذا حكم حوالي عام 600 م (3)، وربما كان بعد ذلك قليل، وعلى أي حال فإن دولة أوسان قد انتهت على يد "الشرح" يحصب في حوالي عام 115 م، فيما يرى "فليحي" (4).

(2) سباي:

وهي قبيلة همدانية سكنت المنطقة ما بين حاش وحلقالان في الحجر (5)، وهي إمارة أو مشيخة قوية احتلت سبا "ملك" يتعموا بعض من الإستقلال لا ندرى مداه، ولا الفترة التي يحدث فيها هذا الاستقلال، ولعل أهم أميراتها "بةمان" "ذيان" (6) و"سمه افق" اللذين جاء ذكرهما في نقد (جلازير 2002) (7).

(3) أربع:

وهي قبيلة كان يلقب شيوخها بلقب "ملك" عرفنا منهم "نبط إيل" (8) و"لحي عثا بين سبان"، أو "عم أم" (9)، والذي كان معاصرًا الملك سما، يتع أمر بين (10)، على أننا يجب ألا نفهم من لنقاط ملك هنأ، المعني المعرف من الكلمة، وذلك لأن أربع لم تكن مملكة بالمعنى المفهوم، وإنما كانت قبيلة لما شيوخ يتعمنون

KTB, I, P. 283.
J.B. Philby, op. cit., P. 144.
J.B. Philby, op. cit., P. 144.
J.B. Philby, op. cit., P. 144.
D. Nielsen op. cit., P. 132.

(1) أنظر: "أحمد نخري: المراجع السابق ص 161-164"، وكذا
(2)
(3)
(4)
(5)
(6)
(7)
(8)
(9)
(10)
بشي، قليل أو كثير من الاستقلال في حدود أرض قبليتهم، وإن خلوا على أنفسهم
لقب "ملك".

(4) جيان:

يحدثنا أ. عل. بن بني المقدسي عن قوم دعاهم بـ "الجباليين"، يتكون عدة مدن، من أهمها "نجية" و"ناغيا" و"تمنمة" و"ثامنا"، وأن بالأخيرة خمسة وستين معبداً، وأن اللبان والكلدر لم يكن يسمح بتصديره إلا بواسطة هذه الملكة، ولا يعد دفع ضرائب يحدها الملك، وأما أر فكان الملك يأخذ منه لنفسه ربع الغلة، كما كان يحتك ببع الفرة.

وبهما كان الجباليون هؤلاء من قبائل، وأنهم استقلوا في فترة لا تبعد كثيرا عن أيام أ. عل. بن بني المقدسي (77-776م)؛ وأن مواطنةهم لا تبعد كثيرا عن قبیلة، فهي إلى الجنوب الشرقي منها على رأي، وإلى الغرب منها على رأي آخر، ويدهب بعض الباحثين إلى أنهم من "جب" التي وصفها المقدسي، بأنها مدينة المزارع، وأنها كورة المعافر، في فجاءة بين جبل صبر وجلب ذهر في وادي الفضاب.

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة هنا إلى أن أساتذتنا الدكتور عبد العزيز صالح فقد عقد مقارنة بين "الجباليو" (Gnbtyw) الذين ورد ذكرهم في حوليات الإمبراطور المصري العظيم تحوكم الثالث (1490-1436ق م)، على أنهم

Le Muser 1, 1949, LXIII, 3-4, P. 249.
KTB, I, P. 74
H. Von Wissmann and M. Hofner, op. cit., P. 50
Pliny, VI, 154, Vol., 2, P. 453f
Pliny, XII, 69, Vol, IV, P. 51.
Encyclopaedia of Islam, 2, P. 810-812

(1) جفاد ميل/2-1948، وکذا
(2) جفاد ميل/2-1948، وکذا
(3) جفاد ميل/2-1948، وکذا
(4) جفاد ميل/2-1948، وکذا

- 322 -
جاءوا يحملون هداياهم أو منتجاتهم من الكندر (البخور) وصمغ كاي (؟)؛ وبين هؤلاء: الجبانين (Gebbanite)، الذين كانوا ينتشرّون في جنوب شبه الجزيرة العربية وحُقّ باب المندب، ويتاجرون في الكندر، كما أن ذكر بهليهم ولدولتهم في وقت كانت فيه هذه الدولة قد أصبحت جزءاً من دولة سبا وحمير (أي في القرن الأول الميلادي)، يدل على أن مصدر معلوماته إذا يرجع إلى مصدر مبكر.

وهنا ربما يُعترض البعض على أن الجبانين لا يراجعون إلى هذه الفترة المبكرة (عصر تحوّمس الثالث)، وعلى أساس أن أقدم سيارات مكتوبة من بلاد العرب لا ترجع إلى ما قبل القرن العاشر ق.م.، غير أن هذا لا ينفي وجود القوم كجماعة في وقت أقدم بكثير من كتاباتهم ومدنهم، وقد أثبتت وليم أوليرابت أن هجرة القبائل السماوية بالقبائل السنية من شمال بلاد العرب إلى جنوبها، إذا حدث قبل عام 1500 ق.م، أي قبل عصر تحوّمس الثالث.

أما الأسباب التي دفعتها إلى تقديم هداياهم إلى العاهل المصري، فإنها كانت ترجع في الدرجة الأولى إلى الرغبة في حماية تجارتهم عبر طريق تجارة البخور التي كانت تمر في أراضي إمبراطورية تحوّمس الثالث الأسيوية الإفريقية(1).

(5) مهمّر:

ويَهي إمارة مَقَرها «رجمت» (رجمة)، إنخل سادتها لقب ملك، وربما جاءت أمهّيتها في أنها تقع على طريق القوافل التي تصل معين وشبه الجزيرة العربية من ناحية، ومصر من ناحية أخرى(2)، ويدهب بعض الباحثين إلى أن «رجمت»

تقطع الآن في أرض تجران، أو في مجازاتها من ناحية الشمال، وربما كانت واحدة من مدن تجران، وأن تجران نفسها لم تكن في الأصل مدينة معينة، وإنما هي أمضت عدة مدن، ومنها ه رجمت، التي تحول اسمها بمرور الزمن إلى تجران، وإن هناك الكثير من الأمثلة على ذلك في العربية الجندوية.

هذا ويدعو موردينك إلى أن أرجمت، ربما كانت لرهمة في التوراة، ودود الأبن الرابع لكوش، يقول سفر التكوين: ويوصي كوش سبأ وحوقية وسنته ورهمة وسباك. ثم يرى بعد ذلك أن القصد كوش: هنا، العربية الجندوية، وأن من أولاد كوش، سبأ، ودیدان، وأن تجار رهمة قد ذكرنا في سفر حزقيال مع تجار سبأ، ودیدان، فبهن أن موردينك لم يفعل سوى أن ريد ما جاء في توراة اليهود، من إدعاء كذب، يسب أعظم العرب ساميتهم، فالعربية الجندوية، وتبادل واشار وكنعان وبیسوس ومصر وغيرهما من الشعوب العربية، إنا هم جميعاً.

— في نظر توراة يهود — حامرون

وكذا جراد على 2/7/1950، تكوين 10، أخبار أيام أول: 1، حزقيال 22: 22.
H. Von Wissmann and M. Hofner, op. cit., P. 11.
وكذا تكوين 10: 22-٢٠٠٠.
أظهر مقالاتٌ للسادوس، الذي دار حول مؤلفاتهم الأصلية، مجلة كلية اللغة العربية — المدرة الزراعية، الريالي 1974م، ص 245-271.
الفصل الثامن عشر
عصر الدول المصرية

يتميز هذا العصر من عصور التاريخ السببي بأن الملك قد حملوا فيه لقب
ملك سباً وذئب ريان وحضرموت وميمان، وهذا يعني أن حضرموت قد أصبحت
من هذا العصر الرابع، جزءاً لا يتجزأ من مملكة سباً، أما (ميمان) فهي
للفترة الجديدة لم تصل إليها من قبل، ومنها – فيما يرى البعض – ولدت كلمة (اليمن)
التي توسع مدارها في العصور الإسلامية حيث شملت أراضي واسعة لم تكن تعود من
اليمن فيما قبل الإسلام 1)، ومن ثم فقد قبل أن حدود اليمن تقع بين عمان
ونجران، ثم تلتوي على بحر العرب إلى عدن إلى الشحر، حيث تتجاوز عمان فترتفع
عند بنيونة، وقبل حد اليمن من وراء تثليث وما سامتها إلى صنعاء، وما قاربها إلى
حضرموت والشحر وعمان إلى عدن أبين، وما يلي ذلك من النهائم والتجرد،
واليمن يجمع ذلك كله 2).

اليمن – في رأي آخر – اسم عام أطلق على السواحل الجنوبية، وهي
في رأي ثالث – كلمة عامة تشمل الأراضي الواقعة جنوب غرب شبه الجزيرة

(1) جوده علي ع831/2، ياقوت 8/447-449، الهندي: المرجع السابق ص48.
(2) ياقوت 8/447.
(3) P.K. Hitti, op. cit., P.60. ينظر فيما بعد ص48-248، وكذا

- 325 -
العربية، من باب المندب وحتى حضرموت، وتكون من عدة مخاليف، يحكمها أعيان وأذوای شبه مستقلين، إذ كانوا يخضعون لنفوذ ظفار أو ميفعة، ولعل أشهر مديبتها Ocelis عند باب المندب (معاهنة الجيلين)، فضلاً عن عدن وقنا في حضرموت، وهي في رأي رابع القسم الجنوبي من حضرموت، وقد كانت ميفعة عاصمة لها في ذلك الوقت.

ويذهب المروج إلى أن اليمن، إذا سمى بما لأنه على يمين الكعبة، أو لينا، أو لأن الناس حين تقفوا لغاتهم بالغابين بعضهم يمين الشمس وهو اليمن، أو لأن الناس لما كاذروا بحكم وتقفوا عنهم التأمت بين يمن إلى اليمن وهو أين الأرض، أو لأنها سميت بما نسبة إلى يمن بن حبان.

وعلى أي حال، فإن عصر الدولة الحميرية هذا، إما أن يكون كذلك لأن لقب المروج مرتان لتغير مرة أخرى، فأصبح الواحد منهم يلقب بلقب ملك بن بن دي ريدان وحضرموت، ويتألف عن الصناع، وأعرابياً في المختارات وفي الزهائم، كما تتميز كذلك بدخول اليهودية والمسيحية إلى بلاد اليمن، ومحاولة زراعة الدينية الر 좋아ية، والتي كانت تدور حول عبادة النجوم والكلاب وال الشمس – وقد بدأت المسيحية على يمين—from the profesore de Theologie publ. 1899, p. 99.

Le Museon, 1964, 3-4, p. 456.


---
ولعل من الأفضل هنا أن نتوقف قليلاً قبل الاستطراد في الحديث عن العصر الحميري: ليشير في اختصار إلى الحميريين أنفسهم: كانت قبيلة حمير قبيلة قوية لها نفوذ كبير في العربية الجنوبية في أخريات أيام سباً، وقبل ظهور المسيحية، وهذا ظل اسمها يتردد دائماً في كتب المؤرخين الرومان وفي كتب العرب، وأصبح اسمها صفة لكل ما يعمر عليه في جنوب شبه الجزيرة العربي، وصار اسم القوش التي بدأ العلماء في صلة هو "القومية الحميرية" بدل إن كلمة الحضارة الحميرية أصبحت علمياً على كل شيء في بلاد العرب قبل الإسلام.

هذا وقد أطلق الكتاب القديم من الأغرة والروم على الحميريين اسم (Omeritae) (Hamiroei) (Omyritai) (Homeritai).

وقد اعتبر "بليبي" الحميريين من أكثر الشعوب عداً، وأن عاصمتهم هي مدينة سيفار (Sapfhar) (أي ظفار)، وقد جاءت في الترازا تحت إسم "سغار" (Sagar) وهي مدينة في الداخل، على مبعدة مائة كيل ميل إلى الشمال الشرقي من "المحا"، وعلى الطريق إلى صنعاء، وقد احتلت في تلك الفترة مكانة "مارب" عاصمة سباً، و"قرناو" عاصمة معين، وما زالت آثارها مائلة للعين على قمة تل مستدير جنوب بلدة "يريم" الحديثة.

هذا وقد عرف الحميريون عند الأحباش باسم "Hemar" "بليبي" إلى مدينة دعاها "مسالة" (Mesala) - والتي رأى فيها "جلازر" المشالبة.

---

Pliny, VI, 28.
Pliny, VI, P. 104 وكذا.
Le Museon, 1964, 3-4, P. 429, 438 وكذا.
ZDMG, 31, 1877, P. 69 وكذا.
El, 2, P. 310, 3, P. 292. وكذا.
Le Museon, LXXVII, 3-4, 1964, P. 429. وكذا.
Pliny, VI, 32, 158 le Museon, 1964, 3-4, P. 446. وكذا.

---

1. أحمد حنفي: المرجع السابق ص 126.
2. جرود علي 2007، وكذا.
3. تكرين 2011.
5. نبرد علي 1972، وكذا.
6. Pliny, VI, 32, 158 le Museon, 1964, 3-4, P. 446.
الخالية إلى الشرق من محا، بينما ذهب سيريج إلى أنها ماأصل الجمع، (Nomeritae) وإن القصود (Homeritae) هنا، جماعة أخرى دعاهم، وأن التحريف إنما جاء من الساحل (1).

ويذهب صاحب كتاب الطواف حول البحر الأرتيري إلى أن الحميرين إنما كانوا يحكمون منطقة واسعة تُnika من ساحل البحر الأحمر وساحل المحيط حتى حضرموت، فضلاً عن ساحل عزانيا، الأفريقي، وأن ملكهم كان يُسمى كرب أيل، وأن ظفار كانت عاصمتهم لهم (2)، وأن إسمهم قد جاء في ألقاب عزاني، ملك أكسوم، حيث تقرأ في لقبه ملك أكسوم وحمير وريدان وحبشة السبيب وصلع ونهاة (3)، ومن النص أن الكتب المسلمين والبيزنطيين إما عدوهم من القبائل الحبشية (4).

وقد شغل الحميريون في الكتب العربية صفحات، ربما كانت أطول مما يت lance، بقية دول العربية الجنوبية مجتمعة، وقد نسبهم إلى زيد الذي يُعرف حميري، ثم جعلوه إيتاً لسابة، فهو - فيما يزعمون - حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب ابن قحطان (5)، وأنه أول من تُرِج بالذهب، وقد ورث أبه في عرشه، ونها حمسيين عاماً على رأي، وخمسة وثمانين على رأي آخر - وأنه في أثناء ذلك مد حكمه إلى حدود الصين، كما أخرج معدا من اليمن إلى الحجاز، وأنه عاصر الخليل عليه السلام، (أو على الأقل هو في درجة من النسب)، ومن ثم فهو الذي سيطر جرهم إلى الحرم وأرض الحجاز، حيث تقول بهاجر وولدها إسعام الذي تزوج منهم، (6).

E. Glaser, op. cit., II, P. 137. Pliny, VI, XXXII, 158.

(1) فرنك هويل: التاريخ العربي القديم، ص 108.
EI, 2, P. 310.

(2) لاين، تاريخ، ١٦٨/٢، ابن حزم: المربع السابق، ص ٣٢٩، تاريخ لاين، ٢٥٠/٤، تاريخ negócio، ١٩٥/١، مراجع الذهب ١٨٨٧، المعابر، ص ٢٧١، يافوث، ٢٠٠٦، أربالدا، ٢٦/١.
EI, 2, P. 310.

(3) لاين كبير: البداية والنهاية، ص ٢٣٢، ابن حزم: المربع السابق، ص ٣٢٩، تاريخ لاين، ٢٥٠/٤، تاريخ negocio، ١٩٥/١، مراجع الذهب ١٨٨٧، المعابر، ص ٢٧١، يافوث، ٢٠٠٦، أربالدا، ٢٦/١.
وهكذا ذهب بعض الإخباريين إلى أنه إذا كان قلب عاد وثود بدهر طويلة، فضلاً عن أنه هو الذي بنى سد مأرب، أو أكمل بعد أباه، ثم بعد عشر سنوات إلى ثلاثة قرون كاملة، تاركاً وراءه بين كثرتين، وإن رأى البعض أنهم ستغفر بعدهم قبائل حمير، والتي لم يربط الود بينها، بقدر ما جددت طول الحرب، ويفض بالبعض إلى ذلك، أنه لما يحث أحدهما وكهلان، على الملك فاغتسته، ولكن أبناء حمير سرعان ما استدروه، ومن ثم فقد بقيت وكهلان على الحدود، فيما يلي الصحراوات.

وأما ماذا سيصير حمير بامس هذا؟ فإن الروابط عند بعض الإخباريين، لأنه كان يعيش حلة حمراء، وإن وقفت البعض الآخر موقفاً محايداً إزاء هذه التفسيرات، فرأى أن هذه الأسماء مثل حمير، وكلا إسمه الآخر المرني أو المرنيج لاتنق لها على استناد، لأنها قد بعثت وقامت العهد بنها كأن يعرفها.

وبدهي أن هذه الروايات لا شك أن الكثير منها، إنما هو أقرب إلى الأساطير منة إلى حقائق التاريخ، وأن حمير - إن كان هناك من يدعى حمير - لم يدع حدوده إلى الصين، ذلك لأن التاريخ لا يعرف أن العرب قد وصلوا إلى تلك البلاد غزاة فأتقن، طوال تلك العصور الغابرة، وإنما لأنهم ليس كل الظن فما - أن هؤلاء الكتاب من الإخباريين، كما كانوا متاثرين بالفتوحات الإسلامية في تلك المناطق، فعليهم إلى أنها أهور سوابق خلت، فإذا كان ذلك كذلك، فتلك مسألة، إذ يصبح الإخباريون بعيدين عن تلك الروح التي تحت بها الفتح الإسلامي، والتي لم ولن يعرف التاريخ لها ميالاً، وذلك حين خرج المسلمون من بلاد العرب ينشرون التوحيد.

تاريخ ابن عدلون/2، الإكليل/4، تفسير روغ الماني 98/1-2، تاريخ الميعوبي 51/2، تفسير روغ الماني 128/6، ملك حمير أقاليم اليمن من 12-18، محمد ميروك ناغ، المرجع السابق ص 66، وقائمة تفسير البخاري/2/35، تفسير الترتيب 12/25، تفسير الطبري 8-24/22، ظان 216/8، الإنشقاق 2/168.

1379
والهداية والثور في جميع أنحاء الدنيا، لا يغون من وراء ذلك بلادًا يستعمرونها، أو إمبراطوريات يعبرون على عرشها، أو أسلابًا يعتمدونها، وإنما كانوا يغون أولاً وأخراً، وجه الله، وهدية الناس – كل الناس – إلى الإسلام، دين الله الحنيف.

والأمر كذلك بالنسبة إلى إخراج غور من اليمن إلى الحجاز، ذلك لأن

العمودين(1) - كما تدل آثارهم - إذا كانوا أصلًا من شمال بلاد العرب، وليس من جنوبها، وقد انتشرت آثارهم في مناطق واسعة، إمتدت من الجوف شمالًا، إلى الطائف جنوبًا، ومن الأحساء شرقًا، إلى يرب قارس مدين غربًا، وفي المسألة المؤدية إلى العقبة والأردن وسوريا، وعلو في هذا تفسيرًا لذكر القرآن الكريم لم دون غيرهم من شعوب بلاد العرب، فمنهم كانوا أكثر منهم شهرة في مجال التجارة أو المدنية أو القوة، كالهبدانين والأنباط والمحبينين(2)، فضلاً عن العظمة من قصة النبي الكريم سيدنا صالح عليه السلام، هذا إلى أن العموديين إذا كانوا يقمنون في شمال بلاد العرب في القرن الثامن ق.م. كما تدلنا على ذلك التصص الآشوري(3)، بينما نحن الآن نتحدث عن حيبر في فترة تقرب من الميلاد بقبل أو كثير، وأما أنه كان في عصر إبراهيم عليه السلام، فتلك مسألة، بخصوص إذا ما علمنا أن الحيل كان يعيش في الفترة (1400-1765 ق.م)(4)، والأمر كذلك بالنسبة لم جعله قبل عاد وعود، وكذا بالنسبة إلى الفترة التي عاشها في هذه الدنيا.

وهل من الأمهات ممكن الإشارة إلى لقب بيل، وجمع المثابرة - والذي

ظهر في تلك الفترة من تاريخ اليمن القديم، وهو لقب مجهول الأصل كان يطلق

أناج من العموديين، النحالين، بني كتاني ودراسات في التاريخ العربي، و مجالد الدكتور
عايد السعيدي، قوم غور بين روايات المروجيين وتحديات القرن، مجلة كلية اللغة العربية،
العدد السادس - الرياض 1976، والفصل الخامس من بكتانيا هذا.

(1) أحمد حسن طه الدين، اللغة العربية في مصدر ما قبل الإسلام، ص. 31.
A. Van den Branden Histoire de Thamoud, les Textes Thamoudeens de Philby, 1956، ANET, P. 287، وكذا، les Inscriptions Thamoudeens, 1950، وكذا.
(2) أناج من عصر إبراهيم كتاني إسرائيل، ص. 177-178.
(3) 340.
على الملك، ومن ثم فقد أصبح المؤرخون والمسرون في حيرة من تفسير المراد به، فإن هناك من يرى أن الملك قد سموا لأنهم إنما كانوا يشرون بعضهم البعض الآخر في الملك وفي السيرة، وهناك من يرى أن التبع يملك يتبعه قومه ويصيرون تبعا له، أو كثرة أتباعه أو من التابعين، ولست أظن أنهم كانوا في ذلك يختلفون عن غيرهم من الملك، فالملكية بطبيعتها نظام وراثي، ثم إن الملك إذا يتبعه قومه، لأنه صاحب الأمر فيه، كما أن أتباعه لا بد وأن يكونوا من الكثرة بحيث يكونون مملكة.

وهناك من يفرق بين لقب التبع، ولقب الملك، فذهب إلى أن اللقب الأول لا يقبل به إلا من يملك اليمن والشجر وحضرموت، وقيل حتى يتبعه (بني جشم ابن عبد شمس)، فإن لم يكن كذلك فهو الملك، وليس تبعا لذلك، وأن أول من حمل لقب التبع، إنما كان الحارث بن ذي شمر (الراشدي)، وأن هذا اللقب قد استمر حتى زال سلطانهم حين استولت الحبشة على اليمن، وعليهم في هذا إنما يقصدون أن لقب التبع، إنما هو أعظم من لقب الملك، ومن ثم فإنهم في هذا لم يجانوا الصواب كثيرا بالنسبة إلى تاريخ اليمن، فقد رأيت ما قبل كما في أربع وسبعين وغيرهما كثيرا من مشايخ القبائل والشيوخ الصغراء، الذين انتهجوا لقب الملك، دون أن يكون لديهم شيا من مقومات الملكية المروعة.

على أن أسماً ما في الأمر، مبالغة الأخباريين فين أرسلهم الله، صحبه وتعالى، من المصطفىين الأخبار للتابعة، فذهب البعض منهم إلى أنهم كانوا النبي عشر ألف

F. Hommel, Explorations in Arabia, P. 727-41.

(1) تفسير الجريري 114/8، الإكليل 2/70-71، وكذا.

(2) تراب البحرين 5/287، الإكليل 2/81، حزمة الأصفهاني: المرجع السابق ص 82، تربخ ابن إين، الخليل 2/7-8، تفسير البيضاوي 2/777.

(3) إين غيتس 159/7، تراب البحرين 5/287، الإكليل 2/50.

(4) صبح الأصغري 1/780.
نبي؛ وإن تواظب البعض، فجعلهم ثلاثة عشر نبأ (1)، وأن واحداً من التابعية قد صنع المذرات من الحديد، بل إن الحديد إما قد سخر له، شأنه في ذلك شأن داود عليه السلام (2).

هذا وقد تحدث القرآن الكريم عن التابعية، فقال سبحانه وتعالى: "أَهَمْ خِيَارٌ أَمْ قِوْمٍ يُبْعِلُونَ اللَّهَ وَمُتَّقُونَ وَمَا أَتَىٰ مِنَ الْاَكْرَحِينَ (3)، إلا أن القرآن الكريم لم يحدث إسم هذا بل "تع "، ومن ثم فقد اختفى المسروقون فيه، فرأى بعضهم أنه من حمير، وأنه حيّر الخيرة، وأثني سمرقند تراهما، وذهب بعض آخر إلى أن تباعا" إما كان رجلًا صالحاً من العرب، وأنه لما دنا من اليمن ليدخلهما حالت حمير بينه وبين ذلك، لأنه فارق دينهم، وانتهى الأمر بأن تعاكيوا إلى النار فينصر الرجل على قومه الوثنيين، ومن ثم فقد تهونت حمير، ولهذا تبع "يبت رثاء" (4)، على أن الرواية نفسها، إما رويت كذلك عن "تبان أسعد أب كرب" (5) وعلى أي حال فإن هناك من يروي عن مولاها وسيدينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال "لا تسبروا تبعاً فإنه كان قد أسلم" (6) ومن يروي أنه - صلى الله عليه وسلم - وقال "ما أدرى أكان تبع نياً أم غير نيا" (7).

(1) ابن كثير / 159
(2) تفسير ابن كثير / ١٤٢ / ٢٥ - تفسير الطبري / ١١٥ / ١١٥ - تفسير البخاري / ٣٠ - سورة الدخان: آية ٣٧ / ١٣٨٧ - ١٢٩ (طائفة الخازن / ١٩٥٤).
(3) سورة الطور: آية ١٤ / ١١٧٨ (طائفة الخازن)
(4) سورة الحج: آية ١٤ / ١١٧٨.
(6) ابن كثير: البداية والنهائية / ١٦٩-١٦٦.
(7) ابن كثير / ١٦٩ / ١٦٨ - ١٦٩، تفسير الطبري / ٠٧ / ٠٧ - ١٦٨ / ١٦٨ - ١٦٨، قارن: ملوك حمير وأثيان اليمن.
ولعل من الغريب أن النصوص المسندة لم يرد فيها ذكر كلمة "تع" ؛ بمعنى "ملك" ؛ أو حتى بمعنى آخر يفيد معنى الرباية ؛ وإنما كان الاسم يستعملون بدلًا عنها كلمة "ملك" ؛ ومن ثم فقد ذهب بعض العلماء إلى أن كلمة "تع" ؛ ربما كان المقصود بها "تع" ؛ وهو اسم لقبيلة همدانية (1) - ثم حرفت الكلمة إلى "تع" ؛ 
على أننا لا نستطيع أن نطمئن إلى هذا الإتجاه ؛ فقد تكشف الخنافرات عن نصوص ترد فيها هذه اللفظة بالمعنى المعروف عليه ؛ أو يبدى آخر.

وأما موطن الحميريين ؛ فقد كان إلى الشرق من القسم الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية ؛ حيث يكون جزءًا من أرض قبائل ؛ فتبع إلى الجنوب من أرض "رشا" ؛ و"حبان" ؛ إلى الغرب من حضرموت ؛ إلى الشرق من "ذاب" وتكون أرض "يافع" الإمرنصق الشامي للحميريين قبل هجرتهم حوالي عام 100 قبل الميلاد ؛ إلى مواطنهم الجديدة ؛ حيث حلو في أرضين "دهس" ؛ و"رعين" مكونين حكومة "ذيو ريدان" ؛ ومتخذين من ظفار" عاصمة لهم ؛ وأما المصادر العربية فيفهم منها أن الحميريين إذا كانوا يقطنون منطقة "لحج" في ظفار ؛ وفي "سرو حمير" ؛ و"نجد حمير" (2) ؛

ورد أن هناك من يرى أن الحميريين فرع من السبتيين (3) ؛ أو على الأقل يمتنون إليه بصلة قوية ؛ وأن لهم ليست إلا لجة من لغة سبا وعميين (4) ؛ فإن العلاقات بين سبا وحمير كان يسودها طابع العداء في أغلب الأحيان ؛ وكثيرًا ما أشارت الكتبات السبئية إلى ذلك (5).

---

(1) انظر عن قبيلة ينح : جواب على 2/504-4010. 
(2) جواب على 2/618-602-4010 ؛ وكذا
(3) H. Von Wissmann and M. Hofner, op. cit., P. 48, 66, 73.
(4) ورغم أن هناك من يرى أن الحميريين فرع من السبتيين (3) ؛ أو على الأقل
(5) يمتنون إليه بصلة قوية ؛ وأن لهم ليست إلا لجة من لغة سبا وعميين (4) ؛ فإن
(6) العلاقات بين سبا وحمير كان يسودها طابع العداء في أغلب الأحيان ؛ وكثيرًا ما أشارت الكتبات السبئية إلى ذلك (5).

Ency. of Islam, 2, P. 311.
EI, 2, P. 310
H. Von Wissmann and M. Hofner, op. cit., P. 48, 66, 73.
P.K. Hitti, op. cit., P. 56.
Le Museon, 1964, 3-4, P. 451.
وعلى أي حال، فهناك ما يشير إلى أن الحميريين قد استولوا على مأرب
- العاصمة السفلى العتيقة - وربما استغلاها فرسى الضعف التي سادت البلاد في
أعقاب حملة «إليويس جالبروس» الفاشلة، على رأي، وفي حوالي عام 1110،
على رأي آخر، ومن ثم فقد غير أحد ملوكهم - مجاراة، وربما منافسة الملوك سبأ
الشرعيين - لقبة من «ذي ريدان» إلى ملك سبأ، وذي ريدان، وغير أن الأسراء
المواطنين للملك سبأ، سرعان ما أخروا الحميريين من مأرب، وأعادوا إليه
لقبه وتقويه، و enqu الهميون محتفظين بلقبهم الجديد، ومن ثم فقد رأينا
ملكن - الواحد سبئي والآخر حميري - وكل م髆هما يرعم أنه «ملك سبأ وذي
ريدان» (1)، هذا وذهب فإن «فينسمان» - اعتادًا على نقش جام 153 - إلى
أن الحميريين قد أعادوا الكرة واستولوا على مأرب مرة أخرى، حوالي عام 200.
وأو عام 210 (2).

وأما أول من جعل لقب «ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنان» فهو
شور يبرزع (حوالي عام 290م، وبيّدو أن الرجل قد اتصل بالحكم منذ أيام
أبيه «ياسر بنهيم»، كما تشير إلى ذلك نصوص كثيرة، ومنها نص يرجع إلى عام
276م، كما تدلنا كذلك النصوص التي ترجع إلى أيام أبيه، على أنه قد شارك في
الحرب التي نشبت في تلك الفترة.

ويحتل «شور يبرزع» في قصص الأخباريين مكانة قد تفوّق مكانة أبيه،
فهو عينهم «تيع» الذي جاء ذكره في كتاب الله الكريم، لأنه لم يقم للعرب قائد
فقط أحفظ له منته، فكان جميع العرب - بشر قحطان وبوه عدنان - شاكرين
لأيامه، وكان أكثر من رأوه من الملوك، وأعلاهم همة وآباؤهم غوراء، وأخذهم
مكراً من حارب، فصبرت به العرب الأمثال (3).

Le Museon, 1964, 3-4, P. 451.
Le Museon, 1964, 3-4, P. 498.

(1) جوايد علي 311-311، وكذا
(2) 
(3) وبث بن شيبه: كتاب أتيسلان في ملوك حضرموت ص 222.

- 44 -
ويزعم الأخباريون أن صاحبنا شمشير يبرغش، فلم أن الصفدر والكرد وأهل بهانود وديرور قد هموا في أمر الناشر العمم، فأوقع الباب في ذلك القبر بجاوجم الرجال حتى يعود جيلاً منيفاً شامحاً كما كان، وهكذا زحف يجبره إلى أزمنة وهم الترك وهم المدائين بدينور وسنجار ودخل مدينة الصفدر وراء جيشون وهدهم فسميت شمركند - أو شمركندي - عند الفرس، من شمسه أي حرب، في زعمهم، ثم عرث إلى سمرقند، أو لأن شمس هدمها، ثم أمر ببنائها فسميت به.

ولبلاغ الخيال أشد الأخباريون، حين يزعمون أن شمشير يبرغش - أو شمس يبرغش كا يدعونه) - فقد وصل بفتوخاته إلى الصين، وأنه ترك هناك بعضًا من جنوده، ثم بتمكنه به فجأة من الصين إلى مصر فلمثيلة، ثم عزوزه به مرة ثانية إلى المشرق، حيث يتم قررة في مدينة شدة بن عاد، التي لا نذكر عنها شيئاً، وأخيراً يعودون به إلى اليمين، فيقيم في مصر المهدان، وبعد ذلك كله، لا يرضى له الأخباريون إلا بمثل الأرض كلها، ولا زعم لا يقل عن ألف وستين عامًا.

هذا إلى أن الرجل - فيما يزعمون - كان أول من أمر بصناعة الدروع والمواد المفيدة التي منها سواعدها وأماكنها وهي الآبادان، فضلاً عن آلاف الدروع التي فرضها على الفرس والروم والعبر، وكذا على باب وعمان والبحرين، ولم ينسى الأخباريون أن يتحدثوا عن حكمته وشرجه، بل إن البعض منهم قد ذهب به الخيال إلى الحد الذي رأى فيه أهل البيت، وكأنهم بقية من جنود شمس يبرغش.

1. (1) ياقوت 247/34، قازان: نقول: حمير وأقبال اليمن من 94-227.
2. (2) يروي الأخباريون أنه سي برهش، فجعل ربع منه، أو لأنه كان برهش (نقول: اللبان، وكره اليمن) كل من رأه هية (أناق): وهب من مسجد المراجع السابق من 220، وكله حمير وأقبال اليمن ص 94.
3. (3) ياقوت 247/24، تراويح ابن خلدون 206، وهب من مسجد المراجع السابق من 220، 227، 226-227، وكله حمير وأقبال اليمن ص 94-95.

- 345 -
فزيهم زاي العرب، وأخلاقهم أخلاق العرب، وهم معروفون بأنهم من العرب ثم من اليمن.

وبديهي أن كل هذا من اعتقادات ابن منه، ومن ناخ نجوم من الأخبارين، في أثار اليمن نفسها، والتي ترجع إلى عهد شمر برعش. مايلد على ذلك، كما أن الأمم الأخرى التي تحدث عنها الأخبارين، وكانت قد خضعت له لم يعرف تاريخها حتى إمّ شمر برعش هذه، بل إن التصوص لشير إلى أن امرأ القيس ابن عمرو ملك الحيرة، قد هدد شمر برعش في دولته ذاتها، حتى أن قواته قد وصلت إلى الحيرة، كما سوف نشير فيما بعد، ومع ذلك فربما كانت هذه الروايات عن فتوحاته في الشرق والمغرب، إنها هي تعبير عن أصداة فتوحاته في اليمن في سبيل توحيدها تحت سلطانة.

وعلى أي حال، فالرجاء عظيم ما في ذلك من شك، وأنه أدى دوراً من أهم الدور في تاريخ اليمن القديم، ما في ذلك من شك كذلك، وأن الأحداث التي ترجع إلى أيامه، إما تدل بوضوح على أنه كان كذلك، وله من الأفضل لنا أن نقسمها إلى قسمين، واحد: ينصل بالفترة التي كان يلقب فيها بلقب ملك سباً وذوى ربان، والآخر: يرجع إلى تلك الفترة التي حمل فيها لقب ملك سباً وذوي ربان وحضمر ويلات.

وهناك من الفترة الأولى نقص عرف بـ ( جلال الدين ) 542) ويصل بالتشريعات الخاصة بأهل مأرب ومماليكتها، فيما يتمي ببعض المواضيع والرقائق، فقد حددت تلك التشريعات فترة شهر يصبح بعدها البيع نهائيًا، كما حددت كذلك فترة تراوح ما بين عشرة أيام وعشرين يومًا يجوز فيها رد المبيع للبائع، فإن تلك الحيوان بعد أيام سبعة من شرائه، وجب على المشترى دفع ثمنه كاملًا.

(1) نشأة الحديدي المرجع السابق ص 93، ويبين منه: المرجع السابق ص، الإكليل ص 211.
(2) عبد النور عبد الحليم: المرجع السابق ص 199.
(3) جواز بيروت 545-546، وذكر ذلك.
J.B. Philby, op. cit., P. 110.
ويشير نص ( شرف الدين 42 ) أن واحداً من قواده شهير يعيش ( لعنة
هنالك ذو حفر )، فقد غزا مناطق على ساحل الخليج العربي كانت تخضع وقت
ذلك لفارس، وأعني بذلك قبائط تغظ أورست في الأحساء الحالية، وقطر أي القطيف
في الوقت الحاضر ( 1 )، إلا أن مكتشف النص – الزميل الأستاذ أحمد حسن شرف
الدين – يذهب إلى أن الملك مشير يعيش نفسه، هو الذي قاد جيوشه إلى الشمال،
فهو بلاد الأرد، واجتمع مع ملكها ملك بن الكلام، ثم سار إلى الشمال حتى
بلغ قط وصف و كوك، حاصل في مملكة فارس، وأرض تورخ ( 2 )؛ وفي هذا
الوقت كان أذينه ملك تدمر، يقوم بحملاته ضد سابور الأول ( 3 ) 272
ملك فارس، وحاصر المذكور ( طيسفون ) الذي أشير إليه في النص الآتي
الذكر باسم « قط وصف »؛ ومن ثم قرر استعان أذينة الموالي للروم – بالملك
مشير يعيش في محاولة الفرس الذين تغلبو على الروم في معركة « إديسا »
عام 260 ( 4 )

وعلي أي حال، فإننا نستطيع أن نستنتج أن النص عدة تناثر، منها ( أولاً )
أن مشير يعيش يجب أن يكون طبقاً لرواية الأستاذ شرف الدين – قد بدأ حكمه
قبل عام 260 م ( 5 )، ومنها ( ثانياً ) أنه لا بد وأن يكون على علاقات طيبة بأعراب
« نجد »، وبخاصة عادة كندة – ذلك لأن أعراب بجانب هؤلاء كانوا يقيمون وقتم
ذلك في الخارج والآفلاج، كما أن الأخبار كانت تعد من مواطن كندة منذ أيام
« شمر أوتر » في حوالي عام 180 م، وحتى أيام « الشرح يحسب » النافلي في حوالي
عام 210 م – طبقاً لتقدير فون فيسمان - كما أن ( بليني ) قد يحدث عن « آل تورخ
في عين البيل »، و « آل ثور » هم ( كندة ) فيما يرى الأخباريون ( 6 )، ومنها

Le Museon, 1967, 3-4, P. 505, 508. ( 1 )
( 2 ) أحمد حسن شرف الدين : اللغة العربية في عصور ما قبل الإسلام ص 43.
( 3 ) نفس الراجع السابق ص 44-45.
( 4 ) Pliny, VI, 158. ( 5 )
Le Museon, 1964, 3-4, P. 487-88. ( 6 )
(ثانياً) لما هذه الأحداث ربما كانت هي السبب في أن الروايات العربية ذهبت إلى أن الرجل قد غزا فارس، وإن كانت هذه الروايات قد باءت بدرجة غير مقبولة، حتى غدت أقرب إلى القصص منها إلى حقبة التاريخ، خاصة وأن هناك من يعتبر الحملة إذا كانت مهمة سياسية أكثر منها حربية.

وأياً ما كان الأمر، فإننا نقرأ في نقش (CIH, 407) عن حرب شنها« شمر يهرب عص» على قبائل شام في غربي اليمن، والتي شملت عسير وصبية - بين يش ووادي سهم - وأن جيولوج الملك الحميري قد انصرفت على هذه القبائل برأى، ثم سرعان ما طاردتهم في البحر، حيث أوقعتهم بذهاب فادحة، وربما كان ذلك يشير إلى أن أولئك المهزومين إذا كانوا من الألوية الذين كانوا يحكمون ساحل شام، وأن المعركة إذا دارت في البحر الأحمر، وأن« شمر يهرب عص» قد استعان بقبيلة« سرود» في قتالهم، وأن هذه المعركة ربما كانت السبب في تنزيل الأكسوميين مرة أخرى في شتاء العربية الجوية، كما يفهم من دراسة التقويد، وإن كانت الفوضى لا تقدم لنا عنا في تفهم الأحداث وقت ذلك، وأخبرنا فيه قصص أخرى، ومنها (جام 149-156، 1951-1953)، تشير إلى حروب انصر فيها،« شمر يهرب عص» على المناولين لهكمه.

وفي النصف الثاني من عهد« شمر يهرب عص» نرى أن الملك الحميري يطلق على نفسه لقب« الملك سبأ وذى ريدان وحضرموت ويمنين »، وبدلاً من هذا اللقب الجديد على أن« شمر يهرب عص» قد استولى على حضرموت، أو على الأقل على الجزء الأكبر منها، أما بياش - فكما أشارنا من قبل - ربما كانت إسامة عما أطلق على السواحل.

H. Von Wissmann and M. Hofner, op. cit., P. 119
A. Jamme, op. cit., P. 369
RA, XXXV, 1899, P. 25 وكنمة
REP, EPIG, 189, I, III, P. 150 وكنمة
Le Museon, 1964, 3-4, P. 485 وكنمة
A. Jamme, op. cit., P. 151-160, 369 وكنمة
Le Museon, 1964, 3-4, P. 485 وكنمة
الجنوبية، ومنها كانت الأرض عاتي التي تكنّ الاسم الجنوبي من مملكة حضرموت، ويعتمد فين فسمان في رأيه هذا - على وجود عاصمتين لحضرموت وقت ذلك، الواحدة منبسطة، والأخرى منتعسة، مما يدل على انسجام الدولة إلى قسمين، شمالي ويدعي حضرموت، وجنوبي ويدعي مماليك. (التين).

هذا وقد حكم شمر يحيى في الفترة (270-321 م)، وإن كان فحنا فسمان يذهب إلى أن التصف الثاني من عهده، إذ ذكر كان في الفترة (285-291 م)، أوز في الفترة (313-333 م)، وأنه كان يعاصر أمير القيس بن عمرو، ملك الخزراء (288-328 م)، وصاحب نسج النصارى (3)، والذي أخلع عدة قبائل منها "ملحِج ومعد وأسد ونزار"، حتى وصل إلى ييران.

ولعل من الأفضل هو أن نعود إلى النص نفسه، حيث نقرأ: "في نفس مر القيس، يعمرو زملاءه الحضر، وماك الأقدمين ونزار وملوكهم، وهب محجو عكلي وجا بزجي في حب نجرن مدينت شمر، وملك معد، وبين بني الشعوب، ووكهان فرسو لرهم، فلم يبلغ زملاءه، عكلي هذه ستة 223 يوم 8 كبكول، بلسند ذو ولده".

P.K. Hitti, op. cit., P. 60.
Le Museon, 1964, 3-4, P. 485.

(1) فؤاد حسين: المحتمل السابق يقرب 325 م.
(2) نفكي الخان: اكتشف هاذا العنصري روبرت ديفيد هو مكارم، عام 1910م، على ميزة كيلوغرام واحد من النوار، القائمة على أنقاض مغرم تكريش غير جبل الدروز، وهو في خصبة أستر عملية على حجر رركار، ونازل أخر، القيس الخزراء في 24 شعبان، يوجد الآن يصف الفوز في باريس، وواضح أن كانه نطي، فأنف المستعمل هو الخط النبطي، واللغة العربية المتصلة.
Le Museon, 1954, 3-4, P. 456, 486.
F. Altheim, Geschichte der Hunnen, I, 1959, P. 127
REP, EPIG, 483.
وتراجعته إلى لغة مفهومة قد تكون على النحو التالي: هذا جسمان إمبرياء الانتخابات، ابن عمرو ملك العرب جميعاً، الذي عقد الناج وملك قبيلتي أسد ونزار أمانوهم، وصعد يبني محجّة حتى اليوم، وجاء بنتحاج إلى حصار موجان عاصمة شمر، وملك قبيلة معد، وقسم على أبنائه الشعوب، وجعلها فرساناً للرجم، فلم يبلغ ملك مبلغه حتى اليوم، مات سنة 223، يوم 7 (من شهر) كسلول، السعادة لأولاده (1).

ومن أسف أن النص لا يشير إلى بقية إسم شمر، صاحب مدينة يجران، لنعرف من كان يشعر هذا، وإن كان قد أشار إلى أن قتالاً دار حول يجران بين قوات امرئي القيس وقوات شمر، وأن النصر كان من تصيب الأولين، فإذا كان صحيحاً ما ذهب إليه فيون فسمان، من أن شمر برعش، كان يعاصر امرئي القيس ملك الحيرة، فإن هذا يعني فيما يرى الدكتور جراد علي - أن بلاد العرب كانت في أوائل القرن الرابع الميلادي مرئاً للنساب بين هذين الرجلين القرينين، وأن العرب قد اقتسروا إلى حزيد: عرب شاميين، وعرب جنوبين، وأن امرئي القيس كان قد توغل في بلاد العرب حتى بلغ يجران، وأعتلى العربية الجاوية، وأخذ القبائل العربية المذكورة في النص، والتي يرى النسبون أنها قبائل عدنانية في غاليتها، وأن وصول امرئي القيس إلى حدود العربية الجاوية من ناحية الشمال، قد جعله وسيلة لوجه أمام شمر برعش، ومن ثم فقد بدأ النزاع بين الرجلين (2).

وعلى أي حال، فليس بعدها أن يحدث صدام بين امرئي القيس وشمر برعش، أو بأبي ملك آخر يملك يجران، ما دام الأول قد حكم قبائل معد التي تسكن الحجاز، ويجد، وتتصل منها ببحم يجران، وقد خضعت معها للفوذ الحيرة، لأن نص شمعون من 928 بشرام، ذكـر الأعراب الشمالين والمعبدين في عسكر المدناء الثالث ملك الحيرة، والأمر كذلك بالنسبة إلى نص مغروفان (3).

---

هذا وقد استدل بعض الباحثين من نص (ريكمانز 335) أن المؤرخية في عمره ملك مصوصين، إذا هو أُمرؤ القيس البدع، ملك الخيرات، كما أن هناك من يرى أن شمر ذي ريدان، المذكور في النص، إمّا هو شمر رضوان، إمّا هو شمر يشع، إمّا هو ورود الأسمن (شمر ذي ريدان، وشمر يشع) في وثائق مدونين في معبّد الله الملاك بأُوام في مأرب، وموروثين بسيطين يبرّه كربن وكدٌ يرفغر، الثالثة والسادسة، وذلك فإنّ ملك ملك كندة كان معاصرًا لكل من أمه، والقيس وشمر يشع (1)، وبالتالي فإن هذه النتائج تعارض وما ذهب إليه الأستاذ شرف الدين من أن شمر يشع قد حكم قبل عام 262 م، وأنه ساعد أُدنة ملك تمرد في حروب ضد الفرس (2) - كما أشارنا من قبل -.

وأيما كان الأمر، فإنّا لا نملك دليلاً على أن حربًا دارت راحًا بين أمه، القيس ملك الخيرات، وشمر يشع، غير أن نص (جام 58)، فيما يرى البعض، إذا يشير إلى حرب بين الرجلين دارت راحًا في وادي عقود (3)، هذا ورغم أننا لا نعرف كيف استطاع شمر يشع، إمّا هو ورود الأسمن، تضم حضرموت إلى مباها، فإن هناك من يرى أن ذلك قد تم في القرن الرابع الميلادي، وقبل استيلاء الحبشة على العرقية الجنوبية - النمرة الأولى (4) - زمن قصير، كما أنّ مشه (جام 56) قد أشار إلى حرب أُستمر أواها بين حضرموت وشمر يشع في وادي السر (سيران) - على مساعة كيلومترات من وادي يمام - وأنّ شمر يشع قد لقب في هذا النص بلقب ملك يها؛ وذى ريدان وحضرموت وعنتا، وأنّ نص (جام 37) يشير إلى أن شبهه، كانت تحت سيدتة يها، وأنّ الملك السباني قد عين

Le Museon, 69, 1956, P. 139  
A. Altheim and R. Stiehl, op. cit, I, P. 322, IV, P. 272.

(1) J. Pirenne, op. cit., P. 30, 166, 168.

(2) وكدًا جرادعلى 2/645-500، مظهر على الأرتيشي: المرجع السابق ص 95-96.

(3) أحمد حسين شرف الدين: المرجع السابق ص 44-45.

(4) ويري ديامانز أن ذلك كان في الفترة ما بين عام 330، 332 م. (J. Ryckmans, op. cit., P. 338. (أليك)}
عليها حاكاً من أشراف سبأ، وأن نص (948) CIH يشير إلى انتصار شمر بعرش على شرف إيل ملك حضرموت، كما أن اسم شمر بعرش جاء في النص شمر برعش، كما يكفي الأخباريون.

ويعتبر المؤرخون فيمن خلف شمر برعش، فذهب فلبى، إلى أنه إبرام برهب؛ وأنه حكم حوالي عام ۳۱۰م، وربما كان إنا له، وأما فنون فيسان فارى عنده أنه ولده ياسر ينتمي، ولقبه بالثاني، تميزا له عن جده، وعن ياسر ينتمي الأول، الذي عاش قبله بقرة، هذا وذهب ريمانز أن ياسر ينتمي، هذا لم يكن إنا له شمر برعش، وإنما كان آخرها، وإنما قد حكمما معا مشاركاً، ثم انفرد شمر برعش بالعرش، وعند وفاته عاد العرش مرة ثانية إلى أبيه، فأدرك معه ابنه الآخر، وثان ربيع، ثم ابنه الثالث، ذو رأ

أمر الثاني، ويعارض فون فيسان هذا الإجابة فهو أمر لم يسبق له مثيل (أولاً)، ولن ياصر ينتمي يكون قد عاش فترة طويلة، (ثانياً).

وعلى حال، فقد رأى فون فيسان أن ياصر ينتمي، وابنه ثان ربيع.

قد حكمما في الفترة (320-۳۲۷م) ثم خلفهما ثان ربيع، (320-۳۳۰م)، وأما في البرت جام فقد ذهب إلى ما ذهب إليه مريمانز من قبل، مع قبل من التغير في الفترة التي تلت موت ياصر برعش، وتقدير فترة انتقال حكمه ذر أفراد، مع أبيه، على فترة انتقال أخيه. ثان ربيع، مع أبيه كذلك، وكان الفترة الأولى كانت (320-۳۲۷م) وأن الثانية كانت (3۲۷-3۳۰م).

وفيما قبل نحو (325م) عن حرب خاص جماع أشراف من سبأ ومن كندة، فضلًا عن أشراف من أهل ون 동시، ونمان، بأمر من الملكين.

A. Jamme, op. cit., P. 96, 163, 372-3, وكذا (1)
J. Philby, op. cit., P. 143.
Le Museon, 1964, 3-4, P. 489.
Le Museon, 1964, 3-4, P. 489, 498.
A. Jamme, op. cit., P. 392.

وكذا Le Museon, 1964, 3-4, P. 498. (5)
ودرأ أمر أينم، وأبيه ياسر يهتم - اللذين جاء إسم كل منهما في النص - في أرض حضرموت، وقد شارك معهم 750 من راكبي الجبال، وسبيع من الفرسان، فضلاً عن المشاة، وقد تمكن قائد الحملة سعو تالب من إحرار النصر في عدة مواقع - في أرك ودرور وريحيت وأعين خرس - وربما تشير هذه الحروب إلى انفصال حضرموت وسهر (سرة) عن سبا، هذا وقد استعاد الجيش كذلك السيطرة على سواحل جنوب جزيرة العرب، كما أن ظهور القبائل قد انتزوا فرصة الاضطرابات هذه فأقاموا حكومات إقطاعية، مما يدل على أن هذا العهد، إنما كان من عهد الضعف في حكومة سبا وذوى نيدان وحضرموت ويمام.

هذا ويذهب البرت جام إلى أن كرب إيل وثار يهتم بعد خلف فثاران أينم وحكمهم في الفترة (325-330 م)، ثم جاء بعدهم ثاران يركن (330-335 م)، ثم دمارة علي يهبه الثاني (335-340 م)، ثم ثاران يهتم، الذي تلاه ملك يكيكب يثيمان، ثم أب كرب أسد، ودرأ أمر أينم.

وأما فون فسمان، فقد وضع دمارة علي يهبه بعد ثاران يركن، ثم غادر فوضع دمارة علي يهبه مع ابنه ثاران يهتم، وحدث فيما فترة حكم مشترك (340-350 م)، ثم ثاران يهتم مع ابنه ملك يكيكب يثيمان، ثم ملك يكيكب يثيمان، مع ابنه أب كرب أسد، ودرأ أمر أينم، ثم أنصر، مع ابنه حسن يثيمان، حوالي عام 600 م.

وبعد أن من الأمثلة يمكن الإشارة إلى أن نقصوس (جام، 671، 676، 679) هي آخر النصوص التي تقرأ فيها اسم الإله الموقاة، إله سبا الكبير، وقد عثر عليها.

Le Museon, 1964, 3-4, P. 490.
A. Sprenger, op. cit., P. 189
A. Jamme, op. cit., P. 375.
Le Museon, 1964, 3-4, P. 490.
A. Jamme, op. cit., P. 393.
Le Museon, 1964, 3-4, P. 498.
في معبده المعروف به أو آم، في مأرب، وترجع إلى أيام «ثاران ينتم» وابنه ملكيكرب يهيم، وليس من شك في أن هذا إنما يشير إلى إعراض القوم منذ ذلك المهد - أي منذ أخريات القرن الرابع الميلادي - عن عبادة المخلص وبقية الآلهة السماوية، وبداية عصر الديانات السماوية، بل إن الملك ملكيكرب يهيم قد تجاهل المفهوم ولم يقبل إليه - كما كان يفعل أسلافه - وإنما بدأ يقرب إلى الإله ذي سموه (رب السماء)، مما يدل على أن عقيدة التوحيد إنما بدأت تأخذ طريقها إلى ملوك سيا، منذ اختفاء الآلهة الوثنية، أمام روح الستوات، الأمر الذي لم يحدث في جاهل، وإنما كان عبارة عن تطور يتصل بالمعبد الذي كان يقدس إلى جانب تألق»، وأسمه ذو سموه، وكذا «الله سيد السموم والأرض». إن بعد ذلك سرعان ما يظهر الرحم في صورة لا تعدل تلك الصورة التي تبدها في اليهودية المتأخرة.

وعلى أي حال، فهناك رواية تذهب إلى أن هذا التطور الخطي في الديانة (Philostorgios) إذا حدث منذ أيام «ثاران ينتم» إعتدًا على رواية (التي ذهب فيها إلى أن»ثيوفيلوس« قد جرح في تنصير الحميريين، وبناء كنزيس في ظفار وعدن، وأن الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الثاني (350-377 م) هو الذي أرسل الرسول إلى اليمن للدعوة إلى النصرانية، ومن ثم فإن «ثاران ينتم» - طبعا لهذه الرواية - هو الذي هجر دينه الرئيسي واعتنق النصرانية، إعتدًا على أن الكتابة التي جاء فيها إسم الإله ذي سموه، والتي عثر عليها خارج ظفار، إنما ترجع إلى عهد قريب من عهد «ثاران ينتم»، أي إلى حوالي عام 378، أو عام 382 م، وبعثة أخرى إلى عهد ابنه ملكيكرب يهيم، وقد جاء فيها إسم ولدته «أب كرب أسعد» و«ذرأ أمر أيمن» كشيكلين له في العرش.

Ibid., P. 451.

(1) فيزير هولم: المراجع السابق ص 108، جهود على 2/676.

(2) جهود على 2/676/58-68.


(4) وكذا Le Museon, 1950, 3-4, P. 270, 1964, 3-4, P. 492.
وعلى أي حال، فنناك من يذهب إلى أن ديوغيلوس لم يكتبه لم نُجْمعا يستحق التقدير في نهجه في اليمن بِسبَب تدخل الفرس - أعداء الروم - في تلك الفترة في شنون اليمن، وتحريضهم اليمنيين على مقاومة نفوذ الرومان في بُلدَاهُم (1).

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة هنا إلى أن "سدرك" قد أصابه تصدع أدي إلى سَترَتِ أجزاء منه، وأن الملك ثاران يهجم؛ قد قام بإصلاحه، وإعادته إلى له الأولى (2).

هذا وتشير كذلك إلى أن اسم "ملكيكرب يهايمن" قد جاء محرفاً في المصادر العربية، فهو عند "حتة الأصفهاني" "ملك كرب بن يع" وقد حكم 35 عاماً (3)، وهو عند ابن جرير "ملكي كرب يع يزيد بن عمرو بن يع" (4)، وهو عند القلفشدي "كليكرب بن تبع الأقرن"، وقد حكم ثلاثاً وخمسين سنة أو ثلثاً وستين سنة، بعد "شمر" (شار步يش) وأن اسمه "زيد بن شمر"، وقد عرف بالأقرن لشامه كانت في قرن (5)، وهو عند ابن الأثير "ملكيكرب بن تبع زيبد بن عمرو بن يع" (6)، وهو عند القدماء "ملكيكرب بن تبع" (7)، وهو عند نشوان الحميري "ملكي كرب"، وهو الراشد بن تبع الأقرن بن شمر يرعشي (8).

---

(1) عبد المجيد عابدين: المرجع السابق ص 29.
(2) جواد علي 568/4، جامع 671.
(3) حزمة الأصفهاني: المرجع السابق ص 85.
(4) تاريخ الطبري 527-515.
(5) صبح الإثني 227، الإشتقاق 426.
(6) ابن الأثير 271، الإشتقاق 520.
(7) مروج الذهب 504.
(8) تاريخ الفيقه 194.
(9) ملك حمير وأقيال اليمن 118-119.
وأيا ما كان الأمر، فقد جاء بعد الملك كرب يأمين هذا، ولده وأب كرب أسعد، وربما كان هو أسعد كامل بيع الذي يروى الأخباريون أنه أول من تقدم للمدينة المنورة، ثم نشر اليهودية بين اليمنيين في قصة طريفة، يذهبون فيها إلى أن كان قد قدم المدينا المنورة غزيا بعد عودته من المشرق، ربما لأن القروم قد قتلوا، ولهذا الذي كان قد خلقه فيهم وهو في طريقه إلى المشرق، ربما لأن رجلًا من بني عدي ابن النجار عدا على رجل من أصحابه فقتله، ربما لأنه جاء لنصرة الأمويين الخريج من أبناء عمومته على اليهود، وهنا جاءه حنار من بني قريظة بيتاهون عن تدمير المدينة، لأنها سوف تكون مهاجرة نيب سيف يخرج من قريش، دعوة أحمدية مرة، ومنهما مرة أخرى، وهكذا صرف الحنار ثعبًا عن تدمير المدينة، فضلاً عن إيانه بدينهما، وقوله شعرًا في النبي - صلى الله عليه وسلم - متيماً فيه أن يعيش حتى يراه، فيكون له وزيراً وابن عم، فضلاً عن القتال إلى جانب، لأنه كان على علم بما سيأتي له رسوله، عليه الصلاة وسلم، من قومه من أذى، ثم أودع هذا الشعر عند أهل ثرب وفدته إلى كبرهم، وأن القوم كانوا يتوارثونه كابراً عن كابر إلى عهد الله (1).

ويجه أن أب كرب أسعد صوب مكة في طريقه إلى اليمن، حتى إذا ما كان بين عسفان وأمغ. أنه نفر من هذين يغرونه بسلب البيت الحرام، ونتفتي تعج أحبارهود فيصدقوه النص في قايلين: ما نعلم بيتا الله عز وجل أخذه في الأرض لنفسه غيره، ومن ثم فإنه إن سلبه كان هلاكه فيه، ويعلم الرجل أن الصدق ما نصحبه الحنار اليهودي، فينتمي من هذين، ثم يمضي إلى مكة فيطوف بالبيت، ويبحر الذبائح، ثم يقيم مكة سنة أيام، يرى أثناءها فيما يري الليل -

(1) الأزوالة 142/334-143/335، ابن كثر: البداية والنهاية 162-163-164، تفسير ابن كثير 142/4، تاريخ الطبري 132-133، بلوغ الأرب 170/1، ابن هشام 237، 51، وفاء الفا 141-142، ملك حمير وأثبال اليمن 161-162، ابن عبيدة بن شربه ص 510، مروج الذهب 42/2، تاريخ ابن غدبان 145/2، تاريخ البيقوبي 198-199، تفسير القطب 145/16.
وكانه يكسر البيت الحرام، وتتكرر الرؤيا ثلاث ليل، ويفعل. 

وقد يذكر البيت الحرام heats of the sentence, and it is a reference to a story told by a certain character. 

ويمكن أن يذكر البيت الحرام heats of the sentence, and it is a reference to a story told by a certain character. 

وليس من شك في أن وراء هذا القصص، وغيره من أساطير تمتلئ بها الكتب العربية، كتب الأحبار ووهب بن منبه، وغيرهما من مسلمة ماهل الكتاب، وهنا لعل سائلًا ينوء: أكان ق تغد في الشعر بلغة قريش، ونحن نعرف اثرًا من دراستنا للنصوص القديمة - أنها تختلف كثيرًا عن لغة حمير، حتى ذهب الأمر بعلماء العربية إلى الإسلام إلى إخراج الحميرية واللغات العربية الأخرى من العربية، التي جملوها مقصورة على العربية التي نزل بها القرآن الكريم، وحتى قال بعضهم: "ما لسان حمير وأناصي اليمن بلسانا ولا نعرفهم بعربية". 

ثم كيف عرف الحيران اليهوديان أن هناك نبيًا سرف يبعث من قريش، وبلغ علمي أن التوراة - وكذا التلمود - لم يرد فيما نص صريح بذلك، صحيح أن.


(2) محمد بن سلامة الجمسي: طبقات نبلاء الشعراء 3، وما بعدها.

Igance Goldziher, History of Classical Arabic Literature, P. 2.
هناك نصوصاً تشير إلى مبعث النبي من العرب، وأن الإرثيات بمولد المصطفي - صلى الله عليه وسلم - كثيرة، وأن البشارات بمولد النبي الأعظم - عليه الصلاة والسلام - أكثر من أن تحصى، بل إن كل ما في بلاد العرب يكاد يشير بالتغيب المتنزور، على يد رسول الله وخلفائه النبأين - صلوات الله وسلامه عليه. ولكن صحيح كذلك أنها لم تشير إلى أنه من قريش بالذات، وأنه سفى حاجر إلى المدينة كذلك بالذات، وأما نص الوراء الذي تحدث عن البشارة مبعث نبي من العرب، فهو أقيم لهم نبياً من وسط إنجرافه ملكهم، وأجعل كلامي في فمه، فيكلهم بكل ما أوصي به، ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسي، أنا أطليه.

ثم أليس من المضحكون الملكي، أن يكون اليهود أشد حراساً على الحفاظ على الكعبة، وأكثر تتويجاً لها، من العرب أضالهم، بل ألا يتأتي هؤلاء الرواة حين يجعلون من اليهود بالذات، هدى ملوك العرب إلى مكانة الكعبة المشتركة بالذات كذلك، وأن يصرحوا - كما يزعم هؤلاء الرواة - أن الله لم يتخذ له بيته في الأرض غيرها، فإذا كان ذلك كذلك، فلم لم يحج اليهود إليها، كما كان يفعل العرب؟ ثم ما هو موقف اليهود بالنسبة إلى هيئةهم المشهورة ببيكيل سبيلان (1)، والذي يزعمون له ما يزعمون من قداسة، ما بعدها قداسة؟

ثم من أين عرف هذه، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - سوف يسميه أحمد؟ كما جاء في الشعر المسموب إليه؟ بل إنه يسميه كذلك المصطفي (2)، على أن رواية ثلاثة تسميه محمدًا (3)، وبلغ علي أن ذلك لم يرد في نص من


(2) أنظر: هيكيل سبيلان، كتابنا إسرائيل، ص 425-421.

(3) ملك سحيب وأقبال الدين، ص 126، فان وصين الملوك لحيين الزهاي، ص 300.

(4) السهودي: وفاء الزوايا 132/1.
النصوص العربية - التي سبقت عصر الرجل أو عاصرته - وإنما جاء ذلك في الأحيان،
كما قال سبائخه وتعالى في القرآن الكريم - على لسان المسيح عليه السلام - يا بني إسرائيل فإني رسول الله لكم مصدقًا لما بين يدي من التوراة، وبشرًا برسل يأتي
من بعدي اسمه أحمد (1).

(1) كبيك تقبل برسل الإسلام الأعظم - صلى الله عليه وسلم - قبل
ما بنيت من سبعمائة عام - كما يرويه الإخباريون. الحريد أن الخبر
البهائي قد أخبره أن يُرب سوف تكون مهاجراً نبي يخرج من قريش؟ لا أظن
أن ذلك سببًا كافياً إينانه نبي كان حتى تلك اللحظة ما يزال في ضمير الغيب.
أضرف إلى ذلك أن الفقار بين عهد أبو كرب أبى محمد، وبين مبعث الصطفى،
صلِّ الله عليه وسلم، ليست مبيعة قرون بحال من الأحوال، فإذا كان الرجل قد
مات في حوالي عام 431 م - أو عام 430 م، أو حتى عام 429 م - كما سوف نرى
وإذا كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - قد انتقل إلى الأفق الأعلى في لوزنة
332 م (3)، فإن الفراق بين وفاهما لا تصل إلى أكثر من قرنين من الزمان.

(2) تفسير ابن كثير 1444/4.
(3) أرجح الآراء فيما تظن أن النبي صلى الله عليه وسلم قد نزل في 20 مارس 67 م،
ولهذا إلى الأفق الأعلى في 17 أو 12 ربيع الأول 111 م أو 8 ه (706 هـ) (4) أو 88 ه (587 هـ) (5).
(4) محمد بدري الفلكي: التقويم العربي قبل الإسلام من 38، محمد استاد: مدخل إلى القرآن الكريم من 30، محمد الديب: تاريخ الطبري من 91، التاريخ العربي من 262-263، أولあの مذود 141-457/15، ابن كرتية الدلالة والنهجية من 262-263.
Caussin de Perceval, Essai sur l'Histoire des Arabes, I, P. 286F.
P. Lammens, Age de Mohammad, P. 209F.
R. Blachere, le Probleme de Mohamet, P. 15.

وكذا

- 269 -
ومن ثم فأكبر الطن، أن هناك بين الإسرائيليات في هذه الروايات، هكذا من ورائها، يقصد عليه رفع شأن القحطانيين إبان النزاع السياسي بينهم وبين العدنانيين، ومن ثم فإن هذه الروايات جد حريصة على أن تقدم لنا تبعاً وقوقمه في صورة أفضل من صورة العدنانيين بصفة عامة، والترشيح بصفة خاصة، فهم أي القحطانيين - كانوا (أولاً) أول من قال الشعر في مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم، فهل ذلك سبأ، كما أشارنا من قبل، وينفعه الآن تبان أب كرب أسعد، وهم (ثانياً) كانوا على علم باسم المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، وبئسنا لم يكن العدنانيون يعرفون ذلك حتى ظهور الإسلام، وهم (ثالثاً) قوم مؤمنون، كمسا البيت وعمره أكثر من مرة، ثم قدروا مكانته قبل ظهور الإسلام بقرون، حتى إن كان اليهود هددتهم إلى ذلك.

وأخيراً فإن هذا الإلحاد على أن التبانية قوم مؤمنون بالله ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم، ثم الإلحاد على عدم جواز سبهم، إنما قد يدل على أن هناك من كان يسبب التبانية ويلعنه، وربما كان هذا السب وذلك اللعن لم يكن موجودًا بالذات في التبابة، وإنما كان يوجد في اليهوديين بخصوص، والقحطانيين بعامة، ومن هنا كان هذا الإلحاد على عدم الرب، بل ربما قد وضعت فيما يرى الدكتور جواد علي - هذه الأحاديث على لسان النبي - عليه الصلاة وسلام - للد على هذه الحملة العدنانية ضد القحطانيين، أضاف إلى ذلك أن هذا الإلحاد ربما كان الهدف منه كذلك، إلغاء ذلال من شك على رواية تاريخية تذهب إلى أن حسان بن عبد كلال قد أقبل بجيش من اليمن يرد نقل حجارتهم الكعبة الشريفة من مكة إلى اليمن، غير أن حملته هذه انتهت بالفشل - كا سوف نشير فيما بعد - فضلًا عن حملة أبهرة على مكة، والتي شاركت فيها بعض الطردون اليمنية.

---

1) جراد علي 04/105-126
2) الإكليل 02/357-359، تاريخ الطبري 223-266/1 جراد علي 04/585-586
---

390 -
وأيا ما كان الأمر، فإن المصادر العربية إذا تذهب إلى أن «أب كرب أسعد» قد خرج من اليمن حتى وصل إلى جبل طي فسار يريد الآثار، فلم يتوقف إلى موضع الخمرة تحريًّا وكان الوقت ليلًا فأقام مكانه، فجرى ذلك المكان بالخمرة، وخُفِّف به قومًا من الأرز والطعام والبلاط والقهوة، فنبروا وأقاموا به، ثم أتَّلَى إليهم بعد ذلك ناس من طبي وكبك والسكنى ومجرح بن كعب وإياب، ثم توجه إلى الموصلي، ثم إلى أذربيجان، فلقى الرك فهمهم، ثم عاد إلى اليمن، فهادى الملوك وأحدهم إليه، ومنها هدايا من الهند التي علم أنها من الصين، ومن ثم فقد غزاها.

وليس من شك في أن «أب كرب أسعد» قد كتب له نُجُّها كبيرًا في توعية ملكه، وأنه قد بلغ البحر الأحمر والبحر الأسود والفيضان العربي من نجد، ورغمًا كان قد استولى على جزء كبير من الحجاز، ومن ثم فإن في روايات الأعرابين عن فتوحاته أساسًا من الصحة، إلا أن عنصر المبالغة فيها فيما قد أُضيف إلى حد كبير، وإن كانت تدل في الوقت نفسه على قوة شخصيته، التي مكنته من إتمام هذه الفتوح، ومن السيطرة على الأعراب، وبالتالي فقد أضاف إلى لقبه «ملك سباً ودُى ريبان وحضرموت وينابض دِمَة وأعرابها في الجبال والنهام»، وهكذا ترك الرجل أثراً عميقًا في الأجيال القادمة، فأضافت إلى فتوحاته، ما شاء لها الخيل أن يضيف.

وقد اختلف العلماء في فترة حكم «أب كرب أسعد»، فذهب فريق إلى أنها إنما كانت في الفترة (500-415م) (1)، وذهب آخرون إلى أنها في الفترة (615-385م) (2)، وعلى أن هناك فريقًا ثالثًا ذهب إلى أنها في الفترة (278م) (3)، وينتهى الدكتور جواد علي إلى أنها استمرت حتى عام 540م (4).

---

(1) D. Nielsen, op. cit., P. 104
(2) J.B. Philby, op. cit., P. 116, 143.
(3) فريق هويل: المرجع السابق ص 108.
(4) J.B. Philby, Note on the Last Kings of Saba, in le Museon, 1950, LXIII, 3-4, P. 269.
(5) جواد علي 2/571
(6) 391
وللسبب في ذلك أن نص (ريكمانز 534)؛ والذي جاء فيه ذكره وأب كرب أسعد وستة من أولاده، إذا يرجع إلى عام 282 م أو عام 342 م، (1) وهذا يعني أن حكم أب كرب أسعد، قد جاء في عام 282 م، وربما عام 342 م، فإذا ما تذكرنا أن الرجل قد ذكر مع والده في نص يرجع إلى عام 378 م أو عام 384 م، فإن حكمه يكون عندما قد جاء نصف القرن من الزمان، وله الفرضية أنه كان شاباً في العشرين من عمره، فإن الرجل يكون قد عاش حوالي السبعين عاماً، وربما أكثر من ذلك بقليل(2).

هذا وقد أشارنا من قبل إلى أن "أبا كرب أسعد" قد أضاف إلى لقبه "ملك سيا وذى ريدان وحضوره وريته "جميلة" وأعراها في الجبال والهياكل"، فكان بذلك أول من حمل هذا اللقب (3)، ولعل السبب في ذلك إذا هو ظهور قرية الأعراب وأهيمهم، وبعضاً أعراب الهضاب وجنوب نجد وقبائل نهامة، ومن ثم فقد أصبح لهم تأثير في الشؤون الداخلية، ربما قد يصل إلى إحداث تغيير في التنظيم السياسي نفسه، وهكذا أضاف "أب كرب أسعد" اسمهم إلى لقبه، دلالة على سيطرة عليهم وعلى خضوعهم له، وهو في هذا إذا يتبع ستة أسلافه في تغيير ألقابهم، كما أحضروا أرضية جديدة، مضيفين إلى لقبهم ما يدل على الوضع الجديد (4)، ومن ثم فإن اللقب الجديد إما يدل على أن حكم وأب كرب أسعد، قد امتد إلى التهائم بأعرابها وقراها، ونرى قبائل "معدة" التي تمتد من نجران إلى مكة ونجد (5).

Le Museon, 1964, 3-4, P. 492.
Le Museon, 1964, 3-4, P. 492.

(1) جراد علي 2/747.
(2) جراد علي 2/372.
(3) جراد علي 2/742.
(4) جراد علي 2/371.
(5)
وقد عبر جون فلي، في وادي مأصل الجمع - على الطريق بين مكة والرياض - على كتابة دونت بمناسبة إغلاق حصن في هذا المكان، حرف: (قلي 227) (1)
وقد استطاع العلماء أن يستخلصوا منها نتائج عدة، منها (أولاً): أن هذا المكان من جملة الأرضين، التي تخفق للملك "أب كرب أسعد"، ومن ثم فإن نفوذ قد تجاوز اليمن حتى يبلغ تلك المنطقة من هجده، والتي كانت تعد من منزل معد (2).
ومنها (ثانياً) أن "أب كرب أسعد" قد أقام هذا الحصن في وادي مأصل، ليكون معقل لقوات فعلية تحمي هذا الطريق، الذي يربط اليمن بنجد وشرق الجزيرة العربية، من هجوم القبائل التي كانت تثير على قوافل التجارة (3)، ومنها (ثالثاً) أن المهداني كان قد ذكر أن "مأصل الجمع" إذا كان من مواقع "ثمير"، وهو اسم قريب من اسم قبيلة (Nomeirite)، التي ذكرها البيني، ومن ثم فقد ذهب البعض إلى أن "مأصل الجمع" إذا كانت من مواقع "ثمير" على أيام "بني (4)
(32-39) وعده (5)، ومنها (رابعاً) أن النص إذا ذكر أن اسم والد "أب كرب أسعد" إذا هو "حسان ملكيبر يأمين"، وليس "ملكيبر يأمين"، ومن ثم فقد تساهل البعض: هل نحن أمام ملك واحد، أما أمام ملوكين مختلفين (6)؟

بقيت نقطة أخرى تصل بذلك الطريق البري، الذي يربط المناطق المحيطة الزراعية بالمناطق الشمالية، حيث يصل إلى شمال الطائف، ويصل بطريق الحجاز، ويعرف ب"درب أسعد كامل" - نسبة إلى الملك "أب كرب أسعد" - والطريق دون شك، يعد تحولاً خطيراً في الطريق البري القديمة، التي كانت متصلة في حافة الصحراو الشرقية المتصلة بالخليج، إذ يشير إلى تحول هذا الطريق من الأرض السهلة إلى

J.B. Philby Motor Tracks and Sabaeen Inscriptions in Najd, GJ, وكذا.
Le Museon, 1964, 3-4, P. 492.
J.B. Philby, in GJ, 1950, CXVI, 4-6, P. 214.
H. Von Wissmann and M. Hofner, op. cit., P. 120.

(1)
(2)
(3)
(4)
(5)
(6)

363
الحساب الذي يعيش عليه المزارعون، الذين يعيشون على الزراعة التي تعتمد على المطر، وقد شمل هذا التحول فيما شمله طريق البخار واللبن القديم (1).

ويرى الآخرون أن الذي خلف وأب كرب سعد، إما هو ربيعة بن نصر اللحمي، وأنه قد رأى رؤيا هالته فسار به إلى العراق وأقام بالحيرة وحكم فيها، ومن عقبه كان وعمان بن المنذر ملك الحيرة (2)، ثم عاد المستلك إلى حسن بن ثبان بن أب كرب، وهو - فيما يرى البعض - آخر زرقاء اليومنة التي صلت على باب مدينة جروة، والتي سميت فيما بعد اليومنة، نسبة إليها (3) - الأمر الذي تفصيلنا من قبل.

على أن جون فلي ، قد جعل العرش بعد وفاة أب كرب أسعد، لشققه وروو أمر أمين (4) - 458-463م - ثم إلى ابن أخيه شريف بعقور، والذي حكم في الفترة (465-470م) على رأي فلي (4) في الفترة (465-470م) على رأي هولم (5). وإن كان فلي عاد مرة أخرى فحدد له الفترة التي حددها هولم (6) - ولعل من الغريب أن يتجاهل فلي حسن يبانم باب كرب أسعد - رغم أنه ذكر في نص (فلي 237) ونعت بأنه ملك سبأ وذى ريدان وحضرموت ويمنات وأعراها في الجبال وفي النهائم (7).

ويروي الآخرون أن حسن قد سار بأهل اليمن تريد أن يطأ أرض العرب والعجم، فلم كان بالعراق كره بقائل اليمن السير معه، فكلموا أحياء عمار في

Le Museon, 1964, 3-4, P. 423, 493.

(1) جبريل علي 276-277، وكذا.
(2) ابن الأثير 1181/2، صحيح الأشعري 3/2.
(3) ابن كثير 157/2، أشعار الزمان ص 241-242، بالكرسي 2/407، المحرق 544-447، بإثبات 5/34.
(4) المصدر 276-277، مرسوم الدعوة 111-112، تاريخ ابن خلدون 247-310، المحرق 3/168، ملك سبأ وأعرا اليمن ص 204-192.

J.B. Philby, op. cit., P. 143.
Handbuch, P. 104.
J.B. Philby, Arabian Highlands, P. 460، وكذا.
(5) جبريل علي 777، وكذا.
(6) جبريل علي 777، وكذا.
(7) جبريل علي 778/7، وكذا.
قته وتمكينه من بعده، وهكذا قتل عمرو أغاه، غير أنه لم يجرد عودته إلى اليمن.
قد أصيب بمرض نفسي جعله يفقد القدرة على التحكم في الأموار، مما أدى به في نهاية الأمر إلى أن يقتل كل من أشار عليه بقتل أخيه، ثم لم يثبت أن هلك(1).
ويعزم الأخبارون أن الحميريين قد تفرقوا بعد هلاك عمرو، فاغتصب العرش رجل من غير الأمراء، دعوه "خليفة تنف ذو شائر"، فقتل خيار القوم، وعث بأعراض الناس، حتى قتله ذو نواس. في رواية مزوية سجلها الأخباريون في كتبهم، ثم جلس على العرش من بعده(2).
وعلى أي حال، فإن ما عدنا مرة أخرى إلى عهد شرحبيل يعتبر وجدنا أنفسنا أمام نص خطير (جلازر 554)، يتحدث عن تصدع سد مأرب، وما قام به الملك إزاء هذا الحادث الخطير، حيث قرأ في النص أن شرحبيل يعتبر قد قام بتجديد بناء السد وترميمه على مقربة من "رحب"، وعند "عورن"، فقاً "ن إصلاح أجزاء منه حتي موسع "طمحان" (طمحان)، وحفر مساياً المياه وبناء القواعد والأخذران بالحجارة وتقشية رفوعه، وبناء أقسام جديدة بين "عيلان" و "مكول" (مكول)، تجديد سد "سنر"، وذكر النص أن هذه الأعمال قد تمت في عام 564/565 من التقويم الحميري، الموافق عام 449/550 من التقويم الميلادي(3).

(2) ابن كثير 2/168-169/232-233، تاريخ الطبري 2/115-118، الميلادي 2/115-117، الإتقان 244-245/1.
وكذا Le Museon, 1964, 3-4, P. 493-494.
حذا ويتحدث النص كذلك عن انتشار عقيدة جديدة، فهو يشير إلى ظهور
رب السماء والأرض، حيث قرأ فيه "بنصر وراهن يطلق سمىً وأرض".
أي "بنصر وعوان الإله" رب السماء والأرض، وهي عقيدة ظهرت عند أهل
اليمن بعد البلاد التأثير اليهودية والنصرانية ولا شك.

ويتقل العرش بعد "شرحيل يعفر" إلى "عبد كلال"، والذي حكم في الفترة
(445-764م) على "رأي" "فلي" و "هومل" (1)، وإن كان "فلي" قد رأى
أن الرجل كان كاهناً وشيخًا لقبيلة، تجنب بمساعدة الأحباش في اغتصاب
العرش لمدة خمس سنين (2)، هذا وقد ذكره الأخبريون بين ملك حمير، وأنه
كان يُدين بالنصرانية سراً، والمضطيغ: صلات الله وسلامه عليه قبل معبته-
شأنه في ذلك شأن سيا، وأب كرب أسد - وأن من ولده "الحرب بن عبد كلال"
وهو أحد الذين وفدوا على النبي صلى الله عليه وسلم - فأفرشهم رداه (3)
غير أنهما يقولون قد تولى العرش بعد وفاة عمرو بن تبان أسد، فملك أوبياً وتبين
سنة - وهو د연구 الأصرح - ثم خلفه أغلوه ومردة، وقد ملك سبع وثلاثين عامًا (4)
وقد أدى تشابه الإسميين (عبد كلال الذي جاء في نص جلزر 7، وعبد كلال عند
الأخبارين) إلى أن يرى بعض العلماء أن الأسميين لرجل واحد، وأنه كان ملكًا (5).

ويروي المنداني أن "حسان بن عبد كلال" أقيل من اليمن، "في حمير
وقبائل من اليمن عظيمة، يريد أن ينقل أحجار الكعبة من مكة إلى اليمن، ليجعل
حج البيت عندئذ، وإلى بلاده"، فأبى حتى "نزل"، فخرج إليه الفرسون
بقيادة فهر بن مالك، حيث دارت بينهما معركة ضارية، أنتهت بالنصر قريش.

D.S. Margoliouth, op. cit., P. 68.
J.B. Philby, op. cit., P. 143.
J.B. Philby, Arabian Highlands, P. 260.

(1) جراد علي 474، وكذا
(2) جراد علي 474، وكذا
(3) جراد علي 474، وكذا
(4) جراد علي 474، وكذا
(5) جراد علي 474، وكذا

- 378 -
وأبعد حسن بن عبد كلال (1) فإذا كان ذلك كذلك فإن حملة أ브ه على مكة كانت ف سابقة مميتة من قبل ثم إذا ما تذكرنا أن هناك من يرى كما أشرنا أولا أن عبد كلال إذا التفت عرشه عور من أكومن فهل هذا يعني أن الحبنة النصرية كانت وراء تلك الحملة لست أدرى فتلك أحوال لا يروم بها كثيرا ثم إن المهدائي يرفض القصة من أساسها وإن كان هناك من يفهم به ما معطض لا يزيد حرية تنثر فيها فريق على اليمن فمضت ثغرة حبارة الكعبة من مكة إلى اليمن على عاقب هذين بمن مدركه أحد سادات مكة (2) وإن لم ببين لنا لماذا فعل هذين عما الفائدة التي تعود عليه من فعل هذا؟
وعلى أي حال فلقد جاء بعد ذلك شرح إليه بكيف (3) فلولا أنه فعد يقربه يتعم ولهب ينف (4-470-495 هـ) على رأي همدي (6) ونوف (470-500 هـ) على رأي فاطي (4) وربما كان الآخر هو نفيت ذو شنار عند الإخباريين والذين رووا أنه حكم سبعا وعشرين سنة (6) ثم جاء مرئيد ألن ينف (4) ذو نواس (5-515 هـ) وهو زرعة ذو نواس بن ثان أسعد أب كرب (4) والذي سمي غيرسوف بعد تهوده وإن ذهب البعض إلى أنه من غير الأسرة المالكة (1) وأن السبب في تسميتة ذي نواس أن كان له ذرائع من ثوران على عاقبة (7) وعلى أي حال فهو الملك الذي احتل الأحساء اليمن في عهده وبقوا فيها قرابة\\n
(1) الإكيلي 2-369، تاريخ الطبري 2-369-373.\\n(2) الإكيلي 2-369-373، جواب علي 2-369-373.\\n(3) جواب علي 2-369-373، وكدا\\n(4) J.B. Philby, The Background of Islam, P. 143.\\n(5) Le Museon, 1961, 1-2, P. 174.\\n(6) وكدا\\n(7) تاريخ الطبري 2-369-373، مصباح الأشعي 2-369-373، تاريخ الإمام 199/1، ابن الأثير 1-373-374، المعاني 2-373-374، مروج النعيم 2-373-374، وبدء بن بنه: المرج الساق 2-373-374، تفسير القرطبي 293/19.\\n
-372-
نصف قرن من الزمان، وإن كانت هذه ليست هي المرة الأولى التي يغزو الأحواش فيها اليمن، فذلك أمر له سوابق خلت من قبل (1) - كما رأينا آنذاك -.

الإحتلال الحبيشي لليمن

كانت اليهودية بدأت تأخذ طريقها إلى اليمن منذ فترة طويلة، وإن ازدادت منذ تدمير بيت المقدس على يد "تيتوس" في عام 70م، ومن ثم فإن أصحاب هذا الإتجاه الأخير يرون أننا لو تحققت أسماء اليهود المقيمين في بلاد العرب، لرأينا أن معظمهم أرادون وعرب متهمدون، وليسوا من ذرة إبراهيم الخليل من ولده إسحاق، عليه السلام (2)، أو منذ تعود أب كرباسهد، وفرضها على الحميريين - طبقاً لرواية أخرى، سبق لنا الإشارة إليها - أو منذ تعود ذي نواس، سواء أكان ذلك رgbaً منه في أن يقام دينًا سماوياً بدين سماري آخر، ومن ثم فهو مثل الروح القومية في اليمن، حين رأى في التصارف من مواطنيه ما يذكره بحكم الأحواش المسيحين البغيض (3)، بخصوصه وأن المسيحية قد أصبحت وقت ذلك تستند إلى قوة الدولة الرومانية الشرقية الطامعة في غزو اليمن (4)، أو لأنه كان في الأصل - طبقاً لرواية ابن العبري - من أهل الحيرة، وأن أمه يهودية من نصيبين وقعت في الأمر فتزوجها والد يوسف فأولده منها، ومن ثم فهو يهودي وفق على اليمن من الحيرة (5)، سواء كان هذا أو ذلك، فالمهم هنا أن الفكرة الداخلية - التي ترجع في الدرجة الأولى إلى دخول اليهودية والبهائية إلى بلاد العرب الجنوبية - بدأت تدأب البلاد في طريق الإضمحلال (6).

P.K. Hitti, op. cit., P. 61. (1)
A. Grohmann, Arabian, 1963, P. 29. (2)
P.K. Hitti, op. cit., P. 61. (3)
Bont-Maury, L'Islamisme et le Christianisme en Afrique, Paris, 1906, P. 47. (4)
P.K. Hitti, op. cit., e. 62. (5)
روكذا
عبد المجيد عايدة: المرجع السابق ص 45.
(6)
جوايد علي 993/1372 ق، قاران: الإكليل 2/372، ونظر:
F. Altheim and R. Stiehl, op. cit., I, P. 630.
(6)
روكذا: المرجع السابق ص 193.

- ١٩٨٨ –
وهي نذا فإن ظروف اليمن الداخلية كانت من أهم الموائل التي مهدت للفتح עיצוב اليمن، ذلك لأننا قرأنا في نقش (قليب 248) عن حرب داخليّة أستمر أواها في قبيل الغزو الحديثي (وربما في عام 1615م)، واشترك فيها قبائل مبا وحمير ورحبة وكندة ومضار وعلبة (1)، ومن ثم فقد مهدت هذه الفترة الطريق للأحباش بسبب الخصائص القبلية القديمة بين القبائل، والتي أدت إلى ظهور الروح القبلية، التي لا تعرف طريقاً للتعاون القومي، إلا إذا كان من أجل القبيلة وفي مصلحتها، دونًا أي اهتمام بما يجري ذلك على الكيان القومي للبلاد من تكبا، قد تودي باستقلال البلاد وخصوصها للأجنبي.

ونقرأ في نقش (ريكمانز 508) - وبرجامان إلى عام 1585م - إشارات عن حرب بين الأحباش وملك حميري، هو يسيف أسيلر (يوسف إسوار)، ولعل عدم الإشارة هنا إلى اللقب الملكي الطويل، ربما يعني أن سلطان وذو نواس، لم يكن يمت إلى كل بلاد العرب الجنوبية، وإنما كان مقصوضاً على أجزاء منها، وإن الأحباش - فضلاً عن الأقبال اليمنية - إنما كانوا يشاركون هذا السلطان، فظافر ومجارتها كانت في أيدي الأحباش، كما كان الأقبال قد كرّموا حكومات إقطاعية في إماراتهم، كما كانوا يثيرون الفتن والقلاقل في أنحاء البلاد، وهكذا كانت الأحوال الداخلية قلقة، مما جعل البلاد آخر الأمر لقمة سائدة في أيدي المستعمرين الأحباش (2)، بل إن نص (ريكمانز 508) ليشير إلى حرب وقعت بين الملك يوسف أسيلر من ناحية، وبين الأحباش، ومن كان يؤديهم من أقبال اليمن، من ناحية أخرى، وأن الملك قد هاجم «ظفار» وهو «مها» واستولى على كنائها، وإن كان أشد القتال إذا كان بينهم وبين قبيلة «الأشاعر»، حيث قتل منهم ثلاثة عشر ألفًا، وأسر سبعة آلاف وخمسينThousands، كما استولى على 28 ألف رأس من الإبل والبقر والماعز، ثم إنه بعد ذلك إلى «هجران» حيث أنزل بالأحباش ومن سار في ركابهم، خسائر فادحة (3).

GJ. Vol., CXVI, 4-6, 1950, P. 214
Le Muséon, 1953, 3-4, P. 284.

(1) أنظر:
(2) جوزار على 596، وكذا
(3) وكذا

- 369 -
وعلى أي حال، فإن المؤرخين أيضًا يقدمون عدة أسباب لغزو الحبشة لليمن
منها (أولاً) الرغبة في السيطرة على اليمن لضم توزيع البضائع الحبشية، دون
أن تتعارض لاعتراضات الحميريين(1)، ومنها (ثانيًا) أن عاداة الحبش للعرب
قد قدمت، نشأت منذ أن كان عرب اليمن يخاطرون الأخلاص من سواحل الحبشة
ويعمون أرواح في بلاد العرب، حيث وجد الحبش في الحجاز(2)، ومنها (ثالثًا)
أن بلاد العرب الجنوبية كانت تقوم في ذلك الوقت بنفس الدور الذي تقوم به مصر
آن بعد حفر قناة السويس، نظراً لمراكزها الهمام على البحر الأحمر والمحيط
الهندي، حيث يوجد مضيق باب المندب، وفي تلك الأيام كانت الإمبراطورية
الرومانية الشرقية حريصة على التزروع هذه المكانة وإعطائها لمصر، ومختلف الولايات
الرومانية الشرقية الأخرى، التي تستطيع الإفادة من مركزها الإغرافي، وبخاصة فإن
المسيحية كانت قد استقرت في كثير من الولايات الرومانية الشرقية، حتى اضطر
» قسطنطين (632-373م) في عام 131م إلى السماح بانتشار المسيحية في بلاده(3).

وهنا بدأ الرومان يفكرون في استغلال الدين لضم بلاد العرب الجنوبية إلى
إمبراطوريتهم، فعمدوا إلى إرسال البعثات التبشيرية لتلك البلاد، لنشر المسيحية
بين الحضر والبدوية من جهة، ولتفهير الأفكار والتفوس لقبول JDK الرومان من
جهة أخرى(4). ومن ثم لم يكن تعذيب ذي نواس للنصاري في بلاده، هو السبب
الحقيقي للغزو الحربي في اليمن، ودللنا على ذلك أن المصادر الإغرافية - بل
والحبشية نفسها - إذا تذهب إلى أن الأخلاص قد أغاروا على اليمن قبل قصة التعذيب
هذه بسنين، وأنهم قد انتصروا على ذي نواس واضطرمو إلى الإلقاء إلى الجبال.

(1) ماراد كامل: مقدمة كتاب »سيرة الحبشة» للهجري الحسن بن أحمد القاهري 1958 ص 6-7.
(2) عبد العزيز سالم: المرجع السابق ص 182.
(3) يوسف أحمد: الإسلام في الحبشة، القاهرة 1935 ص 2-3. عبد المحميد: المرجع السابق
ص 74.
(4) فؤاد حسن: المرجع السابق ص 301.
(5) إبراهيم ولفنسون: تاريخ اليهود في بلاد العرب ص 36.
لا أنه استطاع بعد فترة أن ينجح في لم شمل جنده، وأن يهاجم الأ июняش ويتصرف عليهم، وأن يغير على مجاره، ويتمنى من الإستيلاء عليها، بعد حصار دام سبع سنوات (1) ، ثم يتمتنم من أهلها شر انتقام (1)، بل إن تدخل الأ июняش في شؤون اليمن ومحاولة غزوها قد بدأ - كما أشرنا من قبل - منذ القرن الرابع الميلادي، وبعد وفاة «شمر ببرعه» وقيله.

وهكذا اتفقت مصالح الأ июняش والروم في السيطرة على بلدان العرب الجنوبية، وكانت سياسة «ذى نواس» التي تربط بين إنتشار المسيحية في اليمن، وبين ازدياد نفوذ الأ июняش في البلاد، سبباً في أن يتخذ من نصارى اليمن موقفاً عدائياً، وكان ذلك ذريعة وجدتها الرومان للقضاء على استقلال اليمن، ولكن دون التدخل المباشر، وإنما بتحريض الأ июняش على غزوها، بل إن هناك من يذهب إلى أن الروم قد اشتروا بطريقة فعالة في غزو اليمن عن طريق إرسال أسلطة من مصر، مجمعاً بالأسلحة والملاجئ إلى النورس اليمنية، ولم الأميراتورج «جستين الأول» (582-577م) قد اتخذ هذه الخطوات نتيجة لأطماع الفرس التي ازدادت في بلاد العرب.

تامك أنهم استقروا في سواحل الخليج العربي كالبحرين (2).

J.B. Bury, op. cit., P. 323.
(2) عبد النعم ماجد: المرجع السابق ص 74، البلاوي: نحو البلدان ص 75، إسرائيل وفلسطين: Graetz, History of the Jews, III, P. 88.
(3) A. Kammerer, la Mer Rouge, L'Abyssinie et l'Arabie depuis l'Anti-quite, le Caire, 1929.
ولهك رواية تذهب إلى أن السبب المباشر لعزو الحبشة لليمن، إنما كان لأن الملك الحميري "دمون" (ديمانيوس)، كان قد أمر بقتل التجار الروم الذين كانوا في بلاده، وبهله أموالهم، وذلك بسبب اضطهاد اليهود وإساءة معاملتهم في بلاد الروم، مما أدى إلى أن يتجنب التجار الروم الذهاب إلى الحبشة واليمن، أو حتى المناطق القريبة من "حمير". ومن هنا رأى البعض أن بعثة "ثيوفيلوس" التبشيرية، إنما كانت لضمان حسن نية الأمراء اليمنيين إزاء تجار الروم، غير أن تلك البعثة قد فشلت في تحقيق أهدافها بسبب نفوذ الفرس في اليمن وقت ذلك، وقد أثر ذلك كله في التجارة مع الحبشة تأثيرًا سياسياً، وهنا اضطر التجار إلى أن يقدم عروضاً رفيعة الملك الحميري، مما كان سبباً في نقص الحرب بينهما، وتزعم الرواية أن التجار كان حتى تلك اللحظة ما يزالون على الوثيقة، ومن ثم فقد عرض عليه أن يتعين الصبرة أن كتب له النجاح على الحميريين، وحين انتهت الحرب في صالته اعتنح السماحة، وأرسل إلى قصير يطلب منه إرسال عدد من رجال الدين ليعودوا المقيمة الجديدة، وقد تم له ما أراد.

وعلى أي حال، فإن الكتب العربية الجنوبية قد أشارت إلى عزو الأحباش لليمن، ذلك أن تقض حصن غراب، والمروف ب (REPG, EPIGR, 2633)، ويرجع تاريخه إلى عام 525م - إنما يشير إلى أن الأحباش قد استولوا على اليمن في عهد الملك لم يذكر اسمه، وأنهم تقول هذا الملك وأتباعه (3)، على أن "فكلر"، إنما يذهب إلى أن هذا الملك إنما هو "ذو نواس"، وأنه ليلة بعدها الخرب، وأن أصحابن النص (السيفع أشوع وأولاده) كانوا من أنصاف الملك الحميري، على غير رغبة منهم، وأن المآرب قد انتهت بانتصار الأحباش، ومن ثم فإن

---

1) عبد المجيد عابدين: المرجع السابق ص 39، 44-46/468-479.
ZDMG, VII, P. 357.
J.B. Bury, op. cit., P. 322.
E. Glaser, Die Abessinier in Arabien und Africa, 1895, P. 175.

2) جوازات 4/3/504-400.
REPG, EPIGR, V, I, P. 5.

---

- 277 -
السميع أشعٌ وأولادٌ، قد اضطروا إلى الإتجاه إلى حصن حم warta حتي
انتهت العاصفة، ثم عقدوا صلحًا مع السادة الجديد(1).

وقد اهتمت المصادر المسيحية المعاصرة بغزو الحبشة لليمن، ومنها، قرماً،
الذي كان في الحفصة هما الاستعدادات لغزو اليمن، وقد سجل لنا قصة الغزو،
وذلك بعد وقوفها بخمسة وعشرين سنة، وقد ذهب إلى أن الحملة إتمنت في أواخر
القديس جستين الأول (2)، بل إن ثيوفانس وسيرينوس قد حددوا
بالعموم الخامس من حكم هذا القديس، أي في عام 543م، وأن سبب الحملة إتمًا
كان تعذيب ذى تراسي - الذي يقتل في المارد للنصاري نجران على أنها إنساً
يثيران إلى غزو ثان، نجسه الملك الحبشى أديد، ضد ملك حمير دمياطوس،
وفي العام الخامس عشر من عهد القديس جستينان (545م)، أي في عام
555م(3).

ولعل من أهم الوثائق المسيحية التي تتعلق بتعذيب نصارى نجران، إما هي رسالة
«مار شمون»، أسقف بيت راشم، إلى رئيس أساقفة دير جبلة، ونشرها
يتحدث «مار شمون» كيف عرف بهز تعذيب نصارى نجران من رسائل من ملك
حمير إلى ملك الحيرة، يطلب منه فيها أن ينهي بنسارى مملكته، ما فعله هو بنسارى
نجران، وأن شمون قد تأكد بنفسه من الحادث عن طريق رسوله الذي أرسله إلى
نجران ليتجري الحقيقة، ومن ثم فقد وجه نداء إلى كل الأساقفة الرومان، وإلى

H. Winckler, Zur Alten Geschichte Yemens und Abessiniens, AOF, IV, 1896,
P. 327.
Procopius, History of the Wars
A. Musil, Palmyrena, P. 336.
J.B. Bury, op. cit., II, P. 323.
E. Gibbon, op. cit., II, P. 625.
Theophanes, I, P. 346.

(1) جواب على ط 13/0 446 ، وكذا

(2) جواب على ط 41/1 671 ، وكذا

(3) وكذا ZDMG, 31, 1877, P. 67.  وكذا Cerdenus, I, P, 656

- 373-
بطريق الإسكندرية وإلى أجار طبرية، طالباً منهم بذل الجهود لإيقاف هذه المذابح البشرية، ورغم ما تتفحص به الرسالة من عواطف شخصية، ومن مباغات متعددة لإثارة الحميمية الدينية عن رجال الدين المسيحي، ورغم أن ما جاء بها على لسان ملك حمير، إما هو من كلام مار شمعون، وليس من كلام الملك الحميري، فإن الرسالة بصفة عامة صحيحة، ومن ثم فهي وثيقة تاريخية يمكن أن ينظر إليها باهتمام.

وهناك رواية يونانية تذهب إلى أن «ذا نواس» (ملك حمير، Dunaas) قد عذب نصارى نجران، في العام الخامس من عهد ظهير الأول (518-527م)، ومن ثم فقد قام تاجشي الحبشة بغزو حمير، وفر Dunaas إلى الجبال، حتى إذا ما واجهته الفرصة اقتحم على الجيش الحميري؛ فأباهه واحتل نجران، مما اضطر الأحيان إلى القيام بحملة ثانية انتصرت على الملك الحميري، وعينت مكثه.

على أن هناك رواية أخرى - يونانية كذلك - تذهب إلى أن الذي قضى على ذى نواس، إما هو قبل من اليمن يدعى إيدوج، وذلك بسبب اضطهاد التجارة المسيحية الروم، ردًا على اضطهاد الروم للميرو، مما أدى في نهاية الأمر إلى أن يتشكل جميع التجار المسيحين من دخول اليمن، فأصبحت الأسواق التجارية اليهودية بالكساد، وساءت الأحوال الاقتصادية في البلاد، وقد أدى ذلك كله إلى أن يصبح إيدوج القياد من حوله، وأن يعلن الثورة ضد ذي نواس وأن يقتله، بل وبعثت المسحية.

(1) عبد المجيد عابدين، المراجع السابق من 446م، جمواد ء 304، إنسناية 91، مجلة ZDMG, 35, 1881, P. 2-4. بيري، J.B. Bury, op. cit., P. 322. وكدنا.


- 376 -
اليمن في العهد الحرامي

يجح الأحباش في القضاء على ذى نواس والإستيلاه على البلاد وضمها إلى الحبشة، ولكنهم - على ما يبدو - لم يحكموا حكماً مباشرةً، وإنما احتاروا واحداً من الأئمة الذين اعترفوا على احتلالها، وكان هذا النبيل هو "السيميفع أحباش"، الذي سبق أن آثرنا إليه، والذي عينه الأحباش الآن ملكاً على حمير، على أن بدفعهم جزية سنوية.

وهناك نص في "متحف استنبول" نشره "ريبمانز"، يفهم منه أن "السيميفع أحباش" كان ملكاً على نواس، وكان نصارياً، بدأ أن النص جاء فيه "باسم رحمن ورهنو كرشتش غابين" وترجمته "باسم الرحمن وابنه المسيح الغالب (3)، وعل

(2) تأريخ ابن الجيع: المرج الحبيشي 6/199، ملك حمير وأقيال اليمن 6/149، جراد على د. نورمان، "السيميفع أحباش"، تأريخ: مرج الحبيشي 6/199-200، وناشر:
Procopius, I, XX, I وكدأ Malalas, P. 433.
ZDMG, 35, 1881, P. 16 وكدأ
Von Kremer, Sudarabische Sage, 92, 127.
D. Nielsen, op. cit., P. 105 وكدأ
C. Conti Rossini, Storia d’Etiopia, I, P. 180. (Milano, 1925) وكدأ
هذا النص يعود إلى عالم عروبي باسم Esimiphaeus حيث يشير إلى ناس مسمى "أبراهيم" و"أنور". CLAIM: يتبع بالتالي الملك الحبشة، وأنه بدأ حكمه في عام 255 م.

ولما أن ناساً سكن ستون سنة، حتى تبدأ البيئات الباقية من جنود الحبشة في اليمن الثورة (في عام 531 م) على السماق أشعراً، ثم محاصريه في إحدى التلاع، وتعين "أبراهيم" وهو عبد نصري كان مملوكاً للنادر بوناني في مدينة عدن والهدنة، فقد حاول النيجاشي أن يقضي على هذه الثورة، غير أن هزيمة قواته التي أرسلها مرة بعد أخرى، جعله يتقبل الوضع على علائه، وما أن تتهيأ حياته في هذه الدنيا، حتى يسرع "أبراهيم" (أبرهة) إلى عقد صلح مع خليفته يدفع له بمقتضى جزء سنة، في مقابل أن يعترف النيجاشي الجدد به نائبًا للملك في اليمن.

وتجه المصادر العربية إجابةً مغايرةً في كيفية وصول "أبرهة" إلى السلطة في اليمن، فتذهب رواية إلى أنه جاء إلى اليمن جندياً تحت قيادة "أرياط" الذي فتح اليمن، ولكن ما أن ناساً سنوات معدودات حتى يناعسه السلطان، ثم يغادر به ويأخذ مكانه، بينما تذهب رواية أخرى إلى أن النيجاشي إذا كان قد أرسل جيشين، أحدهما تحت قيادة "أبرهة" الذي نجح في أن يصبح ملكاً على ضعفاء ومخالفتها بعد مقتل "ذئب ناس"، ومن ثم فقد غضب النيجاشي وأرسل إلهغمس تحت قيادة "أرياط"، فما أن حل ساحته حتى عرض عليه "أبرهة" أن يبارزه، فأياماً ظفر بساحته كان الملك له، فرضي أرياط بذلك، وتبادر، ونجح أبرهة في أن

Procopius, I, XX, 1-2
G. Hunt, Byzantine Inscriptions of Hien Ghurab, 1848
J.R. Wellsted, op. cit., P. 21.  وكذا. CIH, 621, CIH, IV, III, I, P. 54
Le Museon, LXIII, 1-4, 1950, P. 271  وكذا. جواب علي 3/3 475/476
H. Von Wissmann and M. Hofner, op. cit., P. 92, 120
يوجد بأرباط عن طريق غلام له وهو عبودة - الذي كافاه أباهه بالآلا تدخل عروس على زوجها في اليمن، قبل أن يصيبها قبله، مما كان سببا في أن يستغفر حياته عادة لرغبته اللطيفة هذه (1).

وهكذا أصبح أباهه (أباهم) حاكما على اليمن (2)؛ وإن اعتفر إسماء به عزلي ملكين أجزعين أي نائب ملك الأجاعزة على اليمن، وليس هناك من دليل على أن أباهه لم يكن الحاكم المطلق على اليمن، ولم يترك لنجله أي إسهام غير الإسم، حتى أنه دعا في نفس جلالته (جلاله 618) في نفس (541) ميلج الحج، فحسب، بينما أطلق على نفسه في نفس النص (ملك سيبا وذي ريدان وحضرموت ويمنان وأعراضها في الجبال والعواصم)، وهو ما يزال بعد من الناحية الإسمية على الأقل - نائب ملك الحج (3).

ومع أن أي حال، فإن النص المذكور يشير إلى تهام سيدا وترميمه في عام 542 هـ، الأمر الذي ناقشناه في الجزء الأول من كتابنا دراسات في التاريخ القرآني، غير أن الذي يهمنا هنا تلك الثورة التي شتت بقيادة يزيد بن كيشة، والذي عينه

(1) تاريخ العلامة 27/2-375-376-377-378-379-380-381، ابن الأثير 1169-1692-1703-1710-1711-1712-1713-1714، تاريخ ابن خلدون 2/3-3-4-5-6-7-8-9-10، تاريخ المعاصر 322-323-324-325-326-327-328-329-330، المجاهد في 2-3-4-5-6-7-8-9، الجامعي 1-2-3-4-5-6-7-8-9، جواب علي 3-4-5-6، وكذا
(2) جواب علي 3-4-5-6، وكذا
(3) E. Glaser, Zwei Inschriften den Dammburch von Marib, II, 1897, P. 421
(4) أنظر عن ترميم النص: كتابنا دراسات في التاريخ القرآني، وكذا: جواب علي 3-4-5-6، وكذا
(5) E. Glaser, MVG, II, 1897, P. 390
(6) أحمد فكري: المرجع السالم ص 187، وكذا
F. Altheim and R. Stehli, op. cit., P. 587
A. Sprenger, op. cit., P. 31-126.

- 277 -
أبرهه = Abraham (1) ناثياً عنه في قبيلة كندة، وسرعان ما انضم إليه ومعد يكرب بن السبيع آشور، وبعض الزعماء اليمينيين، ومن ثم فقد بدأت الثورة تنتشر في أجزاء كثيرة من اليمن، حتى شملت حضرموت وحريب وذو جدن وجواب عند صرواح، إلا أن أبرهة سرعان ما انصرف إلى القبائل وأصبحت مساعدته الثورة قوية، ومن ثم فقد انصرف إلى إصلاح ما أفسدها الثورة في سد مأرب (1)، وقد تم هذا الإصلاح الثاني في عام 545 هـ.

وقد تم نقل HEROES (2) والذي يرجع تاريخه إلى عام 550 هـ، أو عام 474 م (2) عن حرب أشعلها أبرهة ضد قبيلة "معد"، وعن العلاقات بين ملوك الحيرة وحكام اليمن من الأشجاع، وعن نفوذ الأشجاع على قبائل مثل معد، ولعل هذا يؤدى ما ذهب إليه الكتب العربية من أن اليمن تفوّت على قبائل معد، وأن تابعة اليمن كانوا ينصبون الملوك والحكام على هذه القبائل (3).

وبدأ أبرهة نصه هذا بقوله: "بيضل الرحمن ومعمر" أي "يحول الرحمن ومسيحه"، ثم يسيغ على نفسه الألقاب الملكية المعروفة للملك سبا، ثم يتحدث بعد ذلك عن الحرب التي أشعلها ضد معد ضد "حليمان" كما أمر رؤساء قبائل كندة وعلى وسعه بالقضاء على ثورة "بني عامر"، هذا ويشير النص كذلك إلى أن أبرهه قد انصرف على قبيلة معد، ثم أخذ الرهائن منها، إنهاء ثورة أخرى قد تقوم بها، كما أنه ينتهي "عمرو بن المنذر"، الذي عينه أبوه المنذر أميراً على معد.

(1) H. Von Wissmann and M. Hofner, op. cit., P. 121.
(2) Le Museon, 66, 1953, P. 275.
(4) S. Smith, Events in Arabia in the 6th Century A.D., P. 435.
(6) Le Museon, 1953, 3-4, P. 277-279.
وقد ذهب بعض الباحثين مذاهب شئ في تفسير هذ النص، فذهب البعض إلى أنه إذا يشير إلى حملة أُرْبَهُة على مكة في عام النيل (1)، وذهب آخرون إلى أنه إذا يشير إلى غزوة، فقام بها أُرْبَهُة، فهذا لمحة كبيرة كان يؤدي القيام به إلى أعلان شبه الجزيرة العربية، لكنه توقف عند مكة (1)، بينما رفض فريق ثالث أن يربط بين الحملتين، لأنهم يرون أن هذه الحملة إما تمت في عام 14 هـ، بينما كانت الأخري في عام 16 هـ (2)، وأخيراً فإن هناك فريقاً رابعاً يرى أن النص إما يتحدث عن معركتين، الواحدة قداء أُرْبَهُة عند عميان (3)، والآخرى قامت به جماعة قبائل من قبيلة (4) في بلاد بني عامر، وربما على بعدة مئتين ميلاً إلى الجنوب الشرقي من الطائف (5).

وقد أباع فرع أُرْبَهُة من القبائل على الثورات التي هبت ضده، بعد أن انتهى من ترميم صد مأرب، نصرف إلى نشر المسيحية ومحاربة الأديان الأخرى في بلاد العرب. فقرّد ساعد مسيحي بلاد العرب الجنوبية، واتخذ من وُجُرَان مركزاً رئيسيًا لِحَمَالَتِهِ الدّينيّة، فنجد جماعة مسيحية في صحراء اليمامة - في منتصف الطريق بين اليمن والخليفة - في يَرْب، وعلى إمتداد الطريق التجاري إلى فلسطين وسوريا (6).

ويقع ذلك إنشاء الكتاتيس في أنحاء مختلفة من اليمن، لعل أهمها مأرب وِجُرَان وصُنعاء، وفي هذه الأخيرة بني كنيسة المشهورة "التَّلْيْسِ" يُغبَّة أن يصرف الحجاج من مكة إلى صنعاء، فيكشف من ذلك فرائد مادية وسياسية وعُدْمَا، وبالتالي فقد كان

---

Le Museon, 1965, 3-4, P. 426.
W. Caskel, Entdeckungen in Arabian, P. 30
Le Museon, 1965, 3-4, P. 426.
Le Museon, 1965, 3-4, P. 247.
Le Museon, 1965, 3-4, P. 426

(1) جواد علي 965/6، وكذا
(2) جواد علي 966/7، وكذا
(3) عدد علي 976/7
(4) البكري 1691
(5) الكري في 2004
ذلك سببًا في حملته المشهورة على مكة في العام المعروف بعام النيل (1) - الأمر الذي ناقشناه في الفصل الحادي عشر، من الجزء الأول من كتابنا دراسات في التاريخ القرآني (2) ويبالغ الأخباريون كثيراً في وصف "كنيسة الفلكليرس" (وهي محرفة عن كلمة أكليسيا معنى كنيسة)، حتى أنه يروون أن أبرهه لما آمن بناه كتب إلى النجاشي يقول: "إني قد بنيت لك بصنعاء بيتاً لم تكن العرب ولا العجم مثله" (3) أو "إني قد بنيت لك أبا الملك كنيسة لم يكن مثلها الملك كان قبلك، ولست بمهنة حتى أصرف إليها حج العرب" (4).

وتذهب الروايات العربية إلى أن التقاليس إما بنيت بجوار قصر غمدان، وبجوار من قصر بلقيس يمبارى، وأن أبرهه قد كتب إلى قيصر الروم يطلب منه الرخام والفسيفساء ومهرة الصناع، كما أنه قد استعمل في بنائها طبقات من حجر ذه أثري.

---


(2) تأليف الطبري 2/311-311-311، ابن كثير 2/149-149-149، تأليف الخديوي 2/311-311-311، ابن خليفة 2/311-311-311.

(3) تأليف الطبري 2/311-311-311، ابن كثير 2/149-149-149، تأليف الخديوي 2/311-311-311، ابن خليفة 2/311-311-311.

(4) تأليف الطبري 2/311-311-311، ابن كثير 2/149-149-149، تأليف الخديوي 2/311-311-311، ابن خليفة 2/311-311-311.
مختلفة، لها بريق، وأنه نفشت بالذهب والفضة والصينية وألوان الأصباغ وصور الجواهر، وضموا إليها بالذهب واللؤلؤ، ورشوا حوافتها بالكلك، وأقاموا فيها صرابات متوسطة بالذهب والفضة والصينية، وفيا رحامة بما يلي مطلع الشمس من الألقا بربعة عشر أذرع في عشر، تغشي عين من نظر إلىها من بطن البدع، تودي إلى الشمس، ينجم إلى داخل القبة، وكان تحت القبة منبر من شجر الفنق وهو في النور، مغصب باللواج الأبيض، ودرج المثير من خشب الناج ميلة ذهبية متسطة، وكان في القبة سلاسل فضية.

وفي الواقع، فإن الإسم ما وصف الأخبارين اللقليس من مبادلات، فإن العصر كان حنداً، سمسرة بناء النصوص التي أنشئت في العالم المسيحي، وأهما: كنيسةً «أيا خسرويا» في القسطنطينية، و«كنيسة الهدى» في بيت لحم، والاثنان معملان إلى عهد الأمبراطور جستيان (367-365م)، وقد تأثرت جميعاً بالنفس البيزنطي، وإن جمعت كنيسة اللقليس بين الفن العرقي القديم، والفن البيزنطي النصري في بناء الكائنين.

هذا وقد جلأ أبرهة في بناء اللقليس إلى السكينة، فضلاً عن القسوة الشديدة التي كانت تصل إلى حد قطع بيد العامل، إن ناون أو تكاسل في عمله، وروي بالقوت الجموهري أن أبى ختي من أهل اليام في بناء هذه الكنيسة وجمهم فيها أنجاتاً من السكينة، وكان ينقل إليها أدواء البنا كالرخام والحجارة المغفرة بالذهب من قصر بلقيس، صاحبة سليمان عليه السلام، وكان من موضوع هذه الكنيسة على فراسيه، وكان فيه نقاً من آثار ملكهم، فاستعان بذلك على ما أراده من بناء هذه الكنيسة وبهجتها وبيائها.

1) H. Scott, op. cit., P. 212.
2) al-Zarrukh 1298-1299، أديان العرب ص 75، ابن الأثير 4/130، تاريخ الطبري 128/2.
3) ياقوت 4/293، تفسير ديوان الغمي 233/20.
4) مصري تاريخ العام 193، P. 56.
وهايا ما كان الأمر فقً عام 570 م ، أو 51 م ، مات أبها بعد فشله في حملته المكونة على مكة المكرمة ، وخلفه ابنه يكسوم ، لفترة تمتد على وجوه التحقك (1) ، وبعد أن مارس الحكم منذ أيام أبيه ، حين اختاره فيما يرى بلال رحنا ، حاولا على أرض معاصر (2) ، وعلى أي حال ، فقد كان يكسوم ، هذا شراً من أبيه ، كما كان أخوه وخليفته مسروق ، شراً من الإخبارين ، ويرى الإخباريون أنه حكم ثلاث سنين أنهى بقتله ، وبخروج الأحباش من اليمن (3) ، بعد حكم دام نحو مائة سنة على رأي ، وأثنين وسبعين على رأي آخر (4) ، وإن كان الصحيح فيما يرى العلماء المحدثون - أنه لم يدم أكثر من سبع وأربعين سنة (5) - . (675 م) ، على رأي ، وقرابة نصف قرن (625-675 م) على رأي آخر (6) ، وذلك لأن هؤلاء الباحثين إنما يرون أن حملة أبها على مكة المكرمة ( عام الفيل ) إنما كانت في عام 570 م على رأي (1) ، وعام 571 م على رأي آخر (7) ، وكلاهما يخالف المعهود من أن الحملة إنما كانت في عام 570 م ، أو عام 571 م.

حركة التحرير والسيطرة الفارسية

مرت الأيام ثقبة كثيرة على أحرار اليمن ، ولم تكن للسياسة الاستبدادية التي خططها أبها - وسار على منوالا خليفيته من بعده - من نتيجة ، سوى تفور اليمنيين من حكم الأحباش ، والرغبة في التخلص من احتلالهم البيض ، وزاد الطين بلة أن

(1) مرج الذهب /500 ميكانيكا ، المرج السابق ص 216 ، الأخبار الطويل الديونيوري ص 93 .
(2) براج علي 4/63 وكذا
(3) سداسة 500 م ، تأريخ الباهلي 39/65 ، المقدسي 3/188 .
(4) ابن الأثير 4/650 ، مرج الذهب 57/65.
(5) فإد حسن : المراجع السابق ص 275 ، وافتر : سعد زغلول ، المراجع السابق ص 199 ، حجي
(6) زيادان ، المراجع السابق ص 141-151.
(7) براج علي 3/500 ، وكذا
الأزمة الاقتصادية قد استحكمت في ظل الاحتلال الأبوري ، فبينما كان الحكام المسيحيون يبتون الكنائس ويحاولون الإنفاذ نحو الشمال – كما فعل أفرع – كانت البلاد تزداد اضطرابًا ، نقص النشاط التجاري الذي كان يتوقف عليه بقاؤها إلى حد كبير ، ذلك لأن الحياة الاقتصادية في بلاد العرب الجموحية ، إذا كانت تقوم على التجارة الدولية – فضلاً عن مواردها الزراعية – حيث أن هذه العرقية الجنوبية ، إنما كانت مركزًا أساسيًا لتبادل السلع ، وكانت مرسى المحيط الهندي للتجارة مع البحر المتوسط ، كما أثنت القواعد التجارية التي أضافها العرب الجموحيون على سواحى الهند والصومال لهم ، إحتكار التجارة الذهب والبخور والمر واحتشاب الزينة ، التي تصدرها تلك المناطق إلى الشمال.(1)

غير أنه في فترة الاحتلال الأبوري هذه ، إزداد استعمال الطرق البحرية التي سيطر عليها الرومان والصليبيون والمونوك ، فكانت هذه المنافسة الجديدة كارثة على تجارة التواصل بين العرب الجموحية ، وبين أرض الرافدين وفلسطين ، وأخيراً أدى الانتشار المأرب في عام 449 م، إلى خراب أراضي الري الفائقة ، وسدد ضرائب الموت إلى إزدهار البلاد(2) ، محولاً إياها إلى مناطق مقفرة ، إلا القليل من أراضيها التي تزوجه الأمطار الصيفية ، أو ينساب فيها بعض السيل أو الجداول.(3)

ومن ثم فقد كانت الثورات تقوم الواحدة تلو الأخرى ، حتى جاءت الفرصة المتوقعة في شخص زعيم وطلي من حمير يدعى سيف بن ذُي يزن وبكي أبا مرة) ، وهو معد بقرب بن أبي مرة ، والذي فر أباه أبو مرة بن ذي يزن ) إلى الخيرية وتجأ إلى ملكها عمر بن هند ؛ بعد أن انتزع منه أبهرة زوجه ربحانة بنت علامة وأم ولده سيف ) هذا ، ثم أولدته أبهرة ولده ) مسروق ) وابنته بسبيسية(4).

---

(1) ميكاتني: المرجع السابق من 1971 ، ص 197 .
(2) نفس المرجع السابق ، ص 193 .
(3) حسن ناظر: المرجع السابق ص 199 .
(4) ابن الأثير 437/1 ، تاريخ الطبري 2/1300 ، قانون الفقه 3/188 .

- 284 –
وتذهب بعض الروايات إلى أن «سيف» هذا، إنما قد توجه أول الأمر إلى بيزنطة، وحاول عبرًا إقناع قيصره بإرسال حملة تقاتل إلى جانب اليونانيين، الذين يرغون في تحريك بلادهم من سيطرة الأحباش، وفي التقاليد المتصلة أن سيفاً كما أختم في الحصول على عون من القسطنطينية ضد الخبيشة، لما يربط القيصر بخلفائه الأحباش من علاقات سياسية واقتصادية، فضلاً عن الروابط الدينية، حتى أن السعودي ليروي أنه رده قالاً: "أنتم يهود، والخبيشة نصارى، وليس في الدين أن نصير المخالف على الموافق"، ثم إن مناصرة العناصر الوطنية في اليمن لن تزيد القيصر على ما كان يلقاه من امتيازات في اليمن، إمتيازات أخرى (1).

وهكذا فشل "سيف بن ذي يزن" في أن يحصل على أي عون من الإمبراطورية الرومانية، ومن ثم فقد اتجه إلى فارس لتشدد أزره، أسوة بمناصرة الروم للأحباش، وبيدو أنه بألا إلى العثمان بن المنذر حاكم الحيرة حتى يقدمه إلى كسرى أنوشوان (421م-898م) في رواية، أو أنه اتصل به مباشرة بناه على وعد سابق لأبه بالمدينة، على رواية أخرى، وأيما ما كان الأمر، فإن كسرى قد خط عليه أن يسلم بابنه فارس، ويطعمهم أفرع الصحراوات القامية، ومن ثم فقد قال له: "بعدي بلاذك نؤقت القرآن، والملك إليها وعر، ولست أغرُر بجاهلي"، وأمر له بمثال فخرج "سيف" وجعل يُنير الدراهم فانهضها الناس فسمع كسرى، وعندما سأل إمام حمله على ذلك فقال: "لم أكن للملال، وإنما جئت للنظام، ولتمنعني من الذව والفران، وإن جبال بلادي ذهب وفضاء"، فأعج كسرى بقوله، وقال: «بظر المسكون أن أعرف بلاده عم" (2).

وسواء أصحح هذه الروايات، أم أنها من نوع أساطير الأخبارين، فالذي لا شك فيه أن الأحباش قد أصبحوا أصحاب الكلمة العليا في سياسة العرب الخليوية.

---
(1) مروج الذهب 55/2، تاريخ الروم 143/2، تاريخ الحسين 58، الأخبار الطوال 71، تاريخ البيروني 600، تاريخ ابن خلدون 53/2، عبد العزيز سام: المراجع، P.K. Hitti, op. cit., P. 66.
(2) ابن الأثير 68/1، تاريخ الطبري 1400-1430، تاريخ الحسين 58، تاريخ ابن خلدون 53/2، الأخبار الطوال 71، المقدسي 189-218.
منذ اكتشاف ذي نواس من المسرح السياسي في اليمن، ومن ثم فقد عملوا على تدعيم المسيحية، وإعادة القوة للنفوذ الروماني من أن يقوى ويشتد، الأمر الذي أضعفت القبلة إلى حد بعيد، فعملوا على بث النزاع في نفوذ اليهود في البلاد، واستفاد الرومان على السواء، ومن هنا نرى المداني يبدأنا عن تفسير وجدته في بلاد الحميريين. وإن ذهب البكري إلى أن قد أنشأ إنه وجدته في أسس الكعبة عند إعادة بنائها قبل خمسة عشر حجر مكعب بالفسند(1)، جاء فيه: لم يألف ذمار؟ هل سمي الآخرون لمن الفجار؟ لم يألف ذمار؟ لفجار الأحراز.(2)

وأيا ما كان الأمر، فإن الرواية تذهب بعد ذلك إلى أن «كسرى أنو شروان»(3-31 89 هـ) قد استمر وزريته في الأسر، وتمت الموافقة على مساعدة «سيف ابن ذي يزن»، ربما تعاينت ملك فارس في السيطرة على طريق التجارة عبر البحر الأحمر، فضلاً عن القضاء على النفوذ الروماني - السياسي والاقتصادي والديني - في اليمن، وأن تكون الحملة على اليمن من نزاع الملك فارس، وأن يتجاوز عددما يكون ملكاً أو أكثر - وإن كانت هناك رواية جعلتهم بسبي آلاف وخمسة آلاف فارس - وأن تكون تحت قيادة الشابب الفارسي وفريز. وإن يتجاوز فارس من نساء اليمن، وإن لا يتجاوز اليمنيون من النساء الفارسيات، فضلاً عن خراج سنوي يحمله «سيف بن ذي يزن» إلى فارس(4)، وهكذا وجدت فارس في طلب يعود العرب ووذيهم مؤازرتهم ضد الدولة المصرية، وسيلة للتوسع في بلاد العرب، ومن ثم فإن بادية الشام في الشمال، وإن حالت دون توسع القوى الكبرى.

(1) البكري، الإكليل، نشر بني قابري ص 169، ابن حسان 78/1 (طائفة مكتبة إسلامية
(2) المدارس 368، ابن خلكان 923-926، موقع الذيب 250-253، تاريخ الطبري 1144-1145، الأخبار الطواف في 167-168، تاريخ ابن عقلان، المدارس 362، نضال حوراني: المرحل السابق ص 51، حسن: المرحل السابق ص 253، سليم سمير وأقبال
(3) اليمن ص 100-1285
في تلك الفترة من التاريخ في شبه الجزيرة العربية، فقد أصبح أرض الجنوب مدخلاً لتلك الدول توصلها إلى قلب البلاد (1).

وتبحر الحملة إلى اليمن في ثماني سفائن، غرقت منها سفينتان، ووصل إلى ساحل عدن ست سفائن، وهنا يروي الإخباريون رواية، تكررت من قبل مع أرباط، إذ يزعمون أن وهريز قد أمر بأن تحرق السفائن جميعاً، ليعلم جنوده أنه ليس أمامهم سوى النصر أو الموت، وأنه سأَل سبتيّاً عما عنه، فأجابه: "ما شئت من رجل عربي وسيف عربي، ثم أجمل رجلي مع رجل، حتى نموت جميعاً أو ننظر جميعاً" (2)، وعلى أي حال فإن الحملة ما أن بلغت اليمن حتى أضم أليها الكثير من أتباع سيف، وفي نفس الوقت سار إليها مسروب في مائة ألف من الحبشي وحمير والأعراب - طبقاً لبعض الروايات - إلا أن المعركة سرعان ما انتهت باندحار الأعوان وأتباعهم، ولقى مسروب هزمه فيها، ودخل وهريز صنعاء، وملك اليمن، ونفي عنها الحبشي، ثم تركها - بأمر من كسرى أنوشرون - لسيف بن ذي يزن، الذي رضي بدفع جزية وخروج يؤديه كل عام (3).

وهكذا نجح العرب اليمنيون في تحرير بلادهم من ربيقة الاستعمار الحبشى، وقع الفرس - على ما يبدو - بإقامة حكم وطني في اليمن يدني بالتبعة لهم، ومن ثم فقد أصبح سيف بن ذي يزن ملكاً على اليمن، في حوالي عام 675 م، فيما


(1) ابن الأثير 1/ 146 / 56-65، تاريخ الخبيص ص 318، تاريخ الطبري 2/ 64-72.
(2) ابن الأثير 1/ 146 / 56-65، ابن كثير 2، الآخبار الطويل ص 315، تاريخ الطبري 1/ 64-72، تاريخ الطبري 1/ 64-72، مروج الذهب 3/ 164-170، MLM 46، أثرياء اليمن ص 151، فضل حواراتي ص 154، ذي من 1950-1950، جواه طلي.
(3) ابن الأثير 1/ 146 / 56-65، الفضل حواراتي ص 154، MLM 46، أثرياء اليمن ص 151، مروج الذهب 3/ 164-170، تاريخ الطبري 146 / 56-65، تاريخ الطبري 146 / 56-65.
يري المؤرخون المحدثون، وإن كان حكمه لم يشمل كل أنحاء البلاد: بل يبدو أن هناك رجالاً من الفرس كانوا يحكمون في اليمن، منذ حوالي عام 958م، وأثنين كانوا يحكمون في عدداً من لقبه العرب، وهم باباً سلالة (1) وnishab (الإصبع) (2)، وهذا يدل على أن الفرس قد استمرأوا المزعي فأقامون في البلاد، وكأني بالعربي الجنوبين وقد استبداوا استعماره (3).

وعلى أي حال، فإن خلاصة اليمن من نظر الاحتفال الحقيقي كان له رئة فرح هائلة في جميع أنحاء شبه الجزيرة العربية، وفقدت العرب من الحجاز، وغيرها على سيف بن ذي زين، يبتغونه بتهريب البلاد وعدها الملك إلهاً، ومن هذه الوقود وفد إمارة مكة برئاسة سيداته وكبرها عبيد المطلب بن هاشم؛ جدع النبي صلى الله عليه وسلم - ومعه أمة بن عبد شمس - وعبيد الله بن جذان، وأسدة بن خويلد ابن عبد العزيز، في ناس من أشراط قريش، فأتعمقهم سيف وأجلهم، ووصلهم بذهب وفضة، وإبل وجوار وعيد، وقيل أنه أطعى عبيد المطلب أعضاء ما أعطيه غيره من الوفد، وهنا لم يرض أصحابنا الأخباريون أن يكون سيف بن ذي زين أغلق من غيره من ملوك اليمن العظام، الذين بشروا ببعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومن ثم فقد جعلوه يبشر عبد المطلب يولد مولانا وسيدنا رسول الله صلوات الله وسلم عليه - وبخبره بما يعلم عنه (4).

ويرى الدكتور جواد علي آتنا إذا أخذنا برواية السعودي وغيره عن وفد مكة، وباذا يذكره أهل الأخبار من أن فترة الاحتلال الحشي لليمن كانت إثنتين وسبعين

H. Von Wisssmann and M. Hofner, op. cit., P. 121
W. Phillips, op. cit., P. 223.

(1)
(2)
(3)
(4)

وكذا

(5)
فيما عدنوا مرة أخرى إلى سيف بن ذي زين، لوجدناه يتخذ سياسة في منتهى العنف بالنسبة إلى البقى الباقية من الجيش، فقتل البعض، واتخذ من البعض الآخر عباداً يسعون بين يديه بالحراب، ويبدو أن هذه المعاملة القاسية قد أثرت في نفوسهم، حتى أنهم انتعوا أول فرصة، فوثروا عليه وقلدوا.

ويعلم «كسرى» بالآخر، فيرسل وهريز في أربعة آلاف من الفرس، ويأمره ألا يترك باليمن أسود، ولا ولد عربية من أسد، إلا قتله، صغيراً كان أم كبيراً، ولا يدع رجلاً جدعاً قطعاً قد شرك فيه السواد، إلا قتله، ويفعل وهريز، ما أمر به كسرى، فيستأصل البقاء الباقية من الأحباش في اليمن.

ويبدو أن الفرس - الذين كانوا قد توسعوا في شبه الجزيرة العربية - قد طمعوا في اليمن، لأهميتها التجارية والسياسية (أولًا)، ولتمتعا بزيتونة من الإستيلاء عليها (ثانيًا)، ويبدو كذلك أن «سيف بن ذي زين» كان قد أحصى بتخليصهم في كل شنود بلاده، ومن ثم فقد بدأ يعيد المزيد للتخلص منهم، كما تخلص من الأحباش من قبل، إلا أن الفرس كانوا قد خططوا إلى خلقه، ومن ثم فقد تأثروا عليه ودردوا أمر قتله.

---

(1) مرج الحجاز 67/66، جهاد، ر.3
(2) تاريخ الطبري، مرج الحجاز 68/67، جهاد الآصفهاني
(3) تاريخ الطبري، مرج الحجاز 68/67، جهاد الآصفهاني

---

1388
وربما كان بعض الأحجام وسيلة إلى ذلك، حتى تصبح اليمن واحدة من ولايات
الإمبراطورية الساسانية (1).

أيا ما كان الأمر، فقد أصبح أمر اليمن بيد وهرؤيل من قبل كسرى،
ثم جاء من بعد وله «المرابين» ثم جفينة «البيت» ثم «البيت»
وأخيراً «بادان» الذي قدر له شرف الخول في الإسلام (2)، وفاضا لعل من الأهمية
يمكن الإشارة إلى أن حكم الفرس ل اليمن، إنما كان يكاد يكون مقصوراً على
العاصمة «صنعاء» ومجاوراتها، وأن قبائل اليمن إنما كانت تتمتع أبداً بحرية (3)
وأن الحكم فيها إنما ترك لأبناء الملوك من الأمر الملكة القدمية، والأثيل والذذياء
وهم الذين عرفوا عند الأخبارين بملك الطوارف (4)، وأن القبائل اليمنية أصبحت
تدين كثية قبائل شبة الجزيرة العربية في صراع فيما بينها، كما أصبح لها أسواق،
تشبه أسواق بقية عرب داخل شبه الجزيرة، تأتم فيها على دمائها وأموالها (5).

ومع ذلك ليس هناك من شك أن الفرس قد كسبوا الكثير من احتلالهم لليمن،
فقد أصبحوا يسيطرون سيطرة فعلية على الطريق البحري التجاري إلى الهند عبر البحر
الأحمر، كما سيطروا كذلك على الطريق البري - طريق الحجاز - ولم يلبث الفرس
أن توجوا جهودهم يفتح الشام ومصر، وأدرك «هرقل» (610-241 م) أن الفرس
قد أصبحوا أصحاب السلطان الفعلي على سواحل البحر المتوسط والبحر الأحمر،
وأنهم خلقوا دولة أكسوم الحبشية - حليفة الروم - ولكن هذا الوضع سرعان ما تغير

---

(2) تأريخ الطبري 148/1، مرح تيذب، مرح تيذب 136، مرح تيذب 16/1، ابن هشام 44.
(3) عبد المنعم ماجد: المراجع السابق ص 77.
(4) عبد المنعم ماجد: المراجع السابق ص 77.
(5) عبد المنعم ماجد: المراجع السابق ص 77.
(6) E. Gibbon, the Decline and Fall of the Roman Empire, 5, 1950, p. 216.
(7) المراجع السابق ص 77.
سريعاً، إذ تمكن هرقل من استرداد سلطانه على الشام ومصر بعد حملة بحرية واحدة (1).

أما اليمن فكان الأمر فيها مختلفاً إلى حد كبير، ففي السنة السادسة من هجرة مولانا وسيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دخل باذان، في الإسلام، ومن ثم فقد قُتِّي على اليهودية والنصرانية والوثنية في اليمن، فضلاً عن الحكم الإغريقي - حبشياً كان أم فارسياً (2) - في الفترة ما بين عامي 628 - 632(3)، وإن كانت رواية الطبري يفهم، منها أن باذان؛ إما أسلم في عام 908م، حيث تذكر أنه أسلم بعد أن جاءته الأخبار من فارس بقتل كسرى أورون (4) 908م - 1608م، وتولى «شريوة» بعده، والذي لم يبق على العرش أكثر من ثمانية شهور (4).

(2) تاريخ الطبري 6:657-666، ابن الأثير 3:261-265، ابن هشام 1:77-78.
(3) جرادر علي 3:268/2، وكذا W. Phillips, op. cit., p. 223.
الفصل الثاني عشر

ما، الكمر

(1) مكة: نشأتها وتطورها

ليس من شك في أن مكة المكرمة أهم مواضع الحضر في الجاهلية، وأنها ربما ترجع في نشأتها الأولى إلى عهد الخليل وولده إسحاق، عليه السلام، وأن سكانها من الإسماعيليين، إلى جانب قبائل عربية، لم يذكر لنا المؤرخون عنها معلومات دقيقة، كعمليات وجرهم وخرفه (1) وأن الإسماعيليين أو المدنين، كما يسميه المؤرخون المسلمون - كانوا يتكلمون اللغة العربية التي لم تصلنا بها نقوش مكتوبة، كما بسبع وعود ودور منصور لهم قبل الإسلام - كخط المندب في الجنوب - وربما لأن طبيعة السكان في الجاهلية لم تكن تميل إلى الكتابة (2)، وإن وجدت كتابات لغير الإسماعيلين في الحجاز.

وبختلف المؤرخون في اشتقاق كلمة "مكة"، فذهب فريق إلى أننا إنما سمي كذلك، لأنها تملك الجبارين، أي تذهب نخبهم، وذهب فريق ثان إلى أننا إنما

الأمريكي 94/19، العام 1331

النوري 272/7، كشف التنزون 4، وأصل الخط العربي 272،壓力 13، عبد المحسن ماجد:

E. Gibbon, op. cit., 5, P. 220.

التاريخ السياسي للدولة العربية 77/7، وكذا

376
اقترح جيلين متفرقين عليها، وهي في هيئة بمزدوجة الكوكب، وذهب فريق ثالث إلى
أن الكلمة مشتقة من "أتمك" من قرئ: أتمك الفصيل ضرع أمه؛ إذا مصا شديدًا، ولما كانت مكة مكانًا مقدساً للعبادة فقد امكت الناس، أي جيلدهم من
جميع الأطراف (1)، إلى غير ذلك من التفسيرات المألوفة عند الإخباريين في تفسير
الأسماء القديمة التي لا علم لها.
غير أن اسم مكة لم كان سابقًا لتفسيرات الإخباريين هذه، ومال كان الجنوبين
قد سكروا مكة مع الإسماعيليين، فإن هناك من برجح أن الإسم إما أخذ من لغة
الجنوب، مستنداً إلى البيت الحرام، فمكة أو "مكروب"، في رأي هذا الفريق من
العلماء، كلمة مثمرة مكونة من "ملك" و "رب"، ومك تبعي البيت، فتكون
"مكروب" يعني "بيت الرسول" أو "بيت الإله"، ومن هذه الكلمة أخذت مكة،
أو بكة بقلب الميم، مثل على عادة أهل الجنوب، ويرى بروكلمان أنها أُخرِذت
من كلمة "مقرب" العربية الجنبية، ومعناها "المختصر" (2).
وسلط القرآن الكريم على مكة عدة أسماء، منها "بكة" لتقوله تعالى "إن أول
بيت وضع للناس الذي بكة مباركة"، و"الرملين" (3)، و"ذلك يحاول الإخباريون
أن يفرقوا بين مكة، وبيكة، فالأولى هي القرية كليها، والثانية لأن المراد بها موقع
بيت الحرام، أو أن "بكة" هي موقع البيت، ومكة ما سوى ذلك (4).

(1) ياقوت (1171-1272)، ابن هشام (115/1-126/1)، أحمد الكثري: "الشرح السابِع"، طبعة العريض، تحقيق السادة، "انتقادات"، 17، "البروكليان: تاريخ الشريعة الإسلامية"، 1951، P. 24.
(2) سورة آل عمران : آية 119-6 (لا في: تفسير الطبري 2/191-197) (دار المعارف)، "تفسير جمع
البيان"، 1/191-195، تفسير المدارج 4/1-14، تفسير ابن كثير 1/191-195، تفسير
"بروت" 1972 (مطابقة "أتأب" 2/191-195)، "تفسير النسدي 1/176-171"، في طراد

392
ومنها "أم القرى" لقوله تعالى "و لنذر أم القرى ومن حولها"، ولعل هذه التسمية إذا تشير إلى أن مكة إما هي أعظم مدن الحجاز، ولأنها تضم بيت الله، أو بيت وضع للناس، فيه الهدى وفيه البركة، وفيه الخير الكثير، جعله الله مثابة أمن للناس (1)، وللأحياء جميعاً، ومنه خرجت الدعوة العامة لأهل الأرض، ولم تكن هناك دعوة عامة من قبل، وإليه يحج المؤمنون بهذه الدعوة من كل الأجناس (2)، وصدق الله العظيم حيث يقول: "و أذن في الناس بالحج يأتون رجالاً وعِلِّ كل ضائر يأتين من كل نجد عريق" (3).

ومن أسماء مكة كذلك "البلد" لقوله تعالى "لا أقسم بهذا البلد، وأتت حل بهذا البلد" (4)، ومنها "البلد الأمين" لقوله تعالى "والتين والزيتون وطور سينين"، وهذا البلد الأمين (5).

(2) في ظلال القرآن 71، وانظر: تفسير الطبري 24/9/1695.
(3) تفسير البخاري 1/62.
(4) سورة البقرة: آية 22.
(5) تفسير البخاري 2/62.

(6) راجع أسام أخري في: ياقوت 1/514-146، تاريخ الحسيس 1/40، تدف أبا 1/43-1216، النجف 1/41، البغدادي 1/62، المانع 1/41، تدوير 1/41، حافظ 1/41، رافعي 1/41، البغدادي 1/41، البغدادي 1/41، البغدادي 1/41، البغدادي 1/41، البغدادي 1/41، البغدادي 1/41.
(7) تفسير البخاري 2/41.
(8) تفسير البخاري 2/41.
(9) تفسير البخاري 2/41.
(10) تفسير البخاري 2/41.
وأما أقدم ذكر للبلاد الحرام في النصوص القديمة، فإما يرجع إلى القرن الثاني الميلادي، إذ يحذف الجغرافي اليوناني بطليموس (138 - 100 م) عن مدينة دعاها ماكورابا (مكرمة)، رأى العلماء أنها مكة المكرمة (1)، هذا ويدعو أوجست ميلر وغيره إلى أن المعبد الذي ذكره ديبورن الشقي (2) Bizomenit (من القرن الأول الميلادي) في أرض قبيلة عربية يدعونها، إما يعني به دلت مكة، أو غير معقول، فهو يقع بعيدًا عن مكان في حمص في مكان دعا lẽ موسول باسم عوفاء، حيث بنت قبيلة تومود، فيما بين عام 166، وبداية عام 179 م معبدا هنالك (3) والمما كان هذا المعبد هو الذي أشار إليه ديبورن (4) على أنه المعبد الذي يقدسه العرب (5).

على أن تاريخ المدينة إما يعود إلى ما قبل عصر بطليموس بكثير، فهناك من يرى أنها سابقة لكتابة أسفار العهد القديم (النوراة) (6)، فإنها هي ويشا، المشتري إليها في سفر التكوين (7)، وهي ويشا التي يقول الرحالة برتون، أنها كانت بيتًا للرازي 12/8-10، حيث يبي في تفسير القرآن الكريم 133-136 (1961) الأكشاف 1-268/4، تفسير ويل الفدير 4-800/1، تفسير ابن كثير 832-375/11، في القرن 1397، في نسج فار الصين (7) تفسير والسديف 708-329/11، تفسير أبي السعد (إيزابل العلق لليل لما السنة القرن 1421-271/1، راكير بروكلمان: المرجع السابق 133/1 (1)

Gerald De Gaury, op. cit., P. 24 Ptolemy, VI, 7, 32. وكذا J.B. Philby, The Land of Midian, MEG, 9, 1955, P. 127F.


(2) أظهر عن معبد السالفة.

1. ما هذه المدينة؟ ما هي علاقة المسجد في تفسير القرآن بكمكة؟
2. كيف يمكن تفسير النصوص اليونانية وبركانية عنLocalization ومكانية المسجد في المسجد النبوي؟
3. كيف يمكن تفسير القصص العربية القديمة والكتابات الأثرية الذين ذكرت المسجد؟
4. ما هو الهوية الدينية للمسجد في العصور القديمة والحديثة؟
5. كيف يمكن تفسير النصوص المصورة في المواقع الجغرافية والدينية؟

مقصوداً لعبارة أناس من الهند، ويقول الرحالة الشرقيون أنها كانت كذلك بيتاً مقصوداً للصابين، الذين أقاموا في جنوب العراق قبل البلاد بأكثر من عشرة قرون(1).

على أنه منbersome أن بعض المؤرخين العرب إذا زده إلى أن تأسس المدينة المقدسة، إما كان في متصف القرن الخامس الميلادي(2)، ومن ثم فإنه يتأخر بتأخيرها حوالي ثلاثة عشرين قرناً، لسبب لا أدريه، فإن كان يخيل إلى أنه مجرد تاريخ مكة لا بدنا إلا يقصى بن كلاب، الذي حدد له القرن الخامس الميلادي(3)، وطبقاً لرواية الأخباريين التي ذهبت إلى أن مكة لم يكن بها بناء غير الكعبة إلى أن تولى أمه سفيان(4)، ذلك لأن جرهم وخروجة - فيما يزعمون - لم يكونوا يزعمون في إقامة بيوت بحوار بيت الله الحرام(5)، وكأنما يريد هؤلاء الأخباريون أن يقولوا لنا أن مكة ظلت على بذورها، منذ أن أقامها إسماعيل عليه السلام، ففي القرن التاسع عشر ق.م، وحتى أصبح أمه يقبل بقصى بن كلاب في القرن الخامس الميلادي، وتك تقابل - فيما أظن - غير مقولة.

هذا وقد ذهبت آراء أخرى إلى أن تاريخ مكة إما يرجع إلى القرن الأول ق. م، إعتماداً على رواية ديودور الصقلي(6) - الآثيني الذكر - ورغم أن ديودور لم يذكر تاريخ واسع للمعبد، إلا أن أصحاب هذا الإفادة إما رأوا أن وصف ديودور للمعبد بأنه كان محجراً للعرب جميعاً، لا ينطبق إلا على الكعبة المشرفة(7)، ولكن ديودور لم يحدد لنا بدء سنة المدينة المقدسة، فضلاً عن تحديد تاريخ بناء المعبد نفسه، ومن ثم فرصاً اعتماد المؤرخون في تحديدهم للقرن الأول ق. م.

كبداية لسكونية مكة، على أنه العصر الذي عاش بعده ديودور الصقلي.

(1) حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي، ص 46، ص 131، 200/4.
(2) حسن إبراهيم: المرج الساطر، ص 46.
(3) تاريخ المشروبيني 1974.
(4) جواد علي 1425 وفاء
(5) وكذا
(6) وكذا
(7) وكذا

R. Dozy, Die Israeliten zu Mekka, P. 13
E. Gibbon, op. cit., P. 50.
Caussin de Perceval, op. cit., I, P. 174.
وذهب ذوري إلى أن تاريخ مكة إما يرجع إلى أيام داوود عليه السلام، حيث أقام النبي شمعون بن يعقوب، والذين يسبرهم الأخبارون جرهم - الكعبة(1)، في القرن العاشر ق.م (2)، وذلك أكذوبة كبرى لأسباب، منها (أولاً) أن قبيلة شمعون الإسرائيلية لم تهاجر أبداً إلى مكة، وإنما كل ما جاء منها - وطبقاً لرواية التوراة نفسها(3) - أنها هاجرت على أيام حزقيا الأهي ذا (47-87 ق.م) إلى الجنوب العربي من واحة معان، ثم تابعت سيّراً حتى نهاية الجنوب الغربي لسياق، حيث قضوا على بقايا ضعيفة، أو جزء صغيرة للعثمانيين هناك(5)، و(ثانياً) أن قبيلة شمعون هذه كانت أضعف القبائل الإسرائيلية حتى عشية موت سليمان، عليه السلام، في عام 922 ق.م، وانقسام الدولة بعد ذلك مباشرة إلى يهودا وإسرائيل، ويكاد يجمع المؤرخون اليهود أنفسهم على أن قبيلة شمعون إما كانت دائماً وأبداً تعيش على حاشية القبائل الإسرائيلية، وأنها أبداً لم تحتل المكانة التي تجعلها تقوم بدور مستقل في العصر التاريخي الإسرائيلي(6)، فضلاً عن أن تقوم بهجوم ساحق على بلاد العرب وتستولي على مكة.

ومنها (ثالثاً) أن التوراة نفسها تكاد تتجاهل سبي شمعون، دون غيره من أساطير إسرائيل، ربما لضائة شأنه، حتى أنها لا تكاد تتردض للذكر هذا السبب، إلا عند دخول باءسرائيل أرض كنعان(7)، ولا بعد طلب من يهودا(8)، ثم مرة أخرى، عند رحلته من جنوب يهودا إلى واحة معان، في أخبار القرن الثامن وأواخر القرن السابع ق.م، كما أشار فيها كنعان، مما دفع بعض الباحثين إلى أن يذهبوا بعيداً، ف陛下 أن سبي شمعون لم يكن له وجود في عالم الحقيقة (9).

D.S. Margoliouth, op. cit., P. 51.
M. Noth, The History of Israel, P. 23.
C.F. Burney, Israel's Settlement in Canaan, P. 37-58.

1. أنظر عن تاريخ داوود، كتاب إسرائيل ص 418-417.
2. أخبر أيام ثان في 13-1:46.
3. النور ميل: شمال الحجاز ص 99، وكذا.
5. تفسير 3:10.
7. وكسا إسرائيل ولبنان: تاريخ اليهود في بلاد العرب ص 3.
ومنها (رابعا) أن هذا الرأي إما يؤمن بغير حدود بما ذهب إليه بعض المستشرقين من أن الخليل عليه السلام، لم يذهب إلى الحجاز، وبالتالي لم يقم بالدعاية بإسحاق بناء الكعبة، وهو زعم لا يعتمد إلا على التعبير ضد العرب، وعلى معارضة الحفاظ التاريخية، فضلاً عما جاء في القرآن الكريم بشأن هذه الأحداث الثابتة (1)
ومنها (خامسا) أنه يتأخر بتاريخ مكة المكرمة، قرابة قرن تسعة.

ووهناك رواية إخبارية يزعم أصحابها أن العماليق إما كانوا يعيشون في مكة والمدينة وقبية مدن الحجاز، وأنهم قد عانوا في الأرض فساداً، ومن ثم فقد أرسل إليهم موسى عليه السلام، جيشاً قضي عليهم، وسكن اليهود المنطقة بيدلاً عنهم (2).
ولا ريب في أن هذا زعم قد ظهر من أساطير الآمر الذي سوف نناقش بالتفصيل عند الحديث عن المدينة المنورة - وعلى أي حال، فإن موسى إما كان يعيش في القرن الثالث عشر ق.م، وأنه خرج بالإماراتين من مصر حوالي عام 1214 ق.م.
كما حدثنا ذلك في كتابنا إسرائيل (3).

والرآي عندي أن تاريخ مكة إما يرجع إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر قبل الميلاد، وذلك أن نعرف - تاريخياً ودينياً - أن الخليل عليه السلام، قد أتي بولده إسحاق وزوجته هاجر من فلسطين، وأسكنهما هناك في هذه البقعة المباركة (4)
فبدأ صنع القرآن الكريم، حيث يقول، بنيت إسرائيل من ذريتي برواد غير ذي زرع عند بني المحرم بنيا ليقيموا الصلاة فجعل أئمة من الناس (5).

(1) أنظر كتابنا إسرائيل ص 189-183، وكتابنا دراسات في التاريخ القرآني، الفصل الرابع - من الجهد الأول - ص 136/4، الآفاق الثقافية ص 65 وما يبقية.
(2) أنظر كتابنا إسرائيل ص 268-269.
(4) أنظر كتاب التفسير، إلى أن الله سبحانه وتعالى قال، أئمة الناس، ولم يقل أئمة من الناس، لازهم عليهم الأنفس والروح والناس كلهم، وجعل اليهود والنصارى أنجوس، ولكنه قال أئمة من الناس، 297.
إليهم وارزقهم من الشميات لعلهم يشكرون (1)، وإذا ما تذكرنا أن الخليل عليه السلام كان يعيش في الفترة (1945-1767م م) (2)، وأنه قد رزق بولده إسماعيل، وهو في السادسة والعشرين من عمره (3)، فإن إسماعيل يكون قد ولد حوالي عام 1854ق م، ولما كان قد عاش 137 عاماً (4)، فإن يكون قد انتقل إلى خوارج ربنا الكريم، حوالي عام 1717ق م (4)، وإذا كان صحيحًا ما ذهب إليه بعض المؤرخين من أن قَد شارك أبا في بناء الكعبة، وهو في الثلاثين من عمره (5)، تصدقنا لقوله تعالى: (1، إذا يرفع إبراهيم القواعد من البيت وأسماعيل، رأني تقبل منك أن تصنع الليم) (6)، فإن بناء الكعبة حينئذ يكون في حوالي عام 1824ق م، وهذا يعني أن مكة قد عمرت منذ الرابع عشر من القرن التاسع عشرق م، وهو تاريخ يتطلب واحدة من أقدم مدن بلاد العرب الجنوبية والشمالية سواء بسواء.

وعلى أي حال، فقد عاش إسماعيل خوارج بيت الله الحرام، وتزوج من إمرأة

(1) من الناس، فاحفص به المسلمون (بالنظر: تفسير ابن كثير 6/142، تفسير البخاري 533/1)
(2) تفسير القربي 373/9، تفسير النسائي 314/3، تفسير الرخصاوي 196/19، تفسير النجاشي 231/1
(3) تفسير روح الماني 223-235، تفسير الطبري 337-354
(4) سورة إبراهيم: آية 37، وباحث : تفسير روح الماني 317-247، تفسير الطبري 235-255، تفسير ابن كثير 6/142-141، تفسير
ألفية الكافرون 380/2
(5) أظهر كابن إسرائيل 151-177، تكوير 150
(6) تكوين 18: 25، تكوين 18: 25
(7) مرور الألف سورة البقرة 22، وانتظر مقالاً (قصة الطوفان بين الآثار والكتب المقدسة، مجلة كلية اللغة
الربية، المدى الخامس، ص 111-114) (الرياض 1973)
(8) سورة البقرة: آية 39، وانتظر : تفسير الطبري 388/39، تفسير الامام الشافعي 311/1، تفسير
روح الماني 383-383، تفسير البحر المحيط 383-383، تفسير النجاشي 385/1، تفسير الطبري
الدر المنثور في التفسير بالأنثوار 137-168، (ميقات ميقات 377)، تفسير الطبري ؛ 129-129، (دار
المشروع، بيروت) 1972.

- 298 -
مصرية على رواية التوراة(1) ومن ميناء على رواية الإخباريين(2) وقد أُبحر من زوجته المصرية أو اليمنية، ليست أدرى على وجه التاكيد، أولاده الأشيء عشر، وهم، طبقاً لرواية التوراة(3) زى بابوت وقيدار وأدبي وسماح ومسمى ودومن ورسور وشام وشام وشام وفياء وقتمه، وقد نقلهم الأخباريون في كتبهم بعضهم قبل أو كثير من التحريف(4).

وأيما ما كان الأمر، فإن اسماعيل قد ظل، بعد إبراهيم، يدعو الناس إلى عبادة الله في مكة ومجاوراتها، حتى إذا ما نقل إلى جوار ربي الكريم، قام بنوه من بعده على السلطة الزمنية في مكة، وعلى خديمة البيت الحرام، غير أن جبرهم، طبقاً لرواية الإخباريين، سرعان ما تولى أمر البيت، وأبناء اسماعيل مع أخوالهم لا يرون أن يتابعهم الأمر، خروجهم وقرابتهم، وإعظامًا للحرمة أن يكون بها بني أو غالب، إلى أن قدمت بقائل "الأزد" مهجره من اليمن، في فترة لا تستطيع تحديدها على وجه اليقين، وتزاعت واحدة من هذه القبائل (خزاعة) جرهم أمر البيت، حتى استولت عليه وطردت جرهم من مكة، ولم يلبث أبناء اسماعيل أن انتشرتا في أنحاء شبه الجزيرة العربية، وخاصة في شاهها، وليست أسماء القبائل التي تنسب إلى اسماعيل، إلا أسماء أبنائه أو أحفادهم(5).

وتاريخ بني اسماعيل من هذه الفترة، وحتى عند قصي، غامض عمومًا، شديدًا، ولا يعرف حتى المؤرخون العرب كيف يتناولون فراغ هذه القرون المطلوبة،

(1) تكوين 21:1.
(2) ابن كثير: 1313-1341 ، تاريخ الطبري، س114-196-196، ابن الأثير: 4/1، مرجع الذهب، مراقبة bi، المدارس، ص 14.
(3) تكوين 26:12-14.
(4) ابن كثير: 1215/1، تاريخ الطبري، 1314/1، مرجع الذهب 27/1، 22-23، تاريخ ابن خليفة 8/1، الأخبار الطوال، ج 21، جمهورية أثرب، الجماعة 17-18، شهاب الدين: 6/1، ص: 22-24، الأخبار الطوال، ص: 126-134، أحمد إبراهيم الشريف، مكة والمدينة في الحافية، ومصر، المجلة فارغة 101، برلمان: 123، إبراهيم الشريف 105/1.
ولا تبرغ شمسهم - مشبحة بالغيوم - فوق أفق التاريخ الحقيقي ، إلا من عهد قصي في منتصف القرن الخامس الميلادي ، على أن هذا لا يعني أن نذكر - طبقة لرؤيات الإخوة - أنهم هم الذين قاموا على الحكومة والбит في مكة ، ثم تلهم الجرارة ، فالخزاعيون ، ثم ردد إلىهم بضاعتهم من جديد ، على أيام قصي بن كلاب (1) .

(2) مكة في عصر قصي :

هليل أهم ما يميز ذلك العصر ، أنه العصر الذي تبدأ به السياحة الشرعية على مكة ، بقيادة رجلها العظيم قصي بن كلاب ـ اجند الرابع للمصطفى صلوات الله عليه ـ الذي جمع أمر مكة في يديه ، ومن ورائه لأبناءه من بعد ، بعد أن أثار الخزاعيون عنها في حوالي منتصف القرن الخامس الميلادي ، مما اضطرهم إلى الرحيل عن مكة ، والزول في بن طر ( وادي فاطمة ) ، وهكذا أصبح قصي رئيسًا للحكومة الملكية وزعمًا لديهمها ، ومن ثم فقد اجتمعت له السقاية والحدیبة والرفاوة واللواح ودار الندوة ، وهي أمر لم تجتمع لرجل من قبله (3) .

ويجتمع المؤرخون على أن نقصيا هذا من ولد إسماعيل ، فهو قصي (4) بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ابن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مصر بن نزار بن معبد بن عدنان بن أدد ، وإن

(1) ميريل دافيد ، الرجوع السابق ص 133 ، تاريخ الطبري 288/2 ، الماركيت ص 321 ، إين سد 417/1 ، ابن خلدون 322/332-353 ، شفاء الباري 51/4-52/0 ، المعجمي 222/1.

(2) الأزكي 222/0-2 ، الأزكي 222/1-2 ، أحمد إبراهيم : الرجوع السابق ص 133 ، ميريل دافيد ، الرجوع السابق ص 133.

(3) تذهب المراجع العربية إلى أن نقصيا إن كانت على أيام المنذر بن النعيم بن خليفة القبلة ( 301-427 ع ) ( جوابي الباري 186/0-187/6 ) ، بلغت الأدب 247/1 ، وربما ، وبذلك في كتاب ( حياة محمد ) ، Enay, of Islam, 4, P. 174.

The Life of Mohammed, Edinburgh, 1923 .

أهله ولد في حوالي عام 600 م ، وولد محمد بن أبي بكر في حوالي عام 620 م ، ولم يولد في حوالي عام 644 م ، ثم ولد عبد الله في حوالي عام 645 م ، أما وفاته فولد النبي صلى الله عليه وسلم نفاحا عام 651 م .

- 400 -
كانوا يختلطن في أسماء الفترة حتى إسماعيل، ولعل أرجع سلسلة الأنساب في التي تقول أن عبدان هو ابن أبيب بن زيد بن ثرى بن أعراب الرى، وأما ثرى فهو ثرى أو ثرا، وأما أعراب الرى فهو إسماعيل بن إبراهيم الخليل، عليه السلام (1) وإلى هذا يشير الحديث الشريف: "اختار الله من ولد إسماعيل كنانة، واختار قريشاً من كنانة، واختار نبي هاشم من قريش، واختار من بني هاشم، فأنى خيار من خيار (2)

ويروي الأخباريون أن فاطمة بنت سعد قد تزوجت بعد وفاة كلاب، برجل من بني عذرة، فحملها معه إلى موالان قبيله على مشارف النافل، فأتخذت منها ولدها زيد، والذي لقب بقبة لعدم دار أبيه، ولم تلبس قميص الرجل، وعرف حقيقة نسبه، وأنه قروشي، وليس عذرة، عاد إلى مكة، ثم تزوج من بنته حلي زراعة، غير أن الرجل لم يثبت إلا قليلاً حتى هلك، وهنا يعان قميص حقي في ولاية البيت الحرام- إرثاً من جدته إسماعيل، فتقوم الحرب بين زراعة وحلفائها من جانب، وبين قميص وإنصاره من كنانة وإخوته من بني عذرة من جانب آخر، ويكتب في نهاية القصص، بعيد المدى في هزيمة زراعة ومن والاها من بكر، وفي أن يجلسها على المدينة المقدسة، وفي أن يصبح سيد مكة دون متاع (3)

(1) تاريخ الطبري 2/36-375-376، ابن الأثير 2/36-37، البخاري 2/36-37، التهذيب 2/36-37
(2) تهذيب ابن الأثير 2/36-37، البخاري 2/36-37، النافل 2/36-37
(3) تاريخ الطبري 2/36-37، البخاري 2/36-37، النافل 2/36-37

- 401 -
وتفقه البعض المراجع إلى أن القصير إذا قد أعان قصياً على خزاعة (1)، فإن كان
ذلك كذلك، فإنما كان الضاسة هي وسيلة قصير إلى ذلك، وربما كانت قبيلة
عذرة - التي تربى فيها قصية - هي التي قامت بهذا الدور، خاصة وأنها من القبائل
المنتشرة التي كانت تعيش على مقررة من التصرف الروماني في الشام، والذي ربما
كان يندم إليها كذلك، وهنا فعال أقرب القروض إلى الصواب، أن تكون المساعدة
الرومية لقصية عن طريق واحد من حكام الولايات الجندوية، ولعلها، بنظر
في شكل مساعدة مالية، أو بإبعاد القبائل الحربية حول الحدود الفلسطينية،
مساعدة قصية (2)، وإذا كان صحيحًا ما ذهب إليه المراجع العربي، من أن أخوة
قصية من عذرة قد ساعدوا في القضاء على خزاعة (3)، كما أشارنا من قبل، فإن
قبلة عذرة هي التي قامت بهذا الدور.
وإدما ما كان الأمر، فقد نصح قصية في القضاء على نفوذ خزاعة ومن والدها من
بكر، وفي أن يغليهم عن مكة، وفي أن يصبح هو سيد المدينة القديمة، وصاحب
ولاية البيت الحرام، وأن يفرض نفوذه على بطن كائنة التي كانت تلبس مناسك
الحج، وأن ينزل قريشاً مكة، وكان بضعة من بطولها مقيمين في السهوب ورؤوس
الجبال، ثم يقسمها أربعة بينهم، ومن ثم فقد سمى "مجماً"، وهمذا تزعم قصية
قومه ملكوه عليهم، فكان أول ولد كعب بن لؤي أصاب ملكاً واطع له بقومه،
وأتى إليه الحجابة والسقية والردفة والندوة واللواء، فخاز شرف قريش كله (4).

(1) أنظر: المراجع ص 313، وكذا
H. Lammenes, la Mecque a la Veille de l’Hegire, P. 289.
(2) جواب على ج 394، وكذا
(3) إن الآية 19/2، إن كتب 200/2، تاريخ الطبري 257-258/2، تاريخ ابن خلدون
238/3، تاريخ البغوي 238/1، سنة 105/1، الأزرى 238/4.
(4) إن كتب 200-209-210، تاريخ البغوي 227-228/1، تاريخ الطبري 254-255/2،
تاريخ ابن خلدون 334/3، مرجع الدهم 333/1، الأزرى 105/1، صبح
الأهلي 309-310، بداية الأرب للقلمشتي 399-400، بداية الأرب للتميز
286، أذان الأشراط 173/2، الطبيعة 402-403.
ولعل هذه الأحداث هي التي كانت سبباً في أن يذهب بعض المستشرقين الذين اعتادوا الشك في كل رواية عربية أو إسلامية إلى أن قضية إما هو شخصية خيالية، إبتدأها خيال الإسلاميين على زعم، وشخصية خيالية جاءت من الشمال من السهوب المحيدة بصورة على زعم آخر، وبلغ الخيال أشدته يؤولؤ المؤرخين الأوروبيين حين يزعمون أن قريباً نفسي - تلك القبالة التي نجحت في أن تحكم مكة وأن تنقلها من مرحلة البداية إلى كنامة شبه الجزيرة العربية، وأن تنشئ لنفسها من التنظيم السياسي والاقتصادي والديني ما يكفي لها هذا القدوم، وما يدل على معرفة كبيرة بشؤون الحكم والاستقرار - لا يمكن أن تكون من هذه القبائل المبدعة في تهامة والحجاز، ومن ثم فلا بد أن تكون - فيما يزعمون - قد قدمت من الشمال، أو من ودان العراق، وربما كانت من قبائل الأنبار الذين قضوا الرومان على دولتهم في أوائل القرن الثاني الميلادي ، وخاصة وأن قريباً قد بُرعت في التجارة التي يبرع الأنباط فيها من قبل، كما أن لها التي سادت بلاد العرب، إما هي لغة شمالية أكثر منها جنوبية (1).

ولازرب في أن هذا الزعم قد جابه الصواب إلى حد كبير، وذلك لأسباب منها (أولاً) أن قضية إما هو شخصية حقيقية قد عاشت في فترة لا تعد كثيراً عن الإسلام، ومن ثم فلا يمكن القول أن الخيالي قد اختلف بالتأريخ فيما يدور حولها من أحداث، ومنها (ثانياً) أن القريبين أنفسهم قد سبقواؤلاء المشككون من المستشرقين إلى القول، بأنهم إما يربطون بالأنباط بصلات قريبي حتى أن ابن عباس قد أعلن منذ ما يقرب من أربعة عشر قرنًا -نحن معاشر قريش من النبط - فضلاً عن أن لغة الحجاز لم تتطور من اليمنية مباشرة، وإذنا جاء التطور.

---

من العربية القديمة إلى الآشورية إلى الآرامية إلى النبطية إلى الفارسية(1)، ومن ثم فإن القرابة بين الأنابط والترشينين أمر معروف، وما أُتي المستشرقون بذلك فيها - الأمر الذي يشير إليه عند الحديث عن الأنابط - ومنها(2)

أن هناك في المراجع العربية ما يشير إلى أن قريباً عندما طردت خزاعة من مكة، فإن بعضًا من رجال خزاعة قد وهب مسكة، ومنهم من باعه، ومنهم من أسره، مما يدل على أن مكة إنها كانت عشية تسلم قضى زمام السلطة فيها مأهولة بسكانها من الخزاعيين، فما فعل قصي إلا أن أهل قريباً مكان خزاعة بعده أن كان بعض منها يسكن الشعاب ورؤوس الجبال - كأنه من قبل - ويؤيد هذه الحقيقة أن القرآن الكريم إنما يسمي مكة "أم القرى"، حيث يقول سبحانه: "وقد أوجينا إلك قراءةً عربيًا لتنذر أم القرى ومن حولها"(3)، وتعالى: "وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمه رسولاً"(4)، ويدعي أن ذلك إنما يعني أن مكة كانت عاصمة المنطقة وقت ذلك، وأن أهل المنطقة إنما كانوا يعرفون هذه التسمية التي أطلقها القرآن الكريم على مكة، كأنها مكة هذه


The Universal Jewish Encyclopaedia, I, P. 198.

وكذاب M. Sprenling, The Alphabet, its Rise and Development from the Sina

Inscriptions. P. 52

(1) مصورة الشرقية : آية 7، ونظر: تفسير النسفي 49/100، تفسير أبي سعيد 29/3، الكشاف 395/3، تفسير البخاري 25/20، تفسير الطبري 25/4، تفسير القرطبي 19/16، تفسير الطبري 29/38، تفسير روح العالى 14/3، تفسير ابن كثير 189/9.

(2) مصورة الشرقية : آية 9، ونظر: تفسير البخاري 195/2، تفسير الطبري 99–106، تفسير روح العالى 98/20، تفسير الطبري 99–106، تفسير ابن كثير 3/99، تفسير ابن كثير 3/792 (دار إحياء التراث العربي) تفسير القرطبي 13/23، تفسير ابن كثير 3/792

لن توجد بين عشية وضحاها، أو أن العمران يتسرف فيها إلى أن تصبح عاصمة للحجاز، فيما بين عهد فاتي والبعثة النيبية الشريفة، وهي فترة لا تزيد كثيرًا عن قرن ونصف قرن من الزمان.

ومعها (رابعة) أن مكة إذا تقع على طريق الترابين بين جنوب بلاد العرب وشماليها، فضلاً عن أنها قريبة من البحر الأحمر، ومن ثم فمن غير المقبول أن ن tasarح مكة، ولها مثل هذا الموقع الجغرافي الممتاز، دون أن تنشى بالعالم الخارجي، وتأخذ عنه بأسباب الخطارة، وقد فتحت مكة ذلك منذ أيام خزيمة على الأقل على أن ما أفرته مكة في عهد قصي من نوع الحكم، إذا هو في جوهره تنظيم قبلي موجود في تشكيلة القبائل العربية.

وأخيراً منها (خامسا) فإن هناك من آثار قصي، وأعني به دار اللندوة، وما بقي حتى أيام الأمويين والعباسيين من بعدهم، وعالمه على التاريخ أن معاوية بن أبي سفيان (416ـ 661م - 805م) قام أخيرًا دار الندوة من صاحبها مئة ألف درهم، وجعلها دارًا للإمارة في مكة، وأن الخليفة العباسي المعتضد بالله قد أمر بدمها وإدخالها في المسجد الحرام.

وأيما ما كان الأمر، فإن قصباً إذا هو أول رئيس من رؤساء مكة يكتنا الحديث عنه، دون أن يخالنا ريب فيما نقول، فالرجل قد خذل ذكره في التاريخ بأعماله العظمية في مكة، رغم ريب المرتابين، والرجل قد أوجد من المنظوم في تنظيم الحج إلى بيت الله الحرام، ما بقي بعدة مئات السنين، والرجل هو الذي جعل البلاد الحرام خالصاً لأهلها من بني كنانة من ولد إسماعيل، عليه السلام، بعد أن أبدع عنه المختصين من خزاعة.

(1) أحمد إبراهيم الشريف، مكة والمدينة في الهجرية، وعصر الرسول ص 107-110.

(2) حسين هلال، حياة محمد ص 110 (القاهرة 1971).

(3) ابن الأثير ص 217، ابن كثير 2707، السهلي ص 68/8، العبادي ص 13.

العصر العربي - ص 12.
وقد قام قصي بعدة إصلاحات في مكة، فيعبن أن جمع القرشيين المعترفين في
نواحي متعددة إلى وادي مكة، جعل لكل بن بناء خاصاً عليه مجموعة من الكعبة،
حتى تكون منازل الفقراء بجوار البيت الحرام، فيعتدونه بالصيانة ويدفعون عنه
المظهر، ومن ثم فإنه لم يترك بين الكعبة والبيوت التي بناها بطن قريش، إلا بمقدار
ما يسمح للناس بالطوف، وإن كان أهم أعماله إما هو إنشاءه "دار الندوة"،
الذي كان يدار فيها تحت رياسته، كل أمر قريش، وما أرادوه من حرب
أو تجارة أو مشورة أو تكاثر، فما كان رجل ولا فارقة إلا تزوج إلا فيها،
وما كان لجتا من قريش أن تدرع إلا فيها، ومن ثم فقد كان صاحب الدار أن
يشف درعها بيده، وكان القوم يفعلون ذلك ببناءه إذا بلغت الحلم، وربما كان
الغرض من ذلك التعريف بالأزعميين من قريش - ذكرنا أنها أم إناها - وأما أعضاء
دار الندوة هذه، فكانوا جميع ولد قصي، وبعضهم من غيرهم، على شرطة أن يكون
الواحد منهم قد بلغ الأربعين من عمره، أو كان من ذوى القدرات الخاصة (1)
وهكذا كانت دار الندوة بمثابة دار مشورة ودار حكومة في آن واحد، يديرها الملا
من القوم - الذي كانوا يشهدون إلى حد ما أعضاء مجلس الشيوخ الآتيين (2)
- ويتكونون من رؤساء العشائر وأصحاب الرأي والحكمة فيهم، للنظر فيما يعترض
القوم من صعاب (3).

وكان قصي شديد العناية بعمارة البيت الحرام، الذي يزعم البعض أنه أعاد
بنائه، ومن ثم فهو أول من جدد بناء الكعبة من قريش، ثم سقفتها بخشب الدوم

(1) عهد الدولة الإمبراطورية الإسلامية، ص 384/1488، 1491/1972.
(3) De Lacy O'Leary, op. cit., P. 183.
ورعي لنفسه، كما كان أول من أظهر الحجر الأسود بعد أن دفعها في جبال مكة، ثم أوكمل أمره من بعده إلى جماعة من قريش. حتى أعاد القوم بناء الكعبة في عام 202 م (30 هـ)، فوضعوه في ركن البيت لإتباع باب الكعبة في آخر الركن الشرقي، وبحثا التاريخ أن القوم كانوا يقتلون على مظلم شرف إعادة الحجر الأسود إلى مكانه، لولا حكمة سيد الأولين والآخرين - محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك بأن وضع الحجر في ثوب، ثم أمر بأن تأخذه كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم رفعه جميعها، فلما بلغوا موضعه، وضعوه بSIDE الشرفاء، ثم بني عليه (1).

ولعل من أهم أعمال قصى أنه جعل وظيفة "سدادة الكعبة" - وهي خدمة البيت، الحرام - من أهم الوظائف في عهده، والأمر كذلك بالنسبة إلى وظيفة "السقاية"، بخصوص في بلد شهد فيه في وقت كان يستقبل فيه أكثر مما يطغى على الحجاج، وممن فقد كان على صاحب السقاية، ومستقل عليه كثيرا، وممن يذهبه الأخباريون إلى أن قضى قد حفر بئرًا سماها "السقاية"، وكانت "الرفادة" - وهي خدمة تزدهف فرش من أمولا إلى قصى ليصلي منه طعاماً للحجاج من إنهم، لم يكونوا على مبيزة، ومن الوظائف المهمة التي ظهرت في مكة على أيام قصى - وتروى المصادر العربية أن قضى قال قلبه، إنما جبران الله وأحل مأهله وأهل الحرم، وأن الحاج ضيف الله وزوار بيت، وهم أحق الضيف بالكرامة، فأجابوا لهم طعاماً وشرباً أيام الحج حتى يصدروا عناكم. فجعلوا كانوا يخرجون من أمورهم فيما بينهم، فجرى الأمر على ذلك في الجاهلية والإسلام، وأخبرنا كان من أعمال قصى "اللواء" - وهو رياضة.

الجيش في الحروب — ويندمن أن يعده اللواء، يسلمونه إليه عند قيام الحرب (1)،
وتجمع المصادر الإسلامية على أن مراهانا وسيدة رسول الله — صلوات الله وسلامه
عليه — قد ألغى هذه المناصب جميعًا يوم فتح مكة، إلا مقاطعة الحاج وسداة الكعبة (2).
ويعتبر المؤرخون على أن قصبة إما ظل يملك هذه الوظائف جميعًا حتى وفاته.
كما ظل كذلك الرجل الوقور المتمسق في قومه، لا يخالف، ولا يرد عليه شيء أفره، ولعله في جمعه لزيارة دار الدوحة وعهد اللواء وجمهوره الرافدة، يقبل في
الصلاحيات الحديثة، رئاسة السلطات التشريعية والحرية والمالية — إن جاز هذا
التعبير (3).
ولعل هذا هو الذي دفع (الأب هنري لامانس) إلى القول: لأن مكة إنما كانت
جمهورية بالمعنى الكامل للجمهورية، وقد يكون لشخصية (قصية) النذرة تأثير في
ذلك، إلا أن تنظيمات قريش لم تكن في واقع الأمر، إلا تنظيمًا قليلاً في جزيرة,
وإن بدلًا فظاهه تنظيمًا جمهورياً، لأن الزعيم لم يكن يحمل لقبًا معيّناً، فضلاً عن
أن هناك من الأدلة ما يشير إلى أن العشيَّرة إنما كانت تتمتع بحرية كاملة، ولا تتخضع
لسلطان غيرها في كثير من الأحيان، بل إن كثيرًا من الأفراد إنما كانوا يخرجون
على رأي العشيَّرة نفسها، ومن النوع الأول عدم مشاركة بني زهرة لفريش في
موقعة بدر، رغم مشاركتها في القتال وكفاحها إليه، بل إنهم على مدى لم يخرجوا
لقتال أصولًا، ومن النوع الثاني خروج أبي هب على رأي بني هاشم، وأنضمهم
إلى بقية بطن قريش في مقاطعتها لبني هاشم، وبقاء العباس على علاقاته الدينية بطن
قريش، رغم تضامنه مع بني هاشم، هذا إلى جانب أن العشيَّرة إنما كانت تخرج

(1) ابن الأثير 2/234-235، الطبري 2/398، ابن مماتي 1/134-135، ياقوت 6/186،
ابن سعد 6/2، الباجي 1/7، ابن حشنون 2/225، البيروي 1/246، الأزري
122، 162.
(2) المعجم الفريد 3/315، ابن كثير 4/211، تاريخ مكة 1/3، الطبري 3/106،
المقدسي 3/127-128، الأزري 1/111، دار القلم 1/114-115، شفاء الغزام 2/120.
(3) محمد مبروك، المرجع السابق ص 139.
- 408 -
أحياناً على رأي مجلس القبيلة، ومثال ذلك اجتماع بني هاشم والطلب على حمایة
المصطفى - صلى الله عليه وسلم - ومواجله قريش.

ويرى الدكتور طه حسین - يرحمه الله - أن من العسير أن تحدد ليلة نُظاماً
من نظم الحكم الذي يعرفها الناس، فلم يكن لها ملك، ولم تكون جمهورية أرستقراطية
بالمعنى المألوف لهذه العبارة، ولم تكون جمهورية ديمقراطية بالمعنى المألوف لهذه العبارة
بكل عام، ولم يكن لها طاغية يدير أمورها على رغبته، وإنما كانت قبيلة عربية احتفظت
بكثر من خصائص القبائل البادية، فهي متعددة إلى أحياء وبطول وفصائل، والتنافس
بين هذه جميعاً قد ينعقد حديثاً ويلين حديثاً آخر، ولكن لا يصل إلى الخصومات الدامية.
كما هو الحال في البادية، وأمور الحكم، تجري كما تجري في البادية.; وكل ما وصلت
إليه قريش من التطور في شؤون الحكم هو أنها لم يكن لها سيد أو شيخ يرجع إليه
فما يشكل الأمر، وإنما كان لها سادة أو شيوخ يتلمذ من مجلس في المسجد الحرام
أو في دار الندوة.

وعلل من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن قريش هذه - كما يجمع المؤرخون
الإسلاميون - إنها هي من نسل رجل واحد، هو : فهر بن مالك بن النضر بن
كنانة، ومن ولد إسماعيل عليه السلام، وأن اسم قريش لم يعرف إلا منذ أيام : فهر بن
ومن ثم : فهر بن فهر، ومن تحدرا من صلة من مكان مكة وظهرها.

وأما أقدم ذكر لقرش في المصادر العربية الجنوبية القديمة، فربما كان - كما
أشار من قبل - يرجع إلى أيام الملك الحضرمي : العزيز، والذي حكم في القرن

 أحمد إبراهيم الشريف، المرجع السابق ص 113-114، إبن هشام 315، ابن الأثير 2
88، إبن كثير 311، ابن كثير 387، 88، H. Lammens، La Republique Marchand de la Mecque
276، 276، 276، 276، وكذا

طل حسين: مرآة الإسلام ص 22.

الإبلازي 1/19، نور الأضار في مئات آل بيت النبي المختار ص 9، إبن سعد 55، نهاية
الأدب ص 324 (بنداد 1958)، إبن هشام 106/31، المدارس 31، شهد القلم 32/26
6، نسب قريش للزمرى ص 12، إبن حزم: جمهورية أثاث العرب ص 12، تاريخ
ابن خليلون 234، 234، 234، قال الأشتقاق ص 27/1.

- 4009 -
الأول قبل الميلاد على رأي، وفي القرن الثالث الميلادي على رأي آخر (1)، فهناك ما يشير إلى أن عشر نساء فتريات رافقت الملك العزيز إلى حصن أنور، فإذا كان النص يعني حقاً بقريش، فقريش صاحبة مكة، فإننا نكون قد وقفتا لأول مرة على إسم قريش في وثيقة مدونة من عصر هذا الملك (2).

وأيا ما كان الأمر، فقد أنجب قصى ثلاثة أبناء - عبد الدار وعبد مناف وعبد العزيز. ورغم أن عبد الدار كان أكبر أخوته، إلا أن عبد مناف كان أكثر شهرة، وأرفع شأنًا، وأعظم مهابة، ومن ثم فقد رأى قصي أن يعرض عبد الدار عما فقده من مقومات الرعاية، فأمسد إليه كثيرًا من الوظائف لي감ض شخصية أخيه القوية، وتحمي الأيام ويرث الأخناء الآباء، وينظم الزعيم بينهم، حتى ينتهي آخر الأمر، بأن يتولى عبد مناف السقاية والرفردة، وأن تكون الحجابة (مفاتيح الكعبة) واللواء وريادة دار الدوحة لبني عبد الدار (3).

ويتولى هاشم السقاية والرفردة بعد أبيه عبد مناف، ويروي المؤرخون أنه كان غيثًا قوة في عام المجاعة، فرحل إلى فلسطين حيث أشترى كيات من الدقيق، وقدم بها إلى مكة، وبدأ طعامه لكل نازل بالبلد المقدس أو وارد عليه، وسمي بالهاشم من ذلك اليوم لشمه البديد ودعته الجماهير إلى قضاءه، بلداً من إسمه الأصلي عمرو، ومنه يروى عنه كذلك أنه أول من سن الرحلتين لقريش، ورحلة الشتاء.

H. Von Wissmann and M. Hofner, op. cit., P. 114.

BASOR, 119, P. 14.

Le Museon, 1964, 3-4, P. 484.

(1) حداث نصين: المرجع السابق ص 274-275 ، وكذا

(2) إيلان الأثير 221/2 ، تاريخ الطبري 255/2 ، 231-236، تاريخ ابن خليفة 3/37، تاريخ البغدادي 1/241، تاريخ الكعبة المشرفة ص 284 ، إن سد 41/42 ، المحرر ص 136، المعاوين من 264 ، أنساب الأشراف 86/1 ، المفاتيح 148/1 ، شمس النور 2/40، الط变换 76-77، نسب قريش ص 14 ، ياقوت 87/5 ، جمهور أنساب العرب ص 14 ، نهاية الأرب 488/1 ، الأزري 1/100-111.
والصيف، وحقيقة ذلك فيما يخلص لنا من سوابق الرحلات أنه كان يحمي تلك الرحلات وينظمهما، فنسب إليه أنه أول من منها(1).

هذا بالإضافة إلى أن الرجل العظيم قد عقد بنفسه مع الإمبراطورية الرومانية، ومع أمير غسان، معايدة حسن جوار وموعدة، وحصل من الإمبراطور الروماني على الأذن لقريش بأن تجرب الشام في أمن وطمأنينة، كما عقد نوفرة، والطلب حالاً مع فارس، ومعاهدة تجارية مع الخميريين في اليمن(2).

ويذهب الأخبارون إلى أن هاشماً وعبد شمس توراماً، وأن أحدهما ولد قبل الآخر وأصبح له متصلة بجبيحة صاحبه، ففتحي فسال الدم، فخيل بكون بنهما في، ومن ثم فإنهم يرون أن أمية بن عبد شمس قد حسب هاشماً على رياسته وإطامه، فتكفل أن يصنع مثله، ولكنه قد عجز، ومن ثم فقد شمت به ناس من قريش، وتناهى الأمر بجلاء أمية عن مكة عشر سنين، فكان ذلك أول خلاف بين بني هاشم وبني أمية(3).

وفي الواقع، وكما يقول الأساطير العقاد – فقد كان بنو هاشم أصحاب عقيدة وأرياحية ووسامة، وكان بنو أمية أصحاب عمل وحيلة ومظهر مشتهر، ويتعدد


(2) تاريُخ الطبري 252-253/667-668، تفسير الالف وفي 180/316، تأريُخ الطبري 252-253/667-668.

الجمع - أو ما يشبه الاجتماع - على أخبار الجاهلية التي تنتمي هذه الخصائص في الأسرتين، وتبني الكثير منها إلى ما بعد قيام الدولة الأمومية فلم يفتدوه.

وورث عبد المطلب زعامة أبيه هاشم، فأصبح سيد قريش، وإن لم يكن أنشأها، ولهذا توالي السقاية والرفاية بعد عمه المطلب، فأقامها الناس، وأقام لقومه ما كان آباؤه يقيمون قبل لقومهم من أمرهم، وشرف في قومه شرفًا لم يبلغه أحد من آبائه، وأجهز قومه، وعظم خطره فيهم، وفي الواقع فإن عبد المطلب لم يكن عظيمًا عند قريش فحسب، وإنما كان عظيمًا كذلك في جميع أنحاء شبه الجزيرة العربية.

ومن ثم فإن المؤرخين يرون أنه قد ذهب إلى اليمن مهنيًا بالملك، عندما تولى "مجد يكرب" (صيف بن ذي زين) عرش اليمن، بعد أن - نجح بممساعدة الفرس - في طرد الأحباش من اليمن (1)، مما يدل على أن الرجل كان ذو مكانتة عند ملوك العرب، تعطيه الحق في الإتصال بهم، ثم تبنته بروحهم، كما يدل في الوقت نفسه على مكانته عند قريش، حتى أنه كان رئيسًا لوفدها في هذه المهمات العظيمة، والتي ربما كان من نتائجها أن يأخذ إياها لقومه من ملك اليمن، ومن ثم فقد أصبحت قريش تنظم عيراً إلى اليمن في كل عام (2).

هذا وتذهب المصادر العربية إلى أن عبد المطلب قد لقي الكثير من المناعب في توفير الماء للحجيج عندما تولى أمر السقاية والرفاية، وذلك بسبب تزامن ربيه منذ أيام جرهم، وزاد الأمر صعوبة أن مكة كانت آنذاك تمر بفترة فاسة تمر فيها الأمطار، ووجفت مياه الآبار - أو كادت - في وقت كان موسم الحج قد بدأ طلائعه، وهنا رأى عبد المطلب - فيما يرى التائلم - أنه يؤثر بحفر طيبة.

المقدمة: مطلع النور س 118.
(1) مروج الذهب 2/ 126-95، ابن الأثير 2/ 226-9، تاريخ الحديبية 272-6، تاريخ ابن خزيمة 2/ 64، ابن كثير 2/ 328-149، الأزري 149/1-2.
(2) ابن هشام 1/ 151، تاريخ الطبري 151/2.
(3) ذيل الأحمل س 199، جمال علي 77-78-79-80-81.
وعين يسأل عنها لا يلتقي جوياً، غير أن الرواية تذكر أيام ثلاثة، يئمر فيها عبد المطلب بحفر "بركة" ممّا ضمتنيا، ثم "زمزم"، وعين يسأل عبد المطلب عن "زمزم" يجيب الهاتف، تتراش من أبيك الأعظم، لا تنزف أبدا ولا تذم، سقي الحجيج الأخعم، وهي بين الفرة والدم، عند نقرة الغراب الأعمى عند قرية النمل، وينتجع عبد المطلب في حفر "زمزم" غير أن قريبا تجساما ما تطلب يجلبها في زمزم، على أساس أنها بثر أبيهم إسحاق، وإن انتهت الأمور إلى جانب عبد المطلب.

وعلى أي حال، فقد تكمل عبد المطلب – جد النبي صلى الله عليه وسلم، باريخه لا تستطيع أن نسميه إلا بالطلبية، أربعة فريدة في نوعها، لا تدل إلا عليه ولا تصدر إلا منه، وكانت كلها مزجها من الألفية والكريم، والرصاقة والإستقلال، ومواجهة الغيب على ثقة وصبر وأناقة، وهناك طائفة من أخبره لا تتفقد في واحدة منها تلك المناصب الطبية التي تعرّف على خيال المتخيل، ما لم يكن وراءها أصل تحقية، وترجع إليه فعلى سبيل المثال، يروي المؤرخون في حداث فداء ولدته عبد الله، أن القضاة بعد أن خرجت على الإيثاء – التي بلغ عددها مائة رواية، وثلاثمائة رواية أخرى، إذا عبد المطلب أُمر بذبحها، وحين نحل تترك في الفضاء لا يمنع من لم حماة أناس و확 ولا طير، إلا أن يكون ذلك عبد المطلب وولدته.

(1) ابن الأثير 2/14-15، ابن كثير 2/248-249، تاريخ الطبري 2/248، من السعد 2/248، المتنبي 1/389-
1/390، الرازي 1/68، سيرة النبي ناب هشام 1/413، تاريخ البخشي 2/242، تاريخ الطبري 2/248، ابن كثير 2/248، تاريخ الطبري 2/248.

(2) العقد: منشور الأثر 1/150، وأنظر، شرح نهج البناء 1/150، المتنبي 1/389، الرازي 1/68، تاريخ الطبري 2/248
وأينما يشير إلى أن المنافرات بين البيتين - الهاشمي والأموي - قد أستمرت وذلك أمر لا غرابة فيه، فالبيتان - فيما نظن - على طرف نقيض، وربما خني السبب الذي يرجع إليه هذا الفارق بين الاثنين، فقد يرى بعضهم أنه يرجع إلى النسب الدخول، وقد رُمي الأمورين الأوائل بشبهات كثيرة في عهد النسب، وعرض لهم بذلك أئمة من ذوي قربهم في صدر الإسلام، وأشهر ما أشتهى من هذه الشهات قصة ذكوان الذي يقولون أنه من آبائهم، وقول النسابون أنه عبد مستحق على غير سنة العرب في الجاهلية، وعلى أي حال، وأياً ما كان من هذه الفارق البيتين، فقد كان بنو هاشم - أسرة النبي صلى الله عليه وسلم - أصحاب رئاسة، وكانت لهم أخلاصة رئاسة، عرفوا بالبنين والكرم والهمة والرفاه والعفة، وبرزت كل خليقة من هذه الخلق في حادثة مأثرة مذكورة، فلم تكن خلافتهم هذه من مناقب الأماديج التي يعبر بها الشعراء، أو من الكلمات التي ترسل إرسالاً على الأسماء ولا يراد بها معناها.

وبيلغ هذا التنافر بين الاثنين شأواهاً بعيداً، فيما بين عبد المطلب وحارب بن أمية، إذ كان كلاهما متمارضاً في بابه، ويروي المؤرخون أن حرباً نافر عبد المطلب إلى نفيه عند عمر بن الخطاب - وإن رأى البعض أن المنافرة إذا كانت مع هاشم - وأن نفيتي قد قضى فيها لعبد المطلب، وأنه خاطب حرباً قائلًا: "أنا أنا رجلات هو أطول منك قامة، وأعظم منك هامة، وأ lcm منك وسام، وأقل منك لامة، وأكثر منك ولداً، وأجزل منك صفاً، وأطول منك مدوداً (1)."

أما في الإسلام، فقد كان بنو أمية حجر خرزة في سبيل الدعوة الإسلامية وناصبوها العداء الشديد، إلا قليلاً منهم من هداهم الله الإسلام، وبعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة، واشتبك المسلمون مع مشركي قريش، كان عتبة بن زرعة بن عبد شمس قائد الجيش في غزوة بدر، وكان

---

(1) المعاد: مطلع الفصول (القاهرة 1935), عبد الفتاح شعات: تاريخ الأمة العربية قبل ظهور الإسلام 300-249/ 1200-161.
أبو سفيان قائد العبر، في غزوة أحد والأخزاب كان أبو سفيان قائدًا للجيش، بل إن أما سفيان، حتى بعد إسلامه يوم فتح مكة، فقد كان - وكذا وله معاوية - من المؤذن قبلهم، فضلًا عن أنه هو القائل بعد اضطراب المسلمين في غزوة حين والازرام في كتاتبه لا تنتهي هزيمتهم دون البحر 4، تعبر اً عما في نفسه من الضغط على الإسلام ورسول الإسلام (1).

 وعلى أي حال، فقد تم في عهد عبد المطلب إعادة حكر زمزم، كما حدث في عهد أختر الأحداث في تاريخ مكة القريب من الإسلام، وأعني به حملة أبهرة الحجيجي - الأمر الذي ناقشتها بالتفصيل في كتابنا دراسات في التاريخ القرآني 4 - على أن أهم الأحداث من عهده دون منازع، ليس في تاريخ مكة فحسب، وإنما في تاريخ البشرية جمعاء، إما كان مولد جاءنا وولانا وسيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم (1) - وذا كتب للرجل العظيم أن يكون جد المصطفى، صلى الله عليه وسلم.


(2) تذهب الروايات العربية إلى أن المؤذن في النبر الشريف إذا كان في عام الفيل، غير أن هذا العام غير معروف على وجه التحديد (عام 576 أو 577 أو 578 أو 579). وكنما، من رأوا يقين ومؤكد في قام 4، بخصوص ذلك، فقد استند النسخ على كتابين مؤخرين من سيرة النبي، وهما تاريخ الحقبة في عام 20، وتحديث الإنتقال إلى الزيت الأول في عام 20، ومع ذلك لم يصلوا إلى نتيجة مؤكدة، بل أي حال فهو من يرى أنه في 20 نيسان عام 570، أو 25 أغسطس عام 570، أو 27 سبتمبر 571. وما محمد الفلكي فقد رأى في يوم 9 في الغرية ايوب (20 مارس 571 م) ، وعلي حال، يجادل المؤرخين يحيى توضيح أنه كان في يوم الاثنين من الأسبوع الثاني من شهر ديسب الأول من عام الفيل، وأنه لم يصلوا إلى نتيجة مؤكدة في عام 571 (أي 26 هـ عام 571 هـ) ، وآلا الإنتقال إلى الزيت الأول فقد كان في يوم 12 أو 13 من ديسم الأول عام 611 (أو 8 نيسان عام 612 م) ، بين يم بلغ 22 ميعا تقريباً ببناكم (أي أكثر من 40 ميل شامي) كأنظر: تاريخ الطبري 2/157، ابن الأثير 458-458، ابن كثير 235/235، التقدم العربي - 310 -
(3) مكانتا مكة:

أصبحت مكة منذ آل عمران إلى قريش على أيام القسم مركزاً للحياة الدينية في شبه الجزيرة العربية، تشهد إلى البحار، وتتبوأ إلى الأهرام، وفيها أكبر من كل جهة سواها، كانت تزعم الأشهر الحرم، بسبب وجود الكعبة المشرفة هناك، لذلك كلها، ومركزاً للنزاع في تجارة العرب، كانت تعتبر وكأنها عاصمة شبه الجزيرة العربية.

ووفي الواقع أنه رغم وجود البيت الحرام في بلاد العرب، كبيت الأقيصر وبيت من الحصانة، وبيت صنعا، وبيت نجار وغيرهما من البيت الحرام، فإن واحداً منها لم يبحث له ما يجمع ليتا مكة، ذلك لأن مكة إذا كانت ملتقى القواقل بين الجنوب والشمال، وبين الشرق والغرب، وكانت لازمة لم يحمل تجارب اليمن إلى الشام، ولم يعود من الشام بتجارة يحملها إلى شواطئ الجنوب، وكانت القبائل تلزم منها بمثابة مطروقة تردد عليها، ولم تكن فيها سلامة قاهرة على تلك القبائل في باديةها أو في رحلاتها، فلست في مكة دولة كدولة التبادلة في اليمن، أو المناذرة إلى الميزة، أو النساك في الشام، وليس من وراء أصحاب الرئاسة فيها سلطان، كسلطان الروم أو الفرس، أو الأحباص، وراء الإمارات العربية المفرقة على الشواطئ، أو بين بوادي الصحراء، وبالتالي كانت مكة بمثابة عبادة وتجارة، ولقيت حرولة ملك يسيد بها صاحب العرش فيها ولا يبالي من عده، وهي وإن لم تكن

---

قبل الإسلام ص 38 ، دراز : مدخل إلى القرن الكريم ص 27 ، عبد المنعم ماجد : المرجع السابق.

P. Lammens, Age de Mohammad, P. 209 F
R. Blachere, Le Problem de Mahomet, P. 15.


(1) أنظر : ياقوت 238/3 ، 116/3 ، 262/6 ، 268/3 ، 269/3 ، 270/3 ، 271/3 ، 272/3 ، 273/3 ، 336/3 ، 493/3 ، الأنساب ص 28 ، 172/3 ، الأغلاني.
كذلك من أقدم زمانها، فقد صارت إلى هذه الحالة بعد عهد جبرهم والعمال، الذين روّى عنهم الرواة أنهم كانوا يعشرون كل ما دخلها من تجارة (1).

وزاد من قيمة مكة أن اليمن - بعد الاحتلال العسكري في عام 525م - لم تنحّج في سد النهر الذي تركته البحرية الرومية، ربما لظروف جغرافية أكثر منها سياسية، ومن ثم فقد أصبح الطريق البري - عبر تهامة والحجاز - هو الطريق الوحيد المفتوح أمام التجارة، وكان لا بد - بعد زوال النشاط اليمني - أن يوجد من يسد هذا الفراغ ويقوم بدور الوسط المهيمن بين المنازعين، لنقل التجارة، وقد وجد هذا الوسط ممثلاً في مكة (2)، التي حظيت منذ منتصف القرن الخامس الميلادي بمكانة ممتازة بين عرب الشمال، فضلاً عن طريق الصراع الدولي (الفرس والروم)، وقد ذاك، وساعد على ذلك رغبة الفريقيين المتالفين في وجود مثل هذا الوسط المهيمن من ناحية، ويُعد مكة وصوبة الوصول إليها ما ناحية أخرى (3).

وهكذا كان موقع مكة الجغرافي سيّبياً في أن يجعل من المدينة المقدسة عقداً تجمع فيها القوافل، التي ترد من العربية الجنوبية تريد الشام، أو القادمة من الشام تريد اليمن، حتى إذا ما كان القرن السادس الميلادي نجم القرشين في احتكار التجارة في بلاد العرب، فضلاً عن السيطرة على طرق القوافل التي تربط اليمن بالشام من ناحية، والعراق من ناحية أخرى (1).

وقد بلغت شهرة القرشين في التجارة ومهارتهم فيها، إلى أن يذهب البعض إلى القول بأن «قرش» إما سميت كذلك لاحترافها التجارة، لأن القرش إما هو

المقدّر، مطلع النور ص 112-113.

أحمد إبراهيم، مكة والمدينة في البادية وعصر الرسول - القاهرة 1965 - ص 154.

S.A. Huzayyin, Arabia and the Far East, P. 142-3.

E. Gibbon, op. cit., 5, P. 213.

وقد، "أنظر كتابنا "دراسات في التاريخ القرآني"


(1)
الجارة والكتشف (1)، وإلى أن تذكر رحلاتهم التجارية في القرآن الكريم، حيث يقول سبحانه وتعالى: "إن فرشوا، إن فرشوا، رحلة الشتاء والصيف، فليبدروا...

رب هذا البيت، الذي أطعمهم من جوع وآكلهم من خوف (2).

هذا وقد كانت قوافل نفقة مبيّنة بالحملات تكون بآلاف الألف، التي يقوم على حميتها جيش خاص دعوه الأحباش (3) لعملهم من الحرب أو السواء، فكانت مكة أشبة ببنك كبير، فلم تكن القوافل ملكاً لشخص واحد، وإنما كانت هناك طريقة جمع المال من عدة أمر ممروحة، كهراج وأميا ومحرومن ونوفل (4).

وقد أدى ذلك إلى تضخم أمور فرشوا، حتى بلغت قوافلهم التجارية في ظهر غزوة بدر (5) ألف بعير، مضافًا إليها خمسون ألف دينار منكورة بين أشاملا، بل إن رجلا واحداً هو سعيد بن العاص (أبو أبيحجة)... استطاع أن يسهم في رأس مالها ثلاثين ألف دينار، كما بلغت قوافلهم في بعض المرات ألفين وخمسمائة بعير، وهي نسبة

(1) إبن هشام 1/624، ياقوت 4/336-7، نبرة الأربر 324 (بنداد 1985).
(2) إبن الأشعالي 1/147-150، نبرة الأربر 324-7، ياقوت 4/336-7.
(3) إبن الأشعالي 1/147، ياقوت 4/336.
(4) إبن الأشعالي 1/147، ياقوت 4/336.
(5) إبن الأشعالي 1/147، ياقوت 4/336.
وقد عملت قريش على توفير الأمن في منطقة مكة، وهو أمر ضروري في بيئة تغلب بالغارات وطلب الثار، حتى يكون البيت الحرام ملاذاً للناس وأمناً، وحتى يجد فيها من تضيق به الحياة، ويعرض لطلب الثار، الأمن والحماية، ولعل هذا هو السبب في أن تن شر في الأشهر الحرم في موسم الحج، حتى يأمن الناس فيه على أنفسهم وأموتهم، وهذا فضلاً عن حركة إصلاح أخرى قامت بها قريش، تؤديها أيضاً تقر بيئة ظلماً، سواء أكانوا من أهلها أم من سائر الناس، فقدت مع قبائلها ومع القبائل الأخرى المجاورة حظناً عرفاً بحلف الفضل، يروى المؤرخون أن قيائل من قريش تدعت إلى حلف، فاجتمع في دار عبد الله بن جدعان ببنا هاشم وبنو المطلب وبنو أسد وبنو زهرة وبنو تميم، وتعاهدوا على أن لا يظلم لبطة غريب ولا قريب، ولا حر ولا عبيد، وإلا كانوا معه حتى يأخذوا له بحقه من أخلاقهم ومن غيرهم، ومعدوا إلى ماء زمزوم فجعلوه في جفنة وبعثوا به إلى البيت الحرام، فسلت به أركانه ورشوه، ومن عجب أن الأمويين وعلي عبد شمس قد أبوا على أحد منهم أن يدخل هذا الحلف، وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

(1) أحمد السباعي، تاريخ مكة ص 36-37، المغرزى ص 136، ومثلاً P.K. Hitti, op. cit., P. 104,

(2) المقدمة: مطلع النور ص 113 419
وعلى إله وسلم - أنه قال َ: لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلفاً ما أحب أن
لي به حمر النعم ، ولادعى به في الإسلام لأجتِ (1).

وم لكتب قريش بذلك ، وإما عملت على توفير الماء والطعام للحجاج في
منطقة يشع فيها الماء وقيل الطعام ، ومن ثم فقد قامت بخفر الآبار في منطقة مكة
وأنشأت فيها أماكن للسفاة ، ثم أوركت سقاطة الحاج إلى البيوت القروية منها ، وهكذا
غدت سقاطة الحاج - يجانب عمار البسالة - علماً يراه القوم في قمة مفاخرهم
وإلى هذا يشير القرآن الكريم في قوله تعالى : أنجعلهم سقاطة الحاج وعمراء المسجد
الحرام كأنه بادى ولهم الآخر ، وجاهد في سبيل الله (2).

وكان أمر ضيافة الحجيج عملاً لا يقل عن سقاطتهم ، وقد أسندت قريش إلى
الأغنياء من رجالها ، لأن قدم الحجاج من أماكن بعيدة من شبه الجزيرة العربية
يقضب عم حمل الزاد ، ومن ثم فقد كانت الرفادة تكلف أصحابها الكثير من
موادهم ، يجانب ما تقدمه قريش لهم ، إلا أن هذا الأمر في الوقت نفسه قد أفاد
قريشاً كثيراً ، إذ كانت المؤاكلة في نظر العرب ، إذا عم الحلف وجوهر ، فضلاً
عن أن الضيافة في ذاتها من أكبر ما ي misd الرجل عليه ، وهكذا كانت قريش تعاملها
هذا ، وكانت تعقد حلقاً مع كل القبائل العربية ، تحمي به تجارتها ، وتتبغ على
رجالها نوعاً من التقدير والإحترام عند العرب ، لا يتوفر لغيرهم (3).

(1) المصدر : المراجع السابق ص 119-134، 142-145 (كتاب الجمهورية مصر).
(2) المصدر : المراجع ص 117، المدارس ص 222، 223، 224-225، 227-228.
(3) سورة التوبة : آية 19، وتفسير الطبري 148-149، تفسير ابن كثير 324-325، تفسير الامام المقدير 321-322، تفسير ابن هشام 91-92، تفسير ابن سعد 54-55.

- 58 -
وخطط قريش خطوة أخرى في اجتذاب القبائل العربية، فنصب أصنام جميع القبائل عند الكعبة، فكان لكل قبيلة أوثنها تأتي في المراسم لزيارتها وتقدم القرابين لها، وهكذا أخذ عدد الأصنام يزداد عند الكعبة بمرور الزمن، حتى جاء وقت زاد عدددها على ثلاثمائة، كان منها الكبير ومنها الصغير، ومنها هو على هيئة الآدميان أو على هيئة بعض الحيوانات أو النباتات، وإن كان أكبرها جميعًا إنما هو هيل، الذي جعله القوم على هيئة إنسان من عقيق أحمر.

وبيدو أن الأساس الذي قامت عليه مكانتة الكعبة، أن البيت الحرام يحمله كان هو المقصود بالقداسة، غير منظر إلى الأوثان والأصنام التي اشتملت عليها، ورغم أن الأوثان والأنثروبومورفية كانت تقدسه بعض القبائل، وتزديده قبائل أخرى، فلا يفضى ذلك إلى نهاية البيت عند المسلمين والمزدرين، واحتفلت الشعائر والدعوات التي يدعوها كفر قبائلهم رضى الله عنهم، ولم تختلف تعاليم البيت - كما يتولاها ملوك البيت - في جواره والمتكفلون بتغذيه، فكانت قداسة البيت هي القداسة التي لا خلاف عليها بين أهل مكة وأهل البادية، وجاز عندهم - من ثم - أن يحكموا بالفضيلة على أتباع صنم معلوم، ويعطوا البيت غاية حقه من الرعايا والتغدير.

(1) تعرفت الكعبة قبيل الإسلام لعدة سنوات في أوقات مختلفة، أدت إلى تصدع جدارها، مما أضعف القوم إلى هذه وما إعادته، وانتقلت إلى منيب، ثم لم يبقه إلا وسط - في الخمسة والثلاثين من أنوار الشريف، فإذا كان ذلك بما كان ذلك في عام 62 هـ (4), ж. ق. - إلى البيت الحرام بـ 199/2، إين، الأثر 458-117-318-20، البيروني 120، الفي 272-1، السموك 1-2-1، الإبلاج 2-11، الأذربيجان 2-14، القوقازي 4، في عام 291-199/5، بعد عام 4-1196-199، للشروق العربي قبل الإسلام، تم تقديم البشري 2-116-123، تأريخ الحكيم 2-116-123، تأريخ الطبري 2-116-123، مدة تاريخ عودة 2-116-123، وكذا من الأدب الكريم 237-1، والقرآن الكريم 237-1، وكذا من الأدب 237-1.

(2) تاريخ البيروني 1-4، 있어서 الدين 2-4، الأذربيجان 1-4، الرضوان 1-4، الإبلاج 2-116-123، تأريخ الفهري 1-4، الفي 272-1، وكذا.

(3) المقدمة: ص 115 من التأريخ 447.
وانطلاقاً من هذا كله، فقد كان ينفق في موسم الحج أن يجتمع حول البيت أناس من العرب، ويتخذون أشياء متفرقة من المجرسية والهودية والمسجية وعبادات الأمم المختلفة، ولا يجتمع منها دين واحد يؤمن به معتدل على نحو واحد، ومن اكلية من كميات الفترات لم ير بين عرب الباهرية بلفظها وجعلها معناها، كالصلاة والصوام والزكاة والطهارة، ومناطها كلها أنها حسنة عند رب البيت أو عند الله.

وهكذا يمضي الأيام، وتردد مكانة الكلمة عند العرب، حتى تصبح آخرون الأمر المفخرة القومية والحرم الإلهي عنهم، ثم تغدو بعد حين من الدهر، الجوار الوحيد الذي يشعر العرب علجه بشعور العروبة الموحدة، عالية الرأس، غير مستكينة لأنفسهم، كاهنة من كان، ذلك لأنهم إذا تأكدوا أنهم يحسون أنهم من رعايا الروم في الشام، ومن رعايا الفرس في الحيرة، وأتباع للفرس أو الأبيض في اليمن، ولكنهم هنا في مكة، عند البيت في حرم الله يقاسوته جمعياً، لأنه لهم جميعاً يضعهم إليه كما يضع أصواتهم وأوثائهم وأرائهم، يلدوهم به ويلدون إليه، فكلهم من معبود أو عابد في حماية الكلمة بيت الله، وشعرهم هنا بأنهم عرب، لم يهتدوا عليه، لم يهتدوا عليه، لم يهتدوا عليه، لم يهتدوا عليه، لم يهتدوا عليه، لم يهتدوا عليه، لم يهتدوا عليه، لم يهتدوا عليه، لم يهتدوا عليه، لم يهتدوا عليه، لم يهتدوا عليه، لم يهتدوا عليه، لم يهتدوا عليه، لم يهتدوا عليه، لم يهتدوا عليه، لم يهتدوا عليه، لم يهتدوا عليه، لم يهتدوا عليه، ولم يهتدوا عليه.

ولعل هذه المكانة الفريدة للكلمة هي التي دفعت بأصحاب القرة في تلك الأيام إلى محاولة هدموها، أو على الأقل إنذرتها تحت لوائهم، فعل ذلك محسن بن عبد كلال، ولكن أمره انتهى بفشل ذريع، ويجب أن يصبح أسبوعاً في مكة سنوات ثلاث، وفعل ذلك أبهر الحبيشة، ولكن الله سبحانه وتعالى أرسل عليهم طيراً أبالي،...

---


المراجع: مطلع النص من 95، المراجع السابق من 118.
ترجمهم بحجارته من سجيل، فجعلهم كصغ ما كول (1)، وفي هذا العصف الأكول كان أبلغه نفسه (2). وقد ناقشنا ذلك كله بالتفصيل في الجزء الأول من كتابنا "دراسات في التاريخ القرآني" 4.

وتعتبر السنون، ويغري الرومان بمرور الزمن من سياستهم نحو العرب، ويرون أن الوسائل غير المباشرة ربما كانت أجدى في السيطرة على شبه الجزيرة العربية، ومن ثم فقد كانوا من وراء حملة أربرة على مكة، وحين تفشى هذه، ويطارد الأحباش من اليمن، يعملون على تحليل سيد من العرب على مكة يدين بالولاء لهم، ومن ثم فقد ارتبط قيصر أن يكون عنوان بن الحويرث، ملكاً على مكة من قبله، وإن باءت محاولته هذه بالفشل كذلك (3).

وليس من شك في أن هذه المحاولة السياسية، إذا غرضها غرض تلك المحاولة العسكرية، وأن المحاولتين قد فشلتا، وبيتت مكة، كما أراد الله، وحكمته لا يعلمها إلا هو كرباماً للعرب وغير العرب، وذالت قريش في المحاولتين جهدًا لإنخفاض الواحدة ثلث الأخرى، وليس من شك في أن الأولى كانت أشد خطراً.

(1) سورة الفيل: آية 3-6.
وإن دفعت في الثانية بعض رجالها، يقضون في مجري القبض، فتаратهم لا ندري مدعاها .

وعن وجه التحقيق، فهم سرعان ما عادت الأمور إلى سيرتها الأولى (1) .

ويبدو أن هذه المحاولات - السياسية والعسكرية - إنما تثبت قيام كعبة الحجاز على كره من ذوي السلطان، في الجنوب والشمال، وفي كل الحالات استنفدت الكعبة أن تحفظ بمكانها، على الرغم من خلو مكة من المراعي الغالبة على أنها الجزيرة بجميع أطرافها، بل لقد استنفدت ذلك خلوها من تلك المراعي، وقيام الأمر فيها على التعصب دون التخصص، وعلى تهيئة المجالة لعرب بتأثراهم ومعبوداتهم، دون أن يسرحهم المسخرن، أو يسبط فيهم فريق يسرحهم تسخير السادة للأتباع المكرهين على الطاعة وبدل الإثارة (2) .

وهكذا كان المكرون يشعرون بمكانة الكعبة عند العرب عامة، ومن ثم فقد كانوا يرون أنفسهم ميزة لا يتضطر إليها غيرهم من العرب، لأنها تصل بكرامة البيت الحرام وحرمته، فهي أولى بهم، وهم صدده والقائمون بالأمر فيه، يسكنون الحجيج ويطعمونهم، ويزفون لهم الأمان والراحة، ومن ثم فقد نجاهم ما يسمى بعظام (الحسس) (3) ، ويعتون به ابن البلد، وأببن الحرم، والوطني المقيم، والذي ينتمي إلى الكعبة والمقام، فهو استثناء لأبناء الوطن وأهل الحرم، وولاة البيت، وقطان مكة وساكنها (4) ، ومن ثم فقد نادوا بين الناس: نحن بنو إبراهيم وأهل

---

(1) تاريخ ابن غلدنون 327/2، أحمد إبراهيم الشريف: المراجع السابق ص 164-165، الوقت
(2) المقدمة: مطلع النور ص 116.
(3) كانت فترة هي التي ابتدأت نظام الحبس هذا، ثم نقصت إليها كتابة وخلعها، وربما نهراء
ابن صيحة من هواه ثم الإسخري (أناشيد ابن عنان 1970-1971، تاريخ مكة ص 121).
(4) ابن هشام 199/1، المعرج ص 164-176، شفا، للمراعي 3/4، على حسب المحرر: الكعبة
على مر المصور ص 50.

- 424 -
الحرمة وولاية البيت وقاطنوها مكة وساكنوها، ليس لأحد من العرب مثل هكذا، ولا تعرف له العرب مثل ما تعرف لنا (1)

وكانوا إذا بلغت الفتاة من الزواج أبلسوها ما يزدهر وخرجوا بها سافرة إلى المطاف ثم أعادوها إلى بيتها لتبقى حبيبة فيه لا تخرج إلا إلى بيت من تزوجها، وهم يريدون بطوافاتها ذلك عرضها سافرة على أعين الخاطبين، ولعلهم اختاروا المطاف ليأتيهم في جوار البيت نظرة الناس في هذا وقد كان الحمس بخشون الأولادهم ويعتفلون من الجبنة، وقد تبعاهم في المناكح من البيت ونبرت البيت والأخت ونبرت الأخ، كما كانوا يزوجون بالصداق والشهود ويطلقون ثلثاء، وإذا ما تزوجت امرأة منهم بغريب عنهم، إُشترط أن يكون أبناها منها.

هذا وقد جعل الحمس لأنفسهم علامة، وهي لا يعظم الأحمس شيء من الحل، أي الأرض التي وراء الحرم، كما يعظم الحرم وقالوا: إن فلئت ذلك استختن العرب بحرمكم، ولذا فقد تركوا الوقوف بعرفة لأنه خارج الحرم - والإفادة منها، مع إقرارهم بأنها من الشعار والمجيء به لا يراههم، ويزرون لسائر العرب أن يقفوا عليها، وأن يخفضوا منها، وأما هم فقد جعلوا موقفهم في طرف الحرم من "المشرفة" يقفون فيه عشية "عرفة"، ويطلون به يوم عرفة في الأراك من مرفة، ويغضبون منه إلى "المزدفة"، فإذا عمت الشمس رؤوس البجان دفعوا، وكانوا يقولون: "نحن قطين الله، نحن أهل الحرم، ليس لنا أن نخرج من الحرة ولا نظلم غيرها، كما نظمها"، فأظهروا بذلك تعصبهم لبقة من الأرض وترغبوا أن يخرجوا عنها، ولو كان في خروجهم إمام لمشاعر الحج (2)، وتبقي الأمر كذلك حتى بعث الله محمدًا (3).

(1) تفسير الطبري 4/488/4، ابن هشام 2/159، المشرفي 3/617-618/3، أحمد السباعي: تاريخ مكة ص 35.
(3) تفسير الطبري 4/488/4، ابن هشام 2/159، المشرفي 3/617-618/3، تفسير الفيائي 2/327-328، 425.
على الله عليه وعلى آلله وسلم – فأنزل العقلية – حين أحكم له دينه، وشرع له.

سند حجة – ثم أفضروا من حيث أفسان الناس واستغفروا الله إن شاءنور ورحمة.

هذا وقد بلغ من تشدد الحماس أن الرجل منهم إذا ما أحرم بالحج أو العمر لا يدخلداراً أو حائطاً، وقد تعرض له الحاجة فلا يدخل بيه، بل ينبغي له السكن في ظهره ويثبت بأهل لمحابجا له ما أراد، وكان بعض منهم إذا أرادوا بعض أطمنهم وأمنعتهم تسوروا من ظهر بيوتهم وأذماروا حتى يظهروا على السطح، ثم ينزلون في ججرائهم، ويحرمون على أنفسهم أن يمروا تحت عتبة الباب.

وكانوا بعد الإحرام يحرمون على أنفسهم السمّ والنيل والزيد وليس الورب، كما كانوا لا يدخلون بيتاً من الشعر، ولا يستظلون، إن استظلوا، إلا في بوت الأدم، فهم إذن يحرمون على أنفسهم أشياء لم تكون العرب تحرموا، كما أنهم اختصوا أنفسهم بالطيب الحمر – وهي علامة الشرف والرياضة – تضرب لهم في الأشهر الحمر، كما فرضوا على العرب ألا يأكلوا من طعام جاءا به من الحل إلى الحرم، إذا جاءوا حجاجا أو عماراً، ولا يطوفون بالبيت إلا قدموه أو طاقفهم إلا في ثلات الحماس، فإن لم يجدوا طاقوا بالبيت عرفاً، فإن تكون منهم متكررون من رجل وأمرأة، ولم يجد ثاب الحماس فتاف في ثابي التي جاء بها من الحل، ألقها إذا فرغ من طواوعه ثم لم يقطع بها، ولم يمسها هو ولا أحد غيره أبداً، وكانت العرب تسمى تلك الكتب «اللقي» (٢)، وفيهم الأمر كذلك حتى أنزل الله سبحانه وتعالى

١٧٦٠-١٢٥٠، تاريخ العبدي، ١٥٦/١- تأليف مكة، ص ٣٤-٥٠، محمد الخضري ١٩٧٠، جوده على ٢٦٢/٦، أحمد إبراهيم الشريف، المرجع السابق، ص ١٨٨، وكذا.

EI، II، P. 335.


١٨٤.

(٢) ابن كثير/ ١٩٥٢، تفسير الطبري/ ١٨٨٢، الأذري/ ١٨٨١-١٨٨٢، ابن هاشم/ ١٤/١، تأليف بن سد/ ٤١، تاريخ العبدي، ص ٢٠٤-٢٠٣، الأزلف/ ٢٠٤/١، المقدسي/ ٣٣٣-٣٣١، نبياء الآب/ ٢٤٤-٢٤٤، شفاء القرام/ ٤١، تقف/ ١٨٤، المعايدة/ ٢٩٩، صحيح. -

٤٧٩.
قوله ﷺ: يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشروبا ولا تسرفوا إياه.

لا يحب المسرفين ، قل من حرم زينة الله التي أخرى لعباده والطيبات من الزيت، فقل هل الذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات تقوم بعلمنا. (1) ، فوضع الله تعالى أمر الحمص - وما كنت قريش ابتدعته منه على الناس - بالإسلام حين بعث الله به رسوله - صلى الله عليه وسلم. (2).

ركن من مناسك الحج الحج أن يطوف الحجاج في صوفهم ويعبون بالأنشيد ويشرون ونظامهم يتعبدون. وإلى هذا يشير القرآن الكريم في قوله تعالى: «وما كان صالحين عند البيت إلا كأنهم قد تؤجلوا الذين بما كنتم تكفرون!» (3) ، هذا وقد كان الحمص كذلك يدخلون الكعبة لا سيما أهلبهم ، حتى استمامهم في البيت بن المغيرة خلصها. وكانت الحركان من ناسهم لا يدلمن من الكعبة ولا ينصحن بأصابتها ، بل يقرن بعيدًا عنها. وكان الطائف منهم يبدأ ببافية فيتلدله ، ثم يستلم الركن الآسيود ، ثم يجعل الكعبة على بيمه فيطفو بها ، فإذا ختم طوله سباعًا، استلم الركن ثم استلم نافلة. (4).

---

(2) سورة الأعراف: آية 32، البخاري 1/190-191 (دار الأندلس) ، تفسير ابن كثير 3/143-150 (دار الأندلس) ، تفسير الكشاف 76/2.
(3) ابن هشام 1/209.
الفصل الثالث عشر
المدينة المنورة

المدينة المنورة، ثانية مدن الحجاز بعد مكة دون ريب، ودار الهجرة التي نصرت الإسلام، وأعطاها كلمة المسلمين، فاستحققت الكرم والتخليد حتى يقوم الناس لرعب العالمين، ثم شاءت إرادة الله – الكريم إمنان. ذى الفضل العظيم – أن تعطي المدينة ما لم تعطه لغيرها من المدنين، وأن تختص بها بمجرة لا تتجاوز إليها واحدة من مدن الدنيا، حيث شرفت ب أن تضم في ثراها جمعان سيد الأولين والآخرين، جدنا ومولانا وسيدنا رسول الله – صلى الله عليه وعلي آله وسلم –.

هذا إلى أن بالمدينة المنورة ثاني الجهرمين الشريفين، فضلاً عن أنها البلاد الذي اختاره الله، ليكون أول عاصمة إسلامية في التاريخ، تخرج منها جيوش النور، تحمل راية الإسلام، وهدياء القرآن، إلى جميع أنحاء المعمورة، فتنتشر التوحيد والحب والعدل والإخاء والمساواة، ومن ثم فقد كانت وما زالت – وسوف تظل أبد النهر إن شاء الله – قلب المؤمنين في كل أنحاء الدنيا تلبس بحب المدينة، وتتجه إلى زيارتها، وتتعبده إلى الله في مسجدها، وتتعم بالصلاة في روضته الشريفة، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وما عليها .
هذا وقد حبت الطبيعة المدينة المنورة(1) بمزايا لم تعرفها مكة المكرمة، من طيب الهواء وجودة الرطبة، كما أنها لم تكن على طريق القوافل التي تحمل الطير بين اليمن والشام فحسب، بل كانت واحة حقيقية ذات ثروة صلبة لزراعة النخيل، وهو كثير فيها، ومن ثم فقد أصبحت المدينة واحدة من أمهات المراكز الزراعية في بلاد العرب(2).

والمدينة المنورة لم تكن تعرف بهذا الإيمام قبل نصرتها للإسلام، وهجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم إليها في عام 226 هـ، وإذما كانت تسمى "برب"، وإذ هذا يشير القرآن الكريم في قوله تعالى وإذ قالت طائفة منهم يا أهل برب لا مقام لكم فارجعوا(3) ، وقد ذكرت برب في الكتابات العثمانية، ربما بسبب وجود جالية معمية كانت تقيم هناك، خلفتها أخرى سابعة بعد أن وَرث السبئيون دولة معيَن في اليمن، ومستعمرة في شمال غرب الجزيرة العربية، ولكن هذا هو السبب الذي دفع بالنسابين من بعده أن يروا في سكان برب من العرب، أزدا من قحطان(4).

ولعل أقدم إشارة إلى برب في النصوص الباليونية، إذما تراجع إلى القرن السادس ق. م، إذ تحكي كتابة عبر عليها في حرب عام 1956، تتحدث عن أعمال الملك البالي "نبوئيد" (505-549 ق. م.) في بلاد العرب، فترى أن ذلك الملك

(1) K. Hitti, History of Arabs, P. 104.
(2) P. K. Hitti, History of Arabs, P. 104.
(3) P. K. Hitti, History of Arabs, P. 104.
(4) Golvers 128/4، وكذا
(5) Winckler, Arabisch-Semitisch Orientalisch, in MVG, 1901, P. 63.
انتفخ الذي اشتهر بحبه للآثار، قد قام بحملة في العام الثالث من حكمه إلى الغرب شبه الجزيرة العربية، احتل فيها تيماء وديدان وخير ويثرب، والتي جاءت تحت إسم "أثرب". وكانت آخر موضوع وصل إليه الاهل البالي في بلاد العرب، ورغم كان السبب في هذه الحملة، إنما كان مهاجرا العرب لمناطق خاضعة للبابا، ورغم كان رغبة الباليين في السيطرة على الطريق التجاري البري بين شمال جنوب بلاد العرب.

وأيضاً كان السبب، فإن الاهل البالي قد استقر في تيماء قرية قريب من سنوات عشر، بعيدا عن عاصمته "باب" التي لم يعد إليها إلا بسبب التهديدات الفارسية لها، فاضلًا عن بلاد العرب نفسها، ولا بعد دعوة رعاياه الذين كانوا على خلاف معه طوال تلك الفترة.

هذا وقد جاء إسم "يثرب" كذلك في جغرافيا بطليموس، وعند "إسطيفانوس البريزني" تحت إسم "بيرة جاثريبا"، أما الأثخريون فعنونها باسم "أثرب"، و"يثرب"، وأن "يثرب" في رأيهم "أثرب" في أم قرى المدينة، التي حددوا امتدادها من طرف وادي قناة شرقاً، إلى طرف الحرف غرباً، ومن زبيلة.

A. Gardiner, Egypt of the Pharaohs, P. 363.
A.R. Burn, Persia and The Greeks, P. 38.
C.J. Gadd, The Harran Inscriptions of Nabonidus, P. 35
AS, 8, 1958, P. 84. A. Musil, Northern Nejd, P. 225.
S. Smith, op. cit., P. 53, 88
CAH, 4, P. 194.
R.P. Doughty, Nabonidus and Belshazzar, 1929, P. 107
A. Gardiner, op. cit., P. 363.

P.K. Hitti, op. cit., P. 104
Ptolemy, VI, 7, 31.
(1) جوايد علي 4/130، وكذا
(2) المسند: وفاة الوفا 1/6-7-7- القاهرة 1/9-10- خلاصة الوفا بأعياد دار المطبوعي من 6-7-7- (المدينة المنورة 1972)، ياقوت 6/84، عبد العزيز سالم: المرجع السابق من 535.

- 461 -
الرج جنوباً، إلى اليسارين التي كانت تعرف بالمال شمالي، وأما وادي قناة فيقع في الناحية الشمالية من المدينة، وبعد عنها بمسافة كيلومترات ونصف، ويقع في شمال جبل أحد، الذي يبعد عنه بنحو كيلومتر واحد تقريباً، وأما المال فهو بعض اليسارين العيون في الشمال الغربي، وأما زبالة فنهر فالزبالة فقيم من قرى المدينة كانت بتشملي سلسلة إلى قرب وادي قناة. إنثارت آثارها لم تتم معرفة.

وذلك اعتقاداً على رواية السهمي عن زبالة الرج، بأن كان لأحياناً أخذ و على روايته، وكان بالمدينة في الجاهليّة سوء وجبة من الناحية التي تدعى يرب. ومن ثم فإن حدود المدينة المنورة - طبقاً لرواية السهمي - إنما كانت تتلمض في الأرض كثيرة التخلغ، مسجد بيدان حري، رضي الله عنه، وشي القرينة التي هي مصرف عن الأزرق، قريبة من مسجد قباء.

و على أي حال، فلم ينس أصحابنا الآخرين أن يخلطوا درس للإسم، فهي يرب نسبة إلى يرب بن قائمة بن مهلايل من ولد اسمن نوح، أو يبر بن بن قائد بن يبر بن مهلايل، وهو أول من نزل بها عند تمرت ذرية، ونوح، على زعم، وهي من النبر يمعي الفاسد، أو الشريرة أي المزاحمة بالأذى. على زعم آخر، وهي نسبة إلى ريس العمر يزولتها بها بعد أن طردوا منها. يرب بن بني عبد الله، ويذكر أن هناك رواية رابعة تنسب إلى ابن عباس، وتدعى إلى أن يرب في الأصل إذ كان إسمًا لابن عبد الله، الذي هو أول من نزل المدينة.

(1) تقع المدينة المنورة على مسافة 443 كيلومترًا من مكة المكرمة عن طريق وادي فاطمة، وعلى مسافة

(2) محمد بن محمود بن النجار، في تاريخ المدينة، عام 432، إبراهيم بن علي اليماني، المدينة بين الماغي والخاضر من 1690، عبد القدوس الأسمرائي، آثار المدينة المنورة من 168-177 (المدينة المنورة، إبراهيم بن علي اليماني، الأعلام الخمسة، ص 62).

(3) ولي بن الرواية، زمان الفدا، 100-111، خلافة الأファ، 155، الإشتقاق، 600، البكري، 35، 389/4، 439/6، تأريخ ابن خالد الديلي، 382/163، أحمد بن عبد المحسن البكري، 382/163، الأحزاب في مدينة مكة، 173، 143، القرى في مكة، 177، 176، عبد القدوس الأسمرائي، المرجع السابق، ص 476.
أن يتخلى عن رسول الله وليابرلين بأنفسهم عن نفسه (1) وقوله لن لم ينته المنافقون والمليون في قلوبهم ممرض والمرجفون في المدينة (2) فهو اسم شرفه به المصطفى صلى الله عليه وعله وسلم - حتي وإن رأى البعض أن اسم مأهود من الكلمة العربية مدينتا ( Medintu, Medinta (3) على رأي من يرى أن اليهود المثيرين بالثقة الآرامية، أو بعض المهاجريد من أبي إرم الذين نزلوا يرب، هم الذين دعوا مدينتا (4) وأنا ربما عرفت بمدينة يرب كما جاء في اسطوانة البيزنطي - ثم اختصرت إلى مدينتا أو المدينة - ثم عرفت بمدينة الرسول صلى الله عليه وعله وسلم، بعد هجرته إليها (5).

(1) تفسير دوح المعايي 14/32-313/11، تفسير الطبري 244/33، تفسير الحدث 245/133، تفسير ابن كثير 242/37، تفسير القرطبي 242/37، تفسير المغاربة 242/37، تفسير السعدية 242/37، تفسير ابن كثير 242/37، تفسير ابن كثير 242/37، تفسير ابن كثير 242/37، تفسير ابن كثير 242/37.

(2) سورة الأنبياء : آية 121، وانظر : تفسير الطبري 242/37، تفسير القرطبي 242/37، تفسير السادة 242/37، تفسير ابن كثير 242/37.

(3) سورة الأنبياء : آية 121، وانظر : تفسير البيشري 237/23، تفسير الطبري 242/37، تفسير ابن كثير 242/37، تفسير ابن كثير 242/37، تفسير ابن كثير 242/37.


(5) ZDMG, 22, P. 668
هذا وررى البنوني ؛ طبقةً لرواية سوف نناقشها فيما بعد - وتتصل بغزو إسرائيلي للمدينة بأمر من الكليم عليها - Defined, أن البنو الإسرائيليين هم الذين أطلقوا عليها اسم يترب ؛ تحريفاً لكلمة مصرية هي أترويس ؛ كما أن اسم طيبة الذي استعمل إسمًا للمدينة مأخوذًا عن طيبة المصرية (1).

على أن هذا الرأي يحتاج (أولاً) أن تكون قصة الغزو المزوعة حقيقة، وهو أمر تقوم كل الأدلة التاريخية على تقينته، ثم هو يحتاج (ثانياً) إلى إيجاد اسم آخر ليرتب قبل هذا الإمام، على أيام المعاقين الذين تتزامن قصة الغزو المزوعة أنهم كانوا يسكنونها، الإمام الذي لم يشر إليه ضاحب هذا الرأي، وأخيراً (ثالثًا) إذا كان صحيحًا أن البنو الإسرائيليين هم الذين أطلقوا على المدينة اسم يترب ؛ لكان من الأولي أن يطلقوا عليها واحدًا من أسماء المدن التي كانت في المنطقة التي كانوا يعيشون فيها في مصر - هناك على أطراف الدنيا الشرقية - مثل في رمسيس العاشرة المصرية وقت ذلك ؛ أو (تانيس) التي جاءت في الزمان تحت اسم صواع.

وأما أن يترب تحريف للكلمة المصرية أترويس ؛ ولعله يعني أترويس ؛ (بنها الحالية)، فليس هناك من دليل على ذلك ؛ وربما كان الأقرب إلى الصواب أن تكون تحريفًا لا (أترويس ؛ التي جاءت في نص نقوش الآمون الذكور ؛ كما أن الفعل بأن اسم (طيبة) منتقل عن اسم العاشرة المصرية الشهيرة (طيبة ؛ أمر يحتاج

(1) محمد لبيب البنوني ؛ الرحلة الجزائرية - القاهرة 1329 هـ - ص 253-254

(2) تعط طيبة (الأقصر الحالية) على مساحة حوالي 500 كيلومتراً إلى الجنوب من القاهرة، وأما اسم المدينة الأصل فهو (زينة)، يعني الصوابان هو رمز الحكم والسلطان عند الفراعنة، وأما اسم طيبة فربما كان مصري الأصل، ويتكون من طيبة، أحد أسماء الهبود الأثري، وربما جاء الاتفاق على يهود يصبح الإمام كله (طيبة) ؛ ومن جاء الأثري إلى مصر لم يجدوا مشتة في الملاحة بين ذلك الإمام وبين اسم مدينتهم المعرفة (طيبة ؛ هذا وقد أشرق المدة بعدة أسماء منها، فنآمون أو مدينة آمون أو المدينة فقط، أو المدينة الجزائرية) ؛ تبكيها لابن (منف)، الذي تقع على مبعدة من القاهرة الحالية، أو مدينة المدان ؛ وثم خلف عليها الإفريقية إسم ديوان بوليس مجنى (مدينة الله الكبرى) ؛ ثم أطلق عليها الكتاب القديم من أمثال ديودور وستراويس.
إلى نظر، لأسباب منها (أولاً) أن طبيعة كانت وقت ظهور الإسلام قد ودعت أحيائها الشريفة، اليوم أن كانت عاصمة للإمبراطورية المصرية لمثل السنين، ومنها (ثانياً) أثبتنا حتى لو افترضنا أن المسلمين كانوا يعرفون شيئا عن المدن المصرية القديمة الكبرى في تلك الفترة، بسبب العلاقات بين مصر وبلاد العرب، والتي بدأت منذ فترة مبكرة في التاريخ، واستمرت حتى النزاع العربي لمصر (عام 260 - 424م) (1).

إذاً وتطرقنا إلى نقطة نامية هناك في الصيد الأدنى، وأن القادمين من بارود العرب ينظرون أن يكونوا على معرفة بالإسكندرية، عاصمة مصر وقت ذلك، فضلاً عن مدن الدلتا القريبة من سيناء – حلقة الإتصال بين مصر وبلاد العرب – ثم إن اسم طبيبه نفسه قد لا يشجع على القول بأن المسلمين قد أخوضوا عن العاصمة المصرية القديمة، فهو اسم وفيه يرتبط بالإله آمون على رأي، ومأخوذ عن إسم المدينة اليونانية طيبة على رأي آخر.

وأياً ما كان الأمر، فقد كثرت أسماء المدينة المنورة في العصر الإسلامي، حتى بلغت عشرة أسماء على رأي، وأحد عشر إسمًا على رأي آخر، وتسعة وعشرين على رأي ثانٍ، وأربعة وثمانين على رأي رابع، وإن كان أهمها جميعاً: المدينة وبحر وطيلة والاصرمة والخضرة المحيط بها، والمنامة والبيضاء والمصرة ومدينة البحر، والمنامة والخضرة والبحر، والمنامة والمصرة، وذات الحمراء ومدخل صدق وقرية الأنصار وبستان البلدان والخيرة وأرض الحرير ودار...

(1) J. Baiki, Egypt. Antiq. in The Nile Valley, P. 342. F.
الهجرة ودار الأخيار ودار الإمام ودار الأبلاء ودار السنة وبيت الرسول ومدينة
الرسول وموضع الرسول وحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم (1)

ومن أسف أن تاريخ يربث القدم مجهول، فلا توجد مدونات يمكن الرجوع
 إليها، ولم تتم بها حفريات علمية يمكن أن تقدم لنا معلومات ذات قيمة عن تاريخ
المدينة القديمة، وإن كانت هناك حفريات قد أجريت دون أن يقصد بها ذلك
الهدف العلمي كالي يحدث في الأعوام 1352، 1355، 1356 - في أحد
البساتين، وإن كان فر أسس القسم الشمالي لدراسة العلوم الشرقية الوارقة بقرب باب
النساء، وفي المناخة جنوبي السبيل، إلا أنها قد كشفت عن بعض أشياء قد تشير إلى
أن المدينة الحالية، إنها قامت على أنقاض مدينة أخرى - الامر الذي أشار إليه
السمهودي منذ القرن التاسع الهجري - ومن ثم فإن معلوماتنا الحالية، إنها تعتمد في
الدرجة الأولى على روايات الإخباريين، وأكثرها من ذلك النوع الذي عرفناه من
قبل (2).

سكان المدينة

يرجى الإخباريون أن سكان يرث إذا كانوا من العمالق، ثم اليهود، ثم العرب
-من أوس وخزرج-، وأن العمالق إذا كانوا أول من زرع الزرع وانتخب بها النخيل،
وعمر بها الدور والآلزم، وانتخب القصب، وأناهم يرجعون في نسبهم إلى عملاق
ابن أرفسخن بن سام (3).

(1) وفاء الوفا 1/1967، خلاصة الوفا ص 7-17، الدور الشرقي في تاريخ المدينة (ملحق بالجزء الثاني
من شفاء الغرام) ص 323، المقدسي: أحسن التراجم ص 39 (ليد ز 1967)، الأعلام ص 87،
77، الكیري 1201-1202، ياقوت 5-8 و830، عرفة الأخيار ص 41،
عبد العزيز سالم: المرجع السابق ص 36
عبد القدير الأنصاري:آثار المدينة المنورة ص 196-194، أحمد إبراهيم الشريف: المرجع السابق
ص 290، 291، محمد حسين هckt: في منزل الوحي ص 120-144.
(2) وفاء الوفا 1/107، خلاصة الوفا ص 54، ياقوت 5-8 و845 (مادة مدينة).
(3)
وصفة اليهود - طبقاً لرواية الأخباريين، ومن تأليفهم من المؤرخين المحدثين - أمرها عجب، إذ تذهب روايهم إلى أن موسى عليه السلام - بعد أن أظهره الله على فرعون وطهش الشام وأهل من بها من الكنعانيين، أو أنه بثهم بعدهم أهل من بها، ثم بعده بعدها آخر إلى الحجاز، للعمالقة الذين كانوا يسكنون المدينة قبل بني إسرائيل، وكانوا أهل بيتي وغزو، ملكوا على أنفسهم رجلاً يقال له الأرقم، وذهب الرواية إلى أن موسى كان قد بعث الجنود إلى الجابرة من أجل التقوى، ففضلًا عن جيش من بني إسرائيل كان قد بعثه إلى العمالقة، وأمره أن يقتل القيروان جميلًا، لا يكفي منهم أن يحن، وأن هذا الجيش قد كتب له مثجهاً بعده المدعي في ممتلكته هذه، فقتل العمالقة جميلًا، ولم يبق عليه أحد منهم إلا وواضحًا للأرقم كان وضباً أشفرًا على شاهبه، ومن ثم فقد حمله إلى موسى ليري فيه، غير أن موسى كان قد انتقل إلى الريف الأعلى قبل عودة الجبهة لعبد الأرقم، وقد اعتبر الإسرائيليون أن إبقاء الجبهة على حياة ولد الأرقم خروج على تقاليد موسى، ومن ثم فقد رفضوا أن يسمحوا للعوائل بدخول الشام، مما أضر وذلك الجبهة إلى العودة إلى المدينة والإقامة فيها، ومن ثم فقد كانوا أول من سكن المدينة من يهود.

واقصة على هذا النحو توجه إليها سهام الرب من أكثر من جانب، وليس بالوصف يقول بأنها توجه إلى ما فوق مدار الشهاب، هذا إذا لم تكون هي نفسها شبهة، وذلك لأسباب كثيرة: منها (أولاً) أن هذا الرأي الذي ذهب إلى أن موسى عليه السلام قد ورد في الشام وأهل الكعانيين، لا أقول يتعارض مع الحقائق التاريخية.


- 437 -
فحسب، وإنما يعارض كذلك مع آيات القرآن الكريم - فضلاً عن نصوص
النوع، ولنقرأ هذه الآيات الكريمة من سورة المائدة، يقول سبحانه وتعالى:
"يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أذى كم فتقرروا
خاسرين، قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين وإننا لندخلها حتى يخرجوا منها
فإن يخرجوا منها فإننا داخلون، قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهم ادخلوا
 عليهم الباب، فإذا دخلتمو فإنكم غالبون وعلى الله تفتوكلو إن كنتم مؤمنين، قالوا
يا موسى فإننا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فأخذب أنت وربك فقالت لنا هما هنأ قاعدون
قائ لرب إني لا أملك إلا نفيسي وأخفي فافرق بينا وبين القوم الناسقين، قال إلها
محمرا عليهم أربعين سنة يتهون في الأرض، فلا تنسى على القوم الفاسقين".

والأمر كذلك بالنسبة إلى النوراة (1) التي تحدثت عن كل صغيرة وكبيرة في
حياة موسى، وهكذا فإن كل النصوص المقدسة – آيات القرآن وإصحادات
النوراة – تشير إلَى أن الإسرائيليين الذين صحبوا موسى في رحلة الخروج من مصر
لم يكتبه لواحد منهم - بما في ذلك موسى (2) وهارون (3) عليهم السلام - أن يدخل
الأرض المقدسة أبداً، إذا استثناها شو د بن نون وكاب بن يفون (4)، وقد ناقشا
ذلك كله بالتفصيل في كتابنا إسرائيل (5).

ومنها (ثانياً) أن القرآن الكريم - والنوراة من قبل - يكذبان رسال جيش
إسرائيلي إلى الحجاز، فالقوم الذين جئوا عن أن يدخلوا الأرض المقدسة التي كتبها

(1) سورة المائدة: آية 21-26، ونظر فتحي روح المعاني، 111-120، تفسير الطبري
6/26-27، تفسير الطبري 167/1020، تفسير المنار، 388-389، التكشاف، 12/6، وفي
تفسير إبن كثير، 372، (دار الأندلس) تفسير القرطبي، 123-124، 1427، 475،
تفسير أبي يحيى السعد، 17-19، تизм، 475/1، الغدير، 1028.

(2) عدد 11-14، 45.

(3) عدد 27-28، 37-39، 46.

(4) عدد 24-27، 29.

(5) عدد 24-14، 30.

(6) أنظر كتابنا إسرائيل، ص 17، 339، 342.
الله لهم، ويصبحون أنفسهم بأنهم كابنون في عين الجبابرة من بيتي عناق، من سكان كنعان(1)، هؤلاء القوم ليسوا هم الذين يتمازرون صحراوات بلاد العرب حتى يصلوا إلى بحر، ثم يقوموا فيها بمجزرة بيضهيرة، منشنًا بل بسر، إلا ولد الأرقم ملكها، ثم أليسه هم أنفسهم الذين حاول الكليم عليه السلام أن يرضيعهم على القتال، حتى يصعدوا بأمر الله يدخلوا الأرض التي كانتها لهم، إلا أنهم كانوا مع كرهم وتحبهم جميعاً وقلوبهم مخترقاً، كانوا يخافون الحرب ويحذرن القتال، بعد أن تمكنت منهم المذلة والصغار، ومن ثم فقد صاحوا بموسى -نورواهم- اللبنة متنا في أرض مصر، أو لبنة متنا في هذا القفر، وما إذا أتيت بنا الرب لنسقط بالسيف(2).

وليت الأمر أقصر على هذا، فإن النمر فترنوا ما ينطأ إلى حد الثورة على موسى شخصياً، والنادرة بخلع وربته وقيام سلمية جديدة، تعود بهم إلى مصر، تقول الثورة على لسان الإسرائيليين: أليس خيراً لنا أن نرجع إلى مصر، فقال بعضهم تقيم شيئاً وترفع إلى مصر(3) هكذا هي التصوِّرات القتالية والتوراتية وكلها تتحدث عن جبين الإسرائيليين وتقاطعهم عن القتال، أليس من الغريب بعد ذلك أن يأتي بعض المؤرخين -ويا للعجب فهم من المسلمين- فيهم اليهود أصحاباً هم، ما كاتب لهم ما تقدم، والحق يقال: أنهم ما زعموه لأنفسهم أبداً.

ومنها (ثالثاً) أن الثورة تحدثنا عن ممارك وردحاً بين اليهود والملالي، ولكن ليس في المدينة المنورة -كما زعم بعض المؤرخين المسلمين القديمي-، ومن تابعهم من الدوائر -إذا في نبأ، حيث كان يقيم فريق من المسلمين(4) في منطقة منها تدقعي فيها -ربما فيه-، وأن الملايين استمروا يضايقون الإسرائيليين حتى

---

(1) عدد 12:13 -27
(2) عدد 12:18 -23
(3) عدد 18:3-6
(4) أنظر عصاق الساق: ما كتبنا هنا عن مواطنهم (في فصل الكلسم)، ونستور كابنون، إسرائيل،
(5) ص 248-249. 394-395.
أيام شاول (1020-1000 ق.م.)، أول ملوك إسرائيل، كما يروي سفر صموئيل الأول.

ومنها (رابعاً) أن الرواية تقدم لنا موسى عليه السلام في صورة لا تتفق ومكانته الكلم، فليس من شيم الأنبياء أن يرسلوا الجيوش لقتال الناس جميعاً، كانت أنهم يدعو الكلم العماليق إلى عبادة الله الواحد القهار، فإذا ما رفضوا كانت الحرب وليصرن الله من ينصره، أما أن يرسل النبي الكريم فيما يزعم الرواة -جيشاً إلى المدينة ليقوم فيها بمجزرة بشرية مروعة، تنتمي بناء القوام جميعاً، إلا طفل ضنوا عليه من المروت لوضعته، فأمر لا يمكن أن يقبل على علاته من عامة الناس، فضلاً عن أن يكون ذلك من كلم الله عليه السلام، وحتى هذا، فما شأن موسى بالعماليق في وسط بلاد العرب، أنبي أصحاب هذه الرواية أن موسى قد أرسل إلى بني إسرائيل خاصة(1)، وليس العماليق بالتأكيد من بني إسرائيل، كما أنهم هنا في المدينة المنورة - بعيداً عن مصر وعن فلسطين، فضلاً عن صحراء النهر - لم يعترضوا.

4. HAHL, P. 81.
5. The Universal Jewish Encyclopedia, I, P. 218.
دروته، ورغمما لم يسمعوا بها أبداً، حتى لو كانوا قوماً جبارين — كما تذهب الرواية — فكانا موسمين مكملين بالقضاة على الجبارين في الأرض، وإذا كان ذلك كذلك، فلمّاذا القضاء على المرافق بالذات، وليسوا هم وحدهم الجبارين في الأرض، ثم ما هو الموقف بالنسبة إلى المرافق في غير يربّ؟

ومنها (خاصة) أن بعض المؤرخين المسلمين أنفسهم إذا يشكلون في صحة الرواية (1)، ومنها (سادسًا) أن هناك رواية أخرى — إخبارية كذلك — تقدم سنّ مختلفة لإقامة اليهود في المدينة، ذلك أن موسي — طبقًا لهذه الرواية — قد حج إلى بيت الله الحرام ومعه أفراد من بني إسرائيل، وعند العودة رأوًا في موضع المدينة صفة بلدة لم يجدوا وصفه في التوراة بأنه نحر النبي، ومن ثم فقد أقاموا في موضع سوق بني قينقاع، ثم ناقت إليه أفراد من العرب، فرجعوا على دينهم، فكانوا أول من سكن موضع المدينة (2)، وهكذا يبدو التضارب واضحًا في روافد الإخباريين، بل إن البعض منهم قد ذهب إلى أن هارون عليه السلام قد دفنه بالمدينة كذلك، وهنا تتجه الروايات إجابًا غريبًا، حيث تذهب إلى أن موسي وهارون قد خرجا حاجين أو مصممين، حتى إذا ما قدمت المدينة خاذاً من يهودة، فزلا أحد، وهارون مريض، فحفر له موسي قبرًا بحفرة، وقال: أدخل فيه فإليك مرورًا. فقام هارون فدخل في الحفرة فقبض عليه موسي الجبراب (3).

ولست أدرى كيف يخفف موسي وهارون من اليهود، أما كان الأولى أن يقول أصحاب هذه الرواية أن النبيين الكريمين قد خافا من المرافق، يخفى وأن أصحاب الرواية نفسها، فيما يوزن أن الذين كانوا بالمدينة من يهودة، فنزا أحد، وهارون مريض، فحفر له موسي قبرًا بحفرة، وقال: أدخل فيه فإليك مرورًا. فقام هارون فدخل في الحفرة فقبض عليه موسي الجبراب.

(1) السهيلي: الروض الأندلس 4:11/2, قنآن ابن خلدون 88/2.
(2) وفاء الأزهار 1/111, خلاصة الأزهار 156-156, الديور الدينية 224-225, علي حافظ 316/1.
(3) وفاء الأزهار 1/114-141, خلاصة الأزهار 156, الديور.الدينية 156, إبراهيم المريائي 160.
المراجع السابق ص 10-10.
يملأون السهل والجبل، وفيهم بنو هف وبنو مطر وبنو الأزرق، ثم كيف علم موسى أن هارون سوف يموت، وعلم ذلك عند ربي وحده، ثم كيف يأمر موسى هارون بدخول النبي قبل أن يموت، وأخيراً فإن قبر هارون معرف، هناك على جبل هور في أرض الله، ثم أليست هذه الرواية هي رواية التوراة - كما جاءت في سفر التكوين (12:20-23) - وإن غير أصحابنا الإنجيليون فيها، فإن جعلوا موت هارون على جبل أحد في المدينة المنورة، بدلاً من موتها على جبل هور في أرض الله، وإن كانت رواية التوراة حصلت ذلك بحري من الله لموسى، وإن انحرفت عن الباحة من الصواب بعد ذلك، فجعلت الموت إذا كان سبيه العصيان(1).

ومنها (سابقاً) أن سكن اليهود في بور - طبباً هذه الرواية - بعد جداً، بحائصية إذا ما تذكرنا أن موسى عليه السلام قد خرج بين إسرائيل من مصر حوالي عام 1214 ق.م(2) - ولا أقول في عام 1447 ق.م، كما ترجع بعض الآراء(3) - وهكذا من يذهب إلى أن الخروج إذا كان في خليج عام 1560 ق.م(4)، طبباً التي تربط بين اليهود والمسكوس(5).

ولعل سؤال البالغة الآن: إذن ما هو أصل هذه الروايات التي جعلت موسى عليه السلام يرسل رجلاً إلى المدينة المنورة يقضى على سكانها؟ ومن أي جاء به الإنجيليون؟

---
(1) J. Finegan, op. cit., P. 117-118.
(2) J.A. Jack, The Date of the Exodus, 1925.
(3) A. Lods, op. cit., P. 128.

---
الرأي عندى أن مصدرها التوراة، وأنها وصلت إلى الإخباريين محرفة حتى، ثم أفترض بعد ذلك مصدرين لها من قصص التوراة، الواحدة قصة موسى والملائكي، والآخر قصة شاؤول والعمالق، وأن المؤرخين المسلمين لم يطلعوا حتى على أي من القصصتين في التوراة، ومن ثم فقد نقلوا عن مصادر غير علامة بما جاء في التوراة، وربما عن مسلمة أهل الكتاب، وعلى أي حال، ففي الأولى نرى رب إسرائيل يأمر موسى بالإنقام من الملائكي، ومن ثم نرى الجيش يخرج إلى ميدان يقتله الذكور منهم، ويسي النساء، ثم ينهب المواشي وينحر الحنون، ثم يعود ومعه الغنية وكل النهب من الناس والبهائم، يخرج إليهم موسى غضبانًا، مهدداً ثائرًا، أمرًا إياهم (1)، وهكذا يأتى كابنوا التوراة - المتناولة الآن - إلا أن وصفوا موسى عليه السلام، حريصًا على قتل رجال ميديان، فضلًا عن السبايا من نسائهم، والذين لم يبلغوا الحلم من ذكورهم (2).

وفي الرواية الأخرى يأمر رب إسرائيل ملك إسرائيل بأن يقضي على العمالق الذين استدلوا بهم، ومن ثم فإن شاؤول صرعان ما يخرج على رأس جيشه فيبد عماليق، وإن أبقى على أجاج ملكهم، فضلًا عن خير العلم والقرآن، وأعن كل ثمانية خمسة ملوك، وهنا يغضب هبوه رب إسرائيل فيери عقومياً لصموئيل النبي، معلناً أنه قد ندم على أن جعل شاؤول مكانه لأنه خالف أمره، فلم يقض على عماليق وما يملكون، وكانت النتيجة أن ذبح ملك العمالق في الجبال، ورفعت بركة رب إسرائيل عن شاؤول وأعلنت لواحد من يهود من غير بيت شاؤول (3).

---

(1) عدد 31:18-18
(2) أشار كابابا «إسرائيل» من 78-69
(3) التوراة، ص 38
(4) التوراة، ص 435:1-10
---

جـ 443-
ولا ريب في أن كل أسفار التوراة هده ليس لها حل من حقيقة، وإنما هي روايات سجلها يهود الأسر البابلي (586-539 ق.م)، وبعد حدوثهما بقرون وقرون، وعلل في بعد الشقة ما بين وقوع الأحداث وتسلسلها ما يشع في هذا الخلط العجيب، بل ما يشع في المنازل والتفاصيل بما ارتكبت بهؤلاء من مجاز، لم يكن لها من أساس إلا في أذهان مؤلفتها، الذين شهدوا بربرية الأشوريين والبابليين، فخيل إليهم أن أسلافهم مارسوا نفس اللون من القهر والإذلال (1).

ويبقى بعد ذلك سؤالنا: مي أين اليهود إلى يرب؟

في الواقع إن الآراء المتضاربة في هذا الأمر إلى درجة أنها لا تستطيع التوفيق بينهما، إذ تذهب بعض الآراء إلى أن ذلك إذما حدث في القرن الثالث عشر ق.م (2)، بينما تذهب آراء أخرى إلى أنه إذما كان في القرنين الأول والثاني بعد الميلاد (3)، وإنما ربما كثرت بعد شمس، قد يصل إلى حوالي أربعة عشر قرنًا، ومن هنا كانت الصغرية في التوفيق بين هذه الآراء المختلفة أحياً، والمتضاربة أحياً أخرى.

لقد رأينا من قبل كيف أن بعض الروايات إذما تذهب إلى أن وجود اليهود في يرب، إذا كان منذ أيام موسى عليه السلام، ورأينا كذلك كيف أن هذه الروايات لا تستطيع حتى أن تقف على قدماها، ومن ثم فإننا نتبع إلى رواية أخرى تذهب إلى أن اليهود إذما قدموا على أيام داود عليه السلام (1000-960 ق.م) (4).

---

(1) نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم 2/377.
(2) رواف الورق 17/111; الرسم الفن 16/2، أبو الفداء 138/5، حافظ 84/8.
(3) ابن خلدون 3/86-87 (السهم الأول)، 286-287 (السهم الثاني)، 116/1، 116/9.
(4) I. Epstein, op. cit., P. 35.
Josephus, The Jewish War, II, 18, 1, 3-4.
O'Leary, op. cit., 173
IC, III, P. 170
W. F. Albright, op. cit., P. 120-122
G. Roux, op. cit., P. 454
الإسرائيليين - فيما يرى البعض - قد خلعوا طاعة داود وانضموا إلى ولده 
أيشالومم، وأن النبي الكريم قد جاء إلى أطراف الشام، ثم حَقَّ بخير وما إليها 
من بلاد الحجاز، ثم أعد المدة لاستعادة ملكه فحارب ولده وانتصر عليه، ثم انتهى 
الامر بقتل أيشالوم على يد قائد جيش داود، فضلًا عن قتل عشرة آلاف 
من بني إسرائيل (١)، ولعله بذي، ويتجه نفس الإبله، وإن رأى أن الأمر كان 
معملًا في هجرة سبتمبر قبل أيام داود (٢)، ومن ثم فلمجره لا علاقة لها 
بداود - الأمر الذي ناقشناه من قبل - 
وعلى أي حال، فإن رواية الأخبارين للفتوة الذكر، لا تعدوا أن تكون تحريفًا 
لأحداث جأت في التوراة، حيث تروى أن أخبارات أيام داود قد تميزت بعدة 
ثورات، امتدت حتى إلى أهل يهود، ومنها ثورة ولده أيشالوم الذي نجح في أن يُذكَر 
إلى قبائل إسرائيل الثاقبة ضد أبيه، دون سبب ندرره على وجه الاقتباس، ثم 
أيشالوم من خلع أبيه، ونصب نفسه ملكا على إسرائيل في مكانه، مما أضر 
دارد إلى أن يذهب إلى «فتحين» في شرق الأردن، حتى لا يفاجأ بأيشالوم وأنباه 
في أورشليم، إلا أن تصرفات أيشالوم المخيبة مكنت دارد من استعادة وراء بعض 
النشاطات الإسرائيلية القوية، والإنتصار على أيشالوم وتغلبه كذلك، على الرغم من 
أوامر داود الصريحة ب└حده بعدم قتله، مما أدى إلى حزن داود المرير على ولده (٣). 

وهجذا يبدو واضحًا أن الأخبارين لم يبلغوا أكثر من نقل القصة التي روتها 
التوراة، وإن غيروا فيها بما يجلب اليهود ينضم إلى بلاد العرب على أيام داود عليه 
السلام، بل إن هناك من يذهب به الخلايا إلى أن برى أن داود قد غزا يرب، 
وكان يسكانه صنع وفاح، وأنه قد أخذ من سكانها مائة ألف عذراء، وأن الله قد 

(١) تاريخ ابن هليودن، ١٠٧/٢، وفاء الأ ث /١٥/١١-١١-١٩٩٤، خلاصة النوايا ص.١٥٧. 

(٢) سؤول ثان ١٣:١٩، ف.ب. ب .ب. م.ث ١٥:١٨-١٨-١٩١٣:٢٢٠، مثا، وثات 
M. Noth, op. cit., P. ٢٠١-٢٠٢.
سلط الدود على أهل يترب بعد ذلك فأهلكهم، ثم دفنا في السهل والجبل في ناحية الجوف.

غير أن أصحابنا الأخباريين لم يقولوا لنا ماذا فعل النبي الأواب بهذه المائة ألف من عذراً يترب، فضلاً عن السبب في سبئهم، ولم يصح أن يترب كان بها في تلك الآونة من القرن العشرين قبل البلاد المائة ألف من العذرا؟، ثم وحل صحيح كذلك أن الله قد أهلك أهل يترب جميعاً، وأخيراً ماذا فعل هؤلاء الناس ليصب عليهم داود نفسه إلى هذا الحد؟، وهكذا يبدو لنا بوضوح ما في هذه الرواية من بعد عن الصواب.

وهكذا فريق ثالث يذهب إلى أن اليهود إذا قاموا إلى بلاد العرب في القرن الثامن قبل الميلاد، بعد سقوط السامرة - عاصمة إسرائيل - في أدي الأخشيون عام 722 ق.م، وليس من شك في أن هذا الإنجاز قد تأثر إلى حد كبير بسقوط السامرة في يوم ما من شهر ديمير عام 722 ق.م، وأن العاهل الأخوري سرجون الثاني (722-600 ق.م) قد هجر أكثر عناصر السكان أهمية، ورداً النبلاء والأشواط، غير أن الهجرة إذا كان - طبقاً لرواية التوراة (1) - إلى «حلاف وحور ودبود مادي»، وحين تكررت العملية في عام 720 أو 715 ق.م، فإن العاهل الأخوري قد جاء بقوم من بابل وكوتوت وحماة»، ومن سرسة وعلام، فضلاً عن قبائل مادو (تامور) ومرسيمان وغبنيا، والعرب الذين اعتجت في الصحراء وأسكنهم في السامرة، وذلك رغبة من العاهل الأخوري في كسر التحالفات القديمة.

(1) A. Guillaume, Islam, 1964, p. 11.
(2) A.T. Olmstead, in AJSL, 47, p. 262.
(3) A. Leo Oppenheim, in ANET, p. 284
(4) J. Finegan, op. cit., p. 210

ملكيًا ثان 6417.
في سوريا وفلسطين ، بإدخال أجانب إلى البلاد (1) ، وهكذا يبدوا واضحًا أنه ليست هناك أي إشارة في التوراة أو في النصوص الآشورية إلى تهجير يهود من السامرة إلى بئر ب ، وفي غيرها من بلاد العرب ، ومن ثم فإن المؤرخين يرفضون هذا الإتجاه.

وهناك فريق رابع يرى أن هجرة اليهود إلى بئر ب، إذا كانت بعد سقوط اليهودية وتدمير الهيكل في القرن السادس قبل الميلاد ، على يده نبوخذ نصر في عام 586 ق.م ، distribution المبكر (2) ، وربما في أغسطس 587 ق.م ، وإعداد أكبر من اليهود إلى بابيل ، وهو ما عرف في التاريخ وباقي القرون (3) ، وعندما قُتل يهود يهود وجدلية نائب نبوخذ نصر في أورشليم (4) ، أدركوا مدى الكارثة التي حلّت بهم ، وخوفًا من انتقام العاهل الياباني ، فقد كان الهروب إلى مصر هو سبيل النجاة الوحيد أمامهم ، وقرا في التوراة في قلّام جميع الشعب من الصغير إلى الكبير ورؤساء الجيوش وجدوا إلى مصر ، لأنهم خافوا من الكلدانيين (5) ، مرة أخرى ليس في هذه الأحداث إشارة إلى هروب يهود إلى بئر ب ، كما تذهب الروايات العربية (6) .

على أنّه في هذه الاضطرابات ، لا يمكننا القول إن مصر كانت هي سبيل النجاة الوحيد أمام اليهود — كما تقول التوراة — ومن ثم فربما فريق من يهود إلى وادي العرب ، وإن كاننا لا نستطيع — بحال من الأحوال — أن نقول أنهم قد ذهبوا إلى بئر ب

(1) A.L. Oppenheim, in ANET, P. 260
(2) S.A. Cook, in CAH, III, P. 385
(3) C. Roth, A Short History of the Jewish People, P. 28-9.
(4) تاريخ اليهود في مصر ، أبو النداء ، 1/3 ، الإنجليز ، 194/1941 ، الروض الأئل ، 12/12
(5) إ. دوسي، op. cit., P. 135
(6) A. Guillaume, op. cit., P. 11
بالنهاية، ولعل الذهاب إلى تيماء وإلى وادي القرى ومجاوراتها، ربما كان أقرب إلى الصواب من الذهاب بعيداً إلى بئر، ذلك لأن الطريق إلى الحجاز لم يكن مقصداً أمام يهود في تلك الفترة، بخاصة وأن اليهود كانوا هاربين من فلسطين، يبحثون عن ملجأ يقيهم شر العذاب الذي يمكن أن يصب عليهم العاهل البالي، والحجاز أقرب المناطق إلى فلسطين، كما أن وجود بعض من يهود على طريق التجارة بين جنوب بلاد العرب وشمالها فيما بعد في العصر الروماني، قد يدعم الرأي القائل بوجود هجرة يهودية إلى بلاد العرب منذ تلك الفترة.

غير أن حملات اليهود المتكررة بعد ذلك على شمال بلاد العرب، فضلاً عن استقرار بئرية في تيماء، ولدها قد تقرب من سنوات عشرين، كما أشارنا من قبل، قد يضعف هذا الإنجاه، ورغم أن هناك من يذهب إلى أن حملة بئرية على بلاد العرب قد ضمت بين رجاءها بعضًا من يهود، وأن هذا النصر من يهود، إما أقاموا في شمال الحجاز، وحتى بئر، إقامة دائمة استمرت حتى ظهور الإسلام، فإن العاهل البالي لم يشر أبداً إلى عناصر يهودية في جيوشه، أو أنه قد أسكن يهود في تلك المناطق، كما أننا لا نملك من الأدلة ما يؤيد وجهة النظر هذه.

وهناك فريق خامس يذهب إلى أن وجود اليهود في بئر إما يرجع إلى القرن الأول والثاني بعد الميلاد، وليس من شك في أن الأدلة التاريخية، إنما هي في جانب هذا الإنجاه أكثر من غيره، ولعل من أهم هذه الأدلة أن الظروف السياسية التي كانت يهود تميز بها في تلك الفترة، بعد أن نجح الرومان في السيطرة على سوريا ومصر في القرن الأول ق.م، وعلى اليهودية ودولة الأنباط في القرن الثاني بعد الميلاد، قد ساعدت هذه الظروف على هجرة أعداد من يهود إلى شبه الجزيرة العربية، التي كانت بعيدة عن السيطرة الرومانية، فضلاً عن أن بلاد العرب إذا كانت ما تزال في بداية تشبها ما كان عليه اليهود إلى حد ما، هذا إلى أن اليهود أنفسهم إذا كانوا

A. Guillaume, op. cit., P. 11.

إسرائيل وفلسطين: تاريخ اليهود في بلاد العرب ص 6، وكذا.

848
يُنظرون إلى العرب على أنهم من ولد إسماعيل، بما أنهم - أي اليهود - من ولد إسحاق، فهم جميعًا إذن من نسل إبراهيم الخليل عليه السلام، وبالتالي فهم من ذوي رحمتهم، ولهم صلى من قربى، هذا فضلًا عن أن أمر هروب اليهود إلى أثول الحجاز ودخولهم إليه أمر سهل مسبر، فالأرض واحدة وهي مصلة، والطرق مفتوحة مطروقة، ولا يوجد مانع يمنع اليهود، أو غير اليهود، من دخول الحجاز، ولا سيما أن اليهود كانوا خائفين، فارين بأنفسهم من تلك الرومان، وأقرب مكان مأمون إليهم هو الحجاز (1).

غير أن النجدة الحقيقية إذا كانت بعد الثورة اليهودية ضد الرومان، ثم إحدام هذه الثورة أضحت العنف وأفخم أنواع التدمير على يد الرومان في عام 70 م، حيث دمرت المدينة المقدسة، وأحرق المعبد اليهودي الذي بناه هيرودس، إزاءً تعادل والسماح، حتى أن القروم نسوا بعد حين من الدمار، فإن كان المعبد قد بني على التل الشرقي أو الغربي من أورشليم، وحتى أن محاولة بناته اعتنادًا على وصف النوراة، فقد نشلت نهائياً، كما معقِبة السكان من مجرد الإقتراب من أورشليم، ومن ثم فقد هاجرت مجموعات من السكان إلى بلاد العرب، ووصلت إلى يربع.

غير أن الثورة سرعان ما تجددت مرة أخرى على أيام هيريكان، فيما بين عامي 132 م، وانتهت الثورة إلى القضاء تماماً على اليهود، كبايام سيامي في فلسطين، وتغيّر اسم المدينة المقدسة (القدس) إلى هليا، كما أن مزاحمية، وتحول المعبد اليهودي إلى معبد للروماني جيتر، ثم بعث النساء اليهوديات كإمام، وضاع اليهود في غياض التاريخ، وسرعان ما فر من أسدده الحراد فنجا إلى مكان يحتوي به من خصبة الرومان القاسية، وكان من هؤلاء المحظوظين فرقت من يهود وصلوا إلى يربع، وكان هؤلاء - إلى جانب من وصلوا بعد تدمير القدس على يد يوشع - هم الذين.

F. Altheim and R. Stiehl, op. cit., II, p. 74
O'Leary, op. cit., p. 173.
كونوا الجالية اليهودية في شمال الحجاز، وفي يرب بصفة خاصة، وزاد عددهم بمجرد الزمن، حتى إذا ما ظهر الإسلام كدان معظم مكان وادي القرى إلى يرب من اليهود، هذا وكحال في الحجاز، وفي مواضع أخرى من أرض الأنباط، كميات نبطية، يرجع بعضها إلى القرن الأول الميلادي، وبعضها الآخر إلى القرن الرابع الميلادي، وردت بها أسماء عبرية تشير إلى أن أصحابها من يهود.

وتؤيد المصادر العربية هذا الإتجاه، فذكر أنه لما ظهرت الروم على يدي إسرائيل جميعاً بالشام فطوفواهم ونكرحوا فساههم، خرج بئر النصير وبي قرية عبر هدل (هدا) هارين إلى من بالحجاز من يهود، فلمما فصلا عنهم بأخلاقهم اتبعهم الروم فأعجزوهم، وكال جند الروم في المفاوض والسدادي الخليفة من الماء، وهذى الروايات مأخوذة عن يهود المدينة أنفسهم، ثم أخذت جموع اليهود في الجزيرة العربية تزداد وتكبر بعد اضطهاد الروم لهم، ثم قصد بئر النصير وقريته منطقة يرب، وارتادوا حتى تخبروا أخصب نبأها فسكنوها.

وهكذا سكنت جاليات يهودية منطقة يرب، والطرق المؤدية إلى الشام، وإن تركزت كل اليهود الكبرى في يرب بالذات، حيث كان فيها ثلاث قبائل، ربما بلغ عدد رجالها البالغين أكثر من أربعين، وهي قتاق (4)، والنمير وقريطة، إلى جانب قَلِب يَجِيّ : المراجع السابق ص 375-376، وكذا

Josephus, The Jewish War, II, 18, 1, 3-4.
J. Horovitz, Judeo-Arabic Relations in Pre-Islamic Times, IC, III, 1929, P. 170.
(5) الأغلبي 95/2, ابن خلدون 287/288, وفا لزنا 113/1, إسرائيل ولفنن : المراجع السابق ص 90, 10, أحمد إييب:E:| إر جالد ص 207. (6) برى وألبي، أن بئر نيرعت إما عرب مماليك، أو من بئر أدوم (1731), وزنات من مواقعهم من الرومان، بلالانه، وunix علاقتهم مع هذين من بئر قريته وبي cineer، واشار كي بيد بئات (ابن كثير 4/2، المقدسي 195/1، ابن خلدون 237/2، ابن بحاص 724، المعرف ص 94, تاريخ الطبري 972-973, إسرائيل ولفنن : المراجع السابق ص 124, 126-131.)
بطون وعشائر يهودية أخرى، ذهب الأخبار إلى أنها بلغت أكثر من عشرين
بطلاً، منهم بنو عكرمة وبنو مهمر وبنو زعيرا وبنو الشفيدة وبنو جشم وبنو بدل
وبنو عرف وبنو القصيص (العفص) وبنو ثعلبة.

وهو هناك من يرجع نسب بنو النصير في قريطة إلى طبقة الكهانة سلالة
هارون عليه السلام، وأمه بقية يهود بلاد العرب، في بعضهم يرجع إلى نسب طبقة
الكهان، وبعضهم الآخر إذا ينتمي إلى نسل الأسباط العشرة المنقودة.

غير أنا لا نستطيع أن نوافق على هذا الانعكاس، فقد لأن الأسباط العشرة
والذين كانت تتكون منهم دولة إسرائيل التي قامت عقب انشقاق الدولة عهد
مروت سليمان في عام 922 ق.م، إلى إسرائيل وعاصمتها السامرة، وبوذا وعاصمتها
أوريشليم (1) - إما ضاقتوا في غياه التاريخ بعد الاحتلال الأموي للسامرة في
عام 722 ق.م، ثم قيام سرجون الثاني تهجير أكثرهم إلى مناطق أخرى من
الإمبراطورية، ثم نزل بقبائل أخرى من بابل وعيلام وسوريا وبلاد العرب، لتحل محل
الإسرائيليين المسلمين، ثم أسكنهم في السامرة ومجاراها، ومن هذا الخليط
الجديد ظهر في التاريخ ما سمي بالسامريين (2).

وهكذا وضع سرجون الثاني نهاية لكيانهم كاملاً، وأنهى وجود الأسباط العشرة
كدولة، ولم يقدر لهم العودة مرة أخرى إلى المنطقة التي أجذوها غيلة وعاصباً من
أصولها، ثم سرعان ما اندمجوا مع غيرهم من السكان الأصليين في المناطق التي

---

(1) عبد الوهاب/11/11-116/11، ابن هشام، 209/19، الأفغاني، 231/12، إسرائيل وفلسطين: المرجع
السابق، ص 114، أحمد إبراهيم الشريف: المرجع السابق، ص 294-295، جواب على 2/244.
O’Leary, op. cit., P. 173
C. Roth, op. cit., P. 23.
C. Roth, op. cit., P. 28-29.
The Book of Jewish Knowledge, 1904, P. 120.

(2) ملوك أوا/11/111-111-11، ملوك ثقاب 455-560، وكذا
M. Noth, op. cit., P. 58
W. K. R. Clark, op. cit., P. 75.
أجبروا على الإقامة فيها، وليست هناك أي تحذير على أن بلاد العرب كانت ضمن هذه المناطق، وإن ذكرت نصوص العاهل الأشوري أن من بين من أتى بهم إلى السامرة قبائل من بلاد العرب (1) - كما أشارنا من قبل - فهل أي سرجون يجوز من الأسباط العشرة في مكان هؤلاء المهجرين من بلاد العرب؟ هذا ما سكت عنه النصوص تمامًا، ومن ثم فإننا لا تستطيع القول بأن بعضًا من يهود بلاد العرب كانوا من الأسباط العشرة.

وعلى أي حال، فإن فريق من المؤرخين إذا يذهب إلى أن يهود بلاد العرب، إنما هم عرب تهودوا، وإن لم يكونوا مزودين بمعلومات كافية في التوحيد، وأنهم لم يكونوا خاضعين لقانون التمود كله، حتى أن بعضًا من يهود دمشق وحلب في القرن الثالث الميلادي أنكروا عليهم يهودتهم، وإن كانوا مع ذلك شديد التمسك بدينهم (2).

هذا ويذهب فريق من المؤرخين إلى أن بني التلبير وبني قرينة قرعان من قبيلة جذام العربية، تهودوا وسموا باسم المنك الذي نزلوا فيه (3)، وطبقاً لرواية الأخبارين، فإن هؤلاء جبل بن جوال، من بني ثعلبة بن معد بن ذبيان، قد تهودو وقومه، وعاش مع بني قرينة حتى ظهور الإسلام، ثم هداه الله إلى الدين النورم (4).

ويكد يجمع المؤرخون على أن يهود بلاد العرب إنما هم من يهود فلسطين، وأيهم قد تركركوا فيما بين عامي 70 - 135م (5)، كما أشارنا من قروناً وربنا إلى...

A.L. Oppenheim, ANET, P. 286.

(1) إسرائيل وفينو: الرجع السابق ص 124، 73 حسن إبراهيم: الرجع السابق ص 32.
D.S. Margoliouth, op. cit., P. 60.
H. Lammens, op. cit., P. 66, 81.
Graetz, History of the Jews, III, P. 51, 75.

(2) تاريخ البغدادي ص 26/2 399، وكدًا.
(3) ت집 علي 5/1563، وكدًا التاسعة 132/6 وما بعدها (رمي) 1071.
(4) O'Leary, op. cit., P. 173.

452
أن يهود بني التضير وبني قريظة من نسل هارون(1) ، وأن يهود الطبان اليهودية من أسباط بني إسرائيل الآخرين(2) ، وأن يهود خيبر من نسل يهود داب بن راكب ، وأنهن قد هاجروا إلى خيبر بعد خراب الميكل الأول في عام 867 ق.م. ثم بقوا فيها حتى عهد الخليفة الراشد عم بن الخطاب (442-444م) ، وأن كلمة خيبر كلمة عربية بمعنى الطائفة والجماعة، ويَعَيْنُ المقص، وهو نفس الرقم الذي ذهب إليه الأخباريون، وإن نسبوا إلى رجل دعوه خيبر بن قانية بن مهلايل ، وأي فيه البعض بشطيا بن مهلايل من بني فارص(3) ، على أن هناك من يفسرون بمعنى مجموعة من المستوطنات ، وإن رأى أن اللقبة عربية(4) .

على أن الاستدلال بحث لنرى على جنسية يهود بلاد العرب ، طبقاً لما تشير إليه الأسماء التي يحملها اليهود -قبائل وأفراد- لا يمكن أن يعدوا به أو يعول عليه ، فمن الحق أن بعض أسماء القبائل اليهودية عربية محضة ، ولكنها لا تدل على أنها عربية الجنس ، إذ يمكن أن تكون جميع اليهود التي هاجروا إلى بلاد العرب ، قد اتخذت أسماء الأماكن التي نزلت بها أسماءها ، بل إن الواقع إما يدلنا على أن اليهود كانوا قد تركوا منذ أمد طويلة الإنساب إلى قبائلهم ، وأصبحوا يعرفون بأسماء القرى والأقاليم التي جاءوا منها ، فكان يقال بلاد الأورشليم أو بلاد الخربزني ، وهكذا ، ومن ثم فالطبية المثنى - فيما يرى إسرائيل ولفتنون - إما هي النظر في الأخلاق والتقاليد ، واتجاه الأعمال والأفكار ، وهنا ضرور تجد أن يهود بلاد العرب

Graetz, op. cit., P. 56
D.S. Margoliouth, op. cit., P. 59.
Freidlander, op. cit., P. 254
الملك ثان 10 28-8/1 البكري 1/1 52/2 تاج الموس 198/3 زاد المعاذ 133/2
Graetz, op. cit., P. 56
J. Hastings, op. cit., P. 784
R. Dozy, op. cit., P. 136
G. Weil, Mohammed der Prophet, P. 185.
يهودا أكثر منهم عربا، هذا إلى جانب أن فكرة إقامة الحصون والآطام على قمم الجبال في شمال بلاد العرب، إنما أتي اليهود بها من فلسطين، حيث تذكر هناك الحصون المنيعة في الجبال.

أضاف إلى ذلك القرآن الكريم إما وجه الخطاب إلى اليهود بتعيين حاصل في إسرائيل، ونعي عليهم ملك اليهود الأدنى مع مويسٍ والأبناء من بعد، وما كان منهم من عجز وإحرام وكفر وتكذيب وغدر، ونقض للشريعة وتحرير الكلام عن مواضعه، وأخذهم الربا وقد نُهدى عنه، وأكلهم أموال الناس بالباطل، وذلك في صدد التشنيع موقفهم من النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وفي كثير من الآيات جعل اليهود المعاصرين والقديمي موضوع خطاب وسياق وسلسة واحدة، حيث يوجه الخطاب إلى بني إسرائيل أو إلى اليهود بصورة المخطاب القريب، ففيما كان من الأدنى وما كان من المعاصرين وأسلوب يرجى أن يقصده به تقرير الصلة النسبية بين هؤلاء وأولئك، وربط ما بدأ من أخلاق المعاصرين ومواقيهم بما كان من أخلاق القدامى، كان الجميع يصدرون عن جزء واحدة وأخلاق متواضعة، وإذن: فتوجه الخطاب في القرآن الكريم إلى يهود يترقبون في إسرائيل، ينزع الترجيح، بل الجزم، بأن اليهود الذين كانوا في الحجاز، بصفة عامة، هم نازحون وأنهم إسرائيليون، وأنهم ليسوا قبائل عربية هودودت، وإن كان هناك عرب هودوا، فإنهم لم يكونوا جماعة محسومة، وليسوا إلا أفرادا

على أنه يجب أن يفهم من هذا كله، إن كل يهود بلاد العرب من أصل يهودي، فهناك الكثير من العرب المهودين، ولا سيما القبائل اليهودية المسمى بإسماء عربية أصيلة، لها صلة بالوثنية، مما يدل على أنها إنما كانت وثبة قبل أن تنهرد، وهناك الكثير من البطون العربية التي تهودت، فقد تهود قوم من الأوس والخزرج بعد

---

1. إسرائيل يهود و فلسطين: المراجع السابق مص 1-15.

---

404
خروجهم من اليمن لجوارهم يهود خيبر وقرية والنصير، ونهر قوم من بني الحارث بن كعب، وقوم من خسان، وقوم من جذام، وقوم من وبيل، فضا، عن أن هناك ما يشير إلى أن المرأة المفلات في الجاهلية كانت تتنز إن عاش لها ولد أن تهرب، ومن ثم فقد تهرب بعض منهم، فلما جاء الإسلام أراد الأنصار إكرام أبنائهم عليه، فهناه الله عن ذلك، حيث يقول سبحانه وتعالى: لا إكراه في الدين قد بين الرشد من الغي، كما أن اليهود قد عملوا على التبشير بدينهم بين العرب إلى حد ما.

(3) العرب:

يروي الخبراء أن أجدائل العربية من أوس وخزرج، قد هاجر من اليمن إلى يثرب على خير، حادث سبل الربع، وهكذا في يثرب وجدت تلك القبائل أن الأموال والآثار والخيل في أراضي اليوم، ففضلًا عن العدد والقوة، تماشأ الأوس وخزرج مع اليهود، وعقدوا معهم حلفًا يأمن به بعضهم إلى بعض، ويتعمن به ممن سواهم.

وهكذا فان هجرة أوس وخزرج إلى يثرب، إما كانت، طبقاً لرواية الخبراء، بسبب سبل الربع، الأمر الذي لا يمكن تحديد زمانه بهره، ذلك لأن مارب إذا

---

(1) تاريخ العثماني 5726، جزء 6، ص 257.
(2) Graetz, op. cit., P. 408.
(3) أديان العرب في الجاهلية، ص 201، إن إسرائيل والبيزنطيون: المراجع السابق ص 488، السن الكبري للمحيطي، ص 189، ابن أبي داود، إنسا، ص 8/76.
(4) تفسير الطرفي 7/289-293، تفسير روح المائي: 13-15، تفسير ابن تيبر، أهل الساحر: 189-190، تفسير ابن كثير، 31-120، تفسير ابن كثير، 31-120.
(5) تفسير الكشاف: 387-389، في طول القرآن، تفسير الأديب، الدور الأول في الفن، مثلاً.
تهم عدة مرات خلال الفترة الطويلة التي مضت منذ تشيهده في منتصف القرن السابع ق.م - وربما الثامن ق.م (1) - وبين آخر مرة أصلح فيها السد في عام 434 ق.م (2) على أيام أبيرة الحشى طبقاً لما جاء في نصي (جلامر 1816) و (418) CIH، إذ أن هناك عدة إشارات إلى تهدم السد وإصلاحه، منها ما حدث على أيام هشام، عندما تهدم السد ضد موضع يهيرعش (3)، ومنها ما حدث على أيام إدريس يهتم، عندما تهدم السد عند موضع حببس (4)، وأن القوم قد كتب لهم نجاحاً كبيراً في إصلاحه (5).

وعلل التهدم الذي حدث على أيام هشام، شرح بالتحليل في القرن الخامس الميلادي، وإنما كان واحداً من أشد تهديمات السد خطورة، لأن آثاره تعددت الآثار الجانبية، إلى هرب سكان المنطقة إلى الهضاب والجبال، ثم هجرتهم من هذه المنطقة إلى أرضين أخرى، ربما لأنهم كان بسبب كوارث طبيعية، كالزلازل والبراكين، وليس لمجرد سقوط أعطاب غصيرة، ومن ذلك فقد نجح القرم بعد كل هذا في تحديد بناء السد وترميته، على مقدرة من ورحب، عند عوران، فضلاً عن حفر مسالن للسياحة، وبناة القواعد والجدران، كما أشروا من قبل، وقد تم ذلك في عام 1449/1050 هـ (6).

(1) جراء على وجيز مؤيد العظم، المراجع السابق من 88.
(2) مراعاة، وكراد، وكراد.
(3) F. Altheim and R. Steinh, op. cit., p. 587.
(4) D. Nielsen, op. cit., p. 79.
(6) A. Sprenger, op. cit., p. 31-126.
(9) Le Musée, 1964, 3-4, P. 491-498.
(10) A. Jamme, op. cit., p. 176.
(14) A. Sprenger, Die Alte Geographie Arabiens, Berlin, 1875, P. 13, 20, 28.
وأهوذا يبدو بوضوح أن تحديد تاريخ ميعين لخزرب سد مأرب، وهجرة التباقر العربية من اليمن إلى وسط بلاد العرب وشمالها، أمر لا يمكن – على نحو معلوماننا الحالية – أن نقول فيه كلمة تظن أنها القول الفصل، أو حتى تُقَبَّل من هذا القول، وأن الأمر ما يزال في مرحلة الحدس والتخييم، حتى تقدم لنا الأرض الطبية في اليمن أو غيرها، ما يثير أمامنا الطريق.

ولما الروايات العربية، فإن ضعفها منها إنما يشير إلى أن ذلك إنما قد حدث قبل الإسلام بأربعة قرون، بينما يشير البعض الآخر إلى أن تلك الهجرات إنما تمت في القرن الخامس الميلادي، وعلى أيام سعد بن ثان أسد (1) على أن هناك فريقا ثانيا إنما يُقْرَج أخبار القرن الرابع الميلادي، ومعتمداً في ذلك على نسب سعد ابن عابدة الخزرجي، وجعله مقبلاً للزمان الذي ربما تكون الهجرة ممت فيه، فنسب سعد – طبقاً لرواية النسابين – إنما هو سعد بن عابدة بن دليم بن حارثة بن أي خزرجية بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج الأصغر بن سعدة بن كabis بن الخزرج الأكبر بن حارثة (2)، فمن سعد إلى الخزرج الأكبر أحد عشر جيلاً، وإذا أفزعتنا أن الفرق بين كل جيلين خمسة وعشرين عاماً، كانت المدة بين الهجرة النبوية الشريفة (في عام 622م)، وبين الخزرج الأكبر، حوالي مائتين وخمسة وسبعين سنة، أي أن هجرة الأيوس والخزرج، ربما كانت في أخبار القرن الرابع، (3) هذا ويحدد وسديرو هذه الهجرة بعد 500م، ثم الإستيلاء على المدينة في عام 947م (4)، وأما أن تهدم السبل كان بسب أو جزء مخالب وألباب من حديد، (5) فذلك}

(1) ياقوت 1295، جزري زيدان: العرب قبل الإسلام ص155، وانظر: القفص التابع من كتاب
(2) دراسات في التاريخ القرآني
(3) أحمد إبراهيم الشريف: مكة والمدينة في الحالية وعرضا رسول ص 315
(4) لويس أبيل سديرو: تاريخ العرب العام، ترجمة عادل زيتي ص355
(5) ابن خلدون 168/400، الإمام هو 1/200، ياقوت 2009، فقه الدولة 117/120، مرجب
(6) الدعوة 1124-286/3، نهاية الأيوس 288/3، الدرر النبوية ص336، الميداني
(7) 275-276، الذي: حياة الحوار الكبير 1/445

- 407 -
اساطير\: لإندور إلا في رؤوس أصحابها، ومن ثم فهي لا تعرف نصيحا من صواب، أو جانبا من منهج علمي، الأمر الذي اقتنعنا بالفصل في كتابنا دراسات في التاريخ القزالي، كما أن كيتانى قد جابه الصواب كثيرا حين أن خراب سد مأرب، إذ كان بسبع القبائل الذي أثر على السد، بل إن ضغط الماء على جوانب السد، ثم حدوث سيل العرس، إذ هو في حد ذاته لدليل على تأكد نظرية الجفاف هذه)، فضلا عن معارضة لما جاء في القرآن الكريم عن حادث السيل هذا.

على أن المؤرخين إذا يشكلون كثيرا في أن يكون السيل وحده هو سبب هجرة الأوس والخزرج، ذلك لأن السد إذا كان يسقي ربة من الأرض لم يكن مكنا لكل بطون الأرد، ومن ثم فإنه يصبح من الصعب أن تقبل القول بأن جميع البطون الأردية قد هاجرت إلى شمال شبه الجزيرة العربية بسبب انهيار السد وحده، وإنما المحتمل أن تكون هناك أسباب أخرى تعاونت مع سيل العرس، واضطرت بعض هذه البطون لترك وطنها مهاجرة إلى الأرخج الثانية.

ولعل أهم هذه الأسباب إذا هو ضعف الحكومة، فتحول الطرق التجارية، فضعف الحكومة في اليمن أدى إلى تزعم سادة القبائل والروساء، وانتشاق الزعامة في البلاد، فضلا عن المشاكلات الدينية بين أتباع النصرانية وأتباع الموسيفة في اليمن، وزاد الطين بلة أن صحّت تلك القلاقل الداخلية تدخل الحبشة ثم الترس في شتون.

I. Caetani, Studi della Historia Orientale, I.P.267, 296 وكا 296.
A. Musil, op. cit., P. 310.

(1) جواب على 244-245 وكا 296 وكا 296 وكا 296.
(3)
للمهجرين الأووس والجزر (3)

ولا يُمكن الإشارة إلى أن تكون نقل قبائل الأزرد هاجر دفعة واحدة، أمر غير مقبول، ذلك لأن خروجًا - وهي بطن من الأزرد - كانت ما تزال تحكم مكة حوالي عام 450 م، وكانت قد استمرت مدة طويلة تلي هذا الأمر - رأى البعض أنها حوالي ثلاثة قرون، ورأى آخرون أنها خمسة قرون - وهذا يعني أنها هاجرت من اليمن حوالي منتصف القرن الثاني، وربما منذ بداية القرن الثالث، في عام 702 م. (4)

وأيضاً كان الأمر، فإن الآخرين يذهبون إلى أن الأوس (4) والجزر أخرون، فهما أبناء حارة بن ثعلبة العتاء بن عمرو مزيقي بن عامر ماء السماء بن حارثة.

---

(1) جواد علي 447/1464
(2) Corpus Inscriptionum Semiticarum, Part, 4, Vol. 2, 384, 540-41, 554-64
(4) أحمد إبراهيم: المرجالي المالي، ترجمه ك. إبراهيم، 1842/2 س. 310، ودار صن راجي، 1356 هـ (جواد علي 4/1257 هـ).
الغطفان في أطراف القيس البطريرك، بين ثعلبة بن مازن بن الأرد، الذي ييسّر
نبي إلى يعرّب بن قحطان، ولكن القوم إذا كانوا يسبرون إلى أمهم وقيلة بنت
الأنقى بن عمرو بن جفنة، وهذا كانوا يدعون أبناء قيلة، مما يدل على أن
هذه المرأة إذا كانت تتمتع بشهرة عريضة، دفعتهم إلى الإنساب إليها.

وعلى أي حال، فقد أقام الأور والخزر في المدينة، وربما لم يكونوا في
أول الأمر يملكون من القوة وكثرة العدد، بحيث يخشى اليهود بأسهم، هذا ويدعو
أن اليهود قد عملوا على الإفادة من خبراتهم التي اكتسبوها منذ فترة طويلة، في مجال
الزراعة والتجارة في موطنهم القديم في اليمن، ومن ثم فقد صمموا لهم بالإقامة في
 المجاوراتهم، إلا أن وجود الرواة والسلطان في أراضي اليهود جعل الأور والخزر
يعيشون حياة قاسية، ومن ثم فقد كان الواحد منهم، إذا كان يعمل في مزارع يهود,
وإذا استغث خبرته السابقة في الزراعة، فيعمل في أرض لا تنتج الكثير من الغلال،
لأنها في غالب الأحيان إذا كانت أرض موات تترك اليهود، وفي كلا الحالتين فقد
كان القوم غير ميسر عليهم في الزرقي.

وما أن يضفي حين من المهر، حتى استطاع أصحابنا من أور وخزر أن
يكونوا أصحاب مال وعدد، أن يهود في قريتهما والتغير في أنهم لو
تركوه على حالم هذا، فقد يشكلون في وقت قريب خطراً، قد يهدد مصالح
يهود في المدينة، وربما قد يهدد القوم أنفسهم، ومن ثم فقد تتموا لهم حتى قطعوا

(1) ابن الأثير 695/1، وفاء الرواة 14/1، الملخص 3/184، تاج العرش 5/210، وفاء التفرد
الدراسات الإسلامية 150/3، جهان آدم 92، نزاع الأقباط 10/3، 24، نزاع الأقباط 4/32، مصباح
الرواة 5/121-1172.

(2) ابن حزم 1/231، اللسان 58/11، نزاع الأقباط 4/24، مصباح 44، خلاصة الرواة 1/176، النسب والإشارات السمعية 85/5، وفاء الرواة 14/124، مصباح 3/133/4.

(3) تاريخ ابن خلدون 287/2، النجاح 268، الخلاصة الرواة 1/115، وفاء الرواة 135/1.

(4) راجع السابق ص 15.
الخوف الذي بينهم، فأتمت الأروس والخزرج في منازلهم خائينين أن تجليهم يهود، حتى نجم منهم مالك بن العجلان، من بن سالم بن عوف بن الخزرج، فكان سبياً في أن يسود الحيان، الأروس والخزرج.

وأينما تجاري المصادر العربية إلى رواية - علم الله - أتانا ما كنا براغين في التعرض لها، لولا أنها - وأمثالها - قد تكررت بصورة أو بأخرى في مؤلّف وزمنة مختلفة، وفي مراجعها من القلّة مالها عند الناس، ورغم ذلك فهي لا تتعرض مع المنطلق والتاريخ فحسب، ولكنها تتعرض كذلك مع العادات والتقاليد العربية التي يعرف الأعداء بها قبل الأصدقاء، والمختلفون قبل الموقفين، فضلاً عن الحاقدين والمشتكيين في كل خلالة عربية كريمة.

ترسم المصادر العربية - دون غيرها من المصادر، حتى اليهودية - أن واحدًا دعوه الفطروان، أو الفطروان، أو الفطروان، كان ملكًا على يهود في بئر، وأنه كان جبارًا غضبًا، فاجأ قاصداً، حتى أن المرأة من الأروس والخزرج - وكذا من اليهود في بعض الروايات - كانت لا تنهى إلى زوجها حتى تنطل عليه أولاً، فتكون هو الذي يفضحها، ثم إن أختاً لابن العجلان - دعوها فضلاء - قد تزوجت الرجل من قومها، فلما كان يوم زفافها، خرجت على مجلس قومها، وفيها أخوها ملك ابن العجلان، فكشفت عن ساقيها، فغضب ملك، ولكنها رددت عليه إن الذي يراد في الليلة أشد من هذا، أدخل على غير زوجيه، وهنا أضر ملك في نفسها أمرًا، أمرًا به إلى أختها.

وهكذا ما أن ذهب السوة ففضلاء إلى الفطروان، حتى كان ملك معهن في زي امرأة، وانتظر هناك في مخالع الموسوس، حتى خرجت السوة ودخل الفطروان، فما أن أراد أن يقضي من فضلاء وطره، حتى صرعه ملك بينه فارداً قيلًا.

(1) السهمي، وفتاه الرما بأغياير دار المصلي، 1-1-1175، الدور الثانية، ص 477-478،
الأعمال النفعية لابن بيته، 765، أحمد إبراهيم الشريف، المرجع السابق، ص 475-476.
ثم ولي مارية إلى الشام، مستنديًا بأتي جبالة ملك غسان، الذي أسرع بتجهته، فتأتي في جيش كبير من الشام، حتى إذا ما وصل يرب، زل بدي حرض.

وبذابة يكتب ليهود يتوددها إلىهم ويدعوهم أن يوارونه، حتى إذا ما لبوا دعوته انقض عليه وقتلهم، ثم قال للأوس والخزرج: إن لم تغلبوا على البلاد بعد أهل هؤلاء لأحراركم، ثم رجع إلى الشام. ومنذ ذلك اليوم بدأت كفه الحرب ترجع على يهود، وأصبح الأوس والخزرج أعز أهل المدينة، فتفرقوا في عالية يرب وسافرها يبنؤون منها حيث يشاؤون. واتخاذوا الديار والأموال والأطام، غير أن يهود مالبسط غير قبل حتى بدأت تعرض الأوس والخزرج وتناوشهم، فرأى مالك أن الغلبة لم تكتمل لهم بعد على يهود، فقادهم كبدًا مشياً بكبد أي جبلة، وقتل منهم من قبل، فذلوا وقل امتانهم، وضع شمالهم على الأرض، وأخذوا بصرون مالكاً في يهم وكتانهم في صورة شيطان رجيم، وقلعوه كلاماً دخلوا هذه البع وكلما خرجوا منها، فضاً عن ذكره في شعرهم في أفتح هباه قالوا:

(1)

ولعل من الأفضل هنا أن نناقش هذه الروايات، على أنها تتكون من شقيقين، الواحد يتصل بقصة الفيطلون، وعرائس يرب العربيين، والآخر ينجز بطلب الأوس والخزرج على يرب يرب. وقد اختفت الآراء في الرواية الأولى، فانتقلت جمعة من المؤرخين على رفضها، فالدكتور إسرائيل وفنشنج يذهب إلى أن القصة ملقة، ويعتمد في ذلك على أدولف:


A M. Porcelan, op. cit., II, p. 552.

منها (أولاً) أن أصحابها لم يكن لهم إمام كاف بحياة العرب في الجاهلية، بل كانوا يعتبرون متوحشين همجيين لا يعرفون من النظم الاجتماعية شيئاً، ولا يفهمون من الآداب قليلاً ولا كثيراً، ولا يتقادون إلا ما يدعو إليه الخرق والسفاة، ولا شك أن قولنا: "هكذا ليس إلا اختياراً في قيام العرب في الجاهلية" وإنكاراً شبيهاً لما هو معروف عنهم من الألفة والغيرة وإباء الفضى والشجاعة والبسالة، إلى حد التضحية بكل شيء في سبيل المرض وحفظ الشرف والكرامة.

ومنها (ثانياً) أن يهود الحجاز إذا كانوا أصحاب دين سماوي يأمر بالمعروف وينهي عن الفحشاء والمنكر والبغاء، وليس من المنقول أن يرتبطك ملك يهودي جريمة منكرة كهذه، تناقض روح النزاهة وتخلف الإنسان عليه موسى، دون أن يوجد مقامات عنيفة وإنكاراً شديداً من شعب وإبناء جلدته، ومنها (ثالثاً) أنه لم يوجد في المدينة ملوك من يهود، ومنها (رابعاً) أن الطبري يذكر قصة تشبه هذه عن طوم وجديس.

ومنها (خامساً) أننا لا نجد صلة بين هذه القصة وبين يوم بعث الذي جاء بعدها، بل على العكس من ذلك، فإننا نستطيع أن نستنتج - اعتداداً على الأخبار التي وصلتنا عن يوم بعث - أن اليهود كانوا منتفعين بجميع حقوقهم السياسية والاجتماعية، وكانت مزارعهم وأموالهم وآمالهم كاملة غير متوقفة.

ويخلص الدكتور إسرائيل ولفتون من ذلك كله إلى أن الباعت على اختراق هذه القصة وتلقيها، إنما هو محاولة إخفاء الحقيقة في حادثة عدرا ابن العجلان، فدل أن ابن هشام، والواقدي، وصاحب الأغاني، فاؤوا أسباباً أخرى - غير حادث الفطين - لتغирование الأحوال بين العرب واليهود في المدينة، ومن ثم فالقصة - في رأية - لا تعدو أن تكون واحدة من الخرافات عند أمم الشرق في قصصهم وتاريهمهم (1).

---

(1) إسرائيل ولفتون: تاريخ اليهود في بلاد العرب، القاهرة 1927 - ص 65-66.
وذهب قلة من المؤرخين - ومنهم الدكتور عبد الفتاح شحاتة - إلى أن القصة حقيقية، وأن حكم الدكتور ولت الصليب على الخلافة والتفنن ليس عجباً، فاستي في التعريف به، وإنما الجواب حقاً محاولة إخفاء الحقائق البرية من اخلاق اليهود والعرب، ثم يقدم أده على صحة رأيه، منها (أولاً) أن العرب من أوس، وخرج لم يسكنوا على تلك الأعراض وظلم الشرف، ودروا الخطة للتخلص من الفيتنون وقثلوها دفاعاً عن شرفهم، وإذا كانوا قد رضوا بالسكن أخيراً من الدهر، فإنما كان ذلك تحت حيروت الملك وبطش السلطان، ويشهد لنا أن ما كلا لما بقتل الملك لم يسكن من ذلك علاناً، بل تنكر في زي النساء، ومنها (ثانياً) أن كون دين اليهود ينهي عن الفحشاء والمتكسر لا يمنع من أن يخرج على تعاليم الدين وبمبادئ الأخلاقي الفاضلة من ثيب هواء ويركب رأسه، ثم هل كل من يعتنقي ديناً ينهي عن الفحشاء والمتكسر مترزه عن الأيم والخطا؟ ومنها (ثالثاً) أن رواية الطبري وغيره عن أشياء هذه القصص ليست دليلة على أنها من الأساطير، وقد تكون من العادات التي شاعت في تلك العصور الأولى عند الملوك والرؤساء، ثم يصاحد الدكتور شحاته بعد ذلك عن الدرايوج إلى دعت الطبري وغيره إلى اختلاق مثل هذه القصة عن طعم وجديس، ويدفع مؤرخي العرب الآخرين إلى اختلاق قصة الفيتنون؟ ثم يجيب بعد معهائه: بأنه إذا كان المراد منها إخفاء غدر مالك بيهان اليهود، كما يزعم ولت الصليب، فذلك أمر بعيد، فذلك ليس قدماً من المناضلين، بل رجل جاهلي، النظام عنه قوة، وسفن الدماء بطولة وشجاعة

ولعل أفضل ما فعله في موقفنا هذا أن نناقل حجم الطفرين - قبل أن ندل بدلنا في الدعوة - حتى تأتي في كل منها موقف القوة والضعف، فضلاً عن جانب الختنا والصابر. لأنه وأن الطفرين يمثلان التجاون مختلفين، لا التقاء بينهما، فالآول إسرائيلي-يودي، والثاني عربي مسلم.

يرى الدكتور إسرائيل ولفسون أن أخلاق العرب تعارض قصة النبي، وهو أمر لا شك فيه حديثاً واحداً، وأن اليهود لم يكن لهم ملك في يربوع، وتلك حقيقة أخرى نوافقة عليها تماماً، كما نوافقه كذلك على أن قصة النبي تشبه إلى حد كبير قصة طرم وجدوس - كما رواها الطبري - وعلى أن يهود كانوا أصحاب دين سماوي ينهاهم عن التحشيش والمنكر والبغي.

غير أننا نختلف معه تماماً في أنه ليس من المقول أن يرتكب ملك يهود مانتفاسق روح التوراة، دون أن يجد مقاومة عنفة من اليهود أنفسهم، وسوف تحكم إلى التوراة نفسها التي يحتلها الدكتور ولفسون، أو رأياً فيما تعرض له، ولن توجَّه إلى الغزل المكشوف فيها، الذي ينتمي إلى مدرسة عمر بن أبي ربيعة، ولكل مدرسة غزيلة إباحة لا تفهم إلا بالسجد وحده(1)، كما أننا لن نوجَّه إلى ما جاء في التوراة - المتناول حاليًا - من تم بديعة ألفتته بالمصطلحين الأخيرين، والتي تصل بمثل هذه الأمور(2)، ولكننا سوف نقدم بعض الأدلة المحدودة.

تقول توراة اليهود - المتناول اليوم، وليس توراة موسي بالتأكيد - أن رؤاهن بكر إسرائيل، قد زنى يهودة، زوج أبيه يعقوب وأم أخرى دان ونفنتي(3)، ولم تحدثنا التوراة مما فعل يعقوب وبنوه إزاء تلك الجريمة الكبيرة، حتى أننا لا ندرى سبباً مقولاً أو غير مقبول للسكون بها، هذا إلى جانب مسألة أخرى تسجلها توراة اليهود - ولا أقول توراة موسي - تذهب فيها إلى أن يهوداً - رابع أبناء يعقوب - قد زنى زوجته إبنته ثاماراً(4)، وموقف التوراة هنا، هو موقفها في

(2) كتابا إسرائيل ص 67-68، ف. ب. مار : حياة إسرائيل من 345، 221، النس عيد المي، عبد النور : إسرائيل التالى الرومي ص 22، ونظر في التوراة : سفر التكوين، مسؤول ثان ، ملك أول.
(3) التوراة : سفر التكوين 5:2-24، كتابا إسرائيل ص 67-77.
(4) التوراة : سفر التكوين 12:20-22، كتابا إسرائيل ص 77-80.
بـ 540 -
الفترة الأولى، رغم أن نصوصها صريحة، في أنه: إذا اصطحبح رجل مع امرأة أبيه، فقد كشف عورة أبيه، إنما يقتلان، وكلاهما هما عليهما، وأنه إذا اصطحبح رجل مع كنثته (زوجة ابنه) فإنما يقتلان كلاهما، فقد فعلا فاحشة، دمها عليهما. أخيراً فإن التوراة التي حرم الزنا في الوصايا العشر، هي نفسها التوراة التي تنصت تمامًا عن زاني، وروتين، وربم أبيه، وزنثي، وربم ابنه، وهي نفسها التي تجذب الفتنة اليهودية. أستمر على ما ارتفعت من أن تكون محظية الملك الفارسي وشقيقته، ما دام في ذلك تحقيقا لمصلحة مبتعثة، بل قد وصل هذا التمجد بالتوراة إلى أن تفرده لها سفرًا خاصًا من أسفارها، هو سفر أستير.

وذلك مسألة ثالثة ترويها توراة اليهود - ولا أقول توراة موسى - حين تروي أن أمون، بن داوُد عليه السلام، قد أخذ أخته "ثامارا"، إلا أنه لم يستطع أن يشع منها شهوته، لأن الفتاة إذا كانت عذراء، ومن ثم فإنه يلجأ إلى إعمال الحيلة، ونشوء إن عم لها، حتى تصل الفتاة إلى مخدعه، فيراودها عن نفسها، فترفض، ومع ذلك فإنها تقرح عليه أن "كلم الملك فإنه لا يمنعني منك "، ولكن أمون يأبى إلا أن يسافرها، ولابد الأمر اقتصر على ذلك - وما أشبه وأيضا - بل إن أمون بعد أن ينال وطره منها، يأمر خادمه أن يضربها ويقطع الباب من وراءها، وهنا لا تملك الفتاة المجرحة إلا أن تقبل التراب على رأسها، ويفترض شقيقها "ابوالوم" إلى أن ينثر لعرضتها، فيقتل أمون، غير أنه سرعان ما يتجاوز كل حدود

---

(1) لاورين: 11:20
(2) لاورين: 12:20
(3) صبي جريس: المراجع اليهودي الصهيوني ص 66
(4) خروج: 20:17-18
(5) صموئيل ثان: 13:49-50
الشرف، فيثور على أبيه ويتعز من عرشه، ثم لا يترع عن أن يتهك عرضه على مرأة من عامة القوم. وفي خيمة نصبت له على سطح بيت أبيه.

ولعل الدكتور إسرائيل ولفسون لا ينسى ما جاء في توراة يهود بشأن قصة داود، وبنت تفارة أوريا الحنيف، وكيف تصور توراة قومه النبي الأواب، وقد قضى منها وطره، ثم دبأ أمر قتل زوجها في ميدان القتال، ثم ضمها آخر الأمر إلى يريد.

هذا أمثلة عن رأي التوراة فيما تعرض له ولفسون، وهو رأى لا يسر على أي حال، ونحن نؤمن بالأمان كل الإيمان أن هذه الآكاذيب قد ذمتها طعمة دابة من يهود، ومن ثم فقد لعبت أصبع التحريف توراة مؤسية على الإسلام، وبالتالي فقد بعثت نسبتها إليها، فضلاً عن أن تكون من لدن علي قدیر، فجعل الله عنها يقول المبطلون من يس إسرائيل، ويفتدى الظالمون من يهود، ومن ثم - والخال كنا قدمنا، وفيما من التصوص ما رأيناه، فلا يصح أن يتخذ منها ولفسون، دليلًا على أن من يرتدي جريمة تناقض روح التوراة، لن يجد من يهود إلا كل المقاومة، وكل الإنكار، وانطلاقاً من هذا، فإن كل رواية الفيتوش، ليس لآن مرتكيها يؤمن


أعمال بعض المفسرين تختلف كثيرًا عندما فسرنا ما جاء في سورة ص (آية 26-50) عن دار نخصص الذين اختصوا إليه على النحو الذي جاء في النص. مع أن النبي الذي ذكرت بها القصة في القرآن الكريم لا تدل صراحة على شيء من ذلك، وبه من هنا خلت هذه الآيات الكرمية بقوله تعالى: "إن له عندنا لقائي وحسن مأذب، ولا يمكن أن يكون هذا فإنه المقاومة، وهذا يرى عن الإمام علي - كرم الله ووجهه - أنه قال "لو سمعت جزاعاً أذك أن دار على السلام قارب، من تلك المرأة أهرباً، بل تلقى من وصاية، لأن ي migliori الناس ثمانًا، فذكر قائد الناس ثمانًا دوماً، بل إن النبي الذي يرى أن من قال إن نبأً روز فإنه يقتل" (أثر). تفسير الفرغلي ص 665 (طبعة الشما)؛ تفسير النصي 479-41-30، تفسير ابن كثير 68-6-43، تفسير البخاري 141-41، تفسير البخاري 707-31، تفسير البخاري 716-190، تفسير البخاري 716-190، تفسير البخاري 716-190، تفسير البخاري (نسخة على زاهي البخاري) 13-43، 432، 498.
باليهودية ويقرأ التوراة، وإنما كليهما - فيما أرى - لأنها لم تحدث أصلاً، وما أكثر ما ارتكب اليهود من جرائم يندر لها جبين الإنسانية، فضلاً عن الشرف والكرامة.

ثم هناك التلمود - وهو في نظر اليهود يقف على قدم المساواة مع التوراة - يرى أن اليهود إذا اعتدى على عرضاً أجنبياً لا يعاقب، لأن كل عقد نكاح - فيما يرى التلمود - عند الأجانب (أي الأسرى) فاسد، وذلك لأن المرأة غير اليهودية، إنما تعتبر حبكة، وعند للهادئ، ومن ثم فليهودي الحق في اغتصاب النساء غير المؤمنات، أي غير اليهوديات، لأن الزوج بغير اليهود - ذكوراً وإناثاً - لا عقاب عليه، لأن كل الأجانب إذا هم من نسل الحيوان.

وهكذا يبدو بوضوح أن الإعتماد على كتب اليهود الدينية - سواء أكانت توراة أو تلموداً - إنما تؤكد قصة الفيتنو ولا تنفيها، وإنما يمكن نفيها - كا أشرنا من قبل - عن طريق دراسة أحوال العرب وتقاليدهم في تلك العصور الحالية، وفي كل عصور التاريخ قاطبة، وحتى يومنا هذا.

وأما الدكتور عبد الفتاح شحاته، فلم يقم لنا في الواقع أدلة مقنعة تثبت هذه الرواية، وإنما أخذ أضعاف مواقفها واتخاذها حججاً له، فقيل الفيتنو - كما جاء في القصة - لا يثبت شرفاً، ولا ينفي عاراً، وإنما أن أمثال هذه القصة حدثت في أوربا في العصور الوسطى، ومن ثم فقد تكون عادة شائعة في تلك العصور القديمة عند بعض ملوك الشرق ورؤسائه، فليست حجة يحتاج بها لإثبات قصة الفيتنو، وأمثالها، ليس هناك من شك في أن ما يحدث في بلد قد لا يحدث في بلد آخر، لاختلاف العادات والتقاليدي، فضلاً عن الظروف السياسية والاقتصادية، ولست أدرى كيف قيل الشيخ الجليل أن يجعل تاريخ أوربا في عصورها الوسطى مُوحداً يحتذى عند بعض ملوك الشرق القدم ورؤسائه، والفرق بين العادات والتقاليد في

(1) أنظر مقالتي عن "التلمود"، مجلة الأسلوب، المجلد 77، الإسكندرية 1977 ص 21-25.
المثقفين كان – وما يزال – جد شائع، بل إن أمور العرض هذه قد يختلف الناس عليها في بلد واحد، وفي عصر واحد، فما أشد الخلاف حتى اليوم في كيفية معالجة هذه الأمور – خطأ أو صواباً – في صعيد مصر، في غيره من أقاليم الكيان.

وأنا عن تساؤله عن الدوافع التي دعت الطبري وغيره إلى اختلاص مثل قصة طعم وجديس وغيرها، فليس ذلك إثباتاً لها، وما أكثراً ما جاء في كتب المؤرخين من روایات لا تتفق مع المنطق والتاريخ، فضلاً عن تعارضها في بعض الأحيان مع الخلق والدين، وليس من المنطق، فضلاً عن التاريخ الصحيح، القول بأن كل ما جاء في كتب المؤرخين صحيح، لمجرد السؤال عن الدوافع التي دعت إلى هذا القول أو ذلك، أو حتى عدم معرفة هذه الدوافع، وأخيراً فنحن لستنا مستوئين عن هذه الدوافع، فضلاً عن الدفاع عنها.

والرأي عندي أن القصة مختلطة تماماً، وذلك لأسباب منها (أولاً) أنها تعارض مع حقائق التاريخ، تلك الحقائق التي لا تعرف للهبوط في يُربِ ملكاً، وبالتالي فليس هناك ملك يدعى الفيظون، وحتى لو وجد الشخص بذاته، فلا يُعرف أن يكون رئيس قبل، وفي حين الظروف زعم يهود في يرب، ومن ثم فليس صحيحًا ما ذهب إليه البعض من أن كلمة الفيظون إما تعنيملك، وأيضاً تقابل النجاح عند الأحباش، و «خاكان» عند الأتراب(1).

ومنها (ثانياً) أن تاريخ الغساسنة لا يُعرف ملكاً باسم «أبي جيله»، والذي يزعم الأحباش أن ملكاً بن العجلان قد بلغ إلى يهود، يستمر ضد يهود، ومرة أخرى، حتى لو وُ_control_1aku هذه الشخص بذاته، فربما كان يُعرف من المقربين لأمراء بني غسان، وإن صدقت نسبة أبي جيله هذا إلى الخرج وأنه رحل إلى الشام وأقام عند الغساسنة(2)، فأكثراً أن الرجل قد أصبح واحداً من رجال البلاء الغسائي.

(1) الإشتفاء 2/319/4، حول على.
(2) تاريخ ابن خليلين 2/319/4، ابن الأثير، الكامل في التاريخ 1/677، الإشتفاء 2/377، والواقد 1/326، إبن حزم، جمهور أنساب العرب ص 626.
ورمما كان ذا مكانة عند ذوي قرباه، ومنها (ثانياً) أن بعضًا من المؤرخين
- كالمهاجرين - إنما ينكر هذه القصة، بل إن هذا الفريق من المؤرخين إنما يرى
أن الفيتوس كان يمارس هواه الدعوية هذه في غير الأوس والختري، وعندما أراد
ذلك مع بناته بنتي قيلة، قتله مالك بن العجلان (1) ، ومنها (رابعة) أن بعضًا آخر
من المؤرخين المسلمين - كابن هشام والواقيدي والасفي - إنما تجاهلوا الرواية
تماماً.

ومنها (خامساً) أن الأخيارين لم يستقوا على رأي واحد، بشأن ذلك الذي يدل
إليه ابن العجلان، فينها يذهب فريق إلى أنه »أبو بيلة«، كما رأينا، يذهب فريق
آخر إلى أنه إنما كان يعث الأصغر بن حسان، الذي رأوا فيه أسد أبي كرب
أو»تبع بن حسان« ملك اليمن، وليس ملك غسان (2)، ومنها (سبعاً) ذلك
الخلاف بين الأخيارين على جنسية الفيتوس هذا، فهناك آراء ذهبت إلى أنه يهودي
كما أشترنا من قبل، بينما ذهبت آراء أخرى إلى أنه عرقي، ومن اليمن كذلك
وأنه بذخى: `عمر بن عامر بن ثعلبة بن حارثة'، ويتهي نسبه إلى `عمرو مزيباء' (3)
ومنها (سبعاً) ذلك الخلاف بين الأخبارين فيمن أسس القوم إلى الشيخ، أهو
مالك بن العجلان نفسه، أم هو شخص آخر دعوه «الرق بن زيد بن أمير
القيس الخزرجي» (4).

ومنها (ثانياً) أن عصر الخيال قد لعب دوراً في هذه القصة، ومن الغريب
أن تقرأ قصصاً - كقصة الفيتوس - يرويها الأخباريون عن ملك اليمن، وعن
ولهم بالنساء وعمل المتكر بينهم، ومنها واحدة تحتمل بلمكة ساباً - «بلقيس» (5)

---
(1) خلاصة الوفا 126، 128، 131، 136، 139، 146، 148، 151، 157، 160، 163. 
(2) خلاصة الوفا 126، 128، 131، 136، 146، 148، 151، 157، 160، 163. 
(3) الإشتقاق 436. 
(4) خلاصة الوفا 126، 128، 131، 136، 146، 148، 151، 157، 160، 163. 
(5) خلاصة الوفا 126، 128، 131، 136، 146، 148، 151، 157، 160، 163.
صباحية سليمان عليًّ السلام - وأخرى عن ه عردة، ملأ أبرهة المحيطي (1)، وكلها تشبه قصة الفيتنق، أضف إلى ذلك أننا نجد للعلاقات الجنسية مكانة في هذا القصص الجاهلي الذي بروى الأخباريون، وما قصة الفيتنق إلا واحدة من هذا القصص الذي تلعب الجرائز الجنسية في مكانة بارزة (2)، على أن الشهاء أكثر وضوحًا بين قصة الفيتنق هذه وبين قصة عمراً، ملك طسم، الذي كان يفعل بالمغاربي من بيتين جديد، ما يفعل الفيتنق بينين الأرأس والخنزير، فضلاً عن عدايى.

(3)

ومنها (عاصراً): أن الطريق التي قدمتها الرواية عن قتل زعماء يهود في حريش، طريق ساذجة، لا تتفق وما عرف عن يهود من مكر وخداع ودشسا، فضلاً عن أن يهود إنا كانوا يتخلون دائماً جانب الحذر والحيطة من الروم وعمالمهم بسبيل ما لا قوهم من الروم الذين قضوا عليهم في فلسطين، ثم شردوا البقية الباقية منهم في جميع أنحاء الدنيا، بل إن وجودهم نفسه في يرُب لم يكن إلا بسبب الروم.

ومنها (عاصراً): أن القصة، كما يرويها الأخباريون، تتعارض تماماً وأخلاقي الحرب الذين كانوا يشعرون نار الحرب لأقل كلمة، يمكن أن نفسر على أنها نسيء إلى الكرامة والشرف، فضلاً عن تعارضهما مع أخلاقهم، فإنهم يخطؤون على الضرر إلى ارتكاب أكثر الجرائم قسوة، حتى كان البعض منهم يلجأ إلى وأد بناتهم، خوفًا من عار قد يجلبه هذه البنت أو تلك، إذا ما كبرت و تعرضت للسبي، وإلى هذا يشير القرآن الكريم في قوله تعالى: وإذا أحرح أحدهم بالأنوثة، وجهه مسوداً وهو كاظم، يتوارى من القوم من سوهم ما يشريكه على هؤلاء أم يدعه في الرباب، ألا ساء ما يحكمون (4).

(1) تاريخ الطبري 2/128-139، ابن الأثير 1/422-433.
(2) خطاب علي 130/4.
ونها (حادي عشر) أن القصة تصور القوم وكأنهم لا يثورون على هذا الوضع
الدنيء، إلا بعد أن ظهرت القضاة. أمام قومها وقد كشفت عن صدقها، فيغضب
أحزوها، وهنا تذكره أخته بأمر هذه الليلة، وكيف أنها سوف تزف ليلة عرسها إلى
غير زوجها، ومن ثم فإن مالكًا إذا يذكر شرف وشرف قومه المستباح، فيغضب
ويقتل الفينيون، وهذا يعني ببساطة أن القوم ما كانوا يأترون من أن ينتهج الفينيون
أعراضهم، ولكنهم يثورون أشد الثورة إذا ما بدأ ساقًا آخت مالك هذا أمر
بعض رجالات قومها، فهل هذا صحيح؟ ثم كيف استطاع اليهود أن ينزلوا بالعرب
كل هذا الوضع، و في وسط بلاد العرب، أي في عرين الأسد كما يقولون؟

وهل صحيح أن اليهود كانوا يقادرين في أي فترة من فترات التاريخ أن يفعلوا
بالعرب ما تصوره قصة الفينيون؟ إن التاريخ يحدثنا – واليهود يشهدون بذلك –
أن nghĩa هو الذي حدد، وأن كل شعب المنطقة إذا فعلت ذلك باليهود،
فالفراعين يقتلون أبناءهم ويتحرون نساءهم (1)، والأشروريون والبابليون يأخذون
نساء اليهود سبأيا (2)، بل إن انتهاك أعراض اليهود إذا تم في مصر وفي فارس
برضي من اليهود أنفسهم، وتقرأ في كتاب يهودي، أن الإسرائيلي الذي كان يريد
الراحة في مصر بحب زوجته لم يقوم عليه من المصريين، حتى تحمل منه فيردها
لزوجها بحجمها (3)، وتقرأ في كتاب آخر، أن رؤساء العمل كان يأخذون النساء
الإسرائيليات ليضطجعن معهن حتى يحلن، فإذا حالت المرأة اليهودية ترد إلى

(1) أنظر على سبيل المثال: سورة البيعة: آية 69، وكذا تفسير روح ألماني/454، تفسير المازن/188، تفسير الطبري/396، تفسير ابن كثير/287، تفسير ابن كثير/379، تفسير الطبري/396، تفسير ابن كثير/380، تفسير الطبري/396، تفسير ابن كثير/380، تفسير الطبري/396، تفسير ابن كثير/380، تفسير الطبري/396، تفسير ابن كثير/380.
(2) حسن طلاس: المرجع السابق ص 18.
(3) أنظر: كتاب عذاب عيد الرب في مصر، مؤلفه عزرا، محمد فؤاد الهاشمي: اليهود في الكتاب المقدمة ص 29.
زوجها فلاد له إيتها ينبب إليه (1) وأما في فارس فما جاء في النرواة عن 1 أثير ليس في حاجة إلى بيان (2) والأمر كذلك بما فعله الرومان ببنات يهود طوعاً أو كرهاً، ومن عجب أن يحدثنا التاريخ بكل هذا - ويذكر اليهود به - ثم يأتي بعض مؤرخي المسلمين، فيجعلون بنات يتره العريات مثاهاً مباهاً لشخص لا يدري التاريخ عنه شيئاً - دعوا القبطون - ثم يأتي بعض المؤرخين الحديثين، فيجدهم أشياء في إثبات تلك الأدبيات، لا نسب، إلا ليثبتوا أن مؤرخنا القديمي فرق الخطأ، وكان تاريخ أمة يمكن أن يبنس، رغبة في إثبات أن مؤرخها ما عرفوا الخطأ.

ومنها (الثاني عشر) أن المرأة - وليس الرجل - في كل هذه الروايات هي التي تأتي من الغار، وتأتي الذهّل، وتحرض الرجال على الإنقاذ، للعرض المستباح، فبلسيس ساباً تقول لقومها: "أما كان فيكم من يؤمن لكم لكلبه وكرايم عشيرته؟ (3)

والعينة: "جديد تقول:
لا أحد أذل من جديد يرضى بهذا يا تقوم بعل حصر ولد أتانا كتنا رجالاً كنتهم فموتها كراماً أو ميتوا عدوكم ودربنا لنان الحرب بالحطب الجزل فكونوا نساء لاتقاع من الكحل وخليتم لأثواب الرجال، وذين ((4)

و "فضلاً" يبتر تقول: "الذي يرد في الليلة أشد من ذلك، أحيى إلى غير زوجي (5)

_ فهل حقاً كانت النساء تثير على العرس أكثر من الرجال؟ ثم وهل

(1) أنظر كتاب أعيار إسرائيل في مصر، مؤلفه حليم ناجم.
(2) أنظر مصادر أثير، 1-10.
(3) ابن الأثير، 233/1.
(4) ابن الأثير، 302/1.
(5) ابن الأثير، 307/1.
بِهذا الحديث - نَهْراً وشَرَعاً - قَالَهُ الْهَرَاسُ النَّسَرُ التَّانِي أَشْرَى إِلَيْهِنَّ، أَمَّا أَنَّ الأَمَّ كَلا
لا يَعْدُ أَنْ يَكُونَ أَسْطُورَةً مِنْ أُسْتَاِذِي الْأَخْبَارِيِّينَ، وَلِكَلِها هِذَهُ الْمَرْأةِ مُؤْلِئَةٌ، أَشْدُ
مَا يَكُونُ الأَمَّ، حِيَطَتْ بِعَرَضِ الْعَرَبِ مُسْتِبَحَى لِيَهُدَى
وَمَنْهَا ( تَانِي أَخْبَارُ ) أَنَّ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ إِلَى صِنْحَةِ هَذِهِ الْرِّوَايَاتِ الْكَذَّابِ
لا يُعْرَفُونَ أَنْ مَشَأَّةُ الْعَرَضِ مَسْأَةُ تَشُتُّل بِنَفْسِ الْأَصِلِّ الَّيْ جَائِتُها عَدْلِيَة
الْقَبِيلَةِ بِمَعْنَى الْمَفْهُومِ الْقَدِيمِ، بِأَعْبَارِهَا عَامَّلاً دِمْوِيًّا حَيِّياً، فَأَسْاسُ العْدْلِيَةِ وِهِ
الرَّبَاطُ الدُّمِويُّ الْأَقْمِنُ بِأَنْفَسِ الْأَفْرَادِ، وَأَسْاسُ الْعَرَضِ وِهِ الحَرْضُ - كُلُّ الْحَرْضُ -
عَلَى أَلَا يُدْخِنْ هَذَا الرَّبَاطُ الدُّمِويُّ بَحَالَ مِنَ الأَحْوَالِ (1)، وَمِنْ ثُمَّ إِنْ
صِنَايَةُ الْمَرْأَةِ صِنَايَةُ لِعَرَضِ الضَّيَاءِ كُلِّهَا، بِهِدْفِ الرَّغْبَةِ فِي الْإِبْقَاءِ عَلَى نَقَاةِ الْدِيْمِ فِيهَا
بُعْدَ دَخُولِ غَرِيبٍ عَلَيْهَا عَلاً قَدْرَهُ (2)، فَمَا بَالَكُ بِإِلَيْهَا دَخُولُ هَذَا الْهَجَابُ
إِلَى طَيْبَةِ الْقَبِيلَةِ، إِلَيْهَا كَانَ الْإِغْتَصَابُ وَسِيْبَهُ، وَبِحَدِ الطُّرُقِ وَأَعْنَهَا، وَذَلِكَ أَنْ يُقَدِّمَ الْقُوْمُ بَعْضَهُمْ إِلَيْهَا هَذَا الْرَجُلُ أَوْ ذَلِكَ،
لِفَرُّهُمْ أَمَامُ أُنْبِئِ الْقَبِيلَةِ، وَعَلَى مُسْمِعِ الْسَبْتِ وَالْشَّبَابِ فِيهَا، فَضَلاً عَن
الْمُسْبَابِاءِ وَذُوَاتِ الْبِعْوِلِ.
وَمَنْهَا ( رَابِعُ عَشَرُ ) هَذَا الْشَّبَابُ الصَّعْبِيُّ بَيْنَ قَصِّةِ الْقَيْطَوْنِ وَقَصِّةِ عُمْلُوِقِ
فَقَيْنِ كُلِّ مِنْهُمَا تَنْتَهِكُ أَعْرَاضِ الْقُوْمِ، حَتَّى لَاحْتَدَى بِكُرَ الْحَجَابُ قَبْلَ أَنْ تَدْخَل
عَلَى الْقَيْطَوْنِ أَوْ عُمْلُوِقَ، فَيُقَدِّمُهُمْ، وَفِي كُلِّ مِنْ الْرُّوايِتِينَ لِلْعِرْضِ أَذْوُ حَسَبُ وَجَاهَ
يُقَوْمِهِ، يُقِلِّبُ الْعُفَّالُ بَعْضَ الْيَمِينِ، وَإِنْ تَرَدَّدَ قَصِّةُ الْقَيْطَوْنِ بِبَينِ
مَلْوَكِ الْيَمِينِ وَأَمْرَاءِ غَبْسَا، وَفِي كُلِّ مِنْ الْرُّوايِتِينَ، فَإِنَّ الْمَرْأَةِ الَّيْ تُثْرِبُ لِشَفُرَهَا،
وِتَحْرُضُ الْرَجُلَ مِنْ قُوْمِهِ عَلَى الْإِنْقَامِ لِعَرَضِهِ مُسْتَبَاحِ، وَفِي كُلِّ مِنْ الْرُّوايِتِينَ
يَنْتَهُ الأَمَّ بِنَصْرِ المَظَلِّمِينَ عَنْ طَرِيقِ قُوْةٍ تَأْثِيَ مِنْ خَارِجِ الْقَبِيلَةِ... الْخَ.

---

(1) مَصْطَفَى مَعْمَرُ حَمَّامُ: نَسْمَةُ المُسْتَوْلِيَةِ عِنْدَ المُشَائِرِ الْمَرَأِيَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُعاصرَةِ - الْقَاهِرَةِ 1977 ص. 62
(2) نَفْسُ المِرْجِعِ الْبَاقِيِ ص. 11
وسائل البذالة الآن: والذي كان يجب أن يسأل لأنه فهم هؤلاء
لصحة هذه الرواية وأمثالها، كيف قيل هؤلاء الأخبارين أن يبمو أعراض عرب
مباحة لكل من بريدها؟ فمرة بيهم وبين بعضهم الآخر، كما في قصة بليس وقصة
طم وجديس، ومرة أخرى لعبد حسيس دعوه عودة، ومرة ثالثة لأبيه:
دعوه الفيتو أو الفيروان، ليست واحدة من هذه الروايات لها ظلم من حقيقة
حتى تقبلها على مضض، ثم تسللت الستار على هفوة في تاريخ الروية الجيد،
فلكن أن تكون الرواية مجرد زعم كلون، رده بعض الأخبارين في كتبهم
ثم جاء من بعدهم من تابعهم في هذا دون أدنى تحيص أو تحقيق، وكذئب المؤرخون
المحقون، وحتى الأعداء منهم، ثم يأتي بعض مؤخرينا في العصر الحديث فيبري
للفدائع عن هذه الرواية المخلقة، فشيء آخر تماماً، وكان الأولى بيم أن يسألوا
أنفسهم: أستحق تصديق مؤرخ - كائنًا من كان - أن يسود تاريخنا المجيد من
أجاه، وأن ننسب الأسللاف العظام كل مقدمات الشر والكرامة، لتكون روايات
الأخبارين تاريخاً صحيحاً، الله يصرح، وآلف لا.

أما الفق الثاني من الموضوع: فهو غلبة الأورس والخزرج على يهود خيبر:

وهناء فيما يبدو لي، فإن العامل الاقتصادي قد لعب دوراً هاماً فيما ألت إليه
الأمر فيما بعد، وتقدم لنا المصادر العربية ما يشير إلى أن العرب في المدينة قد تقدروا
الحياة القاسية في أول الأمر، لأنهم ما كانوا بقادرين في مجابهة اليهود، فلما اشتد
ساعدهم وقويت شوكتهم، سرعان ما تطوىوا إلى وضع اقتصادي أفضل عن طريق
مشاركة يهود في تلك الأرض الخصبة أو مغالتهم عليها، وهنا رواية تذهب
إلى أن عمرو بن منمان البياضي الخزرجي، قال لقومه بيها بياضه: «إن أباكم
أنزلكم منزل سوء، والله لا يمس رأسكم ماء حتى أنزلكم منزل قريبة والضير
على علب الماء وكريم النخل أو قتل رهمنهم» (1)، وهذا القول، وإن كانت المصدر

(1) ابن الأثير، 878/0 الآغاوي 155/10، رداء البينا، 103/1

- 46 -
العربية قد أوردها في ذكر يوم بعث بين الأسوس والخزرج، ومن حالات الطرفين من يهود، إلا أنه يعطيها فكرة عن اتجاه العلاقات العامة بين السكان في يرث، وأن العام الإقتصادي إذا كان هو المرجع لها(1).

على أن «سرائيل ولفتنسون» إذا يحاول أن يربط هذه الأحداث التي كانت تجري في يرث، سواء أكانت بين اليهود والعرب، أو بين العرب أنفسهم، من أسوس وخزرج، بالسياسة الدولية وقت ذلك، وبين الصراع الذي بين اليهودية والموسيقية، يجعل من نكسة اليهود في حضر، مربياً في تكسيهم في يرث، وأن الدولة اليونانية إذا كانت من وراء ذلك كله، فقدت على اليهودية في اليمن بعد حملة أبى يروف، والتي أدت إلى جهل اليمن مستمرة حديثة، ثم دفعت بالضغط إلى التدخل في شؤون يرث، وتعقيد الأسوس والخزرج ومناصرينهم ضد يهود(2).

وربما كان «لفتنسون» متأثرًا في هذا، بما ذهب إليه من قبل جريتز« حين رأى أن الأسوس والخزرج لم يصارحوا اليهود بالعداوة والمعصية إلا بعد النكبة التي حلت يهود في اليمن، لأنهم من غير القبول - فيما يرى - أن ينصب اللهود في الحجاز، في الوقت الذي كان فيه ملوك مهودون يسيطرون على اليمن ويعصبون لديهم، ويناضلون كل من ينضخهم أو يتعدي عليهم(3)، أضيف إلى ذلك أن مؤرخ العرب - كما أشارنا من قبل - يرون أن شمال الحجاز، إذا كان في شبه تبعية للحمراء، حتى أنهم كانوا لم يبايعوا الخلافة الراشدين للمسلمين(4)، ويشير كوسنا ده يرسفال أن واحداً من الأسرة المالكة في اليمن كان يشرف على شؤون الطوائف المختلفة في شمال الحجاز(5).

(1) أحمد إبراهيم الشريف، المصدر السابق، ص 328-327.
(2) إسرائيل ولفتنسون: المصدر السابق، ص 69، 71.
(3) إسرائيل ولفتنسون: المصدر السابق، ص 61.
(5) 011/1-1250.
ويخرج ويفتضون 1 من ذلك كله أن البطران العربية بقيت في بُرب عصراً طويلة على موائاة اليهود ومناصبهم 2 دون أن يظهروا عليهم شيء يدل على أنهم يربصون لهم الفوارض، إلى أن أخذت دولة غسان تنسب إلى اليهود المكيد وتعرض عليهم زعماء الأوس والجزر ليتفقوا بهم 3، وأن غسان إذا فعلا ذلك بإياع من الروم الذين أرسلوا أسطولهم لمساعدة الخضرة في الاستيلاء على اليمن 4، الذين كانت لهم سياسة واضحة في شبه الجزيرة العربية أثناء القرنين الخامس والسادس بعد الميلاد 5.

على أن المؤرخين المحدثين إذا يعارضون هذا الإجاح، ويرى أن النزاع كان محلياً بين العرب واليهود في بُرب 6، وأنه كان بسبب الظروف الاقتصادية، واعتماد السكان في المدينة على استمرار الأراضي الزراعية، ويقدرسون على ذلك عدة أدوية 7 منها (أولاً) استمرار هذا النزاع بين الأوس والجزر لأفستهم بعد تغلبهم على اليهود، وآشراك كل طوائف المدينة فيه فيما لمفصلتها الاقتصادية 8، ومنها (ثانياً) أننا لا نستطيع تحديد تاريخ هذا النزاع، وهي كأنه عند استيلاء الأحباش على اليمن، أم كان قبله 9، على أننا نأخذنا بوجهة نظر «سيدو» في أن سياحة الأوس والجزر على المدينة إذا كانت في عام 492م، وما ذهبت إليه المصادر العربية من أن الحرب بين الأوس والجزر قد استمرت مائة وعشرين سنة حتى جاء الإسلام، وأن هذه الحرب لم تبدأ بين الحيين العربيين إلا بعد سدأمتهم على المدينة، فإن الإجاح الذي ذهب إلى أن هذه السياحة إذا تمت قبل استيلاء الخضرة على اليمن، ربما كان أقرب إلى الصواب 10.

غير أننا سوف نواجه هنا بمشكلة موقف الحميريين أمام القضاء على نفوذ أبناء دينهم في بُرب، وأكبر الفن عندي - إن صح هذا الأمر - أن ظروف اليمن

---

1 (إسماعيل بلهشون: المرج السابق ص 61).
2 أحمد إبراهيم الشريف: المرج السابق ص 332.
3 أحمد إبراهيم الشريف: المرج السابق ص 229-130، لويس أميل سير: تاريخ العرب المهم ص 51، السيدي: وفاء الوذا ص 102/1 .

- 677 -
الداخلية، وتهديدات الأحياش لها، ربما لم تكن منها من التدخل في هذا التزاع، أو أن الحميريين لم يروا معادية العرب بتدخيلهم ضد الأوس والخزرج - وهم في نفس الوقت من قبل الأزرد اليمنية - ومناصرة يهود الذين أصبحوا يرتبطون بهم برتاب الدين.

ومنها (ثالثًا) أن العلماء يكادون يجمعون - كما أشارنا من قبل - أن أبا جيلة لم يكن ملكاً في غسان، وإنما كان زعيمًا من الخزرج عاش في البلاط الغساني، ومن ثم فإن قصته للعرب - إن صحبت الرواية - وهذا ما نشك فيه - لا تعني تدخل دولة نبي غسان، إذ لو كان الأمر كذلك ما اقتصر التدخل على يهود يرب، ولشمل الحالات اليهودية في خيبر ووادي القرى، فضلاً عن تبوك وطيبة، ومن ثم فإن هذا العون ربما كان من نوع المخالفات القبلية، وربما قد حالف الأوس والخزرج وقت ذلك بطورًا من نبي غسان لمحاربة يهود، وأنه مجرد استناد أمير خزرجي لنصرة ذوي قرباه، ويدو هذا واضحًا في طريقة القضاء على زعماء يهو، الأمر الذي لا يدل على أن هناك جيشًا غسانيًا جاء ليحارب يهود يرب، وإنما هي فرقة على رأسها أبو جيلة، مما اضطره إلى استعمال الخيلة والمكر للتنفيذ.

ومنها (رابعًا) أن الصراع لم يكن صراعًا دينيًا، وإنما كان صراعًا اقتصادياً في الدورة الأولى، وسياسياً في الدورة الثانية، ومن ثم فليس صحيحًا ما ذهب إليه فلهاوزن من أن التفاح بين النصرانية واليهودية في الحجاز كان منيفًا جدًا، وأن غارات الفرس على حدود الإمبراطورية الرومانية أوقت الملحمة النافية لوقت ما، ولولا ظهور الإسلام لتصبح بلاد العرب منقسمة دينيًا إلى قسمين، يهودية.

---


---

478
ومن أشجاره (1)، صحيح أن الدين كان وسيلة من وسائل الصراع الهامة، ولكن صحيح كذلك أن الإمبراطورية الرومانية لم تكن تصلح لثورات اليهودية كدين، كما أن الترس لم يكونوا يشعرون به خوفاً، وإنما كان الغرض السياسي عند كلا البلدين، فكان أن علاقة اليهود لم تكن بسيلة في الأردن، بل إنها على الأرجح كانت حمزة، فكان بعض اليهود يرسلون قواطعهم التجارية إلى بلاد الناصية، فضلًا عن أن يهود عندما أبلغهم المصطفى صلوات الله وسلامه عليه عن هرب، إنما هاجروا إلى بلاد الناصية، لور كانت العلاقة بينهم وبين الناصية أو الروم سنة لاجهوا إلى مكان آخر كالأعراق الذي كانت به جاليات يهودية تحت سيادة الدولة الناصرية التي كانت تشجع اليهود في بلاد الناصية.

وأياً ما كان الأمر، فإن الغلبة في هذا الصراع إنما كانت من نصيب الأوس والخزرج، ومن ثم فقد أصبح لهم مكان سياسي في يرب، يفوق ما كان للهود فيها، ومن أسف أن القوم ما لبثوا أن أصابوا بلغة الصراع القبي، وتحولت المنافسة التي كانت بينهم وبين يهود إلى مشاحنات بينهم وبين بعضهم البعض الآخر، أدت في النهاية إلى قيام الخزرج بين الحيين العربيين، لعبت فيها العوامل السياسية والتنافس على الزعامة في يرب دورًا كبيرًا، هذا فضلًا عن العوامل الاقتصادية والتي تلخص في رغبة في كل من الفريقيان في الاستيلاء على ما عند يهود، في حدث أن احتل الأوس بقاعًا أخصب وأغنى من تلك التي احتلها الخزرج، في الوقت الذي كان الخزرج يتمتعون فيه بمركز الصدارة، لأن نصرة العرب، إذا جاءت على يد رجل خزرجي - هو مالك نجد العجلان -.

وهلذا كان الخزرج يتفتون على الأوس مكانتهم الاقتصادية، بينما كان الآخرين يتفتون على الأولين، مكانتهم السياسية، حدث هذا في وقت كانت فيه

---

(1) إسرائيل ولفنون: المرجع السابق ص 12، وكذا J. Wellhausen, Skizzen und Vorarbeiten, Berlin, 1889, P. 12.

(2) أحمد إبراهيم الشريف: المرجع السابق ص 331.

---

479
سياسة اليهود مع القبائل العربية إذا تقوم على الإقامة بينها، وثارة الاحتلال بين المتخصصين منهم، كما جنحوا إلى التسليء وتعهدوا على الصلح والأمن، ومن ثم فقد عملت اليهود على إذكاء روح التحاسد والتباغض التي بدأت تظهر في سماه العلاقات بين الحيين العرب الفعليين، حتى يشعروا ناراً، إن لم تقض على الأوس والحزراب مما، ففي الأقل تشغٌّ كل فريق بالآخر، وتتخير يهود الفرصة استعدادًا بحولته قادمة، أو على الأقل الحفاظ على ما هي عليه.

وحقت بهود نُجُّحَهَا بعث المدى فيما تبيد، ودقت طبول حرب بين الفريقين، تثارب فيها الأوس والحزراب النصر والفرحة، وكان من أهمها ما عرف بحرب سمير، وحرب خير بن عمرو المازني(1) وحرب حاتب بن قيس(2)، فضلاً عن يوم السراقة(3) ويوم فارع(4)، ويوم النجار الأول والثاني(5)، وحرب الحصن اين الأسلت(6)، ثم حرب بعث، وكان أولاً حرب سمير، وآخرها حرب بعث قبل الفجرة بخمس سنوات(7)، (717م).

وأما يوم سمير، فقد كان طبقاً لرواية الأخبارين - كأغلب أيام العرب لسبب غير خطير، وذلك أن رجلاً من بني ذياب يقال له «خرب التعلبي»، نزل ضيفاً على مالك بن البعثان، ثم خرج إلى سوق بني قينقاع، فرأى رجلاً من غزتان، معه فرس، ونقول: أخذ هذا الفرس أهل يربوب، فقال كعب: مالك بن البعثان، فسمعه كعب، فشنه ثم قتله بعد مدة في حديث طويل.

---

(2) ابن الأثير 3/278-279.
(3) ابن الأثير 1/1273.
(4) ابن الأثير 1/1274.
(5) ابن الأثير 1/1275.
(6) وفاء الوقاية 1/155، ابن الأثير 1/664-664، الأغاني 3/193، إسرائيل والفسن، المرجع السابق ص 86.
وخف الحليان أن تنشب الحرب، وقبل الأوس أن يدفعوا للخزرج دية الحليف، وهي فيصل دية السيب، إلا أن الخزرج أبى إلا دية الصريح، ورجع الأمر بينهم حتى أتى إلى المهاجرين، فاجتمعوا واقتالوا أقتلاً شديدًا على مقربة من هباه، ثم انصرفوا متفرقين، ثم أخذوا مرة ثانية عند إثم لبني قتاع، فانتصر الأوس، وانتهى الأمر إلى أن يتحكموا إلى المديين بن حرام الخزرجي، وجد حسان بن ثابت، الذي حكم أيام تدفع الأوس دية الصريح، وإنهت الحرب، وإن اقترح القوم.

وقد شبتالجضاء في نفوسهم وتملكت العدوة بينهم(1).

وأما يوم بعاث، فقد كان آخر الحروب التي نشب بين الأوس والخزرج، وقبل هجرة المصطفى - صلى الله عليه وسلم - بخمس سنوات، وتعري المصارف العبرية أن الحرب السابقة بين الأوس والخزرج، إنما كانت في غليظها للخزرج، ومن ثم فقد رأى الأوس محالطة بني قريظة، فأرسل إليهم الخزرج، فلم فعلتم فأذنا بحرب، فلفروا وأرسلوا إلى الخزرج، وإن لا تحلفهم ولا ندخل بينكم، ومع ذلك فقد استمر كل فريق يتحمل إليه يهود، فنال على بقاء عربة أخرى، ولهبو فتبعد الأدوار في إشعال نار الحرب بين الحيين العربين، بغيته تفتت وحدتهم، وأماً في أن يكثاب لهم نباح في القضاء على الوحدة العربية، وبالتالي عودة السيادة لهم في يب، من جديد.

وهكذا جدد يوم قريظة والضور تحالفهم مع الأوس، ثم ضموا إليهم بقاء أخرى من اليهود واستدعوا للحرب، فخشي الخزرج أن تنزل بهم هزيمة، فرسلوا حلفاءهم من بني شجاعة وبي جهينة، ورسل الأوس حلقاءهم من بني هزينة.

وأخيرًا نشب الحرب بين الفريقين عند "بعاث" - حسن بني قريظة - وانهزم الأوس.

(1) إبن الأثير 227-658/1، أحمد إبراهيم الشريف، المجلد السابق ص 333، المفصلات ص 125، البس والأفكار 130/1، الإشتقاق 167، الأعلام النفيسة 167، رواية الوقي ص 212، الأطفال 124-125، أيام العرب في إسلاميتي 124-125، خبر الأزهر 212، تأريخ الأحداث 125، القضاء 125.
في اليوم الأول، غير أن عمرا بن النعمان، قائد الخرج، معرّضًا ما قتل، وانهزم الأوس الفرسية، فمالوا على الخرج ميلة رجل واحد، يقتلون رجالهم ويرجرون منازلهم وbenhيلهم، بعد أن كانت يعود قد نهي ما استطاعت من أمرهم، ولم يتخذ الخرج من الكارثة إلا خشية الأوس من أن يستعد اليهود مرتكزهم السابق في يرب، ففيضطرموا مواجهتهم متنزهين بعد القضاء على الخرج، وفعلاً فلقد بدت نيات اليهود واضحة في تحطيم الخرج وإذلالهم، بحائيث وأنهم أصحاب اليد الاعتدال في القضاء على نفوذ اليهود في المدينة، ومن ثم فقد فشلت الأوس الكفاح بالقضاء على روح السلط في الخرج، وصاح واحد منهم يا معشر الأوس: أحسنا ولا تحلوكنا إخوائكم، فجوارهم خير من جوار النعاب.

ويروي أن السيدة عائشة - رضي الله عنها - قالت عن هذا اليوم: كان يوم بعث يوماً قدمه الله لمسلم صلى الله عليه وسلم، فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد افترق ملوكهم وقتلت سروان هجره أسره، قدمت الله لهما صلى الله عليه وسلم في دخولهم الإسلام. ذلك لأن يوم بعث قد أضحى بطول يُرب كله، وأوجد فيها ميلاً إلى الإتحاد، كما أضحى كذلك روح المداواة والرحمة في نفس البطون البهبة، حتى أخذ الناس ينصرفون لأعمالهم ويتذوقون لذة الراحة وتهامس العيش وصفاء البال، وكانوا كلهما هم أحد نحو الله، أن يصب زينًا حرًا على نار العدوان الكامنة في القلوب ليزيد في ضرموها، ويعظم من أوراها، سوى كثير من الزعماء ذوياً النفوس من الطرفين كلهما، ولهما، لا نصير السيف من أمثالهم، وواجه الإسلام واتفاقت الكلمة، وجمع الأوس والخراج على نصرة الإسلام وأهله، وكفى الله المؤمنين شر القتال، وأصبح القوم بمعمة الله إخوائنا.  

---

(1) شمس الدين الخويصري: تاريخ ابن الفارض، ص 62.
(2) محمد أحمد بن أحمد: تاريخ ابن الفارض، ص 65.
(3) أ. سهيل: تاريخ ابن الفارض، ص 66.
(4) محمد بن أحمد: تاريخ ابن الفارض، ص 67.
(5) إبراهيم الديب: تاريخ ابن الفارض، ص 68.
(6) P.K. Hitti, op. cit., P. 89.
من مدن الحجاز

بقي أن نتحدث بإيجاز شديد عن أهم المدن القديمة في شمال غرب الجزيرة العربية، غير مكة والمدينة، مثل الطائف وتيماء ودومة الجندل ومدائن صالح.

الطائف:

تقع الطائف على مسافة حوالي 90 كيلومتراً إلى الجنوب الشرقي من مكة، على جبل غزوان، أورد مكان في الحجاز، وتميز على مكة المكرمة بأنها ذات جودة في الصيف، وتأتى كثرة الشجر والثمر، وأكثر ممارها الزبيب والرمان والموizzie والغنايا.

وبتاريخ الطائف ما يزال عاملاً، وإن عبر الباحثون على كتابات مدونة على الصخور المحيطة بالمدينة، وفي موانئ ليست بعيدة عنها، بعضها بالكلية، وبعضها بالعربية، وبعضها بالسوموية، وأخرى تشبه الخط الكوفي، وإن كانت جميعها لم تدرس حتى الآن.

ويذهب الآخرون إلى أن اسمها القادم »وج» نسبة إلى »وج» آخرب، الذي سمى به أحد الجلد طيء، وهما من العمات، وإنما سميت بالطائف بثمانية المعني بها.

وقد ذكره رجل دعوه الدهم» حتى لا يصل اليهم أحد من العرب، ثم حاولوا بعد ذلك إعطاء المدينة صفة مقدسة، ربما بتأثير من بني تميم، وقالوا الطائف.

فزعموا بأنها من دعوات إبراهيم الخليل، وأنها أرض ذات شجر كانت حول الكعبة، ثم استقلت من مكانها بدعوة إبراهيم، فطافنت حول البيت، ثم استقرت في مكانها، فسميتالطائف، وسميت آخرهم أن جبريل قد اقتطعها من فلسطين.

1. ياقوت ٩/٢، تقويم البلدان من ٩٥، جهاد علي ١٤٢/٤.
2. جهاد ملي ١٤٣/٤، وكذا.

وسار بها إلى مكة فاطماً بها حول البيت، ثم أنزلها حول الطائف (1) ... إلى غير ذلك من أساطير لا تقدم نفعاً، ولا يفيد علمًا.

هذا وهناك من يزعم أن أول من سكن الطائف إذا هم العمالقة، ثم غلهم عليها بنو عدوان من قيس بن انزل، ثم بنو عمر بن صمعة، ثم أخذتهم منهم تقيهم (2)، ورغم أن الأسر أقدم، أن الذين سكنوا الطائف بعد العمالقة، إما هم قوم ثور، قبائل ارتحلهم إلى وادي القرى. ومن ثم فقد ربط أصحاب هذه الرواية نسب تقيهم بالشنوين الذين نسوهم إلى جد أعلى هو «قسي بن منبه» الذي يجعله بعضهم من بناء (3)، بينما يجعل البعض الآخر من عووزان (3).

وأما أهم معبدات الطائف في الجاهلية، فقد كانت «اللات»، الأمة الذي سوف نناقش في كتابنا عن الخضارة العربية القديمة، وقد هدمها المغيرة بن شعبة بعد أن اعتنق أهل الطائف الإسلام، وأعطى أموالها وحليها أبي سفيان بن حرب (4)، وبแตก أهل الطائف عن امر، وعن بعض الأشجار المشهورة التي كانوا دارئي السعي إلى تحسين أنواعها. وجلب أنواع جديده منها، كما كان لهم عبارة ومهارة بالأمور العسكرية، الأمر الذي ظهر واضحًا إبان محاقرة الرسول صلى الله عليه وسلم، فجعلتهم وتحصينهم بسهرها، هذا إلى جانب ميل إلى الحرف اليدوية كالدباغة والتجارة والحدادة، وهي أور لمهندة في نظر العرب (5).

(1) ياقوت 64، البكري 886، تاج المريض 184، المقدسي 109، تقليم البلدان 499 وما بعده.

(2) المختار 31، تاج المريض 710، المان 248.

(3) الأفلافي 744، أحباب الأثريات من 25، الإنشقاق من 183، ياقوت 6-9-11-11، ابن خلدون 40، نبأ الأثر لتقتلونش من 198، 200، وكذا J.A. Montgomery، op cit، P. 137.

(4) ياقوت 6-11-1-10، تاريخ الطبري 76-67، ابن الأثير 2-82، 83.

(5) ابن سد 4-3، أنساب الأثريات 26-2، تاريخ الطبري 68-3، ابن الأثير 76-7، ابن خلدون 216، ابن كثير 2-240، ج، سورة الخلبة 3-121.
تيماء:

تبقى تيماء على مسافة 65 ميلاً إلى الشمال من العلا، على الطريق التجاري بين جنوب بلاد العرب وشمالها، وقد بدأت تيماء تظهر في التاريخ على الأقل منذ أيام الملك الآشوري نينفرات الثالث (745-727 ق.م.) الذي تدل عليه مواقع للتسلل التي عبر عليها في كالتح. أنه أخذ منها الحرية، كما أخذها من زبيدة (زبيبة) ملكة دومة الجندل، ومن مسمى، فضلاً عن الجالية السامية في ديدان (1). هذا وقد جاء ذكر تيماء في النزى (1) وكما في أسفار أوبو (2) وأشعياء (3) وآشورية (4) وعديد (5) وعوضأ (6)...

وتيماء في الروايات العربية، بلغ في أطراف الشام بين الشام ووادي القرى، على طريق حاج الشام ومدائن، والأبلق والترز حصن السماواد بين عدبة الهرود (7) مشترع عليها من ناحية الغرب (8)، وهو مربع الشكل تقريباً، وفي وسطه بس.

---

Van den Branden, Histoire de Thamoud, P. 7
A.I. Olmstead, History of Assyria, P. 189.
A. Musil, op. cit., P. 288

ANET, P. 280.

ووكذا

(1) أنظر تاريخ كتبة أسفار التوراة، كتاباً إسرائيل.
(2) أوبو 19:6.
(3) أشعياء 14:1.
(4) أشعياء 49:7.
(5) حيقوه 3:7.
(6) خرديما 1:96.
(7) عموس 1:12.
(8) يأبوت 1:71 – البكري 329/1، الحسن 72/12، تنوير البلدان ص 86، داررة

المدارس الإسلامية 130/7.

---

480
وله دعامات من الخارج، ويشبه في تصميمه وتنفيذته حصن كعب بن الأشرف في المدينة المنورة، وإن كان هناك من يذهب إلى أن الحصن ربما كان من بقايا قصر نبويند، أو من بقايا قصور رجاله، أو من بقايا أبنية غيره من نزل هذا المكان.

وقرأ في النصوصبابيلية - كما أشارنا من قبل - إلى أن نبويند (555 ق.م) قد قام بحملة في العام الثالث من حكمها، استولى فيها على عدة مدن في شمال غرب الجزيرة العربية، ثم أقام قصرًا في بقيها في حيّة من الدهر، قارب سنوات عشر، حتى أصبحت تبعة وكأنها قد غدت خليفة لبابل.

وهل هناك على مقربة من تبعة بقایا معبد عثر فيه على تشق، محفوظ الآن يحتف

اللوفر، ويرجع تاريخه إلى القرن الخامس قبل الميلاد، نقرأ في بلغة أرامية، أن كاهناً قد أتي بصنم جديد (صلم هجم)، وبني له معبدًا وعين له كهاناً، كما صوره في زي آشوري، مما دفع البعض إلى أن يذهب إلى أن قدوم هذا الإله إذا كان على أيام نبويند.

وقد عثر Euting على آثار معبد قديم، وعلى كتابة أرامية، تعود إلى فترة كانت المدينة فيها تحت السيطرة الفارسية، وإن أشارت الكتابة إلى ازدهار

---

(1) عبد الرحمن الأنصاري: نماذج من بعض المدن القديمة في شمال غربي الجزيرة العربية، مجلة الدار، 1/85 (الرياض) 1975.
(2) جواد علي 1996.
المدينة وقت ذاك(1) ، هذا فضلاً عن أن جوسيم وساميكي قد عُرّا كذلك على تل هناك ، فيه بقايا معبده ومجموعة من قبور القوم(2) .

وفي عام 1883 هـ، عبر هوير ، في تيماء ، على مسلتها المشهورة ، والتي كتب على وجه واحد بالخط الأرامي ، وعلى الجانب الأيسر نقش عليها رسمان ، ربما كانا الملك وكاهن ، يتجه بعض الباحثين إلى أن الملك هذا إما هو نبوئد ، إذنًا ، على المقارنة بين هذه المسلة ومنزل حران ، وعلى أي حال ، فمن المثقف عليه الآن أن هذه المسلة إذا ترجع إلى القرن الخامس ق.م. (3).

(3) دومة البندل:

وتسامي دومة البندل الآن "اللوفر"، وكان يطلق عليها في العصور الآثورية "Adomatho"، في التوراة "دومة"، وفي جغرافية بطليموس "Dounatho" (4)، وأما في المصادر العربية فهي "دومة البندل"، نسبة إلى دوم (أو دومان أو دعا أو دوماء) بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام (5)

وعلى أي حال فقد تنبت إلى البندل لأن خصصها مبنى ببابندل وهو الصخر، وهي في رأي السكوني، حصن وقرى بين الشام والمدينة قرب جبل طيء، كانت بشنو كثيرة من كتب(6).

EI, 4, P. 622.


W.F. Albright, JRAS, 1925, P. 293

(1) جواد علي ٥٢٨/٦، وكذا جواد علي ٥٢٩/٤.
(2) جواد علي ٥٣٠/٥، وكذا.
(4) W.F. Albright, JRAS, 1925, P. 293
(5) ياقوت ٢/٤٨٧-٤٨٨٩، البكري ٢/٥٦، وكذا. رواية إسرائيلية في الواقع، حيث تنح تنصيصات التوراة إلى أن مملكة إسماعيل إذا كانت تتسم في المنطقة الواقعة إلى شبه البحر الأحمر، وتعد من حدود مصر حتى دومة البندل (تكريم ٢٢١، ٤٨٨٩، البكري ٢/٥٦) .
(6) ياقوت ٢/٤٨٧، م Flames: البكري ٢/٥٦-٥٥٥.
ودومة أو دومة البندل، واحة آدموم الكبير، وتقع على مسافة 400 كيلومتر إلى الشرق من البراء عاصمة الأنباط، على حافة النفوذ الكبير، ومن ثم فقد كانت ذات أهمية كبيرة في التاريخ القديم، إذ كانت تعتبر بمثابة قلعة الجزيرة العربية الشمالية في وجه الهجومين من الشمال والشمال الشرقي، وإذا ما سقطت دومة البندل تسقطت بالتالي بقي للمدن المجاورة

ونقرأ في حويلات العاهل الأشورى « مجلة بلارس الثالث » التي علم عليها في كلال عن جزيرة من زبيدي ملكة بلاد العرب، التي يرى الريس موسى أن مقرها إذا كان في دومة البندل (1)، كما نقرأ أن الملك في تقويض الملك إسرحدون (280-279 ق.م.) قد أتسع أدوماتو (Adummu) حوالي عام 188 ق.م.، وأخذ أصناها إلى عاصمته، وأمر بذلك بالنسبة إلى الأميرة ناري (3) تابعة (Tabua، وكانت ملكة دومة البندل تلخنو (4) (تلخنو) قد امتد سلطاتها حتى حدود بابل، وقفت بجانب الثوار البابليين ضد سنجرب (705-781 ق.م.)، ومن ثم فإن العاهل البابلي ما أن أنهى من القضاء على الثورة، حتى اتبى إلى دومة البندل وفرض الحصار عليها (5)، وهناك ما يشير إلى أن خلافاً قد حدث بين الملكة وبين حزائل - سيد قبيلة قيدار - الذي تولى قيادة الجيشه ضد سنجرب، مما أدى إلى استسلام الملكة وفرار حزائل إلى البادية، فضلاً عن أمر الأميرة تابعة وأخذهما إلى بابل، ثمهاذاً لإعدادها لتكون ملكة على قومها، تعمل بأمر آشور، وتندفع سياسة ملكها فيما

(1) الريس موسى: شمال الجزائر ص 128.
(2) عبد الرحمن الأنصاري: المرج السباع ص 82.
(3) A. Musil, Arabia Deserta, P. 477.
(4) A. T. Olmstead, op. cit., P. 189.
(5) D.D. Luckenbill, Ancient Records of Assyria and Babylonia, II, 518.
(6) ANET, P. 290.
(7) P. K. Hitti, op. cit., P. 38.
(8) A. Musil, op. cit., P. 48.

- 488 -
يختص بالأعراب (١) ، غير أن آمال الآشوريين في الملكة الجديدة قد خابت ، فما أن يتم تعينها ملكة على دولة الجندل حتى تفشل في مهمتها ، وعلل السبب في ذلك إما يرجع إلى العداء الدفين بين العرب والآشوريين ، والذي ما كان في استطاعة تبؤة القضاء عليه (٢).

وعلى أي حال ، فيبدو أن دولة الجندل كانت في هذه الفترة مركزًا دينيًا هاماً للقبائل العربية ، كما أن هذه المنطقة قد عرفت في هذه الفترة حكم الملكات الآثاني كن يجمع بين السلطنين الدينية والزمنية ، وعلل أشهرها زيبه ( زبيب ) وشمسي وتعلخونو وتبؤة (٣).

وهي العهد البالي خضعت دومة الجندل للملك نبويد ، وكما أشارنا من قبل ، فقد جرد الملك البالي في العام الثالث من حكمه حملة على المدينة واحتلها (٣).

هذا وتشير المراجع العربية إلى دومة الجندل إما كانت مدينة محصنة بسور ، في داخله خس منيع ، يقال له «مارد» ، نسبة البعض طبقاً للروابط التقليدية - إلى سليمان عليه السلام ، ونسبه آخرون إلى أكيد الملوك بن عبد الملك السكوني (٤) ، وهو يعودي على رأي ، وحري من كندة على رأي آخر ، وعلى أي حال ، فإن الحصن على ما يبدو قد بني قبل القرن الثالث الميلادي ، لأسباب منها صلة السكوتين بكندة ، ومنها أن الحصن يشمل في بعض أجزاءه على تقوша نضيفية - والأنباط كا...

British Museum Tablets, K, 3087, 3405.
P.K. Hitti, op. cit., P. 38.
A.L. Oppenheim, in ANET, P. 291

(١) وكردا
(٢) وكردا
(٣) وكردا
(٤) وكردا

عدد الرحمان الأنصاري: المراجع السابق ص ٨٢
N. Abbot, Pre-Islamic Arab Queens, in AJSL, 58, 1941.
P.R. Dougherty, op. cit., P. 107
C.J. Gadd, op. cit., P. 35.
عرف قد انتهت دولتهم في عام 106م - ومع ذلك فالحسن ليس من عمل فرد واحد ، ولا من فترة واحدة ، وإنما من فترات متعاقبة ، لعل آخرها منذ نصف قرن فقط (1).

وتفتح في المصادر العربية ما يشير إلى أن سكان دومة الجندل ، إذا كانوا أصحاب نهل وزرع ، يسقون على النواضح ، ورعهم الشعر ، وكان في بلدهم سوق يبدأ في أول يوم من شهر ربيع الأول ، ويتبعي في النصف منه ، هذا وقد كانت تسكن دومة قبل الإسلام قبل كلب وجدلية وطية ، كما كان يناثر السلطان فيها الأكبير ، وقناة الكلي ، الذي كان يتولى الأمر فيها ، حين تكون الغلبة من نصيب الفضائمة ، مما يدل على التنافس بين كندة وباقي غناء على الطريق التجاري (2) ، وكانت مبايعة العرب في دومة إلقاء الحجارة ، وذلك أنه ربما اجتمع على السنة النثر ، يساعون بها صاحبها ، فأيم رمي وحيجره ، فربما اتفقت في السنة الرهط ، فلا يجدون بدًا من أن يشتركوا وهم كارهون ، وربما اتفقوا فألقوا الحجارة جميعا إذا كانوا عددًا على أمر بينهم ، فوكسا صاحب السلعة إذا طلبوا عليه (3).

(4) الحجر (مدائن صالح) :

وقع على مسافة 15 كيلومترًا إلى الشمال من مدينة العلا الحالية ، على الطريق التجاري العظيم الذي يربط جنوب بلاد العرب بسوريا ، وتكون من عدة جبال رملية متتالية ، ومن ثم فقد سهل على سكانها أن يحتوا فيها مقابرهم ، انتشرت في معظم هذه البلدان (4).

(1) عبد الرحمن الأنصاري : المرجع السابق ص 84 ، ياقتلت 2/487-498 ، جوايد علي 469-479.
(2) عبد الرحمن الأنصاري : المرجع السابق ص 84 ، تاج العروس 3/182، المحرر ص 224-226، التاريخ الكبير لابن عساكر 1/89 وما بعدها ، نسبة قريش ص 276 ، جوايد علي 4/490-491.
(3) أبو جعفر محمد بن حبيب : كتاب المحرر - حيدر أباد الفلك 1945 ص 224.
(4) عبد الرحمن الأنصاري : المرجع السابق ص 81.

- 490 -
هذا وقد جاء ذكر المدينة في جغرافية بطليموس (1)، كما ذكرها إصطيفرانيوس
البزنتي، (2) والحجر فيما يرى البعض - هي أجرا
Egra، التي ذكرها
سقرايوس في حديقه عن حملة إبراهيم جاليليوس على اليمن في عام 14 ق م،
وربما كان لها ميناء يعرف بما فرضية الحجر، ومن الممكن، بل من المحتمل أن
tكون هذه الفرضية معروفة بنفس الإيمي الذي عرفت به الحجر (3) - كأن ميناء
مدينة كانت تعرف كذلك باسم مدين - وأن ميناء الحجر هذه ربما كانت هي بعينها
الميناء التي تعرف اليوم باسم شرفة (4).

وتشير الكتبات التي وجدت في مداول صالح إلى أن المدينة ربما كان قد أنشأها
المعيينين، كما تشير مقاربة التي جمعتا في تحتها عنصر فنية مختلفة - فروعية
والغريبة ورومانية وعربية - إلى أنها تشبه إلى حد كبير ما هو موجود في البوتاء،
ولعل هذا سبب أنها ذات حضارة واحدة، وإن كانت مقايرة مدائين صالح، إذا
تتميز بوجود شواهد عليها، مكتوبة بالخط الأرامي النبطي (5)، كأن هناك في
جبل أتله معبداً يذكرنا بمجاهر البوتاء، فضلاً عن عبد آخر صغير يقع على مسافة
150 م إلى الجنوب من الجبل الآثاف الذي (6)، وأخيراً، فصل من أهمية يمكن
الإشارة إلى أن هناك من برى في الموقع النبي، إدم، الذي اكتشف على مسافة
25 ميلاً إلى الشرق من العقبة، إدم الذي المذكورة في القرآن الكريم (7).

Ptolemy, VI, 7, 29.
A. Grohmann, Arabien, P. 44 وكدنا Stephanus Byzantus, I, 260.
(2) يذهب بعض الباحثين إلى أن الحجر إما هو مدائين صالح، بينما يذهب آخرون إلى أن مدائين صالح
هم أعلاه لا الحجر، وفرق آخرون بين موقع مدائين صالح واللا ( جواب على 135/3)، وكذا
A. Grohmann, op. cit., P. 4, 15, 39, 40

(3) الأرسي مويل: شمال الحجاز ص 196.
(4) عبد الرحمن الأنصاري: المرج الساخن ص 81.
(5) جواب على 135/3، وكذا
A. Musil, Arabia Petrae, P. 133, 146
(6) وكذا C.M. Doughty, op cit, I. P. 113.
A. Grohmann, op. cit., P. 66
(7) أظهر: سورة الفجر: آية 8-9، وانظر: تفسير البيضاوي 37/2، تفسير الطبري 165/30-
160 (طبعة الجيبي 1954)، التفسير الكبير للفقر الرئيسي 165-166/2، تفسير القرطبي
P.K. Hitti, op. cit., P. 73/3، وانظر 73/4-44/20 (طبعة دار الكتب المصرية 1950)، وانظر.
وهي حضانة الطريق، هي عاصمة اللحاليين في القرن 5 هـ، لأن مركزهم الرئيسي هو واحة ديدان على مسافة 15 كيلومتراً إلى الجنوب من الحجاز - وأن اللحالي 잘 كانوا يسكنون بكل تأكيد في واحة الحجاز، كما كانوا يسكنون كذلك في ديدان، ومن هذا يمكن أن نستنتج أن هيرا، عاصمة اللحاليين، هي بعثها الحجاز.

وأما المصادر العربية تذهب إلى أن الحجاز، إذا هي ديار جود، ناحية الشام عند وادي الفرات (2)، وهما قوم سيدنا صالح عليه السلام، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم (3)، وفي الحديث الشريف (4).

وعلى أي حال فإن المدينة قد أخذت مكانها بالتدريج، حتى إذا ما كان القرن العاشر الميلادي أصبحت خراب لا يمكنها أحد، هذا وقد عثر في هذه الحفريات - التي تقع بين جبل أثل وقصر البنت وسكة حديد الحجاز القديمة - على آثار حصن قديم، وبقايا أبراج وأعمدة ومزولة شمسية، فضلاً عن تقد ترجع إلى أيام الحارث الرابع النبطي (9 ق.م - 40 م (5).

- الويس مويل: شمال الحجاز 107
- تاريخ العلوي 1/2 276/1، البكري 2/3 277/1، ابن بطوطس 2/4 278/1، المراحيل من 384، الماس 1/14، نهاية الأرب من 199-200، القنان 170/4، الزبير مويل: المراحيل الساق من 188، ابن الأثير 91/1، تاريخ الميسك 84، قصص الأثريين من 09-0، ابن كثير: التاريخ والتهذيب من 137/12، تفسير ابن كثير 1/17/1، تفسير القطب 277/1، تفسير روح الماني 162/1، تفسير ابن كثير 277/3، تفسير تقريب الماني 16/1، تفسير المتن 124/4، تفسير البحتري 67/2.
- تفسير القرطبي 67/2، تفسير البحتري 67/2، تفسير البحتري 67/2، تفسير البحتري 67/2، تفسير البحتري 67/2، تفسير البحتري 67/2، تفسير البحتري 67/2، تفسير البحتري 67/2، تفسير البحتري 67/2، تفسير البحتري 67/2، تفسير البحتري 67/2، تفسير البحتري 67/2، تفسير البحتري 67/2، تفسير البحتري 67/2، تفسير البحتري 67/2، تفسير البحتري 67/2، تفسير البحتري 67/2، تفسير البحتري 67/2، تفسير البحتري 67/2، تفسير البحتري 67/2، تفسير البحتري 67/2، تفسير البحتري 67/2، تفسير البحتري 67/2
- A. Grohmann, op. cit., P. 66
- C.M. Doughty, op. cit., P. 113.
الفصل الرابع عشر

النقبة

إن تاريخ شبه الجزيرة العربية - إذا استثنا الجزء الجنوبي منها - هو تاريخ الأحداث التي شهدتها جماعات سياسية صغيرة، قامت واحدة وراء الأخرى على طول حدود الصحراوات من ساحل البحر الأحمر، إلى أطراف سورية وفلسطين وأردن الرافدين، ولم تكن هذه الدوليات مستقرة في تركيبها، وكانت قصيرة العمر، فهي في الواقع ليست سوى نتاج فرعي لعملية الاتصال والانتقال بين منطقة البداية ومنطقة الحضارة المستمرة، فهي لم تكن فقط ملتقى ومتحطاً لحركات التوسع الاحترافية، وإنما كانت في الوقت نفسه ستائر حماية تنصع المناطق المحيطة بالصحراء.

وقد شجعت الدول الكبرى التي كانت تسطر بحوار هذه المناطق على قيام هذه الدوليات، واتخذتها درعاً تكتيكيًا يمّر غارات البدو على تخوم حدودها، فكانت أشبه بالدوليات الحائزة (Buffer State)، ولا ريب أن حسب العربي للوفاء جعله يستطيع أن يتعامل مع هذه الأمم الغربية عنه، فكان لقاءه جعله في إثارة يترك مهنته في الغاره، ويغفر حدود حلفائه من تعدد القبائل الأخرى، ويتعمل في

(1) ستينو ميسكاني: المرجع السابق ص 251.
الوقت ذاته بحياة مستقرة نوعاً، ولكن الفرس والروم لم يكونوا يبقون على ثقتهم الدائمة في عرب الحدود، ولذلك كانوا يقضون أحياناً على هذه الممالك البدوية أو يهمّونها، فكانت تعود إلى حياتها الأولى.

ولكن بالإضافة إلى هذا العامل الجغرافي، شاركت قوى اقتصادية في تكون شبه الجزيرة العربية في العصور القديمة، فقد كان يحدّ شبه الجزيرة طريقان أساسيان على حافة الصحراء، تنتقل عليها السلم من المحيط الهندي إلى موانئ فلسطين وسورية، فكان أحد هذين الطريقين التجاريين يمتد من اليمن إلى جنوب فلسطين، والثاني يمتد من الخليج العربي، ويدخل وادي الراقدمين، ثم ينحرف إلى سورية قاصداً دمشق، فله هذين الطريقين قامت دوليات الحدود العربية.

وعلبة من أهم هذه الدوليات "دولة الأنباط"، التي قامت على الأطراف الخارجية لمنطقة فلسطين، في حوالي القرن الخامس قبل الميلاد، متخذة من "البراء" عاصمة لها، ومكونة حضاراً عرفيًا في عهدها، أرامية في كتابتها، سامية في ديناتها، يونانية رومانية في فتحها وهندستها المعمارية، وهي لذلك حضاراً مركباً، سطحيًا في مظهرها الديني، ولكنها عربية في أساسها.

هذا وقد اختلف المؤرخون في الوطن الأصلي للأنباط، فذهب فريق إلى أنهم من أهل العراق، وأن أصلهم التي تركوها على آثارهم، إلا أنها أرامية مختلطة عن لغة مابين النهرين، وأنهم قد هاجروا من العراق إلى "أدو"، وذهب فريق آخر إلى أنهم عراقيون أي بهم "نوخذنص" في القرن السادس قبل الميلاد، عندما اكتسب فلسطين، فاتهم "البراء" ومجاوراتها، وذهب فريق ثالث إلى أنهم من جبل دمياط في أواسط بلاد العرب، ثم سرعان ما تزحوا إلى العراق، وأقاموا هناك.

---

(1) E. Gibbon, op. cit., P. 216
(2) ميكياني: المرج السباق ص 448
(3) قليلة حتى: المرج السباق ص 443
(4) هناك "البراء" أخرى في بغاء تقع إلى الشرق من "بريدة" بحوالي 136 كيلومتراً، ومن الرياض 420 كيلومتراً عن طريق بريد، 680 كيلومترا عن طريق مريزة.
حتى دهمهم الآشوريون أو الميديون، فأخرجهم من هناك، وأخيراً ذهب فرعون رابع إلى أنهم من شواطئ الخليج العربي (1)، بينما ذهب فرعون خامس إلى أنهم من قبائل بدوية، تزحف في القرن السادس قبل الميلاد (في حوالي عام 870 ق.م). إلى شرق الردوان، فنزلت أرض الآدومين - أحيانًا يسمى بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام (2) - وانتزعتهم من البراءة، ثم سرعان ما امتدت سلطتهم إلى المناطق المجاورة (3).

ويرى السعودي أن السريانين إذا هم من النبط، فإن أهل النبيو (4)، وكونا - من السريان والبط - كذلك (4)، وذهب أستاذنا الدكتور سعد زغلول (5) إلى أن للمصريين من بين آثار العبقرية التي كانت مصدر إلهام، ابن خلدون، في همته، نظرية تقول أن النبط والموكلها ترجع في أصلها إلى نبط بن مالك، ومنهم كل العرب البائدة من عاد وعُجَوم وجندس وطم وعميق، إلى جانب عيلام في الأحواز وفارس، ونبط في بابل والعراق، فكانو ربط بين تاريخ بلاد العرب القديم جميعًا.

غير أن الأمر، إن كان صحيحاً بالنسبة إلى القبائل العربية في بلاد العرب والعراق فقد يحتاج - فيما نظري - إلى إعادة نظر، فيما يختص بـ عيلام وفارس، وقد سكتهم شعوب هندوراوية، وليست عربية على أي حال.

ومهما يكن من أمر، فإن النبط الذين أشار إليهم الآشوريون، إذا هم من بقايا الآراميين في العراق والشام، وهم - وإن كانوا يتكلمون بهجات ربما كانت

(1) جرجي زيدان: المرجع السابق ص 81.
(2) أنظر عن الآدومين: كتابنا الإسرائيلي ص 244-245، وكذا عدد 1891، يشوع 11:1، وروى II
(3) نهوض إسرائيل ولغون: تاريخ الآدومين ص 114-115، وكذا M. Noth, op. cit., P. 58.
(5) مروج اللغه/ 242-250/ 2-26، 238.
عربيه، إلا أنها بلغة غريبة عن العربية - ربما كانوا غير النبط الذين يتحدثون منهم وقد عاشوا في العربية الحجازية، ولهم كتابات دونت بالآرامية، وأن فريقًا منهم قد عاش في تدمر (1).

وأما استعمال الأنباط للغة الآرامية، فإنها اللغة الشائعة في ذلك العصر، بل إننا نرى الآرامية، منذ حوالي عام 500 ق.م، قد أصبحت لغة المراسلات الدولية في منطقة الشرق الأدنى القديم، كما أصبحت اللغة التي يستعملها سكان منطقة الهلال الخصيب - وكذا الأنباط (2) - كما أنها سوف تصبح لغة المسيح وشعبه فيما بعد (3)، فضلاً عن أن الحروف العربية لم تكن قد وجدت بعد (4) ، ومن ثم فلا عجب إذا ما دون الأنباط أو غيرهم من العرب بالآرامية - لغة الفكر والثقافة - وتكلموا بلغة أخرى هي لغة اللسان، وقد كان الأعاجم في الإسلام يتكلمون ألسنتهم أعمق، ويدعونون باللغة العربية، لسان العلم والفكر والقرآن الكريم (5).

وعلل المصلح الأصليين السباقين يكون في أن الأنباط: قوم عرب، أم آراميون؟ وتتجه الآراء الحديثة إلى أنهم عرب، حتى وإن تأوا العرب منهم، ربما لأنهم تأثروا بحضارة الآراميين، وكتبوا بلغتهم، وربما لأنهم خالفوا سواد العرب في احترافهم مهماً يلحدوا بالعربي الصميم، ويعتبرون من يشتغل بهذا كالتروافة والصناعات اليدوية (6)، وإن كانت بعض المراجع فيما يصف الأنباط بأنه قوم يكرهون الزراعة، ويزدونها، كما كانوا يتأخرون من السكك في بيوت مستقرة، وقد كانوا رعاة يربون الأغنام وغيرها من الماشية، كما كانوا لا يأمون وجود الأجانب بينهم، خشية أن يقعوا تحت سيطرتهم، ومن ثم فقد كانوا إذا مما وجدوا غريبًا بينهم قتلوه (7).

C.C. Torrey, our Translated Gospels, N.Y., 1936.
EB, P. 277, 282
F. Altheim and R. Stiehl, op. cit., P. 283.
وأيا ما كان الأمر، فإن العلماء يقدمون كثيراً من الأدلة على عروبة الأنباط، منهما (أولاً) أن أسماءهم - كما ظهرت في القوته النبطية - إمما هي أسماء عربية خالصة، ومن ذلك نقص بوتيولي، على مقرية من نابليون إيطاليًا، حيث تقرا - ولأول مرة - إمما علي الذي شاع بين المسلمين بعد ذلك، كما تقرا كذلك في تقوتش أخري أسماء عربية مثل حبيب وسعيد وكيلان وسعد الله ومهر وخيلت وتمام الله وعجيبة ووهب وعبيد وسكتة وجميلة (1) - ومنها (ثانياً) أن الأنباط إذا كانوا يشاركون العرب في عبادة الأسماء المعروفة عند عرب الحجاز، مثل شوا (دوشرا) والژة والدرة وما إلى ذلك. (ثالثاً) أن أثر التحريف العربي في كتبهم الآرامية، لا يدع مجالاً للشك بأن لهما الوطنية، إمما كانت لهجة عربية شملية، حتى بلغ الأمر من كثرة استعمال الكلمات العربية الصرفة في إحدى الكتابات الآرامية المتاخرة - والتي ترجع إلى حوالي عام 218 م - أن النص كله يكاد يكون عربياً (1).

ومنها (رابعاً) أن أسماء ملوكهم - كالحرث وعبادة ومالك وجميلة - أسماء عربية، وليس من شك في أن للأعلام دخل كبير في بيان أصول الأمم (2)، ومنها (خامساً) أن الكتاب القدماء من الأغرقة والروماني، وكذا المؤرخ اليهودي يوسيف ابن مزية - إمما يطلقون على النبط كلمة «العرب»، وعلى أرضهم لفظ «اللغة الحجرية» (3)، ومنهما (سادساً) أن لهما الأصلية إمما كانت العربية، وأنهم لم يستعملوا اللغة والكتابة الآرامية إلا في القوتش (4).

Corpus Inscriptionum Semiticarum, P. 242, 260.
R. Dussaud, les Arabes en Syrie avant l'Islam, Paris, 1907
E. Dhourme, op. cit., P. 34.

(1)  
(2)  
(3)  
(4)  
(5)
وهكذا يتجه كثير من العلماء إلى أن الوطن الأصلي للأنباط، إنما هو بلاد العرب، سواء أكان ذلك في الوسط أو في الجنوب. ومن ثم فإن فريقاً من الباحثين يذهب إلى أنهم قد نزحوا من الموادي إلى أعقاب الحجاز، حيث استقروا هناك واشتغلوا بالزراعة والتجارة والإشراف على القوافل التجارية، بينما ذهب فريق آخر إلى أنهم من المرية الجنوبية، ومن ثم فقد كان هذا سبباً في احترافهم للحرف المألوفة في بلاد العرب الجنوبية منذ العقود القديمة.

ويرى الدكتور جواد علي أن الأنباط، عرب، بل هم أقرب إلى قريش واصل القبائل الحجازية التي أدركها الإسلام، من العرب الجنوب، ذاك لأنهم إنما يشاركون قريشاً في كثير من الأسماء، مثل حبيب وسعود والخالد وقصي وعمرو ومحمد، وفي كثيراً من عبادة الأصنام كاللاوات والعورا. كما أشارنا آنفاً، وإن خط النبط قريب من خط كتلة النبط، وإنهم يتكلمون لهجة قريبة من العربية، بل إن كثيراً من الكلمات العربية المدنية بالأرامية، من نوع عربية القرن الكريم، ثم هناك ما جاء في النص، من أن نابير، وهو نائب عد الأنبياء، إنما هو النبي الإبراهيم، عليه السلام، وإسماعيل، كما هو معروف - جد العرب المدنية.

وأخير فهناك الخبر الذي جاء على لسان ابن عباس، نحن معاشر قريش من النبط، من أهل كوثاريا، قيل إن إبراهيم ولد بها، وكان النبط سكانها.

---

(1) جواد علي، 10/1.
(2) جواد علي، 14/3، يحيى ناصي: أصل النبط العربي وتاريخ تطوره، إلما قبل الإسلام، G.A. Cooke, op. cit., p. 18.
(3) E. Littmann, Nabataean Inscriptions from the Southern Hauran, P. 17, 24.
(4) J. Flavius, Antiquities of the Jews, I, XII, 4, P. 103.
(5) E. Schrader, KLT, P. 121.
(6) لسان 7/111، ص. 498.
فإنما أن إبراهيم، قد وُلد في كوتاريا، فتلك رواية المصادر العربية (1)، وإن كانت رواية التوراة تذهب إلى أنه ولد في دار أوّر (2) - سواء أكان في منطقة الأذن، أو في منطقة العراق الأعلى في منطقة الجزيرة بين دولة العراق وتراث (3) - بل إن هناك رواية أخرى - عربية كذلك - تنص قريباً إلى كوتار (كوثر) (4). هذه، فقد روى ابن الأعرابي أن رجلاً سأله الإمام علي بن أبي طالب - رضي الله عنه وكرمه الله وجهه - فقال: أخبرني يا أمير المؤمنين عن أصلك معاصر قريش، قال: نحن قوم من كوثر، فقال قوم إنه أراد كوثر يلي ولده بإبراهيم، وتأولوا في هذا قول الله عز وجل: "ملة أبيكم إبراهيم" (5)، وسواء أصحت هذه الروايات أم داخلها التحريف، فإنها تشير دون شك إلى صلة قريش - أبناء إبراهيم - على السلام - بالأنباط وكوثري في العراق، فإذا كان ذلك صحيحًا، فإن الأنباط يصبحون إذن من المجموعة الآرامية التي هاجرت من شبه الجزيرة العربية بعد الأمويين والكنعانيين - وكانوا - باديء ذده - ينحدرون من خليج الجزيرة من ناحية الشمال، ويتوزعون إلى الشرق من ناحية العراق، وإلى الغرب من ناحية سورية، حتى بدأوا يتورثون في العراق الأوسط (6)، ومن المعروف أن هناك من يحمل قوم إبراهيم من هذه المجموعة الآرامية، وفي هذا ما يفيد إلى حد كبير صحة ما ذهب إليه المصادر العربية، من وجود قرابة بين القرشيين من ناحية، وبين الأنباط من ناحية أخرى.

ويرى الأستاذ العقاد - طيب الله ثراه - أن مباحث اللغة إما تقدم لنا البيئة الكبرى على قراءة الباطين لأهل الحجاز، ذلك لأن لغة الحجاز لم تتطور من اللغة

(1) ياقوت 2/488-494، البكري 4/1138، ابن الأثير 1/963، الطبري 3/134، المحيوي 30/1، ابن خلدون 2/3.
(2) تكوين 2:2-3، 7:15، نوح 9:48.
(3) أنظر عن موطن الخليل عليه السلام كتابنا "إسرائيل" ص 165-171.
(4) البكري 4/1136.
(5) كتابنا "إسرائيل" ص 337.
(6)
اليمنية مباشرة، وإنما جاء التطور من العربية القديمة إلى الآرامية إلى النبطية إلى الفرعونية، فتقارب لغة النبط ولغة قريش من هذا السبيل، وكان التقارب بينهما في الزمان والمكان، أو في درجات التطور، ولم يكن تقاربًا يقاس بالتراغيم والأملاك، وكانت هذه هي البينة الكبرى من مباحث اللغة على قربة أهل الحجاز من النبطيين، ولم تكن هذه القراءة من اختراق الناسلين أو فقهاء الإسلام، ولكنها كانت قراءة الواقع التي حفظتها أسوار اللغة والثقافة، واستخرجتها من حجارة الأحافير والكشف الحديث.

هذا وقد أشار من قبل ه. مارتن شيرنجلج إلى ظاهرة انتقال الكتابة النبطية من منطقة مدين إلى الحجاز، إلى تطور الخط العربي عن الخط النبطي، ومن ثم فإن الكتابة التي كُتب بها اليوم، إنما هي كتابة متطورة عن الخط النبطي، وهذا بدوره متطور عن الخط الآرامي، الذي استعمل في شمال شبه الجزيرة العربية منذ حوالي القرن الثالث قبل الميلاد، وقد كان منذ القرن السادس قبل الميلاد، خط كثير من دول الشرق الآدبي القديم، وأما أقدم نص عربي وصلنا بالخط النبطي فهو قاش النمارية، الذي يرجع إلى عام 783م، وقد سبق لنا مناقشته بالتفصيل من قبل.

وعلى أي حال، فقد أخذ النبط الآبجدي التي تلقاها الآراميون عن البنجيين، ثم طوروها وحوَّلوا من كتابة مفصلة الخوف إلى كتابة مفصلة الحروف، وبهذا أراحوا الكتاب من كتابة كل حرف على حدة، ومن وضع خطوط رأسية، أو نقط.

(1) مهاس المقاد: إبراهيم أبي الأنيس ص96-167.
لتحديد حدود كل كلمة أو ترك مسافات بين كل كلمة وأخرى، وعنهم أخذ العرب الكتابة التي ما زلنا نستخدمها إلى اليوم - كما أشرنا آننا -.

على أن هناك من يرى أن الأنافذ العربية التي وجدت في الآرامية النبطية، فضلاً عن تشابه الأسماء بين العرب والنبط، إنما كان من أثر الاختلاط بينهما بسبب السكنى والجوار، وليس بسبب روابط جنسية بين الفريقين، ومن ثم فإن الأنابط وإنما هم أراميون احتكوا بالعرب وتتأثر بهم، أو على الأقل، إنما هم أراميون استعملوا بعد حين من النثر.

على أي حال، فإن أقدم معلوماتنا عن النبط، مصدرها مؤلف العصر الميلينطي، ومنهم أديثور و أسترابو، وقد أخذ الأخبار معلوماته عن أائيوروس، وذلك الفيلسوف الذي ولد وعاش بين النبط. هذا وقد اصطدم الأنابط باليهود مراً، وهذا يحدثنا المؤرخ اليهودي يوسف بن مُيّى، عنهم كثيراً، وقد كان الأنابط - فيما يرى - يسكنون منطقة واسعة تمتد من نهر الفرات، فتناخ بادية الشام حتى تنزل إلى البحر الأحمر، كما أنه يرى - وكذا مان جيروم - أن هناك صلة بين اسم نباب، بين إسماعيل، وبين اسم النبط، غير أن يوسفاليهود لم يهتم بتاريخ الأنابط إلا إذا كان هذا التاريخ له علاقة بتاريخ قومه اليهود.

هذا أورك ترك لنا الأنابط كتابات كثيرة في مواضع متفرقة - كالبراء والحجر -

(1) حسن ظاظا: المرجع السابق ص 114.
A.B.W. Kennedy, Petra, its History and Monuments, London, 1925, P. 34.
(2) وكذا، جواب علي 10/3، قاموس الكتاب المقدس، ص 58/1.
(3) A.B.W. Kennedy, op. cit., P. 33.
(5) EB, P. 3254
(6) P.K. Hitti, op. cit., P. 69.

- 501 -
والعلا وتبما والخير، وفي صيدا ودمشق، فضلاً عن أماكن أخرى في حوران واللجاء وسنجاء والجوف واليمن ومصر وإيطاليا – اهتم العلماء بدرستها ونشرها (1).

وعلى أي حال، فمكاتبنا القول أن مملكة الأنباط قد وصلت إلى أوج مجدها على أيام الحرام الرابع (9 ق.م - 404 م.)، وأنها كانت تشمل منطقة واسعة تضم دمشق وسهل البقاع، والأقسام الجنوبية الشرقية من فلسطين، وحوران وأدوم، ومدن العلا وسواحل البحر الأحمر، وبعبارة أخرى، فإنها كانت تضم جنوب فلسطين وشرق الأردن وسوريا الجنوبية الشرقية. وشملت شبه الجزيرة العربية، وأن القسم السوري منها إذا كانت تفصل عن قسم شرقي الأردن منطقة اتحاد الديكابولس (2)، وأن وادي الرخان كان يربط ما بين التسمين، وأخيراً، فإنه ما يشير إلى وجود آثار للأنباط في الأقسام الشرقية من دنا الين (3).

وقد ظهر الأنباط لأول مرة في القرن السادس قبل الميلاد، كقبائل بدوية في الصحراوات واحة شرقي الأردن، ثم استمروا كذلك حتى القرن الرابع ق.م، وخلايا يعيشون في خيام، ويتكلمون العربية ويكرهون الخمر، ولا يهممون كثيراً بالزراعة، وفي القرن الثاني تركزوا حياة الرعي، واتبعوا حياة الإستقرار، وعملوا في الزراعة والتجارة، وفي أوائل القرن الثاني قبل الميلاد تحولوا إلى مجتمع منظم جداً متقدم في الحضارة ومتصفي بالتطور والترف، وكان مثلهم هذا مثالاً آخر (4).

A. Musil, Arabia Deserta, P. 471.

(1) اتحاد الديكابولس: أُوْنْ هِلَفَ الْمَدِينَاتِ الْأَرْدَنِيَّةُ، وَهَذَا تَبَيَّنُ أَنَّ مَرَجَّاً إِبْنَ مَآَرَيدِ الْأَرْدَنِيَّةُ،

(2) مُتمَعَّنَةَ نَشْرَ الرَّمْلِ، وَكَانَتْ هِنَاكْ مَدَنَّاتَ مَهْرِتُ عَلَى تَلْكَ الْمَدَنِيَّةِ، بِبَيْتِ الْحَرَامِ (إِبْرَاهِيمَ)

(3) وَبِيَالَ جَوْنَ (تَلْيَاتُ الْأَرْدَنِيَّةُ) وَبِيَالَ قَلْبَهَا وَبِبَيْتِهَا (بَيْتُ الْحَرَامِ)


المثال الأول هو المُنْتَجِينِ، أَنْ ذَلِكَ فِيْلِبَ حَتَّى: المُرْجُ الساكن من 242، وكذا، كابانا إسرائيل
يوضح الحادث الذي كان يتكرر في تاريخ الشرق الأدنى القديم، وهو تحويل الرعاة إلى مزارعين، ثم إلى تجار في بلاد قليلة المراعي، ولكنها حسنة الموقع بالنسبة إلى تجارة القوافل التي عوضت قلة مواردها الطبيعية.

وأما أقدم ما وصلنا من أخبار عن الأنباط، فإما يرجع إلى عام 212 م، حيث يسجل هذا العام انتصار الأنباط على قوات باتيجونوس، ذلك أن ديودور الصقلي، يروى أن باتيجونوس، الذي خلف الإسكندر المقدوني (356-323 ق م) في سوريا (1)، قد أغار على البقراة في عام 212 م، بسبب موالاة النبط لأبيبولس الأول (222-283 ق م)، ومن ثم فقد أعد حملة تحت قيادة صديقه أثيوس، من أربعة آلاف من النشأة وسمائة فارس، ليبغهم على التحالف مع ضد ببطيولوس، ونبع أثيوس، في أن يخلي أمر حملته، وأن يسير إلى البقراة عن طريق أودوم، وأن ياغتها ليلة، والناس يوم، فضلاً عن غياب حراسها من الشباب والرجال الأشداء في سوىهم، ومن ثم فقد كتب له التحالف عليها، ونبع ما استطاع من بخور وتوابل وطلب وفضاء، إلا أن الأنباط سرعان ما علموا الأمر، فطاردوا النازعة ذات ليلة كانوا يستريحون فيها من وعاء السفر ومشقة الطريق، وأعملوا السيف فيهم، حتى قضوا عليهم، إلا خمسين فارساً هربوا بسلام، وإن أصيبوا بجراح من سيف الأنباط، وطلل ديودور ذلك الفشل الذي ميت به الحملة، وأن رجلاً ما كانوا يتروفون أن يطلبهم الأنباط بهذه السرعة، ومن ثم فقد أعملوا الحراسة، وكانت الأمساء.

(1) فيليب حتى المرج السابق ص 416.
(2) أنظر عن الظروف التي أساتذة الدولة الإسكندرية عقب وفاته في 13 ينورية 332 ق م.
(3) تقسيم البطاركية بين قرادة (إيراهيم نسيجى: تاريخ الخضرة المصرية - مصر البيزنطي الروماني ص 4-8، تاريخ مصر في عصر البطالة 05، وما بدأها، لطفي عبد الوهاب: دراسات في تاريخ مصر 1968، ص 44-44. 438 ص 8، وخليفة للإسكندر حتى الفتح العربي ص 28-44).
وعاد الأنباط إلى البراء، وكتبوا رسالة بالسريانية (1) إلى "أنتيجونوس" (Antigonus)، يحملون فيها قانده وزر ما حدث، وجرعوا عليهم الرجل ردًا مرضيًا، أن ما حدث إنما كان بغير علم منه، وأن قانده قد تصرف برأيه، ثم يعترف رسالته بأعلان صداقته لهم، بينما كان في واقع الأمر، إنما بعد بطولة جديدة، قد يئشها من الأسباب ما يكفي لها النجاح، وهكذا ما أن يمضي طويل وقت حتى يرسل إليهم ولده "ديمتريروس" على رأس حملة قوامها أربعة آلاف من الفرسان، ومثلهم من المشاة، ويدعو أن الأنباط إنما كانوا يتوقفون عليها من "أنتيجونوس". ومن ثم فقد كانوا في حيطة من أمرهم، فأمنوا أمرهم في مواضيع حديثة لا تصل إليها أيدي الطاغية الطامعين، ثم تفرقوا في الصحراوات، وهكذا ما أن وصل "ديمتريروس" إلى الصخرة (أم البيارة) حتى هاجمهما بعنف وشراسة، إلا أن محاولة هذه لم يكتب لها نجاح، ومن ثم فقد عاد بخين حنين، قاما بما قد وصل إليه الأنابط من هدايتهم (2).

ويبدو أن علاقة الأنباط بالبطالة بدأت تتدحر على أيام "بطليموس الثاني" (246-284 ق.م.) ذلك أن الرجل قد بدأ يفكر في استكثار التجارة البحرية والسيطرة على البحر الأحمر، ومن ثم فقد أمر بإعادة فتح القنال القديمة التي كانت

اللغة السريانية: لغة أرمنية قديمة نشأت في إقليم الرها (أديسيا عند الرومان، أورفا الحالية) في جنوب شرق تركيا، قريباً من الحدود السورية، وقد بدأت اللغة الأرمنية هذه تسمى "سريانية" بعد انتشار المسيحية، تظهرها لغة الآراميين أو اليهودية، لا سيما أن لغة الآرامي كان قد اندثر في أعقاب الفتحات التي قام بها هذه الإقليم محاولاتها لانتشار "جاهل" عند المسلمين، أي لا يوجد وعبد الأصمات، وهذا أصبحت السريانية - لغة آدانا - لغة الكنيسة في سوريا ولبنان وبلاد اليونان، فيما بين القرنين الثالث والثالث عشر الميلادي، ومن ثم أصبحت اللغات الآرامية يعرَّفون باسم "سوري"، تعلمهم عدة شعب آدانا، ثم سرعان ما استمرت اللغات الرومانية، وهي "سريانية" باللغة العربية، و"سريانية" باللغة الإسبانية (أتراك: "شام"، إلى "الربع"، من "الربع"، يرد "شام").  

(1) أ. ب. و. كندي، op. cit., P. 31.  
(2) ج. ع. ج. 200-1919، ص: 181-118.  
F. Altheim and R. Stiehl, op. cit., P. 32.
تصل النيل بالبحر الأحمر (1)، وهو المشروع الذي طالما فكر المصريون في تنفيذه على أيام الدولة الحديثة (1575-1087 ق.م.)، ثم على أيام نخازن الثاني (2) الذي تخلع عنه فجأةً، لأن نبوعه جاء من برتو، تقول أن القناة ليست في مصلحة مصر، وأنه لن يستفيد منها إلا الأجانب (3)؛ وهو نفس المشروع الذي أعده ëدارا الأول القايمي (222-386 ق.م.) لمصلحة بلاده (4).

وأياً ما كان الأمر، فإن بطليموس الثاني قد أرسل بعد ذلك 600 آرسات لكشف الساحل الشمالي للبحر الأحمر (5)، إلى جانب إنشاء موائمة على هذا البحر (6)، فضلاً عن توسيع دائرة التبادل التجاري بين مصر وبلاد العرب والمسلم، وذلك رغبة منه في تصريف المنتجات المصرية كالنسوجات والزيوت والآليات الزراعية والأسلحة وغيرها من معدات القتال، فضلاً عن الحصول على المطر والبهار والبحور والبر والشتان والزعفر والزئبق والمعبر، والقدرة على الصوامع ومن بلاد العرب الجنوبي والمصري (7).

وهكذا وضع بطليموس الثاني الساحل العربي للبحر الأحمر تحت سلطانه، كما عمل في نفس الوقت على توطيد علاقاته الطيبة بو ديدان، على طريق القوافل، وربطها بيناء جديد على البحر الأحمر، مما أدى في نهاية الأمر إلى تحويل التجارة...

---

(1) دائرة المعارف الإسلامية 980/474، إبراهيم نصفي، دراسات في تاريخ مصر، ص 124.
G. Posener, le Canal du Nil a la Mer Rouge, in Chronique d’Egypte, 26, P. 272.

(2) أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص 426.

(3) فضل حوراني، المرجع السابق، ص 55، إبراهيم نصفي، المرجع السابق، ص 121.
W.W. Tarn, JEA, 15, P. 14.

(4) ووكذا.

(5) إبراهيم نصفي، تاريخ الحضارة المصرية، العصر اليوناني الروماني، ص 45.
البحث عن طريقها القديم الذي كان يمر ببلاد الأنباط إلى هذا الطريق الجديد، ثم العمل على فتحها بعد ذلك إلى مصر، عبر البحر الأحمر، عن طريق المراكب (1).

وقد أدى ذلك كله إلى أن تشهد العلاقات التجارية بين مصر وبلاد العرب، نشاطًا لم تعهده من قبل (2)، ولا إلهام على ذلك من أن البطالمة قد أشاروا مناصبًا جديداً في أواخر القرن الثاني وبداية القرن الأول قبل الميلاد، وهو منصب قائد البحر الأحمر والبحر الهندي (3)، الذي يرجع أن الذي كان يتولاه في بادئ الأمر قائد مديرية وقفة (5) (بالمحافظة فلسطين)، أما بعد عام 78 ق م فقد شغل المنصب قائد منطقة طيبة (4).

على أن الأمر قد مختلف بالنسبة إلى الأنباط، فقد كان استكشاف السواحل العربية على البحر الأحمر، وإعادة القناة التي تصل النيل بالبحر الأحمر، فضلاً عن خضع فلسطين وفينيقية مصر، إما يعني سيطرة مصر على التجارة البحرية، وهذا يعني ببساطة خسائر فادحة للأنابض الذين كانوا يحصلون على أرباح باهظة من تجارة القوافل التي كانت تمزق بلادهم، ومن ثم فقد انتهى القوم فرصة الحروب التي استمر أورها بين البطالمة والسلاقيين، وأخذوا يشتؤن الغارة تلو الأخرى على السفن النافذة أو الآلية من مصر (6)، وقد أدى هذا الوضع الجديد إلى أن يشبئ بطيموس الثاني قوة بحرية حرساً لهذه السفن التجارية (5)، بل إن هناك من يرى أن الرجل

---

1. S.A. Huzayyn, Arabia and the Far East, Cairo, 1942, P. 86.
4. Strabo, III, P. 402
6. M. Rostovtzeff, op. cit., P. 383F.
ربما قاد أرسل - عقب رحلة أرسطون - حملة ضد النبط (1) ، فضلا عن الإستيلاء على أهم المحطات والموانئ التجارية ، كما أنه حين خُليق العقبة (2) ، وكوبى (3) على ساحل الحجاز - وهي الخوارير لمصر إلى المدينة على رأى (4) والمويلح على رأى آخر (5) وعينونه أو الخطبة على رأى ثالث (6).

ومن المحتمل أيضا أن بطليموس الثاني قد استولى وقت ذلك على الشاطئ الشرقي للبحر البحت الذي كان في قبضة النبط ، كما أن هناك احتمال أنه قد شجع ميليتونس على إنشاء مستعمرة لنا على الشاطئ الشرقي للبحر الأحمر ، في مواجهة المدينة المنورة ، ومن هذا التطور الذي عرف باسم Amlouni كانت التجارة بلاد العرب والهند تنتقل إلى مصر (7).

ملوك الأنابط:

كان "الحارث الأول" (160-146 ق.م) على رأس هؤلاء الملكين (8) ، وكان يدعى عند اليهود "أريتاس" وملك العرب (9) ، وقد تسمى باسم "الحارث" كثير من ملوك الأنابط ، ومن ثم فقد ذهبت بعض الآراء إلى أن هذا الإسم إذا كان لقباً لملوك الأنابط ، مثله في ذلك مثل فرعون عند المصريين ، وقيصر عند الروم ، وكسركى عند الفرس ، والنجاشي عند الحبشة ، وتبع عند اليمنيين (10).

(1) إبراهيم نصفي: المرجع السابق ص ١٢٢ ـ ١٢٣
(2) جواب علي ٣٧/٣
(3) C. Forster, op. cit., P. 220.
(4) W. Vincent, op. cit. P. 230 ـ ١٠٩/٦
(6) جواب علي ٣٨/٣
(7) إبراهيم نصفي: المرجع السابق ص ١٢٢ ـ ١٢٣
(8) G.A. Cooke, op. cit., P. 216.
(9) جواب علي ٣٧/٣ وقذا
وكان الحارث معاصرًا لمؤسس الأسرة الملكية (١)، وأن الأمرتي قد بدأوا عهدهما كحليفين صحيحين ضد ملك سوريا السلوقيين (٢) ومن ثم فإنا نقرأ في سفر المباني الثاني (٣) أن هاريس (الحارث) قد طرد جاسون - الحاخام اليهودي في بيته المقدس - من بلاده، وأن الأخير قد اضطر إلى الفرار إلى مصر، كما وقفت هاريس كذلك إلى جانب الملكيين في ثورتهم ضد السلوقيين (٤).

وجاء في دين ركز (١٤٢ - ١١٠ ق.م) بعد الحارث الأول، ثم خلفه الحارث الثاني في الفترة (٢٠١ - ١٨٩ ق.م) على رأي (٥) وفي الفترة (١٣٩ - ١٩٧ ق.م) على رأي آخر، وربما في الفترة (١٠٧ - ٨٨ ق.م) على رأي ثالث (٦). ومع أي حال، فهو المعروف باسم "إيروثيموس"، وربما كان هو الذي عانى وسف اليهودي في أحداث عام ١٩٧ ق.م. فيه يرى بعض الباحثين (٧) وذلك حين بلغه إلى الأهل غضب يطلبون منه وعنه حصارهم وسكندوس جنباءوس (١٦٥ - ٧٦ ق.م) الذينهم، إلا أنه لم يكن عند حين الظن به على رأي (٨)، وأنه قدم إليهم ما يطلبون على رأي آخر (٩)، ومن ثم فقد بدأت العلاقات بين الطرفين تأخذ اتجاهًا آخر، حين رأى الأباط أن الملكيين إما يسعون إلى الإستيلاء على الأردن.

(١) هرودا الملكي الذي قام بثورة في عام ١٦٨ ق.م، ضد الأسرة الإمبراطورية اليونانية، ثم سرعان ما تحولت إلى ثورة تحريرية تبدو في ظلها نجمة ونطليوس الرابع (١٦٤ - ١٤١ ق.م) وأنه كان يتبعه شقيقه هرودا كاهنًا، مما أسهم في إطاراته في عام ١٠٢ ق.م. (كما ذكرنا أعلاه ٢-٢٤) ووكذا وردت دربلاً ملوناً دامت حتى مجيء الرومان بعد مائتين عامًا (فيليب حتى:
المراجع السابق ص ٢٦١-٢٧٨، ص ٥٠٩). (٢) ملكين أول ٢٤٠-٢٢٧، ص ٥٠٩.
(٣) ملكين ثالث ٨٠٠.
(٤) عبد الميزان: المراجع السابق ص ٢-٢ ص ٤٣٢، تاريخ يوسف، ص ٧٠.
J. Hastings, ERE, 9, P. ١٢١. وكذا EI, III, ٨٠١، وكذا.
F. Altheim and R. Stiehl, op. cit., P. ٢٩٠.
E. Schrader, op. cit., P. ١٥٣.
KLT, P. ١٥٣.
F. Altheim and R. Stiehl, op. cit., P. ٢٩٠.
(٥) جوشيا ٧/٣، وكذا.
(٦) فلسطين حتى: المراجع السابق ص ٤٤٩.
تم التوغل في أرض النبط نفسها، مما كان سببًا في أن يقف الأباطب في وجه السياسة المكابية (1).

وفي عهد الملك عبادة الأول، نجح الأباطب في إلحاق المزية بأسكندر جنابوس في موقعة دارت رحاها على الشاطئ الشرقي لبحر البلطيق، ومهدت الطريق لاحتلال الجنوب الشرقي من سورية (منطقة حوران وجبيل الدروز اليوم). أما أسكندر الملك، فقد رفض القدس، حيث قويه هناك معارضة شديدة. سرعان ما تحولت إلى عداء صريح، يمثل في استدعاء أحد الحكام السلوقيين وتنصيبه ملكًا، وهكذا وضعت الظروف لأسكندر، بين خصمين قوين (ديمتر أويس الحاكم السلوقي وعبادة الملك النبطي)، ومن ثم فقد رأى أسكندر أن من الخير له أن يكسب ود الأباطب، حتى يستطيع الحفاظ على عرشه، فتناول لهم عن مواعد وجعلاد، وأماكن أخرى كان يخشى من انضمامها إلى أعدائه (2).

وبعد الحرب الثالث، الذي جاء بعد رابع أول، من أشهر ملوكي الأباطب، وإن اختلف المؤرخون في فترة حكمه، فهي في الفترة (2) 625-470 ق.م، على رأي أنه 409، إلا أنه ماب لا شك فيه أن عهده قد انتشر بفتوحات واسعة، بدأت باستيلائه على دمشق، وعلى سهل البقاع في حوالي عام 85 ق.م، وذلك بناءً على دعوة تلقاها من سكان المدينة.

The Universal Jewish Encyclopaedia, 8, P. 79.

Josephus The Jewish War, I, IV, 3-4.

Die Araber, I, P. 291.

E. Schrader, op. cit., P. 153.
العريقة — وكانت عاصمة السلوقين وقت ذلك — إنقاذهم من هجوم الأيتوريين (1) الذين كانوا يطمرون في الإستياء عليها، ومن ثم فقد أعلن عليه القوم محب اليونانيين وحاميهم (2).

وكان الحاصل قد بدأ يستغل ضعف السلوقين في مصلحته، ومن ثم فقد احتل فرصة هجوم أنتويرس الثاني عشر (84-88 ق م) على بلاده، ولكنه دسًا قاسياً عند ساحل يافا في عام 85 ق م (أو في عام 86/84 ق م) قاضي فيها على معظم جيشه (3).

وهكذا استطاع الحاصل الثالث أن يرغم حكمه في الداخل، وأن يفرض تفويده في الخارج، وقد واثته فرصة ثانية بعد استيلائه على دمشق، وذلك حين انضم إلى جيشه فريق من رجال الحرب اليونان، وقد عمل الحاصل على الإفادة منهم في تنظيم جيشه وتدريبه، بل وتحويله من جيش يعتمد على رجال من الأعراب، يخوضون المعارك بروح من البداوة التي لا تقبل الخضوع للأوامر والنظم العسكرية، وتهتم أول ما تهتم بالغنائم والأسلوب، إلى جيش نظامي مدرب، كان الدعامة الأساسية في فرصة تفويده في الخارج، فضلًا عن أن الرجل قد تعلم بقوة هذا الجيش في أن يصبح أقوى حاكم عرشه بلاد الأنباط حتى يومه، ومن ثم فقد بدأ الحاصل يتدخل في شؤون مملكة يهودا المندارية، في أول الأمر، ثم يقدم على مواجهة جيشه الرومان بعد ذلك، وإن كانت النتيجة في كلتا الحالتين مختلفة

(1) الإيتوريين : من أصل عربي ، وناتهم آرامية ، وهم يبطرون في الثورة ( أنظر : تكوين 4:15-17 ) ، فليب حتى : المراجع السابق ص 269 .
A. Kammerer, op. cit., P. 515.
(2) جواء على 3/3 وسوا
(4) جواء على 3/30-31
كانت الأموات في دولة يهودا قلقة، ومن ثم فقد كان على الحرب أن يضع حداً
هذا القلق، فإن لم يفعل، فإن الأحزاب اليهودية ما كانت بقدوة على أن تركه
على الحاد، وهكذا ما أن يفيض حين من الدهر، حتى يبدأ الجيش النبطي يهاجم
يهودا، ويشتبك معها في معركة ضارية عند حيدا،
(المدينة على مقربة من اللد) ينهزم فيها جيش اليهود شر هزيمة، ويطلب الأسكتور والصلح على شروط
الأنباط، التي تجاهلها المؤرخ اليهودي يوسيميوس، ولم يقل لنا عنها شيئاً.

ويبعد أن الظروف السياسية دعت الحرب مرة أخرى للتدخل في شنون يهودا،
إبان الخلاف الذي دب بين وليداس، إسكندر جاتيموس، أرسطو بريس وهركونوس،
واقتضى اليهود إلى فريقين، الصديقون ويتبعون أرسطو بريس، والفرسون
ويتبعون هركونوس، الذي فر إلى البران، للفتح في السنة.

لإعادة التأسيس وإدارتها بملك، على أن يعشر للحوار في مقابل ذلك، المدن
الإثنتي عشر التي كان قد أخذها أبوه من العرب، وبقي الحاد الطاعون أملًا في
أن يوضع أملاً على حساب يهودا، إن لم يقل له أن يوجه إليها الضرر القاضي،
وهكذا يوجز الحاد جيشًا قوامه خمسون ألف رجل مهاجمة أرسطو بريس، الذي
سرعان ما يقع إلى القدس بعد هزيمة مكيدة، فيما بين الحاد إلى المدينة المقدسة،
ويكاد يستولي عليها، لولا قيام الرومان بالهجوم على دمشق، ثم إرسال حملة عسكرية
إلى القدس نفسها للتدخل في النوايا القائمة وقت ذلك، ومن الأنباط من الاستيلاء
عليها.

وهكذا يضطر الحاد إلى فك الحصار عن القدس، إلا أن أرسطو بريس،
الذي نجح في أن يضم إليه قائد الحملة الرومانية، سرعان ما يتقدم الأنباط،

Josephus, The Jewish War, P. 302.
وهم في الطريق إلى رودية عمرن(1)، وهناك عند بابرون معركة بين الجاينيين، أنصر فيها أرسطوبيلس، وتقتل ستة آلاف من أتباع الحارث.

وفي عام 67 ق.م. بدأ الرومان يتحرشون بالحارث النبطي، ورغم أنه قد صمم باديءاً ذي بدء على أن يعنوا حرباً شعواء على الرومان واليهود سواء بسواه، إلا أنه سرعان ما أدرك الحقيقة المرة، وهي أن جيشه ما كان في استطاعته أن يقف أمام جيوش الرومان الكثيرة العدد والعدة، والمردبة تدريجاً يفوق تدريب جيوشه إلى حد كبير، ومن ثم فقد جاء إلى مهادنة هذا العدو القوي الشرس، وتم الصلح بينهما على أن يدفع الحارث جنوده للروم، واعتبر بمهمة أن ذلك إما هو خضوع من الأنباط الرومان، ومن ثم فقد وضع صورة الحارث في مركب نصره، كما أمر القائد الروماني سكورس أن تضرب النقود عليها صورة الحارث، وهو منكس الرأس، وحَلَا سَمَّنه، تعبيراً عن استسلامه(2).

وهكذا انتهت آمال الحارث في أن يبرث مملكة السلوقيين في الشام، بخاصة وأن يومي كان قد استولى على دمشق منذ عام 64 ق.م. بعد أن كان الحارث قد أحلها منذ عام 70 ق.م، وإن رأى البعض أن الحارث قد احتفظ بدمشق في مقابل

(1) "روية" كذلك، يشير اسمها في الأدب الأثري إلى "فلادافيا" نسبة إلى باديلوس فلادينوس (بديلويوس الثاني) وهي في موقع "عمان" الحالية عاصمة الأردن، حيث يوجد في اسمه جزء من اسم السوميين الذين تسمى التوراة إلى "بي معي" بين لوط، وكان كافن يسكن في الشمال الشرقي من "مباب" في الأفライ الأعلى من "بيوق" (أناش: تكريم 1928، كابان "إسرائيل"


CAH, IX, P. 382 و كذلك F. Altheim and R. Stiehl, op. cit., P. 302.

F. Altheim and R. Stiehl, op. cit., P. 303

J. De Morgan, Manuel de Numisme Orient, 2, 1924, P. 237.

و كذلك: جيود على 32/3.

(2)
يبلغ ضخم من المال، وعلى أي حال، فإن بومي قد ضم سورية الجغرافية والتقليدية في ولاية واحدة وجعل من الطائكة عاصمة لها (1).

وهناك في البراء كتابة عليها اسم الحارث، دونا أحد قواده في المدراس، وهو معبد ذي الشرف إليه الأنباط الكبير، هذا وقد كان الحارث مغرما بالحضارة الهليونبية، ومن ثم فقد ترك الباب مفتوحا على مصرفية للتاثيرات اليونانية، فهو أول من سلك تقدوا نبطية، اقتبس لها النموذج المروع عند الباطلة، كما أتي بالصناع السوريون الذين أدخلوا النماذج الهليونبية إلى عاصمتها، وربما كانوا هم الذين أنتجوا الواجهة الجميلة المعلقة اليوم بالمزارة، كما يرجح أن المسرح وهو بناء على الطراز اليوناني - قد بيّز الرومان، وهاكما بدأ البناء مثمرة.

مدينة هليونبية نموذجية، فكان فيها شارع رئيسي جميل، وعدة أبنية دينية وعامة (2).

وجاء بعد الحارث ولدنه عبادة الثاني، الذي حكم في الفترة (27-60 م ق).

على رأي، وفي الفترة (47-67 ق م) على رأي آخر، ولدنا من عهده تقدم من الفضيلة، من فئة الدراشمة، يرجع إلى العام الثاني أو الثالث من حكمه، وقد صور الملك عليه بوجه حليق ورأس ذات شعر قصير، وقد ساهم سياسة الأنباط منذ أيام هذا الرجل كانت مقصورة على المحافظة على استقلالهم، والإرتباط بالروماني بروابط الحلف والولاء، ومن ثم فقد شاركوا على أيام مالك الأول في حملة يوليوس قيصر على الاسكدندرية في عام 47 ق م، بفرقة من الفرسان، ساعدته على القيف.

على ناصية الأولموري هناك، والخروج من الأوقاف الذي كان فيه (3).

EB, P. 991.

(1) فيليب حتى: المرجع السابق ص 319، جرائط على 319، وكذا
Clermont-Ganneau, RAO, II, P. 379، وكذا
Provincia Arabia, I, P. 209.

(2) فيليب حتى: المرجع السابق ص 420، وكذا
جرجيج زيدان: المرجع السابق ص 88، صاحب المطبخ: المرجع السابق ص 39، عبد الميزر
Salim el مرجع السابق ص 324، جرائط على 324، وكذا
H. Von Wissmann and M. Hofner, op. cit., P. 306
P. K. Hitti, op. cit., P. 68.
وجاء هملاك الأول، وقد حكم في الفترة (36-47 ق.م.) على رأي و في الفترة (50 أو 47-30 ق.م.) على رأي ثان، و (30-28 ق.م.) على رأي ثالث، بل إن هناك من يذهب إلى أن فقد حكم بعد الحرب الثالثة مباشرة، وأن ذلك إذا كان في الفترة (26-30 ق.م.) (1).

وأما ما كان الأمر، فإن التاريخ يحدثنا أن الأندلس قد عصفت بسفينة الأنباط على أيامه و لم يكن ذلك بسبب يتصلي بالحيل، بقدر ما كان يتصل بالتغييرات التي حدثت في هبهذا، وذلك أن الرومان كانوا قد عهدوا بأمور الشرق إلى مارك أنطونيو (31-30 ق.م.) الذي عمل على القضاء على سلطة المهاجرين، وإقامة سلطة أخرى من الأندوميين عل يرأسها هيركولاهوس، إلا أن زمام الأوراق إذا كان بيد الإثبات، وما كان جاء عام 73 ق.م. حتى أصاب هيرودوس بن الإثبات ملكاً على أورشليم، واستمر كذلك حتى عام 4 ق.م. وبعد نحو عامين من مولد السيد المسيح على السلام، الذي رأى العلماء أنه كان حوالي (6-7 ق.م.) إلا أن هيرودوس كان طوال تلك الفترة أداة طيعة في أيدي الرومان الذين قبواه ملكاً على اليهودية (2).

ول في تلك الأثناء كانت العلاقات بين الرومان والليب قد تدهورت إلى حد كبير، ربما بسبب امتلاك الأنباط عن دفع الجزية للرومان، وربما لأن الليب قد وقفوا إلى جانب الفرس عندما أرادوا الإستيلاء على فلسطين، وأيما كأن السبب، فإن الرومان -وقد انتصروا على الفرس- بدأوا يتجهون نحو الليب، ومثم فقد أجبرهم حوالي عام 40 ق.م. على دفع جزية كبيرة، ثم زاد الموقف تعقيد عندما منح مارك أنطونيو جزءاً كبيراً من فلسطين، فضلاً عن بلاد الأنباط إلى كليوبتارا ملكة مصر، كما بايع ولهده منها - وبدعى بطليموس - ملكاً على سوريا، وهكذا.

J. Hastings, ERE, 9, P. 121.
(1) فيليب حتى: المرجع السابق ص 420 وكذا.
(2) فيليب حتى: المرجع السابق ص 311-312، حواده على 316-317، وكذا.
Josephus, Antquities, XIV, 8, 3, 5, XV, 6, 4, The Jewish War, I, XIII, 8، وكذا.
أصبحت كليوبترا صاحبة الحق في جزيرة الرومان من الأباط، غير أن النضال قد امتدعوا عن دفع الجزية للملكة مصر، ومن ثم فقد طلبت كليوبترا من مارك أنتونيو الإسراع في تأديب الأباط.

وكانت سياسة كليوبترا تهدف إلى السيطرة على بلاد العرب الشمالية، فضلاً عن محاربة إيباها وأنطونيغ من أجزاء في فنيقيا وسوريا. ومن ثم فقد أرادت التخلص من ملكي العرب واليهود على السواء، وهكذا شجعت هيرودس، ملك اليهودية على محاورته الأباط، ويدعى أن هيرودوس كان ينتظر هذه الفرصة، ومن ثم فقد أسرع بحجة على الأباط عند نهر الليد وما أن تلبه النصر هنا حتى يسرع بهجومهم مرة أخرى عند قنا في البقاع، ويكاد يتصور عليهم إلا أن موازين النصر سرعان ما تغيّرت إلى جانب النبط. فقتلا عددا كبيرا من جيشه، وأسروا آخرين، وفرّ هيرودوس إلى القدس.

و هنا بدأ هيرودوس يعدّ العدة لحول أخرى، بشاعة وأن النبط بدأوا يهاجمون مدنهم، مما أدى إلى قيام سلسلة من المعارك تبادل فيها الجانبان النصر والهزيمة. فضلاً عن الخسائر في الرجال والمعدات، ويزعم المؤرخ اليهودي يوسيفيوس أن النصر كان في النهاية إلى جانب اليهود، وذلك حين جمع هيرودوس قواته وأعاد تنظيمها في عبر الأردن، والتحم مع الأباط في معركة ضارية عند عمان، فأرسل بحمض الأفراد والتحج مع الأباط في معركة ضارية عند عمان، فأرسل بحمض الأفراد وأربعة آلاف أسير، فضلاً عن سبعة آلاف أخرى لقوا حتفهم بأيدي اليهود، حينما حاولوا الفرار من الحصار، وكان نتيجة ذلك كله أن اضطر الأباط إلى دفع جزية لـ هيرودوس، وإذا كان ما زعمه المؤرخ اليهودي صحيحاً، أو حتى قريبًا من الصواب، فليس هناك من ريب في أن

(1) تاريخ يوسيفيوس ص 168، فيليب حتى: المرجع السابق ص 312، جواب على 30-3، 312-3، 326-2، 307.
قوة هيرودوس لم تكن وراء هذه الانتصارات، وإنما كان السبب قوة الرومان الطاغية، وجبن الأنباط غير المدربين ١.

وجاء عبادة الثالث (١٠٠-٨٠ ق.م.)، وربما لقي ميتة عنيفة على يد وف نبره صالح (سليمان) الذي لقي نفس المصير في روما حوالي عام ٥ ق.م. ٢، على أي حال، فإن عهد هذا الملك ترجع الحملة الرومانية على اليمن بقيادة اليساكيوس للأمر الذي أشرنا إليه من قبل - وأوته لمن الأهمية بناء الإشارة إلى أن هناك كتابة أثرية على مثال لعبادة الثالث ٣، هذا، تصفه بالإلهي، مما يدل على أن الأنباط كانوا يمرون ملكهم بعد الموت ٣، وربما كان الأنباط في ذلك يندون السلوقيين الذين لقبوا أنفسهم بلقب ديوسور ٤، أي الامله.

وخلقت عبادة الثالث على عرش الأنباط الحارث الرابع، لمدة تقارب نصف القرن من الزمان (١ ق.م - ٤٠ م.) وقد حمل لقب رحم عم أي الحب للملكة، ولقب taboo البشط ٤، ورغم أن الرجل كان ينفسي عرشه حين تولأ دون إذن من ٤ أغسطس (٢٧ ق.م - ١٤ م.) قصير روما إلا أن عهده كان عهد رخاء وسلام، تناول فيها نشر الحضارة الرومانية، مما كانت علاقاته بجيرانه اليهود في بداية الأمر طيبة، ومن ثم فقد زوج ابنه من هيرودوس، حاكم اليهود، وابن هيرودوس الكبير، إلا أن هيرودوس قد تجأ بعد حين من الدمار، فطلق إبنته الحارث الرابع ليزوج من راقصة كانت السبب في مقتل١ يوحنا المعمدان.

ونقرأ في الإنجيل أن هيرودوس أراد أن يزوج من هيروديا، امرأته أعيه فليب، إلا أن يوحنا المعمدان قد ألقى بغير ذلك، ومن ثم فقد قرر هيرودوس

١ F. Altheim and R. Stiehl, op. cit., P. 306
٢ Josephus, The Jewish War, I, P. 383.
٣ El, 3, P. 801
٤ F. Altheim and R. Stiehl, op. cit., P. 286
٥ J. Hastings, op. cit., P. 121.
٦ G.A. Cooke, op. cit., P. 244
٧ F. Altheim and R. Stiehl, op. cit., P. 286.
٨ قليب حتى : المرج السابق من ٢٣ وكداؤ
٩ J. Hastings, op. cit., ٩, P. 121.
الانتقاص منه، غير أنه خشي غضب القوم لأنه كان عندهم مثل نبيهم (1)، ومن ثم فقد اكتفى بإلغائه في غياحب السجون، وانتهى هيروديا فرصة ضد ميلاد هيرودوس فتنت مع ابنها سالومي، على أن ترقص شبه عارية لسمه الملك، وحين تنتهي من رقصتها، ويفت تملك بها، تطلب منه أن يعطيها رأس بوخا في طبق، وتفعل سالومي ما أرادته أمها، وهنا يضطر الملك إلى تنفيذ رغبتها، بناء على وعد منه أن يعطيها ما تريد، أي كان هذا الذي تريد (2).

والأمر بهذا الصورة يحتاج إلى وقت، (فأولا)، ليس هناك من شك في أن بوخنا المعمدان (بِيْحى عليه السلام) نبي من أبناء الله المصلحين الأخبار، (وثانياً)، لما إذا لم يكن بوخنا هذا الزواجه، وبما علي أن اليهودية - دين هيرودوس - لا يمنع ذلك بل تفرضه على المؤمنين بها، كما تفرض كذلك أن ينسب الأبناء من هذا الزواج الجد إلى الأخ المتقن (3)، فإذا كان ذلك صحيحاً، فإن المسيحيين إذا فضروا الأحداث طبقاً لتعليم يهودهم، وما كان هيرودوس مسيحياً، وإنما كان ملكاً يهودياً على دولة يهودية، فالتأريخ حتى تلك اللحظة لا يتعامل مع ملوك، أو حتى شعوب مسيحية، كما أن يحيى - أو بوخنا المعمدان، كما يسمنوه - لم يكن نصارياً،

(2) ليس من شك في أن بوخنا المعمدان نبي من أبناء الله الكريم، وهو يحيى بن زكرييا عليه السلام، وقد جاءت نبوءته صريحة في القرآن الكريم (آل عمران آية 39) بأن عصره قد كان على أيام المسيح، وربما على أيام القيصر أغسطس، وقد كان يحيى يعد قومه، أي يفضله في نهر الأردن السري، من الخطايا (من: 1-5-6) وقد عبد المسيح نفسه (من: 1-12-16).

(3) تاريخ يوسيفيوس ص 214، فيليب حتى: المراجع السابق ص 216-222.

(4) تاريخ: ابن الأثير 1403-4، تاريخ الطبري 386-7، تاريخ ابن مالك 444/445.

(5) ولكن الأسباب فإن المراجع المعاصرة (ابن الأثير، الطبري) مضللة في تاريخها هذه الفترة، حتى أنها تذهب إلى أن الله - سيئاني وعمال - قد سلط على اليهود وفتوح مور (ريوندر) 338-9 م. (ليبرن). إضافة إلى ما اكتسباه في حق النبي الكريم سيدنا يحيى عليه السلام، وأنه كل منهم يملي أفلا رجل وأمرأة حتى سكن دن يحيى، مع العلم بأن النابل الياباني كان يعيش في أواخر القرن السابع، وحتى عام 12 من القرن السادس قبل الميلاد، وأن سيدنا يحيى عليه السلام كان يعيش بعد ذلك لأعلى ستة قرون، حيث عاصر المسيح عليه السلام.

(6) تكوين 5:17-11.
حتى يفتي بشرية النصارى، إلا أن يكون السبب الوسيلة التي تزوج بها هيرودوس من هيروديا، حيث تذهب بعض الروايات إلى أنه قتل أخاه فيلس زوج هيروديا.

وأيا ما كان الأمر، فإن الحرب سرعان ما تدق طلوعا بين اليهود والأثناط، ولكن ليس بسبب قتل النبي الكرم، وإنما بسبب زواجه هيرودوس بأميرة أخرى، وطلاء ابن الحاول الرابع، فضلاً عن اختلافهما على بعض مناطق الحدود، وهكذا نشب المعركة بينهما، وانتهت بانتصار الحاول في جملاء، ومن ثم فقد استنجد هيرودوس بالقيصر تيبريوس (14-37 م) الذي أمر عامله في سورية بالقضاء على الأثناط، ولكن بينما كانت القوات الرومانية تتحرك نحو البراء، تأتي الأخبار بوابة القصر، فتوقف الحرب، وينجر الحاول الرابع، بل وتسوء حالة هيرودوس، فضطر الرومان إلى تجنيه عن العرش، وتقى إلى أسباباً.

وإذا ما عدنا مرة أخرى إلى الإنجيل، فإننا نقرأ أن دمشق كانت في يد الحاول الرابع، وأن عامله هو الذي سى إلى القبض على بولس الرسول، الذي استطاع أن ينجز منه بأن تحل من طاقة في زنبل من السور، وأما متي خضعت دمشق للحلاول، فربما كان ذلك حوالي عام 37 م، وإن الحاول التي استمرت أواها بيه وبين هيرودوس (1)، وربما تبعت تحت سيادة الأثناط في مقابل مبلغ يدفعهم للرومان.

وهل هناك عدد من النقوش جاء فيها ذكر الحاول الرابع، ومنها (1160، 354، 217، 197)، وترجم في تاريختها إلى السنوات الخامسة والثامنة والثالثة عشرة والثامنة والعشرين والأربعين والثلاثاء والأربعين، من حكم هذا الملك، وهي

(1) تاريخ يرمجيوس ص 213 ج. 1/3/244
Josephus, Antiquities of the Jews, 18, V, 1.
(وتك ذا)
(2) رسالة يليز الدجال الثانية إلى أهل كورنيس 11:22، وكذا
P. K. Hitti, op. cit., P. 69.
(3) J. Hastings, EB, P. 206.

518 –
نصوص تتحدث في أمور دينية مرة، وفي أمور شخصية مرة أخرى، وتذكر أسماء بعض الأفراد مرة ثالثة، ومنها عرفنا أسماء بعض آلهة الأโนاب مثل "دشرا" و"منتو" (مناة) و"قشح" (قشح)، وقد وصف الحارث في بعضها ب"رحم عم أي المحب لأمته"، كما جاء في بعضها أسماء بعض أفراد الأسرة المالكة، مثل "شقيقة ملكة الأنواب وزوج الحارث"، ومالك وعابادة ورب إيل، فضلاً عن مجموعة أسماء كانت شائعة عند العرب قبل الإسلام، مثل كهلال وولعاز وسعد الله ومرة وسكينة وحجيم وحوش وخلف وقين وريم الله وجهيلة وعمرة ووهب.

وخلف "مالك الثاني" (403 - 715 هـ أو 57 م) اباه الحارث الرابع، ويدعو أن الأنواب قد فقدوا على أيام هذا الرجل مدينة دمشق، وإن كانت مجاورتها من الناحية الشرقية والجنوبية الشرقية ظلت تحت السيادة النبطية، هذا وقد وصلتنا من عهد مالك الثاني عمالات فضية وبرنزية، نقشت عليها صورته وصورة زوجته التي وصفت بأنها "شقيقة الملك"، مما يشير إلى أن بعض الملكات كن زوجات شقيقات للملوك الحاكمين، مبعين في ذلك عادة البطالة، والذين تقولها بدورهم عن الفراعة، وتشير كتابة أخرى على مثال للملك عبادة بن إحدى زوجات الحارث كانت أخمه كذلك، ولعل ذلك كلها - بجانب ظهور التماثيل النصفية المزودة للزوجين منذ عهد عبادة الثالث، وحتى نهاية عهد الملكية - يشير إلى أن المرأة النبطية، إنما قد وصلت إلى منزلة رفيعة أثناء عهد الملكية.

J. Hastings, ERE, 9, P. 121.
EI, 3, P. 801 وكذا J. Hastings, ERE, 9, P. 121.
N Glueck, op. cit., P. 542.
وهناك ما يشير إلى أن الملك البحري قد اشترك بفرقة من جيشه — بلغ عددها خمسة آلاف من المشاة، فضلًا عن ألف من الفرسان، في الهجوم الذي شنه يوسيف في عام 70م على أورشليم، والذي انتهى آخر الأمر بتدمر المدينة المقدسة، وبانتهاء اليهود كيان سياسي له وزن في فلسطين (1).

واجه بعد ملك الثاني ولده 5 رب إيل الثاني (سوتر) (Soter) وقد حكم في الفترة (20-70م) أو (75-101م) (2)، ويدعو أن حكمه كان تحت وصاية أمه وأشيبة، وأن أخاه أنيس (أنير) كان يساعد أمه في شئون الحكم، وحينما بلغ الملك الصبي رشدًا، تزوج من أخته جميلة التي تقتب صورته على إحدى العملات واستقل بالحكم (3)، ويدعو أنه هو الذي وصف بأنه الذي جلب الحياة والخلاص لشعبه (4).

ويدعو أن الظروف السياسية بدأت تتغير عند وفاة 5 رب إيل الثاني »، ذلك أن الإمبراطورية الرومانية التي كانت قد ابتعدت الدولتين الصغيرة في سوريا وفلسطين، بدأت تعد العدة لحولة فصلة مع الثوريين (5)، ومن ثم فقد بدأ القادة الرومان يرون ضرورة إخضاع كل الدول التي كانت تفصل بينهم وبين أعدائهم، وهكذا أمر تراجان (89-98م) ثانيه في سوريا كوريليوس بالما في عام 101م، بأن ينحسر على الابراهيم، وأن يضم دولة الألباط إلى الإمبراطورية الرومانية، وهكذا، Provincia Arabia أصبحت تعرف فيما بعد باسم المقاطعة العربية وغدت بصري (6)، عاصمة لها، بينما أخذت الابراهيم تتضاءل شيئاً فشيئًا، حتى

Josephus, The Jewish War, III, 4, 2. (1)
EI, 3, P. 801 وكذا J. Hastings, ERE, 9, P. 121. (2)
REP, EPIG, 468 جواد علي 8/3، وكذا
A. Kammerer, op. cit., P. 255-6. (3)
فليب حتى: المرج السابق ص 442، وكذا
أظهر: فليب حتى: المرج السابق ص 273-274، وكذا
أظهر: 1، 28، البكري 260-2، ياقوت 1، البكري 442-2، ياقوت 1، البكري 441/1، البكري 203-2، ياقوت 1، البكري 441/1.
أصبحت في القرن الثالث الميلادي مجرد مكان ضئيل الشأن، وإن احتفظت بمكانها كمركز ديني مسيحي هام.

على أن نشاط الأنباط الإقتصادي – رغم ضياع نفوذهم السياسي – لم يتوقف، وظلوا يمارسون التجارة وقيادة القوارب بين مصر وبلاد العرب وموانئ البحر الأحمر، وبخاصة تلك التي تواجه السواحل المصرية، كما تدلنا على ذلك كتابات نبطية من سيناء ومن داخل مصر، ومنها تلك الكتابة التي ترجع إلى عام 266 م، وأخيرا فإن بعضها من المستشرقين ينظرون أن هم عرب الحويبات، القاطنين في منطقة حمسى في شمال الحجاز، إذ هم من بقايا النبط.

البراء:

تمتد البراء واحدة من أشهر مدن العالم القديم، كانت عاصمة لأكردوم، ممّا أدى إلى توسع البحار، ومن بعدها أصبحت عاصمة للأنباط، وتقع إلى الشرق من وادي عربة، في منتصف المسافة تقريبًا بين رأس خليج العقبة والبحر الميت، أو على مبيتة خمسين ميلا إلى الجنوب من البحر الميت.

وذكرنا كتاب ن. غليك، في سجلات الفينيقية، وذكرنا كتاب إد. غيبون، في سجلات البراء:

E. Gibbon, op. cit., P. 214
N. Glueck, op. cit., P. 543.

E. Littmann, Nabataean Inscriptions from Egypt, P. 1.


E., I, P. 368, III, P. 802.

Pliny, 2, P. 447.
كما تعني كذلك "الشَّق في الصخر"، وربما كانت التسمية العربية أكثر دقة، لأن
مدخل البتراء يتميز بوجود أخذود عميق بين جبال يعرف اليوم باسم "السيق"،
ولعله لفظ نبطي متوارث، حرفه الناس عن "الشق" في السبيقة القديمة (1)، وعلى
أي حال، فإن العرب قد عرفوا هذه التسمية كذلك، وقد ذكر ياقوت بأن "سلع"
حسن بروادى موسى عليه السلام، بقرب بيت المقدس (2).

وأما الاسم العربي للبتراء فهو "الرقيم"، وربما هو اسم ثان للبتراء كان
الأخر يعرفي بها هو "Arke" فحرفه العرب إلى الرقيم، وربما أرادوا إلزابفهم
"خزازة فرعون، بالذات" (3)، وأما اسمها الحديث فوادي موسى (4).

وتقرأ في النزيلة أن " أمسى (800-827 ق.م.) فقد خلّف أباه "بهاش" على عرش بيهدا، وأنه حاول أن يسترد أذوهم وسلع، وقد نجح في الإستيلاء على
الأخيرة، ومن ثم فقد أطلق عليها اسم "بتبيل"غمٌي "الخاضع لله" (5).

وقد وصف "سيراب" البتراء بأنها عاصمة الأثناط، ولا تتعد عن أريحا إلا
بأربعة أيام، وعن غابة التخيل بخمسة أيام، وهي موضوع غني بالبيانا، بل ربما
كانت هي البقعة الوحيدة بين نهر الأردن وأوسع بلاد العرب، التي كان يوجد فيها
الماء الصلب بكثرة، هذا ويشير سراب إلى سكنى بعض الأجانب في المدينة،
ومنهم جميع من الروم (6).

(1) عبد المزيز سالم : المرج السياق ص 224، لا تشتر نزيلج : آثار الأردن ص 117.
(2) ياقت 34/2.
(3) جرجي زيدان : المرج السابق ص 73.
(4) ياقت 2/3.
(5) محرك ثان 161-17، وكذا.
(6) A.B.W. Kennedy, op. cit., P. 78.
J. Hastings, op. cit., P. 853 وكذا.
A. Lods, op. cit., P. 385-6 وكذا.
F. Altheim and R. Stiehl, op. cit., P. 283.
A. Kammerer, op. cit., P. 510 وكذا.
Strabo, 16, 779 وكذا.
وقد ازدهرت البتراء في أخريات القرن الرابع ق.م، واستمرت كذلك حوالي أربعة قرون، كانت تشمل أبناءها مركزاً بارزاً على طريق القوقاز، الذي يقطع الصحراء وصولاً بسيا في الجنوب، ونهاية بحر الروم في الشمال (1)، وبدو أن ملك الأباطخ في أخريات أيام دولتهم قد أقاموا في أثر الأحاليق في البتراء 4، ثم جاء الغزور الروماني للمدينة في عام 105 م (أو 106 م) فقتل مركز الثقل بصفة نهائية إلى البتراء، وسرعان ما أخذت أهمية المدينة تضاءل شيئاً فشيئاً حتى أصبحت في ذمة التاريخ، وأخيراً كشف عنها بوركهارت في عام 1812 م (2).

وعلل أهم آثار البتراء خزائنة فرعون المنحورة في الصخر، ومعبدي رانا في القرن الأول قبل الميلاد، ويشبه إلى حد ما الكعبة في مكة، حيث كان يقيم عدة أصباغ على رأسها دورة (ذو الشرير)، وكان يعبد على شكل حجر أسود مستطيل، ويعتبر إله الكرمة، وقد جيء به إلى أرض الأباطخ في الحقبة الهيلينية فاكتسب صفاته «ديرسيوس»، أما مدينة الأدوات عندهن فهي ثلاث التي اعتبرها هيرودوت «أفوروديت»، هذا وعندان كذلك النجر وهو جبل مقدس، كتب على مقرية منه مذابح لتقديم القرایين (3).

واخيراً، فعل من الأمثلة يمكن الإشارة إلى أن مولانا وسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم - حينما خرج في السنة السابعة من الهجرة لغزو بني حليان، سار على غرباب (جلب ينابيع المدينة على طريق الشام) ثم على مضاف، ثم على البتراء (4)، هذا فضلاً عن أن ابن إسحاق قد ذكر من بين مساجد رسول الله صلى الله عليه وسلم - مسجد بطرفة البتراء (5).

وكرما 72. وكرما 72.
وكرما 72. وكرما 72.
وكرما 72. وكرما 72.
الفصل الخامس عشر

الإيزيديون

يعتبر المؤرخون في أصل اللجائيين هؤلاء، فمنهم من يرى أنهم فرع من فرعهم من شعب العربية الجموح (1)، بينما يرى آخرون أنهم من شعب العرب الجموح، ويلد وورد إسم لحيان في نص عربي جنوب (2)، وربما كان السكان يتألفون من طائفتين أو ثلاثين أو ألا، ومن أهل البلاد الأصليين، والثانية هي الجالية السئية التي هاجرت من جنوب بلاد العرب، وربما يفسر لنا هذا اضطراب النوراة بال نسبة إليهم في تعتبر ددان. 3 تارة من الكوشيون من جنوب بلاد العرب، تارة أخرى من الساميين من وثد إبراهيم من زوجته قطورة (3).

وكانت العلا (أو الغربية وهي جزء منها) مركزاً لللحيانيين، وهي على أي حال مستمرة قديمة، كما أنها القاعدة الشمالية للحضارة العربية الجموحية، وتتفرع من وادي القري جنوب شرق حرة العوشر إلى سلسلة من الجبال في الشرق والغرب، وعلى مبعدة حوالي 15 كيلومتراً إلى الجنوب من مدين صالح، وكانت تسعى

P. K. Hitti, op. cit., P. 72.

F. Altheim and R. Stiehl, op. cit., P. 93.

مجاويدي 244/2، وكذا

الروس موصل: شمال الحجاز من 96، تكون 1664-4.

- 540 -
علي أيام النبي صلى الله عليه وسلم، وأما الإمام القدام فهو ددان (١) - كما جاء في النروا و في النصوص العينية و قد اختلاف العلماء في مدلول هذه الكلمة فمنهم من رأى أنها اسم للمكان نفسه، ومنهم من حاول أن يقرر بين هذا الإمام وبين إسم الإله ذكره، الذي كان يعبد لدى الساميين الشماليين.

وقد مختلف الباحثون فيما حكم هذه المنطقة أولاً: أم الديدانيون أم المعينيون أم اللحيانيون؟، فذهب فريق إلى أن الديدانيون إذا كانوا هم الساكنون، وأنهم قد حكموا فيما بين القرنين السادس والخامس ق.م، على رأي، وفي حوالي عام ٥٠٠ ق.م على رأي آخر، وفي عام ١٠٠ ق.م. على رأي ثالث، ثم جاء المعينيون وانتزعوا الحكم منهم (٢) على أن فريقاً آخر يذهب إلى أن المعينيون إذا كانوا هم الساكنون، وأن اللحيانيون قد ورثوا سلطتهم هناك، مكونين دولة مستقلة هي دولة ملاني (٣) والتي امتد تفوذها على الأرض الممتدة غربي النفوذ، من شمال يرب إلى ما يحاذي خليج العقبة (٤)، إن هناك ما يرى أنها قد امتدت حتى شملت نجد ووصلت إلى الأحساء، ويعتمد أصحاب هذا الاتجاه على محارلة الجمع بين إسم الإله ذر خوج (٥) وهو أحد معيونات اللحيانيين، وبين إله مدينة الخوج (٦) على أساس أن مدلول الكلمتين واحد، وهو الخصوبة وكثرة المياه، ولكن توارد الأسماء مشابهاً بين مكان وآخر، وبين معبود إسم مكان.

١ موسكايكي: المرجع السابق، ص: ٢٠٣، عبد الرحمن الأساري: لمحة عن بعض المدن القديمة في شمال غربي الجزيرة العربية، مجلة المدينة، ١٩٤٩، ص: ٣٠، أشياء مكلفة ١٥٣٤، ١٣٠٣، ٤٤٨٠، ٢٣٢:٢١، ٢٠٢٧.

٢ W. Caskel, Lihyan und Liyianisch, p. 44.

٣ يزيد الأساسي: المرجع السابق، ص: ٢٠٣، جمادي على ٢٤/٢، ١٣٦٦، ٢١٦، ٢٠٢٧.

٤ BASOR, ٧٣، ١٩٣٩، ١١٩، ١٩٥٣، P. ٢٣.

٥ Le Museon, ١٩٣٨، ٥١، P. ٣٠٧.

٦ F. Altheim and R. Steichl, op. cit., P. ٩٤.

٧ A. Musil, The Northern Hegas, P. ٢٩.

٨ F. V. Winnet and W. Reed, op. cit., P. ١١٦F.
لا يمكن أن يقري كدليل على اتساع مملكة شماليً، ومع ذلك، فلا من المستبعد أن يكون نفوذها التجاري قد تسع حتى شمل هذه المنطقة، كما لا يستبعد كذلك وجود جاليات شماليّة عاشت فيها خفاظًا على الطريق التجاري في شمال الحجاز.

أما اتساع مملكة شماليًا، فمن المحتمل أن يكون قد وصل إلى البراء، إذا أخذنا تسمية خليج العقبة بنخل العقبة في الاعتبار(1)، والذي حرفيما بعد إلى دول» أو »عالمات«(2).

وعلى أي حال، فإن تسمية خليج العقبة باسم» خليج العقبة«، كما يدل على أن شمالي أو» المجايلين«، والذين ذكرهم بلجني تحت اسم» خليجي«(3)، لم يكونوا يسيطرون على طريق التجارة البري فقط، بل كانوا يسيطرون كذلك على الطريق البحرى إلى»عالمات«، وأن البحارة والتجار الإغريق كانوا يدععون البحرية للجابة من»لمائر(4).

وكانت تجارة المجايلين مع مصر في الدرجة الأولى، ومن ثم فقد كانت علاقتهم بها جيدة وثيقة، فتأثروا بالثقافة اليونانية التي كانت منتشرة في مصر وقت ذلك، حتى أنهم سموا ملوكهم باسماء يونانية مثل» تكسيو و» بثبيو و» تليو، التي أخذت من بطيوموس(5)، بل إن هناك من يذهب إلى أن الدولة نفسها، إذا قامت على أيام بطيوموس الثاني (428-246 ق.م)، واشجع من الحكماء المصريين أنفسهم، وذلك للضغط على الأنباط(6)، الذين كانوا في منافسة تجارية مع البطالة.

كما أشارنا من قبل - انتهت سيطرة مصر على الساحل العربي للبحر الأحمر.

---

(1) و(2) عبد الرحمن الطيب الأنصاري: المرجع السابق، ص 80.
(3) F. V. Winnet and W. Reed, Ancient Records from North Arabia, Toronto, 1970, P. 116 F.
(4) Pliny, VI, 23.
(6) F. Altheim and R. Stiehl, op. cit., P. 104.
هذا وقد اختلاف المؤرخون في التاريخ لدولة حليان، فذهب فريق إلى أنها إما كانت فيما بين بداية القرن الخامس ونهاية القرن الثالث ق.م.، وذهب فريق آخر إلى أنها إما كانت فيما بين القرن الثاني قبل الميلاد (حوالي عام 160 ق.م.) ونهاية القرن الثالث بعد الميلاد (7)، بل إن الذين ذهبوا إلى أنها إما كانت تشجع البطالة، حددوا الفترة ما بين عامي 280، 200 قبل الميلاد لقيامها (9)، وأن نهايتها إما كانت على يد الأنباط الذين استولوا على الحجر في عام 65 ق.م.، ودبان في عام 9 ق.م. (8)، وربما كان سندهم في ذلك شاهد قبر عثر عليه في العلا، يرجع إلى أيام الملك البطلي الحرش الرابع (9 ق.م. - 40 ق.م.)، وكذا عدم إشارة سير إبر إلى مملكة حليانية أثناء حديثه عن حملة ديوس جاليليوس إلى اليمن في عام 24 ق.م.; فضلا عن أن حديثه عن دولة الأنباط قد يشير إلى أن دولتهم قد امتدت حتى يرب (1).

وعلى أي حال، فإن هناك من يرى أن نهاية دولة حليان إما كانت على أيدي المعنيين، وأن ذلك كان فيما بين نهاية القرن الثالث، والقرن الأول قبل الميلاد، وإن كان هذا لا يعني نهاية الليحيين، فإن هناك - في رأي هذا الفريق من العلماء - إتفاقا بين الطرفين على أن يكون للمعنيين إدارة النواحي التجارية، والخيانين الناحية الإدارية وتنظيم شؤون الحكم، ويسدل على ذلك من أن شخصية معيينة قدمت قربانا للمعبود الليحياني ذو غيت (صاحب الكتابة) وإن كنا لا نستطيع أن نستند من ذلك على استمرار دولة حليان، فأمر كهذا لا يعني أكثر من أن بعض

---

(1) عبد الرحمن الإنصاري: المرجع السابق ص 80.
(2) جواب علي 240/2 وكدأ
(3) جواب علي 247/2 وكدأ
(4) جواب علي 246/2 وكدأ
(5) جواب علي 247/2 وكدأ
(6) جواب علي 248/2 وكدأ

F. Altheim and R. Stiehl, op. cit., P. 95. وكدا
W. Caskel, op. cit., P. 35. وكدا
CIH, 2, I, 232. وكدا
W. Caskel, op. cit., P. 35.
F. Altheim and R. Stiehl, op. cit., P. 95. وكدا
CIH, II, I, 332. وكدا

- 528 -
الولاية، إنما يقومون بمشاركة الشعب الذي يحكمونه، وخاصة إذا ما كان مفهوم هذا المعبد يتفق مع مفهوم أحد معبدات الحاكم في العصور القديمة (1).

هذا وقد عثر في العلا على ما يقرب من أربعة نص قصي، غير أن الكثرة المطلقة منها عبارة عن مخربات صغيرة، وبعضها - كما هو الحال في النقوش العينية الشمالية - عبارة عن أجزاء صغيرة من نقوش، وجدت في غير أماكنها الأصلية، وقد استخدم القوم حجارة هذه التقوس أخيرا كمواد للبناء، حيث تجد بها في جدران المنازل، وأسوار الحدائق في العلا الحالية، ومن ثم فنصوص هذه أوضاعها لا يمكن الإفادة منها كثيرا، لذا لم يتمكن إلا قليل من العلماء من ترجمة بعض جملها، وإن كان من حسن الحظ أننا وجدنا فيها بعض أسماء الملوك والآلهة، فضلاً عن الفائدة اللغوية والثقافية لهذه التقوس (2).

وأما الكتابة اللحيانية، فكتابة محلية حروفيها سامية جنوبية، وقريبة جدا من الكتابة العربية الجنوبية والخشيشية، أما اللهجة عربية شمالية، وهي أيضا سامية جنوبية، وأما عصرها، فإن يكون أحد من القرن الخامس أو السادس م.م.
وعلى أي حال، فرغم أن البعض يعتقد أنها مسيحية، فمن الثابت أنها عربية جاهلية وضعت قبل ظهور الإسلام (3).

وقد قدمت لنا هذه التقوس بعض أسماء ملوك خيام، منها هنوس بن شهر، و ذو أسعين تخمي بن لوذان، الذي يرجع حكمه إلى النصف الأول من القرن الأول قبل الميلاد، وقد أنشأ بنياً للإله ذو غابث، و هبه حبان، كما تعرف من النص (JS، 85) الذي يذكر كذلك الملك شام حجم بن لوذان (4).

(1) مجلة الدار، العدد الأول، مارس 1975 ص 80، قانون: وليد مويل: شمال الحجاز ص 98.
(2) ديفيد نلسن: التاريخ العربي القديم ص 43.
(3) نفس المرجع السابق ص 43-44.
وقرّاً في النص (JS 85، 317) أن معبد المدينة قد أصيب ببزعة أرضية في عهد الملك منيّع الوذان بن هانئاس - والذي حكم فيما بين عامي 350-200 ق.م.، فيما يرى كاسكل - وقد كانت تلك المرة من القوة بحيث سقط المعبد على أعضاء مجلس المدينة (هجل - هاجيل) الذين كانوا مجتمعين في المعبد وقت الحادث، ثم قتل أكثرهم، وأن القوم لم يتمكنوا من إعادة بناء المعبد، إلا بعد فترة طويلة، فيما بين عامي 127-134 م، مما يدل على الحالة الاقتصادية السيئة التي كانت تمر بها البلاد، فضلاً عن الاضطرابات، وضعف الحكومة.

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن هذا المعبد، الذي يقع في الجزيرة الحالية، والذي أشار إليه جوسيس وسافينياك، قد وجدت فيه تمايل يطول الإنسان لمولك لحيان، كسر بعضها أهل العلا أنفسهم، وأنشد البعض الآخر، وإن كنا لا نعرف مكانها الآن، وعلى أي حال، لهذه التماثيل متأنية بالنحت اليدوي في النصف الأعلى من الجسم، ومن حيث اللبس، ولكنها تحمل الطابع العربي المتمثل في شكل الرجاء، وما وضع على الرأس مما يشبه المقابل والعامة.

وذهب كاسكل إلى أن الأنباط قد استولوا على الحجر في عام 65 ق.م، ثم ساروا منها إلى تيماء، ثم قطعوا كل اتصال للحيانين بالبحر، فاستولوا على ميناء لوكوك كومه باليوم للحيانين، وأحاطوا بهم من كل الجهات، كما يبدو أن الطريق التجاري قد غير أتاجه، بفعل الانتقاب في جنوب الحجر، فكان يمر على مسافة سبعة كيلات إلى الشرق من واحة ددان القديمة، وهكذا الانتقاء على البقية الباقية منها، ثم أخضعوها لفوؤدهم، وإن عاد السلطان مرة أخرى للحيانين بعد سقوط البراء على أيدي الرومان في عام 108 م، والذين مدوا نفوذهم إلى منطقة تبعد عشرين كيلومترات إلى الشمال من ددان.

W. Caskel, op. cit., P. 42.
P. K. Hitti, op. cit., P. 72.

(1) جبرد علي/2492، وكذا.
(2) عبد الرحمن الأنصاري: المرجع السابق ص 81.
(3) جبرد علي/2054، وكذا.
(4) جبرد علي/2532، وكذا.
على أن الأمر ، فإنما كان جد مختلف بالنسبة إلى سلطة الملوك ، إذ انتقلت سلطتهم إلى مجلس المدينة ، ومن ثم فقد بدأ القوم لا يتهمون كثيرًا بتسجيل أعمال الملك في كتبهم، بل إن النصوص من هذه الفترة إما تدل على اضطراب في الأمور ، وعلى حكم غير مستقر ، وعلى سلطة غير وطيدة الأركان ، وبذهب كاسكل إلى أن النصوص قد تشير كذلك إلى هجوم حشي على طول سواحل البحر الأحمر العربية ، يرى بعض العلماء أنه ربما وقع على أيام ملك أكسوم (Sembruthes).

(1) هذا وقد عثر على كتبات عبرية ونبطية في وادي هدان ، (2) ديدان في الرجمة السبعية ، (3) ترجم إلى حوالي عام 600 م ، وما بعدها ، مما يدل على أن قومًا من يهود ، فضلًا عن قوم من النبط ، أو ممن يتكلمون بالنبطية ، قد استقروا في هذه المنطقة ، وعلى أي حال ، فإن اليهود كانوا قد بدأوا يهاجرهم إلى الحجاز منذ القرن الأول الميلادي، حتى إذا ما ظهر الإسلام كان معظم سكان وادي القرى إلى يرث من يهود.

وأما الدين اللحياني ، فهو دين عربي جنوبي ، كما يتبع من أسماه الآلهة وأسماء الأفراد ، ومن ثم فإنا نجد إلى جانب الأسماه السامية المشتركة لبعض المعبدات — مثل «مز» — أسماه آلهة سامية جنوبية مثل «دود وسمع ونسر وقنا» ، أما كير الآلهة اللحيانية فهو ذو غاية ، وقد كان له معبد عثر على أنفاضه في خراب المدينة ، كما عثر على اسم إله آخر هو سلمان الذي كان يكتي «ابا إيلاف» ، وهو إله القوارف الذي كان يعلو حمايتها وحارستها في ذهابها وإيابها ، وهناك كذلك الإله.

W. Caskel, op. cit., P. 43.

(1) جود عل ٢٥٣/٢
(2) F. Altheim and R. Stiehl, op. cit., P. 100.
(3) نفس المرجع السابق من ٢٥٢ وكدًا.
(4) أطرب من الترجمة السبعية الدورة ، كتابنا » إسرائيل ـ« ص ٨٤٨-
(5) جود عل ٢٥٦/٢

W. Caskel, Lihyan und Libyansisch, Koln und Opladen, 1954, P. 44. وكدًا.
و áll كأنه، والذي يرى فيه كأس الكُنيّة والحكمة عند المصريين القدماء (1).

و على أي حال، فقد انتهت دولة الليثيين في فترة لا نعرفها على وجه التحقيق، بل لا نعرف كذلك كيف تهت، ومن الذي قضى عليها، وإلى أين ذهب الليثيون بعد سقوط دولتهم، فربما عاد معظمهم إلى البادية، وأندمج في قبائلهم (2)، وربما اتجه فريق منهم كذا تذكر المصدر العربي إلى العراق، وتركزوا في الخيمة، ومن هنا رأى البعض أن أسس بن قلام منهم، وأنه حكم الخيمة حينا بتهم الدهر (3)، وربما بقوا في نفس منطقتهم، كما نفهم من الأحداث التي جرت عند ظهور الإسلام.

ويرى الأحفاد أن القوم من بن ليث بن هديل بن مدركة بن ياس بن مصر، فهم قد بذلوا في شمال شرقية مكة، ويدعو أنهم لم يكونوا من القبائل القوية عند ظهور الإسلام (4).

وتروى المصدر العربي أن الليثيين كانوا على خلاف مع الرسول صلى الله عليه وسلم في بده الدورة، وأنه صالوات الله وسلامه عليه قد قام بvaisهم في السنة السادسة من الهجرة (128 هـ) في ديارهم، بين أمج وعثمان، فاعتبروا برسو طيلة، وهجم الرسول صلى الله عليه وسلم على طائفة منهم على ماء لهم، قال له الكذر: فهزموا وهم المسلمون أموالهم (5)، وربما كان ذلك بسبب غدرهم في مريض بن أي مرثد الغنفي، وصحبه، فيما عرف بنزوة الرجوع في السنة الرابعة من الهجرة (6).

(1) أحمد إبراهيم: ديوان مصر القديمة، ترجمة عبد المنعم أبو بكر، محمد نصر شكري، القاهرة 1962، ص 27-28، 6 جواب علي 250-251، 652، 672، 673، المرجع السابق ص 44، وكذا.

W. Caskel, op. cit., P. 44.

W. Caskel, op. cit., P. 44.

(2) جواب علي 250، وكذا.

المحرر 308، وكذا.

(3) المافور من 31، الاشتباك 119/1، تتابع العروض 34410/1، تراجع العربي 112/5، ابن الأثير 118/1، ابن كثير 114/11، المحرر ص 14.

(4) تاريخ الطبري 695/2، ابن الأثير 188/2، ابن كثير 118/4، المحرر ص 438/3، 694-695، 697، 698، 699، وكذا.

(5) المافور من 31، الاشتباك 119/1، تتابع العروض 34410/1، تراجع العربي 112/5، ابن الأثير 118/1، المحرر ص 14.

(6) المافور من 31، الاشتباك 119/1، تتابع العروض 34410/1، تراجع العربي 112/5، ابن الأثير 118/1، المحرر ص 14.

الفصل السادس عشر

النورمييون

(1) مدينة تدمر&lt; وتطورها التاريخي:

تقع مدينة تدمر على بعد 100 كيلومترا من حمص، 150 كيلومتراً إلى الشمال الشرقي من دمشق، في منتصف المسافة تقريباً بين دمشق والفرات (1)، ومن ثم فقد كانت موطنًا هاماً على الطريق التجاري بين العراق والشام، بل كانت نقطة التقاء التجارة القادمة من أسواق العراق، وما يتعلق بها من أسواق في إيران والهند والخليج والشام الشرقية، وبين تلك التي على البحر المتوسط، وبخاصة في الشام ومصر، فضلاً عن اتصالها بالشام العربية وسواحلها الغربية بأموال أفريقية والشام العربية والهند، وهكذا أصبحت تدمر ملتقى جميع القوافل، وبخاصة فيما بين القرن الأول قبل الميلاد، وعام 272 م، ومن ثم فقد وجدت في تقويه عبارة زعيم القافلة (2) و زعيم السوق (3)، باعتبار أن المشارك إليه من زعماء المواطنين (4).

EB, 17, P. 161.

(1) جراد، مثلي 81، قرن؛ مجموع الذهب 244-245، وناظر:
P. K. Hitti, op. cit., P. 73.

(2) وكذا

٥٣٠٣
واسم تدمير اسم سامي، يرجع ظهوره للمرة الأولى إلى أيام الملوك الآشوريين، وجبلات بلاسر الأول (1116-1090 ق.م.) في صورة تدمير أموروبًا (1) وأما اسم تدمير فهو النطق الآرامي لكلمة تدمر العربية، ومعناها المدينة التي يكثر فيها النمر والمحيل (2)، وإن كنا على غير يقين من اشتقاق كلمة تدمير، وربما كان لها صلة بكلمة تدمورتا (3) السريانية ومعناها يعجب من (4).

وقد ورد اسم تدمير في المصادر اليهودية، فكتب الحكولات العبراني يسجل في التوراة، أن سليمان قد بنى مدينة تدمير في البرية (5)، والأمر كذلك بالنسبة إلى المؤرخ اليهودي يوسيف بن متي (6)، وليس من شك في أن وجهة النظر اليهودية في هذه خاطئة، ذلك لأن المدينة - كما أشرنا آنفاً - إذا ذكرت في الوثائق الآشورية قبل أن يولد سليمان نفسه، وبقيرة تسبق ما دومن في التوراة بشأنها، بأكثر من سبعة قرون (7).

ومن هنا فقد رأى العلماء أن الرواية التي تذهب إلى أن سليمان هو الذي بنى تدمير، إذا أنها أرادت تعظيم شأن مملكة سليمان كمادة الروايات اليهودية - وكان مكانة النبي الكريم لا تأتي إلا ببناء المدن واستع مملكته، ولست برسالاته السماوية - ومن ثم فقد نسبت إليه بناء هذه المدينة، التي تقع في منطقة بعيدة عن حدود دولته.

(1) D. D. Luckenbill, op. cit., I, 287, 308.
(2) E. Dhorme, Palmyra dans les Assyroins, RB, 1924, P. 106.
(3) EI, 3, P. 1020.
(4) EB, 17, P. 161.
(5) EB, 17, P. 161.
(6) F. Hommel, ZDMG, XIIIV, 547.
(7) EI, III, P. 1020.
(8) F. Hommel, ZDMG, XIIIV, 547.
(9) E. Dhorme, op. cit., P. 106.
لإسرائيل (1)، وأما أن هناك خطأ وقع فيه كاتب الحواليات العبراني حين خلط بين
"ثمار" التي أسها سليمان، وهي موضوع جذوره في سفر حزقيال (2) وبعده ، 
إلى الجزء الشرقي من نيبور، فإن كنا لا ندري موقعه الآن على وجه التحقيق (3)
، وربما كانت اللؤلؤة التي اكتسبها "ثمار" على أيام كتبة الأسفار العبرانيين هي
السبب في نسبة تناثرها إلى النبي الكريم، ومن ثم فقد ذهب هؤلاء الكتب إلى أن المدينة
اليهودية سليمان، ليست هي "ثمار"، وإنما "ثمار"، والتي كانت مدينة عامرة
بسكانها، وذات شهرة في مرجوناتها فيما بين عامي 3000 ، 2000 ق.م (4).

وأما الاسم اليوناني للمدينة فهو "باليارا" (Palmyra) (5)
"ثمار" العربية، وتعني مدينة النخيل، وإن كان هناك من يرى أن كلمة
من كلمة (Palma) بمغأ النخيل حتى الآن في بعض اللغات الأوربية، وأن
الإسكندر المقدوني هو الذي أطلق عليها إسم (Palmyra) بعد أن استولى عليها
بسبب ما يكتسبه من غزوات النخيل، ومن ثم فقد عرفت عند اليونان واللاتين بهذا
الاسم، وهو رأي ما يزال بعد في مرحلة التخليص، ويحتاج إلى ما يدعمه من أدلته
وبراهين (6).

وكان ما يشير إليها وجود نفوذ سلوقي في تدمير، وربما كانت من نصيب السلوقيين
بعد وفاة الأسكندر الأكبر في عام 323 ق.م، وتقسيم أمبراطوريت بين قوارده،
وعلى أي حال، فهناك حصن سلوقي في المدينة، وربما أقيم في عام 260 ق.م،

---

(1) جواد علي / 77 فليب حتى: المرجع السابق ص 427 - J. Hastings, op. cit., P. 889 وكدأ EB, P. 4886 وكذال
(2) حزقيال 47: 19
(3) جواد علي / 77 فليب: المقدمة 282/1 - F. Altheim and R. Stiehl, op. cit., P. 344 وكدأ جواد علي / 78 فليب: وكدأ
(4) جواد علي / 77 فليب - J. Hastings, op. cit., P. 889
(5) عباس المقداد: الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والبربرين ص 27 وكذال
(6) EI, III, P. 1020
أما الروايات العربية فلا تنفيذ علماً، ولا تصلح أن تكون دليلاً، فهي روايات
متأخرة دخلت إلى المسلمين من أهل الكتب، فأخذوها بغير تحقق ولا تدقين(1)
ففضلًا عن أن ضخامة آثار المدينة وعظمتها، ربما أدهشتهم، ومن ثم فقد نسبوا بناءها
إلى الجن بعمر من سليمان عليه السلام(2). على أن، ياقوت الحموي(3) إذا يسبع
نسبا تدمى إلى سليمان، معلناً ذلك بأن أهلها إذا ما يزعمون أنها تراجع إلى ما قبل عهد
سليمان، بفتة تقارب ما بيننا وبينا، وأن الناس إذا ما رأوا بناء عجيباً جهولاً بابنه،
أضافوه إلى سليمان وإلى الجن(4).

ومع ذلك فهناك من يقدم لنا أياماً من شرح "التابعة الذبياني"، يذهب فيه إلى أن
المدينة من بناء جن سليمان، وفات أصحاب هذا الرم عن الناس لم يكن عالماً من
علماء التاريخ والآثار، حتى يكون شعره حجة في بناء مدينة يرجع ظهورها في
التاريخ إلى أخريات القرن الثاني عشر، أو الحادي عشر قبل الميلاد، ممن من أدرانا أن
هذا الشعر للتابعة الذبياني حقاً، فإن من نسبوا شعرًا إلى آدم وهاييل وقايل، وإلى الجن
وإليس، أليسو بقادرين على وضع شعر على لسان التابعة الذبياني(5) وما قصة
بناء المدينة بأمر من امرأة تدعى "تتمير بنت حسان بن ذنبة"، فليس إلا من هذا
النوع من الكتابات التي مالًا الاكتباريون بها صفحات كثيرة(6).

---


(1) جرارد علي، 85، وكذا
(2) جرارد علي، 88.
(3) تليبي حتى: المرجع السابق ص 433، بلاغ الأدب 209/1-210-19، ياقوت 17/19-119،
(4) البحري 2007/1-2007/2، صحيف الأخبار 7-6-7، تاري: مرجع الذهب 244/240-460.
(5) ياقوت 17/19، قارن: الأخبار الطويل ص 240.
(6) جرارد علي، 89/2 ص 444-444/2 ص 240-240.
(7) عام 1892 ص 314، ياقوت 17/19.
(8) البحري 2007/1-2007/2، ياقوت 17/19.
ولعل إذن يمكن القول أن الكتاب الكلاسيكيين الذين أشاروا إلى تدمر،
فوصفوها بأنها مدينة شهيرة ذات موقع ممتاز، وأرض خصبة، وأنها عيونًا،
وتيابين، وتحيط بها عدائية الرومان، وأنها تقع بين الإمبراطورية الرومانية والفارسية،
ومن ثم فقد اضطرّ أهلها ضمانًا لاستقلالهم — أن يقفوا موقف الحياد بين
هاتين القوى المتصارعتين، ثم تابع "البليبي" من جاء من بعده من الكتاب، مما يدل
على أن شهرة المدينة كانت في ازدياد (1).

وأما أقدم كتابة عصر عليها في المدينة فإنّما ترجع إلى شهري نوفمبر من السنة التاسعة
قبل الميلاد (2)، وإن كانت قد عصر في مدينة دولا، وتقع في مكانها الصالحية
الحالية — على المرات الأوسط تجاه تدمر، وعلى نقيض يعتبر من أقدم التقوس النمساوية
التي كشف عنها حتى الآن — ويرجع إلى عام 323 ق.م. (3)، وفي هذا الوقت كانت
تدمر مركزاً تجاريًا خطرًا بين دولتي الروم والفرس، ومع ذلك فإن أكثر ما تعرج
عنها إذاً يرجع إلى ما بعد الميلاد، حيث لدينا نصوص إلى عام 271 م (4).

وليس من شك في أن تدمر كانوا عربًا — شأنهم في ذلك شأن الأنباط في
البراء — بدلاً وجوهر بعض المصطلحات والكلمات العربية الأصلية في كتابتهم،
كما أن أسماء الأصنام عندهم عربية، وأمر كذلك بالنسبة إلى أسماء الأعلام،
ومن ثم فقد رأى بعض العلماء أنهم من القبائل العربية التي أخذت تستولي على المناطق
الخليفة في شرق الأردن، عقب إنهيار الدولة البابوية الحديثة، وسقوط بابل تحت
السيادة الفارسية في عام 339 ق.م. ثم أخذت تشمل الآرامية — وهي لغة الكتابة
والثقافة في غرب النهرين وقت ذلك — لغة لها، ومع هذا فإن لغتهم هذه ليست إلا

(1) W. Wright an Account of Palmyra and Zenobia with Travels and Adventures in Bashan and the Desert, P. 110.
(2) EA, P. 4886 وكردا Pliny, V, XXI, 88 وكردا
(3) جواب على 81/3، حسن غاطس، المرجع السابق ص. 115 وكردا
(4) CAH, IX, P. 599.
لهجة من اللهجات الآرامية العربية، وأنها لا تختلف كثيرًا عن لغة الأنباط، وعن الآرامية المصرية.

مع ذلك فإن اللهجة الآرامية النقدية لها معينات بورت أن يختصها بعض الباحثين وبدراسة لغوية متصلة، ومن أشهر هذه الدراسات كتابات المستشرق الفرنسي كانيتيو (5)، وقد طور التدريسون الكتابة الآرامية، وعنهم انتقلت إلى السرياني في الرما، فظهر منها الخط السرياني القديم المعروف باسم "الخط السرياني" الذي ظهر بعد الإشراق الندي بين سريان الرما في عام 489م، ثم ظهر لهجة غربية تسمى الحقوية، وشرقية تسمى السطورية (6).

وأما الثقافة النقدية، فكانت مرتبة من الثقافات العربية والآرامية واليونانية واللاتينية، ذلك لأن النقد - كما كانت البراء من قبل - قد تمت في ظل حضارة الآراميين، واتخذت لنفسهم، فضلاً عن المبادئ الأساسية في تفكيرهم الثقافي والديني، هذا في الوقت الذي أخذت فيه كذلك كثيرًا عن دنيا اليونان والرومان (7).

أذن، وقد قامت كذلك في تدمر جالية يهودية، منذ وقت لا تستطيع تحديده على وجه اليقين، فربما كان ذلك قبل سقوط القدس في أيدي الرومان على أيام الإمبراطور فاسبايون (79–97م)، ثم عمل هؤلاء اليهود بالتجارة وربما نشطوا في توزيع بعض السكان، وأن فريقًا من هؤلاء اليهود، ربما رجعوا إلى القدس قبل تدميرها - المشار إليه آنفأً - على يد "تيتوس" في عام 70م (8).

(1) سعید بیوری مهران: حركات التحریر في مصر القديمة ص 342-344
(2) P. K. Hitti, op. cit., P. 76 وكتا
(3) R. Ghirshman, Iran, 1954, P. 131-132 وكتا
(4) EB, 17, P. 161 وكتا
(5) A.T. Olmstead, History of the Persian Empire, Chicago, 1970, P. 51-50 وكتا
(6) حسن ظاظا: الساميون، مقارناتهم ص 115، وكتا
(8) حسن ظاظا: المراجع السابق ص 115-121 وكتا
(9) مسكتا: المراجع السابق ص 203 وكتا
(10) جواب علي 2/84، وكتا

UJE, 8, P. 381

- ٣٥٨ -
وعلى أي حال، فقد بدأت تدمر تزداد قوة وشهرة منذ النصف الأول من القرن الأول قبل الميلاد، بسبب الأهمية التجارية والدبلوماسية لموقعها بين إمبراطوريتي الفرس والروم المتضامنين. ثم ساعد موقعها الجغرافي على عدم متمكن أي من الفرسان من منازحهم مسيرة الإسياحة عليها (1)، وقد حاول هارون أنطونيوس عام 41 م.م. الإستيلاء على خزائن المدينة فشل، وإن أصابها ضرر كبير (2)، خطر أن مدينة مهمة كثيرة، لها مال وثروة، وليس لها جيش قوي ضخم، ولا مجال لتكوين هذا الجيش فيها، لا يمكن أن تبقى في مأمن ومنجاة من مطاعم الغزاة، ولو كانت في بقعة معزلة أو في بادية بعيدة (3).

ومن هنا، فإن تدمر - على الأرجح - قد اعترف بتنوع من السيادة عليها للرومان، منذ وائل العصور المسيحية، ودليلنا على ذلك المراسيم الإمبراطورية التي ترجع إلى عهد «تيريروس» (14-27 م.م.) (4)، والتي تعتقل بالرسوم الجغرافية، وقد عثر في تدمر على قوائم ترجع إلى عام 17 م.م.، وتبين بعض الرسوم على البناء وأنفاقها باليونانية واللاتينية (5)، وهذا يبدو أن تدمر قد أصبحت على أيام «فسباسيان» تحت الإشراف الروماني، وإن كان هذا لا يعني الخضوع الروماني، أو أن الإشراف على الشؤون المالية بالمدينة كان بأيدي الرومان، وإنما كان هناك إشراف رومي عام على المدينة، كذلك أن الروم قد سمووا للمدينة بحق الاحتفاظ بحمايتها (Militia) في خارج تدمر (6).

(1) ويلبي حتي: المرجع السابق في 432.
(2) W. Wright, op. cit., p. 110
(3) EB, 17, p. 162.
(4) جرالد على 84/2.
(7) J. Starcky, Palmyre, p. 27
جواب علي: 86/6، ويلبي
وقد بذل "تراجان" (898-911م) جهوده لضم تدمر إلى المقاطعة العربية، التي أنشأها في عام 101م، وتادات من "صيري" مقرها، وفي عام 130م، زار "هديان" (117-138م) تدمر، وجعلها تابعة لرما، ثم منحتها لقب "هديانا" (Hadrianopolis) و "هديانوبوليس" (Hadriana Palmyra). كما أصبحت المدن التابعة لتدمر، تابعة لرما (1)؛ وفي الواقع، لقد نالت تدمر عتابة كبيرة من "هديان" حتى قبل أن تكون "المؤسس الثاني" لها، فاحتم بحماية الطرق البرية التي توصلها إلى نهر الفرات، والتي كانت شريانًا هامًا للتجارة العالمية. وقت ذلك، لم تكون العلاقة الطبية بين الفرس والروم في عهد سبيًا. ورغم أن تدمر، فوصلت الخانات الرومية إلى شواطئ الفرات الغربي، وأقام التجار في مدينة (Vologasia)، كما بناوا لهم معبأ هنالك (2)، ولدينا كتابة ترجع إلى عام 134م، أصدراها مجلس شيوخ المدينة لتنظيم التجارة وتفتيت الصراع، وكيفية جبابتها (3).

وفي أوائل القرن الثالث الميلادي منح "سيديموس سيفيروس" (193-211م) تدمر حقوق المستعمرة، واستمرت كذلك حتى على أيام "كراكلا" (211-227م)، وهكذا اكتسبت تدمر حق الملكية والإعفاء من الضرائب. فضلاً عن الحرية التامة في إدارة شؤونها، وبدأت كبار القوم يضيفون إلى أسماهم العربية أو الآرامية، أسماء رومية، في وقد أضافت إحدى الأسر أم "سيديموس" "أمام" أسماها السامي، مما يدل على نواها حق الرعاية في عهد "سيديموس"، وربما كان ذلك بسبب الخدمات التي قدمتها في الصراع ضد الفرس، إلا أن ذلك لا يعني أن

---

EB, 17, P. 162.
M. Rostotzeff, Caravan Cities, P. 144
Mommsen, Provinces of the Roman Empire, 2, P. 236.
EB, 17, P. 162 G. A. Cooke, op. cit., P. 322
W. Wright, op. cit., P. III.
تمدّر، إنّما أصبحت مقاطعة رومية تمامًا، وإنّما كانت حكومة شبه مستقلة، تدير
شأنها الإداري بنفسها، ولكنها تخضع لشروط روما عليها (1).

وانهت تدمر فرصة انسحاب روما بِنزوات الجرمان التي كانت تهدد دولتهم
في أوروبا الغربية، وأخذت توسع رقعتها، وإن ظلت وفية للروم، وهكذا أصبحت
دولة تدمر تشمل عدداً من المدن الصغيرة التابعة لها، مثل "دورة و الرصافة" (2).
وقد استخدمت "دورة" كمُثل لسماء تجارة تدمر الناشئة، وقد وجدت فيها بقايا بيئة
ذات زخارف نافرة تمثل جزئياً تدمر، وأمّا "الرصافة" فقد دُعيت في كتابة أثرية
"Rasappa" (3)، تحت اسم "رسبي" يمتد أخيراً البحر المتوسط، وجدت فيها بقايا بيئة
المدينة التي جاءت في النوبة (4)، تحت اسم "نصب" يمكنه "البحر المتوهج",
وقد عُرف فيها بعد باسم "سرجيوس بولوس" نسبة إلى قِديمها المحلي "مرجوس" الذي
استشهد في عهد "دقليديانوس" (525-36) (5).

(2) أذينة:

ارتفعت أسرة أذينة التي كان يتصدر اسمها كلمة "سبيس" إلى مكان القيادة
في تدمر في منتصف القرن الثالث الميلادي، وهناك ما يشير إلى أن جد "أذينة
الكبر" كان يدعى "ناصر" (نصي) والد "وُهب اللات" (وهللات)، وأن هذا
الأخير كان هو والد "خيران" أبو "أذينة" (6)، وهناك كتابة ترجع إلى عام 245م

(1) فلسطين حتى المرجع السابق ص 435-436.
(2) CAH, XI. P. 139, XII, P. 18.
(3) G.A. Cooke, op. cit., P. 250, 312.
(4) وكذا.
(5) عبد المريض سامي: المرجع السابق ص 249.
(6) مملكة ثان: 12: 191، أو، Mt. 1: 16.
(7) EB, 17, P. 162.
(9) جواب على 10/9-91، وكذا.
(10) J. Cantineau, Inventaire des Inscriptions de Palmyre, 8, 1936, No. 55.
(11) وكذا.
(13) وكذا.
(14) Syria, XII, 1931.

561
ورد فيها اسم أذينة بن خيران بن وهب اللات بن نصر، وأنه كان عضواً في مجلس الشيوخ الروماني، كما أن أباه خيران كان يحمل لقب سبتيموس خيران، وأنه كان رأس تدمير، وعضو مجلس شيوخه الممتاز، وأنه قد تمكن من ثبوت حكم أسرته، ومن الهيمنة على شؤون المدينة، ومن توسيع تجارتها.

فاكسب بذلك منزلة كبيرة عند أهل تدمير وعند الرومان.

وفي عهد خيران، هذا، اجتذب تدمير دورها في القضايا الدولية، وما أن قامت الدولة الساسانية في عام 266 م، تحت زعامة أردشير بن بابک بن ساسان (261-244م)، حتى بدأ الشرق يضطرب بالصراع بين الروم والفرس، وكان على التدامرة أن يختاروا الانضمام إلى إحدى القوى الكبيرتين، فاقترأوا الانضمام إلى الروم بسبب العلاقات القديمة، ولأن الإمبراطور الروماني بسبق بعَد روما، إنما هو أقل خطراً عليهم من الإمبراطور الساساني القريب منهم، واغتنم أهل تدمير فرصة بناح سباود (264-272م) ملك فارس في البوغول في سورية، والقبض على الإمبراطور الروماني فاليريان، (260-266م)، بعد هزيمة مخجلة للجيوش الرومانية قرب أديسا في عام 266م، كسب الساسانيون من ورائها شهرة عريضة، فضلاً عن أسر ستين ألفاً من جند الرومان، واستيلاء الفرس على آسيا الصغرى وشمال سورية.

وكان أذينة له نأر عند الرومان، منذ أن قتل قائدهم روفينوس، أباه أذينة الأول، وعدم موافقة الإمبراطور فاليريان على أن يأخذ له بأبيه من روفينوس، ومن ثم فإنما أن علم بهزيمة الروم في عام 266م، وأسر فاليريان، حتى أسرع

F. Altheim and R. Stiehl, op. cit., P. 252.

F. Altheim and R. Stiehl, op. cit., P. 252.

(1) جواد علي/3، الشرق، 1389 هـ، ص 190.
(2) وكذا.
(3) أطهر كريتشن: إيران في عهد الساسانيين، ترجمة الدكتور يحيى الخشبة، ص 87-82.
(4) أطهر كريتشن: المراجع السابق، ص 210-212، 213-214، 217-218، المراجع السابق، ص 251.

A. Musil, Palmyrena, P. 247.

- ٥٥٧ -
بالإتصال بالفارس، مما لم يلمهم الهدايا، وعراضاً عليهم صداقة، إلا أن الإمبراطور
الفارسي، الذي كان يحب في ذلك الوقت أنه ملك الشرق والغرب جميعاً،
العذرالعرس التدمر، وأمر بإلهامه، وذلك، وتوعد أذينة بسبيه المصري،
جزءاً وقاياً عليه، على مخاطبة ملك الملك (شامسيه يبران وأثيران)، أي ملك
ملوك إيران وغير إيران)، وهو يتعذر أن يكون شيئاً لكنه صغيرة في بداء
قاحلة، لا أهمية لها ولا نفع منها.

وكان هذا التصرف البحير من ملك الفرس، سبياً في أن يجمع أذينة التبائل
بظاهر تدمر تحت إمرة ولكيه، هيرودوس، والفرسان تحت قيادة زيداً،
والقرودة رواة الههام تحت قيادة زبياً، وأن يفهم إلى أولئك وحول قلب جيش
فالخاني)، وأن يخرج بكل هذه الجموع إلى المدافع، للإنتقام من ساوبر،
وإلاقتنم فالخاني من الأمر، ونهاك على ضفاف النهر تدور رحي الحرب بين
أذينة والفرسان، وتنتهي المعركة الضارية بهزيمة مكورة للفرسان، يصل معاها إلى أن
يترك ساوبر حريمه وأمواله غيمية في أديدي التدمر، وأن يفر بالبيئة البايزة من
قلم جيشه إلى ما وراء النهر، ثم لا تستطيع هذه البقية أن تعر النهر إلا بين الأنس.
ولا بعد خسائر فادحة في الأرواح، بل وتذهب بعض الرواوات إلى أن أذينة
قد طارد الهزومين حتى أسوار عاصمتهم (اصطخر)، التي خلفت مدينة
برسيبوروليس القديمة، وإن لم ينجح في ذلك أمر الإمبراطور السجن، ولكنه
استولى على الكرخ ونصب، بل وامتدى نفوذه إلى الشام، وبعض أقاليم آسيا الصغرى
الرومية.

(1) E. Gibbon, op. cit., P. 236. وکذا W. Wright, op. cit., P. 115.
(2) بدأ القرن في إنشاء مدينة واصطخر، على أعين الملك (دارالأول و (822-836 ق.م)، ولكن
ذلك لم يتم إلا على أيام «ارتشاشان» الأول، حوالي عام (860 ق.م) (أشر: أحمد نزري).
(3) وکذا: المرجع السابق ص 239، آثر كريستن: المرجع السابق ص 88.

563 —
ويكتب أذينة إلى الإمبراطور الروماني الجديد جاليينو (260-268م) بن فالريان، بكل هذه الأحداث، فتطلب الأخير تسعة هذا الأخبار، ويطلب من أذينة الاستمرار في الحرب، حتى ينقذ فالريان، ثم ينعي عليه في عام 262م بلقب دزيمش الشرق. (Dux Orientis) مما جعله أشبه بنائب الإمبراطور الروماني في الشرق (1)، وكان فالريان قد أنعم عليه في عام 258م، بمرتبة القنصلية (2).

وبدأ أذينة (أودينات) يسترجع أرض الإمبراطورية الرومية من الفرس، فتعجب في استرداد نصيبين - كما أشرنا آنفلا - وحرمان، واستقبل هناك استقبال الأبطال، ثم سرعان ما اتهم في عام 264م، نحو طيسفون، وضرب الحصار حولها، وكاد الإمبراطور القاضي أن يسلم، لولا أن المالمة الرومية قد لعبت دوراً خطيراً في إفساد نجاح أذينة، ذلك أن القائد الروماني مكريانوس - الذي كان سبباً في هزيمة الروم ووقوع فالريان في الأسر - قد أعلن الثورة على جاليينو، ونصب نفسه إمبراطورًا على القسم الشرقي من الإمبراطورية الرومانية (آسيا الصغرى والشام ومصر)، ومن ثم فقد استمر أذينة أن يرفع الحصار عن الفرس، وأن يعود لإخماد هذه الفتنة الجديدة، إلا أنه ما أن بدأ يعد العدة لمواجهة مكريانوس حتى علم بقته فاتجه إلى حمص للقضاء على وله، كاليتون، وبعد أن شد الحصار على المدينة، قتل كاليتون، سيدة، كاليتون، ورمى برأسه من فوق السور تحت قدمي أذينة، وفتح الأوراب، والتمس الأمن منه، وبدا أنه أتهي ثورة القائد مكريانوس، غير أن كاليتون، سرعان ما عاد إلى الثورة من جديد، ومن ثم فقد أمر أذينة بعضًا من رجاله باغتيال

W. Wright, op. cit. P. 120
EB 23, P. 494.
P. K. Hitti, op. cit., P. 75
Franz Altheim and Ruth Steinh, op. cit., II, P. 253
E. Gibbon, op. cit., P. 236
EB, 17, P. 162.
كاليستوس، وعاد الهدوء إلى هذه المنطقة الهامة من الإمبراطورية الرومانية بفضل جهوده إذينة(1).

وحفر جايلينو بالقضاء على الثورة، ومن ثم فقد أمر عام 264 م يمنح إذينة

(Imperator Toutius Orientis) لقب(2).

وعده إليه بالإشراف على جميع القوات الروماني في الشرق، والقضاء على فلول جيش مكرويانيوس، غير أن إذينة لم يكتف بكل هذا، فلقب نفسه بلقب ملك الملوك، تقليداً لملك الفرس، كما أمر بأن تتثق صورته بجوار صورة الإمبراطور الروماني على التقويد التي أخذت غنية من الفرس، أضاف إلى ذلك أن مجلس الشيوخ الروماني قد منحه لقب 8 أغسطس، وهكذا صار إذينة مسوباً لإمبراطور روما نفسها(3).

وفي عام 265 م، انتهت إذينة، أو ملك الملوك، إلى محاربة الفرس من جديد، ربما لأنه لم ينس إهانة سباستن، له يوم مروق رملته أمام رسله، وربما رغبه منه في التود إلى الرومان، وقيل الحظيرة عند جايلينو، وأيا ما كان السبب فإننا نرى إذينة يترك ولده البكر من زوجته الأولى، ويعد سيديمبوس هيرودوس تابعاً عنه في تادر، ثم يخرج على رأس جيشه إلى طيسفون، فيضرب الحصار عليها، ويضطر سباستن، إلى أن يظهر استعدادا لعقد محاولة مع إذينة، إلا أن الأخير طلب فل أسر فايلان، وهو شرط في نظر الفرس جد عظيم، ومن ثم فقد اوقعت المفاوضات بين الطرفين(4).

وهنا ينتهي الموقف - للمرة الثانية - في مصلحة الفرس، إذ يعبر القوط - البحر الأسود، متهزين - في غياب إذينة عن آسيا الصغرى والشام، وينزلوا

(1) جواد علي 3/2، المشرق، السنة الأولى، الجزء 15، عام 1898 م ص 858، وناظر:
F. Altheim and R. Stiehl, op. cit., P. 250.

(2) وکذا EB, 17, P. 162.
CAH, 12, P. 1745.
Syria, XVIII, 1937, P. 2.
P. K. Hitti, op. cit., P. 75.

(3) جواد علي 3/3، 988 م.
يهيمن هرقلية، وينهجوا نحو قبادوكياً، ومن ثم فإن أذينة سرعان ما يضطر إلى رفع الحصار عن مدينة الفرس، والعودة لقتال الغزاة الجلد، إلا أن القوط سرعان ما علمنا بعودة أذينة، فعادوا إلى يمينة هرقلية، ثم أخبروا منها عائدين إلى بلادهم(1).

وهنا، وفي هذه اللحظات التي وصل فيها أذينة إلى ذروة مجده، وبينما كان يجهز لجولة أخرى مع الفرس، يفتح فيها «طيسفون»، يذهب البطل العربي - وكذا ولده هيرودوس - ضحية الغدر والخيانة في أحوال غامضة في عام 266 م ( أو 267 م)، يلبب فيما ابن أخيه «معين بن خيران» الدور الأول، وإن كان الروم ربما قد أدركوا خطورة أذينة على امبراطوريتهم، فعملوا على التخلص منه، وبعد أقرب الناس إليه، وإن كان هناك من يرى عكس ذلك تماماً، وأن الرومان ينوه أذينة، إما فقدوا الحماية لإمبراطوريتهم في الشرق، وأن المزامرة ربما تكون قد لعبت فيها أطراف أخرى، قد تكون الزباء التي رأت أن الأمر سوف يذهب إلى ابن ضرها، بينما يحمر منه بنوها، وقد تكون عصبة من الوثنيين، خيل إليهم أن أذينة قد أصبح أداة طيعة في أيدي الرومان قفروا التخلص منه، وهكذا بات من الصعب على العلماء الوصول إلى قرار صائب، أو حتى قريب من الصواب، فالآدلة غير متوفرة، والوثائق صامئة، غير أن الظروف التي أعقبت مقتل أذينة، قد تثير أكثر من شك، فالخليج يفتح القاتل دون ثورة، أو حتى تردد، وأهل حمص يقتلن القاتل بعد حين من البلا، ثم ينصبون الزباء بعدما مباشرة، إلا يثير كل ذلك شكوكاً؟ أو حتى يلقى شبهة من ظن في شخص أو آخر، ومع ذلك، فإن لا شك فيه، أن هناك أموراً تحتاج إلى وقفة، ولكنها لا تقدم جديداً، ما لم تحدثنا الوثائق عن هذا الحدث(1).

______________________________
(1) جراد علي/98-99، المشرق، السنة الأول، الجزء 15، عام 1898 م، ص 291.
(2) نفس المرجع السابق ص 291 وما بعدها، نيللي حتى: المرجع السابق ص 298. جراد علي/99-100، وكذا.
E. Gibbon, op. cit., I, P. 263
P. K. Hitti, op. cit., P. 75.

546
(3) الزباء:

جاءت الزباء أو زنوبية إلى العرش ووصية على ولدها القاصر وذهب اللات...(Bath-Zabbay) بعد مقتل أبيه أذينة، وتدعى في الكتب التدمرية ببنت زباب، أي بابنة العطية، وهي الزباء في المصادر العربية، وإن اختلطت هذه المصادر في اسم هذه المرأة، فهي الزباء بنت عمرو بن طرب بن حسان بن أذينة، وهي ليلى على زعم آخر، ولها أخت دعوها زينة، لما قصر حرص لنشتهر الفرات الغربي، فكانت ت 쉄 عند أختها، وتتبع بطن التجار، وتصير إلى تدمير، كما كان لها جنود، هم في نظر هذه المصادر العربية، من العماليق والعرب الغربيين الأولى، ويرى الأخباريون أن ملك العرب بأرض الحيرة، ومشارف الشام، كان لعمر بن الـ طرب، وكان جنود الزباء (معروفة الجملة ذات الشعر الطويل) من بيافا العماليق من عاد الأول، ومن هند وسليم إبن هلوان، ومن كان معهم من قبائل قضاعة، وكانت تسكع على شاطئ الفرات في قصر لها هناك، وتتبع بطن المجز، وتصبح بتدمير (1).

وينسب الأخباريون إلى الزباء كثيراً من القصص، بعضها طريف وبعضها غريب، وإن كان معظمها بعيد عن الحقائق التاريخية، فإذا ما تضاربت الإحتمال في نسبي، بل وحتى في اسمها (الزباء، فارحنة، مسون، ليلى) لرأينا بعضهم ينسب إليها شعرًا، وبعضهم ينسب إليها حكما وفهما، في لغة عربية بلغة، وإن كان هذا ليس غريباً على من ينسبون إلى آدم وإليه شعراء مبصرون وفق قواعد النحو، والصرف، ومن ثم فليس من العجيب أن ينسبوا إلى الزباء شعراء كذلك (2).

---

(1) مرج الزعب 269/2، تاريخ ابن خلدون 261/2، تاريخ الطبري 317/1، جزء 1/2، حزمة الأسقفية: المرج السابق ص 62، جراد علي 3/103، اتفاق

P. K. Hitti, op. cit., P. 76، وكذا

Caussin de Perceval, op. cit., 2, P. 198.

(2) ابن الأثير 345/1، تاريخ الطبري 261/2، مرج الزعب 272/2، جراد علي 3/101، سيد زولتا: المرج السابق ص 51، 105، 157، 298：“


---

567 ---
والقصة في صورتها الراهنة للطيفة، ولكنها بعيدة عن الحقائق التاريخية، فقد جمع الأخباريون فيها كلما عرفوه من أساطير الشرق القديم، كقصة تحوتمس الثالث (1490-1436 ق.م) وفتح بافانيا، وكقصة عدي مع أخت جلدية، هذا فضلا عن قصة وفاة الزباء مسمومة، وصلت بلغة كليوباترا ملكة مصر، أضف إلى ذلك أن الصنعة واضحة في الأمثال التي نسبت في القصة إلى جلدية وقصير والزباء، وعند وفاة عمرو، وأخيرًا فالنتائج تاريخية أن الزباء قد حملت أسرة إلى روما بعد استيلاء الرومان على تدير - كما سوف نرى فيما بعد.

(1) تاريخ المقدسي/1 398-209، ابن الأثير/2 286-291، مرج اللعب/1 28-33، مرج اللعب/2 286-337، بلغ الأرب/2 277-282، تاريخ ابن خلدون/1 362-363، المجلد/1 366-367، المجلد/2 276-277، تاريخ الطبري/1 277-278، البرقوق/2 299-300، تاريخ ابن خلدون/2 290.

(2) أنظر تاريخ الطبري/1 277-282، مرج اللعب/1 288-301، مرج اللعب/2 301، المجلد/1 286-301، المجلد/2 277-282.
على أن الغريب من الأمر حقاً، ذلك الإغراق في رواية الأساطير، من جانب المؤرخين المسلمين، وفي نفس الوقت، ذلك التنازل غير الطبيعي منهم، لدور الزباء، الذي في تاريخ الشرق القديم في تلك الفترة، بل إننا نرى في نفس الوقت كذلك، إطالاً في مذبح الفرس لا يتفق وحقائق التاريخ، بل هو مذهل لم يقل مثله مؤرخاً الفرس أنفسهم، الأمر الذي نراه كثيراً من المؤرخين المسلمين، وبصورة واضحة، حين يتحدثون عن تاريخ اليهود - وربما كان السبب في ذلك أن مصدار المؤرخين الإسلاميين، وبخاصة في تاريخ مصر وسوريا والعراق فيما قبل الإسلام، إنما هي مصدار فارسية وبهودية في الدرجة الأولى، وهي مصدار لا يمكن أن تصف بأقل من أنها متحززة لأصحابها، وأن الأخبارين إنما كانوا - في أغلب الأحيان، يتساهلون في نقل أخبارهم عن عصور ما قبل الإسلام بدرجة ملتفة للنظر، بل إن الواحد منهم إنما كان ينقل ما ينقل من أخبار عن يهود أو فارس، دونما تعيين أو تعمير، وكأنها حقائق ترقى فوق مظان الشهوات، وإن كان الأمر غير ذلك تمامًا بالنسبة إلى المصادر اليونانية والرومانية.

وإيا ما كان الأمر، فهناك روایات يفهم منها أن الزباء إذا كانت تزعم أنها مصرية، من سلالة كليوبترا، وأنها كانت تحتد الفهات المصرية بطاقة، فقد أثبت كتاباً في التاريخ - وبخاصة في تاريخ مصر، خلطة يبداً، وأنها كانت مثيرة، ومن ثم فقد استدعت إلى عاصمتها المشاهير من رجال الفكر، وذهب روایات أخرى إلى أنها سمعت بالجلالة اليهودية بالإقامة في عاصمتها، وأن هذه الجلالة قد جاءت إلى تدمر بعد تدمير بيت المقدس على يد ستينوس في عام 70، وأنها قد بلغت حوالي نصف سكان المدينة، بل إن القديس أنتاسيوس، والمؤرخ ستينوس إنما يذهبان إلى أن الزباء نفسها قد اعتنقت اليهودية، وأن لم تسمح بإقامة معابد يهودية

---

(2) جوده علي 107/3-106، وكذا
في تدمّر (1)، غير إن هناك ما يشير إلى أن اليهود ربما قد اضطهدوا على أيامها، 
حتى أن واحداً من ألحان عصرها يقول: مخلد ومعيد من يدرك نهاية أيام تدمّر.

ومن عجب أن هذه الآراء المتضاربة، إنما تذهب كذلك إلى أن النبي هوّد الزباء، 
إذا كان الأسقف ببولس البسيط، ولست أدري كيف يهود أسقف مسيحي 
الزباء، أما كان الأولي أن ينصراها؟ ومن ثم فإن التحريض— فضلاً عن الإضطراب— 
في هذه الرواية، لا يحتاج إلى إثبات، وربما كان النبي أن هذا الأسقف المسيحي قد 
أبدى رأيه في الثلاث، بما لا فرق وراء الكنيسة وقت ذلك، ومن ثم فقد حكم 
عليه في أنطاكية عام 279م بالعزل من الأسقفية، وعلى أي حال، فهناك الكثير من 
الشهادات التي تدل على أن اليهود إذا كانوا ناقمين على المملكة وعلى الدولة كذلك، 
ربما بسبب الزواج المختلط بين اليهود وغيرهم، وربما بسبب الحروب التي كان 
يقوم بها أديرة ضد الفرس، ذلك لأن الزواج المختلط إذا نتج عنه جبل جديد أضعاف 
الدين والتقاليد الإسرائيلية، وأن الحروب ضد الفرس قد ألحقت ضرراً كبيراً 
بالحاليات اليهودية التي كانت تسكن شواطئ الفرات، ومعظمها من التجار الذين 
كانوا يتأجرون مع الفرس والروم، وبين العراق والشام (2).

هذا، وقد حرص فريق آخر على أن يجعل الزباء نصرانية، وإن ذهب فريق 
ثالث إلى أنبا إذا كانت محبة للنصارى، ولكنها لم تكن نصرانية، بينما تتجه فريق 
رابع إلى أن المرأة لم تكن يهودية ولا نصرانية، وإنما كانت بين بينين، كانت تمتقد

المشرق، السنة الأولى، الجزء 20، عام 1898، ص 464-465.
G. Moss, Jews and Judaism in Palmyra, PEFQ, 60, 1928, P. 100-107. 
Milman, History of the Jews, III, P. 175
ZDMG, VII, 1864, P. 88.

S. Graetz, History of the Jews, II, 1927, P. 528 
UJN, 10, P. 639

- 550 -
بوجود الله - سبحان وتعالى - وتري التوحيد ، كما يراه الفلاسفة ، وليس كما تصوره ديانة الكلام أو المسيح عليه السلام (1) .

ويختلف المؤرخون كذلك في أصل الزبي ، فذهب فريق منهم إلى أنها مصرية ، وذهب فريق ثان إلى أنها من العماليق ، وذهب فريق ثالث إلى أنها آدمية ، وتتجه فريق رابع إلى أنها من أصل عربي ، ولكنها من دم مصر من ناحية الأم ، بل إن المسوحولي ليرى أنها رومية تتكلم العربية ، ومع ذلك فإن الغالبية العظمى إما تجادل تجمع على أنها عربية (2) .

وأيضا ما كان الصواب في هذه الروايات المتناوبة ، فلما لا شك فيه أن شخصية تلك المرأة القوية تعود واحدة من الشخصيات الحامة في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ويفضح المؤرخون بأنها امرأة قوية شخصية ، قوية البنية ، شجاعة جميلة ، ذات هيبة ورفاه ، كانت تدوم في الجمال مع كليوبتر ، وإن فاقتها عفة وطهارة ، وجرأة وشجاعة ، كانت من ألف بنات جنها ، وأكثرهن بطولها ، كانت سمراء الوجه ، ذات أسنان ناضجة يغليها كاللؤلؤ ، تقيس عينها السرداوان حية غير عادية ، مع رقة جذابة إلى أبعد حد ، كان صوتها قويًا مطبقيًا ، وكانت سيرتها أقرب إلى سير الأبطال ، منها إلى سير النساء ، فلم تكن تركب في الأسفار غير الحيل ، وقد سارت على قدميها في بعض المرات عدة أيام على رأس الجيش ، وكانت تلبس في المناسبات الرسمية ثوباً من الأزوروان موزي بالبوار ، مشدوداً عند الخصر ، وإذا ما استعرضت جيشه في الميدان العاماً ثم أمام الصفوف فوق جوادها ، وعلى لها لباس الحرب ، فوق رأسها الخزداوية الرومانية ، تاركة إحدى دراعاتها عارية حتى الكتف - كما يفعل المحاربون من اليونان القدماء - تحرض جندها على الصبر في

(1) جواد م. 112/3.
القتال، والشجاعة عند لقاء العدو، فإذا ما كان عندها فراق من وقت، فضته كما كان يفعل أذينة في صيد وحش الصحراء الكاسرة، كالأسد والدب والنمر.

كانت طموحة أرية ذات سبق في مضمار السياسة، تبت في الأمور بحزم وحکمة، بدلاً من أن ترثدي في حمامة الأهواء الفانية، التي كثيرة لما تشوب حكم النساء. فإذا كان الأوفق أن تفر وتصفح، استطاعت أن تخدع من غضبها وتخفف من غلوها، وإذا كان لاماً أن تبت، استطاعت أن تخرس نداء الشفقة والرحمة، وكانت مثققة، لم تكن تجهل اللاتينية، ولكنها كانت تجيد اليونانية والسريانية والمصرية بنفس القدر، وهي لغات المثقفين في ذلك العصر، كما ألفت أن تفقد موازنة بين روائع هوميروس وأفلاطون تحت إشراف لوبيجيوني، وأن تعيش في قصرا على نظام بلاط الأكاسرة، إذ كانت حاشيتها تحبها بالسجود، حسب الأسلوب الفارسي.)

ولذا ما كانت المبالغة في ذلك كله، فالذي لا شك فيه أن تلك المرأة كانت خير خلف لزوجها البطل، وأنها منذ أعلنت نفسها ملكة على الشرق - مستحكة إلى حين بالإمبراطورية الرومانية - بدأت تعمل على تكوين دولة عربية قوية تحت زعامتها، بخاصة وأنها أدركته بفطنتها السياسية أن أعداء تدمير، إنها هم الرومان، والذين لا يفكرون إلا في مصلحة روما فحسب، ومن ثم فقد بدأت تقترب إلى العناصر العربية المستوطنة في المدن، فضلاً عن الأعراب الذين ترى أنهم عبادها في القتال وسندتها في الحرب، إلا أن الرومان كانوا أسرع منها، فقضوا على آمالها قبل أن تتحقق، بل واحتلوا تدمير نفسها(1).


وكانت بداية النزاع بين الزباء والرومان، يوم أرسل جالينو، يبني لاحتلال تدمير القضاء على الزباء، قبل أن يندفع خطرها، متظاهراً بأنه يريد ممارسة الفرس، إلا أن الملكة العربية سرعان ما اكتشفت السر، ومن ثم فقد دارت بين الفريقين معركة حامية الوطن، كتب النصر فيها للزباء، وحافقت المنزة بالروم، وفي نفس الوقت، فإن الملكة قد خانت أن يستغل الفرس الفرصة؛ فتوجهوا إليها ضرية قد تكون غير مستعدة لها، ومن ثم فقد أنشأت حصنًا على النرات، دعته زنوبة (1).

وأخيرًا بدأت الزباء ترنو بناظرها نحو أرض الكنانة - تلك الأرض الخصبة الآهلة بالسكان، ذات التاريخ المجيد، والثقافة العربية - بعد أن أذاعت - إن صدقنا أو كذبنا - أنها مصرية من نسل كليوبطرا، وجاءت الفرصة مثلثة في مقتله جالينو عام 268م، وتولية كلوديوس 268-270م) خلفًا له، وفي نفس الوقت كان الألمان والقوط قد بدأوا يهاجمون القسم الغربي من الإمبراطورية الرومانية، مما دفع بربروس - الحاكم الروماني في مصر - إلى أن يخرج بجيش الإسكندرية لمطاردة القوط، وهنا بدأ الزعماء المصريون - وعلى رأسهم تيماجنيس وفرموس - يحرون الزباء على فتح مصر، بل ويقدرون لما العون المادي على هذا الفتح.

وهكذا تحرك زبادا 4 - قائد جيش الزباء، على رأس حملة قوامها سبعون ألف رجل - إلى مصر، وهناك دارت معركة رهيبة بين الفريقين، انتهت بنصر مبين لجيش زنوبية، وهزيمة ساحقة لجيوش الرومان، وضم مصر إلى دولة الزباء، ولكن ما أن يمضى حين من الدهر، حتى يعود زبادا، يبقيه إلى تدمير، تاركاً الأموات يقظون تيماجنيس، ومعه فرقة صغيرة لا تتجاوز عددها خمسة آلاف جندي.

E. Gibbon, op. cit., P. 263.
(1) المرجح، page 264، وكدًا 267.
(2) جواد علي 3/113، وكدًا
وفي نفس الوقت كان بروتوس قد علم بما حدث، فأسرع عائداً إلى مصر.
وأخذ يتبع الجنود التدريبين، ويطاردهم في كل مكان، وتصلب الزباء بالتطورات الجديدة، فتأمر زيدا بالعودة إلى مصر، حيث يشتبك الرومان والتدريبين في معارك ضارية، يلعب فيها عرب مصر من سكان المناطق الشرقية، فضلاً عن تيماجنس، وهو مصري على رأي، وعبري متعمص على رأي آخر، أخطر الأدوار إلى جانب التدريبين، وبخاصة في المعارك التي دارت حول حصن بابلون.

وتنتهي المعركة بإتفاق بين الزباء والروماني في أخريات أيام كليساديوس، على أن يكون حكم مصر مشتركاً بينهما، بدلاً ما جاء في بعض المراحل من أن الصرخين قد حلوا يمين الولاة للقيصر، وبدلاً ما عبر عليه من عمليات تدريب تقتضي في الإسكندرية في عامي 270-271 م، وعلى وجهها صورة القيصر أوريلان (270-275 م)، بجانب صورة وهب اللات (ابن الزباء)، مما يدل على الحكم المزدوج بينهما.

كان فتح الزباء مصر، والإستيلاء على الإسكندرية، أحد مدن الإمبراطورية الرومانية قاطبة بعد روما، ضربة أصابت الروم في الصميم، ثم جاءت سياسة الزباء التوسعة في الشام والآسيا الصغرى، بدلاً على أن تصبح تلك المرأة القوية لا يقف عند حد، ومن فلن الإمبراطور أوريلان، سرعان ما انتهج فرضية القضاء على الإضطهادات في روما، ورد هجمات القوط، حتى بدأ يعد عدة لحركة فاصلة مع الزباء، غير أن الملكة العربية سرعان ما علمت بدورها بنيته الإمبراطور الروماني.

---

1. جراد علي 3/114-115
2. جراد علي 3/115-116
3. وكدنا EB, 17, P. 163.
4. EB, 17, P. 163.
5. EB, 17, P. 163
6. CAH, 12, P. 301.
ققرارت أن تتحدد إلى آخر الشوط، وهكذا نراها تأمر بإلغاء الاتفاقية المبرمة مع سلفه كارل دييغ، فتصدر النقود في الإسكندرية وقد خلت من صورة أوريلان، واقتصرت على صورة ولدها وهب اللات، الذي اتخذ لقب أغسطس - وهو اللقب الخاص لأوريلان - كما أسسها على نفسها لقب غرستا، ثم أقرت لزوجها الثاني تمتثالاً كنف عليه "تمثل سميسيوس أذينه ملك الملوك، ومجدد الشرق كله" (1).

وهناك رواية تذهب إلى أن الزباء قد اقتصت بالملكية في كوريا، مملكة إقليم الغال، لتلتقيق خططهما ضد الرومان، ثم بدأت جيوشها تتوغل في آسيا الصغيرة، وأقام الحمامات بإتجاه الشمال الغربي حتى "أنقره"، وظلت جيوشها تقدم دومًا أدمي مقاومة، حتى "خلدونية" مقابل بلاغتة، وهكذا استقطب الملفة البلدية أن تكون نفسها ولابدتها إمبراطورية تنزعتها من بين مخالب النسر الروماني، وهو في أوج قوته، ورغم أنها كانت إمبراطورية قصيرة الأجل، إلا أنها كانت ومضة عربية تستحق التقدير في تاريخ العلاقات العربية الرومية، وتبقي إمبراطورية الأمويين (2).

غير أن تنفيذ هذه الخطة، دعا الزباء إلى أن تسحب كثيراً من قواتها من مصر، والتهز أوريلان القرصية، وتقي قائمته في أن يلتقي بالتدميريين في عام 272م، هزيمة كانت تنتيجها خروج مصر من إمبراطورية الزباء، والقطاع ضرب النقود في الإسكندرية باسم ولدها وهب اللات، وإن كان أعداء التالية التي تمتلأت عن فقد مصر، أن الزباء بدأت تفقد الثقة بنفسها ويجيبها، كما شجعت أهل خلقوذية بآسيا الصغيرة على صد هجوم التدميريين، أما في تنجه قرينة ثانوية من القصر

Encyclopaedia Biblica, 17, P. 163.

Mommsen, Provinces of the Roman Empire, 2, P. 107.

الرومانية، وهذا ما حدث بالفعل؛ إذ سرعان ما قدمت الجيوش الرومانية بقيادة القبض نفسه عبر البسفور، وطردت التدمريين من［سبباً، ثم توجه إلى［غلاطية، فقادوا 3، حتى بلغت 4 أثرة، وهكذا استطاع أورليان في عام 272م، أن يخضع الحمامات التدميرية في آسيا الصغرى، وأن يتابع مسيرته حتى سوريا (1).

وحاولت جيوش الزباء أن توقف جيوش الروم في سوريا، في الوقت الذي بدأت فيه الدعوات الرومانية تنتشر بين الناس بنوايا الآلهة عن سقوط تدمير، وقبلت عقول العامة هذه الأكاذيب، وأخذ الناس يسرد إلى نفوس الجنود، وارادت الزباء أن تخرس الأكذبة فخجت للاعتصامة أورليان عند Анطاكية - فارسة تجارب في طليعة الجيش - وبحثت شخصيتها القوية في أن تعيد الثقة إلى جنودها، وحقق متصرعًا على الرومان، إلا أن أورليان الذي تراجع بقواته سرعان ما باغت الزباء بهجوم مفاجئ، حقق فيه نصرًا كبيرًا، مما اضطر الزباء إلى ترك أنطاكية لأورليان، لا بليب هزيمتها فحسب، ولكن لأن القوم هناك كانوا يهود إلى جانب الرومان بعواطنهم، فهناك جالية يونانية ذات نفوذ في المدينة تفضل حكم الرومان على حكم الشرقيين، وهناك كره التصاريح للزباء بسبب موقفها من الأسقف بولس السماقي، الذي عزله مجمع أنطاكية، ولكنها لم تنفذ قرار العزل.

والتزاماً، وذلك في حمص، على رأس جيش قوامه سبعون ألفًا، وتكرب ما حدث في أنطاكية، نصر للزباء في أول الأمر، ثم هزيمة لها بعد ذلك، مما اضطرها إلى ترك حمص، والإجابة، بترك نفسها، وهكذا دخل أورليان حمص، قرار معبد الشمس، وقديم القرابين لإله المدينة، كما تعدد بتجديد المعبد وتوسيعه (2).

(1) جراد علي 63/4، Sherman، السنة الأولى، الجزء 2، عام 1898، ص 1034، وكذا EB، 17، P. 163.
(2) المشرق، الجزء 22، عام 1898، ص 1035، جراد علي 118-119.
(3) E. Gibbon، op. cit.، P. 256.
(4) J. P. M. Zosimus، I، 25.
وحاولت الزباء الاتصال بالفرس طلباً للمساعدة ضد عدوهما المشترك، غير أن القوة قد انفصلت عن ذلك كله، بميت مصرف، وتولية ولده، هرمز الأول (272–273م)، ثم عزله بعد عام واحدها، هذا فضلاً عن أن حراب القيصر وسخائه، كلاً كفيفين بقطع الطريق على أي مساعدة فارسية تأتي للزباء، أصف إلى ذلك أن أوريلان كان قد عرز قواته بجنوده أنه من مختلف أنحاء سورية، إلى جانب وصول البروبوس، بقواته الظاهرة من مصر(1).

وهكذا بدأ الحصار القاتل على المدينة الشجاعة، التي قابلته بصر وبطول، بل وسخرية من قيصر روما، حتى أن هذه السحرية سرعان ما وصلت إلى روما نفسها، فبدأ الرومان بدورهم يسكنون من القيصر الذي عجز عن التغلب على امرأة في مدينة صحراوية، وهناك رواية تذهب إلى أن القيصر قد كتب إلى مجلس الشيوخ يقول: فقد يضحك من بعض الناس لمحاربتي امرأة، ألا فليعلموا أن الزباء إذا قاتلت كانت أرجل من الرجال(2).

ويعرض القيصر على الزباء السليم بشروط معتمدة، وترفض الملكة العربية، العرض بإباء وشمس، ملكة إباء بأنها تفضل مصير كليوبترا على عار الإسلام له، وأنها سوف تلقته دوماً قاصياً على جرأتها على الكتابة إليها، طالباً منها الإسلام، عندما يحين الوقت، وتأتي إليها أعوانها من الفرس والعرب والأرمن، ومن أسف أن الملكة انتظرت، وطال انتظارها، وأخيراً أدركت أنها تحارب في معركة خاسرة، ومن ثم فقد قررت أن تذهب بنفسها إلى ملك الفرس، فخرجت ليلًا على هجين سريع تبغي حصناً زنوبياً، ثم عبر الفرات من هناك إلى فارس، إلا أن الأقدار أتت أن تكتب لها أي تنجح في مهمتها هذه، ومن ثم فقد أدركها خيانة الرومان على

(1) آزير كريتيتس: المراجع السابق من 215، إدوارد جيبون: المراجع السابق من 272-273، W. Wright, op. cit., P. 167

(2) جراد ميل/3، إدوارد جيبون: المراجع السابق من 271، E. Gibbon, op. cit., P. 266 و W. Wright, op. cit., P. 167
جيادهم السريعة التي جدت في إثراها، فقتبست عليها، وهي ثم تركوبة زورق ينقلها إلى الشاطئ الآخر من النروات، وهكذا فقدت الزباء الأمل في نصرة الفرس لها، كما فقدت ابنها، وهو يلود عن حياض بلاده (1).

وهيما لم يصبح أمام تندو سوى الإسلام، ومن ثم فقد فتحت أربابها في أوائل عام 273م لقيصر روما، فدخلها أوريلان دخول الفاتحين، كما جردها من تحفها الثمينة التي أخذ بعضها لزيارين معبد الشمس الجدود في روما، واقتصر عقب السكان على فرض غرامة مالية عليهم، وتعيين حاكم روماني، مع عدد من الرؤية، وهكذا عادت تندو إلى حظيرة الإمبراطورية الرومانية، بعد أن شقت عصا الطاعة، منذ أمر فالريان في عام 260م (2).

وأخذت الزباء إلى حمص، وهناك عقد مجلس لمحاكمة الملكة العريقة العظيمة ورجال بلاتها، وتذهب بعض الرواتب إلى أن الزباء قد تصلت عن مسؤليتها عما حدث، فضلاً عن اعتراها بأنها لم تكن تكن، إلا الإحتقار لامثال جاليوس وكلوديوس، ولكنها تعزف لأوريلان وحده بأنه ملك فاتح، إلا أن كثيراً من المؤرخين ينكرون هذه الرواية التي لا تتفق وما كانت عليه الزباء من سمو الأخلاء، فضلاً عن الكريم والشجاعة والثقة، وأي ما كان نصيب هذه الرواية من الخطأ والصواب، فإن أوريلان قد أمر بإعدام بعض رجال الزباء، وإن كان قد أبقى عليها، هي وابنها وهب اللات (2) الذي ذهب بعض الرواتب إلى أن تقتل في ميدان القتال، بغية إلحاقها موبك النصر، الذي سوف يقيمه عند دخوله روما، عاصمة الإمبراطورية الرومانية (3).

Freya Stark, op. cit., P. 367
P. K. Hitti, op. cit., P. 76
Malalas, P. 308.
(1) جراد مل 1/3، وكذا
(2) إدواردجبيون: المرجع السابق على 273م، فيليب حتى: المرجع السابق على 441
W. Wright, op. cit., P. 160
E. Gibbon, op. cit., P. 267.
Memmsen, op. cit., P. 748
EB, 17, P. 163.
(3) جراد مل 1/3، وكذا
(4) جراد مل 1/3، وكذا

558 —
وجاءت الأنباء إلى قيصر، وهو في طريقه إلى روما، بثورة عالية في تمرد، وأخرى في مصر، وهنا لم يتردد أوريلان، فبعثًا في أن يولي وجهه شطر سورية، وروعت أنطاكية لعمر الإمبراطور على عقل، وأها تمرد وطأة حقه الذي لا يمكن دفعه، وهناك رسالة تعرّف فيها أوريلان بأن الشيوخ والنساء والأطفال والقاضيين لم ينجوا من العقاب الرهيب، الذي كان خليقاً بأن يقتصر على المتمردين المسلحين، وبعد أن أشيع أوريلان نهم الدنيء من المتمردين، أمر بالكفت عن المنايع وترمي معبد الشمس، إلا أن المدينة كانت قد فشلت كل عظيمتها القديمة، وأخذ رماة السهام وقواميس تمرد ليعملوا في خدمة الجيش الروماني في أفريقيا، وحتى في بريطانيا.

وهكذا أخذت تمرد تتورّب في الظلام، حتى أنها غدت على أيام دقلديانوس (284-528م) بمثابة قرية صغيرة، وقلعة من قلاع الحدود، وطبقاً لرواية "ملايا" فإن "دقلديانوس" قد أتى فيها Castra، بعد أن تم الصلح بينه وبين الفرس، كما يشير الأب "سيستيان رترفال" إلى أنه فعل بنسارى تمرد، ما فعله بالخصوص في كل أقاليم الإمبراطورية.

وفي أوائل القرن الخامس الميلادي، أصبحت تمرد تابعة لولاية "فينيقيا"، وقد عين فيها "ثيودوسيوس" (502-554 م) فرقة من الجنود لحمايتها من هجمات رجال البداية، وفي العام الأول من حكم "جستينيان" (527-565م) أصبحت تمرد على خط الحدود الخارجية للإمبراطورية، ومن ثم فقد أمر بتقديم حامية وإصلاح ما تهم من مبانيها، فضلاً عن تصين قلاعها وأسوارها وتحسين موارد

EB, 17, P. 163.
Malamas, P. 308
(1) إدوارد جيتن: المرجع السابق ص 273-274، وكذا...
(2) المناط: الجزء 22، عام 1898، ص 103، جرد علي 3/127، وكذا...
مباهاها، ثم اتخاذها مقرراً للحاكم ولاية فنيقا، ومع ذلك، فإن تدمير بدأت تفقد أهميتها شيئاً فشيئاً، ورغم الإشارة إليها كمركز أسقفي في الصحراء، فإن الصحراء قد تغلبت عليها يوم فقد سكانها السيطرة على هذه الصحراء، وظلت كذلك حتى فتحها هلال بن الوليد صلحاً في عام 634 هـ، على أيام الخليفة الراشد أبي بكر الصديق، رضي الله عنه وأرضاه (11-1036=1234-1672م) غير أنها لم ولن تعود كما كانت على أيام الزباء(1).

(1) جواه علي ١٢٨/٣ ١٢٩-١٢٨، الشرق، الجزء ٢٣، ص ١٠٦٣، وكذا
Syria, VII, 1926, P. 77
Malamas, P. 426
A. Musil, Palmyrena, P. 247-248
Theophanus, Chronographia, I, 267
W. Wright, op. cit., P. 169
Encyclopaedia Biblica, 17, P. 163.

٥٧٠٣
الفصل الثاني عشر
الفساسنة

في أثناء الفترة التي كانت فيها دولة تدمر تتوارى في الظلام، بعيداً عن المسرح السياسي والحضاري، كان دخل شبة الجزيرة العربية يتلون بقوة جديدة، فالظروف الاقتصادية التي أحاطت باليمن، من أمطار سد مأرب، ثم حدوث سيل العرم، وغيره من أحداث، أدت إلى إضاحلال دولة حمير اليمنية، كل ذلك وغيره كان سبباً في أن يهاجم قبائل بأسرها من جنوب بلاد العرب إلى شماها، يبحثاً عن أرض جديدة.

وكانت النتيجة الأخيرة لهذه الحركة أن ذاق الفرس والروم من الهجرة الأعراب وغزوانهم، فانشأوا على أطراف الصحراء الحصون ومدوا الطرق العسكرية ليأمنوا غارات قبائل البدو، وليحسبوا طريق التجارة، واتخذ الفرس قيام من العرب عرفوا باللهمين أو المناذرة، كما اتخذ الرومان أولاً قيام من بني سليح، ثم قيام من بني غسان أعيواناً لهم.

---

(2) عبد القطب الطياوي: المرجع السابق ص 12. 
وهكذا جاءت عقب البراء وتتدرّب دولتان جديدتان على أطراف الصحرااء، في القرن الخامس والسادس الميلادي، ازدهرت حول دمّت مملكة الناسنة، وفي نفس الوقت ازدهرت دولة النبهان في الحيرة بالقرب من ضفاف الفرات، وكانت هاتان الدولتين تابعتين لامبراطوريتين بيزنطية وفارس، وكانتان بمثابة مركز حراستهما على حدود الصحرااء، وقد نتج عن هذه السياسة التي سارت عليها الإمبراطوريتين القديمتين دوراً الحزباً بين دولتي المناذرة والغساسنة - وها أبناء عم، ومن دم واحد، ولكنهما أضمناها واستيّناها قبلاً تحت الإسلام العظيم، تاركين الإمبراطوريتين وجهًا لوجه مع الهداية الجدد، حملة لواء الإسلام، وهداية القرآن، وسّعة المصطفى - صلوات الله وسلامه عليه -.

وهكذا قامت دولة الناسنة للروم، مقابل دولة المناذرة للفرس، لِلمسانة (Buffer State) اتخاذ منها الروم مهجلاً يقيهم شر هجمات النبهان على أطراف الصحرااء من جهة، وليشربهم ضد الفرس ويساعدوهم بمهماتهم من جهة أخرى، هذا إلى أن المناذرة إلاّ إذا كانوا يجمعون الضرب من القبائل العربية القريبة منهم، ويقدموها للفرس، كما كان الناسنة يجمعون مثل هذه الضرب من الروم.

وتاريخ دولة الناسنة هذه غامض لقلة المصادر، ولامتزاج الحقائق فيه الأساطير، ولضياع معظم آثار بني غسان، ومن ثم فلا تستحق المصادر العربية في البونائية إلا في النذر البصير، بل إن المؤرخين العرب أنفسهم إما يختلفون في عدد الملوك وأسمائهم ومسى حكمهم، فهم عند حديث الأصفهاني 32 ملكاً، وعند أبي الفداء.

مواقع: المرجع السابق ص 204، قارئ: ابن كثير 2418/2.
(1) محمد بن عمرو نقل: المرجع السابق ص 111.
(2) عمر فروخ: تاريخ الجاهلية ص 68.
(3) راجع الاقتران في: جواة علي، 443-444، جرشي زيدان: المرجع السابق ص 1-2، عبد الطيف الطياري: المرجع السابق ص 12.

- 567 -
31 ملكاً(1)، وعند المعز لدين الله بن قتيبة إما هم أحد عشر فقط (2)، وأما نولد فإنه
فأرأت أن عددهم لا يتجاوز العشرين، وأنهم حكموا في الفترة (300-552م).
وبل إن (4) هرقلد، ليحدهم بسبعة فقط (3)، وبري جرجي زيدان، أهله سبعة عشر
وأنهم حكموا في الفترة (420-533م) (5).

ولعل السبب في هذا الاختلاف إنما هو اختلاف أخبار آل غسان بالقبائل العربية
التي سبقتهم إلى سوريا، ودانت بالأنصارية وخضعت لحكم الرومان، كما أن من
أسبابه أيضًا اقتصار مؤرخي العرب على الناحية الأدبية من تاريخ الغساسنة، وإمهال
تاريخهم السياسي، بالطريقة التي أظهرها بحث تاريخ اليونان والرومان، أضف إلى
ذلك هذا التشابه في الأسماء بين حارث ومنذر ونمنان، واختلاف ذلك أيضًا بالتشابه
والقارب مع أسماء ملوك المناذرة (6).

أضيف إلى ذلك أن هذا الاختلاف أو الخلاف بين مؤرخين العرب على عدد
ملوك آل غسان، إنما هو دليل على ما بحث بأسرة آل جفته من عاموض، وفي
الواقع أن تاريخ الأسرة بكامله غامض، حتى أصل الأسرة نفسها، فالمؤرخون العرب
يرون أن الغساسنة - وكذا المناذرة - إنما هم من عرب الجنوب، إلا أن العلماء
المحدثين ما زالون في ريب من هذا، ويرجعون أنهم من عرب الشمال، لأسباب
منها (أولاً) أن لغة الغساسنة - وكذا المناذرة - إنها هي لغة غزانية، أكثر منها
قططانية، بل إنها لا تتم إلى الحميرية الجنوبية بصلة، ومنها (ثانياً) أن أسماءهم
إذا تشبه في مجموعها أسماء عرب الشمال، وكذا العادات والدين، والتي هي أكثر
انطباقاً على عادات وديانة عرب الشمال (7).

(1) حسنة الآصفي: المرجع السابق ص 99، أبو الفداء 72-73، ابن خلدون 284.
(2) مرجع ذي الابن 48/8، المازري من 442، ابن خلدون 281.
(3) جبريل علي: 447/3، هرقلد: يقول حسان بن ثابت ص 96، جرجي زيدان: المرجع السابق
من 342، فارق: كتاب للمرح لابن حبيب ص 77.
(4) جرجي زيدان: المرجع السابق 197-198.
(5) عبد القلف الطياري: المرجع السابق 13.
(6) محمد مزวก: المرجع السابق ص 96.
(7)
وأي ما كان الأمر، فإن الرواية العربية - كما أشارنا من قبل - تذهب إلى أنهم قد هاجروا من اليمن واستوطنوا أرض حوران (1) حيث كان هناك قوم يعرفون بالمجاعة، من قبائل بني سليح بن حبان من قبائل البر، وقد استقروا هناك، ورضوا لحكم الرومان ودأنوا بالنصرانية من قبل مجيء بني غسان، ثم اعترضت الدولة البيزنطية بهم ووضعهم تحت حمايتها، واتخاذهم أعواناً لها ضد المنافرة والفرس، وكان ذلك في زمن الإمبراطور أنستاسيوس، حوالي آخر القرن الخامس الميلادي، ومن ثم فقد كانوا أول من شيدنا للعرب هناك (2).

وأما الغساسنة، فقد استقرنا في نواحي الجنوب الشرقي من دمشق، على مقربة من الطرف الشمالي لطريق النقل الهام الذي كان يربط بين مأرب في الجنوب، ودمشق في الشمال (3)، وأما ما حدث في هجرة الغساسنة - وكذا المناذرة - من اليمن إلى الشام، فذلك موضع خلاف بين العلماء، صحيح أن الروايات العربية تحددها بذلك بعد مأرب، ثم بعد سيل العمري، ولكن صحيح كذلك أن سيد مأرب إما أنهار عدة مرات خلال الفترة الطويلة التي مضت منذ تشيده - لأول مرة - في منتصف القرن السابع قبل الميلاد - وربما الثامن كذلك (4) - وبين آخر مرة أصلح فيها السد في عام 542م على أبام أرية على خليج، إذ أن هناك عدة إشارات في النصوص العربية الجغرافية إلى تدفق السد وإنصافه (5)، ومن ثم فلا ندرى على وجه

(1) D. D. Luckenbill, op. cit., I, P. 672, 721

(2) P. K. Hitti, op. cit., P. 78.

(3) rainfall at the time of Herodotus, P. 471.

التحديد في أي وقت من هذه الفترة في رمزي تزيد على اثني عشر قرنا - قد حدثت هذه الهجرة، وأما الروايات العربية، فبعضها يذهب إلى أن ذلك إذا كان قبل الإسلام بأربعة قرون، وبعضها يرى أن ذلك إذا كان على أيام الخشبة، وبعضها يرى ذلك في القرن الخامس الميلادي، على أيام محسن بن ثيان أسعده، وأخيراً فإن هناك روایات ترى أن ذلك إذا كان في القرن الرابع الميلادي(1).

وعلى أي حال، فإن يميى حين من الدهر على هجرة النساوة إلى الشام، حتى تبدأ الخلافات بينهم وبين الضجاعة ويبثى الأمر بلغة بي غسان على بي سليم، وإن لم يتضمنوا عليهم هانية، ومن ثم فقد بقوا - كما يرى نولدك - في مواضع أخرى من الشام إلى زمن متأخر، بدليل أن التباعة الذياني قد زار أحدهم في بصرى، وأن جمعة منهم قد حاربو خالد بن الوليد في دومة الجندل تحت قيادة «ابن الخديج»، وفي قسم(2).

ويروي الأخبارون أن النساوة إذا أسموا بعدة أسماء، منها أرزغسان(3)، ويدعون إلى أن أرد إذا هو اسم قبيلة، وأما غسان فهو اسم ماء في ثمة، نزل القوم عليه وشرموا منه، ومن ثم فقد عرفوا بأرزغسان، وعرف نملهم بالناسية(3)، وسموا كذلك «آل ثعلبة» نسبة إلى جدهم يعرف باسم ثعلبة ابن مازن(4)، كما يسمون كذلك «آل جفنة» و«أولاد جفنة»، لأن أول ملكهم إذا كان يسمى «جفنة بن عمرة»(5).

1. ياقوت 355/5، جبريل زيدان: المرجع السابق من 155، أحمد أبراهيم الشريف: المرجع السابق من 310.
2. تاريخ الطبري 378/3، ابن خلدون 278/2، نوح البلد، 328/2، الإشلاق 430/2، ياقوت 339/2.
3. مرجع الطبري 328-3232، ابن خلدون 279/2.
4. نوب دارج النساوة من 110، السويدي: التلخيص الإخبارات من 158.
5. ف. المخطوف وصل إلى الغزنة من 287، الإشلاق 430/2، ابن خلدون 279/2.

F. Altheim and R. Stiul, op. cit., Π, P. 332.
وأما العاصمة السياسية للآن التقليدية، فيبدو أنها كانت في البداية معروفة في منطقة الجولان جنوب غربي دمشق، كما كانت في بعض الوقت في جبل 41 (وأي رما كانت الكسوة الحالية)، وفي بلدة عشرة أميان جنوبي دمشق وأما ديارهم، فكانت مواجهة لبعض الروايات العربية في اليرموك والجولان وغيرهما من غرب دمشق وأعمالها، وأن منهم من نزل الأردن من أرض الشام 42، وعلى أي فلكلام امتدت دولتهم حتى شملت الجولان وحوران وبلقاء، وأحياناً فينيقيا، فضلاً عن أعراب سوريا وفلسطين 43.

و على أي حال، فليس هناك من دليل على أن الغساسنة، قد ملكوا المدن الكبيرة في الشام كندمر وصبرى ودمشق، إذ أن هذه كانت محصنة، تتمركز فيها الحامية البيزنطية، ولكنهم كانوا يعتمدون على الصحراء، إذا داههم الخطر، فكانت تغشىهم عن المدن المحصنة، ومن ثم فقد كانت معظم حروبهم تدور على أطراف البادية، وإليها التجاو، عندما خلعوا سلطان الإمبراطور وثاروا عليه في عهد هتدان اين الناصر 44، وهذا فقد كان الروم يقومون عمالا، يقلبون ويلوك غسان، حفاظا على التوازن السياسي، وإبقاء لسانات الدولة في الأوقات العصيبة، طبقاً لسياسة «فرق تندي» 45.

(1) فيليب: المرجع السابق ص 449، 411، 150، 530/2، 580، 91/2، البكري/2.
(2) عبد الله: المرجع السابق ص 189-198.
(3) وثائرة: المرجع السابق ص 59، دائرية الموارد الإسلامية، مادة جبل، وادد النطاق، المرجع السابق ص 12.
(4) محمد مركزي: المرجع السابق ص 116، وكذا

Leone Caetani, Annali dell’ Islam, II, P. 928.

و وكذا}

المصري: مرجع الذهاب 85/2.
عبد الله الطيبي: المرجع السابق ص 14.
عبد الطيف الطيبي: المرجع السابق ص 12.
نفس المرجع السابق ص 13.
ملوك الغساسنة:

لعل الحارث بن جبلة (528-695م)، والمعروف بالأعرج، والحارث الأكبر، أول أمراء بني جفنة الذين يمكن الإطمئنان إلى وجودهم، وهو في نظر أريتوس (Aretas)، الذي ذكره المؤرخ السرياني ملالة، على أنه كان عاملًا للروم (1)، وقد عاصر الرجل من أباطرة الروم جستينيان (414-565م)، ومن أكاسرة الفرس قبلاً (قبر قبالة) (448-532م)، وهو كسرى أنوشرون، (531-579م) ومن أمراء الخيرة المدنر الثالث (511-555م).

وهكذا ما يشير إلى نزوع حرب بين الحارث والمدنر الثالث، ربما بسبب البداية التي انتقلت إليه من البداية التي كانت بين الفرس والروم، وربما لأن أمير الخيرة أدعى القبائل العربية النازلة فيما بين دمشق ونير، فيما تخضع لسلطانها، فعزاهم الأمير الغساسنة هذا السلطان، وأيضاً ما كان السبب، فإن الرجل قد اشتكى في أبريل من عام 528م في حرب كتب النصر فيها للحارث الغساسنة، ومن ثم فقد منحه جستينيان، لقب «ملك» وله لقب لم يمنحه الروم لواحد من عمالهم في سورية من قبل، كما سلطته على قبائل عربية متعددة، نهض أن يفعل شعباً قويًا لأمير الخيرة، إلا أن المدنر لم يعو مع ذلك عن غزو حدود الشام الشرقية، حتى بلغ أسوار أنطاكية، وإن أخبره ظهرت القواف الرومانية على العودة إلى بلاده قبل أن يشتبك معها (2).

على أن نولدكه، إنما يرى أن جستينيان لم يمنح الحارث بن جبلة لقب «ملك»، فذلك لقب كان مقصوراً على أباطرة الروم، وإنما منحه في عام 529م لقب (Phylarch) أو لقب شيخ قبيلة (فيليارخ) (Patricius) (طريق) (3).

Malalas, 2, 166
J. B. Bury, op. cit., P. 81, 91

(1) نولدكه: أمراء فكان من 9، وكذا
(2) نولدكه: أمراء فكان من 11 ، وكذا
وكذا
تم ترجمة العرب – وكذا السريان – هذا اللقب يعني "ملك" (1)؛ هذا ونعرف من نقش (جلازر 618) (2) أن أبهرة الحبشية لم يسبع على الحارث بن جبالة في هذا النقش لقب ملك، مما يدل على أن الرجل لم يكن يحمل لقب "ملك" بصفة رسمية، وأن الملكين من تلك الفترة لم يكونوا بعدونه واحدا منهم، وعلى أي حال فإن الحارث بن جبالة كان أول أمراء بني غسان الذين حملوا اللقبين (3) وفلاخ (4) معاً، ثم توارثهما الأبناء عن الآباء فيما بعد (5).

هذا ويري ومالاً، أن الحارث قد أحمد ثورة في فلسطين قام بها الساميون في عام 529 (6)، وهم من بقايا الإسرائيليين الذين بقوا في السامرة – عاصمة إسرائيل – بعد الأسر الأشوري في عام 722 ق.م. (7)، ثم اختلطوا بالمهاجرين الجدد الذين أتى بهم سرجون الثاني (8) من بلاد بعيدة (9)، ومن ثم فقد ظهر جنس جديد، هم الساميون، الذين يختلفون عن اليهود دماً، وإن كانوا أقرب لهم من غيرهم ثقافة ودينًا (10)، غير أنهم رغم اتفاقهم مع اليهود في عبادة بينهم (11)، إلا أن شفاً قد حدث بين الفرقتين حوالي عام 432 ق.م. بعد عودة عزرا (12) و"نحمياً" من السبي اليهودي، بسبب الثقافة المصرية لليهود، ومن ثم فقد أصبح

(1) نولدك، أمارة غسان ص 11-12، جماه على 406/3، الجزء 11، الجزء 11، ص 485، 1897.

E. Glaser, MVG, 1897, P. 390.

A. Sprenger, op. cit., P. 189, 306، وكذا le Museon, 66, P. 360, وكذا.

A. Beeston, BSOAS, 16, 1954.


F. Altheim and R. Stiehl, op. cit., I, P. 587، وكذا.


O’leary, op. cit., P. 164، وكذا.

Malalas, II, P. 180، وكذا.


P. K. Hitti, op. cit., P. 79، وكذا.

(2) نولدك، أمارة غسان ص 10، جماه على 405/3، وكذا.

(3) نولدك، أمارة غسان ص 11-12، جماه على 406/3، وكذا.
السامريون يتخذون من جيزيم - وليس أورشليم - مكاناً مقدساً لهم، وأن التوراة المعترف بها في نظرهم، إنها هي الأسفار الخمسة الأولى دون سواها، وإن أضافوا إليها في بعض الأحيان سفر يشع، ومن ثم فإن كتابهم المقدس إنما يتكون من ستة أسفار فقط (التكوين، الخروج، اللاوين، العدد، التثنية، يشعو).  
وعلى أي حال، ففي 19 من أبريل عام 335م، تنشب معركة حامية الوطن بين الفرس والروم، يشارك فيها الحارث بن جهله إلى جانب الروم تحت قيادة 5 بليزاردوس، وتهي نصير للفرس وهزيمة للروم، وبالإطلاق ظلال من شكل في إخلاص الحارث للروم، وعله السبب في ذلك أن الحارث لم يكد يعبر الجدولة حتى ارتد إلى مواقعه السابقة عن طريق آخر غير التي سلكها معظم الجيش، وربما أغلق الرجل أن يعمل تحت قيادة قائد بيزنطي، وربما كان يفضل أن يعمل بمفرده، وربما كان السبب خلافاً بين الرجلين على أمر ما).  
وفي عام 344م، تتجدد المعارك بين الحارث والمغفر، ويتبنى القتال نزعة الأمير الغزائي وأسرة أولاده الذي قامه المذكور قربانًا للإلهة العزى. وفي عام 345م (أو 346م) ترفع رايات السلام على المعسكرين المتنافسين - الفرس والروم - ولكن الأمر كان جد مختلف بالنسبة للحلفاء من المذاراة والضاغطة، إذ سرعان ما صلى القتال بينهما، وهاك، وعلى مقررات من قسرين، تنشب بين المغفر والحارث معركة رهيبة في عام 355م، تنتهي بمقتل المنذر نفسه، فضلاً عن ابن للحارث يدعى 5 جبهة، وله أبويه في قلعة عين عوداجة على مقررة من قسرين  


ورما كانت علبة الخالية على مقربة من الطريق الروماني، على أن نولدكه،
إذا يرى أن الموتى قد حديث بالقرب من الحياء، ربما اعتمادا على رواية عربية
تجعل موت المذكور في هذا المكان قريباً من قسنرين (1).

والعلل هذه المعركة هي التي عرفت في أخبار العرب بعد يوم حليمة، ذلك لأن حليمة بن حنجر ethicsa للرواية العربية كانت تحضر الرجال على القتال، أو لأنهم قد أقبلت على مائة من المحاربين تطب أجسادهم ونتبعهم الأكفاء والنورم (2)، والأبا ما كان الأعمار، فهناك ما يشير إلى شهر هذا اليوم من بين أيام العرب في الجاهلية، فقد جاء ذكره في شعر رداب الجبالي، كما جاء في الأمثال، ما يوم حليمة بسر (3)، فإن كان نولدك هنا يذهب إلى أن حليمة هذا، إنما هو طويل مكان، وليس اسماً لأمرأة، هي ابن الخيلات ethicsa للرواية الإبراهيمية، كما أنه لا يفرق بين المواضع والمعارك التي دارت في الحياء، وذات الحياء، هو يوم الحياء (4)، التي ترددت في كتب التاريخ والشعر العربي، كما يرى أنها جميعاً، إنما تشير إلى معركة واحدة، لقي المذكور فيها حتفه (5).

وعلى أي حال، فهناك ما يشير إلى أن الحياء قد اعتنق النصرانية على المذهب
المونوفيزى، القائل بوجود طبيعة واحدة للسيد المسيح، وليس طبيعتين - الواحدة.

(1) نولدكه، المرجع السابق ص 18، فيليب حتى: المرجع السابق ص 448، المعايير ص 218،
A. Musil, Polymyrene, P. 144
قانون: أبي القدامى 41/43، وذكر
P. K. Hitti, op. cit., P. 79، وذكر
J. B. Bury, op. cit., P. 92.
(2) الماعض ص 267-272، المغامرات ص 26، المغامرات ص 187، خزانة الأدب
302/2، إين خندوين 281/2، أيام الحرب في الجاهلية ص 54، جرجاي زيدان؛
المرجع السابق ص 200-201، عبد الطيف الطيارى: المرجع السابق ص 12-14، مس
P. K. Hitti, op. cit., P. 79
(3) جزول: المرجع السابق ص 208، وكذا
المرجع السابق ص 216/2، ديوان الثابت ص 37، صحيف الأخبار 27/1، ياقوت 296/1
35-2
(4) سنانت الإثير 427، نولدكته: المرجع السابق ص 19، 2، الكيي 427/2، صحيف الأخبار
12/4
(5) 570 —
لافية، والأخرى بشريّة - ومن ثم فقد سعي في عام 542 هـ، لدى الإمبراطورة
ثيوودورا، زوج الإمبراطور جستيان (527-557 م)، لتعيين يعقوب البرادي،
مؤسس الكنيسة السريانية العقوقية ورفيقه ثيوودورس، أسقفيًا في المقاطعة العربية
السورية على رأي (1)، وأثناء رحلته إلى القسطنطينية في عام 538 م، على رأي آخر (2).
وأيًا ما كان الأمر، فقد عمل الحارث على نشر المذهب المونوفيزي في دولته،
وأصبحت يصفر، عاصمة دينية للمنطقة، وذلك على الرغم من أن الإمبراطورية
الرومانيّة كانت تنظر إلى هذا المذهب المسيحي نظرة شك وربى، ومن ثم فقد كان
هذا سببًا في أن ينظر الإمبراطور إلى الحارث نفسه، نظرة الشك ذاتها، وزاد النار
اشتALA بطارقة القسطنطينية الذين كانوا يكرهون المذهب العقوقي، ويعبّرون عنه نوعًا
من الهرطقة الدينية (3).

ومهما يكن من أمر، فقد وصلت دولة النساسة وقت ذلك إلى ذروة اتساعها،
فقد كانت تمتد من قرب البراء إلى الرصافة شمالي ترمس، وتشمل البلقاء والصفا
ومرور، وأصبحت يصفر التي بنيت كأميريثها في عام 512 م، العاصمة
الدينية في المنطقة، فضلاً عن شهرتها كمركز تجاري هام (4).

وفي عام 563 م، زار الحارث جستيان في القسطنطينية، فترك أثرًا عميقًا في
نفوس رجال البلاط الإمبراطوري، كشيخ عربي مهيب، وإن لم يقابل بما يبكي
أن يقابل به الأبطال من مظاهر الحفاوة والتكرم، بسبب الخلافات المذهبية، ولعل

(1) ولدًا ك: المرجع السابق ص 241، عبد العزيز سالم: المرجع السابق ص 484، وكدًا
R. Bell, op. cit., P. 21 وكدًا J. B. Bury, op. cit., II, 391
W. Smith, op. cit., II, P. 328.
Francois Nau, Les Arabes Christiens, P. 52.

(2) P. K. Hitti, op. cit., P. 79.

(3) عبد الطيف الطياري: المرجع السابق ص 14 وكدًا
ولدًا ك: المرجع السابق ص 24، وكدًا: المشرق، الجزء 11 ص 486

(4) فلبيح حتى: المرجع السابق ص 448.
السبب في هذه الزيارة، إنما كان مقاومة الرومان فيم يخلله من أولاده، فضلاً عن الاتفاق على السياسة التي يجب اتخاذها إزاء عمرو بن المنذر (1).

وجاء بعد الحارث ولده المنذر (569-582م، أو 570-585م) (2)، وهو المعروف بـ (Alamoundaros) عند اليونان والسريان، والمنذر الأكبر عند حمزة الأصفهاني (3)، وقد نجح نجاح أبه في معاينة اللحيمين أتباع الفرس، وإن كان أكبر الفضل أن ملك الحيرة قابوس بن هند ه هو الباء بالحرب، وهكذا دارت ورله الحرب بين الفرقةين عند ه عين أباغ في مارس من عام 570م كتب النصر فيها للمنذر الغزافي، ولفيج يخليون زعيم نكراء (4).

وأما عن يمليحي حين من الدهر، إلى تبادل العلاقات بين الروم وآل جفنة تلبد بالغرض، ربما بسبب الخلافات الديبلوماتية بين الفرقةين وتعصب المنذر الغزافي للمذهب المونوفيري، في إن هناك من يذهب إلى أن المنذر قد عقد مجمعاً كنسياً أعلن فيه هرطقة القائليين بالثليث، وعلى رأسهم الإمبراطور نفسه، وربما لأن سياسة المنذر كانت هي السبب في استياء الفرس على (5) Rhomaye.

---

(1) نولدك: المرجع السابق، ص 201، جرح نصلان، المرجع السابق، ص 209، عبد القطب الطياري، المرجع السابق، ص 14، فيليب O'Leary, op. cit., P. 165
(2) نولدك: المرجع السابق، ص 448، وكدنا F. Nau, op. cit., P. 58
(3) Theophanes, Chronographia, P. 24.
(4) نولدك: المرجع السابق، ص 412، جرح نصلان، F. Altheim and E. Stiehl, op. cit., I, P. 10
(5) حمزة الأصفهاني: تاريخ ستي ميلك الأرض والأديان، ص 68، وكدنا Prcopius, BK, I, Ch. 17, 47
(6) نولدك: المرجع السابق، ص 37، تاريخ ابن علي، 268/2، عبد القطب الطياري، المرجع السابق، ص 5، قارن: ابن الأثير 444/441-449م، أبو الفداء، 441/443، جرح نصلان P. K. Hitti, op. cit., P. 79، وكدنا Provincia Arabia, III, P. 355
(7) فيليب، المرجع السابق، ص 15، فيليب حتى: المرجع السابق، ص 449.
وأياً ما كان السبب فإن الإمبراطور جستين الثاني (365-378م) بدأ يرتبط في ولاء المنذر السياسي، ومن ثم فقد فقر التنازل منه عن طريق الطريق مريقيوس، إلا أن المنذر - على ما يبدو - لم يكن غالبًاً، فما يدور حوله، أو أن حامل الرسالة إلى مريقيوس قد أخطأ صاحبه، فسلمه إلى المنذر بدلاً من الطريق، وهكذا فر المنذر إلى الباياد، وحصن بها، بل إن هناك من يذهب إلى أنه قد انتهر الفرصة، فصالح أعداءه التقليديين (ملوك الغرب)، وقد أدى هذا الوضع الجديد إلى أن يشن قايوس يمكرده - أو الأكراد مع المنذر - الغارات على سوريا، وأن يبعث فيها فساد (1).

ويضطر الإمبراطور الروماني في عام 378م، إلى عقد صلح مع المنذر في الرصافة، وهناك ما يشير إلى أن ملك غسان قد قام بعدة إصلاحات في الرصافة، كما يرى أو جدد كنيستها (2)، كما قام في عام 380م، بزيارة القسطنطينية، حيث استقبله تيبيروس الثاني (378-382م) استقبالًا حافلاً، فضلاً عن الإعلام عليه بالهدايا، وعلى ولدته برتب عسكرية، إلا أن أعظم المنح ما كان التاج، بدل الإكليل، الأمر الذي لم يوجد له مثيل مع ملوك الغساسنة، حتى أطلق عليه مؤرخو الروم والمترشح للعرش (3).

على أن العلاقات بين المنذر والروم، سرعان ما بدأت تسوء من جديد، وربما كان السبب هذه المرة فشل المحاولة التي قام بها الروم لغزو الفرس، بسبب هدم

1. P. K. Hitti, op. cit., P. 80
3. F. Altheim and R. Stichl, op. cit., I, P. 10
5. F. Altheim and R. Stichl, op. cit., I, P. 10

(1) P. K. Hitti, op. cit., P. 80
(2) A. Musil, op. cit., P. 165, 264, 323
(3) F. Nau, op. cit., P. 69.
الجسر المنصوب على النهر، وأيام المنازل بذلك، وزاد الطين بئرة أن المنازل أراد
استرضاء الروم فأغار على الخيرته وأرجهما بالبثار، ثم أعاد محملًا بالغنائم الكبيره،
غير أن هذا النجاح الساحق الذي حققه المنازل على الخيرته لم يميز ربة الروم في
ولاهما لهم، وإنما اعتبره تحديا لهما، ورغبته من في الخروج على طاعتهم،
ومن ثم فقد انتهزوا فرصة تشبهه للكبيرة في حوارين، وقوضوا عليه وأرسلوه
مختورًا إلى العاصمة البيزنطية، مع إحدى ناسه وبعض بناته وأولاده، حيث بقي
هناك، إلى أن تولى موريس (582-602 م) العرش، فأمر بتبنيه إلى صقلية في
عام 582 م، فضلاً عن قطع المعونة السنوية عن آل جفنة.

وقد أدى هذا التصرف من جانب البيزنطيين إلى ثورة أبناء المنازل، وأخذوا
يهاجمون حدود الروم بقيادة النعمان الذي خضع حوالي عام 585 م - كما خضع
أيضاً من قبل - فأرسل إلى البيزنطيين، وهكذا تصدع ملك الفاسنة، وانتقسم
أموارهم شبهًا وأحزابًا، وحاول الروم أن يجدوا لهم دليلاً في القبائل العربية,
لإعادة الأمن وحماية الحدود من عرب الخيرة، ولكن دون جدوى، حتى
استطاع الفرس على أيام كسرى أبوريز 6 (590-628 م) غزو سورية (611-
614 م) فاستولوا على أنطاكية ودمشق وبيت المقدس وخلدونية - في مقابل
البيزنطيين بأسيا الصغرى - ثم فتحوا مصر في عام 619 م، وإن كان، فيما يبدو,
أن هرقول (610-641 م) حين تنج في استعادة سورية عام 627 م، رحبًا استعمال
الفاسنة مرة أخرى، بدليلاً أنهم قد حاربو المسلمين مراراً في جانب الروم، وأن
خالداً بن واليد قد أوقع بهم في مرج الصفر جنوب دمشق، عام 634 م.

(1) 
(2) 
(3) 
(4) 
(5) 

P. K. Hitti, op. cit., P. 80، وكذا Provincia Arabia، II، P. 175.

(1) 
(2) 
(3) 
(4) 
(5)
وأيما ما كان الأمر، فإن الروايات العربية تنظر إلى جزء بن الأيمن، على أنه آخر الغساسنة، وأنه قد حارب المسلمين في جانب الروم في موقعة اليرموك عام 626م، على أن رواية أخرى إذا تذهب إلى أنه قد انحاز إلى جانب الأنصار، قالًا: "أنتم إخواننا، وبنو أبينا”， وأظهر الإسلام (1)، إلا أنه قد ارتدد بعد ذلك بسبب إهانة لقبته، حين وطأ أعرابي من نزارة فضل إزاره، وهو يسجبه في الأرض، يمكنا، فظلمه جبهة، ومن ثم فقد نابذة الأعرابي إلى الخليفة الراشد عمر ابن الخطاب 4 - رضي الله عنه وأرضاه - فحكم له بالقصاص، واعتبر جبهة ذلك إهانة له، فقرر إلى بلاد الروم وارتد عن الإسلام، وبيت هنالك حتى وفاته منتهية (2).

على أن رواية أخرى إذا تذهب إلى أن الحادث إذا كان في دمشق - وليس في مكة - وأنه كان عندما مر جبهة في سوقها فزعمه رجل فرسه، فرتب الرجل فلمه، فدخل عليه «أبو عبيدة بن الجراح» الذي حكم بالقصاص، وكان جبهة يريد أن يقتل الرجل أو تقطع يده، فرفض أبو عبيدة، إلا حكم الله، فخرج جبهة إلى بلاد الروم وارتد (3)، وأخير فهناك رواية ثالثة تذهب إلى أن جبهة لم يدخل في الإسلام بأبد (4).

---

(1) فتح البلدان ص 141، جوايد علي 4/278/3، عبد الطيف الطيباري: المرجع السابق ص 16.
(3) المقد القرديل 1/2/887/4، وكذا
ابن سعد: البلدان الكبير 1/265/5، المدارس ص 281، قال: الرافي: فتح الشام 1/107/4،
(4) البلاذري: فتح البلدان ص 142 ما بعدها.
الفصل الثامن عشر

المنازرة

(1) مدينة الحيرة.

كان العرب منذ قديم الزمان يهجرون إلى تخوم شبه الجزيرة العربية الشرقية، حتى إذا ما وصلوا إلى وادي الفرات أقاموا في ربوه، وفي أوائل القرن الثالث الميلادي، وإبان الاضطرابات التي أعقبت سقوط الأسرة البارثية وقيام الأسرة الساسانية في حوالي عام 226م، تحت زعامة أرخشير بن بابک بن ساسان، وقدت طلاع عربية جديدة من قبائل تنوخ اليمنية، وسكنت في المنطقة الخصبة الواقعة إلى الغرب من الفرات، وما أن يمضي حين من الدهر حتى تحولت الحجاز إلى مدينة عرف بالحيرة، تحولت ممروه الأأم إلى إمارة الحيرة – رواه نهر الفرات عند متعلقه نحو دجلة، واقترابه منه على مباعدة خمسين كيلومترا – التي أصبحت عمارة حصن للملك الفارسي جال宙 العز (1).

على أن هناك من يرجع بتاريخ المدينة إلى أيام الملك البابلي نبوخذ نصر (612-567 قم)، طبقا لرواية مبيغ لنا مناشتتها في هذه الدراسة (2) بينما

(1) أثر كريستن: المراجع السابق من 82.
(2) أثر كريستن: تاريخ البابلي 058/1-060-062، بابعون 2019/65، 0.177

- 577 -
يرى آخرون أن مؤسس المدينة إما هو الأردوان، الملك الأنباط (1)، بينما يذهب فريق ثالث إلى أنها من بناء وتع أبرك (2)، وأخير فهناك من يرى أنها مدينة بارية (3).

وليس هناك من شك في أن المدينة مدينة قديمة، وإن كنا لا نعرف تاريخها على وجه التحقيق، ولعل أقدم ما وصلنا عنه إما هي كتابة ترجع إلى عام 132م، ذكرت فيها المدينة تحت اسم حيرتا، فإذا كانت حيرتا، هذه، إما هي المدينة حقاً، فإن أقدم ما نعرفه عنها إما يرجع إلى عام 132م (4)، ولعل مما تجدر ملاحظته هنا أن الخفرات لم تقدم لنا شيئاً يمكن الإعتماد عليه فيما يتعلق بموقع المدينة وتاريخها، وأن كل ما وصلنا لا يعدو تقفًا من الجبريس مما تكسى به البدران، فضلًا عن مجموعة من العجائر وأثار صغيرة، بعضها يرجع إلى ما قبل الإسلام، ويرجع بعضها الآخر إلى العصر الإسلامي (5).

وقد اختلاف المؤرخون في تفسير اسم المدينة، ومصدر أشتقاقها، فهناك رواية تذهب إلى أن أول اسم أبدربا، كان قد خرج من اليمن يريد الأنبار، فلما انتهى إلى موقع المدينة ليلًا تحير، فأقام مكانه، ومن ثم فقد السئ ذلك الموقع (6)، وتذهب رواية أخرى إلى أن تبعاً للأكبر، قد ترك ضغف جنوده في ذلك الموضع، وقال لهم حشروا، أي أقيموا به (7). هذا ويدهب العلماء

---

(1) ياقوت 329/2
(2) ياقوت 140/2
(3) البكرى 239/2
(4) البكرى 239/2
(5) خبر على 167/1
(6) خبر على 157/3
(7) خبر على 167/1

A. Musil, The Middle Euphrates, P. 102.
CIS, II, P. 156, III, P. 3073

ابن الأثير 277-277، تاريخ الطبري 1073-1074، مalore، مسير وأقيال اليمن ص 132.
(2) ياقوت 239/2
(3) البكرى 239/2
(4) ماجد أمير 167/1
(5) البكرى 239/2
(6) خبر على 167/1
(7) خبر على 167/1

578 -
المتحدثون إن أن كلمة "الحيرة" إنها هي كلمة "أرامية"، وأنها "حرثة" (حرث) في السريانية الأصل، يعني المخيم أو العسكر، وأنها تقابل "العسكر" عند المسلمين، و"حاصير" عند العربين (1).

على أن هناك من يرى أن الحيرة الأرامية، والحرث العربي، إنها اسم من أصل سامي واحد، ذلك أن المخيم والعسكر والحمي، إنها هي أنماط يدل أصلها على معيى واحد (2)، ويipa أستاذنا الدكتور عبد العزيز سالم إلى هذا الرأي، معتمداً في ذلك على وصف البوقيمي على خطط "مر من رأى"، والخير الذي أقيم بها، وجعل حظيرة للوحش من الظباء والحمير الوحشي والآيبل والأرانب والنعام (3).

وتقع الحيرة قرباً من مدينة بابل القديمة، وعلى مبعدة ثلاثة أميال إلى الجنوب من الكوفة (4)، في نهاية طريق يتجزئ شبه الجزيرة العربية، ومن ثم فقد غدت بحكم موقعها الجغرافي هذا، مركزاً هاماً جداً للقوافل، لم يستسلمه إنساوه، ومن ثم فما نكاد تقيم فيه سلالة عربية حتى يضعوها تحت حمايتها (5).

وهذا وقد استمرت المدينة باسم "حيرة العمان" عند المؤرخين العرب، و"الحيرة" مدينة العرب عند المؤرخين السريان، و"حيرة" في المجمع الكنسي الذي عقد في عام 1401 م، كما سميت كذلك باسم "حيرة العمان التي في بلاد الفرس" في (6)

A. Musil, Palmyrena, P. 289 (7)

رمييس بلشير: المرجع السابق ص 88

F. Altheim, Geschichte der Hunnen, I, 1959, P. 130.

G. Rothstein, Die Dynastie der Lakhmiden, in ol. Hira, Berlin, 1899, P. 12. 87

EII, P. 314 ZDMG, 32, P. 753. 95

P. K. Hitti, op. cit., P. 81. 97

رمييس بلشير: المرجع السابق ص 88

John of Ephesus, 10, 13, 352

J. Obermeyer, Die Landschaft Babylonien, P. 234

F. Altheim and R. Stiehl, op. cit., I, P. 275, II, P. 225

- 579 -
تاريخ يونا الإفسوسي - من القرن السادس الميلادي - وأما التعلم فقد أطلق عليها اسم حي خيرتية طيبة. أي ممكن العرب وحيرة العرب (1) . وقد أطلقت المؤلفات العربية في وصف هواها القي، وصفاء جوها، وعذوبة مائها، حتى قبل هوي وليلة بالحيرة خير من دواءً سنة، وقيل أنها منزل برية مريء صحيحة من الأدوات والأسقام). أن هواها وترابها أصح من الكوفة. وله كل هذه الأوصاف ربما كانت السبب في أن تقول العرب لبيتها ليلة بالحيرة ألغة من تناول شربة. بل إن حريمة الإفهاني لمدعي أنه لم يتب بالحيرة بسبي هواها التي أحد من الملوك إلا قابوس بن المنذر (2).

هذا وقد كان لعرب الحيرة هجوة من اللسان العربي يتحدثون بها في حياتهم العادية، وأما في الكتابة فقد كانوا يستعملون السربرانية، وعلهم في هذا يشوهون الأنباط والפדرين الذين كانوا يتكلمون العربية ويكتبون بالأرامية، هذا وهناك من يذهب إلى أن دخول النصرانية إلى اليمن إما كان بجهود رجال الكنيسة السورية في الحيرة، فضلاً عن انتقال الكتابة من الحيرة إلى الحجاز (3)،، وعلى أي حال، فقد أصبحت الحيرة في القرن السادس الميلادي، وعلى أثر انتعاش نفوذ سلالة المحميين نقطة التقاء لتيارات الإيرانية والأرامية على حدود المحيط العربي الفاصلة، حتى لقد ظهرت المدينة بمظهر العاصمة الفكرية (4).

(1) جواعد علي 157-158/1.
(2) حريمة الإفهاني: المرجع السابق ص 75، البكري 2/139-140، جواعد علي 158.
(3) أظفر: مزهر 349/2، صبح الأشي 10، مقدمة ابن علود 349، الجهشدي: كتاب الوزراء والكتاب 2، وما بعدها، كتاب المصاحف للجستاني 1/5-6، الأعلام الأثنية 217، حسن حسن، طبعة ليندن 1882، المعارف ص 247، وما بعدها، ثم أنظر: F.A. Itheim and R. Stiehl, op. cit., I, P. 198.
P. K. Hitti, op. cit., P. 84
(4) رجب باشا: المرجع السابق ص 22.
٢) ملوك الحيرة :

يزعم الأخباريون أن مالكًا بن فهم الأزدي أول من ولى أمر العرب في العراق، وأنه كان يسكن الأثنا، ثم جاء من بعده أخوه عمرو بن رأي، وجذيمة الأبرش - مصور الفصة المشهورة مع الرباء - على رأي آخر (١) يقول أن المؤسس الحقيقي لدولة النخومين إما كان عمرو بن عائش (٢) (٨٧٨-٨٨٨ م)؛ فإن أخت جذيمة، وأول من اتخذ الحيرة منتجلاً من ملوك العرب، وأول من مجزه أهل الحيرة في كتبهم، وإليه ينسب ملوك العرب في العراق (٣).

وجاء بعده ولده «أمرؤ الفجس» (٢٨٨-٣٢٣ م) وهو المعروف بأمراء القيس البعد، وأمراء القيس الأول - وكان ملكاً واسعاً، فقد كان عاملاً لملك الفرس - على فرج العرب من ربيعة ومضر وسائر من بادية العراق والجزيرة، كما كان أول من تصرف من ملوك نصر بن ربيعة وعمال ملوك الفرس - فيما يروى الأخباريون (٤) -:

وملوك القيس هذا هو صاحب فتح النوبة (٥) - الذي أشرنا إليه من قبل -

١) تاريخ العقوقبي ١٠٨٤، تاريخ الطبري ٢٦٧٧، ياقوت الأشر١، ٣٥٥، ياقوت الطبري ٢٦٧٩-٢٦٨٠، محمد الخضري: المرج الساق، ص ٣١٩، حمة الأصفهاني: P. K. Hitti, op. cit., P. ٨٢.

٢) المرج الساق، ص ٨٨، وكذا أظهر من قوامه ملوك الحيرة: جواد علي ٣٦٣-٣٢٣، كتب المعرة ص ٣٥٨، كتب المعرة ص ٣٧٥-٣٧٥، حمة الأصفهاني: المرج الساق ص ٣٥، وما بعدها، مرجع الذبب الموسيدي ص ٢٦٥، ص ٣٧٥، حمة الأصفهاني: المرج الساق ص ٣٥، وما بعدها، مرجع الذبب الموسيدي ص ٢٦٥، ص ٣٧٥.

٣) تاريخ الطبري ١٩١، ياقوت ب٢-٣٣٦-٣٣٠، تاريخ العقوقبي ١٠٨٤، الإشتقاق ٣٧٨.

٤) تاريخ الطبري ١٩١، ياقوت ب٢-٣٣٦-٣٣٠، قانون مرجع الذبب ٣٦٧، تاريخ العقوقبي ١٠٨٤، ب٢-٣٣٦-٣٣٠، قانون مرجع الذبب ٣٦٧.


le Museon, ١٩٦٤، ٣-٤، P. ٤٥٩٨١ -
والذي يمكن أن نستخلص منه عدة تيانج، منها (أولاً) أن أمراً القيس هذا، إما هو أول ملوك الحيرة الذي وصل لنا بعضًا من أخبارهم مكتوبة، ومنها (ثانياً) أنه قد توفي في عام 268 هـ (المراكز لعام 223 من تقويم بصرى) (1)، ومنها (ثالثاً) أن النص - وهو أقدم وثيقة مكتوبة باللغة العربية - يؤكد أن لغتنا العربية كانت هي هي، منذ ما قبل الهجرية المعروفة في تاریخ الأدب العربي، وهي متأخرة في الزمن بحو فرسن من الزمان على الأقل بالنسبة إليه، ومنها (رابعاً) أن النص يؤكد لنا أن المناذرة - شأنها في ذلك شأن الصحابة - إنها هم عرب شماليون، لأنه مكتوب بلغة عربية شمالية، والحرف النسبي، وليس باللغة الحميرية أو الحروف المسند (2)، وهو بهذا يمثل مرحلة انتقال من الحروف النبطية إلى الحروف العربية الشمالية التي لا تزال مستعملة حتى الآن (3)، لأن الخط العربي الشائع بيننا الآن منحرف عن الخط النبطي الذي كان شائعًا في مملكة الأنباط (4) - كما أشارنا من قبل -.

ومنها (خامساً) أن النص إذا يفيد أن أمراً القيس قد فتح معظم شبه الجزيرة العربية، ومن ثم فهذه تتناقض والروايات التي تنسب إلى شمس بيه بعش، الفتوحات العظمى، وتحصل فتحًا للعراق وما وراءه حتي الصين، وتعكس القضية تمامًا، بل إن النص إذا ينص بفتوحات أسرة القيس حتي أسوار البصرة، ومن ثم فقد سمى - كما يقول النص - ملك العرب كلهم، وبل بلغ ملك بلاده، وعبارة أخرى فقد مدّ حكمه من الحيرة وبلاد الشام إلى نجد والخليج، حتي بلغ مدينة

J. Cantineau, op. cit., P. 49
F. Nau, op. cit., P. 32
Syria, IV, 1923, P. 154
F. Altheim and R. Stiehl, op. cit., P. 313
(1)
(2)
(3)
(4)
P. K. Hitti, op. cit., P. 82
F. Nau, op. cit., P. 32
REP, EPIG, I, 3561
Martin Sperling, op. cit., P. 52
P. K. Hitti, op. cit., P. 82.
نجران (١) ، وإن كان يبدو لي أن في النص مبالغات ، شاهد في ذلك شأن روايات الأخباريين عن شمس يهرعش (٢) ، وإن كانت الأخيرة تكاد أن تكون أقرب إلى الأساطير منها إلى حقائق التاريخ.

على أن في ظل النمارة عبارة تدعو إلى السؤال ، وذلك حين يقول النقش

واستعمل أجنباه على القبائل ، وكُلهم على الفرس والروم ، مما دعا بعض الباحثين إلى أن يري امرأة القيس قد جاء إلى الشام ، حيث كتب النص بعد وفاته في النمارة على إثر خلاف بين أمراء الفرس على العرش وأن الخلاف قد انتهى في غير مصلحة الحزب الذي يؤيده أمراء القيس ، ومن ثم فقد أقام في الشام ، وبدأ يتجه نحو الروم ، الذين انتهجوا الفرصة فأقرؤه على عرب الشام ، وبالتالي فإن الرجل قد عمل في أول أمره للفرس ، ومن ثم فقد ذلك للرومان (٣) ، ومن ثم فإن القراءة الصحيح ريبنا تمكن واستعمل أجنباه على الشعوب وجعلهم فرسانًا للرومان ، وهذا يعني أن أرماً القيس كان يعمل عند وفاته للرومان فحسب ، لأن ليس من المقبول أن يذكر عمله للفرس في نص مكتوب في بلاد تخفى الرومان ، حتى لو كان قد امتلك هذه المنطقة بحذاء السيف ، فالفمق هذا يستدعي عدم ذكر الرومان ، ويرى كليمر مونت جانيو أن لفت الناج وحده كاف على علاقة امراء القيس بالفرس ، لأنه من ألقاب ملوك الحيرة ، وأما وجود قبره في حوران ، فربما كان دليلًا على أن سلطته قد امتدت إلى هناك (٤) ، ومع ذلك ، وعلى فرض صحة تفسير كليمر مونت جانيو هذا ، فيبقى سؤالنا : لماذا ذكر الروم في نص أرماً القيس هذا ؟ بدون جواب.

---

(١) جواية على ١٩٠٠-١٩١١، وكذا

F. Altheim and R. Stiehl، p. cit، II، P. 321

(٢)ربني دهور : العرب في سوريا قبل الإسلام ص ٣٦، وكذا


(٣) جريج زيكان : العرب قبل الإسلام ص ٢٨٢ ، وتئذ : بالشير : المرج الساقين ص ٥٨ ، وكذا

Clermont Ganneau، Recueil d’Archeologie Orient، VI، P. 395، VII، P. 167.

---

٥٨٣
ويرى الطبري أن الفرس قد استعملوا عمرو بن أمية القيس (٣٢٨ - ١٣٣ م) بعد أبيه، ثم تلاه أوس بن قلاب (١٤٣ - ١٣٣ م) والرجل - كا يبدو من اسمه - ليس من بني خلصم، ومن ثم فتنة من بيران أن نزاعًا قد حدث بين أولاد عمرو على وراثة العرش، مما أدى إلى قيام الفتنة والإضطهادات، فأقام ساوير ذو الأكتاف (٣٠٠-٦٧ م) أوسا، هذا ملكًا على الحيرة، غير أن أوسا سرعان ما قتل بعد أحد أبناء بني نصر، فعادت حكومة الحيرة إليهم في شخص أمراء القيس بن عمرو بن أمية القيس (٣٦٨-٣٧٠ م)。

وجاء في التنازع الأول (٣٥-٢٨ م) والمرجع بالتعنان الأخبار، والتعنان السائح - بعد أبيه أمرء القيس الثاني، ونسب الآخريون إليه بناء قصر الخورنق (وهو لغزة فارسية ي functi حصن مئه)، ليقيم فيها نيرام بن يزدجر الأول (٢٩٩-١٠٤ م) ملك الفرس، وأول الذي يبناه إذا هو رحل روبي يدعى سنمار، كتب عليه أن يلقى مينة عالية على يد التعنان نفسه، ذلك أن سنمار بعد أن فرغ من بنائه، وأعجب التعنان به قال: لو عرف أنكم توفوني أجري، وتضمن في ما ألقه، بلجلب بناء يدريه مع الشمس حينما دارت، فقال التعنان: إن ذلك لتقدير على بناء ما هو أفضل منه ثم لم تبنى، وأمر به فطرح من رأس الخورنق، على أن هناك رواية أخرى تذهب إلى أن سنمار قد أخبر التعنان، إنه يعرف في القصر حجرًا واحدًا، وأنه لو حرك من مكانًا لترى القصر، ثم عرف الملك موضع الحجر، وخشى أن يجد سنمار آخرين عليه، فأمر به فدارى من أعلى القصر، فقطع، فضت العرب به الملك.

(١) تاريخ الطبري ٦٠ - ٦٠، ابن الأثير/١٤٢، الأغاكي/١٨، حزمة الأسفهاني: المرجع.
(٢) يوسف رزق الله المرجع السابق ص ١٤١.
(٣) جرجي زيدان: المرجع السابق ص ٢١٣، والنظر: تاريخ الطبري ٧٥-٦٥، ابن الأثير.
(٤) تاريخ الطبري ١٠-١٠، مروج النعمة ٧١، نخبة الأدب/٣١-٣١، البكري ٦٠-٦٠، المحرر/٣٥، ابن خليفة/٢٢٣، ياقوت/٤٠٣، الجمع: ٥٨٤.
ويبدو أن النعمان كان على علاقة طبیة بالنصاریة من قِبله - على الأقل في النهایة الأخيرة من حکمها - وأنه بدأ يقبل المسيحیة، أو أنه كان ينتمي إليها، ولعل السبب في ذلك، أتتنا تقولا في سجل الكاتبة الشرقیة أن الحیرة كان عليها أسعى في عام ۱۰۴۲م، وأن ملكها قد حسی النصراوتیة، ومن ثم فقد كانت الروایات التي تدور حول تنبؤة حين أدرك أن حظ حمّام الدنیا لا محالة زائل، بما فيها قصره النجم، ومن ثم فقد زهد فيها، وعکف على البر والقرآء، وافتقت ساحراً زاهداً.

وإن كان أمر اعتقاؤه المسيحیة ما يزال موضوع شك كبير، ذلك لأن ملوك الحیرة كانوا حتى أواسط القرن السادس الميلادي ما يزالون على الوثیقة، وأن المنذر بن ماه السماء كان يقدم الدعایب البشریة إلى العزیز.

وعلى أي حال، فقد أظهر النعمان كذلك بکتیبی الحیاله الشهیرین عند العرب، وهم: الدوسر ورجاویا من الفرس، والشیاهة وجراحیا من تنوخ، وغزا بهما عرب الشام عدة مرات، وعلى أيامه ازدهرت مدينة الحیرة، كما لم تكن من قبل.

و جاء بعد النعمان ولده المنذر (۴۱۸-۳۲۴م) من زوجته هند بنت زید منا ث بن زید الله بن عمرو الخيامی (۱)؛ وقد وصلت الحیرة في عهدته إلى درجة مکثها من أن يكون لها صوت مسموع في أحداث العصر، كما مکت المنذر من أن

P. K. Hitti, op. cit., P. 82.


(2) جبیری زیدان: المرجع الساکن ص ۲۳۳.

(3) سمی زلفول: المرجع الساکن ص ۲۱۸.

(4) تاريخ الطروبي/۲۶۶، حجیری المیغروی: المرجع الساکن ص ۲۹۶.

- ۵۸۵ -
يحمل كهنة الفرس على تتويج هرم، الذي ريا به أبوه العمان، غير عابدين يبدع
آخر كان يسعى إلى العرش بكل قوته.

وقد شارك المنذر في الحروب التي قامت بين الفرس والرومان، بسبب اضطهاد
المسيحيين في فارس، وكانت أرض العراق هي ميدان المعارك، وحاصر الروم
5 نصيبين، وأسر هرم لإنقاذها، واشترك المنذر في المعارك، كما اتبعه
بعد ذلك إلى أنتفاضة الإستيلاء عليها، إلا أنه لم يحقق نصرًا، وانتهى الأمور بعد قلبه
صلح بين الفرس والرومان في عام 224م.

وجاء بعد المنذر والدة السود، ثم أعوها المنذر، ثم العمان بن إسحاس، ثم
انتقل العرش بعد ذلك نحو بنى نصر، إلى دوغنون عن عقله، غير أنه عاد مرة
أخرى إلى بنى نصر، حيث تولى عرش الحيرة، أمر القيس الثالث، ثم المنذر
بن أمير القيس 488-508م، والذي يعرف بذوي القريتين،
بسبب ضفائر كثيرة كان له، وبابن ماء السماء (وماء السماء هو لقب أمه مارية أو
أو ماوية بن عوف بن جشم بن هلال من بنى النام بن قاسط)، وعلى أي حال،
ففي عام 506م فقد صلح بين الروم والفرس، في مقابل إلغاء يدفعها للكيصر
الفرس، غير أن الروم قد تأخرنا في دفعها، مما كان سببًا في أن يقوم المنذر في عام
192م يدفع الحدود الرومانية، وأسر قاديين رومانين.

وفي عام 524م، أرسل القيصر جستنين الأول 518-527م إلى المنذر،
وقد يتكون من إبراهيم والد المؤرخ (نونوسس) وشمعل الأرتشامي، وسديسرس

P. K. Hitti, History of the Arabs, P. 82-3.

Caussin de Perceval, op. cit., II, P. 63.

J. B. Bury, op. cit., P. 91.

G. Rothstein, op. cit., P. 79.
آسف الرصافة، يطلب إطلاق سراح القائدين الرومانيين (جان وتموستران) وعقد صلح مع المنذر. يبدو أن الهدف الأول من مهمته، وأن الشروط تشير إلى أن الهدف الثاني كان بعيداً عن تحقيقه، هذا ويُعد الإشارة هنا إلى أن هذا الهدف الرئيسي قد صادف وصول وفد ذي نواسٍ الحميري الذي يطلب من ملك الحيرة أن يفعل بنصاري مملكته، ما يفعله هو بنصاري نجران، وأن شمرون الأرشام يسعى أنه قد دون قصة تعذيب نصاري نجران، طبقاً لما جاء في رسالة ذي نواس، ومن ثم فقد نشرها في صورة كتاب يقرأ على الناس في الكتاتِ (1).

وتسوء العلاقات بين الروم والفرس وتدق طبول الحرب بينهما في عام 1285م، ويُشَك المنذر فيها إلى جانب الفرس، فيما يحمل الشام حتى يصل إلى أنطاكية ويبحر عدداً من المدن، منها خلقودونية، ويُضِحت فيما يزعم المؤرخون السريان بأربعينة امرأة للعزى، وإن كان ابن العبري يرى أنه أخذت لسفته، وهنا يُضطر القشير جستيان إلى طلب مساعدة الحاكم الغنائي، في سبيل عليه لقب فيلاخُ (2)، كما أشارنا من قبل.

ومن أسف أن الجيش العربية – اللحمية والغساسنة – إنما كانت تحارب بعضها البعض الآخر، بينما كان الروم يحاربون الفرس (3) وهكذا كان العربي يقتل أخاه العربي، وابتعاد مرضاة الفرس أو الروم، أو حبا في المغامرة، وفي أحسن الفروض، إبقاء بما وجد به الحاكم أو المنذر أصدقاءه الروم أو الفرس، وإن كان الوفاء بالوعد يبكي قتلة الأخيه، ورضاء لصديق أو سيد، وعلى أي حال، فإن الموتى سرعان

---

(1) عبد المجيد ماهنين: المرجع السابق ص 55 - 60 ، سعد زلفول: المرجع السابق ص 290 ، جواد على 219/3، وناظر:
I. Guidi, la lettera di Simeone Vescova di Beth Arsham, P. 507.
وكذا Malalas, II, P. 166. (2) جرال علي 241/3، وكذا A. Musil, Palmyrena, P. 274. (3)
ما يتجزأ حين تنطفئ نيران الحرب بين الكبار، وبينما ما يزل الصغار يلعبون بفقدان
شعوبهم، ولم تنتهي إلا بقتل المنذر في عام 554م في موقعه يوم حليمة - كما أشارنا
من قبل - وإن كان أوليري يرى - طبقاً لرواية المؤرخ نيوشانس - أن المنذر
بقي حياً، حتى تم الصلح بين الروم والفرس في عام 562م (1)، والذي اتفق
الطفران فيه على أن يترك لكل منهما ماله من الأراضي القديمة، وعلى حرية التجارة
بين إيران وبيزنطة، وعلى أن يمنح النصارى حرية العبادة، وعلى أن لا يسعى أحد
من رجال الدين في الدولتين إلى التبشير بهذته (2).

وجاء بعد المنذر وله «عمرو بن هند» (3)، من زوجته «هند بن
عمرو بن حجر أ كل المرار»، وهو - فيما يرى الإخباريون - «مضي المجرة»
كتابة عن قوة ملك وشدة أنسه، وهو الأحرق لأنه حرب بني تميم، أو أحرق
نخلة اليمامة، وقد كان عائلاً جبار، لا يبدي ولا يضحكون، ومن ثم فقد كانت
العرب تهبه وخشاعة (3).

وقد حاول عمرو حذو غرمه من ملوك نجد وفجنه، الذين أدركوا أن الشعراء من
معاصريهم هم زعماء الرأي العام بين العرب، يديرون دفة الدعابة كيفما شاءوا،
فلم ياقة جهدا في إكرامهم وغيرهم بنفسيه، كما فعل سواء من الملوك، طمعاً في
اجتذاب العرب إليه، وهكذا أصبحت الخيرة في عصره موئل الشعراء يأتون إليه
من شبه الجزيرة العربية يشدوغ شعرهم، ويتنالوا جوته، ويعددون المناظرات
في حضرته، وعلى رأسهم ثلاثة من أصحاب المقلات السبع (4) - طرفة بن العبد،
والحارث بن حارة، وعمرو بن كنوم (4).

O'Leary, op. cit., P. 160.

(1) آثار كريتس : المربع السابق ص 268.
(2) تاريخ إبراهيم الفارسي 283، المقدسي 143/2، المحمدي 276/3، ابن خلدون 265، أيام العرب في الجاهلية ص 100-101.
(3) حكمة الأصفهاني 72.
(4) يروي الأخباريون أن العرب كانوا إذا ما عل مبعوثهم يتيملون فرس عرضها على مكاسب، فإن أجازوه طرحوا
على الكعبة نظاماً لما أباكوا، فأجتمع من ذلك المقلات السبع أو العشر المشهورة (أي: ابن كثير)
P. K. Hitti, op. cit., P. 83.

- 588 -
ويدر أن عمرو بن هند هذا، كان شديد النزور لدرجة جعلته يعتقد أنه ليس هناك من بين أمراء العرب من يستنكر أن يخذه؛ أو يأبى أن يسعى إلى مرضاته، أي كانت الرسالة، وأن هذا الزعم الدؤوب إذا كان سبيلاً في أن يجد له عمرو بن كث genom بسبيه في رواية تقول: أن قال لسنته ذات يوم: هل تعرف فإن أحداً من العرب من أهل ملكته يأتين أن تخدم أم أمي، فقالوا: ما نعرف إلا أن يكون عمرو بن كث genom الشيلي، فإن أمه ليلى. بينت مهبل بن ربيعة، وعمها كليب بن وائل، وزوجها كث genom، ووالدها عمرو، وهكذا أمير عمرو ابن هنده أن يطلب من عمرو بن كث genom أن يحضر إلى قصره، ثم أمر أمه هنده أن تصرف الحمد بعد الفرغ من الطعام، ثم تطلب من ليلى أن تكون باهرة الشئ، بعد الشيء، وتفرج هنده ما أمر به ابنها الملك، غير أن ليلى سرعان ما ترفض ذلك في إما وهمم، رائعة: لم تقدم صاحبة الحاجة إلى حاجتها، ثم تصبح: وإذا ضدها بالأل تغلب، فما كان من عمرو بن كث genom إلا أن أسك بسيف الملك وأطاح به، لوط، وهكذا جنى عمرو بن هنده ثمرة غوره، إن صحت الرواية.

ولعل من الأهمية يمكن الإشارة إلى أن هنده أم عمرو بن هنده هذه، إذا كانت نصرانية، وقد نسب إليها بناء دير هنده الكبرى، الذي بقي حتى القرن الثاني الهجري، ويدهب البعض إلى أن البناء إذا تم على أية الأسس في مار أفرام في عهد ملك الفرس خسرو أنوشوان، وقد جاء في صدر هيكلي الدير: بنت هذه البيعة هنده حربت بن عمرو بن حجر، الملكة بناء الإسكاك، وأم الملك عمرو بن المندر، أممسك وأم عبد، في زمن الملك الإسكاك خسرو أنوشوان، وفي زمن مار أفرام الأسقف، فالله الذي بنينا هذا البيت يغفر خطيئتي ويرحم عليها وعلى ولدها، ويعطى بها، ويقومها إقامة الحق، ويعكون الإله معهما ومع

---

(1) ابن الأثير 1/497-498 الآفاغي 9/175، 4/43، الشعر والشعراء ص 157-159، 
الأعمال 1/433، بلوغ الأدب 1/142. شمسة التراثية 2/200، محمد الحضر. 33/1

- 589 -
وقد تنصر، إذ كانت الحيرة في وقتها أصواءً باللغة، ومن ثم قيلى بعد أن تكون هذه قد أجابت دعوتهم، فاعتقت النصرانية، ثم عملت على جذب ابنها لإعتتاقها (1)، وإن كان هناك من يشك في ذلك، ولم يرى أن العمان بن المنذر (80-260م) هو الوحيد الذي تنصر من ملوك الحيرة (2).

وجاء بعد عمرو بن هند، أخوه قايوس بن المنذر (3)، والذي كان موضع ثقة أخيه، وقائد جيوشه ضد الرومان وبخاصة تلك الحملات التي قادها في عامي 567/556م، بسبب عدم دفع الرومان ما كانوا يدفعونه من قبل للمنذر، أو بسبب المقابلة السليمة التي قبَل بها رسول عمرو بن هند في بلاط هجستين الثاني (4)، وأيضاً ما كان السبب في هاتين الغزتين اللتين شنهما عمرو بن هند على الروم، فإن أخاه قايوس كان القائد فيها؛ هذا وقد كان عمرو يعهد إلى أخيه قايوس كذلك بشؤون البادية، ويعتقد كوسمان ده برسيغال أن قايوس إذا كان يحكم الحيرة مع النعمان أخيه، بينما يرجب يوسف رزق الله أن إدارة شؤون الحيرة على أيام قايوس إذا كان يتولاها زيد بن حماد بن أبيوب (5).

(2) P. K. Hitti, op. cit., P. 83.
(3) البكري 2/1976-1948، بنيف رزق الله، المرجع السابق ص 223، لويس شيخو، النصرانية وآدابها، بيروت 1912 ص 91.
(4) P. K. Hitti, op. cit., P. 84.
وليس صحيحاً ما ذهب إليه البعض من أن قايوسا كان ضعيفاً، أو أنه لم يكن ملكاً، فقد أطلق عليه وروحنا الأفغاني، لقبه ملك، كما أنه كبار ما كان يقود الجيوش على أيام أخيه - كما أشارنا آنفلاً - فضلاً عن الغارات التي شنها ضد الغساسنة إيان. ففترة جلوسه على العرش، وإن لم يبق منها سوى الفلش والمرزية.

وجاء بعد قايوس أمير فارسي يدعى« فيشسرت » أو « السهراب »، وربما كان السبب في ذلك وجود خلاف بين أمراء بي، تتم بعد قايوس على ولاية العرش، وربما رغبة من الفرس في إضعاف مركز العرب في الحيرة، بعد أن قويا أمرهم، واستفحل خطهم، في ذلك الوقت الذي أخذته فيه قوى الغساسنة في الإضحالة.

وأيضاً ما كان الأمر، فقد جلس على عرش الحيرة بعد ذلك المنذر بين المذكور الذي ترك من بعده ثلاثة عشر ولد، دون أن يوطئ لأحد منهم دونا آخر بالعرش، وذلك لما ترك الأمر بين ياسين بن قيصة الطائفي، حتى يرى كسرى رأيه، ومن ثم فإننا نرى كسرى يستشير عدي بن زيد، الذي يشير بابتحان الأبناء جميعاً، ثم يتفق مع واحد منهم ( النعمة ) على إجابة، خلاصتها، أن يتعهد كسرى بأن يرضي شر العرب جميعاً، وعلى رسوله إخوته، بينما يتفق مع الآخرين بأن يتعهدوا لكسرى بذلك، إلا شرا يأتي من أجيهم النعمة، وهكذا يتم اختيار النعمة ملكاً بعد أبيه. 1)، وأن هذا كله إذا يشير من ناحية أخرى إلى أن عرش الحيرة إذا أصبح أمره بيد كسرى، وليس بيد آل شمع.

_________________________

(1) جواب على ٣٥٩/٢، وكذا، John of Ephesus, VI, ٥، 3.
(2) ٢٢٢، ٢٢٣، تارخ الطبري ٤/٢١٣، حبارة الأفغاني ص ٧٣.
(3) عبد العزيز سالم، المرجع السابق ص ٣٥١.
(4) تارخ الطبري ٥/١٩٤-١٩٥، الأذاعي ١/٠٦، وما بعدا، المقدسي ٢٠٥-٢٠٥، اليمني ٢٠٥-٢٠٥، يكلي.
(5) عبد العزيز سالم، المرجع السابق ش ١٣، ١٣٢.

- ٥٩١ -
وهناك من يتجه إلى أن التجارة رضٍ 800 - 1058 هـ، بما كان في أول الأمر وثنيًا، يتعبد للعرى، ويقدم الأضاحي لأولئك غير أنه سرعان ما غيّر ذلك، حيث وقع ذلك في عهد أمر بْه، وبتأثير على ابن ربه عليه، فقداً عن نشأته في بيئة نصرانية(1) فأن ذلك إذا كان في عام 939 م، ومن ثم فقد أصبح التجارة في كلما تؤدي هذا الإقتصاد - الملك الوحيد من ملك آل شهاب الذي اعتنقت النصرانية، وعلى المهرب السياحي(2)، أقبل المذاهب النصرانية كراهة عند الفرس، والذين كانوا سيئًا في عدم اعتناق أسلاف التهامة المسيحية(3)، وعلى أي حال، فقد كان اعتناق التجارة للسيما بالنسبة على المهرب السياحي، فأن يعول شأن الكنيسة السياحية في الحيرة، وأن ينضم إليها الكثير من سادة القوم، فضلاً عن إرسال القديس سرجيوس إلى اليمن، حيث يقي في تجران ثلاث سنوات يبشر بمحبه هذا(4).

هذا ويختلف المؤرخون في نسب السليمة أم التجارة، فهي من كلب على رأي، ومن ذلك على رأي آخر، ومن دومة الجندل على رأي ثالث، وطبقًا لهذا الرأي الآخر فهي "أمه الحارث بن حصن"، ومن ثم فهي من أصل يهودي(5)، فإذا أضافنا إلى ذلك أنه كان أحمر أبرز قصيرة،(6) فين لنا يوضح السبب في أن القوم كانوا كثير ما يهجمون به، مما أثر في نفسه وفي سلوكيه، حتى أصبح

---

1. حزمة الأسفلسات، ص 73، آلاف 322/13، جزء عل 1/2، 285-284/285-284، F. Altheim and R. Stiehl، op. cit.، P. 198، وکذا
2. P. K. Hitti، op. cit.، P. 84، وکذا
3. ينتم هذا الهدى إلى "تطوريين" مطران القسطنطينية (428-433 م)، والذي يرتب الأبي القائد باتحاد طبيبي المجس في شخص واحد، ويذهب إلى أنه ذو شخصين متبرعين جمعهما
4. P. K. Hitti، op. cit.، P. 84.
5. F. Altheim and R. Stiehl، op. cit.، I، P. 198، جزء عل 3/2، 388، وکذا
6. تاريخ العباسي 194/2، تاريخ الينوي 216/1، حزمة الأسفلسات: المراجع السابق، ص 73، تاريخ العباسي 194/2، تاريخ ابن خلدون 226/2، 592.
 سريع الغضب، سهل التصديق لل קצתات، حتى أوق عهد بن يزيد، الذي أُلجه على العرش، حين أراد أن يكفر عن خطته هذه، أضاع نفسه وأضع عرشه.

وهكذا تذهب بعض الروايات إلى أنه ساعد زيد بن عدي بن يزيد، ليكون عند كسرى أبو يزة (590-628م) في مكان أبيه، وأن زيدا إما كان يضمر الحقد للنعمان، ويتبرح الغرصة للإنقام منه، وقد جاءته هذه في طلب كسرى زوجات لأولاده، ومن ثم فقد أشار عليه بأن يطلب من النعمان، ففي بناته وبنات عمه وأمه، أكثر من عشرين امرأة، يصلحن لمصاهرة كسرى، وكان زيدا يعلم أن النعمان إذا يضمن بذلك على كسرى، بل إن جوابا إما كان على طلب كسرى، أو في بقر السواد وفارس ما يكنيه (أي كسرى) حتى يطلب ما عدناء، وكان ذلك سبيا في غضب كسرى، وفي استدعاء النعمان إلى فارس بغية القضاء عليه، ومن ثم فقد هرب النعمان إلى أصايرة في ظلهم، أملا في حماتهم له، ولكن القرم رفضوا حمايته، مما دفعه إلى أن يعود أمه والمهنة عند هاني بن مسعود الشباني، وأن يوجه إلى كسرى، حيث أرسل مخفرا إلى خاقين وأو ساطى، وبقي هناك حتى مات بالطاعون على رواية، وطرح بين أرجل الفيلة فداسه حتى مات على رواية أخرى.

وعلى أي حال، فيبدو أن دولة الخيرة قد بدأ الضمع ينسرب إليها على أيام النعمان، لإصرافه إلى اللعب والشراب، فعلى أمه هزم بن يربوع. جيش النعمان، لما أراد أن يقل الحجابة منهم، وذلك انهمت جموعه أمام بن عامر ابن صعصعة، بعد أن تعرضوا لإحدى قوارله التي كان قد أرسلها إلى سوق عكاظ.

(1) محمد أحمد جاد الولو، أبناء العربية في الجاهلية ص2-39.


- 923 -
كما كانت حروب الفجارة المشهورة بين كنانة وقيس، بسبب تعرض بعض الفئات
لإحدى قواfolه التي كانت في حراكة بعض الكتاتين (1).

وأيا ما كان الأمر، فقد تولى أمر الحيرة بعد النعوان أحد أشراقيها المشهورين
يئاس بن قبيصة (11-611 م) (1)، الذي كان المذكر قد عهد إليه من قبل
نبر أولاده، وإن كان هناك من يرى أن الذي خلف النعوان إما كان وحدا من
الفرس (1)، بينما ذهب فريق ثالث إلى أن الرجلين، إنما توليا الأمر معاً (1)

ومهما يكن من أمر، فإن كسرى أفرزح قد طلب من يئاس بن قبيصة
الطاعاني أن يجمع ما خلقه النعوان وأن يرسله إليه، ومن ثم فقد بعث يئاس إلى
هاني بن مسعود أن يرسل إليه ما استودعه النعوان إياه، فأجابه ذلك،
وعضع كسرى، وهنا أشار عليه أحد أعدائه بني شيان وسائر بكرب بن وائل،
أن يتذكر ربما ينزل القوم ذي قار (6)، فبعث إليه من يأخذهم بالقوة،
وحكما ما أن يحين الليل، حتى يرسل إليهم كسرى من يخترهم بين ثلاث
أحلاهم مر، الإسلام، أو الرجلين، أو الحرب، وكان ردي العرب أن

(1) سعد زغلول عبد الحميد المرجع السابق ص 236، وانظر: ابن الأثير / 588-595 المحيط
716-171.
(2) تاريخ الطبري 2/670، ابن الأثير 488/1، المحيط ص 336، مروج الذهب 86/0، ديوان
الأعتي ص 135، شمار العثمانية ص 135، الإشتقاق ص 284، جرجبي
زيدان: المرجع السابق ص 221، حجية الأصفهاني: المرجع السابق ص 74.
(3) المحيط ص 368، حجية الأصفهاني: المرجع السابق ص 74، شمار العثمانية ص 137، وكذا
G. Rothstein, op. cit., P. 120.
(4) تاريخ الطبري 3/1313/1، ابن الأثير 4391/1، ذي قار: خبر بن وائل قريب من الكوفة بينهما وثابت وعزال، وحنو ذي قار، على ليلة منه،
ويه كانت الموتى المشهورة بين بكرب بن وائل والفرس (باحت 1977/4، الطبري 2/670، وكذا
ومن ثم فإنه يبي من ذلك: ذي قار ذي قار، أو ذي قار،
وورم الجبال، وورم المحرق، وورم الحرق، وورم الطحاء، وورم بطحاء ذي قار، وكلله حول ذي قار،
دات فيه مراكش، يبي ذي قار، فصبت المرة إليها (الكركر 2/670، المحيط ص 489-488،
(5) 489
السيف هو الحكم، وهكذا وقعت الواقعة وأقبل العرب بلاء حسناً، وكتب لهم
— ولأول مرة — نصرًا مؤزراً على الفرس (1).

ويختلف المؤرخون في زمن موقعة ذي قار هذه، فذهب فريق إلى أن أبا إسحاق يوم الولد المصطفى — صلوات الله وسلامه عليه — ومن فهم فإن هناك رواية تذهب إلى أنه — صلى الله عليه وعلى آله وسلم — كان هذا أول يوم انتصف فيه العرب من العهده في تضاوره، بينما ذهب رأي آخر إلى أن أبا إسحاق سنة أربعين لولد النبي الأعظم — صلى الله عليه وسلم — وذهب رأي ثالث إلى أنه إما كانت في العام الثالث من مبعث المصطفى — صلى الله عليه وعلى آله وسلم — هذا وقد رأى فريق رابع إلى أن أبا إسحاق بعد الهجرة البنوية الشرفية من مكة إلى المدينة، على أن فريقًا خامساً إذا يرى أن أبا إسحاق بعد موقعة بدر الكبرى مباشرة، ورغم بعدها بأشهر معدودات (2)، فإذا كان صحيحًا ما ذهبنا إليه من قيل في هذه الدراسة من أن الولد النبي كان في عام 571 م، وأن الهجرة كانت في عام 622 م، فإن أصحابنا الأخباريين إذا ضعفون تاريخ معركة ذي قار، فيما بين الأعوام 571 م، 622 م.


ويذهب وروتشابن إلى أن موقعة ذي قار، فإنها كانت حوالي عام 614م، بينما يتجه نولدك إلى أنها ما بين عامي 611 و612م (1)، والعام الأخير هو الذي يميل إليه نيكلون (2)، وأما كوسان ده بريسفال (3)، فالأول أي عندما تحدثت في يناير من عام 611م، وهو ما تميل إليه الغالبية العظمى من المؤرخين (4).

ويليل أستاذنا الدكتور عبد العزيز سالم إلى أن الموقعة إذا حدثت حوالي عام 609م - أو بعد ذلك باشهر - معتمد في ذلك على أن المصادر تكاد تجمع على أن مبدأ النبوة إذا حدث على رأس أربع سنين من ملك هياس بن قبيصة وروى قوم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد بعث وهر في الأربعين من عمره الشريف، ولم يكن من المعروف أن الرسول - عليه الصلاة والسلام - قد انتقل إلى الرقيق الأعلى في 12 ربيع الأول 160ه (8 يونية 677ه) وهو في سن الثالثة والستين على أرجح الآراء (5)، فإن بعثته تكون قد حدثت في سنة 619م وهو ابن أربعين سنة، وتكون وقعة ذي قار قد حدثت بعد سنة 619م، بقيل، أو على أبعد تقدير في سنة 620م (6).

وأياً ما كان تاريخ موقعة ذي قار، فقد تولى منلك الخبرة بعد هياس إبنان من قبل ملك الفرس، كان آخرهما بن المدرك الخامس، الملقب بالمغفور - ثم

Rothstein, op. cit., P. 123.
R. Nicholson, op. cit., P. 70.
(1) جراد على عليه بني 294/3، وكذا
(2) لاحظ أن كوسان ده بريسفال - وكذا جورجت لورين - إنه يشير إلى ملك النوري الشريف
(3) يوم 7 أو 29 أغسطس 576 م (جورجت لورين - حضرة العرب ص 129) وكذا
(4) Caussin ep Perceval, op. cit., I, P. 283.
(6) وانظر: بلاس: المرجع السابق ص 616، محمد زغلول: المرجع السابق ص 571، راجح ما كنتيه سابقاً في هذه الدراسة من ملك النوري الشريف، وأنه عاش 63 عاماً تقريباً بالكمال، أو أكثر من 61 عاماً تقريباً، وأن البيعة كانت في عام 611م، أو بعد ذلك بآله أن
(7) عبد العزيز سالم: المرجع السابق ص 77، حضرة الأسفناح: المرجع السابق ص 98، أنساب الأشراف ص 579، أمد الغابة 571، ابن هشام 249/1.
سقطت الحيرة تحت أقدام خالد بن الوليد في سنة ١٣٢ه (١٥٣٣م) ، على أيام الخليفة
الراشد أبو بكر الصديق - رضي الله عنه وأرضاه - (١١-١٣-٤٢-٤٢-٦٥٠م) (١)
وإن كان هناك من يرى أن الفرس قد أقاموا إلى جانب هرباس، مقيداً فارسياً،
يشرف على مهام الحكومة، بل إن ملوك الفرس سرعان ما ألغوا نظام الإمارة العربية
وولوا من قبلهم حكام من الفرس، يخضع لهم زعماء العرب، وأن الأمر قد استمر
كذلك حتى الفتح الإسلامي في عام ١٣٣٣م (١)

___________________________
(1) تاريخ الطبري، ٣-٧٤٤، ابن الأثير، ٢٤٨، الآغاي١٤٢، المحرر ص٦٩٥-٥٠٢
حزمة الأسفلحاني: المرجع السابق ص٤٥-٧٨.
P. K. Hitti, op. cit., P. 84.
(2)
الفصل التاسع عشر

مملكة كندة

(1) كندة قبائل عهد الملكية:

يكاد يجمع النسبون على أن كندة، إنها هي قبيلة فحتانية تنسى إلى كندة وهو فخور بن عمير بن عياد بن الحارث بن مرة، الذي ينتهي نسبه إلى كهلان بن مياء (1)، وأن مساكنهم إنها كانت في جبال اليمن الشرقية مما يلي حضرموت، وأن مدينة دموق كانت حاضرة لهم (2)، وبري البرت جام أن أرض كندة، إنها كانت إلى الجنوب من قشم، ذلك لأن نقش (جام 260) يضعها بين حضرموت ومدنجح (3).

على أن فريقًا من الكتاب العرب، إنها يعبر الكلابيين مهاجرين إلى اليمن من البحران والشمر (4)، بينما يرى فريق آخر أن الكلابيين عدنانيون، وأنهم كانوا

(1) تاريخ ابن عطوان 276/ 1 جمعرة أنساب العرب ص 419، 485، نهاية الأدب القشعاني ص 495، الإكليل 10-5، ثم قارن: الإتفاق 276-732، التفهيم والدليل ص 159، البيان والمقصود ص 238.
(2) يافو 2/ 1767، البكري 2/ 550، ابن عطوان 276/2، الحداني: صفة جزيرة العرب ص 85.
(3) جوابي علي الإلي 318/ 2، وناه.
A. Jamme, Sabaeen Inscriptions from Mahram Bilqis (Marib), P. 318, 372.
(4) الهضاني: المرجع السابق ص 85، 88.
يقومون في دورهم الأول في عمر كندة، أي في مواطن العدنانيين (1)، ولعل هذا الخلاف في نسب كندة إذا بدأ على اختلاط القوم بين العدنانيين والقحطانيين، ربما بسبب عدم استقرارهم في مناطق معينة، وربما بسبب اضطراب المورخين العرب في نسب الكنديين، بعد اختلاطهم بعرب الشمال، اختلاطًا أصبهوا به وكأنهم منهم.

وتعرف كندة في النقوش العربية الجنبية بكخت (أو كندة بشيد الدال)، وقرأ في كتاب (جام 656)، والذي يرجع إلى عهد الملك شعر أوتر، أن ربيعة من آل ثور كان ملكًا على كندة، وعلى قحطان (قحطان) وأنه كان يحارب في صفوف أعداء الملك شعر أوتر، وهذا يعني أن كندة كانت ذات كيان سياسي منذ القرن الأول قبل الميلاد، إذا أخذنا برأي جام من أن حكم شعر أوتر كان في الفترة (656-50 ق.م) (2)، ومنذ أوريات القرن الثاني قبل الميلاد، إذا أخذنا بتقدير غيره من المورخين، هذا فضلاً عن أن ربيعة ملك كندة كان يحكم كذلك قبيلة قحطان، المتحالفة مع كندة، ولعل من الأهمية بمكان الإشارة هنا إلى أنه من إسم قحطان هذا، أخذ الأخبريون قحطانهم، فصيروا جد العرب القحطانية (3).

وفي عهد "الشرح يحسب" كانت كندة ما تزال مملكة مستقلة، وقد شارك ملكها مالك، ملك دولة "خصصين" بارض عدن، اسمه "أميري القيس ابن عرف" في الهجوم على قوات "الشرح يحسب" وأخوه "يازيل بين"، إلا أنهما معاً بزيزعة متكررة انتهت بأسر ملك كندة، ومجموعه من أشرافها، ثم أخذوا إلى مدينة "أرب " (وربما كانت إحدى مدن شعب مرب الذي يسكن أرض عدن، ليست مأرب مدينة سباً المشهورة) على أي حال، فلقد أطلق سراحهم

A. Jamm, op. cit., P. 390-381.

(1) ياقوت الحموي: معجم البلدان 4/212.
(2) جواب على 3/616 و 3/619.
(3) جواب على 3/616.
أخر الأمر، بشروط منها أن يبقى ولدا ملكي كندة وخصوصين كرهية عند 
الشرح يحبب، وأن يتعهد الملكان بعدم التحرش بقوات ملك سيا وذى ريدان، 
ومساعدتها ضد أعدائها، ومنها أن يبقى أبناء الأشرف من كندة وخصوصين رهينة 
عند ملك سيا(1).

وسرعان ما فقدت كندة بعد ذلك استقلالها، وعرف من نقيش (جام 660، 
665) أنها أصبحت تابعة لدولة ملك سيا وذى ريدان وحضمروت وينت(1)، 
وأن شمر يهرش قد عين عليها ولياً من قبله، ورفعت درجه في عهد 
يهتم(2) إلى درجة كبير(2)، وهي من أعلى الوظائف في ذلك العهد.

وما أقدم من تحدث عن كندة من الأغراق والروماني، فهو (نونوسوس 
وقد دعاها (Kindynoi)، كما ذهب إلى أنها - وكذا قيمة معد - من أشهر القبائل العربية، وأن حاكمها من أيامه إما هو قيس (Kaisos) (3)، مهما كان آخر مرة برد فيها إمام كندة في القروش العربية الجنوبيه، إما كان في نقص 
أبرهة من القرن السادس الميلادي (4).

ويذهب الأخباريون إلى أن جماعات من كندة قد غادرت مواطنها في النصف 
الأول من القرن الرابع الميلادي، وأتجهت شمالاً حتى نزلت في مكان دعي فيما 
بعد كندة أو كندة - وهي أرض ليبي جناد بن معد في نجد .

---

A. Jamme, op. cit., P. 57, 164, 318  
W. Caskel, Entdeckungen in Arabien, 1954, P. 9 
Ryckmans, 535 
Jamme 660, 665  
A. Jamme, op. cit., P. 164  
G. Olinder, The Kings of Kinds, 1927, p. 114  
G. Olinder, op. cit., P. 33.  
E. Glaser, Zei Inschriften über den Dammbruch Von Marib, P. 55.

---

٦٠٧ –
وجرة على مسيرة يومين من مكة (باقوت 216/4) على أن الأخيرين إذا يختلفون في أسباب هجرة الكنديين إلى الشمال، فذهب فريق إلى أن السبب إذا كان حربًا استمر أواراً بين حضرموت وكينده، فتم طال أمدها حتى كانت أن تقضي على الكندين، ومن ثم فقد اضطرروا إلى النزوح إلى الشمال، فرارة بأنفسهم من الفيناء.

ويرى آخرون أن السبب إذا كان لأن حسان بن تميم، كان أماً لحجر آخر الموار من أمه، وأن حسان كان قد دوخ بلاد العرب وسار في الحجاز (ربما حوالي عام 480 م) وعندما أراد العودة إلى اليمن، فلم يكن له حراً على معد بن عدنان كلهما، ففتح في وليته، وأحسن السيرة في رعيته حتى لم يرضوا به وبعله بديلاً، على أن ابن خالدون إذا يذهب إلى التباعاً إذا كانوا يشاهرون، ببني معاوية بن عزة الذين كانوا يملكون في دموع، وأنهم كانوا يقولونهم على معد بن عدنان في الحجاز، وأن أول من ولي منهم إذا كان حجر آخر الموار، وأن الذي وليه، إذا هو وهم بن كربل، الذي كسا الكعبة.

وإلا هناك رواية رابعة تذهب إلى أن سفاهة بكر قد غلبوه عقلاها، وأن القوي منهم قد أكل الضعيف، فنظر العقلاة في أمرهم، ثم استقر رأيهم آخر الأمر، أن يملكون عليهم ملكاً يأخذ للفضيف من القوي، فنهاهم العرب، وعلموا أن هذا لا يستقيم بأن يكون الملك منهم، لأنه يطيع قوم ويخالفهم آخرون، ومن ثم فقد ساروا إلى بعض تابعة اليمن، كانوا للعرب بمنزلة الخلقاء للمسلمين، وطلبوا منهم أن يملكون عليهم ملكاً، فإن ذلك الملك هو حجر آكل الموار.

---

(1) تاريخ البكري 3/616، قائد: البكري 3/616، الغربي ص 616.
(2) تاريخ ابن عدنان 2/761، الماردن ص 761، بدر زغول: المرجع السابق ص 616، إيليا.
(3) P. K. Hitti, op. cit., P. 68.
(4) تاريخ ابن عدنان 2/761، بلغ الأدب 2/600، المعرج ص 616، حنجرة.
(5) الأصفهاني: المرجع السابق ص 616.
(6) ابن الأثير 1/148، الإكيل 1/148.
وعلى أي حال، فربما كانت هذه الروايات جميعًا، إلا أنها تعني مرحلتين من تاريخ كندة، الأولى وتمثل الهجرة من اليمن إلى نجد، والثانية وتمثل مرحلة استقرار الكنديين في مواطنهم الجديدة، وكيف كانوا لهم إمارة في نجد، ومن ثم فيمكن القول أن هذه المرحلة الثانية إلا أنها تتعلق التاريخ الحقيقي لكندة.

ومن ثم فإذا كان لنا أن نختار رواية، مثلاً إلى أنها ربما كانت أقرب إلى الصواب من غيرها، فربما كانت الرواية التي تذهب إلى أن ملك حمير قد أقام حجراً زعمًا على عدة قبائل كان ملك حمير قد أضحىها في وسط شبه الجزيرة العربية، قاملت بذلك دولة يحمل رؤوسها لقب ملك، وتفرض سلطانًا على منطقة واسعة، وإن كان بحكم الضرورة سلطانًا محدودًا.

ولعل الهدف من إقامة دولة كندة، أن التبادل بينها بالذكاء، أن الانتشار الواسع للسياقة على الطرق التجارية الشمالية التي كانت تتراوح فيها قوافل اليمن التجارية، حتى زاروا اعتداء قبائل البدو الشمالية عليها، بخاصة وأن الدول الكبرى القائمة على تخوم الصحراء، إذ كانت وقت ذلك تحاول أن تؤلف القبائل إليها لتحمي حدودها من غزواتها، ومنها بالذكاء، وتسيير معها في الحروب متحالفًا على أعدائها.

فإن إذا كان ذلك صحيحًا، فإن تولية حجر آكل المرار، تكون سياقة زمنية حكيمة، فقد كانت عصبة حجر يمنية، وكان هو من أسرة تولت الملك في بلادها الأولى.

ثم إن هذه الأسرة كانت قد استقرت في الشمال منذ فترة فرع منها نحو الشمال، وهي يكون ملك حمير قد حققوا من إقامة دولة كندة، وما حقيقة الروم من إقامة دولة الغساسنة، والفرس من إقامة دولة اللخمين، وتصبح كندة لتابعة اليمن، ما كان الخريجون للفرس، والخليجيين للروم.

(1) سيد نقلح ميد الحمد، في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص 233.
(2) سكينتو موسكي: المرجع السابق ص 306.
(3) عمر فروغ: تاريخ اليمن، ص 37، إيليا حاري: إمبراطورية (دار النشر)، بيروت 1970، ص 76.
(4) جبريم زيدان: المرجع السابق ص 211، وكذا 86-85.
(5) P. K. Hitti, op. cit., P.
ولعل من الأهمية ممكان الإشارة إلى أن الروايات العربية عن تأسيس مملكة كندة، تجد لها تأكيداً في نقش عربي جنوبى - هو نقش (ريكسنر 1905) - يتحدث عن حملة قام بها الملك الحميري أب كرب أسعد هو وابنه حسن يبأمن واستحرت فيها كندة، هذا إلى أن هناك مخرِجة عربية جنوبية تتحدث عن حجر ابن عمرو، ملك كندة (1).

(2) مملك كندة:

عرفت كندة لدى الإخباريين بكندة الملوك، ربما لأن الملك كان لهم على بادية الحجاز من بني عدنان (2)، ولأنهم نصبوا أولادهم على القبائل، ولأنهم كانوا يتعژرون بسبهم إلى كندة، وإلى آكل المرار، لأنهم كانوا ملوكاً، ولأنهم (ساسي العباء) وتمكنوا من البلاد (3)، على أنه يجب أن نشير إلى أن مملكة كندة لم تكن مملكة (Confederation) بالمعنى المعروف، وإنما كانت أقرب ما يكون اتحاداً قدراليًا (4) قليلاً، تشغل فيه قبيلة كندة مركز القيادة، وتنولي فيه الحكم أمرها من أمرها (5).

وأياً ما كان الأمر، ففي الرابع الأخير من القرن الخامس الميلادي (6)، وربما في حوالي عام 480م (7)، أصبح حجر بن عمرو آكل المرار ملكاً على كندة في قلب نجد، والتمتع جنباً إلى جنباً من الأرض التي كانت تحت سيطرة المذمرة، ثم نزل في مكان يدعى بطن عاقل، جنوب وادي الرمة على الطريق بين مكة والبصرة (8).

S. Moscati, op. cit., P. 127.
M. Hofner, Die Beduinen in den Vorislamischen Arabischen Inschriften, P. 53-68.

(1) تاريخ ابن خلدون 275/2، الإكليل 2 244، مختارات ص 94.
(2) تاريخ الطبري 139/2، مروج الذهب 2 245/2، ابن هشام 3 250/2، جرادة علي 315/2.
(3) موسكاني: المرجع السابق ص 356.
(4) ابن الأثير 1/126، وكذا.
(5) P. K. Hitti, op. cit., P. 85.
(6) G. Olinder, op. cit., P. 46.
(7) G. Olinder, op. cit., P. 42.
وهكذا — كما يقول الدكتور عمرو فروخ — تسرب النفوذ الأجنبي إلى مكان جديد في شبه الجزيرة العربية، النفوذ روحي مناهض لنفوذ الحرف في الحيرة، وعطف بسياسة بنية ظاهرة(1)، إلا أنا لست أستطيع أن أتقبل وجهة النظر هذه ببساطة. ذلك لأن الدكتور فروخ نفسه يرفق الروايات العربية التي ذهب إلى أن الذي أقام حجرًا ملكًا على كندة، إنما هم الخياليون وليس الروم أو الأجانب، كما أن الين لم تكن وقت ذلك تسير في تلك النفوذ الروم أو الليثي، فضلاً عن أن مرك كندة إما عملوا بعد ذلك عند الفرس، وليس عند الروم أو الأجانب، كما سوف نرى وإن تخلفنا مع الروم حيناً من الدهر.

وعلى أي حال، فإن حجراً، إنما يدفع عند المؤرخين العرب، آكل المرار، ويفصلون ذلك بقصة خلافاتها: أن حجراً قد سار بقائلاً ربيعة لنزوع البحرين. فعلم بذلك زياد بن الهبوة من سليم بن حلوان، فأغار على عمر كندة، وقتل من وجد من الرجال، واستولى على الأموال، وسي النساء، ومن بينهم هنود زوج حجر نفسه، وما أن يعلم حجر بهذا الأمر، حتى يسرف فيترك زياد عند البردان، فينزل على ماء يقال له«الخثير» — على مقربة من عين أبيغ بين الفرات والشام — ويرسل رجالاً ليأتيه بخير زياد، وهنا يعلم — عن طريق رجل يقال له سدوس — أن هناك ما هي راضية عن حجراً، وأنها قد أجازت زياداً عندما سألها عن موقف حجر: ''إنها وآلهة لن يدع طلبك حتى تعابين القصور الخمر — يعني قصور الشام — وكأنها يه في فوارس من بني شيبان، يدعمره ويدمروه، وهو شديد الكلب، تزود شفاه كأنه بعير آخر مراراً، فالتباهن النجاء فإن وراءه طلياً حديثاً وجمعاً كفيفاً، وكبدى مثباً ورواياً صليباً''. وما أن ينتهي سدوس من روايته حتى يبث حجر بالمرار، يتأمل منها، غضباً وأسفناً، ولا يشعر أنه يأكله من شدة الغضب، فسمي يومئذٍ ''آكل المرار'' أو أنه — على رواية أخرى — كان يوماً على سفر.

(1) عمرو فروخ: المرج الساقص، ص 86.
فلمما لم يجد ما يأكله أحد المزار العش (1) ، وأيا ما كان الأمر ، فإن معركة حامية الوطيس سرعان ما تدور راحيا بين الفريقين ، ينال فيها زياد هزيمة منكرة ، ثم يقع في أمر عدوان ، وينتمي بكر في استرداد ما سله زياد من غنائم وسي ، ثم يأخذ حجر هنذاً في قبطة في فرسين ، ثم يركضهما ، فتشتت نصفين على رواية وآيته قد أحرقها على رواية أخرى ، ثم عاد إلى الخيرة . (2)

وفي الواقع أن الرواية على هذا النحو ، إنما تعترضها عقبات عدة ، منها (أولاً) أن هناك من يرى أن الذي هاجم ديار حجر ، إنما هو الحارث بن الأهمي بن الحارث الغنائي على رواية ، والحارث بن جيته على رواية أخرى ، ودون ذكر اسم الذي أغار على غرم كندة ، على رواية ثالثة ، وهو الحارث بن ملقي الضحيمي من بني سليم ، على رواية رابعة ، وهو عمرو بن الهبولة الغنائي على رواية خاصة (3) ، وهذا يختلف الأخبارون في الرواية بصورة تلقية ظلالاً من شك على صحتها من أساس ، ومنها (ثانياً) أن الأسيرة - في رواية أخرى - ليست هنذاً ، وإنما هي قنطار من أحج قبان حجر إلى نفسه (4).

ومنها (ثالثاً) أن ابن الأثير (5) سرعان ما يدرك الحظر في الرواية ، لأن ملوك سليم كانوا بأطراف الشام عملاً للروم ، ثم خلفهم الغساسنة في مكانهم هذه ، وأما الخيرة فقد كانت ملكاً للخمين ، ومن ثم فإن عودة حجر للخيرة بعد اتصاره

على زياده لا تتفق والحقائق التاريخية، صحيح أن الفرس عل أيام قباذ (448ـ 431 بم) قد استعملوا ملوك كندة على الحيرة، ولكن صحيح كذلك أن ذلك إذا حدد بعد وفاة آكل المرار، وعلى أيام حفيده الحارث، ثم إن زياد بن الهولة هذا، إذا كان يعيش قبل آكل المرار، فبفترة طويلة، ومن ثم فإنه يفترض أن زياد، إذا كان رئيًا على قومه، أو متغلباً على بعض أطراف الشام، أضيف إلى هذا كله أن هناك من يرى أن الذي غزا آكل المرار، إذا كان غالب بن هولمة، وأنه لم يشر إطلاقاً إلى عودة آكل المرار إلى الحيرة.

وعلى أي حال، فقد مات آكل المرار في بطن عاقل، في وقت لا تستطيع تحديده على وجه اليقين، وإن النبه «أويلندر» إلى أن ذلك ربما كان في العقد الأخير من القرن الخامس الميلادي، معتمداً في ذلك على وفاة حفيده الحارث، في عام Ogarus (528 المذكور)، وإن كان هناك من يرى أن حارثاً، إذا هو Badicharimus، في بعض التقاريم في حوادث أعوام 449، 501، و 502، وقد ذكر معه أخ له يدعى معديكر، وأيضاً عن حيداً يدعى Aretha الحارث.

وخلف حارث آكل المرار ولده المعرف بالقصور (عمرو بن حجر)، ربما لأنه اقتصر على ملك أبيه، وربما لأن لجيبة قد اضطرته إلى ذلك (6)، وأنه لم يحمل لقب ملك، وإنما اكتفى بلقب مريد كندة، وأن البابا إما كانت من نصيب أخيه معاوية المعروف بالجاحن (4)، ويبك أن عمر بن حجر كان على علاقة طيبة بملوك اليمن، ومن ثم فقد تزوج بنتاً لحسن بن تبع أسد الأكبر.

G. Olinder, op. cit., P. 46
Provincia Arabia, III, P. 286.
(1) جردوع عليه 238، وكذا ابن الأثير 12/1، وكذا جردوع عليه 235/2، وكذا ابن الأثير 12/3.
(2) ابن الأثير 12/1، محلب 369، المفصلات 429، الأغاني 280/8، حزمة الأصفهاني: المرج السابق 92.
(3) الأغاني 280/1، ابن الأثير 12/3، تاريخ الطبري 29/89، المجلد 369.

- 607 -
كما كانت كذلك باللحمين، ولهذا فقد تزوج الأسود بن المنذر، ملك الخيرة
من آدم الملك، ابنة عمرو المقصور، فولدت له النعماة بن الأسود.

علي أن علاقة عمرو المقصور هذا بالعسكرة، إنما هي موضع خلاف بين المؤرخين،
فذهب البعض إلى أنها إنما كانت علاقة عائشة، وأن عمراً إنما كان في أحيالهم كثيرة
يشتغل عليهم، حتى لقي حنظلة آخر الأمر، يبدأ الحارث بن أبي عبيدة، والضائي
بينما يذهب فريق آخر إلى أن العلاقات بينهما إنما كانت طيبة، وأن عمراً قد تزوج
من هند الموتية، بنت ظليم بن وهب، وكانت أختها، مارية، زوجة للحارث.

الضائي الأكبر، وأن الذي قتل عمراً، إنما هو عمار الحرير، في يوم الغزوة،
إبان طمرة، ربيعة على عمرو المقصور، وذلك حين انتهت فرصة الضعف في
آل كندة على أيامه، وكان قد ظهر من بني تميم في نفس الوقت رجل قوي، وهو
والد بن ربيعة، المعروف بكليب وائل، فانتزع من عمرو السيطرة على جميع
قبائل ربيعة، وأن قبائل ربيعة قد احتركت من تلقائ نفسها إلى كليب، ومن
ثم فقد اضطر عمر، إلى أن يستجد، ببرشيد بن عبد ينافل الحميري، الذي أتجه
بيش كبير، والتقى عمرو بكليب في دار بني أسد، على مقرية من جبل الغزوة،
فقتل عمرو في المعركة، وتحررت قبائل ربيعة من سيطرة آل كندة إلى حين.

وجاء بعد عمرو ولده الحارث، من زوجه أم إياس أو أم إساف بنت عوف
على رأي (7)، ومن امرأة من بني عامر من صغيرة علي رأي ثان (1)، ومن بنت
حسان بن الديري على رأي ثالث (3)، ويرى الطبري أن عمراً بن تبع:

(1) تاريخ الطبري 104/2، حزمة الأسفهاني: المرجع السابق 69، المعامرة ص 275.
(2) تاريخ اليمني: 218/1، الآغاي/6، مرجو الذهب 84-86.
(3) ياقوت/4، المذكارة: ص 219، عمر فروخ: تاريخ الجاهلية ص 87.
(4) عمر فروخ: المرجع السابق ص 88، المقاليات ص 416.
(5) جواب على كل/3، كتاب المقال الكبير: لبيتي/1، وما بعدها، الآغاي/86، ثم
(6) الديري: الأعوان الطوال ص 62.
(7) تاريخ الطبري 89/2، حزمة الأسفهاني: المرجع السابق ص 69.

- 205 -
إذا أراد بهذا الزواج الإقلال من شأن النبي أنجب حسان بن ثعبان، بعد أن قتل نفسه، في نفس الوقت الإعلاء من شأن عمر بن حجر الكلبي، ذلك لأن العرب لم تكن تقطع في مسحارة هذا البيت المعريق (1).

وقد اختلف المؤرخون في فترة حكم الحارث بن عمرو المقصور، فبينما يحدد له أستاذنا الدكتور عبد العزير سالم الفرة (52-495) (2)، يرى "كوسين ده برسيفان" أنه حكم في الفترة (52-495) (3)، وذهب "أوليندر" إلى أنه كان في الفترة (490-52) (4)، وعلى أي حال، فقد كان الحارث أقوى ملوك كندة قاطبة، وأشدهم بأنا، وأعظمهم شخصية، وأكثرهم طموحاً، وقد ساعدته الظروف، فأصبح أعداؤه من بني بكر وتقيل، بعد حرب البوس التي دامت أربعين عاماً (5) - في حالة ضعف شديد، ومن ثم فقد تنجح في أن يعيد سلطانه على قبائل ربيعة في نجد، وعلى بني أسد وبيني كتابة وبيني بكر.

وتذهب الروايات العربية إلى أن الحارث قد كتب له نجحته بعد المدى في تسويع مملكة كندة، حتى أنه استطاع آخر الأمر أن يضم إليه ملك آل شивم، وأن يجلس على عرشهم في الحيرة نفسها، متنزهاً الفرصة التي أتاحته له الظروف التي كانت تمر بها الدول الشمالية (الروم والفرس والخاسمة والناشزة)، ومن ثم فقد بدأ حوالي عام 97م ينزو فلسطين، إلا أن الحاكم الروماني قد أطلق بعثة - الذي كان بقيادة ولده حجر - هزيمة منكرة، ولكن ما أن مضى سنون خمسة حتى تصبح

(1) تاريخ الطبري 89/2.
(2) عبد العزيز سالم: المرجع السابق ص 411.
(3) Caussin de Perceval, op. cit., II, P. 286.
(4) G. Olinder, op. cit., P. 54, 56.

في موضوع حرج، إذ تبدأ قبائل البلغار والصقلاة تتخلل في تخوم إمبراطورية الشرقية، تم إرسال ما تعود الحرب بين الروم والفرس، من جديد في حوالي عام 205 م، وهكذا رأى الإمبراطور الروماني سنتانسيوس (491-518 م) أن يخنف من مشاكله، وأن يقتل من أعدائه، فعقد مع الحارث مفاوضة نص على أن يتركل كندة مهاجمة الشام، وأن يتعاونوا مع الروم على قتل الفرس والمانذرة، وهكذا قام الروم في العام التالي (505 م) - بمساعدة الحارث - يهجوم على الحيرة، واستلوا على قافلة (1).

ولم يكن الحال بالنسبة إلى الفرس، وأفضل منه بالنسبة إلى الروم، فعلى أيام قباذ (488-532 م)، انتشرت الاسترخارات في أنحاء البلاد، وأصبح الأمر بيد الموارنة، كما كان للأغنياء والقطاعين دور كبير في إدارة شؤون البلاد، وهنا رأى قباذ - أملاً في استرداد سلطاته، ورغبته في القضاء على الأغنياء، وعلى رجال الدين - أن ينشر مبادئ «مزدوذ» بين الناس (2)، والتي تدعو إلى نوع من الإشرافية البديائية في الأموال والنساء، حيث أن الناس قد تظالموا في الأموال والأرزاق، فاغتصبها بعضهم من بعض، وأن الأغنياء قد اغتصبوا أرزاق القراء، ومن ثم فإنهم يأخذون القراء من الأغنياء، ويردون من المكثرين على البلنين، وأن من كان عليه فضل من الأموال والنساء والأمتعة، فليس هو بأي حال من أحواله، فأفرض السئلة ذلك وأغتيموه، وكافروا مزدوذ وأصحابه وشاهبهم، فانتقل الناس بهم، وقوي أمرهم، حتى كانوا يدخلون على الرجل في داره، فيغلبونه على منزله ونسائه، وأمواله لا يستطيع الامتناع عنهم (3).

---

(1) عصر فروخ: تاريخ الباهلي ص 89.
(2) جبر علي 3/3، ونظر.
(4) تاريخ الطبري/2، 969-973، ابن الأثير/10، 410-512، إيليا حاري: المرجع السابق ص 8.
(5) سعد سلطل: المرجع السابق ص 242.
وقد أدت هذه الأحداث إلى قيام ثورة ضد قباض، انتهت بخلعه في عام 984 م، وربما في عام 996 م (1) - ولكنه استطاع أن يفر من السجن، وأن يستعيد عرشه في عام 582 م - أو عام 554 م - طبقًا لرواية بذله الأخباريون فيها إلى أن أُيها بمساعدة واحد من ضباطه - قد لعب الدور الأول في هروبه من السجن، بعد أن مكث فيه ست سنين (2).

وفي أثناء ذلك كان قباض قد دعا المنذر بن ماء السماء إلى المر독ية فأبى، وأسره قباض في نفسه، وعندما عرض دعوته هذه على الحارث الكتاني أسرع بإجابة إليه، ومن ثم فقد عزل المنذر عن عرش الحيرة، وأقام مكانه الحارث الكتاني (3)، فيما بين عامي 528 م و 535 م، على رأيه (4)، وفي حوالي عام 529 م على رأي آخر (5)، وهكذا أتى ملك الحارث وعظم شأنه، وجعل أولاده ملوكًا على القبائل، فكان حجر على بني أسد وغطان، وكان شر حبل على بكر بن وايل وأسره، وعلى عدد من القبائل الأخرى، وكان معد يقرب على قيس بن عيلان وطوائف من غيرهم، وكان سلمة على بني تغلب والنمر بن قاضط، وعلي بني سعد بن زيد منائم من قبائل (6).

على أن هناك من يذهب إلى أن العرب قد انتهجوا فرصة ضعف قباض، فتوثقوها على المنذر بن ماء السماء، واضطروه إلى الهروب من الحيرة، ومن ثم فقد إستدعى

EI, 4, P. 178
وكذا جواب علي 3/3، وكذا
EB, 17, P. 574.
(1)
ابن الأثير 1/414، تاريخ الطبري 4/194-95.
(2)
G. Olinder, op. cit., P. 65.
(3)
P. K. Hitti, op. cit., P. 85.
(4)
جواب علي 3/3، وكذا
(5)
G. Olinder, op. cit., P. 82
وكذا EI, II, P. 1018.
عرب الحيرة الحارث الكندي فملكه على بكر، وحشدوا له وقاتلو معه، ثم اضطر المنذر - بعد أن فشل في الحصول على مساعدة عسكرية من قباذ - إلى أن يخفق للحارث، وأن يقرب إليه، وأن يتزوج من ابنته هند (عمة امرئ القيس الشاعر) (1).

ويرى جزءة الأصفهاني أن الحارث الكندي كان قد طمع في ملك آل خمر، فاتجه فرصة ضعف قباذ، وباغت الحيرة، واضطر المنذر إلى المراب إلى الجرساء الكبيرة، حيث بقي هناك حتى وفاة قباذ، وتولى كسرى أنوشرون الذي أعاده إلى ملكه (2).

على أن هناك رواية أخرى تذهب إلى أن النعمان بن المنذر قد لقي مصرعه، في معركة دارت ساحا بين الحارث الكندي، وإن تجا معها ولده المنذر، وأمته أمه السماء، ومن ثم فقد أصبح الحارث الكندي يملك ما يملكون، وهنا يlongleftrightarrow "قباذ" يطلب لقاء الحارث، ويبدو أن الأخير قد استشعر ضعف الملك القاري عندما القيا، ومن ثم فقد بدأ يخطط للفوز أوسع في العراق على حساب الفرس، وهذا أمر رجله بأن يشنو الغارة على السود، ويعلم قباذ الأمير، ويدرك أن الحارث أقوى شخصية، وأكثر دهاء مما كان يتصور، ومن ثم فقد عملت على أن يدرأه عن نفسه فأعطاه بعض المناطق التي تقع في مجاورات الحيرة، إلا أن الحارث كان أكثر طموحاً، ومن ثم فقد كتب إلى "أبي" ملك اليمن، يقول له: "إني قد طمعت في ملك الأعاجم، وقد أخذت منه ست طساسيق فاجمع الجنود وأقبل"، وتذهب الرواية بعد ذلك، إلى أن "أبي" قد جمع الجنود وسار بهم حتى نزل الحيرة، ثم وجه ابن أخيه "همذ ذي الخناجر" إلى قباذ، فحاربه وانتصر عليه ثم قتله بالري (3).

(1) تاريخ ابن خلدون/275-274، حزمة الأصفهاني: المرجع السابق ص 70، ابن جعيفة.
(2) حزمة الأصفهاني: المرجع السابق ص 70 وما بعدها.
(3) ابن الأثير/1/415/2، تاريخ الطبري/6/89-96، تأريخ ابن خلدون/265-264/265.
وأما القتاء الحوارث بقياؤه، فقد كان، فيما يرى الروس موسى، في عام 950، عند قطرة اليوم، وهي موضوع لا يعد كثيراً عن هيثم، والتي يصفها ويفاقت، بأنها بلدة على النهر من نواحي بغداد فوق الأثار ذات نخل كثير وزوارت.

وإذكوا تختلف الروايات في كيفية وصول الحاوارث الكندي إلى عرش الحيرة، فيهما يزعم أن ذلك إذا كان بأمر من قياذ نفسه، بعد أن رفض المثير اعتناق الزيدية، ومن ثم فقد حل الحاوارث مكانه في الحيرة، وأثناء الأزهر قد أصلع المثير بعد ذلك، وزوجه من ابنه ونهو، وأنه المثير قد قيل ذلك، بعد أن أصبح لا يملك من أسباب القوة ما يعيد إليه عرش الأسلام، ومنها ما يزعم أن الحاوارث إذا استولى على عرش الحيرة بعد السيف، فقد قلل العمان بن المثير، ثم أثير قياذ. بعد ذلك أن يزيد من أماكنه فيما وراء النهر، ثم استعان بملك اليمن الذين حاروا قياذاً فانضموا عليه وقتلوا في الرعي، ثم استوروا يفتقرون البلاد في إنجاه الصين شرقاً، والقسطنطينية غرباً.

إلا أننا رغم ذلك، نستطيع أن نستخلص من تلك الروايات المضاربة أحياناً، والتي تتمثى بالتبادلات أحياناً أخرى، حقيقة هامة، وهي أن الحاوارث الكندي قد كتب له أن يجلس على عرش الحيرة حيناً من النهر، قد يكون في الفترة (945-950)، إذن فتحة الزيدية في إيران (1)، وربما كان الحاوارث قد استولى على قبر بالفس رأى صلح بينهم وبين الروم في عام 955، اعتقاداً منه أن العمل في جانب الفرس، ربما كان أفضل له منه في جانب الروم، ثم زحفت بكرب وتغلب بعد ذلك من مواطنها القديمة في اليمنا وتجد نحو العراق، وأثناء الفرس قد أقرؤهم على ذلك، مقابل جعل يدفعهم لكل عام، إلى جانب أهداف أخرى أرادوا من وراءها كسر شريكة اللحيمين في الحيرة، وضم الحاوارث القوى إلى جانبيهم، خوفاً من أن ينحر إلى جانب الروم.

A. Musil, The Middle Euphrates, P. 350, 286/4, البكري 4، 1356، وكذا 350.
G. Olinder, op. cit., P. 65.
- أعدائهم التقليديين - وقد أدى ذلك كله - إلى جانب الخلافات بسبب المزدكية، فضلاً عن ضعف قيادة العاهل الفارسي - إلى أن تسوء العلاقات بين الفرس وأتباعهم اللفحيين، واستغلال الحارث الفرسية، حتى النهت الامر بإستهله على عرش الحيرة نفسه.

وأما استنجد الحارث الكندي بملك اليمن، وانتصارات هؤلاء الملوك في أرض العراق وما وراءها، فليس ذلك إلا من نوع الإشادة بماضي القحطانيين - الذي يردده الكتاب العرب في صفحات كتبهم دائماً، ذوهما معلق - فهم - دون العدنانيين - أصحاب التاريخ التليد والمجيد كذلك، وهم أصل العروبة وأول الناطقين بلغتها، فضلاً عن التركيز هنا بصورة ملفتة للنظر، من أن دولة كندة ما كانت بقدرة على تحقيق مجد، أو إحرار نصر، دون عون يأتinya من الجنوب، من اليمن.

هذا وقد اختالف المؤرخون في مقر الحكم الذي اختاره الحارث الكندي في العراق، فينما يذهب فريق إلى أنه في الحيرة، عاصمة اللفحيين، يرى آخرون أنه في الأناضور - وتقع على مبعثة أربعين ميلاً إلى الشمال الغربي من بغداد - على أن فريقاً ثالثاً رأى أن الرجل إذا كان سيارة في أرض العرب.

وأيا ما كان الأمر، فإن ملك الحارث لم يستمر طويلاً في العراق، فما هو إلا أن مات قياذ في عام 536م، وآلم الأمر الفرس إلى كسرى أبو شروان (536ـ538م)، حتى اتخذ العاهل الجديد سياسة متأخرة للمزدكية، فقتل مزدوك وصلبه، كما قتل كبار أصحابه غدرًا، ثم تبع الزيادة من المزدكية في كل أرجاء الإمبراطورية الفارسية، حتى قبل أنه قتل منهم في يوم واحد مائة ألف.

G. Olinder, op. cit., P. 65.
ZDMG, 23, 1869, P. 559
P. K. Hitti, op. cit., P. 85.
P. K. Hitti, op. cit., P. 85.
وحتى قبل أنه اتخاذ من هذا اليوم لقبه أنوشراً أي الروح الطيبة، ثم طرد الحارث الكندي، وأعاد المئزر الثالث إلى عرشه الجزيرة، ربما بسبب الرسول، وربما بسبب سياسة الحارث الكندي نفسه، إذ يبدو أن الرجل قد بلغ في أعماره بأ이며 إلى إيجاد علاقات طيبة بينه وبين الروم، مما كان سبباً في قضاء كسرى أنوشراً على سلطته في الجزيرة.

على المنذر الثالث، سرعان ماتبجح الحارث الكندي وأهله، حتى أمر النبي عشر أميراً من بني حجر بن عمره، ثم قطعهم في دير بني مرين يبن، ذير هند والكوفة.

إن كانت هناك رواية أخرى تذهب إلى أن المنذر قد لحق بالحارث في أرض كلب، فهرب الحارث تاركاً ماله وإبله فائتهما المنذر، وأسر ثمانية وأربعين من بني كل المرار - من بينهم عمرو ومالك ولدي الحارث - فأمر المنذر بمغفر الكلب، بينما تذهب رواية رابعة إلى أنه مات حسب أنهه بعد مداردة لئيس من الظلماء، دامت ثلاثة أيام، حتى إذا ما تمكن منه شوبيت له بطله، فأصل فتنة حارة من كبده فمات، ثم دفن في بطن عاقل، وإن ذهب وألبدره، إلى أن هناك اضطراباً في الرواية العربية بين حجر الذي دفن بطن عاقل، وبين حقيقة الحارث.

---

(1) تاريخ الطبيري 2/101-102، حمزة الأصفهاني، المرجع;
John Malalas, XVIII, Col. 222-223، جواد علي 3/443، وأنظر: 653;
Cauzsin de Perceval, op. cit., II, P. 70-85.
وقدا.
(2) ابن الأثير 1/416-417، إيليا حاري، المرجع السابق ص 31-32، وكذا تأريخ الأمم الإسلامية P. K. Hitti, op. cit., P. 85.
ابن الأثير 3/113-114، المرجع السابق ص 323، وكذا:
ابن الأثير 1/140-141، الأغاوي 2/68، العبد الفريد 77، نهاية الأدب 244/3، جواد علي 3/444، أ. M. Nasr, P. 350.
G. Olinder, op. cit., P. 68.
وقدا.
(3) جواد علي 3/343، وكذا.
(4) عاقل وآدم قريب من الزمن، ولا يؤلد هذا الأمر إلى يوما هذا، غير أنه يقال له لؤلؤ (صحيح الأخبار)
(5) وأو هو ماء لبني أبان بن دين من روي القرظين، وأوجيل كان يسكنه حجر (ال🎉) 411.
وبابًا ما كان الصواب في موت الحارث الكندي، فضلاً، لا شك فيه أن ذلك المصير النحس الذي تلقه الرجل، ومن أمر من أهل بيتته، إنما كان ضريبة في الصميم وجبت إلى دولة كندة، وسرعان ما دب الشقاق فيها، فانحلت عرها بعد أن قتل أبناء الحارث واحدًا بعد الآخر، وعاد إلى حضرموت من أهل كندة، هؤلاء الذين هاجروا من قبل إلى وسط شبه الجزيرة العربية.

وديو أن المنذر اللخمي لم يرضه ما ناله من بني الحارث الكندي، ولم يفتح بما أبل إليه أمرهم بعد موت أبيهم، إذ تفرق كل منهم، ونشت الرجال بينهم، وتفاقم أمرهم حتى جمع كل واحد منهم لصالحه الجموع، ورحب إليه بالحيويش، وكان المنذر من وراء ذلك كله، حتى أنه وجد إلى سلمة بهدبا ثم دس إلى شريحيل، من قول له: "إن سلامة أكبر منك، وهذه الهدايا تأتي من المنذر"، وما زال المنذر يغرى كل واحد منهم بمحاربة الآخر، حتى نشب الحرب بينهما في يوم عرف بين العرب "يوم الكلاب الأول" أعلن كل فيه من الآخرين عن جائزة متلازمة مائة من الإبل، إن يأتي برأس أخيه، وكان يوماً عصيباً اشتدت فيه الحرب حتى آخر النهاية، وانتهى بقتال "شريحيل".

ويذهب الرواة إلى أن سلمة "سرعان ما أخرجه بنو تغلب من بينهم، فلما بني بكر بن وائل، ثم انضم بنو تغلب إلى المنذر اللخمي، الذي بذل الجهد كل الجهد لطرد سلمة من ديار بني بكر، وإنضموا لسلمة تحت لوائه، إلا أن جهوده ذهبت أدراج الريح، ومن ثم فقد يصمم على غزوهب، بل وذبحهم إذا تفهمهم على قمة جبل أعراه، حتى يبلغ دهم سفح الجبل، وهكذا كان يوم أورة الأول، حيث أقتل الفريقيان قتالًا شديداً، وانتهت المعركة بحسرة.

(1) ابن الأثير 549/1، صبح الأخبار 549/1، العقد الفريد 488/5، تاريخ البجيري 1/4، ابن خليفة 235، ابن خليفة، أيام العرب في الجاهلية 77، تاريخ بلغ الأرب 277، زيدان، المراجع السابق 277-278.
بكر، وأسير يزيد بن شرحيل الكندي، فأمر المنذر بقتله، مع جميع كبير من بكر.

وأما الإبل الثالث، فقد ظل بعد موت أبيه الحارث الكندي ريسًا على قيس عيلان، إلا أن الأحزان كانت قد هددت قواه بعد مقتل أحدهم شرحيل، وحجر، وبعد موت سلمه، فاعترر وسواه هلك به.

وأما رابع الأخوة، حجر بن الحارث، من زوجه وفاطمة بنت سلمة، فقد قتل أول إخوته، وإن كنا قد أخبرنا قصته لنريتها بينها وبين قصة وفاة الشاعر المشهور - مروي القيس - وحجر هذا، هو أكبر أبناء الحارث وأعظمهم جامًا. ومن ثم فقد انتقل إليه عامة ملك كندة، ولم يلي هو السبب في أن بعض البحرين ارتفع أن حجارًا قد قام بغارة على اللحيمين بعد وفاة أبيه الحارث، أما في أن يسرح ما فقده أباه، وأن يعد تقويًا كندة، كما كان على عهد الحارث، إلا أن الحملة لم يكتب لها نصرًا من نجاح.

وعلى أي حال، فقد أثرت كل هذه الأحداث على دولة كندة، فعملت على إضعاف ملكها وتضعير تفوؤدهم، فكانت البداية تمثل في خروج بني أسد على حجر، فانطلقوا عن أداء الإنسانية التي كان قد فرضها عليهم من قبل، ومن ثم فقد خرج عليهم حجر من هامه - حيث كان يقيم على رأس جيش كبير، وما أن وصل إلى ديار بني أسد في جنوب جبل طور (أجا وسلمي)، وعرفا أن اليوم يجيل شمش على جنوب وادي الربامة)، حتى قيل الكثير من أشرافهم، كما أخذ بعضهم - وعلى رأسهم عمرو بن مسعود الأنصاري، والشاعر عبيد بن الأبرص - أسرى إلى.

1) ابن الأثير 555-556، أيام العرب في الجاهلية، ص 99.
2) تاريخ ابن حذافة 274/2، المثير ص 372، عبد العزيز سالم، المرجع الساكن ص 423.
3) G. Olindre, op. cit., P. 76، المفصلات ص 479، جواب على 306/3، وكذا 70، وكذا 76.
4) T. Noldeke, Funf Mo' Allaqat, I, P. 80.

- 617 -
تهامة، مما ترك أثراً سيئاً في نقوس القوم، فعقدوا العزم على الانتقام، وما لبوا أن نقضوا وعيدهم، وقتلوا الرجل (1).

وهناك رواية تذهب إلى أن حجرًا لما علم أنه ميت، كتب وصيته ثم دفعها إلى رجل، أمره أن ينقلها إلى أكبر ولاده (نافع)، فإن بي جذع فلذيذ إلى غيره، وهكذا حتى يصل إلى أصغرهم وهو امرؤ القيس، فإن لم يجع دفع إليه الوصية، وتستطرد الرواية إلى أن الرجل إذا وجد امرأة القيس في حضرموت من أرضاً بين يلب رذ ويشرب الخمر مع بعض رفاقه، فلم دفع إليه الرسالة لم يجع، وإنما سأل الرجل عن أم أمه كله، فلما أخبره بما حدث، إنئى القارئ قائلاً: الخمر والنساء على حرام، حتى أقتل من أي أسد مائة، وأطلق مائة، ثم قال قوله المشهورة:

"غريفي صغيراً، وحملني دمه كبيراً، لاصحو اليوم ولا سكر غد، اليوم خمر، وغذا أمر (2).

وامرأة القيس هذا، هو أصغر أولاد حجر بن الحارث الكندي من زوجه

فاطمة بنت بني الحارث بن زهير التغلبية، وأخت مهايل وكليب بن والد

علي رأي (3)، وتملك بنت عمرو بن زيد بن مذجج، ورث عمرو بن معد بكر،
ونهياً أخر (4)، فإن ذهب البعض إلى أن ذلك إذا كان لهما: وقد سمت

ابن الإثغر/141/50: الإغام/3/36/20/81، تاريخ اليمني/178/317، عزالة الأدب

195/1 وما بدأ، المعبر ص 230، تاريخ ابن خلدون/2، أيام العرب في الجاهلية

ص 112-114، شراء الدين الإسلامي 998، الشعر والشعراء ص 995-999، محمد صالح سكك:

أمير الشعراء في العصر القديم ص 24-25، ونظر: ديوان عبد الآخرب/138-139.


(2) ابن الأثير/1/168-169، نهاية الأرث/3/27، ياقوت/3، الإخاغ/9/168-169 (دار

المصرية)، أيام العرب في الجاهلية ص 115-116، البكري/2/77، سادة: صناعة

الصر ص 85.

(3) الإغام/8/176، ابن الأثير/168، الشعر والشعراء ص 77، تاريخ اليمني/178/3.

El, II, P. 477.

G. Ollander, op. cit., P. 95.

(4) الإغام/8/118، إلذا.
العرب ناهمها «ملك» (1) وبعرف امرؤ الفيس بالملك الضليل، وثدى التروح (2).

ويتجه بعض الباحثين إلى أنه قد ولد في حوالي عام 500م (3) وترى في أن ترقب أثناء عودته من القسطنطينية، فيما بين عامي 530 540م (4) وإذ ذهب البعض إلى أنه توفي في عام 656م (5).

وقد اختلف الباحثون في معتقد أطراف الفيس الدينى، فذهب البعض إلى أنه إذا كان وثنيا، شأنه في ذلك شأن معظم الجاهليين، كما كان يقسم بالقادة جرياً، على عادة الوثنيين، فضلاً عن أنه اسمه «امرأ الفيس»، كما يعني «مولى فيس»، وهو صنم جاهلي، ولكن النظرة إما تعبى كذلك، الشدة والبأس، ومن ثم فالتماسية، وليست دينية (6)، وذهب فريق آخر إلى أنه إذا كان يعتنق المزدكية، لدليل إفشاء على اللذات بطريقة تشبه أنصار المزدك، وأن جده الحارث كان كذلك - كما أشارنا من قبل - غير أن خلق الفيش العربي واكتشافه فضلاً عن ذبحه بالصيد والقصص، ونذره بقتل مائة من بني أم سيد، قد يعرض مع اعتناق المزدكية التي تحرم تلك الأمور، وإن كان هذا لا يمنع من القول بأنها قد أثرت فيه، وخاصةً في جانب الإباحة والتمثيل في طبل اللذة (7).

هذا إلى أن هناك من يرى أن الفيش الكبير إذا كان نصرانياً، اعتمداً على خلو شعره من الشرك إلى حد كبير، وإقراره بالوحدانية، وذكره لأمور كثيرة.

---

(1) عمر فروخ: تاريخ الجاهلية ص 92.
(2) ابن كثير: البديعة والنهائية3/195، الأغاني 6/8، الشعر والشعراء ص 50، خريطة الأدب.
(3) للمبداء 3/195، المدة لاين رقيق 41/42، 43، 44، وانظر: محمد فريد أبو حديد.
(4) الملك الضليل، القاهرة 1944، وكذا G. Olinder, op. cit., P. 95.
(5) G. Olinder, op. cit., P. 95.
(7) صحيح الأخبار 16/2.
(8) ليليا حاري: أمير الفيس ص 22-23، رفيق خوري: أمير الفيس، بيروت 1934 ص 27-38.
(9) ليليا حاري: المرجع السابق ص 22-23، رفيق خوري: المرجع السابق ص 38.
خاصة بالتصاريح، وانتشار النصرانية في كندة، ثم طلبه العون من القيصر النصراني،
وأخيراً نصرانية أمه فاطمة أخت المهلهل، غير أن الإقرار بالوحدة لا يعني اعتناق
النصرانية، فقد يكون الرجل يهودياً، كما أن نصرانية أمه لا تستدعي بالضرورة
نصرانة هير، وأما إنجازه للقيصر النصراني فإن أنه الباب الوحيد المفتوح أمامه،
بعد أن سدت في وجهه كل سبيل العون من الأكاسرة، فضلاً عن أعدائه أمراء
الحيرة.

وعلى أي حال، فإن الروايات العربية تذهب إلى أن حجر قد طرد وله
امرأة القيصر، وأصر على أن لا يقيم معه، بل أغلق من قوله الشعر، على غير عادة أبناء
المملكة، فضلاً عن التخلي بالناس غزلاً، ربما كان غير بريء في كثيراً من الأحيان،
بل إن البعض قد ذهب إلى أن الأمر قد وصل بامرئي القيصر إلى أن يتعزل بمرأة
من نساء أبيه، وهكذا أخذ امرء القيصر يسير في أحياء العرب، ومعه أخلاط من
شذاذ العرب، يشرب الخمر على الغدريان، ويتعزل في الناء، وظل كذلك حتى
ناء خير مقتل أبيه، فأقام ألا يأكل حماً، ولا يشرب خمراً، ولا يذهب بدهن،
ولا يصيب امرأة، ولا يفيض رأسه من جناية حتى يدرك ثاره.

على أن هناك من يرى أنه ليس في التاريخ الثاني ما يدل على أن أباه قد طرده
له، ولا أنه كان يوم مقتل أبيه يشرب الخمر في دموعه، وإنما كان مع
سرته وأعماله في المعركة التي قتل فيها أبوه، ثم فر منها معهم، حتى عيشه بذلك
شاعر بني أمية عبد الأبواس.

(1) لويس شيخر: شعراء النصرانية 1921-221، إليان حاري: المرجع السابق ص 76-27.
(2) ابن الأثير 1/191-201، الشعر والشعراء، لابن قتيبة 1/21-25، الآغا، 82، المدح
(3) 1941-1944، إليان حاري: المرجع السابق ص 82-23، معجم الشعراء النصراني ص 9، وكا
ولن Olinder, op. cit. P. 96
Gunner Olinder, The Kings of Kindah, of the Family of Akil al-Mirar, Lund, P. 96. 1927,
وآيا ما كان الأمر، فقد جد أمرٍ في القيس في أن يأخذ يأباه - بعد أن فشل أعمله وإيجاده في ذلك - ومن ثم فقد نزل بكر وعلى، وسأل النصر على أبي عثمان، وحين أجا له القوم إلى سؤاله، بث العرب على أبي عثمان، فلم أن تكن قد أنها إلى بني كنانة، ومن ثم فقد بدأ هجومه على بني كنانة - وهو يتهمهم بني أسد - إلا أن القوم سرعان ما أخبروه أن بني أسد قد ساروا بالأرض، وأسرع إليهم حتى إذا ما أدكهم أنزل بهم هزيزة قاسية، أدرك بها تأره، ومن ثم فقد أتى بكر وغلب أن تستمر في القتال بعد ذلك (1).

كان من المتمترط أن يستنجد أمرٍ في القيس بملوك اليمن من حمير، ولكن نعلم أن ملك اليمن إذا كان وقت ذلك بيد الأخباج، ولم يكن للحجة - ولا للروم من ورائهم - مصلحة في مساعدة أمرٍ في القيس على الطلب بثار أبيه، لأن المستعمر لا يأمل أن يهديه إلا إذا كانوا أفوقه، لأنه يريد ليدافع عنهم (2)، وهكذا اضطر أمرٍ في القيس إلى أن يطلب بقيّة العرب يستنصرها على قتلة أبيه، فمنهم من كان يقف إلى جانبه، ومنهم من كان يرفض مساعدته خشية بني أسد، وخوفاً من إغضاب المناذرة والقرص (3)، بحاصفة وأن المندرب بن مالك السماه كان يسعى للإيذاء بأمرٍ في القيس، الأمر الذي لم يكن له طاقة، وكنما القبائل التي كان يرجو مساعدتها (4).

أخيراً، قرر أمرٍ في القيس أن يذهب إلى الفسطاطية ليستنجد بملك الروم، وقد دفعته حاجته إلى المال إلى أن يذهب إلى تيماء، وأن يهن سلاحيه ودروعه عن السموال،

(1) تاريغ ابن خلدون 2/ 116-120، 182، نهاية الأرب 26/1120
(2) تاريغ ابن خلدون 2/ 121، 183
(3) تاريغ ابن خلدون 2/ 122، 182
(4) تاريغ ابن خلدون 2/ 123، 182

٦٧١
أو أنه إذا تركوا هناك وديعة عند الشاعر اليهودي (1)، الذي كتب له كتابًا إلى الحارث بن أي شمر الغزائي، يطلب إليه فه أي أن يتوضئ الشاعر كندة عند الإمبراطور الروماني، ليستعده على الإنتقام من قتلة أبيه، وخاصة وأن ملوك الخيرة، وهم عمال الفرس، أعداء الروم، قد مدوا لهم بيد الموح (2).

ويصل أمرؤ القيس إلى القسطنطينية، ويستقبله الإمبراطور، جستينيان، (3)

(575-650م) استقبالًا حسنًا، وإن لم يقدم له المساعدة المطلوبة، فالنودة اللي طلبها أمرؤ القيس كبيرة جداً، ولجيش الروم لم يكن مستعدًا للقتال في الصحراء، ثم إن النية التي جاء من أجلها أمرؤ القيس، وهي القصد بدار رجل واحد، وكانت بعيدة عن سياسة الروم ومالوفهم، فضلاً عن أن الإمبراطورية الرومانية كانت مهيئة بهجمات البرابرة، ومن ثم فالإمبراطور في حاجة إلى الدفاع عن إمبراطوريته نفسها (3).

وذلك روابة تذهب إلى أن الإمبراطور جستينيان قد أكرم أمرؤ القيس، وأصبحت للشاعر الكندي منزلة رفيعة عنه، وأنه كان يدخل معه الحمام، وأن أمرؤ القيس قد أحب ابنه القيس، وأنه كان يأتيه وتأتيه، فبلغ ذلك بني أسد، فأرسلوا رجلاً منهم يدعى (الطماح)، وصل في وقت سرير فيه القيس مع إمرأة القيس جيشًا كثيرًا، وهنا أعلم الطماح القيس بقصة ابنته مع إمرأة القيس، وأن الأخير قد

(1) بنكية الفدائى، (3) تاريخ الإمبراطور الروماني جستينيان، (4) التاريخ الإسلامي، (5) التأريخ العربي، (6) التاريخ المجري، (7) التاريخ الإسباني، (8) التاريخ الإسباني.

(2) التأريخ، (3) التأريخ، (4) التأريخ، (5) التأريخ.

(3) التأريخ، (4) التأريخ، (5) التأريخ، (6) التأريخ.

٩٤٢ -
قال فيها أشعاراً أشهرها بها في العرب، فبعث القيس إلى مرثى القيس بحلة مسمومة، ما أن لبساً مرثى القيس حتى أسرع فيه السم وسقط جانده، ولذلك سمي ذو الفروج ثم مات في آخرته، حيث ذهب جبريل قرش امرأة من بنت الملك، في سفح جبل يقال له عصيب. يربط الدكتور عمر فروج على غضبة القيس بسبب اتصال أمراء القيس بابته، ويرى أن تلك رواية إسلامية متفرقة، وأن الحياة في البلاط الرومي مختلفة لما استنجد المؤرخ المسلم، وأن الصلات الجنسية هناك أمرًا مألوفًا، حتى أن القاصرة كانوا يحلون ويزولون في مبادئ سباق الخيل، وفي مخادع النساء، والرأي عندي أن تفسير الأمور بهذه البساطة وتوجيه التهم للأخرين أمر غير مقبول في البحث العلمي، فإن القيس ما أظن أنه كان على هذا المستوى الثقافي الذي ذهب إليه الدكتور فروج، فإذا أضفنا إلى ذلك أنه هو نفسه يرى أن الغساسنة - وهم أقوى بكثير من أمراء القيس وأهم منه بالنسبة للرومان - لم يكونوا إلا جياب ضرائب للروم من العرب، فضلاً عن أن أمراء القيس في ظروفه التي قدم من أهلها إلى الفسطاطية، لا يبدو أن يكون مستجيبًا بالقبيصر يطلب عونه في الأخذ بثأره، وفي أحسن الأحوال لاسترجاع ملكه، ليكون بعد ذلك صينة للروم، وفي كل ذلك ليس هناك ما يدعو القبيصر لغض النظر عن فعلته هذه، إن كانت قد حددته، وهذا ما نشأ فيه، لأننا لا نملك دليلاً واحداً على حدوثها، غير الروايات العربية، وما أكثر ما في هذه الروايات من جنوح إلى الخيال، حتى لو كان هذا الخيال يتماشى مع الشرف، كما في رواياتهم عن عمرو بن جديس، والفيضان في 

(1) ابن الأثير: الأشراق 519، الآغاخ 146/8، الآغاخ 61-63، آيات المبر
(3) عمر فروج: تاريخ الجاهلية 94.
(4) نفسه المراجع السابق 68.
ابن الأثير (1)، وابن عم بلييس في سياق (2)، وخلفجية أيام ذي نواس (3)، وعودة مولى أبها الحنبلي (4)، وغير ذلك من الروايات الخليفة، والتي تعد رواية إبنة القمر وامرأة فتى، هيئة بسيطة بالنسبة إليها.

أضاف إلى ذلك أن هناك رواية أخرى تذهب إلى أن الأطمح الأدائي قد اتصل بجماعة من رجال القصر بعد خروج امرئقيق مع الجيش الذي أعطاه به القصر ليأخذ بثأره، وطلب منهم أن يبلغوا القيصر: "إن العرب قوم شد، ولا تأمن أن ينظر امرئقيق بما يريد، فثم يغزوكم من بعد معه" (5)، كما أن الحلة المسمومة التي زعم الرواة أنها كانت سبب وفاة امرئقيق، يشيرها أن هناك رواية أخرى تزعم أن كان مصاباً بداء قدام كان مستكل، ثم انتقاف هاج في ديار الروم، ومن ثم فإنه ينسبون إلى امرئقيق أنه قال: "تأويني داني القديم فغفلت"، وأن الدكتور فروخ نفسه، إذا يفترض أنه مات بالجدري في آخره زمن الشاه الفارسي (6).

وأيما ما كان الأمر، فقد مات امرئقيق، وانتقل آخر أمل في استعادة بني آكل المرار لمكهم في كندة، وأسرع الخثار بن أبي شمر الغزالي، خال رواية، والخارث بن نحاس على رواية أخرى، وأذكر من المدارك ملكهيرة إلى السهام بن عاديا في حصنه الألباق في تيماء، وطالبه بدرع امرئقيق، وما ترك عندنا من ودائع، غير أن السؤال أبي الفشيط في دروع الشعر الكندي وودائعه، ومن ثم:

(1) ابن الأثير 567/1- 658/2، السهود: رواية الولاية 126-125، ابن عثمان 287-286، 285.
(2) ياقوت 84- 87، الدرر الكبيرة: 272، الإشتهاد: 270.
(3) تاريخ الخمسين: 276، ابن الأثير 234/1، ابن الأثير 235.
(4) ابن حمATTRIBUTE 31-32، ابن الأثير 449-450، تاريخ العباسي: 8-8، 1189.
(5) تاربخ العباسي: 129-130، ابن الأثير 432، 433.
(7) عمر فروخ: تاريخ الجاهلية: 91.
فقد ذهب ابنه أمام عينيه، على أن هناك من يشك في نسب السمان أولًا، وفي صحة قصته مع أمراء القيس ثانياً، وبرى هوجو فونكر أن قصة الوقاف هذه أسطورة استمدت مادتها من سفر صموئيل الأول، ومن الأساطير العربية التي تحدثت عن الوقاف.

وهما انتهت أول محاولة في داخل بلاد العرب لتوطيد مجموعة من القبائل حول سلطة مركزية واحدة، لما زعم واحد، الأمر الذي لم ينجح إلا على يد مولانا وسيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وبصورة منقحة التفسير، ثم سرعان ما عادت عشائر كندة إلى الجنوب، حيث ساد منهم قيس بن معد يكرب ثم ابنه الأشعث، الذي وفد إلى المصطفى - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - في سنتين أو سبعين من أشراف كندة، فأسلموا على يديه الشريفين في المدينة المنورة، وعلى أي حال، فقد تكونت بعد نهاية دولة بني آ畦 المرار، إمارة كندة في حضرموت، فضلاً عن إمارات أخرى حكمها أمراء صفار، لا تتجاوز سلطة الواحد منهم مدينة أو وادياً، وأشهرها تلك التي كانت في دومة الجندل والبحران وجمان.

وغير ذى كندة.

ابن الأثير 519/1، تاريخ ابن خلدون 272/5، الأغاذي 199/19، نهاية الأرب 137/1، ياقوت الحموي: مجمع البلدان 344/3، نوكيا: أرشاد فشن د 242، محمد بن سلام البسيعي: المراجع السابق ص 245، سعد زلفول: المراجع السابق ص 237، جواب على 379-378، المعبر ص 244، ديوان الأغلى ص 126، وهذا الأغاذي 98/19، الاشتقاق ص 259، جواب على 378، 379، H. Winckler, Arabisch-Semitisch Orientalisch, in MVAG, 1901, P. 112.

يذهب ابن خلدون إلى أن الأشب قد اتولد في عهد أبي بكر، غير أنه قد زعم بعد ذلك، ثم جibe به إلى الدكتورين، في الخليفة على وزوجه أخته وخرج من نسله بنو الأشعث الذين حكموا في الدولة الأموية (تاريخ ابن خلدون 272/2).

حجاب على 378/3، المعبر ص 370، جرجي زيدان: المراجع السابق ص 238، S. K. Hitti, op. cit., P. 86.
المراجع المختارة

أولاً: المراجع العربية

1. القرآن الكريم.
2. صحيح البخاري.
3. صحيح مسلم.
4. التوراة.
5. ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن علي الشياشي) : الكامل في التاريخ (الجزء الأول والثاني) - بيروت 1955.
8. ابن النديم (أبو الفرج محمد بن إسحاق) : كتاب الفهرست - القاهرة 1348.
9. ابن بلهيد (محمد بن عبد الله) : صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار (خمسة أجزاء) - القاهرة 1951-1953.
10. ابن تيمية (أحمد بن عبد الحليم) : مقدمة في أصول الفسير - دمشق 1936.
11 - ابن تيمية (أحمد بن عبد الحليم) : مجموع فتاوي ابن تيمية (الجزء
من 1 إلى 1381) - الرياض 1381-1383.
12 - ابن حبيب (أبو حجار محمد بن أمية بن عمر الفهري) : كتاب المجرد
- حيدر أباد الدكن 1942.
13 - ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي) : فتح الباري بشرح صحيح البخاري
القاهرة 1380.
14 - ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي) : الإجابة في كتب الصحابة - القاهرة
1949.
15 - ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد) : جمهور أساطير العرب - القاهرة
1962.
16 - ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) : مقدمة ابن خلدون - القاهرة
1957.
17 - ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) : تاريخ ابن خلدون - بيروت
1971.
18 - ابن دريد (أبي بكير محمد بن أحمد) : الأشتقاق - القاهرة
1958.
19 - ابن رسته (أبي علي أحمد بن عمر) : الأعلام الفنية - ليدن
1892.
20 - ابن سعد (أبو عبدالله محمد بن سعد بن معيز الزهري) : الطبقات الكبرى
- الجزء الأول - القاهرة 1968.
21 - ابن عبد ربه (أبي عمر أحمد بن محمد الأندلس) : العقد الفريد -
القاهرة 1953.
22 - ابن قتيبة (أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري) : المعارف - القاهرة
1934.
23 - ابن قتيبة (أبو محمد عبدالله بن مسلم) : عيون الأخبار (4 أجزاء) - القاهرة 1963.
24 - ابن قتيبة (أبو محمد عبدالله بن مسلم) : الشعر والشعراء (جزءان) - بيروت 1964.
25 - ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء اسماعيل) : البداية والنهاية في التاريخ (الجزء 1-4) - بيروت 1966.
26 - ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء اسماعيل) : قصص الأنباء (جزءان) - القاهرة 1968.
29 - ابن هشام (أبو محمد عبد الملك بن أبي بكر الحميري) : سيرة النبي صلى الله عليه وسلم - القاهرة 1955.
30 - أبو الفداء (الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل) : المختصر في أخبار البشر - الجزء الأول - القاهرة 1325 ه.
34 - أحمد أمين : فجر الإسلام - بيروت 1959.
35 - أحمد بن عبد الحميد العباسي : عامة الأخبار في مدينة المختار - القاهرة.


الدكتور إسرائيل ولفسون: تاريخ اليهود في بلاد العرب – القاهرة 1927.

الدكتور إسرائيل ولفسون: تاريخ اللغات السامية – القاهرة 1929.


الأصفهاني (حمرزة بن الحسن): تاريخ ستي ملوك الأرض والأئمة – برلين 1345 هـ.


اللولي (السيد محمود شكري): بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب (3 أجزاء) – القاهرة 1924-1925.

اللولي (أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والبع المائي – القاهرة.


البلاذري (أحمد بن يحيى): فتوح البلدان (3 أجزاء) – القاهرة 1957.

52 - البيضاوي (ناصر الدين أبو الخير عبدالله بن عمر): أنوار التنزيل وأسوار التأويل (جزءان) - القاهرة 1968.


54 - الباحظ (أبو عثمان عمر بن بحر): البيان والبيان - القاهرة 1948.


59 - الزريدي (أبو الفقيض مرتضى بن محمد): تاج العروس - الكويت.


61 - الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله): البرهان في علوم القرآن - القاهرة 1957.


64 - السمهودي (نور الدين علي): وفاء الروا بأخبار دار المصطفى (جزءان) - القاهرة 1322 هـ.


68 - السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر): المزهر في علوم اللغة - القاهرة 1942.

69 - السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر): الإنسان في علوم القرآن (جزءان) - القاهرة 1278 هـ.

70 - السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر): الدور المثير في التفسير بالأنواء - طهران 1377 هـ.


75 - القادسي (أبو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد): شفاء القرام بأخبار البلد - القاهرة 1956.
71. الفاسي (أبو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد) : العقد الدين في تاريخ البلد الأمين - الجزء الأول - القاهرة 1959.

77. الفخر الزرازي : (أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشي) التفسير الكبير - القاهرة.

78. الفيروز أبادي : (محمد بن يعقوب) القاموس المحيط - القاهرة 1955.


80. القاضئيدي (أبو العباس أحمد بن علي) : صبح الأعشى في صناعة الإنشا (14 جزاء) - القاهرة 1913-1914.

81. القاضئيدي (أبو العباس أحمد بن علي) : نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب - القاهرة 1959.

82. المصريدي (أبو الحسن علي بن الحسين) : التنبيه والإشراف - القاهرة 1968.

83. المصريدي (أبو الحسن علي بن الحسين) : أخبار الزمان - بيروت 1966.

84. المصريدي (أبو الحسن علي بن الحسين) : مروج الذهب ومعادن الجهرز (الجزء الأول والثاني) - بيروت 1973.

85. الفضل بن محمد الضبفي : المفضيات - دار المعارف - القاهرة 1952.

86. المقدسي (القطر بن طاهر) : كتاب البلدة والتأريخ - الجزء الثالث والرابع - باريس 1903-1907.

87. المبداني (أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد) : مجمع الأمثال (جزءان) - القاهرة 1955.

88. النوري (شاته الدين أحمد بن عبد الوهاب) : نهاية الأرب في فنون الأدب (14 جزءا) - القاهرة 1943.
89 - محمداني (أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب) : الكامل - الجزء الأول - تحقيق محمد بن علي الأكوين - القاهرة 1963.


91 - محمداني (أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب) : الكامل - الجزء الثامن - نشرة نيب فارس - بغداد 1949.

92 - محمداني (أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب) : الكامل - الجزء العاشر - نشرة محب الدين الخطيب - القاهرة 1328 هـ.

93 - محمداني (أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب) : صفة جزيرة العرب - تحقيق محمد بن علي الأكوين - الرياض 1974.

94 - يعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر) : تاريخ اليعقوبي - الجزء الأول والثاني - بيروت 1940.


99 - الدندور جمال حمداً : أنماط من البيئات - القاهرة.

100 - الدكتور جراد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (عشرة أجزاء) - بيروت 1968-1971.

101 - حاجي خليفة (مصولي بن عبدالله) : كشف الزنون عن أسامي الكتب والفنون - إسطنبول 1321 هـ.
171 - حافظ وهبة: جزيرة العرب في القرن العشرين - القاهرة 1946.
177 - الدكتور خليل يحيى نامي: نشر نقوش سامية قديمة من جنوب بلاد العرب وشرحها - القاهرة 1943.
183 - رفيق حوري: امرؤ القيس - بيروت 1934.
123 - الدكتور طه حسين: في الأدب الجاهلي - القاهرة 1933.
131 - عبد الرحمن البرقوقي: شرح ديوان حسان بن ثابت - القاهرة 1929.


125 - عبد الرحيم فوده: من معاني القرآن - القاهرة.


146 - الدكتور عمرو فروخ: تاريخ الجاهلية - بيروت 1964.
147 - قؤاد حمزة: قلب جزيرة العرب - الرياض.
148 - الأب لويس شيخو: شعراء النصرانية - الجزء الأول - بيروت 1890.
149 - الأب لويس شيخو: النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية - بيروت 1933.
150 - الدكتور محمد أبو المحاسن عضور: معلق تاريخ الشرق الأدنى القديم - الإسكندرية 1968.
152 - محمد أحمد جاد الملوي: أيام العرب في الجاهلية - القاهرة 1942.
155 - الإمام محمد بن عبد الرحيم: مختصر زاد المعاد - بيروت 1391 ه.
156 - محمد الخضري: تاريخ الأمم الإسلامية - الجزء الأول - القاهرة 1376 ه.
158 - الدكتور محمد سامي مهران: التوراة (1) - مجلة الاستقلال، العدد 66 - الإسكندرية 1970.
159 - الدكتور محمد سامي مهران: التوراة (2) - مجلة الاستقلال، العدد 64 - الإسكندرية 1970.
121 - الدكتور محمد بويمي مهران: التلمود - مجلة الأسطول، العدد 70 - الإسكندرية 1972.
127 - الدكتور محمد بويمي مهران: دراسات في التاريخ الفرنسي - الجزء الأول - في بلاد العرب - (تحت الطبع - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية).
174 - محمد لبيب البنيوي: أرحلة الحجازية - القاهرة 1329 هـ.
175 - محمد مبروك نافع: تاريخ العرب - عصر ما قبل الإسلام - القاهرة 1952.
- نزيه مؤيد العظم : رحلة في بلاد العرب السعيدة (جزءان) - القاهرة 1938.
- وهب بن منبه : كتاب التيجان في ملوك حمير - حيدر أباد الدكن 1347 هـ.
- ياقوت الحموي ( شهاب الدين أبو عبد الله ) : معجم البلدان ( خمسة أجزاء ) - بيروت 1950-1957.
- مقدمتان في علوم القرآن - صبحي وشحير آثر جفري - القاهرة 1954.
ثانياً: المراجع المترجمة إلى اللغة العربية


196 - أرنولد ويلسون: الخليج العربي، ترجمة الدكتور عبد القادر يوسف - الكويت.


199 - أ. ي. فنسكل: مفتاح كنوز السنة، ترجمة محمد فؤاد عبد الباقى - القاهرة 1934.


201 - تيودور نولدت: أمهات غسان من آلان جفنة، ترجمة قسطنطين زريق - بيروت 1933.


--- 143 ---


208 - ميتشو موسكاتي: الحضارات السامية القديمة، ترجمة وزاد عليه الدكتور السيد يعقوب بكر - القاهرة 1968.


211 - لويس أميل ماسي: تاريخ العرب العام، ترجمة عادل زعيتر - القاهرة 1948.


216 - يوسفيوس: تاريخ يوسفيوس - دار صادر - بيروت.

217 - دائرة المعارف الإسلامية - دار الشاعر - القاهرة 1969 -
218 — Abbot (Nabia), The Rise of the North Arabic Scripts., Chicago, 1939.
219 — Abbot (Nabia), Pre-Islamic Arab Queens, AJSL, 58, 1941.
221 — Albright, (W.F.), The Chaldaean Inscriptions in Proto-Arabic Script, in BASOR, 128, 1952,
224 — Albright, (W.F.), From the Stone Age to the Christianity, N.Y., 1957.
227 — Amer, (M.), The Ancient Trans-Peninsular Routes of Arabia, Cairo, 1926.
228 — Anati, (E.), Ancient Rock-Drawings in the Central Negev, PEQ, April, 1955.
229 — Barton, (G.A.), The Royal Inscriptions of Sumer and Akkad, New Haven, 1924.


237 — Beek (G.W. Van), Recovering the Ancient Civilization Arabia, 1952.


240 — Bent (T.) and Mrs Bent, Southern Arabia, Sudan and Socotra, London, 1900.


244 — Branden (A. Van den), Une Inscriptions Thamoudeens, Le Museon, LXIII, 1950.


251 — Bury (J.B.), A History of the Eastern Roman Empire, The Fall of Irene to the Accession of Basil, I (802-867), London, 1912.


253 — Buxton, (L.H.D.), The People of Asia, London, 1925.


260 — Caskel (W.), Lihyan und Lihyanisch, Köln, 1954.


263 — Cornwall (P.B.), Ancient Arabia, Explorations in Hasa, 1940-1941.

264 — Cornwall (P.B.), on the Location of Dilmun, in BOAS, 103, 1946.

265 — Cornwall (P.B.), Ancient Arabia, in GJ, CVII, 1946.


269 — Dhrome (E.), Palmyra dans les Textes Assyriens, RB, 1924.


271 — Dougherty (R.P.), Nabonidus and Belshazzar, New Haven, 1929.


273 — Dozy (R.), Die Israeliten Zu Mekka, 1864.


281 — Field (H.), Ancient and Modern Man in Southwestern Asia, Coral Gables, 1956.
282 — Field (H.), Racial Types from South Arabia, 1936.
284 — Finegan (J.), Light from the Ancient Past, The Archaeological Background from Judaism and Christianity, I, Princeton, 1969.
285 — Forster (C.), The Historical Geography of Arabia, 2 Vols. London.
288 — Ganneau (C.), Les Nabatiens en Egypte, 1924.
291 — Glob (P.V.), Archaeological Investigation in Four Arab States, 1959.
292 — Gibbon (E.), The Decline and Fall of the Roman Empire, London, 1950.
293 — Glueck (N.), The Other Side of the Jordan, New Haven, 1945.
301 — Grohman (A.), Arabien, Munchen, 1963.
304 — Hastings (J.), Dictionary of the Bible, Edinburgh, 1936.
305 — Hastings (J.), Encyclopaedia of Religion and Ethics, Edinburgh, 1908-1921.
308 — Hamilton (R.A.B.), Archaeological Sites in the Western Aden Protectorate, GJ, 101, 1943.
337 — Hommel (F.), Explorations in Arabia, Philadelphia, 1902.
316 — Hornell (J.), Sea-Trade in Early Times, in Antiquity, 15, 1941.
317 — Horovity (J.), Judaeo-Arabic Relations in Pre-Islames Times, IC, III, 1929.
318 — Huber (C.), Voyage dans L'Arabie Centrale, Paris, 1885.
319 — Hunt (G.), Himyaric Inscriptions of Hisn Ghurab, 1848.
320 — Huart (C.), Une Nouvelle Source du Koran, Paris, 1904.
322 — Huzayyin (S.A.), Arabia and the Far East, Cairo, 1947.
324 — Jamme (A.), A New Chronology of the Qasimian Kingdom, BASOR, 120, 1950.
327 — Jamme (A.), A New Sabean Inscription from South Arabia, 1968.
328 — Jamme (A.), Sabean Inscriptions from Mahram Bilqis (Marib), Baltimore, 1961.
334 — Kappers (C.U.A.), An Introduction to the Anthropology of the Near East in Ancient and Recent Times, Amsterdarn, 1934.
336 — Keller (W.), The Bible As History (Hodder and Stoughton), 1967.
338 — Kensdale (E.N.), Three Thamudic Inscriptions from the Nile Delta, le Museon, 65, 1952.
341 — Levi Della Vida, Pre-Islamic Arabia, Princeton, 1944.
342 — Littmann (E.), Nabataen Inscriptions from the Southern Hauran, 1914.
343 — Littmann (E.), Nabataen Inscriptions from Egypt, BSOAS, 1953.
344 — Littmann (E.), Safitic Inscriptions, Leyden, 1943.
345 — Littmann (E.), Thamud and Safa, Leipzig, 1940.
347 — Luckenbill (D.D.), Ancient Records of Assyria and Babylonia, Chicago, 1927.
348 — Malamat (A.) The Last Wars of the Kingdom of Judah, JNES, 9, 1950.
349 — Margoliouth (D.S.), The Origins of Arabic Poetry, JRAS, 1925.
650 — Margoliouth (D.S.), Lectures on Arabic Historians, Calcutta, 1930.
353 — Moberg (A.), The Book of the Himyarites, Lund, 1924.
354 — Monroe (E.), Arabia, From Incense to Oil, in Addarah, Riyadh, 1976.
356 — Montgomery (J.A.), Arabia and the Bible, Philadelphia, 1934.
357 — Moritz (B.), Arabien, Hanover, 1923.
358 — Moscati (S.), The Semites in Ancient History, Cardiff, 1939.
360 — Moss (G.), Jews and Judaism in Palmyra, PEFQ, 60, 1928.
361 — Muelen (Van der) and Wissmann (Hermann Von), Hadramaut, Some of its Mysteries Unveiled, Leiden, 1964.
362 — Musil (A.), The Northern Hegas N.Y., 1926.
363 — Musil (A.), The Middle Euphrates, N.Y., 1927.
364 — Musil (A.), The Northern Nejd, N.Y., 1928.
365 — Musil (A.), Palmyrena, N.Y., 1928.
368 — Niebuhr (C.), Description de l’Arabie, Paris, 1779.
369 — Nöldeke (D.), Semitic Languages, EB, 24, 1911.
373 — Olmstead (A.T.), A History of Assyria, Chicago, 1933.
374 — Olinder (G.), The Kings of Kindah, of the Family of Akl al-Mirar, Lund, 1927.
375 — Oppenheim (A.L.), Babylonian and Assyrian Historical Texts, ANET, 1966.
376 — Palgrave (W.G.), Observation Made in Centeral, Eastern and Southern Arabia, JRGs, 34, 1864.
378 — Parr (P.J.), and Others, Preliminary Survey in N.W. Arabia, 1968.
379 — Parr (L.W.), An Introduction to the Anthropology of the Near East, Amsterdam, 1934.
381 — Philby (J.B.), The Empty Quarter, N.Y., 1933.
382 — Philby (J.B.), Arabian Highlands, N.Y., 1952.
383 — Philby (J.B.), The Land of Midian, MEJ, 9, 1955.
384 — Philby (J.B.), Sheba’s Daughters, London, 1939.
385 — Philby (J.B.), The Last Ruins of Quraiya, GJ, CXVII, 1951.
386 — Philby (J.B.), The Land of Sheba, GJ, 92, 1938.
388 — Philby (J.B.), Three New Inscriptions from Hadhramaut, JAS, 1954.
389 — Philby (J.B.), South Arabian Chronology, le Museon, LXII, 1949.
393 — Pirenne (J.), La Gréce et Saba, Paris, 1955.
693 — Pirenne (J.), le Royaume Sud-Arabe des Qataban et sa Datation, Louvain, 1961.


398 — Rice (D.T.), The Oxford Excavation at Hira, in Al-J.


401 — Ryckmans (G.), Inscriptions Sud-Arabes, le Museon, XII, 1942.

402 — Ryckmans (G.), Publication of the Inscriptions, III, 1951.

403 — Ryckmans (G.), on Some Problems of South Arabian Epigraphy, BSOAS, 1952.


408 — Sedilbot (L.B.), Histoire Generale des Arabs, Paris, 1877.

409 — Smith (S.), Events in Arabia in the 6th Century A.D., BSOAS, 1954.


413 — Shahid (I.), Pre-Islamic Arabia, in CHI, I, Cambridge, 1970.

414 — Sprenger (A.), Das Leben und die Lehre des Mohammed. Berlin, 1861.


446 — Stark (R.F.), An Exploration in the Hadhramaut and Journey to Coast, in GJ, XCIII, 1939.

447 — Starcky (J.), The Nabataeans, A Historical Sketch, BA, 18, 1955.


419 — Tarn (W.W.), Ptolemy II and Arabia, JEA, 15, 1929.


421 — Thomas (Betram), Arabia Felix, Across the Empty Quarter of Arabia, N.Y., 1932.

422 — Thompson (G. Caton), Climate, Irrigation and Early Man in the Hadhramaut, GJ, 93, 1939.


458 — Watt (W.M.), Muhammad at Mecca, Oxford, 1953.
429 — Wellhausen (J.), Reste Arabischen Heidentums, Berlin, 1927.
431 — Winckler (H.), Musri, Meluhha, Main, MVG, I, Berlin, 1898.
432 — Winnett (F.V.) and Reed (W.), Ancient Records from North Arabia, Toronto, 1970.
434 — Winnett (F.V.), Notes on the Lihiyanite and Thamudic Inscriptions, le Museon, 51, 1938.
435 — Wissmann (H. Von) and Hofner (M.), Beiträge Zur historischen Geographie des Vorislamischen Südarabien, Wiesbaden, 1953.
436 — Wright (E.), The Bible and the Ancient Near East, N.Y., 1965.
437 — Wright (E.), An Account of Palmyra and Zenobia with Travels and Adventures in Bashan and Desert, 1896.
439 — Encyclopaedia Biblica.
440 — Encyclopaedia Britannica
441 — Encyclopaedia of Religion and Ethics.
442 — Encyclopaedia of Islam.
443 — The Jewish Encyclopaedia.
Abbreviations

ADAJ Annals of the Department of Antiquities of Jordan.
AJA American Journal of Archaeology.
AJSL American Journal of Semitic Languages and Literatures
AFSM The American Foundation for the Study of Man.
ANET Ancient Near Eastern Texts.
BA The Biblical Archaeologist.
BASOR Bulletin of the American Schools of Oriental Research.
BIFAO Bulletin de l'Institut Français d'Archeologie Orientale du Caire.
CAH The Cambridge Ancient History.
CHI The Cambridge History of Islam.
DB Dictionary of the Bible.
CIS Corpus Inscriptionum Semiticarum.
DI Dictionary of Islam.
EB Encyclopaedia Biblica.
EI Encyclopaedia of Islam.
ERE Encyclopaedia of Religion and Ethics.
GJ Geographical Journal.
IC Islamic Culture
JA Journal Asiatique.
JARCE Journal of the American Research Center in Egypt.
JBR Journal of Bible and Religion.
JE The Jewish Encyclopaedia.
<table>
<thead>
<tr>
<th>JEA</th>
<th>The Journal of Egyptian Archaeology.</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>JESHO</td>
<td>Journal of Economic and Social History of the Orient.</td>
</tr>
<tr>
<td>JRAS</td>
<td>Journal of the Royal Asiatic Society.</td>
</tr>
<tr>
<td>JRGs</td>
<td>Journal of the Royal Geographical Society.</td>
</tr>
<tr>
<td>JQR</td>
<td>Jews Quarterly Review.</td>
</tr>
<tr>
<td>KTB</td>
<td>Katabanische Texte Zur Bodenwirtschaft.</td>
</tr>
<tr>
<td>MEJ</td>
<td>The Middle East Journal.</td>
</tr>
<tr>
<td>MVG</td>
<td>Mitteilungen der Vordersiatischen Gesellschaft.</td>
</tr>
<tr>
<td>PEFQ</td>
<td>Palestine Exploration Fund Quarterly.</td>
</tr>
<tr>
<td>PSBA</td>
<td>Proceeding of the Society of Biblical Archaeology.</td>
</tr>
<tr>
<td>REI</td>
<td>Revue des Etudes Islamiques.</td>
</tr>
<tr>
<td>REJ</td>
<td>Revue des Etudes Juives.</td>
</tr>
<tr>
<td>RHR</td>
<td>Revue de l'Histoire des Religions.</td>
</tr>
<tr>
<td>UJE</td>
<td>The Universal Jewish Encyclopaedia.</td>
</tr>
<tr>
<td>ZDMG</td>
<td>Zeitschrift der Deutschen Morgenlandischen Gesellschaft.</td>
</tr>
</tbody>
</table>
فهرس الموضوعات

الموضوع

الصفحة

تقرير

الفصل الأول: مصادر التاريخ العربي القديم

1 - المصادر الأثرية

2 - الكتب العربية غير الم yardımcı

3 - الكتب المسيحية

ثالثاً: المصادر العربية

1 - القرآن الكريم

2 - الحديث

3 - كتاب التفسير

4 - كتاب السير والمغازي

5 - الأدب الجاهلي

6 - كتاب اللغة

7 - كتاب التاريخ والجغرافيا

الفصل الثاني: تاريخ البحث العلمي في العصر الحديث في التاريخ العربي القديم

أولاً: في جنوب شبه الجزيرة العربية

ثانياً: في شمال شبه الجزيرة العربية

661
<table>
<thead>
<tr>
<th>المسند</th>
<th>المقصود</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>88</td>
<td>في شرق شبه الجزيرة العربية</td>
</tr>
<tr>
<td>93</td>
<td>الفصل الثالث: جغرافية شبه الجزيرة العربية</td>
</tr>
<tr>
<td>93</td>
<td>1- موقع بلاد العرب</td>
</tr>
<tr>
<td>95</td>
<td>2- التقسم اليوناني والروماني لبلاد العرب: العربية الصحراوية - العربية الصحارية - العربية السعيدة</td>
</tr>
<tr>
<td>98</td>
<td>3- التقسيم العربي: اليمن - همامة - الحجاز - نجد - العروض</td>
</tr>
<tr>
<td>106</td>
<td>4- مظهر المثل: الحرار - الدهناء - التفود</td>
</tr>
<tr>
<td>111</td>
<td>5- التضاريس: الجبال - الأنهار والأودية</td>
</tr>
<tr>
<td>120</td>
<td>6- المناخ</td>
</tr>
<tr>
<td>123</td>
<td>7- الموارد الطبيعية: المعدن - النبات - الحيوان</td>
</tr>
<tr>
<td>133</td>
<td>8- طرق التواصل</td>
</tr>
<tr>
<td>137</td>
<td>الفصل الرابع: لفظة العرب: مدلولها وتطورها التاريخي</td>
</tr>
<tr>
<td>155</td>
<td>كلمة العرب: أصلها والآراء التي دارت حولها، مدلولها وتطورها</td>
</tr>
<tr>
<td>155</td>
<td>رأي الإسلام</td>
</tr>
<tr>
<td>163</td>
<td>الفصل الخامس: العرب البائدة</td>
</tr>
<tr>
<td>163</td>
<td>أول: طبقات العرب</td>
</tr>
<tr>
<td>163</td>
<td>ثانياً: العرب البائدة</td>
</tr>
<tr>
<td>164</td>
<td>1- عاد</td>
</tr>
<tr>
<td>165</td>
<td>2- غورد</td>
</tr>
<tr>
<td>167</td>
<td>3- تمم وجديس</td>
</tr>
<tr>
<td>173</td>
<td>4- أميم</td>
</tr>
</tbody>
</table>

- 662 -
الموضوع

5  -  عيل
6  -  جرهم
7  -  العرافة
8  -  حضوراء
9  -  المدينون

الفصل السادس: بلاد العرب فيما قبل العصر التاريخي

194

الفصل السابع: دولة معين

213
1  -  معين والمعينون
2  -  عصر دولة معين
3  -  ملوك معين
4  -  أهم المدن المعينة

231

الفصل الثامن: دولة حضرومط

295
- موقع حضرومط، حضرومط في الكتبات الكلاسيكية،
- تاريخ حضرومط
- أهم مدن حضرومط

247

الفصل التاسع: دولة قتبان

247
- موقع قتبان، قتبان في الكتبات الكلاسيكية، عصر دولة قتبان

- 248-
الموضوع

عصر دولة قباني ، عصور التاريخ القباني ، أهم مدن قباني.

الفصل الحادي عشر : عصر الدولة الحميرية

أهم سمات العصر الحميري ، الحميريون في الكتب الكلاسيكية.

ملوك حمير.

الفصل الثاني عشر : مكة المكرمة

1- مكة : نشأتها وتطورها.
2- مكة في عصر قصي.
3- مكة مكة.

- 294-
الفصل الثالث عشر: المدينتان المنورة.

- يُرب: نشأتها وتطورها.

1 - سكان المدينة المنورة:
   - اليهود
   - العرب

2 - غلبة الأردن والخروج على يُرب.

3 - من مدن الحجاز:
   a) الطائف
   b) تيماء
   c) دومة الجندل
   d) الحجر

الفصل الرابع عشر: الأنباط.

أصل الأنباط والآراء التي دارت حوله، الخط النبطي وأثره في الخط العربي، الكتابات النبطية، علاقة الأنباط بخلفاء الأمويين.

- مملوك الأنباط
- البراء

الفصل الخامس عشر: اللحبانيون.
الفصل السادس عشر: النديمون.

1 - مدينة تدمر وتطورها التاريخي.
2 - أذنية.
الفصل السابع عشر: الغساسرة

- ملوك الغساسرة

الفصل الثامن عشر: المناذر

1 - مدينا الجيرة

2 - ملوك الجيرة

الفصل التاسع عشر: مملكة كندة

1 - كندة قبل عهد الملكية

2 - مملكة كندة

BIBLIOTHECA AI EXANTRINA

خزينة الاسكندرية